

لمؤلّفه

السيّد ضياء الدين أبي الرضا فضل الله الراوندي

قرن ٦ هـ

تصحيح وتحقيق

حسن قاسمي

ghasemisalam@gmail.com

سرشناسه : راوندی کاشانی، فضل‌الله بن علی، قرن ، ٦ق، .
عنوان قراردادی: شهاب الاخبار فی الحکم و الامثال و الاداب . شرح
عنوان ونام پدیدآور : ضوءالشهاب/ لمولفه السیدضیاءالدین‌ابی‌الرضافضل‌الله الراوندی قرن ٦ ﻫ؛ تحقیق و تصحیح حسن قاسمی. **مشخصات نشر**: تهران: حسن قاسمی، ١٣٩٧.
مشخصات ظاهری: ١٠١٨ ص. **شابک** : 978-622-00-0652-7
وضعیت فهرست نویسی: فیپا **یادداشت** : عربی.
یادداشت : کتاب حاضر شرحی بر کتاب "شهاب‌الاخبار فی‌الحکم والامثال والاداب" تالیف محمدبن‌سلامه قضاعی است.
یادداشت : کتابنامه: ص. [٩٣٦] – ٩٧٦؛ همچنین به صورت زیرنویس. **یادداشت** : نمایه.
موضوع : قضاعی، محمد بن سلامه، -٤٥٤ق. . شهاب الاخبار فی الحکم و الامثال و الاداب -- نقد و تفسیر **موضوع** : احادیث شیعه -- قرن ٥ق.
موضوع : Hadith (Shiites) -- Texts --11th century
شناسه افزوده : قاسمی، حسن، ١٣٥٧ - ، مصحح **شناسه افزوده** : قضاعی، محمد بن سلامه، -٤٥٤ق. . شهاب الاخبار فی الحکم و الامثال و الاداب. شرح
رده بندی کنگره : BP١٤٢/٥/ق٦ش ٩٠٢١٤ ١٣٩٧ **رده بندی دیویی** : ٢١٢/٢٩٧
شماره کتابشناسی ملی : ٥٢٣٥٣٣٦

عنوان: ضوء الشهاب

مؤلف: سید ضیاء الدین‌ابی‌الرضا فضل‌الله راوندی قرن ۶ ﻫ

تصحیح و تحقیق: حسن قاسمی

سال نشر: ۱۳۹۷

تیراژ : ۱۰۰۰

قیمت: ۵۵۰۰۰ تومان

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة التحقيق

١. ترجمة المؤلّف

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة على خير خلقه وأفضل بريّته محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين، والحمد لله الذي وفّقنا للاهتداء بشريعة أشرف المرسلين، وهدانا لاقتفاء آثار أهل بيته الأئمة الطاهرين عليهم السلام، والحمد لله الذي وفّقنا لنشر آثارهم، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله .

السيّد الإمام الكبير ضياء الدين أبي الرضا، فضل الله بن علي بن عبيد الله بن محمّد بن عبيد الله بن محمّد بن أبي الفضل عبيد الله بن الحسن بن علي بن محمّد السيلق بن الحسن بن جعفر بن الحسن المثنّى بن الحسن المجتبى عليه السلام الراوندي الكاشاني.

ولد في راوند، ولم يعلم تاريخ ولادته بالضبط، نعم أرخّ السيّد شهاب الدين النجفي المرعشي في كتابه[١] ولادته بسنة ٤٨٣ ق .

أقوال العلماء فيه:

قال السمعاني في الأنساب: « وأدركت بها(قاسان) : السيّد الفاضل أبا الرضا فضل الله بن علي (العلوي) الحسيني القاساني، وكتبت عنه أحاديث وأقطاعاً من شعره، ولمّا وصلت

---

١ . لمعة النور والضياء في ترجمة الرضا: ٤٥.

إلى باب داره قرعت الحلقة، وقعدت على الدكة أنتظر خروجه، فنظرت إلى الباب فرأيت مكتوباً فوقه بالجصّ: «إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً»[1]، أنشدني أبو الرضا العلوي القاسان لنفسه بقاسان . وكتب له بخطّه:

هل لك يا مغرور من زاجر	فترعوي عن جهلك الغامر
أمس تقضى وغداً لم يجئ	واليوم يمضي لمحة الباصر
فذلك العمر كذا ينقضي	ما أشبه الماضي بالغابر»[2]

قال فيه عماد كاتب في خريدة القصر: «الشريف النسب، المنيف الأدب؛ الكريم السلف، القديم الشرف؛ العالم الكامل، المفضل الفاضل؛ قبلة القبول، وعقلة العقول؛ ذو الأبهة والجمال والبديهة والارتجال؛ الرائق اللفظ، الرائع الوعظ؛ متقن علوم الشرع في الأصل والفرع، الحسن الخطّ والحظّ؛ السعيد الجدّ السديد الجدّ؛ له تصانيف كثيرة في الفنون والعيون، واعظ قد رزق قبول الخلق وفاضل أوتي سعة في الرزق؛ مقلي الكتابة صابيّ الإصابة؛ عميديّ الاعتماد في الرسائل؛ صاحبيّ الصحبة في الرسائل لأهل الفضائل؛ حصلنا إبانه عند النكبة بكاشان عند مقاساة الشدائد ... وأقمنا سنة نتردّد إلى المدرسة المجديّة إلى المكتب وكنت أرى هذا السيّد ــ أعني أبا الرضا ــ وهو يعظ الناس في المدرسة والناس يقصدونه ويتردّدون إليه، ويستفيدون منه»[3].

قال منتجب الدين بن بابويه: «علّامة زمانه، جمع مع علوّ النسب كمال الفضل والحسب، وكان استاد أئمة عصره»[4].

---

١ . الأحزاب/٣٣.

٢ . الأنساب : ٤/٤٢٧ ــ ٤٢٧.

٣ . خريدة القصر وجريدة العصر:٣/٦٧ــ٦٨.

٤ . فهرست منتجب الدين : ٩٦.

وقال السيّد محسن الأمين: «كان فاضلاً جليلاً رئيساً أديباً شاعراً مصنّفاً»[1].

قال المحدّث النوري: «هو من المشايخ العظام الذي تنتهي كثير من أسانيد الإجازات إليه، وهو تلميذ الشيخ أبي علي بن شيخ الطائفة قدّس سره، ويروي عن جماعة كثيرة من سدنة الدين، وحملة الأخبار، وله تصانيف تشهد بفضله وأدبه، وجمعه بين موروث المجد ومكتسبه»[2].

مشايخه في الدراية والرواية :

له مشايخ من علماء الخاصّة والعامّة، منها:

ـ أبو علي، الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي، مؤلّف مجمع البيان، المتوفى سنة ٥٤٨ هـ

ـ الحسن بن أبي جعفر شيخ الطائفة محمّد بن الحسن الطوسي المشتهر بالمفيد الثاني

ـ أبو المحاسن عبد الواحد بن إسماعيل بن أحمد التميمي الطبري الروياني (٤١٥ ـ ٥٠١ هـ)

ـ أبو علي، الحسن بن أحمد بن الحسن الحدّاد الرازي((٤١٩ ـ ٥١٥ هـ)

ـ السيّد أبو الصمصام ذو الفقار بن محمّد بن معبد بن الحسن بن أحمد (٤٠٥ ـ ٥٣٦ هـ)

ـ الحسين بن محمّد بن عبد الوهّاب الحارثي، ابن الدباس البغدادي (المتوفى سنة ٥٢٤ هـ)؛ وغيرهم.

تلامذته والراوون عنه:

ـ منتجب الدين ابن بابويه القمي الرازي صاحب كتاب «الفهرست» (بعد ٥٨٥ هـ)

ـ أبو جعفر، محمّد بن عليّ بن شهرآشوب المازندراني رشيد الدين (٥٨٨هـ)

ـ أبو سعد السمعاني صاحب «الأنساب» (٥٦٣ هـ)

ـ نجم الدين، عبد الله بن جعفر الدوريستي (بعد ٦٠٠هـ)

ـ عبد الله بن حمزة بن عبد الله بن حمزة بن الحسن بن علي الشارحي الطوسي (٥٩٦هـ)

---

١ . أعيان الشيعة : ٨ / ٤٠٨.

٢ . خاتمة المستدرك: ١/١٧٤.

ـ القاضي جمال الدين علي بن عبد الجبار بن محمّد الطوسي

ـ محمّد بن الحسين بن الحسن البيهقي المعروف بقطب الدين الكيدري(حيّاً ٥٧٦هـ)؛

وغيرهم.

تأليفاته:

وهي: ١ـ أدعية السر ١ـ الأربعين في الأحاديث ٣ـ ترجمة العلوي للطبّ الرضوي ٤ـ الحاشية على أمالي المرتضى ٥ـ الحماسة ذات الحواشي ٦ـ ديوان الراوندي ٧ ـ رمل يبرين ٨ـ شرح نهج البلاغة ٩ـ ضوء الشهاب ١٠ـ قصص الأنبياء عليهم السلام ١١ـ قنوت موالينا الأئمة المعصومين عليهم السلام ١٢ـ الكافي في التفسير ١٣ ـ المدائح المجديّة ١٤ـ مقاربة الطيّة إلى مقارنة النيّة ١٥ـ الموجز الكافي في علمي العروض والقوافي ١٦ ـ نظم العروض للقلب المروض ١٧ـ النوادر.

وفاته و مدفنه:

توفّي الراوندي في كاشان بعد سنة ٥٧١ق، وقبره بها في الزاوية الجنوبيّة من مقابر (پنجه شاه) في شمال المسجد الجامع القديم، ولا زالت مقبرته عامرة باسم مقبرة السيّد أبي الرضا في شارع «بابا أفضل» جنب «مكتبة أبي الرضا الراوندي»، وبكلّ أسف أنّ هذه المقبرة الشريفة متروكة ولا أحد يعلم بوجوده إلّا المجاورين له وبعض أهالي تلك المحلّة.

وكتب على قبره الشريف: «هذا مرقد السيّد الإمام الأعظم الأعلم الأفضل الأكمل، رئيس العلماء أفضل السادات والشرفاء زبدة السادات الهدى وحجّة الحقّ على الخلق، ضياء الدين تاج الإسلام أبو الرضا فضل الله بن عليّ بن عبيد الله بن محمّد بن عبيد الدين بن الحسين بن علي بن محمّد بن الحسن بن الجعفر بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليهما السلام. وقف هذا الحجر الحاج محمّد باقر العمادي بن الحاج محمّد جعفر شهر محرّم الحرام ١٢٢٩هـ».

٢. ترجمة القضاعي(ماتن الكتاب)

أمّا لأنّ أصل الكتاب هو أحاديث جمعها القضاعي، هنا أشير إلى مختصر من ترجمته وأيضاً أشير إلى تأليفاته التي منها «شهاب الأخبار» وشروحه التي كتب عليه الأعلام من الفريقين حتّى الآن.

القاضي أبو عبد الله محمّد بن سلامة بن جعفر القضاعي(٤٥٤هـ)[١]، هذه النسبة إلى قضاعة والمنتسب إليه خلق كثير منهم القاضي أبو عبد الله محمّد بن سلامة ابن جعفر القضاعي. كان فقيهاً شافعياً، وقاضي الديار المصريّة؛ روى عن أبي مسلم الكاتب فمن بعده، وروى عنه الخطيب البغدادي، والقاضي أبو بكر الأنصاري ببغداد بالإجازة، والحميدي وأبو عبد الجليل الساوي ومحمّد بن محمّد بن بركات السعيدي، وسهل بن بشر الإسفرايني وأبو عبد الله الرازي في مشيخته؛ قال ماكولا: كان متفنّناً في عدّة علوم لم أر بمصر من يجري مجراه. وقال السلفي: كان من الثقات الأثبات شافعيّ المذهب والاعتقاد مرضيّ الجملة.

والقضاعي وإن كان شافعيّ المذهب عند المترجمون، ولكن قال المحدّث النوري: «هذا وربّما يستأنس لتشيّعه بأمور: منها: توغّل الأصحاب على كتابه، والاعتناء به، والاعتماد عليه، وهذا غير معهود منهم بالنسبة إلى كتبهم الدينيّة، كما لا يخفى على المطّلع بسيرتهم. ومنها: إنّه قال في خطبة الكتاب بعد ذكر النبيّ صلى الله عليه وآله: «أذهب الله عنهم الرجس، وطهّرهم تطهيراً». ولم يعطف عليهم الأزواج والصحابة، وهذا بعيد عن طريقة مؤلّفي العامّة غايته. ومنها: إنّه ليس في تمام هذا الكتاب من الأخبار الموضوعة في مدح الخلفاء، سيّما الشيخين والصحابة، خبر واحد مع كثرتها وحرصهم في نشرها ودرجها في كتبهم بأدنى مناسبة، مع

١. له ترجمة في حسن المحاضرة: ١/ ٢٢٧؛ العبر: ٢٣٣/٣؛ اللباب: ٢٦٩/٢؛ الوافي بالوفيات: ٣ / ١١٤؛ وفيّات الأعيان: ٣٤٩/٣؛ مشيخة الرازي: ١٦٤/١ـ ١٦٥؛ إكمال الكمال: ١٤٧/٧؛ سير أعلام النبلاء: ٩٢/١٨ـ٩٣؛ هدية العارفين: ٧١/٢؛ معجم المطبوعات العربيّة: ١٥١٥/٢ـ١٥١٦؛ الأعلام: ١٤٦/٦؛ تهذيب التهذيب: ٢١٢/٩.

أنّه روى فيه قوله صلى الله عليه وآله: «مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح، من ركب فيها نجا، ومن تخلّف عنها غرق». ومنها: إنّ جلّ ما فيه من الأخبار موجود في أصول الأصحاب ومجاميعهم ـ كما أشار إليه المجلسي أيضاً ـ وليس في باقيه ما ينكر ويستغرب، وما وجدنا في كتب العامّة له نظيراً ومشابهاً»[1].

وأمّا تأليفاته الجليلة؛ منها:

تفسير القرآن في عشرين مجلّداً ذكره أبو الوفاء مصطفى المراغي؛ أمالي في الحديث، الإنباه في الحديث، الإنباه عن الأنبياء، درّة الواعظين وذخر العابدين، مجلّد على عشرين مجلساً، دقائق الأخبار وحدائق الاعتبار في الحكم، عيون المعارف وفنون الخلائف في التأريخ. ويظهر أنّه الإنباه عن الأنبياء، تاريخ مختصر من مبتدأ الخلق إلى زمانه، المختار في ذكر الخطط والآثار في مصر، مناقب الشافعي، نزهة الألباب في التأريخ، دستور معالم الحكم من كلام الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، شهاب الأخبار، مسند الشهاب .

وأمّا كتاب شهاب الأخبار وشرّاحه:

قال العلّامة المجلسي في البحار: كتاب الشهاب، وإن كان من مؤلّفات المخالفين، لكنّ أكثر فقراته مذكورة في الكتب والأخبار المرويّة من طرقنا، ولذا اعتمد عليه علماؤنا، وتصدّوا لشرحه.[2]

قال الميرزا النوري في خاتمة المستدرك: كتاب الشهاب: للقاضي أبي عبد الله محمّد بن سلامة بن جعفر بن علي بن حكمون المغربي القضاعي، المحدّث المعروف، والمعاصر للشيخ الطوسي رحمه الله وأضرابه، المتوفّى سنة أربع وخمسين وأربعمائة، وهو مقصور على الكلمات الوجيزة النبويّة. هذا الكتاب صار مطبوعاً شائعاً بين الخاصّة والعامّة.

وقد شرحه جماعة من علماء الفريقين؛ فمن الخاصّة:

ـ العالم الجليل السيّد ضياء الدين فضل الله بن عليّ بن عبيد الله الحسني الراوندي، سمّاه

---

١. خاتمة المستدرك: ١/٣٥٥ـ٣٥٦.

٢. بحار الأنوار: ١/٤٢.

«ضوء الشهاب»، ينقل عنه في البحار كثيراً.

ـ أفضل الدين الشيخ حسن بن عليّ بن أحمد الماهابادي، قال منتجب الدين: إنّه علم في الأدب، فقيه، وعدّ من كتبه «شرح الشهاب».

ـ برهان الدين أبو الحارث محمّد بن أبي الخير عليّ بن أبي سليمان ظفر الحمداني، عدّ في المنتجب من كتبه «شرح الشهاب».

ـ قطب الدين سعيد بن هبة الله الراوندي، عدّ في المنتجب من كتبه «ضياء الشهاب في شرح الشهاب».

ـ الشيخ أبو الفتوح الحسين بن عليّ بن محمّد الخزاعي، عدّ في المنتجب من كتبه «روح الأحباب وروح الألباب في شرح الشهاب»، وكذا ابن شهرآشوب في معالم العلماء. وغير هؤلاء الأعلام ممّا يجده المتتبّع.

ـ شرح شهاب الاخبار، لبعض الأصحاب، رأى العلّامة الطهراني في كتب السيّد علي شبّر في النجف.[1]

ـ الشيخ أبو بكر محمّد بن موسى بن الفرج الدربندي، نقله الراوندي في الكتاب منه (ص۲۰۲) حديثاً من كتابه وصرّح أنّ اسم كتابه «باب الأبواب» أو«شرح الشهاب» وأيضاً نقله منه في(ص۳۱۱).

و أمّا من العامّة:

لخّصه:

ـ الشيخ نجم الدين الغيطي محمّد بن أحمد الاسكندري، المتوفّى سنة أربع وثمانين وتسعمائة، وأصلحه الإمام حسن بن محمّد الصغاني، وسمّاه «كشف الحجاب عن أحاديث الشهاب» وضع علامة للصحيح، والضعيف، والمرسل، ورتّبه على الأبواب كالمشارق، وقد أوصى ابن الأثير في «المثل السائر» بمطالعته للكاتب الفقيه وله ضوء الشهاب.

---

١. الذريعة: ٣٤٣/١٣.

وشرحه:

ـ الشيخ عبد الرؤوف المناوي شرحاً ممزوجاً، وسمّاه «رفع النقاب عن كتاب الشهاب»، لكنّ الأميني الشامي قال في ترجمته: ورتّب الشهاب للقضاعي وشرحه، وسمّاه «إمعان الطلّاب بشرح ترتيب الشهاب» وله ترتيب أحاديثه على ترتيب «جامع الصغير» ورموزه.

ـ «حلّ الشهاب»، وشرحه بعضهم أوّله: الحمد لله الذي جعل سنّة نبيّه مشكاةً لاقتباس أنوار الرشد والهدى، الى آخره.

ـ ابن وحشي محمّد بن الحسين الموصلي. واختصر هذا الشرح الشيخ إبراهيم بن عبد الرحمن الوادياشي، المتوفّى سنة سبعين وخمسمائة.

ـ الأستاذ أبو القاسم بن إبراهيم الورّاق العابي، شرحه شرحاً بالقول.

ورتّبه السيوطي كترتيب الجامع الصغير له، وسمّاه «إسعاف الطلّاب بترتيب الشهاب». وصرّح في أوّل كلامه بشافعيّة القاضي.

ـ ابن الصغير أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن محمّد ابن عبد الرحمن بن محمّد المعروف بابن الصغير الأنصاري الخزرجي الفقيه المالكي من أهل الثغر الأعلى من سرقشطة ولد في ٥٠٢ بالمرية وتوفّي بمراكش سنة ٥٥٩.[١]

ـ أبو عمرو بن عباد الحافظ يوسف بن عبد الله الأندلسي.

ـ أبو الحسن علي بن أبي القاسم زيد بن محمّد بن حسين بن سليمان البيهقي المتوفّى سنة ٥٦٥.[٢]

ـ عليّ بن أحمد المعروف بابن القضاعي، سمّاه: فصل الخطاب في شرح الشهاب.[٣]

ـ عبد العزيز بن محمّد بن سعيد بن معاوية ابن داود الأنصاري أبو الإصبع الأطروشي الدورقي، كان محدّثاً نحويّاً توفّي سنة ٥٢٤.[٤]

---

١. هدية العارفين: ٨٦/١.
٢. إيضاح المكنون: ٦٠/٢.
٣. إيضاح المكنون: ١٩٠/٢.
٤. هدية العارفين: ٥٧٨/١.

ـ عبيد الله بن أحمد بن الحسين النرد شيرى الكاتب اللغوي[1].

ـ محمّد بن عبد الله بن أحمد بن حبيب العامري أبو بكر الصوفي المتوفّى سنة ٥٣٠.[2]

ـ محمّد بن أسعد بن علي بن عبد الله العراقي أبو المظفر الحلي المعروف بابن الحكيمي الواعظ الحنفي تلميذ الحريري ووالد النجم المتوفّى سنة ٥٦٧.[3]

ـ الحافظ أبو عمرو يوسف بن عبد الله بن سعيد بن زيد الأندلسى المعروف بأبى عمرو بن عباد المحدث المقرئ المتوفّي سنة ٥٧٥، وسمّاه بهجة الألباب فى شرح الشهاب.[4]

٣. التعريف بالكتاب(ضوء الشهاب)

قال العلامة المجلسي: «وكتاب ضوء الشهاب كتاب شريف مشتمل على فوائد جمّة، خلت عنها كتب الخاصّة والعامّة»[5].

وقال المحدّث النوري: «وهو صاحب ضوء الشهاب في شرح الشهاب، الذي أكثر عنه النقل في البحار، ويظهر منه كثرة تبحره في اللغة والأدب، وعلو مقامه في فهم معاني الأخبار، وطول باعه في استخراج مأخذها»[6].

قال في ابتداء الكتاب: «وشرعتُ فيه في صفر سنة «ستّ وثلاثين وخمس مائة»، ورأيتُ أن أسمّيه «**ضوء الشهاب**»، وعسى أن يكون اسماً يوافق المسمّى ولفظاً يطابق المعنى».

وقال في آخر الكتاب: «وقد طالت مدّةً ما بين الشروع فيه والفراغ والافتتاح به والبلاغ،

---

١. هدية العارفين: ٦٥٠/١.

٢. هديةالعارفين: ٨٧/٢.

٣. هدية العارفين: ٩٧/٢.

٤. هدية العارفين: ٥٥٢/٢ـ٥٥٣.

٥ . بحار الأنوار: ٣١/١.

٦ . خاتمة المستدرك : ١٧٤/١.

وذلك إنّي كنت أشتغل به شهراً وعنه دهراً لمحاجزات الأحوال ومماطلات الأشغال، ولمرض عنّ لي[1] في شعبان منه سنة ثمان وثلاثين عن سقي، ثمّ عليّ[2] وأنجاني الله تعالى منه برحمته وفضله ومنّته، ولم أكد أنجو وفي خلال ذلك كنت أخيب وأرجو، فتخلّصني وقد تأكّلتني النوب وكان مثلي أفلت وأنخص[3] الذنب، وقصّتي بل غُصّتي في ذلك طويلة وفضل الله تعالى أولى أن يذكر، وتيسّر أكثره في تنزّهاً لي إلى قرية جَوْسَقان، والمنّة فيه بعد الله تعالى لولدي أحمد أبي المحاسن وعليّ بن جعفر ومحمّد أبي الفضائل بارك الله في أعمارهم، فإنّهم كانوا يحثّونني عليه بالإلزام ويحضّونني على الإتمام، وجزى الله تعالى عنّي أبا الحسن عليّ بن علي القاساني خيراً فقد قام في خدمتي بكفاية مآربي وتقضية مطالبي حتّى تمّ».

وأمّا النسخة المعتمدة في تحقيق الكتاب:

مخطوطة في مكتبة عاطف أفندي في إستانبول تركيا رقم ٥٩٣، تقع في ٢٦٨ ورقةً، ناسخها هو حيدر بن عليّ بن حيدر العلويّ الحسينيّ الآملي(بعد٧٨٢ق)[4]، وقع الفراغ من تسويدها في ذي القعدة ٧٦٢ق؛ زاد في آخر الجزء الأوّل من الكتاب:

«هذا آخر ما تضمّنه الجزء الأوّل من كتاب ضوء الشهاب من كلام السيّد الإمام السعيد فضل الله بن عليّ بن عبيد الله الحسنيّ أبي الرضا الراوندي تجاوز الله عنه وغفر له، وتتمّته في الجزء الثاني من الكتاب المذكور أوّله الباب الرابع قوله صلى الله عليه وآله: «اشفعوا توجروا». كتبه العبد الفقير الحقير المحتاج إلى ربّه القدير، الغريق في بحور الآثام المتمسّك بولاء أجداده أهل البيت عليهم السلام أضعف عباد الله جِرماً وأقواهم جُرماً حيدر بن عليّ بن حيدر العلويّ الحسينيّ الآملي ـ أصلح الله شأنه وغفر الله ذنبه. واتّفق الفراغ منه عاشر ذي القعدة سنة اثنين وستّين

---

١ . عرض واعترض.

٢ . سقاني السقية الثانية.

٣ . كذا في خ.

٤ . مفسّر محدّث فقيه عارف متكلّم؛ من تصانيفه : المحيط الأعظم في تفسير القرآن الكريم، فصّ الفصوص في شرح فصوص الحكم لابن عربي، جامع الأسرار ومنع الأنوار في الرياض في علم التوحيد، تلخيص اصطلاحات الصوفيّة للكاشاني، والبحر الخضم في تفسير القرآن الأعظم .

وسبعمائة مدار اللم بعد الهجرة».

وزاد في آخر الكتاب: «تمّ الكتاب وهو ضوء الشهاب كلام رسول الله صلى الله عليه وآله على يدي العبد الفقير إلى رحمة ربّه القدير حيدر بن عليّ بن حيدر العلويّ الحسينيّ الآملي أصلح الله حاله ببغداد وكان الفراغ من تسويده ظهر يوم الأحد تاسع وعشرين ذي الحجّة حجّة اثنين وستّين وسبع مائة هجرة نبويّة. والحمد لله على ذلك وصلّى الله على خير خلقه محمّد وآله أجمعين».

كتب في الصفحة الأولي من المخطوطة ترجمة مختصرة لقطب الدين الراوندي وعماد الدين علي بن فضل الله الراوندي(ولد المؤلّف) وضياء الدين الراوندي.

وكتب في الصفحة الثانية منها:

ـ من الكتب التي وقفها فيما بني وشاد لمن طالعها واستفاد.

ـ كتاب ضوء الشهاب، من إملاء السيّد السعيد الإمام العالم الشريف الجليل أفضل المتقدّمين وأكمل المتأخّرين فضل الله بن علي بن عبيد الله الحسني أبي الرضا الراوندي قدّس الله روحه العزيز.

ـ يثق بالله الودود ويستمدّ منه العناية والتوفيق عبده الفقير الجاني أبو بكر بن رستم بن أحمد بن محمود الشرواني وفّقه الله لما يحبّ و يرضى وختم له بالحسنى سنة ١٠٩١ .(في الهامش).

ـ الحمد لله ربّ العالمين، من كتب عليّ بن محمّد الشافعي ـ عفى الله عنه ـ. (في الهامش)

ـ من كتب التي وقفها فيما بني وشاد لمن طالعها واستفاد من العباد سائلاً منه أن يذكر بالخير والرحمة فرحم الله من كان أهل الخير والرحمة العبدُ الأقلّ مصطفى العاطف ـ كفاه الله تعالى يوم لا عاطف ـ.

ـ حسبي الله! تحوّل هاتيك المجلّد بالشراء إلى عبد القادر بن نور الله بالخير تبشيراً في سنة ١٠٤٣ في أوائل جمادي الأولى.(في الهامش)

ـ صاحبه ومالكه ومتصرّفه: كاتبه العبد الضعيف الفقير إلى رحمة ربّه اللطيف أضعف عباد الله جِرماً وأقواهم جُرماً الغريق في بحر الآثام المتمسّك بولاء أجداده أهل البيت عليهم السلام

حيدر بن عليّ بن حيدر العلوي الحسينيّ العاملي أصلح الله شأنه وكتب ذلك تاسع وعشرين ذي الحجّة حجة اثنين وستّين وسبعمائة والحمد لله ربّ العالمين وصلّ الله على خير خلقه محمّد وآله الطيّبين الطاهرين .

ـ ونقش خاتم : وقف هذا الكتاب الحاج مصطفى عاطف بشرط أن لا يخرج من خزانته سنة ١١٥٤.

رابط تحميل المخطوطة من موقع الأرشيف : https://archive.org/details/zo-al-shehaab

٤. منهج التحقيق

إنّ الاعتماد على نسخة وحيدة في التصحيح والتحقيق أمر صعب وشاقّ لكن قدمتها وشخصيّة ناسخها سهّل لي الاعتماد عليها وأنّي قمت بمراجعها مرّة أخرى وتصحيح النصّ، وإثبات النقص بها، وإيضاً نقل منه العلّامة المجلسي في بحار الأنوار كثيراً وبها تغلّبت على مشكلة عدم توافر النسخ. سرت في منهج التحقيق والتصحيح لهذا الكتاب كالتالى:

١. نسخت النصّ عن النسخة الخطيّة الوحيدة، وقابلت المنسوخ بالأصل مقابلة دقيقة حسب وسعي وأصلحت ما استطعت من أخطاء كانت من الناسخ، ثمّ قوّمته وضبّطته بالشكل؛ ثمّ بدأت في التحقيق والتيقّن من صحّة النصوص، فحيث إنّ الكتاب لم أجد له نسخة أخرى، زادت الحاجة إلى مراجعة نصوصه في كتب الفنّ(منها كتاب بحار الأنوار)؛ ولا شكّ أنّ مقارنة عدّة نسخ لكتاب ما إن وجدت ومقابلتها مع الأصل يصحّح النصّ أو يقربه إلى الصحّة، ومع ذلك تبقى الحاجة إلى مراجع النصوص في مظانّها إذا تحرّى المحقّق الدقّة والأمانة في التحقيق والتصحيح؛ فلمّا تفقّد النسخ تزيد أهمّية الرجوع إلى المظانّ والمصادر التي استفادت من الكتاب، فراجعت النصوص على قدر الإمكان، فإن وجدت اختلافاً عند الناقلين عنه نبّهت عليه.

٢. تخريج الآيات الواردة بالكتاب .

٣. قمت بتخريج الأحاديث النبويّة وكذلك أحاديث أهل البيت عليهم السلام من المجاميع

الحديثيّة المعروفة المتداولة، بذكر اسم المصدر والجزء والصفحة التي يوجد فيها الحديث، مع الإشارة إلى اختلاف النصّ عن المصدر وبتخريج الآثار والأشعار الواردة في الكتاب وتشكيلها.

٤. قد بذلت بما وسعني من الجهد في سبيل إيضاح بعض الكلمات المبهمة، بالعودة إلى مصادرها الأصلية ومطابقتها مع النصّ وتصحيح ما وقع فيها من التباس أو تصحيف؛ وأمّا ما بين المعقوفتين([])، فإنّه لم يرد في النسخة الخطيّة، وقد أثبتناه من المصادر، وبعضه أثبتناه ليستقيم المعنى ولضبط الجانب الفنّي من الكتاب.

٥. ترقيم صفحات المخطوطة في هامش الكتاب.

٦. تذييل الكتاب بخمسة فهارس : فهرس الآيات ، فهرس الأعلام، فهرس الأشعار، فهرس المصادر وفهرس المحتويات.

*** *** ***

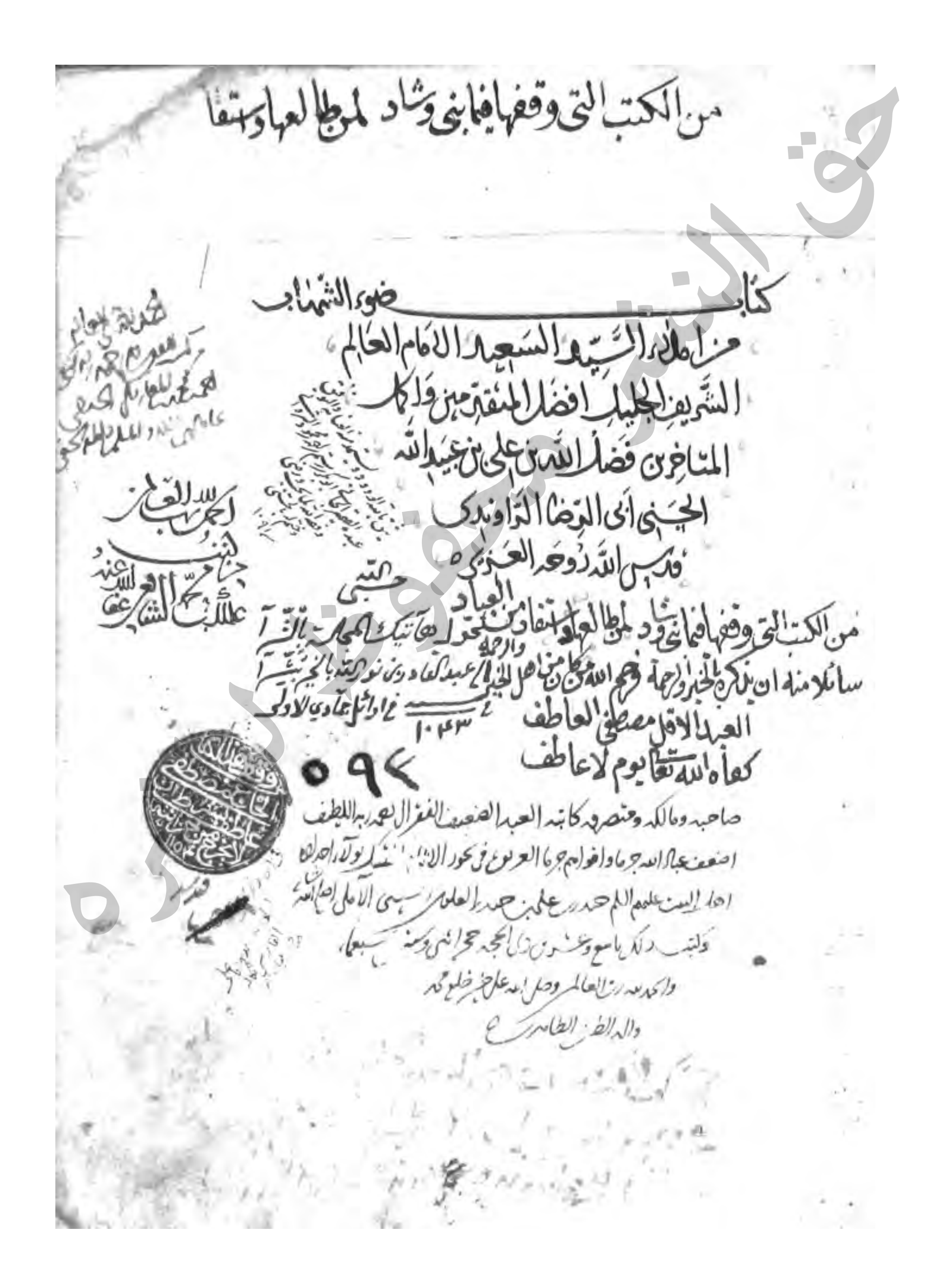
وفي نهاية المطاف أبتهل إلى الله المنّان أن يتقبّل سعيي وسعي من بذل وسعي وأحمده سبحانه وتعالى حمداً كثيراً على توفيقه إيّاي لتحقيق وتصحيح هذا الأثر الشريف وإصداره بالشكل اللائق به. وأتقدّم بجزيل الشكر وجميل الثناء إلى كلّ من ساعدني على إنجاز هذا العمل الشريف ، راجياً أن يكتب الله تعالى عملهم وعملي في الخدمات المبرورة في إحياء ذخائر تراث أهل البيت عليهم السلام .

قد بذلت فيه الطاقة، واستفرغت الجهد الذي استوعب سنوات منذ أن شرعت باستنساخه وحتى آخر مرحلة من مراحل تحقيقه، وأرجو من العلماء الأفاضل الذين يراجعون الكتاب، أن يتفضّلوا عليّ بما لديهم من النقد وتصحيح ما لعلّني وقعت فيه من الأخطاء والزلات و أذكّروا لي عن طريق البريد الإلكتروني(ghasemisalam@gmail.com) أو الهاتف(98-9192012925+) .

وأهدي ثواب هذا الجهد المتواضع إلى روح أمّي العزيزة ـ رحمها الله ـ، والحمد لله والصلاة والسلام على محمّد وآله الطيّبين الطاهرين.

حسن القاسمي ٥ جمادي الثاني ١٤٣٧

نماذج من صور صفحات المخطوطة



بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم اجعل ترددنا إلى بابك سببا إلى نيل ثوابك وتمسكا بأسبابك دركا للأمن من عقابك
واحفظنا بالسلامة ما أحييتنا وألحقنا بالكرامة إذا توفيتنا ولا تغيبنا عن إحسان تجلب
الشكر وامتنان يوجب الذكر وقدر رزقنا الذي تكفلت به طبقا لفاقتنا فلا نبطر ووفقا
لحاجتنا فلا نكفر واعذنا من غمط نعمائك والتبرم ببلائك والاستحقار لعطائك والاتهام
لقضائك واجعلنا من عبادك الذين إذا عافيتهم ذكروا وإذا ابتليتهم ستروا وإذا أعطيتهم شكروا
وإذا أصبتهم صبروا. اللهم واحرسنا من سورة الجشع وفورة الملع وطيش العجل وفترة
الكسل ونكد العناد ووبال الاستبداد ووحشة الشقاق وذنبة النفاق وفهة الحصر
وحيرة البصر وسخف اللجاج وعنف الحجاج وأمنة الغرور وغلبة الشرور وقصر العمل
وطول الأمل واحفظنا من شرور أنفسنا وهواها فإنها ساعية في رداها وتمم النعمة علينا
بفطامها عن الشهوات المردية والبدوات المندية والمطالب المغوية والمآرب المخزية فإذا
نحن متناصحون جعلوا رضاك أماما واتباع أوامرك لزاما والارتسام لما رسمت حظاما والامتناع
عما حظرت ذماما تمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما. اللهم وأوصل
أزكى تحياتك عرفا وأذكى صلواتك عرفا إلى خير من اصطفيته لرسالتك وارتضيته لسفارتك
محمد عبدك ونبيك ورسولك ونجيك وحبيبك وصفيك وإلى عترته الأطهرين نسبا وأسرته
الأطهرين حسبا. وبعد فإن كتاب الشهاب الذي جمعه القاضي أبو عبد الله
محمد بن سلامة ابن جعفر بن علي القضاعي المصري رحمة الله عليه من حديث رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم لما تعاون قلة فصوله وكثرة محصوله وتناصر صغر حجمه وكبر غنمه على
حبس الأبصار عليه وصرف البصائر إليه وكانت كلماته صلى الله عليه وآله الفصوص والنصوص والفرائد
والشوارد والغرر والدرر والنتف والطرف ولم يتصد لشرح مشكله وكشف معضله إلا
أحد رجلين حديثي فقعد به علم العربية ومجاريها وخفيت عنه أغراض البلاغة ومراميها

فتخفى

٣

فتمحّض عن اسانيده ورجاله ولم يحم حول شرحه وحلّ اشكاله ولغوي اشتغل بظواهره وغفل
عن سرائره فتعرّض للمباني واعرض عن المعاني فكان كلا الرجلين مقصّراً او عن الواجب
مقصّراً اللهم الا ما اورده القدماء منه متفرقا في مصنفاتهم فشرحوه وعنوا به فاوضحوه
فانه منهم واليهم ونحن عيال عليهم والله تعالى يرحمهم وبالمغفرة يكرمهم ❁ أمر الصدر الاجلّ
العالم بهاء الدين جمال الاسلام سيد العراقين ابو عبد الله الفضل بن محمد بن الفضل
ضاعف الله علاه وكبت عداه وجعلهم فداه ان اصرف بعض اوقاتي الى شرح له شاف وتفسير
كاف لا صغير مخلّ ولا كبير مملّ اشفاقا على حديث النبي صلى الله عليه واله واكراما ونظرا
له واحتراما وحسن ظن منه بي بتربيت نعمته وحليف خدمته وامره عزم وحكمه جزم ولا اخذ
بحزمه فلم اجد من التزامه بدّاً ولا للامتثال مردّاً وارتسم امالاه ذلك في خانقاه عمّه
الصدر السعيد مجد الدين ناصر الاسلام ابي القسم عبيد الله بن الفضل بن محمود اناره
الله برهانه وثقّل بخيره ميزانه وكان ولدي احمد ايده الله يحثني عليه ويتقاضاني به



ويصرف همتي اليه فشمرت عن ساق الجد ولم ادخر ما عندي من الجهد وكسرت عليه هذه
الاجزاء تباعد الحكمة وامتثالا للرسمة وشرعت فيه في صفر سنة ست وثلثين وخمسمائة
ورأيت ان اسميه ضوء الشهاب وعسى ان يكون اسما يوافق المسمى ولفظا يطابق المعنى
وكان القضاعي رحمه الله قد اودعه الف حديث اكثرها من شرط الصحاح وعندي
نسختها وعليها خطه ثم زاد فيها باخرة مائتي حديث تكلم الناس فيها واذا انتهيت
اليها تممت عليها حديثا حديثا بعون الله وسالت ربي ان يجعلني في ذلك ممن يرمي الغرض
فيصيب ويقصد فلا يخيب وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب ❁

باب الاول

قوله صلى الله عليه واله وسلم الاعمال بالنيات الاعمال جمع عمل والنية
في عرف اهل اللسان العزم يقال نويت نيةً ونواةً وانتويت والنوى والوجه

١٣٥

173

يقنعك وإلى الكثير يشغلك لأن النفس مطلعة إلى ما وراء الحاصل توّاقة إلى ما يتجاوز
أمد الآمال وفائدة الحديث التحذير من طلب الدنيا والازدياد على ما رزق الله تعالى
والتعنيف على ترك القناعة وراوي الحديث عبد الله بن عمر وفي آخره إذا أصبحت معافى
في جسدك آمنا في سربك عندك قوت يومك فعلى الدنيا العفاء قوله صلى الله عليه وآله
طوبى لمن هدي للإسلام وكان عيشه كفافا وقنع وروي وقنع به وهذا
الحديث أيضا أخذ مأخذ ما قبله يدعو عليه السلم للدين الحنيفي الذي هو خير الأديان
وكان وجه معاشه القدر يكفه عن الإشفاق بما يشين وجه مؤونته ويثلم عصمة
ديانته والكفاف من الرزق ما يكف عن الناس أي يغني وقال عليه السلم في حديث آخر اللهم
اجعل رزق آل محمد كفافا وفائدة الحديث فضل الكفاف والعفاف والقناعة المغنية
عن الاستكفاف وراوي الحديث فضالة بن عبيد هـ هذا آخر ما تضمنه الجزو
الأول من كتاب ضوء الشهاب من كلام السيد الإمام السعيد فضل الله بن علي بن عبيد
الله الحسني أبي الرضا الراوندي تجاوز الله عنه وغفر له ويتلوه في الجزء الثاني من
الكتاب المذكور أوله الباب الرابع قوله صلى الله عليه وآله اشفعوا تؤجروا

بلغ المقابلة

كتبه العبد الفقير الحقير المحتاج إلى ربه القدير
الغريق في بحور الآثام المتمسك بولاء أجداده أهل
البيت عليهم السلم أضعف عباد الله جرما وأقواهم
جرما حيدر بن علي بن حيدر العلوي الحسيني
الآملي أصلح الله شأنه وعوائد دينه
واتفق الفراغ منه عاشر
ذي القعدة سنة [illegible]
[illegible] لله [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر واعن

الباب الرابع

قوله صلى الله عليه وآله اشفعوا تؤجروا اصل الشفع ضم الشيء الى مثله والشفاعة انضمامك الى من هو دونك جاهك ناصرا له او انضمام من هو اعلى منك اليك ناصرا لك ويعتبر فيها الدرجة فيقول صلى الله عليه وآله اشفعوا لاخوانكم الذين دونكم في الرتبة وصلوا اجنحتهم لينالوا بكم الى مطالبهم وكونوا لهم وصلا الى حاجاتهم تكتسبوا الاجر العظيم والثواب الجسيم وقال امير المؤمنين عليه السلم الشفيع جناح الطالب اي يمشي به امره به ويحصل غرضه بمكانه وروى الحسن ان النبي عليه السلم قال يقول الرجل من اهل الجنة يوم القيمة اي رب عبدك فلان سقاني شربة من ماء في الدنيا فشفعني فيه فيقول اذهب فاخرجه من النار فيحتش النار حتى يخرجه وعن ابن مسعود تشفع الملائكة والنبيون والشهداء والصالحون وجميع المؤمنين فلا يبقى في النار الا اربعة ثم تلا قوله تعالى لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين وقال الحسن لان امشي مع اخ مسلم اقضي حاجته احب الي من ان ادرك ليلة القدر في احد المسجدين وقال النبي عليه السلم من سعى في حاجة اخ كان له بكل عضو تحرك منه صدقة وفايدة الحديث الامر بالشفاعة والترغيب فيها وراوي الحديث ابو موسى الاشعري قال كان النبي صلى الله عليه وآله اذا اتاه السايل او طلبت اليه الحاجة قال اشفعوا تؤجروا ويقضي الله على لسان نبيه ما شاء قوله صلى الله عليه وآله سافروا تصحوا وتغنموا مضمون الحديث اشارة الى السفر الحلال والصحة لما في السفر من الرياضات البدنية التي تعين على الهضم وتحلل الاخلاط الفاسدة وتنقي البدن والغنيمة لما فيه من الزيادات والفوايد التي تحصل بالاسفار ويعد فالمسافر يرى العجايب من صنع الله تعالى ويخالط الغرباء ويستفيد العالم علما والحليم حلما ويزيد تجارته الى كثير من الاشياء التي لا تكون في بلده فان الحكمة الالهية قد اقتضت اختصاص كل

الاستفادم

حمد الشاكرين وصلى الله على خير خلقه محمد وآله الطيبين الطاهرين وسلم تسليما كثيرا

تم الكتاب وهو ضوء الشهاب

كلام رسول الله صلى الله عليه وآله على يدي العبد الفقير إلى رحمة

ربه الغني حيدر بن علي بن حيدر العلوي الحسيني الآملي

أصلح الله حاله ببغداد وكان الفراغ من تسويده ظهر

يوم الأحد تاسع وعشرين ذي الحجة حجة اثنى وستين

وسبعمائة هجرية نبوية والحمد لله على

ذلك وصلى الله على خير محمد وآله

أجمعين

ضَوءُ الشِّهَابِ

الجُزْءُ الأَوَّلُ

٢



*بسم الله الرحمن الرحيم

[خطبة الكتاب]

اللّهمّ اجعل تردّدنا إلى بابك سبباً إلى نيل ثوابك، وتمسّكنا[١] بأسبابك دركاً للأمن من عقابك؛ واحفظنا بالسلامة ما أحييتنا، واكنفنا بالكرامة إذا توفّيتنا؛ ولا تغيّبنا عن إحسان يَجلب الشكر، وامتنان يوجب الذكر؛ وقدّر رزقنا الذي تكفّلتَ به، طبقاً لفاقتنا فلا نبطر، ووقفاً لحاجتنا فلا نكفر؛ وأعذنا من غمط نعمائك[٢]، والتبرّم[٣] ببلائك، والاستحقار لعطائك، والاتّهام لقضائك؛ واجعلنا من عبادك الذين إذا عافيتهم ذكروا، وإذا ابتليتهم ستروا، وإذا أعطيتهم شكروا، وإذا أصبتهم صبروا.

اللّهمّ واحرسنا من سَورَة الجَشَع[٤] وفَورَة الهلع[٥] وطيشة[٦] العجل وفترة الكسل ونَكَد العناد[٧] ووبال الاستبداد ووحشة الشقاق وريبة النفاق وفَهَّة الحَصَر[٨] وحيرة البصر وسُخف اللجاج وعنف الحجاج وأمنة الغرور وغلبة الشرور وقصر العمل وطول الأمل؛ واحفظنا من شرور أنفسنا وهواها فإنّها ساعية في رداءها، وتمّم النعمة عليها بفطامها عن الشهوات المردئة

---

١. في خ: تمسّكاً.

٢. غمط النعمة: كفرانها وسترها.

٣. السأمة والتضجّر؛ وفي مجمع البحرين: ١٦/٦: «ومنه حديث: «وصف المؤمن لا يتبرّم ولا يتسخّط» أي لا يسأم ولا يتضجّر من أعمال الخير».

٤. سَورَة الجَشَع: حِدّة الحرص الشديد.

٥. أوّله أو شدّته.

٦. اضطراب وانحراف.

٧. شُؤمُه وعَسِرُه.

٨. الفهّة: العيّ، والحَصَر ضرب من العيّ.

والبدوات المندية[١] والمطالب المغوية والمآرب المخزية. فإذاً نحن متناصحون جعلوا رضاك إماماً، واتّباع أوامرك لزاماً، والارتسام[٢] ما رسمت خِطاماً[٣]، والامتناع عمّا حظرت زماماً، «يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً»[٤].

**** **** ****

اللّهمّ وأوصل أزكى تحيّاتك عُرفاً وأذكى صلواتك عَرفاً إلى خير من اصطفيته لرسالتك وارتضيته لسفارتك محمّد عبدك ونبيّك ورسولك ونجيّك وحبيبك وصفيّك وإلى عترته الأطهرين نسباً وأسرته الأظهرين حسباً.

وبعد، فإنّ كتاب «الشهاب» الذي جمعه القاضي أبو عبد الله محمّد بن سلامة بن جعفر بن عليّ القضاعيّ المصريّ ـ رحمة الله عليه ـ من حديث رسول الله صلّى الله عليه وآله لمّا تعاون قلّة فصوله وكثرة محصوله وتناصر صغر حجمه وكبر غنمه على حبس الأبصار عليه وصرف البصائر إليه، وكانت كلماته صلّى الله عليه وآله الفصوص والنصوص والفوارد والشوارد والغرر والدرر والنُتَف والطُرف؛ ولم يتصدّ لشرح مشكله وكشف معضله إلّا أحد رجلين: حديثيٌّ قعد به تعلّم العربيّة ومجاريها وخفيت عنه أعراض البلاغة ومراميها *فتفحّص عن أسانيده ورجاله ولم يحم حول شرحه وحلّ إشكاله، ولغويٌّ اشتغل بظواهره وغفل عن سرائره فتعرّض للمباني وأعرض عن المعاني؛ فكان كلا الرجلين مقْصِراً وعن الواجب مقَصّراً؛ اللّهمّ إلّا ما أورده القدماء منه متفرّقاً في مصنّفاتهم فشرحوه وعنوا به فأوضحوه، فإنّه منهم وإليهم، ونحن عيال عليهم، والله تعالى يرحمهم وبالمغفرة يكرمهم.

٣

أمر الصدر الأجلّ العالم بهاء الدين جمال الإسلام سيّد العراقين أبو عبد الله الفضل بن محمّد بن الفضل[٥] ـ ضاعف الله علاه وكبت عِداه[٦] وجعلهم فداه ـ أن أصرف بعض أوقاتي

---

١. التي يعرق لها الجبين حياءً.

٢. كذا في خ، والصواب: وارتسام.

٣. زماماً.

٤. الفرقان: ٦٣.

٥. لم أقف على ترجمته في المصادر.

٦. أعداءه.

إلى شرح له شافٍ وتفسير كافٍ لا صغير مخلّ ولا كبير مملّ، إشفاقاً على حديث النبيّ ﷺ وإكراماً ونظراً له واحتراماً؛ وحسن ظنّ منه بربيب نعمته وحليف خدمته، وأمره عزم وحكمه جزم والأخذ به حزم، فلم أجد من التزامه بدّاً ولا لإشارته مردّاً؛ ورسم إملاء ذلك في خانقاه عمّه الصدر السعيد مجد الدين ناصر الإسلام أبي القاسم عبيد الله بن الفضل بن محمود ـ أنار الله برهانه وثقّل بخيره ميزانه ـ وكان ولدي أحمد[١] ـ أيّده الله ـ يحثّني عليه ويتقاضاني به ويصرف همّي إليه، فشمّرتُ عن ساق الجدّ[٢]، ولم أدّخر ما عندي من الجهد، وكسرتُ عليه هذه الأجزاء تباعةً لحكمه وامتثالاً لرسمه، وشرعتُ فيه في صفر سنة «ستّ وثلاثين وخمس مائة»، ورأيتُ أن أسمّيه «**ضوء الشهاب**»، وعسى أن يكون اسماً يوافق المسمّى ولفظاً يطابق المعنى.

وكان القضاعيّ رحمه الله قد أودعه ألف حديث أكثرها من شرط الصحاح، وعندي نسختها وعليها خطّه. ثمّ زاد فيها بآخره مائتي حديث تكلّم الناس فيها، وإذا انتهيت إليها نبّهت عليها حديثاً حديثاً بعون الله، وسألت ربّي أن يجعلني في ذلك ممّن يرمي الغرض فيصيب ويقصد فلا يخيب، «وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ»[٣].

---

١ . السيّد كمال الدين أبو المحاسن أحمد بن السيّد الإمام فضل الله بن علي الحسيني الراوندي . عالم، فاضل، قاضي قاشان. راجع: فهرست منتجب الدين: ٣٩.

٢ . شمّر عن ساق الجدّ: اشتدّ الجدّ.

٣ . هود: ٨٨.



الباب الأوّل

قوله صلى الله عليه وآله: الأَعْمالُ بِالنِّيّاتِ

«الأعمال» جمع عمل، والنيّة في عرف أهل اللسان: العزم، يقال: نَوَيْتُ نيّة ونَواةً وانتويت، والنوى والوجه[1] الذي يقصده الإنسان من قرب أو بعد، وهي مؤنّثة يقال: بعُدت نواهم واستقرّت نواهم. وأصل النيّة نوْيَة على وزن فعلة فلمّا سبقت الواو بالسكون قلبت ياءً وأدغمت في الثانية فصار «نيّةً»، ومن أصول التصريف أنّه متى اجتمعت الواو والياء في كلمة وسبقت إحداهما بالسكون قلبت الواو ياءً وأدغمت، كقولك: طويت طيّاً وشويت شيّاً ويوم وأيّام. والأصل طوْياً وشوْياً وأيْوَام.

و«الباء» تتعلّق بفعل محذوف ويدلّ عليه سياق الكلام، والتقدير: الأعمال تتمّ بالنيّات أو تقبل أو ترفع وأمثال ذلك، وهي عند أهل النظر إرادة فاعل والمراد جمعاً من فعل فاعل واحد. ويتمسّك بهذا الحديث من لا يرى صحّة الفعل من دون النيّة.

ومعنى الحديث: الأعمال تقبل وترفع وتقع محلّ القبول إذا اقترنت بها النيّات وتقدّمتها العزمات وتجرّدت من شوب الرياء وطلب السمعة والثناء وارتفعت عن طريق اللهو وسُبكت[2] من خبث اللغو.

---

١. كذا في خ، ولعلّ الصواب: والنوى: الوجه.

٢. سبك: خلّص.

وروي في سبب هذا الحديث أنّه لمّا هاجر رسول الله صلى الله عليه وآله من مكّة إلى المدينة وندب الناس إلى الهجرة وحثّ عليها وجعلها شرطاً للمهاجرين حيث قال عليه السلام: «هَاجِرُوا تُورِثُوا أَبْنَاءَكُمْ مَجْداً» رغب الناس فيها من محقّ ومبطل وصادق وكاذب ومخلص ومراء، فقيّد النبيّ عليه السلام عليها بالإخلاص ونهاهم عن اتّباع الصور دون المعاني، فقال مرّةً: «الأَعْمَالُ بِالنيّاتِ»، وقال أخرى: «لا هِجرةَ بعدَ الفَتحِ»[1] إلى أمثال ذلك.

فروي[2] أنّ رجلاً خرج مهاجراً إلى المدينة وغرضه التزوّج بامرأة كان يميل إليها من المهاجرات يقال لها «أمّ قيس» فبرز في معرض المهاجرين وأظهر خلاف ما أضمر، ففضحه الوحي وكشف عن سرّه، فقال صلى الله عليه وآله: «الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِامْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ[3] هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»[4].

ويروى: «الأعمال بالنيّة»[5]، ولمّا كان لفظ النيّة مصدراً أو كالمصدر أفاد فائدة الجمع وهذا دأب المصادر .

وروي: أنّ ذلك الرجل كان يلقّب بعد ذلك بـ«مهاجر أمّ قيس».[6]

٥

وفائدة هذا الحديث الأمر بالإخلاص وتجريد الأعمال *من شوائب الرياء والسمعة وتقديم العزمات عليها والتأهّب والاستعداد لها. وراوي الحديث عمر بن الخطّاب.

---

١ . الكافي: ٤٤٣/٥، ح٥؛ وكذا راجع: مسند أحمد: ٢٢٦/١، ح١٩٩١.

٢ . راجع: شرح صحيح البخاري لابن بطال: ٣٣/١؛ الحاوي الكبير: ١٦٤/١٤؛ شرح السنة: ٤٠٤/١.

٣ . كذا في المصادر، وفي خ: وكان.

٤. مسند الطيالسي: ٩، ح٣٧؛ سنن البيهقي: ٤١/١، ح١٨١؛ مسند الشهاب: ٣٦/١، ح١.

٥ . مسند أحمد: ٢٥/١، ح١٦٨؛ كنز العمّال: ١٧١/٣، ح٧٢٦٣؛ وراجع: مستدرك الوسائل: ١٣٢/٤، ح٤٣١١.

٦ . قوت القلوب: ٢٧٠/٢؛ المعجم الكبير: ١٠٣/٩، ح٨٥٤٠.

قوله صلى الله عليه وآله: المَجَالِسُ بِالأمَانَةِ

المجالس جمع مجلس ـ بالكسر، أو مجلس ـ بالفتح ـ، والأوّل موضع الجلوس والثاني المصدر، ويقال للقائم: اقعد وللنائم: اجلس . والأمان والأمانة واحد، وقد أمنتُ أمْنٌ به، والأمانة مصدر أَمِنَ الرجل يأمَن أمانةً إذا كان أميناً موثوقاً به، والذي في الحديث الأشبه أن يكون مصدر أمِن؛ والباء تتعلّق بمحذوف والتقدير : المجالس بحسن الأمانة أو ترضى بالأمانة وما أشبه ذلك؛ فكأنّه عليه السلام يقول: ليكن صاحب المجلس أميناً لا يَنُمِ ولا يعيد ما عسى أن يجلب على صاحبه شرّاً أو يجرّ إليه ضرّاً، فإنّ المجالس لا يحسن ولا يجمل إلّا بكرم الصحبة وحسن العشرة ومراقبة الحاضر ومناصحة الغائب.

وروى جابر الأنصاري رضي الله عنه عن النبيّ صلى الله عليه وآله: المَجَالِسُ بِالْأَمَانَةِ إلَّا ثَلَاثَةَ مَجَالِسَ: مَجْلِسٌ يُسفك فيه دم حرام، أو يُهتك فيه فرج حرام أو تقتَطَعُ فيه مالٌ بغير حقٍّ.[١]

وفائدة الحديث النهي عن الوشاية والنميمة التي ربّما تؤدّي إلى القطيعة والأمور الفظيعة وإلى التدابر والتناكر والتنافر والتهاجر، والأمر بأداء الأمانة واجتناب الخيانة . وراوي الحديث عليّ بن أبي طالب عليه السلام .

٥٥٥ قوله صلى الله عليه وآله: المُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ

الاستشارة مثل المشاورة، يقال: شاورته في أمر كذا واستشرته . والمؤتمن: الأمين، ويقال: ائتمنته على ذلك أي عددته أميناً .

ومعنى الحديث: أن يُضيّق على المشاور المستعان برأيه في المناصحة والمصادقة للمشاور الذي فرغ إليه وعوّل في أمره عليه ويحتمل أن يكون أمراً للمستشير باختبار المستشار

---

١ . نصّه في المصادر: «المَجَالِسُ بِالأَمَانَةِ إلّا ثَلاثَةَ مَجَالِس : سَفْكُ دَمٍ حَرَام، أَوْ فَرْجٌ حَرَام، أَوِ اقْتِطَاعُ مَالٍ بِغَيْرِ حَقٍّ»، راجع: سنن أبي داود: ٢٦٨/٤، ح ٤٨٦٩؛ كنز العمّال: ٥٨/٩، ح ٢٥٣٧٩؛ وراجع: الأمالي للطوسي: ٥٣، ح ٧١.

الأمين الذي يصوّبه ولا يخونه، فيقول له لا يستعين برأي غير الموثوق به.

ولفظ الحديث الخبر ومعناه الأمر، وكذلك الحديثان المقدّمان، وقد ورد هذا الجنس مورداً صالحاً، ومثله قولك للرجل في الدعاء له: يديم الله توفيقه، لفظه لفظ الخبر ومعناه الدعاء؛ وله إذا ردّ إلى الحقيقة وجه صحيح ومحمل صحيح، وهو أنّه يدعو *له، ومن شدّة تصوّر الإجابة لدعائه وتوقّع كونه وحصوله، كأنّه يخبر عن ثابت قائم غير منتظر.

٦

وفي كلام عبيد الله بن زياد حين أفشى عمر بن سعد ما أسرّ إليه مسلم بن عقيل رضي الله عنه: «إنّه لا يخونك الأمين ولكن يؤتمن الخائن».[1]

وفائدة الحديث الأمر بأداء الأمانة واجتناب الخيانة ومناصحة الأخ المستشير وهدايته إلى الطريقة المثلى والجهة الحسنى، والأمر بالتثبّت في اختيار المشير المناصح الذي يؤتمن خيانته ويُستكفى كفايته ولا يدّخر عنك نصيحةً ولا يضمر لك فضيحةً.

وقد نظم بعض المتأخّرين الخصال التي تجب أن تكون في المستشار فقال:

خصائص من تشاوره ثلاث	فخذ منها جميعاً بالوثيقة
ودادٌ خالصٌ ووفورُ عقل	ومعرفةٌ بحالك في الحقيقة
فمن حصلت له هذي المعاني	فتابع رأيه والزم طريقه[2]

وقد أمر الله تعالى نبيّه عليه السلام بالمشورة فقال: «وَشَاوِرْهُمْ»[3] ومدح قوماً فقال: «وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ»[4].

وراوي الحديث الحسين عن سمرة بن جندب رضي الله عنه؛ وتمام الحديث: «فَإِنْ شَاءَ أَشَارَ، وَإِنْ

١. تاريخ الطبري: ٣/٢٩١؛ مقتل الحسين لأبي مخنف: ٥٣؛ الإرشاد: ٢/٦١.

٢. لم أقف على ناظمه.

٣. آل عمران: ١٥٩.

٤. الشورى: ٣٨.

شَاءَ سَكَتَ، فَإِنْ أَشَارَ فَلْيُشِرْ بِمَا لَوْ نَزَلَ بِهِ فَعَلَهُ»[١].

قوله صلى الله عليه وآله: الْعِدَةُ عَطِيَّةٌ

وفي رواية: «عدة المؤمن كأخذ باليد»[٢].

يقال: وعدته خيراً وأوعدته شرّاً، فإذا قالوا: أوعدته اختصّ بالمكروه وخلص له. قال:

وَإِنِّي إِذَا أَوْعَدْتُهُ أَوْ وَعَدْتُهُ لَمُخْلِفُ إيعادِي وَمُنْجِزُ مَوْعِدِي[٣]

وأصل العدة وعدة، فعلة من الوعد، ومثله زنة وجهة؛ وهذه الواو لا تجتمع مع الهاء في المصادر، فأمّا في الأسماء فنعم كقولك: وِلْدَةٌ، في جمع وَلَد.

شبّه عليه السلام العدة بالعطيّة، لأنّ الموعود بها من النهار[٤] تسكن نفسه بمكانها ويثق بها فكأنّها عطيّة حصلت لديه وفائدة وصلت إليه.

وروى الحسن البصريّ: «أنّ رجلاً سأل النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: ما أصبت عندنا شيئاً، فقال: يا رسول الله! عدني، قال: فإنَّ الْعِدَةَ عَطِيَّةٌ»[٥].

وقال عليه السلام: «الوأي مثل الدين أو أفضل منه»[٦].

وروي عن عبد الله بن أبي الْحَمْسَاءِ قال: «بَايَعْتُ النبيّ صلى الله عليه وآله قبل أَنْ يُبْعَثَ فَبَقِيَتْ له بَقِيَّةٌ فَوَعَدْتُهُ أَنْ آتِيَهُ بها في مَكَانِهِ فَنَسِيتُ، ثُمَّ ذَكَرْتُ *بَعْدَ ثَلَاثٍ، فإذا هو في مَكَانِهِ، فقال: يا فَتًى! لقد شَقَقْتَ عَلَيَّ، أنا ها هنا مُنْذُ ثَلَاثٍ»[٧]؛ فانظر إلى كرمه صلى الله عليه وآله.

٧

١. مسند الشهاب: ٣٨/١، ح ٤؛ كنز العمّال: ٤١٠/٣، ح ٧١٩٠.

٢. الفردوس بمأثور الخطاب: ٤٤/٣، ح ٤١١٢؛ كنز العمّال: ١٤٠/٣، ح ٦٨٧٠.

٣. قاله أبو عمرو، راجع: عيون الأخبار لابن قتيبة: ١٩٢؛ البصائر والذخائر: ١٧٧.

٤. كذا في خ.

٥. السائلة في المصادر امرأة، راجع: المراسيل لأبي داود: ٣٥٢، ح ٥٢٢؛ المطالب العالية: ٧٢٠/٥، ح ٩٨٥.

٦. الصمت وآداب اللسان: ٢٣٠، ح ٤٥٤؛ إحياء علوم الدين: ١٣٢/٣.

٧. سنن أبي داود: ٢٩٩/٤، ح ٤٩٩٦؛ مسند المقلّين: ٣٣.

وفائدة الحديث الأمر بحسن المصاحبة وكرم الأخلاق والتقدّم بالوعد الحسن إذا لم يقدر على ابتداء المعروف من غير تعليق قلب الموعود بانتظار الإنجاز، ثمّ حثّ على الإنجاز بقوله عليه السلام: «الْعِدَةُ دَينٌ». وراوي الحديث عبد الله رضي الله عنه، قال: لا يوعد أحدكم صبيّه ثمّ لا ينجز له، فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال، وذكر الحديث.[1]

قوله صلى الله عليه وآله: الْعِدَةُ دَينٌ

شبّه عليه السلام الوعد بالدين الذي يستقبح فيه المطاوعة، ويستهجن معه المماطلة، فكما لا يخرج المديون من دينه إلّا القضاء والأداء كذلك لا يعتق الوعد إلّا الإنجاز والعطاء . ثمّ إنّ الإنجاز هو الذي يخرجه من وصمة المرتدّ والخلاف واستحقاق الذمّ والعقاب وهو الذي يحكم به المروءة فضلاً عن الديانة، وما أقبح بالرجل أن يبذل بلسانه ما لا يفي فعله به مع القدرة، فإن أبى من جانب القدرة والمكنة فهو معذور وإلّا فلا، وكفى المخلف ذمّاً تشبيه النبيّ صلى الله عليه وآله له بالمنافق وجعله الخُلف من علامات النفاق.

وفائدة الحديث الحثّ على إنجاز الوعد والوفاء به والتخلّص من عهدته كالتخلّص من الدين الذي لا يمكن التفصّي عنه إلّا الأداء له والخروج منه . وراوي الحديث عليّ بن أبي طالب عليه السلام .

قوله صلى الله عليه وآله: الحَرْبُ خَدْعَةٌ

الحرْب مشتقّة من الحَرَب الذي هو السلب، وقد أفصح به أبو تمّام فقال: «والحرب مشتقّة المعنى من الحَرَب»[2]. و«الخَدعة» فَعلة من خدَعَهُ يخدعه خدعاً إذا اختله وأراد به مكروهاً من حيث لا يعلم . ويقال: خَدَعَه خَدْعاً مثل سحره سحراً والاسم الخديعة. وروي في

١ . راجع: الصمت وآداب اللسان: ٢٥٨، ح٥٤٣؛ مسند الشهاب: ٣٩/١، ح٦.

٢ . أخبار أبي تمام: ١٠؛ جمهرة الأمثال: ٤٧/١؛ وفي ديوانه أنشده في بحر طويل، راجع: ديوانه: ٢١.

الحديث: «خُدعةٌ» وهو فُعلة من الخدع، وخَدْعَة ـ بالفتح ـ وخُدعة مثال هُمزة والأفصح خَدعة بفتح الخاء. وروي: أنّها لغة النبيّ صلى الله عليه وآله.[١]

فإذا روي «خدعة» ـ بضمّ الخاء وسكون الدال ـ فالمعنى أنّها قطعة من الخداع وطائفة منه، وأنّ مبنى أمرها على المخادعة والمخاتلة، وربّما حصل فيها من المماكرة والمساترة ما لا يحصل من *المجاهدة والمكابرة، وإذا روي: «خَدعَةٌ» ـ بفتح الخاء ـ فالمعنى أنّ انتظام أسبابها ومدار رحاها ربّما يتزعزع بخدعة واحدة وتضع بها أوزارها وتلقي إصارها[٢] ولا تُحوج إلى مراجعة ومعاودة؛ وإذا روي: «خُدَعَةٌ» ـ على وزن همزة ـ فالمعنى: أنّ الحرب كالرجل الخُدَعَة الذي يغرّ صاحبه حتّى يستدرجه إلى المكروه، وكذلك الحرب يغترّ بها الغَمَر[٣] الذي لم تُحنكه التجارب[٤] فيتسرّع إليها غير عارف بمكاسرها وأحوالها فيؤخذ بكظمه ويتردّي في فَحمته[٥].

[٨]

وقد قيل: «رأي الشيخ خير من مشهد الغلام»[٦].

وقد قال: «المتأخّر الرأي قبل شجاعة الشجعان»[٧].

وقال الآخر: «نفاذ الرأي في الحرب أنفع من الطعن والضرب»[٨].

كلّ ذلك يؤول إلى معنى إحماد بَرد الخداع المغني عن حرّ القراع والمصاع، ولا يكاد يحمد الخداع إلّا في مواضع معدودة.

روي عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «كُلُّ الْكَذِبِ يَكْتُبُ عَلى بن آدَمَ إِلَّا ثَلاثَ خِصَالٍ ـ أو ثلاثَ

---

١. روي عن ثعلب، راجع: جمهرة اللغة: ١/٥٧٩؛ غريب الحديث للخطابي: ٢/١٦٦.

٢. الإصار: الطُنب، وجمعه أصر.

٣. الحقد والغلّ، ورجل غمر: الذي لم يجرّب الأمور.

٤. حنكت التجارب الرجل: أحكمته وهذّبته.

٥. فحمة الليل: سواده وظلمته.

٦. راجع: عيون الأخبار لابن قتيبة: ٦؛ العقد الفريد: ١/٦٧؛ البصائر والذخائر: ٩/١١٦.

٧. أنشده المتنبي؛ راجع: ديوان المعاني: ٢/٩١؛ يتيمة الدهر: ١/٢١٧؛ خزانة الأدب: ١/٢٠٢.

٨. جمهرة الأمثال: ١/٦٦؛ غرر الخصائص الواضحة؛ ١٩٢.

خِلالٍ ـ: رَجُلٌ كذب امْرَأَتَهُ لِتَرضى عنه، ورَجُلٌ كَذِبَ بين امْرَأَيْنِ مُسْلِمَيْنِ لِيُصْلِحَ بَيْنَهُمَا، ورَجُلٌ كَذِبَ في خُدعةِ حَرْبٍ»[١].

وكلّ ذلك محمول على المعاريض التي فيها مندوحة عن الكذب، فأمّا الكذب المحض فقائله مذموم معاقب.

وروي في سبب الحديث: أنّ عائشة قالت: إنّ نعيماً الأسلميّ كان رجلاً نموماً فدعاه النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: إنَّ اليَهُودَ[٢] قد بَعَثَتْ إلَيَّ إنْ كَانَ يُرْضِيكَ أَنْ نَأْخُذَ رِجَالاً رَهْناً مِنْ غَطْفَانَ وَقُرَيْشٍ، فَنَدْفَعُهُمْ إلَيْكَ [فَتَقْتُلُهُمْ]، فَخَرَجَ مِنْ عِنْدِ النبيّ صلى الله عليه وآله فَأَتَاهُمْ وَأَخْبَرَهُمْ بِذَلِكَ، فانفسختْ عَزَائِمُهُم التي عَزَمُوها ومَكائدُهم التي كَادُوهَا عَلَى مُعَاداةِ النَّبيّ عليه السلام ومُعانِدَتِهِ، فَعِنْدَ ذَلكَ قَالَ النَّبيُّ عليه السلام: الْحَرْبُ خَدْعَةٌ.[٣]

وروي أنّه لمّا نزل أمير المؤمنين ـ صلوات الله عليه ـ إلى عمرو بن [عبد]ود وتناوشا قال له عمرو: ألم تكن الشريطة بيننا أن لا يعيننا أصحابنا ؟ قال: ذلك فمه، قال: فمن هذا الذي جاء يمدّك؟ فالتفت عمرو فبادره أمير المؤمنين عليه السلام بضربة أبانت فخذه؛ فذكر للنبيّ صلى الله عليه وآله فقال: الحرب خدعة.[٤]

وقيل في معناه: يُنهى عن الحرب وارتكابها ما أمكن التفادي عنها.

والخدعة: الفساد، من قولهم: خدع فوه، إذا خَلَفَ وتغيّر؛ وفي هذا الوجه تعسّفٌ وبُعدٌ.

وفائدة الحديث الحثّ على الاعتزام وإجالة الرأي *والتثبّت في أمور الحرب والتأتي لها من وجهتها، ومن عادة العرب قلّة المبالاة والتزيّد والتشيّع في أمور الحرب .

٩

هذا عمرو بن معدي كرب مع محلّه ورتبته ذكر أنّ الأشراف بالكوفة كانوا يخرجون إلى

---

١ . مسند أحمد: ٤٥٤/٦، ح ٢٧٦١١؛ كنز العمّال: ٢٥٢/٣، ح ٨٢٥٥ و ٨٢٥٧.

٢ . في ص: يهود.

٣ . غريب الحديث للخطابي: ١٦٢/٢؛ فتح الباري: ٣٠٩/٧.

٤ . راجع: المغني: ١٧٧/٩؛ الشرح الكبير لابن قدامة: ٤٤٦/١٠؛ كشف القناع: ٧٠/٣.

ظاهرها يتحدّثون ويتذاكرون أيّام الناس، فوقع عمرو إلى جنب خالد بن الصقعب النهدي يحدّثه، يقول: أغُرت على بني نهد فخرجوا إليّ مسترعفين بخالد بن الصقعب فقتله، فقال له الرجل: حلاًّ أبا ثور، مقتولك الذي تذكره هو الذي تحدّثه، فقال: اللّهمّ غفراً ؛ إنّما يتحدّث بهذا وأشباهه ليخوّف هذه المعدّية .[١] وراوي الحديث جابر رضي الله عنه .

قوله صلى الله عليه وآله : النَّدَمُ تَوْبَةٌ

لمّا كانت التوبة هي الإقلاع عن الذنب، والندم على ما أسلف، والإضمار لئلّا يعود إليه أبداً، ولم يتصوّر العزم على ترك المعاودة في المستقبل إلّا بعد تقدّم الندم على الماضي؛ كان الندم ركناً قويّاً من أركان التوبة، فجعل عليه السلام الندم وحده توبةً لذلك.

وقد روي في حديث آخر : أنّ من ندم على ذنبه غفر له وإن لم يستغفر.[٢]

ومن شرائط الندم أن تكون مع الإقلاع حتّى تكون ركن التوبة، فأمّا الندم مع الإصرار فخطرة من خطرات العادات ووسوسة من وسوسة الصدور لا يغني عن الذنب فتيلاً .

وقال النبيّ صلى الله عليه وآله : «تُوبُوا إلى اللهِ فَإنِّي أَتُوبُ إلَى اللهِ في الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ»[٣] .

وقال عليه السلام : «مَنْ تَابَ قَبْلَ مَوْتِهِ بِسَنَةٍ تَابَ اللهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: إنَّ السَّنَةَ لَكَثِيرَ، مَنْ تَاب قَبْلَ مَوْتِهِ بِشَهْرٍ تَابَ اللهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: إنَّ الشَّهْرَ [لَ]كَثِيرٌ، مَنْ تَابَ قَبْلَ مَوْتِهِ بِجُمُعَةٍ تَابَ اللهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: إنَّ الجُمُعَةَ لَكَثِيرَ، مَنْ تَابَ قَبْلَ مَوْتِهِ بِيَوْمٍ تَابَ اللهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: إنَّ اليَوْمَ لَكَثِيرٌ، مَنْ تَابَ قَبْلَ مَوْتِهِ بِسَاعَةٍ تَابَ اللهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: إنَّ السَّاعَةَ لَكَثِيرَ، مَنْ تَابَ قبل أن

---

١ . راجع: شرح نهج البلاغة: ٣٦٢/٦.

٢ . في المصادر: «مَنْ سَاءَتْهُ خَطِيئَتُهُ غُفِرَ لَهُ وَإنْ لَمْ يَسْتَغْفِرْ»، راجع: مسند الشهاب: ٢٦٤/١؛ كنز العمّال: ٩٥/٤، ح ١٠٢٨٢.

٣ . صحيح مسلم: ٢٠٧٥/٤، ح ٢٧٠٢؛ كنز العمّال: ٨٦/٤، ح ١٠١٧١.

يغرغرَ تابَ اللهُ عليهِ»[١].

وعن ابن عبّاس رضي الله عنه قال: في السماء باب للتوبة ويقال له المشريق، وقد رُدّ حتّى ما بقي إلّا شرقه.[٢]

قال ثعلب: الشرق الضوء يدخل من شقّ الباب.[٣]

وقال النبيّ عليه السلام: «إذَا اقْشَعَرَّ جَسَدُ الإنسان مِنْ خَشْيَةِ اللهِ تَحَاتَّتْ عَنْهُ ذُنُوبُهُ كَمَا يَتَحَاتُّ عَنِ الشَّجَرِ الْيَابِسَةِ وَرَقُهَا»[٤].

فالندم أصل التوبة التي لها هذه *الرتبة . ١٠

وفائدة الحديث الحثّ على استشعار الندم المستدام والإقلاع الصحيح عن الذنب، فإنّ المعصية إذا تعقّبها الندم على ما مضى منها أوضح شدّ أن يوافقها الاجتناب فيما بقي، فكانت توبةً مستجمعةً للشرائط. وراوي الحديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

قوله صلى الله عليه وآله : الأمَانَةُ غِنىً

الأمانة مصدر أمن إذا صار أميناً؛ فكأنّه عليه السلام يقول: الأمانة نوع من أنواع الغنى أو سبب من أسبابه من حيث أنّ الأمين الذي يعتمده الناس ويفزعون إليه في معاملاتهم وأحوالهم يَشيعُ ذكره ويَذيع شكره فيرغب في معاملته، فتكثر بذلك عوائده ويتواصل فوائده فيستغني، على أنّ بركة الله على الأمين أكثر من ذلك كلّه، فإنّه إذا وجده أميناً بارك فيه وثمّر ماله ورفّح حاله ووفّق له، وإذا وجده خائناً أسلمه[٥] وخذله وأقلّه وأذلّه.

---

١ . مسند الحارث: ٣٢١/١؛ تفسير السمعاني: ٤٠٨/١ .

٢ . غريب الحديث لابن الجوزي: ٥٣٤/١؛ النهاية في غريب الأثر: ٤٦٤/٢.

٣ . راجع: تهذيب اللغة: ٢٥٣/٨؛ غريب الحديث لابن الجوزي: ٥٣٤/١؛ تاج العروس: ٢٩٤/٢٥.

٤ . معجم الصحابة: ٢٧٦/٢، ح ٨٠١؛ شعب الإيمان: ٤٩١/١؛ كنز العمّال: ٦٠/٣، ح ٥٨٧٩.

٥ . أهمله وخذله.

وفائدة الحديث الأمر بالأمانة و تحرّي الصيانة واجتناب الخيانة على موجب الديانة. وراوي الحديث أنس بن مالك.

قوله صلى الله عليه وآله : الدِّينُ النَّصِيحَةُ

قد روى تميم الداري عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ ـ ثلاث مرّات ـ فقيل: لِمَنْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: للهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَلعَامَّتِهِمْ»[١]. «الدين» : العادة والشأن. قال المثقب[٢]:

يَقُولُ وَقَدَ دَرَأْتُ لها وَضِينِي ... أَهَذَا دِينُهُ أَبَداً وَدِينِي[٣]

والدين: الجزاء والمكافأة، والدين: الطاعة، ومنه الدين الذي هو الإسلام. وأصل النصح الخياطة، والناصح الخيّاط، والنصاح الخيط، والنصاح الإبرة، والتوبة النصوح التي تنصح وتخيط ما خرقه الذنب.

وقال أبو زيد : نصحته أي صدقته، وتوبة نصوح: صادقة.[٤]

وقال النبيّ صلى الله عليه وآله : «من اغْتابَ خَرَقَ ومن اسْتَغْفَرَ رَفَأَ»[٥].

ونصحت فلاناً وعظته فانتصحني، أي عدّني ناصحاً، وقيل: نصيحتي، ورجل ناصح الجيب أي نقيّ القلب.

---

١ . مسند أحمد: ١٠٢/٤، ح ١٦٩٨٢و١٦٩٨٣؛ كنز العمّال: ٣١٧/٣، ح ٨٧٧٤؛ وراجع: الخصال للصدوق: ٢٩٤، ح ٦٠؛ بحار الأنوار: ٦٥/٧٢، ح ١.

٢ . هو: العائذ بن محصن بن ثعلبة ، من بني عبد القيس، من ربيعة : شاعر جاهلي، من أهل البحرين؛ راجع: الأعلام: ٢٣٩/٣؛ طبقات فحول الشعراء: ٢٧١/١؛ خزانة الأدب: ٨٨/١١ ـ ٨٩ .

٣ . راجع: المفضليات: ٢٩٢؛ طبقات فحول الشعراء: ٢٧٣/١.

٤ . راجع: تهذيب اللغة: ١٧١/٤ .

٥ . في المحكم والمحيط الأعظم: ٢٨١/١٠ : «خرق أي خرق دينه بالاغتيابِ ورفأه بالاستغفار كلّ ذلك على المثل ورفأ الرجل يرفَؤُه رَفْأ: سكّنه من اغتاب خرق ومن استغفر رفاء؛ وراجع: أدب الكاتب: ٤١؛ قوت القلوب: ١٨٩/٢.

وقال الأصمعيّ: الناصح الخالص من العسل وغيره مثل الناصع وكلّ شيء خلص فقد نصح.[١]

وقال ابن عرفة: توبة نصوح خالصة.[٢]

والمناصحة: المصافاة، والمناصحة لأخيك المؤمن أن تريد له ما تريد لنفسك، ولمّا كانت النصيحة وهي إرادة الخير لأخيك خلقاً من أخلاق الديانة وركناً وثيقاً من *أركانه جعلها الدين كلّه. وهذا كقوله: «الحجّ عرفة»[٣]، ولا خلاف أنّ للحجّ أركاناً غير الوقوف لا يتمّ الحجّ بدونها، إلّا أنّه لمّا كان الوقوف بعرفات ركناً قويّاً جعله الحجّ كلّه، لأنّ معظم أمور الحجّ ذلك، كذلك لمّا كانت النصيحة معظم أخلاق الدين جعلها الدين كلّه. ١١

على أنّ النصيحة ــ على ما رواه تميم الداري[٤] ــ أنّها لله ولكتابه ولرسوله ولأئمّة المسلمين ولعامّتهم، مشتملة على الدين كلّه، لأنّ النصيحة لله إخلاص العمل والأخذ بأوامره ونواهيه، والنصح لكتابه أن يتلوه حقّ تلاوته وينزل عند أحكامه، ونصيحة الرسول حبّه وحبّ أولاده وأسرته وتعظيم سنّته ونصيحة الأئمّة طاعتهم واتّباعهم، ونصيحة العامّة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأن تريد لكلّ واحد منهم ما تريد لنفسك؛ فعلى هذا الوجه لا يحتاج إلى عذر.

ويمكن النصيحة على معنى الوعظ لأخيك المؤمن وأنّها من أحسن أخلاق الإيمان.

وفائدة الحديث الحثّ على المناصحة لأخيك وإضمار الخير له وكفّه عن القبيح بأحسن الوجوه وأجملها. وراوي الحديث تميم الداري.

---

١. راجع: الصحاح: ٤١١/١؛ تفسير القرطبي: ٢٣٤/٧.

٢. راجع: شرح السنّة: ٨١/٥؛ الكشّاف: ٥٧٤/٤.

٣. مسند الطيالسي: ١٨٥، ح١٣٠٩.

٤. تقدّم آنفاً.

قولهﷺ : الجَماعَةُ رَحْمَةٌ وَالْفُرْقَةُ عَذَابٌ

الجماعة طائفة من الناس، واستعمل هاهنا بمعنى الاجتماع، والتقدير الاجتماع رحمة أو التزام الجماعة رحمة، وقد شاع ذلك حتّى قيل أهل السنّة والجماعة.

وروي عن ابن مسعودرضي الله عنه رفعه قال: «ليس الجماعة كثرة الناس، من كان معه الحقّ فهو جماعة وإن كان وحده»[١]، فنعلم بذلك أنّه ليس الاختبار في الجماعة الجمع الكثير ودهماء[٢] الناس، ولكنّه بالتزام الحقّ والصدق، ولو أراد به ما عليه الأغلب الأكثر لكان قد مدح جماعة الحشو والباطل، لأنّه لا خلاف أنّ الغلبة لهما .

وفي كلام أمير المؤمنينعليه السلام : «لَئِنْ أَمِرَ البَاطِلُ لَقَدِيماً فَعَلَ، وَلَئِنْ قَلَّ الْحَقُّ فَلَرُبَّمَا وَلَعَلَّ»[٣].

فأمّا ما روي من قولهعليه السلام : «لَا تَجْتَمِعُ أمّتي عَلَى الضَلَالَةِ، فَعَلَيْكُمْ بِالسَّوَادِ الْأَعْظَمِ».[٤] فقد قال الأوزاعي : «السواد الأعظم كلمة الحقّ وإن كان رجلاً واحداً»[٥].

وقالعليه السلام: «يَدُ اللهِ عَلَى الْجَمَاعَةِ»[٦] .

وشبّه في حديث آخر المتخلّف عن الجماعة بالشاة التي تتخلّف وتتقطّع من القطيع،[٧]

---

١ . راجع: الفقيه والمتفقّه: ٤٠٤/٢؛ ربيع الأبرار ونصوص الأخيار: ٢٤٧/٢ـ ٢٤٨ ؛ تاريخ مدينة دمشق: ٤٠٩/٤٦.

٢ . عامّة الناس وسوادهم.

٣ . الكافي: ٦٨/٨، ح٢٣؛ الإرشاد: ٢٤٠/١.

٤ . راجع: مسند عبد بن حميد: ٣٦٧، ح ١٢٢٠؛ سنن ابن ماجه: ١٣٠٣/٢، ح ٣٩٥٠؛ جامع الأحاديث: ٣٣٥/٢، ح ٥٨٠٥.

٥ . لم أقف على مصدره؛ نعم ابن القيّم أشار إلى هذا المعنى في: إعلام الموقعين: ٣٩٧/٣.

٦ . عن عليّعليه السلام ، راجع: الأمالي للطوسي: ٢٣٧؛ بحار الأنوار: ٣١:٤٧٦؛ وراجع: سنن النسائي: ٢٩٢/٢، ح٣٤٨٣؛ المعجم الكبير: ١٨٦/١، ح ٤٨٩.

٧ . راجع: المعجم الكبير: ١٨٦/١، ح ٤٨٩؛ كنز العمّال: ٣١٠/٣، ح ٨٧١٤ .

١٢

فيكون الذئب *على افتراسها أقدر، كذلك الإنسان المنفرد المنقطع عن الجماعة يكون نُهزة[١] للشيطان ومستعدّاً لغلبة الوسواس والخيالات الفاسدة والاعتقادات الباطلة المختلفة والأهواء المتبوعة والآراء المتقاربة، وربّما تقع له الشبهة التي يعجز خاطره عن حلّها والخروج منها، فيوشك أن يهلك فيها، فإذا راجع أهل الحقّ واستعان بهم ناصحوه وعرفوه ما جهله وخفي عليه؛ فلذلك أمر عليه السلام بملازمة الجماعة وحذّر من الفرقة.

وعن ابن عبّاس رضي الله عنه: «لَوْلا مَخَافَةُ الْوَسْوَاسِ، لنزلتُ بِلاداً لا أَنِيسَ بِهَا»[٢].

وتقدير الحديث: ملازمة الجماعة سبب للرحمة ومفارقتها سبب للعذاب، فجعل السبب مسبّباً.

وفائدة الحديث الأمر بملازمة أهل الحقّ ومتابعتهم والكون معهم، والنهي عن الابتداع والتمسّك بالأقوال الخارجة . وراوي الحديث النعمان بن بشير.

قوله صلى الله عليه وآله: الحَسَبُ الْمَالُ وَالْكَرَمُ التَّقْوَى

الحسب ما يعدّ الإنسان من مفاخر آبائه، واشتقاقه من الحساب، ويقال: الحسب الدين، ويقال: المال، وقد حسب حسابةً فهو حسيب.

وقال ابن السكّيت : «الحسب والكرم يكونان في الرجل وإن لم يكن له آباء لهم شرف، والشرف والمجد لا يكونان إلّا بالآباء»[٣].

وعن النبيّ صلى الله عليه وآله: «كُلُّ حَسَبٍ وَنَسَبٍ ينقطع إلّا حَسَبِي وَنَسَبِي»[٤] .

---

١ . فرصة صيد.

٢ . راجع: مداراة الناس: ١٠٤، ح١٢٦؛ كنز العمّال: ٣/ ٣١٠، ح ٨٧١٤ .

٣ . راجع: الصحاح: ١/ ١١٠؛ تهذيب اللغة: ٤/ ١٩١؛ الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي: ٣٩٧ .

٤ . راجع: تفسير مجمع البيان: ٧/ ٢١١؛ بحار الأنوار: ٦/ ٣١٩؛ وراجع: طبائع النساء: ٤٠؛ كشف المشكل: ١٢٢/١.

يقول عليه السلام: الحسب الذي هو ما يحسب ويعدّ من مفاخر آباء الرجل هو ماله وما ملكت يـده، لأنّ المال يـغطّي عـلى خمـول الآبـاء وعـلى كـثير مـن الخـصال المـسترذلة والأعمال المستهجنة.

وفي أمثالهم: «الرقين يغطّي أَفْنَ الأفين»[1]. وقال الشاعر:

سَأَعمِلُ نَصَّ العيسِ حَتّى يَلُفَّني[2] غِـنى المالِ يَـوماً أَو غِـنى الحَـدَثانِ
فَلَلمَوتُ خَيرٌ مِن حَـياةٍ يُرى لَها عَـلى الحُـرِّ بِـالإقلالِ وَسـمُ هَـوانِ
مَـتى يَـتَكَلَّم يُـلغَ حُـسنُ كَـلامِهِ وَإِن لَم يَـقُل قـالوا عَـديمُ بَـيانِ
كَـأَنَّ الغِـنى في قَـومِهِ بِـورِكَ الغِـنى بِـغَيرِ لِسـانٍ نـاطِقٌ بِـلِسانِ[3]

ويجوز أن يكون المعنى أنّ سبب هذه المفاخر المال، لأنّه لا يتمشّى شيء منها إلّا بالمال، فجعل المسبّب هو السبب؛ وهو وجه دون الأوّل.

والكرم يعبّر به عن الجود، وأخرى عن الحسن، وتارةً عن الإعراض والتغافل، وعلى الجملة فإنّه عباره عن اجتماع الخصال* المحمودة. و«التقوى» فعلى من وقيت، أصله «وقوى» قلبت الواو تاءً والواو الثانية بدل من الياء، كالواو في «شروى» لأنّها من شريت، وهذه الياء تثبت في الصفة لقولك: ريّاً وخزياً وتقلب في الاسم كالتقوى والبقوى والشروى.

١٣

يقول عليه السلام: جماع هذه الخصال المحمودة في التقوى ومصداقه في الكتاب العزيز قوله تعالى: «إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ»[4].

١ . راجع: غريب الحديث لابن قتيبة: ١/١٨٨؛ تهذيب اللغة: ٩/٢٢٢؛ مجمع الأمثال: ٢/٣٦٧؛ والمعنى: أنّ المال يغطّي عيوب صاحبه.

٢ . كذا في خ، وفي المصادر: يكفّني.

٣ . أنشده محمّد بن حازم الباهلي(ت ٢١٥) ولد في البصرة وسكن ومات في بغداد؛ ديوانه: ٨٣؛ وراجع: البيان والتبيين: ١٣٠؛ العقد الفريد: ٢/٣٢٦؛ زهر الآداب: ٢/٢٩٣.

٤ . الحجرات: ١٣.

وقيل: التقوى الفرار من المحرّمات والتوقّف عند الشبهات.

وفائدة الحديث [أنّه] عليه السلام ينبّه على أنّ الأحساب التي يتفاخر بها تؤول إلى كثرة المال، فأينما وجد المال حكم لصاحبه بالحسب الرفيع والشرف الشامخ المنيع وغُطّي على خسيسته، أو على أنّ الأحساب المال؛ ويبيّن عليه السلام على أنّ الكرم على الحقيقة هو التقى ومراقبة جانب الله تعالى لا إنفاق الرجل ماله وتوفيره على المستحقّ وغير المستحقّ والتبذير فيه على حسب ما يتعارفه العرب ويعدّه كرماً. وراوي الحديث بُريدَة رضي الله عنه.

قوله صلى الله عليه وآله: الخَيْرُ عَادَةٌ وَالشَّرُّ لَجَاجَةٌ

الخير عبارة عن أعمال البرّ والمساعي المحمودة واللجاجة: اللجاج، ومعناها التمادي في الشيء المذموم المكروه والإصرار عليه.

يقول عليه السلام: يصير الإنسان خيّراً إذا تكلّف الخير ويَروض نفسه[1] ويمرّنها عليه حتّى يتطبّع ذلك فيها، فيصير أوّلاً عادةً وثانيةً طبيعةً، فإنّ العادة طبيعة ثانية، فإذا تطبّعت نفسه على الخير وصار الخير لها مَرِناً[2] قدر عليها وصار زمامها بيده لا يستعصي عليه ولا تتقاضاه بالمعاصي والشهوات المهلكة، والشرّ على تنوّعه وتفنّنه معلوم سقوطه، وقد غرز الله تعالى في الطبائع البشريّة معرفة الشرّ وتذمّم النفس منه، فهي عارفة بخسّته وسقوطه ورذالته ونَذَالته[3]، وإن كانت الشهوة داعية إليه وحاثّة عليه، فمتى غلّب الشهوة على المعرفة واقَعَ المعصية وبالعكس منه، وإن كان سقوط الشرّ معلوماً لا يتخالج الشكّ فيه، فمواقعته مع المعرفة والعلم به لجاج يلجّه وتمادٍ يتماداه وإصرارٌ يصرّه وغشاءٌ يغشيه بصره ببصيرته أعاذنا الله تعالى من ذلك.

---

١. ذلّلها.

٢. خلقاً.

٣. خسّته.

والحديث مشتمل على أخبار يتضمّن أمراً ونهياً، فكأنّه عليه السلام يقول: اعتد الخير ولا تلج في *طلب الشرّ. ١٤

وفائدة الحديث الترغيب في تعويد الخير وتسوية النفس عليه وتمرينها له والترهيب من الشرّ والإصرار عليه والملاجّة فيه. وراوي الحديث معاوية بن أبي سفيان.

قوله صلى الله عليه وآله: السَّمَاحُ رَبَاحٌ وَالعُسْرُ شُؤْمٌ

السماح والسماحة: الجود، يقال: سمح فلان بكذا أي جاد به، وما كان سمحاً فسمح. و«الرباح» هو الربح يقال: رَبْح ورَبَح ورَبَاحٌ. و«العسر»: الشدّة والضيق، وقد يثقل فيقال: عُسُرٌ، وقد عَسُرَ الأمر يعسُر عُسْراً فهو عسير. و«الشؤم» ضدّ اليمن، وهو عبارة عن النكد وقلّة الخير والبركة، يقال: شَئِمَ يُشْأم فهو مَشؤوم.

يقول صلى الله عليه وآله: سماح الرجل إطلاق يده بالخير والمعروف يودّي إلى الربح والصيت والذكر الجميل والشكر الحسن وكثرة الأعوان والإخوان والحمد والإحماد والثناء ممّن لم يحسن[1] إليه فضلاً عمّن أحسن عاجلاً وكالثواب الجزيل والدرجات الرفيعة والمنزلة الكريمة من الله تعالى آجلاً؛ فهو وإن كان يراآى له في ظاهر الصورة أنّه ينقص من المال ويحطّ من الحال ويُلزم الغرامة والخسران، فإنّه يُجلب الربح التامّ والفوائد الجِسام؛ والإشارة بالعسر إلى البخل والإمساك.

يقول عليه السلام: أنّه يؤدّي إلى قلّة الخير ورفع البركة واليمن بالعكس ممّا ذكر في السماح، ويجوز أن يعني بذلك المسامحة والمساهلة والمعاسرة والمضايقة في البيع والشرى، فيأمر بذلك وينهى عن هذا.

وفائدة الحديث الأمر بالجود والترغيب فيه والنهي عن البخل والإمساك والمعاسرة والمناقشة في جميع الأحوال، وعدّ ذلك غنماً وإن كان يرى غرماً. وراوي الحديث عبد الله

---

١. في خ: لم تحسن.

بن عمر.

قوله ﷺ: الحَزمُ سُوءُ الظَنِّ

«الحزم»: الضبط وأخذ الرجل أمره بالثقة، وقد حَزُم يحزُم حَزَامةً فهو حازم، وأصله من الشدّ، ومنه حِزام الرجل وحَزْمة الحطب، وتحزّم الرجل إذا تلبّث وهو أن يشدّ وسطه بحبل.

يقول ﷺ: الحزم والكياسة أن تسيء الظنّ بالأحوال وتصوّر لنفسك أعسر الأمرين وأنكر الحالين، فيكون أضبط لأمرك وأربط لجأشك وأوثق لشأنك وأحرى أن لا تستوخم عاقبة الإغفال ومغبّة الإهمال.

وروي عن عمر بن الخطّاب: «الثِّقَةُ بِكُلِّ أَحَدٍ عَجْزٌ»[1].

١٥

وسوء الظنّ إنّما يحمد على بعض الوجوه، وفي الأمرين الذين يترجّح بينهما ويشتبه خيرهما وصلاحهما بفسادهما فعليك أن تثبت فيهما وتظنّ الشرّ، فإنّه إن أصابك ظنّك فقد أخذت بالأحزم الأوثق وكنت على ترصّد واستعداد منه وبمعزل عن مبادهة البغتة، وإن لم يصب لم يضرّك التأهّب له؛ فأمّا الأمر الواضح الذي يخطر عليك العرف والشرع سوء الظنّ فيه فلا؛ مثاله: أن تعيّر على رجل يتحدّث إلى امرأة فإنّ الكرم يخطر عليك أن تظنّ بهما سوءاً بل يوجب حسن الظنّ بهما فإنّها أهله أو بنته أو أخته أو ذات محرم رخّص الشرع في محادثته لها ومناظرته إيّاها، وحمل الأمر بينهما على الأحسن الأجمل.

وفائدة الحديث الحثّ على التنبّه والتيقّظ في الأمور من دون إخلاد إلى التفريط والتضييع.

وراوي الحديث عبد الله بن عائد.

قوله ﷺ: الوَلَدُ مَبخَلَةٌ مَجبَنَةٌ

«الولد» فعل بمعنى المفعول كالنقص والقبض، و«مبخلة» و«مجبنة» أي مَدَعاةٌ إلى البخل

---

١. راجع: المجالسة وجواهر العلم: ١٩٦، ح ١١٢١؛ وراجع: المستطرف: ٢٧٢/١.

والجبن، وهو إشارة منه عليه السلام إلى أنّ الرجل إذا كان له عيال كان مقصور الفكرة عليهم متعلّق القلب بهم يُمسك ما في يده إبقاءً عليهم ولا يشجع التفاتاً إليهم فيبخل ويجبن، وتحرّى أن تتّسع ذات يدهم ويستغنوا عن غيرهم ولا يتخلّفوا عنه أيتاماً عالةً.

وقد روي عن عمر بن عبد العزيز أنّه قال: «زَعَمَتْ الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ خَوْلَةُ ابنةُ حَكِيمٍ، أَنّ النبيّ صلى الله عليه وآله خَرَجَ وهوَ مُحْتَضِنٌ الحسن والحسين عليهما السلام، وَهُوَ يَقُولُ: إِنَّكُمْ لَتُجَبِّنُونَ وَتُبَخِّلُونَ، وَإِنَّكُمْ لَمِنْ رَيْحَانِ اللهِ»[1].

وروي عنه عليه السلام أنّه قال: «أولادُنا أكبادُنا»[2]، وذلك حين نظر إلى الحسين عليه السلام وقد دخل المسجد وهو صبيّ، فجعل يتخطّى رقاب الناس ورسول الله صلى الله عليه وآله في خطبته، فبينا هو كذلك عثر الحسين عليه السلام بثوبه فسقط للأرض فنزل عليه السلام ورفعه إلى صدره ورقا به المنبر وعاد يخطب، ثمّ قال ذلك[3].

وقد تكلّمت العرب بهذا المعنى، فقال قائلهم: «لو لا أُمَيمَة لم أجزع من العدم»[4] القطعة.

وأفصح حِطّان بن المعلّى[5] تصريح قول النبيّ صلى الله عليه وآله حيث قال:

لولا بنيّاتٌ كزُغبِ القطا ... رُددنَ من بعضٍ إلى بعضِ
*لكانَ لي مضطربٌ واسعٌ ... في الأرض ذات الطولِ والعَرضِ
وإنّما أولادنا بيننا ... أكبادنا تمشي على الأرضِ[6]

١٦

١ . المجازات النبويّة: ٦٢؛ وراجع: مسند الحميدي: ١٦٠/١، ح ٣٣٤؛ مسند أحمد: ٤٠٩/٦، ح ٢٧٣٥٥.

٢ . راجع: جامع الأخبار: ١٠٥؛ بحار الأنوار: ٩٧/١٠١، ح ٥٨.

٣ . راجع: شرح الأخبار: ١٠٦/٣، ح ١٠٤١؛ وراجع: مسند أحمد: ٣٥٤/٥، ح ٢٣٠٤٥؛ سنن أبي داود: ٢٩٠/١، ح ١١٠٩.

٤ . قاله إسحاق بن خلف، راجع؛ المجالسة وجواهر العلم: ٢٤٠، ح ١٣٨٠؛ زهر الآداب: ٤٣٢/١؛ الحماسة البصريّة: ٢٧٤/١.

٥ . هو شاعر إسلاميّ، راجع: الأعلام: ٢٦٣/٢.

٦ . العقد الفريد: ٢٥٧/٢؛ الأمالي: في لغة العرب: ١٩٢/٢؛ ديوان الحماسة: ١٠٢/١.

وقال الآخر:

لقد زَادَ الحَياةَ إليّ حُبّاً ... بَناتِي إنَّهُنَّ مِنَ الضِّعَافِ

مَخَافَةَ أَنْ يَرَيْنَ البُؤْسَ بَعْدِي ... وأَنْ يَشْرَبْنَ رَنْقاً بَعْدَ صَافِ

وأَنْ يَعْرَيْنَ إنْ كُسِيَ الجَوَارِي ... فَتَنْبُو العَيْنُ عن كَرَمٍ عِجَافِ[1]

وفائدة الحديث أنّ الإنسان مجبول على حبّ الأولاد إن بخل فلهم وإن جبن فعنهم، فعليه أن يرجّح أمر الله تعالى ونهيه ويؤثّر رضاه على حبّ الأولاد والنظر لهم. وراوي الحديث يعلى العامري، قال: «جَاءَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ عليهما السلام يَسْتَبِقَانِ إلَى رسولِ الله صلى الله عليه وآله فَضَمَّهُمَا [إلَيْهِ]، وَقَالَ ذلك»[2].

قوله صلى الله عليه وآله: الْبَذَاءُ مِنَ الْجَفَاءِ

«البذاء»: الفحش وخبث اللسان، وقد بذو الرجل يبذو بَذاءً، وأصله بذاوةٌ فحذفت الهاء كما قالوا: جمل جمالاً، وقياس مصدر هذا الباب الفعالة[3] وفلان بذيّ اللسان وامرأة بذيّة. و«الجفاء» ضدّ البرّ وأصله من البعد.

يقول صلى الله عليه وآله: إنّ الإفحاش وإسماع المكروه والإجراء إلى أعراض الناس بقبيح المقال من الجفاء المؤلم، وما كلّ جفاء بضمّ الجيوب وإيلام الجنوب فربّما جفاء اللسان أوجع ومَضَضه[4] أفجع.

وقد قيل:

---

١. قاله عمران بن حطّان الشيباني السدوسي(ت ٨٤هـ)؛ راجع: الأغاني: ١١٢/١٨؛ شرح نهج البلاغة: ٥٠/٥؛ الحماسة البصريّة: ٢٧٤/١؛ في خ: عن لزم عجاف.

٢. مسند الشهاب: ٤٩/١ـ٥٠، ح ٢٥ و٢٦.

٣. في خ: المفعالة.

٤. تألّمه.

وَلَوْ عَـنْ نَـثَا غَـيْرِه جـاءَني وَجَرْحُ اللِّسانِ كَجُرْحِ اليَدِ[١]

وقيل:

جـراحـات السـيوف لها التئام ولا يـلتأم مـا جـرح اللـسان[٢]

وعن النبيّ صلى الله عليه وآله: «لَوْ كَانَ الفُحْشُ رَجُلاً لَكَانَ رَجُلاً سُوءاً»[٣].

وقال عليه السلام: «الْحَيَاءُ من الْإِيمَانِ وَالْإِيمَانُ في الْجَنَّةِ وَالْبَذَاءُ من الْجَفَاءِ وَالْجَفَاءُ في النَّارِ»[٤].

وقال عليه السلام: «إِنَّ اللهَ يُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيءَ»[٥].

وقال الأحنف بن قيس: «ألا أخبركم بأدوى الداء الذي أعيى الأطبّاء: اللسان البذيّ والخلق الرديء»[٦].

ويجوز أن يكون معنى الحديث: أنّ البذيّ جافٍ في باب الله تعالى، وأيّ منزلة للعبد الجافي المتجافي عن سيّده.

وفائدة الحديث الأمر بحفظ اللسان والنهي عن التسرّع إلى أعراض الناس، وبيان أنّ الكلام في ذلك نظير الكلاءة ويوشك أن يثبت اسمه في ديوان الجفاة. وراوي الحديث أبو بكرة.

---

١ . قاله امرؤ القيس، راجع: البيان والتبيين: ٩٦؛ الحماسة المغربيّة: ١٢٢٠/٢.

٢ . راجع: المحاسن والمساوئ: ٢٨٠؛ طبقات الشافعيّة الكبرى: ٦٢/١٠.

٣ . راجع: الكافي: ٣٢٥/٢؛ وراجع: مسند الطيالسي: ٢٠٩، ح١٤٩٥؛ المعجم الأوسط: ١٠٧/١، ح٣١؛ كنز العمّال: ٢٥/٣، ح٥٤٤٨؛ في خ: رجل سوء.

٤ . تحف العقول: ٣٩٤؛ وراجع: مصنّف ابن أبي شيبة: ٢١٣/٥، ح٢٥٣٤٥؛ مسند أحمد: ٥٠١/٢، ح١٠٥١٩.

٥ . الخصال للصدوق: ٢٦٦، ح١٤٧؛ بحار الأنوار: ١١١/٧٦؛ وراجع: مسند الحميدي: ١٩٤/١، ح٣٩٤؛ كنز العمّال: ٧/٣، ح٥١٨٥.

٦ . راجع: شعب الإيمان: ٢٤٦/٦، ح٨٠٣٣؛ إحياء علوم الدين: ١٢٢/٣.

قوله صلى الله عليه وآله : الْقُرْآنُ هُوَ الدَّوَاءُ

١٧

يقال: قرأ يقرأ قِراءةً وقرآناً، وبه سمّي *القرآن .

وقال أبو عبيدة : سمّي قرآناً لأنّه يجمع السور ويضمّها.[1] ومنه قوله تعالى: «إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ» [2]، ويقال: ما قرأت الناقة سلّاً وما قرأت جنيناً أي لم تضمّ رَحمها على ولد.[3] و«الدواء» واحد الأدوية وهو ما يتعالج به.

فيقول صلى الله عليه وآله: إنّ القرآن هو الدواء من مرض القلوب والشفاء من سقم النيّات كما قال تعالى: «وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَاراً» [4]؛ ويجوز أن يكون مورد الحديث على طريقة العرب وعادتهم، فإنّهم يعتقدون في الرُقى والعزائم لما قد ألفوا الكَهَنَة[5]. فيقول صلى الله عليه وآله: إنّ القرآن هو الذي يجوز أن يستشفى به دون الرقى الباطلة والعزائم التي يعزم بها الكهنة والمبطلون يلبّسون بها على الجهّال .

وروي: أنّ رجلاً من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله اجتاز على قوم يسترقون، فخرج فرَقى مريضهم بفاتحة الكتاب فبرأ من ساعته، كأنّما أنشط من عقال، فأعطوه مالاً، فانصرف به إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبره بذلك، فقال عليه السلام : «أمّا لَئِنْ أَكَلوا بِرُقْيَةِ بَاطِلٍ، فَقَدْ أَكَلْتَ بِرُقْيَةِ حَقٍّ»[6].

وفائدة الحديث بيان أنّ القرآن هو العلاج الناجع والدواء النافع ديناً ودنياً. وراوي الحديث أمير المؤمنين عليه السلام .

---

١ . مجاز القرآن: ١؛ وراجع: الزاهر في معاني كلمات الناس: ٧١/١.

٢ . القيامة: ١٧و١٨.

٣ . راجع: إصلاح المنطق: ١٥١؛ أساس البلاغة: ٤٩٩.

٤ . الإسراء: ٨٢.

٥ . الكهنة والكُهّان جمع الكاهن.

٦ . مصنّف ابن أبي شيبة: ٤٨/٥، ح٢٣٥٨٦؛ مسند أحمد: ٢١٠/٥، ح ٢١٨٨٤.

قوله صلى الله عليه وآله : الدُّعَاءَ هُوَ الْعِبَادَةُ

هذا الحديث من المأتين المزيدة الملحقة، ولم يكن في النسخة المقروءة على القضاعي رحمه الله .

و«الدعاء» هو الطلب والتضرّع والابتهال . و«العبادة» غايه ما يقدر العبد عليه من العبوديّة والتذلّل للمعبود.

ويقول صلى الله عليه وآله : دعاء العبد وتضرّعه إلى الله تعالى هو العبادة كلّها، فيكون من باب قوله عليه السلام : «الدين النصيحة» و«الحجّ عرفة» ؛ والمعنى: أنّ معظم العبادة في الدعاء التضرّع إليه والخشوع له، ويجوز أن يكون المعنى: أنّ الدعاء من العبادة التي يثاب العبد عليها، فليخلص فيه؛ ولهذا ندب عباده إليه فقال: «ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ»[1] ، وقال: «أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ» [2]. وفي الحديث: «إنَّ اللهَ تعالى يُحِبُّ الْمُلِحِّينَ فِي الدُّعَاءِ»[3].

١٨

ويحتمل أن يريد بذلك الدعاء الذي يستقضي به *العبد حاجته ويقدّمه أمام طلبته من الله تعالى هو العبادة التي تتحلّى بها ويزيّن بمكانها ويجعلها عماد أمره وشعار نفسه، حتّى إذا دعاه أجابه، وليس بترفيق حواشي الكلام ولا بترشيق العبارة واختيار الألفاظ، بل العبادة التي تؤدّي إلى الاستجابة، وكلّ ذلك حسن.

وفي كلام بعض الصالحين: ادع الله بإقامة طاعته يستجب دعاك، واشكره بالمصير إلى أمره يحسن جزاك، واطلب مغفرته بلزوم أمره، واهرب من عقوبته بتنكّب[4] نهيه وأداء الوظائف، واجتنب المظالم، وادخل الجنّة من أيّ الأبواب شئت.

وفائدة الحديث الترغيب في الدعاء والتضرّع والتذلّل لله تعالى والفزع إليه والاستعانة به

---

١ . غافر: ٦٠.

٢ . النمل: ٦٢.

٣ . الدعوات للراوندي: ٢٠، ح١٥؛ وراجع: المعرفة والتاريخ: ٢٥١/٢؛ نوادر الأصول: ٢٨٢/٢؛ الدعاء للطبراني: ٢٨، ح٢٠؛ مسند الشهاب: ١٤٥/٢، ح١٠٦٩.

٤ . تجنّب.

والمجاهدة في عبادته التي هي غاية السعادة ونهاية التوفيق. وراوي الحديث النعمان بن بشير.

قوله ﷺ : الدَيْنُ شَيْنُ الدِينِ

«الدين»: المال في ذمّة غيرك، تقول: دنت الرجل، أي أقرضتُه فهو مدين ومديون على الأصل، ودان فلان يدين ديناً : استقرض وصار عليه دين وهو دائن، وأدان: باع إلى أجل، وأدان: استقرض . و«الشين» ضدّ الزين، وقد شانه يشينه.

يقول: إنّ المؤمن عزيز قد زيّنه إيمانه وأكرمه إيقانه ولا يخلو الدين من مهانة وإذلال، لأنّه يغضّ من الحرمة ويحطّ من الرتبة وينقص من المنزلة، والمديون بعرض التقاضي والإسماع والتشديد والحبس والقهر والغضاضة[1]. هذا في الدنيا فإن بقي في ذمّته وورد الآخرة ولم يقضه فلا بدّ من استيفاء أعواض منه يقابل الحقوق الثابتة في ذمّته، ولتفصيل ذلك موضع غير هذا، فكأنّه نهى عن الدين ما استطاع وأطاق، وأمر بقضائه على الفور والاجتهاد في ذلك، وإنّما لا يسوغ الأديان للمسرفين والمستغنين عنه، فأمّا عند الاضطرار فلا بأس به؛ ولم يزل الأنبياء عليهم السلام والأوصياء والأئمّة والصلحاء يستدينون، لأنّهم كانوا أرباب مروءات وكرم، ولم يكن لهم أموال ارتبطوها وأعقدوها، فلم يكن لهم بدّ من الاستدانة .

١٩

وقد قيل: الدين همّ بالليل ومذلّة بالنهار.[2] *ولم يزل الأئمّة والأكابر يستعيذون من الدين؛ هذا عليّ بن الحسين زين العابدين عليهما السلام يقول في دعاء له: «اللهُمَّ إنّي أعوذ بكَ مِنْ دَيْنٍ يُخْلِقُ لَهُ وَجْهِي، وَيَتَشَعَّبُ لَهُ ذِهْنِي، وَيَطُولُ بِمُمَارَسَتِهِ شُغْلِي وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمِّ الدَّيْنِ وَفِكْرِهِ، وَشُغْلِ الدَّيْنِ وَسَهَرِهِ»[3].

---

١ . في خ: غضضه.

٢ . راجع: تفسير الثعلبي: ٢٨٩/٢؛ شعب الإيمان: ٤٠٤/٤، ح ٥٥٥٤.

٣ . الصحيفة السجّاديّة: ١٥٤، دعاء في المعرفة على قضاء الديون؛ مستدرك الوسائل: ٣٨٨/١٣، ح ١٥٦٨٤.

وقال النبيّ ﷺ: «مَا مِنْ خَطِيئَةٍ أَعْظَمَ عِنْدَ اللهِ بَعْدَ الْكَبَائِرِ مِنْ أَنْ يَمُوتَ الرَّجُلُ وَعَلَيْهِ أَمْوَالُ النَّاسِ دَيْناً فِي عُنُقِهِ، لا يُوجَدُ لَهَا قَضَاءٌ»[١].

ويجوز أن يكون عليه السلام شبّه المظلمة بالدين وكنّى به عنها شيناً للدين، وهي لعمري كذلك.

وفائدة الحديث النهي عن الاستدانة ما استطاع، والأمر بقضائه إذا قدر عليه، من دون إخلاد إلى التواني والتقصير وعن التلطّخ[٢] بمظالم العباد . وراوي الحديث معاذ بن جبل.

قوله ﷺ: التَّدْبِيرُ نِصْفُ الْعَيْشِ

التدبير التأمّل في عاقبة الأمر وما يؤول إليه، واشتقاقه من الدبر لأنّه نظر في أدبار الأمر وعواقبه؛ و«النصف» أحد جزأي الكمال، و«العيش» الحياة، وقد عاش معاشاً ومعيشاً.

يقول عليه السلام: تدبير الإنسان أمره وترتيبه واستقباله من جهته وتأتّيه له من طريقه نصف تعيّشه، يعني أنّه ليس العيش موقوفاً على كثرة المال ووفور ذات اليد، بل إصلاح المعاش والترتيب الحسن له شطره ونصفه؛ فكم من موسر مكثر آلت به الحال إلى الإعسار والتكفّف[٣]، ولم يؤت إلّا من جهة التقصير والتخلّف، ومن معسر رفّح حاله وثمّر ماله بحسن تهدّيه ولطف تأتيه. وقال الشاعر:

قَـليلُ المالِ تُـصلحه فـيَبقى ... ولا يـبقى الكـثيرُ عـلى الفَسادِ[٤]

وليس ذكر النصف تحديداً له على الحقيقة، بل معناه أنّ للتدبير حظّاً وافراً في أمور المعاش.

وفائدة الحديث الأمر بحسن النظر في الأمور والأحوال ومجانبة الجزاف والتجنّب لهذا.

---

١ . تفسير الثعلبي: ٢٨٩/٢؛ الفردوس بمأثور الخطاب: ٤٣/٤، ح٦١٣٥؛ كنز العمّال: ٩٦/٦، ح١٥٤٨١.

٢ . التلوّث والتدنّس.

٣ . بسط الكفّ بالمسألة.

٤ . الأمثال لابن سلام: ٣٦؛ المجالسة وجواهر العلم: ٣٦٧؛ الأغاني: ٢٥٧/٢٤؛ نهاية الأرب: ٥٦/٣.

وما بعده إلى قوله عليه السلام: «أَحَدُ الْيَسَارَيْنِ» حديث واحد. وراويه أمير المؤمنين عليه السلام.

قوله صلى الله عليه وآله: التَّوَدُّدُ نِصْفُ الْعَقْلِ وَالْهَمُّ نِصْفُ الْهَرَمِ وَقِلَّةُ الْعِيَالِ أَحَدُ الْيَسَارَيْنِ وَحُسْنُ السُّؤَالِ نِصْفُ الْعِلْمِ

«التودّد»: التحبّب إلى الناس وطيب المعايشة معهم وترك التمقّت والتبغّض إليهم؛ و«العقل»: مجموع علوم إذا كملت للعبد سمّي عاقلاً، وحسن* تكليفه على ما شُرح في مواضعه.

٢٠

ومورد الحديث على حمد التحبّب ومدح التقرّب إلى الناس، ولمّا كان العقل الذي هو المميّز بين الجاهل والعالم والفارق بين الأشخاص والصور والمخرج من حريم البهيميّة إلى حدّ الإنسانيّة، يقنى بالتودّد[1] وحسن المعاشرة، ومدار أمر الدنيا على ذلك؛ حكم عليه السلام بأنّه نصف العقل، وهذا على التشبيه والتقريب، يعني أنّه معظم صلاح أحوال العبد التي يزينها العقل وتصلحها الفطنة التودّد إلى الناس ومساعدتهم وموافقتهم. والتودّد إلى الناس يشتمل على أمور كثيرة قوليّة وفعليّة لا تخفى على العاقل البصير.

و«الهمّ»: الحزن، وقد أهمّه الأمر، يقال: همّك ما أهمّك، وهمّه المرض: أذابه، ولا يبعد أن يكون اشتقاق الهمّ منه، ويقال: إنّ الهمّ فيما يتوقّع والحزن على ما وقع. و«الهرم»: كبر السنّ وسقوط المنيّة.

يقول صلى الله عليه وآله ــ مبيّناً صعوبة أمر الهمّ والحزن، وناهياً عن التعرّض لما يجلبه ويوجبه ــ: إنّ الهمّ في شدّة تأثيره وقوّة توهينه للإنسان والتعوّد به عن النهوض بما هو بصدده بمنزلة نصف الشيخوخة التي تهدّ[2] الأركان وتوهي[3] البنيان وتسقط القوّة وتضعف المنّة. وبناء الكلام على

---

١. رضى به وغنى.

٢. أوهن.

٣. تضعف.

النهي عن تعرّض ما يوجب الهمّ ويقتضيه .

وقد أشار الشاعر إلى هذا المعنى بقوله:

فَمَنْ سَرَّهُ أن لا يرى ما يَسُوؤُهُ فلا يَتَّخِذْ شيئاً يخاف له فقدا[١]

وعن أمير المؤمنين عليه السلام : «أَشَدُّ خَلْقِ رَبِّكَ عَشَرَةٌ: الْجِبَالُ الرَّوَاسِي، وَالْحَدِيدُ يُنْحَتُ الْجِبَالُ، وَالنَّارُ تَأْكُلُ الْحَدِيدَ، وَالْمَاءُ يُطْفِئُ النَّارَ، وَالسَّحَابُ الْمُسَخَّرُ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ يَحْمِلُ الْمَاءَ، وَالرِّيحُ ينقل السَّحَابَ، وَالْإِنْسَانُ يتقي الرِّيحَ بِيَدِهِ، وَيَذْهَبُ فيها لِحَاجَتِهِ، وَالسُّكْرُ يَغْلِبُ الْإِنْسَانَ، وَالنَّوْمُ يَغْلِبُ السُّكْرَ، وَالْهَمُّ يَمنعُ النَّوْمَ، فَأَشَدُّ خَلْقِ رَبِّكَ الْهَمُّ»[٢].

و«العيال» من يعولهم الرجل، أي يقوتهم، يقول: عال عياله عولاً وعيالةً، إذا قاتهم وقام بمصالحهم؛ فكأنّه عليه السلام يقول: إنّ قلّة العيال يسار ثان تخفّ مؤنته وتكثر معونته، واشتقاق اليسار من اليسر الذي هو ضدّ العسر، فكما أنّ الموسر تيسّر أموره وأحواله لثروته ويساره، كذلك القليل[٣] يتيسّر شغله ويقلّ اكتراثه بأحوالهم؛ فإذن هو أحد اليسارين.

٢١

ويجوز أن يكون المعنى على *النهي عن التوسّع في استلحاف[٤] العيال وتضعيف المؤونة وتشعيب الأمر، وأنّ المعيل ربّما يحوجه الأمر والضرورة وتحفزه[٥] الحاجة إلى ارتكاب ما لا يحسن ولا يجمل.

ويجوز أن يكون تطييباً لقلب المتلهّف على كثرة الأولاد والمتحسّر على وفور الأحفاد،

---

١ . قاله عبيد بن عبد الله بن طاهر ، راجع: لباب الآداب للثعالبي: ١٩٣؛ محاضرات الأدباء: ٦٠٠/١؛ نهاية الأرب: ٩٦/٣.

٢ . الغارات: ١٨٢/١ ـ ١٨٣ ؛ بحار الأنوار: ١٢٤/١٠ـ١٢٥، ح٣ ؛ وراجع: الأمالي في لغة العرب: ١٧٦/٣؛ كنز العمّال: ٧٠/٦، ح١٥٢٥٢.

٣ . أي من كان قليل العيال.

٤ . طلب فضل العطاء.

٥ . تحثّه.

وتسلية له، فإنّ من الناس من يتمنّي ذلك ويتحسّر عليه.

و«السؤال»: أصله الطلب، وحسنه: ترتيبه وتجرّي الأدب فيه والوقوف على مراتبه، وقد رتّبوها فقالوا: المرتبة الأولى السؤال عن الهليّة ثمّ عن المائيّة ثمّ عن الكيفيّة ثمّ عن الكمّيّة حتّى أنّه يحكم على من سأل عن الهليّة بأنّه قد سلّم المراتب المتقدّمة لها؛ فكأنّه يقول عليه السلام: إنّ السائل إذا تأتي بحسن السؤال وترفّق به وعرف مصارفه، فما أحراه بعلم ما يسأل عنه والإحاطة به، فكان ترتيبه لسؤاله الذي يعتريه على العلم ويهديه إليه نصفه، وهو أيضاً على التقريب والتشبيه.

وفائدة الحديث الأمر بالتودّد إلى الناس وحسن معاملتهم وتلطيف الكلام لهم وخفض أجنحة الأذى عنهم والتفرّغ من الهمّ الذي يُضني البدن[1] ويسقط القوّة، وبيان أنّ قلّة العيال سبب لخفّة المؤونة، وأنّ حسن السؤال ومراقبة الأدب فيه وتنكّب سبيل العنت مكسبة للعلم. وراوي الحديث الذي هو «حُسْنُ السُّؤَالِ نِصْفُ الْعِلْمِ» عبد الله بن عمر.[2]

قوله صلى الله عليه وآله: السَّلامُ قَبْلَ الْكَلامِ

«السلام» اسم من التسليم، والسلام: السلامة كاللذاذ واللذاذة. وفي التنزيل: «فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ»[3] أي فسلامة، و«دار السلام» الجنّة، أي دار السلامة، والسلام: الاستسلام، والسلام: البراءة من العيوب، والسلام: الصلح؛ وكلّ ذلك يؤول إلى معنى السلامة. و«الكلام» اسم جنس يقع على القليل والكثير، ومعنى السلام الذي هو تحيّة الإسلام تقديم البشارة للمسلم عليه بأنّه سالم من شرّه آمن من مكره.

---

١. نحله وضعفه.

٢. وما قبله ـ كما قاله في شرح الحديث السابق ـ هو أمير المؤمنين عليه السلام.

٣. الواقعة: ٩١.

وقال صلى الله عليه وآله: «السَّلامُ تَحِيَّةُ لِمِلَّتِنَا وَأَمَانُ لِذِمَّتِنَا»[١] فكأنّه عليه السلام يحثّ على الكرم بتقديم السلام، واستقبال المخاطب به تأنيساً له واستفتاحاً بلفظ السلامة وتبرّكاً به وتمهيداً لقواعد المودّة التي هي المؤلّفة بين القلوب؛ والسلام يقتضي التعارف أوّلاً ثمّ التحابّ ثمّ التواصل ثمّ التعاون والتناصر.

٢٢

وقال صلى الله عليه وآله: *«أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى أمرٍ إنْ أَنْتُمْ فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُم»[٢].

وروي أنّه قال عليه السلام لأنس بن مالك: إِذَا خَرَجْتَ مِنْ مَنْزِلِكَ فَلَا يَقَعَ بَصَرُكَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ قِبْلَتِكَ إِلَّا سَلَّمْتَ عَلَيْهِ تَدْخُلْ حَلَاوَةُ الْإِيمَانِ فِي قَلْبِكَ[٣].

و«إذا دخلت بيتك فسلّم تكثر بركتك وبركة بيتك»[٤].

وقال عليه السلام: «أَفْشُوا السَّلَامَ تَسْلَمُوا»[٥].

وقال لقمان لابنه: «يَا بُنَيَّ! إِذَا أَتَيْتَ نَادِيَ القَوْمِ فَارْمِهِمْ بِسَهْمِ الإِسْلَامِ ـ يَعْنِي سلّم عليهم ـ ثُمَّ اجْلِسْ وَلَا تَنْطِقْ ما لم تَرَاهُمْ قَدْ نَطَقُوا، فَإِنْ أَفَاضُوا فِي خَيْرٍ فَادخلْ مَعَهُمْ، وَإِنْ أَفَاضُوا فِي غَيْرِ ذَلِكَ فَتَحَوَّلْ عَنْهُمْ»[٦].

وروى ابن عمر عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: «مَنْ بَدَأَ بِالْكَلَامِ قَبْلَ السَّلَامِ فَلَا تُجِيبُوهُ»[٧]. وراوي الحديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

---

١. مسند الشهاب: ١/١٨٠، ح٢٦٢.

٢. روضة الواعظين: ٤١٨؛ مستدرك الوسائل: ٨/٣٦٢، ح٩٦٧٥؛ وراجع: مصنّف ابن أبي شيبة: ٥/٢٤٨، ح٢٥٧٤٢؛ مسند أحمد: ٢/٤٩٥، ح١٠٤٣٥.

٣. راجع: المجروحين: ٢/٢٢٤، ح٨٩٦؛ ذخيرة الحفّاظ: ١/٣٠٩، ح٢٧٩.

٤. في المصادر: «إذا دخلت إلى بيتك فسلّم عليهم يكثر خير بيتك»؛ راجع: تاريخ جرجان: ٤٥٢، ح٨٨٣؛ المعجم الأوسط: ٥/٣٢٨، ح٥٤٥٣؛ شعب الإيمان: ٦/٤٢٧، ح٨٧٥٨.

٥. مسند أحمد: ٤/٢٨٦، ح١٨٥٥٣؛ معجم أبي يعلى: ٢٤٢، ح٢٩٩.

٦. الزهد لابن المبارك: ١/٣٣٢، ح٩٥٠؛ شعب الإيمان: ٧/٥٨، ح٩٤٤٩؛ الدر المنثور: ٦/٥١٩.

٧. نوادر الأصول: ٢/١٧٥؛ الفردوس بمأثور الخطاب: ٢/٣٤٠، ح٣٥٣٧؛ كنز العمّال: ٩/٥٣، ح٢٥٣٢٠.

قوله صلى الله عليه وآله : الرَّضَاعُ يُغَيِّرُ الطِّبَاعَ

«الرضاع» مصدر رضع الصبيّ أمّه رضاعاً مثل سمع سماعاً، والرضاعة الاسم من الإرضاع، وقد تُكسر، تقول: هو أخي من الرضاعة. و«الطباع» والطبع والطبيعة واحدة، وهي عبارة عن سجيّة النفس التي جبل عليها الإنسان، وأصله من طبعتُ السيف والدرهم أي عملتُهما .

ومعنى الحديث: أنّ المولود ربّما ينطبع على أخلاق المرضعة، وكيف لا؟! وهو سمّن جزءاً فجزءاً على ما يتغذّى به من الأجزاء التي يستجلبها منها، وربّما غيّرت الرضاعة الخَلقَ فضلاً عن الخُلق.

وفي كلامهم: أنّ استرضاع السوداء يذهب زُرقة عين المولود،[1] ولذلك نهى عليه السلام أن تسترضع الحمقاء.[2]

وقال صلى الله عليه وآله : وُلدتُ في بني عبد مناف وأُرضعتُ في بني سعد، فإنّي يأتيني اللحن.[3]

وهذا إشارة إلى أنّ للرضاع تأثيراً فكأنّه عليه السلام يأمر باستنجاب المرضعة واختيارها صالحةً ستيرةً خيّرةً جميلةً يرتضخ الولد منها الأخلاق الحسنة والشمائل المحبوبة ، وينهى عن الاستعراض عن ذلك وإن كان الصبيّ يتخلّق بأخلاق من برأه وينشأ عنده؛ ولعمري أنّه بالحرّي أن يتطبّع بطبع من يستدرّ[4] حلابته، فيتغذّى بها وتمازج أجزاؤه أجزاءه فالرضاع نشءٌ وزادة، والطباع في كلامه عليه السلام على ما تعرفه العرب، فأمّا الطباع الذي يذكره أصحاب الطبائع والمتفلسفون فكلام رسول الله صلى الله عليه وآله عنه بمعزل.

وفائدة الحديث إعلام أنّ للرضاع تأثيراً في المرضع، والأمر باختيار المراضع والتأنّق[5]

---

١ . لم أقف على مصدره.

٢ . راجع: الكافي: ٤٣/٦؛ من لا يحضره الفقيه: ٤٧٨/٣، ح ٤٦٧٩.

٣ . راجع: المعجم الكبير: ٣٥/٦، ح ٥٤٣٧؛ الفردوس: ٤٢/١، ح ٩٨؛ كنز العمّال: ١٨١/١١، ح ٣١٨٧٣.

٤ . يكثر.

٥ . تأنّق فيه: عمله بالاتقان والحكمة.

٢٣ فيها. وراوي الحديث*ابن عبّاس.

قوله ﷺ: الْبَرَكَةُ مَعَ أَكَابِرِكُمْ

«البركة»: النماء والزيادة ، يقال: بارك الله له وفيه وعليه وباركه، والتبريك: الدعاء بالبركة؛ والأكابر قيل: المشايخ، وقيل: الفضلاء، وقيل: العلماء؛ وقد استعمل الكبير في السنّ والفضل والعلم، وقيل في تفسير قوله تعالى: «إِنَّهُ لَكَبِيرُكُم»[١] أي معلّمكم[٢]، وقيل في قوله تعالى: «كبيرُهُمْ»[٣] أي أكبرهم في العقل لا في السنّ[٤]، وقيل في «الأكابر» : إنّهم الذين جمعوا بصيرة العقل إلى كبير السنّ ووفور العلم، والعقل يردعهم، والسنّ يمنعهم، والعلم ينفعهم؛ ولمّا كانت البركة هي النموّ والزيادة والاتّساع صحّ أن يكون الله تعالى يبارك بمكان المشايخ الذين ودّعوا الدنيا وأقبلوا على الآخرة، فقلوبهم متعلّقة بها وأنفسهم مقصورة عليها، وهم مستيقظون من سنة الأغمار منتبهون من غفلة الأغرار، بهم يستجاب الدعاء ويدفع البلاء ويستشف اللأواء[٥]، فلا غرو أن يكثروا ببركتهم.

وجاز أن يكون سبب البركة إفضال المفضلين وإنعام المنعمين ومعروف المتصدّقين، فإنّ الصدقة تردّ البلاء، فإذا ردّ عنهم البلاء بورك فيهم فكثروا؛ فلم يبعد أن يبارك فيهم لكون العلماء فيما بين ظهرانيّهم، لأنّهم ورثة الأنبياء بنور علمهم يُستضاء وبنور معرفتهم يُشتفاء، ومنهم يقتبس ما فيه صلاح الدنيا وفلاح العقبى؛ فهم الأحسنون طريقةً والأكابر حقيقةً الذين يستوفر الأرض بحياتهم ويستنقص بمماتهم؛ وكفاك دليلاً على ذلك قوله تعالى: «أَوَلَمْ

---

١ . طه: ٧١.

٢ . راجع: مجاز القرآن: ٧٦؛ تفسير الثعلبي: ٢٥٣/٦.

٣ . «فَلَمَّا اسْتَيْئَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيّاً قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقاً مِنَ اللهِ»، يوسف: ٨٠.

٤ . تفسير مقاتل بن سليمان: ١٣٩/٢؛ تفسير الطبري: ٣٣/١٣؛ تفسير السمرقندي: ٢٠٥/٢.

٥ . الشدّة والضيق.

يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا» [١]، قيل [٢]: بموت العلماء وإلّا جرم الأرض كما هو بحاله.

وفائدة الحديث التنبيه على رتبة أهل الفضل واتّصال الخير بوجودهم والتبرّك بمكانهم .

وراوي الحديث ابن عبّاس رضي الله عنه .

قوله صلى الله عليه وآله : مِلاكُ الْعَمَلِ خَوَاتِمُهُ

ويروى: «مَلاكُ العمل»، ومِلاك الأمر ومَلاكه: ما يقوم به، وفي كلامهم: «القَلْبُ مِلاكُ الجَسَدِ» [٣] يعني: أنّه لا يقوم إلّا به، وما لفلان ملاك أي تماسك، هذا بالفتح لا غير وكان أصله من ملكت العجين أملِكه ملكاً، إذا شددتُ عجنه وبالغتُ فيه؛ وخاتمة الشيء: آخره وعاقبته، والجمع خواتم.

يقول صلى الله عليه وآله: عماد الأمر لا يقوم إلّا به ولا يقع موقعاً من دونه هو ختمه وإتمامه وتوفيته كملاً وافراً غير ناقص، لأنّ العمل ما لم يتمّ فهو مُخْدَجٌ [٤] معيب، ثمّ إنّ الشروع في مبادي كلّ أمر سهل لا مشقّة *فيه، وإنّما يصعب اختتامه واستتمامه [٥]، فكأنّه عليه السلام يأمر بالثبات والصبر فيما ترغب فيه من الخير وأعمال البرّ ومجاهدة النفس في استكماله. ٢٤

وفائدة الحديث الحثّ على مداومة الأعمال المرغب فيها ومصابرة النفس عليها والاستنكاف من التزام العجز عنها والتقصير فيها. وراوي الحديث عقبة بن عامر، قال: ذكره عليه السلام في خطبة له.[٦]

---

١ . الرعد: ٤١.

٢ . راجع: تفسير الطبري: ١٣/١٧٤؛ تفسير السمرقندي: ٢/٢٣١.

٣ . راجع: المجالسة وجواهر العلم: ٢٤٩؛ تهذيب اللغة: ١٠/١٥٠.

٤ . ناقص.

٥ . في خ: اقتحامه واستمامه.

٦ . مسند الشهاب: ١/٥٨، ح٣٨.

قولهﷺ : مِلاكُ الدِّينِ الْوَرَعُ

«الملاك»: العماد، و«الدين»: الإسلام، و«الورع»: ضبط النفس عن المكاره، وقد ورع يرع ـ بالكسر فيه ـ ورعاً ورعةً فهو ورعٌ وفلان سيّئ الرعة أي قليل الورع، والتورّع: التحرّج، وورّعته: كففته .

وفي حديث عمر بن الخطّاب: «يرع اللصّ ولا تراعه»[١] أي اكففه لا يترصّد ما يكون منه.

يريدﷺ أنّ دين الرجل المسلم لا يكاد يسلم ما لم يكن له عمادٌ من الورع وتُقى[٢] يصدّه عن الفحشاء والمنكر، وظَلَف يلجمه عن كثير من المباحات فضلاً عن المحرّمات، لأنّ الانهماك في اللذّات وإرخاء عنان النفس في ميدان الشهوات ممّا يفتّر[٣] عن الانبعاث للطاعة ويثقل عن الخفوف في أعمال البرّ والخير، ويشغل عمّا يعني بما لا يعني.

وفائدة الحديث الأمر بضبط النفس وقمعها وكبح لجامها[٤] ومنعها وفطامها عن مراضع الشهوات وأخذها بالمجاهدات . وراوي الحديث ابن عبّاس رضي الله عنه.

قولهﷺ : كَرَمُ الْكِتَابِ خَتْمُهُ

«الكرم» كثرة الخير، يقال: شاة كريمة أي عزيزة اللبن، ونخلة كريمة إذا كثر حملها أو طاب، والكرم: الحسن، وفي التنزيل: «فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ»[٥] أي من كلّ جنس حسن، والحسن أشبه بها في الحديث. وقوله تعالى: «إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ»[٦]. قيل: حسنٌ

---

١ . راجع: غريب الحديث لابن سلام: ٣٤٥/٣؛ تهذيب اللغة: ١١٢/٣؛ الفائق: ٥٣/٤.

٢ . في خ: ويقى.

٣ . يحمل على الفتور.

٤ . قمع النفس: منعها عمّا تريده، وكبح الدابّة: جذب رأسها إليه باللجام وهو راكب لكي تقف ولا تجري.

٥ . لقمان: ١٠.

٦ . النمل: ٢٩.

ما فيه وقيل: مختوم، وقيل: جعلته كريماً لكرم صاحبه.

ومعنى الحديث: أنّ حسن الكتاب واستجماع الخير له ختمه الذي يمنع من اطّلاع كلّ أحد عليه، لأنّ الكتاب في الأكثر لا يخلوا من أسرار وأمور يكره صاحبه أن يطّلع عليها غير المكتوب إليه، فالأولى والأحسن أن يختمه ضبطاً لأمره وصيانةً لسرّه وأمناً من تبعةٍ ربّما يتعقّبه.

وفائدة الحديث الأمر بختم الكتاب الذي تكتبه إلى غيرك أخذاً بالأحزم والأضبط وكتماناً لما لا يريد أن يطّلع عليه ونفياً للتُّهم عنه. وراوي الحديث ابن عبّاس، ❁قال: قال عليه السلام: «كَرَمُ الْكِتَابِ خَتْمُهُ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: «إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ»».[1] ٢٥

قوله صلى الله عليه وآله: خَشْيَةُ اللهِ رَأْسُ كُلِّ حِكْمَةٍ

هذا الحديث لم يكن في نسخة القاضي. و«الخشية» هي الخوف، وحقيقة الخوف ظنّ يتعلّق بحصول مضرّة فيما يستقبل أو فوت منفعة. و«الحكمة» العلم وأصلها من الإحكام، وحَكَمَة اللجام: الحديدة المحيطة بحبل الدابّة، تقول: حكمتُ الدابّة حَكَماً وأحكمتها إحكاماً، وكذلك حكمت السفينة وأحكمتها أي أخذتُ على يده؛ والحكمة إذا عبّر بها عن الفعل كان فعلاً حسناً واقعاً من العالم بحسنه.

يقول صلى الله عليه وآله: خشية الله تعالى ومراقبة جانبه والانتداب لأوامره[2] والاجتناب لنهيه أوّل حكمة من حكم العبد العالم بمصالحه المحكم لأموره والمحتاط لنفسه وأفضل خلّة من خلال الحكيم وخصاله الحميدة التي تتحلّى بها ولا يتخلّى منها .

ثمّ إنّ الخشية من مبادي أفعال العاقل الحازم، وأوّل مراتب الناظر لنفسه وما يقتضيه العقل السليم، ولا يكاد يخلو منه الفطن الحكيم، فلذلك جعلها رأس الحكمة وأوّلها.

---

١ . مسند الشهاب: ٥٨/١، ح٣٩؛ والآية في النمل: ٢٩.

٢ . انتدب للأمر: استجاب وسارع.

وفائدة الحديث الأمر بالخوف من الله تعالى واستشعاره ومراقبة أوامره ونواهيه ومجانبة محارمه ومعاصيه، وتقديم ذلك على كلّ طاعة من طاعاته وخير من خيراته.

وهذا الحديث والذي بعده حديث واحد.

قوله صلى الله عليه وآله: الوَرَعُ سَيِّدُ العَمَلِ

«الورع»: ظلف النفس[1] عن المعاصي وكفّها عن مواقعة المناهي. و«السيّد» هو الكبير الذي يسود سواد الناس، وقد سادهم يسودهم سيادةً وسُودَداً وسَيْدودةً فهو سيّدٌ وجمعه سادةٌ، والدال الثانية في سودد زائدة لإلحاق بناء ببناء، وسادة وزنه في الأصل فَعَلة بالتحريك لأنّ تقدير سيّد فَعِيل، مثل سريّ وسراة، قالوا: ولا نظير لهما. واستدلّوا على ذلك بهمز سائد، مثل أفيل وأفايل وأصيل وأصايل، ووزن سيّد عند البصريّين فيْعل جمع على فَعَلَة كأنّه جمع ساير مثل قايد وقادةٍ وبايع وباعةٍ، قالوا: وجمع سيّد على سيائد بالهمز على غير قياس، لأنّ ما بعد «الألف» في ساير «ياء» منقلبة عن «واو» وهي عين الفعل.

٢٦

وهذا الحديث قريب المعنى *من الحديث الذي قبله وهو تمثيل وتقريب، كأنّه عليه السلام يقول: لو كان عمل الرجل من حيث التقدير أشخاصاً محسوسةً لكان التورّع عن محارم الله تعالى رأسها وسيّدها.

وفائدة الحديث الحثّ على التمسّك بالورع الذي يصدّ عن المعاصي وبيان أنّه أفضل العمل الذي يتقرّب به العبد إلى الله تعالى. وراوي الحديث أنس بن مالك.

قوله صلى الله عليه وآله: مَطْلُ الْغَنِيِّ ظُلْمٌ وَمَسأَلَةُ الغنيّ نَارٌ

«المطل» أصله المدّ، يقول: مطلت الحديدة إذا مددتُها بالضرب لتطول، والمِمْطَل: آلة للصانع فيها ثقب كثيرة متفاوتة الضيق والسعة يمدّ بها الذهب والفضّة ويقال لها

---

١. منعها وكفّها.

الشفشاهنج[١]، وكلّ ممدود ممطول، واشتقاق المماطلة في الدين منه. و«الظلم» أصله وضع الشيء غير موضعه. و«الغنى»: اليسار، ويقال: غنى يغني غنى فهو غنيّ وأصله الاستغناء وقلّة الاحتياج.

يقول ﷺ: من ماطل غريمه وهو قادر على أداء حقّه ممكّن من إيصال ماله إليه لا غرض له إلّا المناكدة والمعاسرة فقد ظلمه. وحقيقة الظلم الضرر الذي لا نفع فيه ولا دفع ضرر علماً أو ظنّاً ولا يكون مستحقّاً، فإذا ماطله فقد أضرّ به، وأيّ عائدة له أو دفع ضرر في احتباس حقّه عنه وهو غنيّ موسر، وما أبعد تصوّر الاستحقاق فيه.

و«المسألة»: السؤال، يقال: سأله يسأله مسألةً وسؤالاً. و«نار» أي مؤدّ إلى دخول النار، فكأنّه ﷺ ينهى الغنيّ عن أن يتعرّض للسؤال، فإنّ السؤال عن ظهر غنى غمط لنعمة الله تعالى وتكثّر من غير وجهه مع ما فيه من المذلّة وإراقة ماء الوجه واستبشاع[٢] الناس له وكراهتهم إيّاه وإزرائهم به؛ ثمّ إنّه آخر كسب الرجل، كما ورد في الحديث،[٣] ولا يحلّ إلّا عن حاجة شديدة وضرورة حافرة.

وقد روي في حدّ الغنيّ: «أنّه ملك أربعين درهماً فما فوقها»[٤].

وفائدة الحديث النهي عن المماطلة بالدين إذا كان المدان قادراً على أدائه غير عاجز عن قضائه، وعن مسألة الغنيّ الواجد طلباً للمكاثرة والمنافسة. وراوي الحديث عمران بن حُصين.

قوله ﷺ: التَّحَدُّثُ بِالنِّعَمِ شُكْرٌ

«التحدّث» كالتحديث، و«الشكر» اعتراف بالنعمة مع القصد إلى تعظيم المنعم، وينقسم

١. فارسيّ، شفشاهنگ.

٢. استبشع: عدّ قبيحاً.

٣. «إيّاكم والمسألة، فإنها آخر كسب الرجل»، راجع: شعب الإيمان: ٤٦٤/٧؛ زهر الأكم: ٣٢٤.

٤. راجع: أحكام القرآن للجصاص: ٣٣٠/٤؛ وراجع: المعتبر: ٥٦٦/٢.

٢٧ الشكر إلى القول والفعل، فأمّا الأوّل فقد يكون لله تعالى *وللخلق أيضاً، وأمّا الثاني فهو كالعبادة لا يكون إلّا لله تعالى.

يقول صلى الله عليه وآله: المتحدّث بنعمة المنعم وإن لم يقصد به شكره فإنّ تحدّثه بها في حيّز الشكر وصورته، لأنّ الشكر يكون بالقلب اعتقاداً وباللسان إيراداً، فإذا ذكر فقد شكر؛ وكفاك حثّاً على التحدّث بالنعم قوله تعالى: «وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ» [١].

وفائدة الحديث الأمر بالاعتراف والاعتداد بنعم المنعم والتحدّث بها وشكرها ونشرها، والحكم بأنّ ذكرها شكرها. وراوي الحديث النعمان بن بشير.

قوله صلى الله عليه وآله: انْتِظَارُ الْفَرَجِ بِالصَّبْرِ عِبَادَةٌ

«الانتظار»: التوقّع، و«الفرج»: التفصّي والتخلّص من الهمّ، وأصل الفرج الشقّ. و«الصبر»: ممانعة الجزع بالسكون والثبات. و«العبادة»: نهاية ما يقدر العبد عليه من العبوديّة والخضوع لمعبوده.

يقول صلى الله عليه وآله: انتظار الفرج وتوقّعه ومعالجة الجزع بالصبر والتثبّت نوع من العبادة، لأنّه تعرّض للثواب الجزيل المتجاوز حدّ الحصر والإحصاء، كما قال تعالى: «إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ» [٢]، فضلاً عن الأعواض التي يعوّضها على ما يناله من اللآلام، وهذا الكلام مورد الحثّ على التصبّر والتمسّك والرضا والاستسلام لأمر الله تعالى وإن كانت فيه كراهة النفوس وضيق الصدر، وبيان أنّ الاعتصام بالصبر والامتناع عن الجزع عبادة يثيب الله تعالى عليها.

وفائدة الحديث الأمر بالصبر الذي هو من عزم الأمور وبه يبتدئ الورع وإليه ينتهي الجزع. وراوي الحديث ابن عبّاس رضي الله عنه.

١. الضحى: ١١.

٢. الزمر: ١٠.

قوله صلى الله عليه وآله : الصَّوْمُ جُنَّةٌ

أصل «الصوم» الإمساك، وقد صام الرجل صوماً وصياماً، وقومٌ صُوَّم وصَيَّم، وصام الفرس صوماً أي قام على غير علف، وصام النهار قام قائم الظهيرة، وصامت الريح ركدت، وقال الخليل رحمه الله: «الصوم قيام بلا عمل»[١]، وقد حبس الشرع الصوم على إمساك مخصوص في وقت مخصوص. و«الجُنّة»: كلّما تستّرت به من السلاح، والجنّة: السَترة، والجمع جُنَن.

شبّه صلى الله عليه وآله الصوم بالجنّة التي تستر الإنسان بها عن شباة الأسلحة[٢] والعُدّة، وذلك لما فيه من قمع الشهوات وكسر النفوس وكفّ الأذى وغضّ الأبصار؛ فكما أنّ الجنّة تستر الفروج وتُغطّي على العورات وتسدّ *الخَصَاص[٣]، كذلك الصوم يقصَر إلى المرء نفسه ويكسر سورة شهواته وفورة إرادته، فكأنّه جنّة له دون المعاصي والمناهي؛

٢٨

ولذلك قال صلى الله عليه وآله: «عَلَيْكُمْ بِالْبَاءَةِ فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ»[٤].

وقد خلق الله تعالى هذه الأنفس ميّالة إلى اللذّات مشتاقة إلى الشهوات بتوّاقة إلى الأغذية والأشربة، يستمدّ منها القوى وتستعين بها على الحركات، ومتى زادت القوى زادت الشهوات، عبادةً من الله تعالى لا تنثلم وسجيّةً لا تنخرم، فإذا صام العبد فكأنّه سدّ على الشهوات طرقها وعوّر[٥] عليها سُبلها، فكان أبقى له وأقرب إلى الطاعة وأبعد من المعصية، وصار الصوم له جنّة تقيّة وتحفظه.

ويحتمل أن يكون المعنى: أنّ الصوم جنّة من النار لما فيه من الثواب الجزيل ورضى الربّ

---

١. راجع: العين: ١٧١/٧؛ تهذيب اللغة: ١٨٢/١٢؛ تاج العروس: ٥٣١/٣٢.

٢. شباة الأسلحة: حَدُّ طرفيها.

٣. جمع خصاصة وهي الضرّ والحاجة.

٤. راجع: الكافي: ١٨١/٤، ح٢؛ وراجع: المعجم الأوسط: ١٠٣/٥، ح٤٧٩٩؛ الفردوس بمأثور الخطاب: ٢١/٣، ح٤٠٣٨.

٥. عوّر عليه أمره: قبّحه.

الجليل.

وفائدة الحديث الأمر بالصوم والترغيب فيه والحثّ عليه. وراوي الحديث أبو هريرة.

قوله صلى الله عليه وآله: الزَّعِيمُ غَارِمٌ

«الزعيم»: الكفيل، والزعامة: الكفالة والغرامة فيما يلزم أداؤه، وكذلك المغرَم والغُرم، وقد غرَم الرجل كذا وكذا فهو غارم، وفلان مُغرَمٌ بكذا أي لازم له مولع به، ويقال لمن عليه الدين غريم لأنّ الدين يلزمه، ولمن له الدين غريم لأنّه يلزم المدان.

فمعنى الحديث: أنّ الكفيل تلزمه الغرامة إذا قصّر المكفول عنه في التخلّص إلى صاحبه عن حقّه.

وقيل: الكفالة أوّلها غرامة وأوسطها ندامة وآخرها ملالة.[1]

ويحتمل وجهاً آخر، وهو أن يكون الغريم بمعنى السيّد والمقدّم والرئيس، فيكون المعنى: أنّ من تصدّى لرئاسة قوم وُطئ عقبه ونظر مكانه لزمته المؤونات ووجبت عليه الغرامات.

وقيل: الغرام: الهلاك وفسّر عليه قوله تعالى: «إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً»[2] أي هلاكاً وهو قول أبي عبيدة[3]، فيكون المعنى على هذا: أنّ رئيس القوم إذا فُتح بابه لهم لزمه أن يراقبهم حقّ المراقبة ويراعيهم حقّ المراعاة وأن ينصف مظلومهم ويُعطي محرومهم ويوقّر كبيرهم ويرحم صغيرهم ويقصّر الأيدي الغاشمة[4] عنهم وينظر لهم كما ينظر لنفسه، لأنّهم الرعيّة وهو المسترعى، فإذا قصّر في شيء من ذلك فقد هلك.

وفائدة الحديث الحكم أنّ الكفيل تلزمه الغرامة وأنّ السيّد بعرض غرامات أصحابه

---

١. راجع: المبسوط للسرخسي: ١٤٨/٣٠.

٢. الفرقان: ٧٢.

٣. راجع: مجاز القرآن: ٥٧؛ غريب الحديث للحربي: ١٠٧٥/٣؛ تفسير السمعاني: ٣٠/٤.

٤. الظالمة أشدّ الظلم.

٢٩

وحمل الأثقال عنهم والإنفاق عليهم والإحسان * إليهم والمراعاة لهم. وراوي الحديث أبو أمامة، قال: «سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله يَقُولُ فِي خُطْبَتِهِ عَامَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ: الْعَارِيَةُ مُؤَدَّاةٌ، وَالْمِنْحَةُ مَرْدُودَةٌ، وَالدَّيْنُ مَقْضِيٌّ، وَالزَّعِيمُ غَارِمٌ»[١].

قوله صلى الله عليه وآله: الرِّفْقُ رَأْسُ الْحِكْمَةِ

«الرفق» يستعمل في التثبّت في الأمور، ويكون ضدّه الخُرق، ويستعمل في معنى اللين وحسن المعاملة ، ويكون ضدّه العُنف. و«الحكمة»: العلم.

يقول صلى الله عليه وآله: الرفق في الأمور والتثبّت فيها وحسن المعايشة وطيب المخالصة من أوائل درجات الحكيم؛ ولعمري أنّه كما قال عليه السلام ، فإنّ أوّل ما يتحلّى به الرجل من خصال الخير الرفق والسكون وخفض الجناح ومعاملة الناس بالأرفق الأوفق، وتجنّب المعاسرة والمناكدة والخُرق والطيش، وما بعد ذلك من درجات الحكمة، كما أنّ الرأس أفضل الجسد؛ وكفاك حثّاً على الرفق أمر الله تعالى نبيّين معصومين مرسلين يوجههما إلى أعتى الناس وأغناهم وأذهبهم في غُلَواء الجهل[٢] بالرفق واللين، حيث قال تعالى: «فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى»[٣]، فإنّ من الناس من لا يُعطي على القسر والقهر ربّما[٤] تنجع[٥] فيه الموعظة الرقيقة والكلمة الرفيقة، ويعمل فيه اللطف ما لا يعمل العنف.

ومن شجون[٦] هذا الحديث ما روي عن هارون الرشيد أنّه دخل عليه بعض الوعّاظ

١ . مسند الشهاب: ٦٤/١، ح ٥٠.
٢ . أوّله وحدّته.
٣ . طه: ٤٤.
٤ . في خ: وربّما.
٥ . تنفع.
٦ . شعب.

فقال له: هل يستطيع أمير المؤمنين أن يستمع إلى موعظة خشنة ؟ فقال: لا، إنّ الله تعالى بعث من هو خير منك إلى من هو شرّ منّي، فقال: «فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً»، انصرف على بركة الله.[١]

وفائدة الحديث الأمر بالرفق ومداراة الناس وملاينتهم واستعمال الأناة في جميع الأمور، وبيان أنّ المتحرّى لذلك هو الحكيم العالم. وراوي الحديث جرير بن عبد الله.

قوله صلّى الله عليه وآله: كَلِمَةُ الْحِكْمَةِ ضَالَّةُ كُلِّ حَكِيمٍ

هذا الحديث خارج من الألف ولم يكن في نسخة القاضي؛ «الكلمة»: اللفظة الواحدة، ويقع على كلّ واحد من الاسم والفعل والحرف على خلاف فيه، والكلمة: القصة بطولها، والكلمة: القصيدة بعينها؛ و«الحكمة»: العلم، و«الضالّة»: ما يضلّ عنك أو يسقط منك.

وفي الحديث: «ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ حَرَقُ النَّارِ».[٢]

٣٠

شبّه صلّى الله عليه وآله الكلمة من الحكمة يجدها الرجل الحكيم بالضالّة الساقطة منه*فهو يتحسّر عليها ويجدّ بها ويتحرّق عليها، فإذا وَجَدَها هَشَّ إليها[٣] وفرح بها، كذلك الكلمة من الحكمة يجدها المؤمن فكأنّها كانت له ثمّ ضلّت عنه فلمّا وجدها سكنت نفسه إليها وأنس بها وضمّها إلى ما عنده من أخواتها.

وفائدة الحديث التنبيه على مكان الكلمة الحكمة والتنويه بذكرها والأمر باقتنائها والرغبة فيها. وراوي الحديث أبو هريرة ، وتمامه: «وَإِذَا وَجَدَهَا فَهُوَ أَحَقُّ بِهَا»[٤].

---

١ . راجع: العقد الفريد: ١٢٣/٣؛ نثر الدرّ: ٦٦/٣؛ محاضرات الأدباء: ١٦٨/١.

٢ . المجازات النبويّة: ٢٥٩؛ وراجع: الآحاد والمثاني: ٢٦٤/٣، ح ١٦٣٩؛ المعجم الكبير: ٢٦٥/٢، ح ٢١١١.

٣ . انشرح صدره سروراً به.

٤ . مسند الشهاب: ٦٥/١، ح ٥٢.

قوله صلى الله عليه وآله : الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلْقِ

«البرّ» في الأصل ضدّ العقوق، وكذلك المبرّة، يقال: بررت والِدي ـ بالكسر ـ أبرّه وأنا بارّ وبرّ، ثمّ يستعمل في أعمال الخير كلّها، وكأنّه على مجاز أنّ الخيرات طاعات والبرّ طاعة؛ و«الخلق»: السجيّة والطبيعة، ثمّ يستعمل في العادات التي يتعوّدها الإنسان من خير أو شرّ، والخلق ممّا يوصف العبد بالقدرة عليه، ولذلك يُمدح ويذمّ به، يدلّ على ذلك قوله عليه السلام : «خَالِقْ النَّاسَ بِخَلْقٍ حَسَنٍ»[١]. وقوله عليه السلام : «حَسِّنُوا أملاءَكُمْ»[٢] أي أخلاقكم، الواحد ملأ، فلو لا أنّه من مقدور العباد لما حسن هذا الأمر.

وروي عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه أخذ بيد عقبة بن عامر وقال: «أَلا أُخْبِرُكَ بِأَفْضَلِ أَخْلاقِ الدُّنْيا، وَالآخِرَةِ؟ تَصِلُ مَنْ قَطَعَكَ، وَتُعْطِي مَنْ حَرَمَكَ، وَتَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَكَ»[٣].

وأمّا ما روي عنه عليه السلام : «إنَّ اللهَ تعالى قَسَمَ أَخْلَاقَكُمْ، كَمَا قَسَمَ أَرْزَاقَكُمْ»[٤]، فالمعنى أنّه عالم بجملها وتفاصيلها، فكأنّه قسّمها بينهم.

وأمّا قوله عليه السلام في دعائه: « اللهُمَّ كَمَا حَسَّنْتَ خَلْقِي فَحَسِّنْ خُلُقِي»[٥] فمعناه التوفيق ، ويجوز أن يريد به ما هو من خَلق الله تعالى خاصّةً من ذلك.

ومعنى الحديث أنّه جعل عليه السلام حسن الخلق هو البرّ كلّه، وذلك أنّ حسن الخلق عنوان جميع الخيرات ونظام سائر المبرّات.

وروي عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: «أَوَّلُ مَا يُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ الْخُلُقُ الْحَسَنُ»[٦].

---

١ . مسند أحمد: ٢٣٦/٥، ح٢٢١١٢؛ المعجم الكبير: ١٤٥/٢٠، ح٢٩٨.

٢ . في المصادر: «أحسنوا»، راجع: الصحاح: ٧٣/١؛ تهذيب اللغة: ٢٩٠/١٥؛ النهاية: ٣٥١/٤.

٣ . الكافي: ١٠٧/٢، ح٢؛ وراجع: المعجم الأوسط: ٣٦٤/٥، ح٥٥٦٧.

٤ . من لا يحضره الفقيه: ٤١٧/٤، ح٥٩٠٥؛ وراجع: مسند أحمد: ٣٨٧/١، ح٣٦٧٢.

٥ . تحف العقول: ١١؛ وراجع: مسند أبي يعلى: ٩/٩، ح٥٠٧٥؛ صحيح ابن حِبّان: ٢٣٩/٣، ح٩٥٩.

٦ . مصنّف ابن أبي شيبة الكوفي: ٩٠/٦، ح٢٤؛ منتخب مسند عبد بن حميد: ٤٥٢، ح١٥٦٥؛ مسند الشهاب: ١٥٤/١/١، ح٢١٣.

وروي عن عائشة أنّها سُئلت عن خُلق رسول الله صلى الله عليه وآله، فقالت: «كَانَ خُلُقُهُ الْقُرآنَ»[١]، «خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ»[٢]».

وسئل عليه السلام: أيّ الأعمال أفضل؟ فقال: «حسن الخلق»[٣].

وعن النبيّ عليه السلام: «إنَّكُمْ لَنْ تَسَعُوا النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ فَسَعُوهُمْ بِبَسْطِ الْوَجْهِ وَحُسْنِ الْخُلُقِ»[٤].

وسئل ابن المبارك عن حسن الخلق فقال: بسط الوجه وكفّ الأذى وبذل الندى.[٥]

٣١ وفائدة الحديث الأمر بتحسين *الأخلاق وحسن المعاشرة وتجنّب المعاسرة. وراوي الحديث النَوّاس بن سمعان.

قوله صلى الله عليه وآله: الشَّبَابُ شُعْبَةٌ مِنَ الْجُنُونِ

«الشباب»: الحداثة، يقال: شبّ الغلام يشبّ شباباً وشبيبةً، و«الشعبة» أصلها الغُصن والجمع شُعب، و«الجنون» عبارة عن زوال العقل، والمجنون الذي به زيّ[٦] من الجنّ على ما تسامحت به العرب في عباراتها وعبّرت به عن اعتقاداتها ثمّ قيل لكلّ من اختلّ عقله مجنون، وكلّما تجاوز حدّ الاعتدال مجنون، حتّى قالوا: نخلة مجنونة أي طويلة.[٧]

وقال شاعرهم:

---

١. مسند أحمد: ١٦٣/٦، ح٢٥٣٤١؛ المعجم الأوسط: ٣٠/١، ح٧٢.

٢. الأعراف: ١٩٩.

٣. المعجم الكبير: ١٨٠/١، ح٤٦٨.

٤. كتاب الزهد لابن سعيد الكوفي: ٢٨، ح٦٩؛ وراجع: مصنّف ابن أبي شيبة: ٢١٢/٥، ح٢٥٣٣٣؛ المستدرك: ٢١٢/١، ح٤٢٧.

٥. راجع: سنن الترمذي: ٣٦٣/٤، ح٢٠٠٥؛ روضة العقلاء: ٦٩.

٦. في خ: ريّ، ولعلّ الصواب ما أثبتّه في المتن.

٧. راجع: الصحاح: ٢٠٩٣/٥.

يـا رَبِّ أرْسِلْ خـارِفَ المساكِينْ عَــجاجةً مُــسْبَلَةً العَــثانِينْ

تَحُتُّ ثَمَرَ السُّحْقِ المَجَانِينْ»[١].

ونبات مجنون طويل.

قال ابن أحمد:

تَـفَقَّأً فَـوْقَه القَـلَعُ السَّـوارِي وَجُـنَّ الخَـازِبَازِ بـه جُـنُونَا[٢]

ويقال: جُنّ الرجل فهو مجنون وقد أجنّه الله، وقولهم: ما أجنّ فلاناً شاذّ، لأنّه لا يقال من المضروب وما أضربه ولا من المسلوب وما أسلبه، وإنّما يبنى ذلك من اسم الفاعل في الأكثر الأشهر ولا يبنى من اسم المفعول إلّا شاذّاً.

شبّه ﷺ الشباب بطائفة من الجنون وذلك لما يستحسنه الشباب من ركوب رأسه فيما لا يحسن ولا يجمل ويقدم عليه من المناكير لا يردعه رادع ولا يزجره زاجرٌ، فكأنّه مجنون لا يشاور عقله ومضعوف لا يراجع لبّه.

وقد قال حسّان بن ثابت الأنصاريّ:

إنَّ شَرْخَ الشَّبابِ والشَّعَرَ الأسْـ ودَ مـا لَمْ يُـعَاصَ كـانَ جُـنونَا[٣]

ويروى أنّ عمر بن الخطّاب كان يتمسّك بهذا البيت على المنبر كثيراً.[٤]

وقال بعض الحدثان:

لم أقـلْ للـشَّبابِ: في دعـة الله ولا سِـتْره غَـداةَ تَـوَلّى

زَائِـرٌ زارَنَـا أقـامَ قـليلاً سـوّد الصُّحْفَ بـالذُّنوبِ وَوَلَّى[٥]

---

١. راجع: الصحاح: ٢٠٩٣/٥؛ ديوان المتنبي: ٢٩٦/٣.

٢. الصحاح: ٢٠٩٣/٥؛ العين: ٢١٠/٤.

٣. غريب الحديث لابن سلام: ١٧/٣؛ العقدالفريد: ٢٤٥/٢؛ تهذيب اللغة: ٤٠/٧؛ ديوانه: ٣٠٧.

٤. راجع: أخبار مدينة: ٨/٢.

٥. التمثيل والمحاضرة: ٨٠؛ الزهد الكبير: ٢٥٢، ح ٦٦١؛ محاضرات الأدباء: ٣٥٦/٢.

ولبعض أهل العصر:

لأجزى الله شبابي صالحاً أنّه سوّد صحفي وانقضى
أتراه نفض الصبغ[١] على صحفي ثمّ تولّى ومضى
سوّد الصحف وما أقنعه فأعاد الرأس متى أبيضا[٢]

وفائدة الحديث تعريف أنّ الشباب مطيّة الجهل وتشبّهه بالجنون الذي لا يملك الرجل معه زمام الاختيار، فتتراآى له القبيح بصورة الحسن والمنكر بهيأة المعروف، وتحذير العاقل من اتّباع ما يتقاضاه الشباب من تمكين الشيطان من عنانه ليصرفه كيف يشاء .

وهذا الحديث متّصل بما بعده.

٣٢

قوله صلّى الله عليه وآله: النِّسَاءُ حَبَائِلُ الشَّيْطَانِ

«النساء» والنسوان والنسوة جمع المرأة من غير لفظها، كالقوم في جمع المرء، والمخاض[٣] في جمع خَلِفة، وكقولهم ذاك وأولئك؛ و«الحبائل» جمع حبالة وهي التي تنصبها الصائد فيصطاد بها؛ و«الشيطان» اسم لكلّ عَارِمٍ من الجنّ والإنس إلّا أنّه إذا أُطلق اختصّ بالجنّيّ الشرير.

وقيل في اشتقاقه أنّه من شطن أي بعد، يقال: شطنت الدار ونَوى شَطُون، فكأنّه يتباعد من الخير ومن ذكر الله تعالى، ووزنه على ذلك فَيعال والنون أصليّة.

وقيل: إنّ النون فيه زائدة ووزنه فَعلان واشتقاقه من شاط يشط إذا التهب غضباً، وإذا قيل للإنسان شيطان فإنّه على التشبيه بالجنّيّ العارم، وهم يسمّون كثيراً ممّا يتأذّون به شيطاناً، قالوا للحيّة الخفيفة شيطان .

وقال الشاعر: ما ليلة الفقير إلّا شيطان.[٤]

---

١ . ذهب بعض لونه.

٢ . لم أقف على مصدره.

٣ . النوق الحوامل.

٤ . قاله الراجز، راجع: جمهرة اللغة: ٧٨٤/٢؛ تهذيب اللغة: ١٠٦/٩.

وروي عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «الحَسَدُ شيطانٌ والغَضَبُ شيطانٌ»[١].

يقول صلى الله عليه وآله: النساء مصائد الشيطان وحبائله التي نصبها ليصطاد بها الرجال ويلقيهم بها عن رضا الله إلى سخطه، ولعمري أنّه كما قال عليه السلام، فإنّ الشهوة مزلّة للعقل ومدحضة للبصيرة، وأكثر مصارع الرجال في مصارف أحوال النساء وما يتعلّق بهنّ، ولا يكاد ينجي منهنّ إلّا التوقّي والتحرّز والاستعصام بالانكفاف والتمسّك بعروة العفاف، وهنّ القاتلات الضعائف اللائي يوردن ولا يصدرن ويردين ولا يدين.

ولقد أحسن كلّ الإحسان من قال شعر:

إنّ السلامة من سلمى وساكنها | أن لا تمرّ على حال بواديها

صعبت مسالكها جمّ مهالكها | مرٌّ عواقبها حلوٌ بواديها[٢]

وفائدة الحديث التنبيه على أمر النساء والتحذير من ملابستهنّ والنزول في شعب مؤانستهنّ وإعلام ما يشتمل عليه معاملتهنّ من الفتن العظيمة والعواقب.

وهذا الحديث متّصل بما بعده.

قوله صلى الله عليه وآله: الْخَمْرُ جِمَاعُ الْإِثْمِ

أصل الخمر الستر ومنه الخمار، لأنّه يغطّي الرأس، وخمرت الإناء غطّيته. وفي الحديث: «خمّروا آنيتكم»[٣]، وكأنّها سمّيت بذلك لتغطيتها على وجه العقل. و«الجماع»: ما جمع الشيء وهو كالنظام للخيط الذي ينظم فيه الخَرَز، وهذا الوزن ينبئ عن هذا المعنى كالمساك والملاك والقوام *والعصام، فكأنّه صلى الله عليه وآله جعل الخمر سلكاً ينتظم فيه الآثام. و«الإثم»: المبطئ عن

٣٣

---

١. المفردات: ٢٦١؛ اللباب في علوم الكتاب: ٩٧/١.

٢. راجع: تقويم النظر: ٥٢٧/٤؛ التدوين في أخبار قزوين: ٣٧٩/١؛ لم أقف على بيت الثاني في المصادر.

٣. غريب الحديث لابن سلام: ٢٣٨/١؛ المحاسن والمساوئ: ٢٨؛ المعجم الصغير: ٢٦٩/٢، ح١١٤٨؛ وراجع: الأمالي للمفيد: ١٩٠.

الثواب من قولهم: نوق آثمات أي مبطئات.

وإنّما شبّهها عليه السلام بسلك الآثام والأوزار لأنّ شاربها بصدد أن يرتكب جميع ما يعرض له من المقابح والمعاصي، وكيف لا؟! وقد استنزل عن العقل الذي كان يكفّه ويردعه عن تعاطي ذلك، وغطّى على وجه رأيه الذي كان يهديه إلى مراشده، فلذلك جعلها عليه السلام جماع الإثم ونظامه.

وروي عنه عليه السلام: «الخَمْرُ أُمُّ الخَبائِثِ»[١] وإنّما جعلها أمّاً حيث شبّهها بالأصل الذي تنتج منه الفروع والمادّة التي يتولّد منها الأشعب.

وروي في حديث: إنّ إثم الخمر يعلو الآثام كما أنّ شجرتها تعلو الأشجار.[٢]

وما أحسن ما قال الحكيم فيها، قال: إنّ هذا العقل جوهر نفيس لو كان يباع لوجب على الإنسان أن يشتريه بطريفة وتليدة، وما أعطاكه الله تعالى بفضله وكرمه من غير ثمن، فكيف تستجيز أن تشتري بمالك ما يزيله عنك.[٣]

وقال:

مَا تَبْلُغُ الأعْداءُ مِن جاهِلٍ مَا يَبْلُغُ الجاهِلُ مِنْ نفسِهِ[٤]

ودخل نُصَيب الشاعر[٥] على عبد الملك بن مروان وهو على شراب له فعرضه عليه، فقال:

---

١ . المعجم الأوسط: ٨١/٤؛ سنن الداقطني: ٢٤٧/٤، ح١ و٤؛ وراجع: المجازات النبويّة: ٢٤٣.

٢ . راجع: من لا يحضره الفقيه: ٥٧١/٣، ح٤٩٥٢؛ وراجع: مصنّف عبد الرزّاق: ٢٣٧/٩، ح١٧٠٦٣؛ كنز العمّال: ١٠١/١٦، ح٤٤٣١٠.

٣ . لم أقف على مصدره.

٤ . قاله صالح بن عبد القدوس؛ راجع: لباب الآداب: ١٦٠/١؛ الإعجاز والإيجاز: ١٧٧؛ تاريخ مدينه دمشق: ٣٤٦/٢٣.

٥ . أبو محجن نصيب بن رباح(ت١٠٨هـ)شاعر فحل مقدم في النسب والمدائح؛ راجع: سير أعلام النبلاء: ٢٦٦/٥؛ تاريخ الإسلام: ٤٩٠/٧.

«أمّا اللون فمرمّدُ وأمّا السعر فملفلل وإنّها أدناني من أمير المؤمنين عقلي فإن رأى متّعني به»[١].

وفائدة الحديث التخويف من عواقب شرب الخمر وتعريف ما فيها من المنكرات والفواحش وسخف الدنيا وعذاب الآخرة.

وروي عنه عليه السلام: «إذا قال شارب الخمر: لا إله إلّا الله، اهتزّ العرش والكرسيّ وخلق الله تعالى بكلّ حرف ملكاً يلعنه إلى يوم القيامة»[٢].

وقال عليه السلام: «الشَّرُّ كُلُّهُ فِي بَيْتٍ وَجُعِلَ مِفْتَاحُهُ الْخَمْرُ»[٣].

و«مَنْ شَرِبَ [الْخَمْرَ] فِي الدُّنْيَا فَلَمْ يَشْرَبْهَا فِي الْآخِرَةِ»[٤].

وقال عليه السلام: «مُدْمِنُ الْخَمْرِ كَعَابِدِ وَثَنٍ»[٥].

وهذا الحديث متّصل بما بعده.

قوله صلى الله عليه وآله: الْغُلُولَ مِنْ جَمْرِ جَهَنَّمَ

«الغلول»: الخيانة في المغنم، يقال: غلّ يغلّ غلولاً، وأغلّ مثله وغَلّ يَغِلّ غِلّاً صار ذا غلّ وغشّ؛ و«الجمر»: الحطب الذي اشتعلت فيه النار؛ و«جهنّم» اسم من أسماء نار العذاب. وقيل في اشتقاقها: إنّها من قولهم: جهمتُ الرجل وتجهّمتُه إذا كلحت في وجهه، وأنّه ملحق بالخماسيّ بتشديد الثالث منه. وقيل: إنّها من الجهنام: البئر القعيرة. وقيل: أنّها *فارسيّة تكلّمت العرب بها، فمن قال أنّها عربيّة فإنّه لا ينصرف عنده للتعريف والتأنيث، ومن قال أنّها فارسيّة اعتبر بالعجمة فيها.

٣٤

١. العقد الفريد: ١٢/٢؛ الأغاني: ٣٢٧/١؛ نهاية الأرب: ٨٢/٤.

٢. لم أقف على مصدره.

٣. من لا يحضره الفقيه: ٣٥٤/٤؛ وراجع: مصنّف عبد الرزّاق: ٢٣٨/٩، ح١٧٠٦٨.

٤. مصنّف عبد االرزّاق: ٢٣٥/٩، ح١٧٠٥٦؛ مسند أحمد: ٢١/٢، ح٤٧٢٩.

٥. سنن ابن ماجه: ١١٢٠/٢، ح٣٣٧٥؛ شعب الإيمان: ١٣/٥، ح٥٥٩٧.

شبّه صلى الله عليه وآله ما يغلّه الإنسان من المغنم ويختزله[١] من الفيء ويستلّه[٢] من غير وجهه بجمر جهنّم، لأنّه يستوجب بما يختانه من ذلك النار، فكأنّه يحرز النار بما تحتجبه من مال المغنم وفيء المسلمين، لأنّه يؤدّي إليها، فجعل السبب هو المسبّب.

وروي: «أنّ رجلاً من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله توفّي يوم خيبر، فذكروه للنبيّ صلى الله عليه وآله فقال: صَلُّوا عَلَى صَاحِبِكُمْ، فَتَغَيَّرَ وُجُوهُ النَّاسِ لِذَلِكَ، فَقَالَ صلى الله عليه وآله: إنَّ صَاحِبَكُمْ قَدْ غَلَّ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَفَتَّشْنَا مَتَاعَهُ فَوَجَدْنَا فِي مَتاعِهِ خَرَزاً مِنْ خَرَزِ اليَهُود، فواللهِ مَا تُسَاوِي دِرْهَمَيْنِ»[٣].

وروي عن ابن عمر، قال: «كانَ رَجُلٌ عَلَى ثِقَلِ النَّبِيِّ عليه السلام فَأَصَابَهُ سَهْمٌ فَمَاتَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ عليه السلام: هُوَ فِي النَّارِ، فَنَظَروا فَإذَا عَلَيْهِ كِسَاءٌ قَدْ غَلَّهُ»[٤].

فقال عليه السلام: «إيَّاكُمْ وَالْغُلُولَ! فَإنَّ الْغُلُولَ خِزْيٌ عَلَى صَاحِبِهِ، فَأَدُّوا الْخَيْطَ وَالْمِخْيطَ وَمَا فَوْقَ ذَلِكَ»[٥].

وفائدة الحديث النهي عن التلطّخ بالخيانة والتحذير من الغلول ومدّ اليد إلى ما لا تستحقّه وإعلام أنّ إحراز ذلك إحراز لنار جهنّم ـ نعوذ بالله منها ـ.

وهذا الحديث متّصل بما بعده.

قوله صلى الله عليه وآله: النِّيَاحَةُ مِنْ عَمَلِ الْجَاهِلِيَّةِ

يقال: ناحت المرأة تنوح نوحاً ونياحاً، والنياحة الاسم من ذلك، و«الجاهليّة»: ما قبل الإسلام وإنّما سمّيت جاهليّةً بجهلها وإنكارها وإقدامها على ما لم يأذن الله تعالى.

---

١. اقتطعه.

٢. انتزعه.

٣. مصنّف ابن أبي شيبة: ٥٢٥/٦، ح٣٣٥٢٧؛ مسند أحمد: ١١٤/٤، ح١٧٠٧٢.

٤. سنن سعيد بن منصور: ٣١٢/٢، ح٢٧٢٠؛ مصنّف عبد الرزّاق: ٢٤٥/٥، ح٩٥٠٤؛ مسند أحمد: ١٦٠/٢، ح٦٤٩٣.

٥. مسند أحمد: ٣٣٠/٥، ح٢٢٨٤٧؛ المعجم الأوسط: ١٥/٦، ح٥٦٦٠.

ذمّ ﷺ النياحة وبيّن أنّها من عمل الذين لم يؤمنوا بالله ولم يراقبوا أمره ونهيه، فكانوا إذا مات لهم ميّت يعلّلون أنفسهم بالأباطيل والمِحال[١] ويؤنّبونه[٢] بالأكاذيب وذلك لذهابهم بأنفسهم وتجاوزهم الحدّ الذي لهم وضلالتهم عن قصد السبيل.

وروى أبو هريرة عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «هَذِهِ النَّوَائِحُ تُجْعَلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَفَّيْنِ [فِي جَهَنَّمَ؛ صَفّاً عَنْ يَمِينِهِنَّ، وَصَفّاً عَنْ شِمَالِهِنَّ] فَيَنْبَحْنَ كَمَا تَنْبَحُ الْكِلابُ»[٣].

وقال عليه السلام: «تخرج النائحة من قبرها شعثاء غبراء عليها جلباب من لعنة ودرع واضعة يدها على رأسها، تقول: واويلاه، وملك يقول: آمين، ثمّ يكون من ذلك حظّها النار»[٤].

٣٥

[وقال] ﷺ: «النائحة والمستمعة *والحالقة والصالقة[٥] والواشمة والمستوشمة والسلتاء والمرهاء»[٦].

وفائدة الحديث النهي عن النياحة والكذب فيها، وبيان أنّها من أعمال الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر.

وهذا الحديث من أوّل قوله عليه السلام: «الشَّبَابُ شُعْبَةٌ مِنَ الْجُنُونِ» إلى هنا وبعده: «السَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ، وَالشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ» متّصل من خطبة رواها زيد بن خالد.[٧]

---

١ . الكيد.

٢ . يلومونه.

٣ . راجع: المعجم الأوسط: ٢٥١/٥، ح٥٢٢٩؛ تفسير الثعلبي: ٢٩٨/٩؛ كنز العمّال: ٢٦٠/١٥، ح٤٢٤٤٨.

٤ . تفسير الثعلبي: ٢٩٨/٩؛ لباب الحديث: ٧٤.

٥ . في أكثر المصادر: والسالفة، وهي التي ترفع صوتها بالصراخ عند المصيبة.

٦ . نصّه في المصادر: «لَعَنَ النَّائِحَةَ وَالْمُسْتَمِعَةَ، وَالْحَالِقَةَ، وَالسَّالِقَةَ، وَالْوَاشِمَةَ، وَالْمُوتَشِمَةَ»؛ راجع: مسند عبد الله بن عمر: ٢٥، ح٢٠؛ سنن البيهقي: ٦٣/٤، ح٦٩٠٥؛ لباب الحديث: ٧٤؛ والسلقاء من النساء: التي تخضب؛ والمرهاء: هي التي لا تكتحل.

٧ . مسند الشهاب: ٦٧/١ ـ ٦٨، ح٥٥.

قولهﷺ: الزِّنَا يُورِثُ الْفَقْرَ

هذا الحديث لم يكن في نسخة القاضي، «الزنا»: وطئ المرأة من غير تقدّم عقد شرعيّ، وقد يمدّ، فإذا مدّ احتمل أن يكون من باب المفاعلة. و«الفقر»: صفر ذات اليد، يقال: افتقر فهو مفتقر وفقير، ولا يقال: فقر، ويقتضيه القياس، وقيل: الفقير أصله المكسور الفقار وفقرتْه الفاقرة أي الداهية التي يكسر الفقار.

حذّرﷺ من الزنا، وأعلم أنّه يورث الفقر.

ويحتمل الحديث وجهين: أحدهما: أنّ الزاني بعرض إنفاق الأموال ونزفِ[1] ما يقدر عليه من استغواء النساء وخداعهنّ، فما أسرع ما يُسرِع في حاله وينقص من ماله، وتصفر ذات يده عن مطّرفه ومتلده[2]. والثاني: أنّ الله تعالى يحبس عنه البركة والنماء بما تعرّض لسخطه وتحرّى من معصيته وتعرّى من خشيته، فإذا هو أفقر الفقراء .

وقيل: إنّ المعنى فقر الآخرة وما أجدر أن يكون كذلك.

وروي عن النبيّﷺ: «في الزّنا سِتُّ خِصَالٍ: ثَلَاثٌ فِي الدُّنْيَا وَثَلَاثٌ فِي الْآخِرَةِ، فَأَمَّا اللواتي فِي الدُّنْيَا: فَيذهبَ بِنورِ الوَجهِ وَيَقطعُ الرزقَ وَيَسرعُ الفناءَ؛ وأمّا اللواتي فِي الآخِرَةِ: فَغَضَبُ الرَّبِّ وَسُوءُ الْحِسَابِ وَالْدُّخولُ فِي النَّارِ»[3].

وفائدة الحديث التخويف من الزنا والتنبيه على أن يُعقِبَ فقر الدنيا وعذاب الآخرة.

وراوي الحديث عبد الله بن عمر.

---

١ . نزَفَ: نفِد وفنى.

٢ . المطّرف: المال الذي اشترى من بلد آخر فهو ينزع إلى وطنه؛ والمتلّد: المال القديم الذي يرثه الرجل من آبائه.

٣ . راجع: الخصال: ٣٢٠ ـ ٣٢١، ح ٢ ـ ٤؛ بحار الأنوار: ٢٢/٧٦؛ وراجع: الفردوس: ١٣٨/٣، ح ٤٣٧٠؛ التدوين في أخبار قزوين: ٧١/٤ـ٧٢؛ جامع الأحاديث: ٢١٢/٩، ح٢٨٠٧٨.

قوله صلى الله عليه وآله: زِنَا العُيُونِ النَّظْرَةُ

وكذلك هذا الحديث لم يكن في نسخة القاضي، وهذا مثل قوله عليه السلام: «كلّ عين زانية»؛ يعني: أنّ المعصية تكتسب بجميع أعضاء الجوارح، والزنا وإن كان عنا به عن وطئ المحرّم فإنّ النظر إلى المحارم جزء من أجزائه، ولا يكاد يحصل من جارحة البصر أكثر من النظر فهو إذن زناها.

٣٦

وفائدة الحديث تعظيم أمر النظر إلى المحارم *وإعلام أنّه من قِبَل الزنا وأخذ أخذه وطريق إليه وحاثّ عليه. وراوي الحديث أبو هريرة.

قوله صلى الله عليه وآله: الْحُمَّى رَائِدُ الْمَوْتِ

الحمّى عبارة عن التهاب الحرارة على البدن، وهي فُعلى من حممت الماء أحمّه وأحممه أي سخّنه، والحميم: الماء الحارّ، والمحَمّ: القُمقم الصغير يسخن فيه الماء، يقال: حمّ الرجل وأحمّه الله فهو محموم، وهو شاذّ مثل زكم الرجل وأزكمه الله فهو مزكوم. و«الرائد» الذي يتقدّم القوم يطلب لهم الماء والكلأ، وفي المثل: «الرائد لا يكذب أهله»[1]. و«الموت» عبارة عن تعطّل الجسد من حلية الحياة، وهو عند المحقّقين ليس بذات، إنّما المرجع فيه إلى النفي.

يعني صلى الله عليه وآله أنّ الحمّى عنوان الموت ورسوله الذي قدّمه، وما أقرب وصول المرسِل إلى المرسَل. وفيه إعلام أنّ العاقل ينبغي أن يكون متأهّباً لأمره مستعدّاً لشأنه مرتّباً لأحواله أحسن الترتيب حتّى لا يخترمه الموت عن أمور متشعّثة[2] وأحوال غير منتظمة وحسرات غير مجدية، وأنّه وإن كان قد ألف الافتراق فيما قبل ذلك، فإنّ الواجب عليه أن يعتقد أن حماه النازلة به هي القالعة له عن الأهل والولد والمعطّلة من القوّة والجَلَد وأنّها لا تعود ولا ترود.

وفائدة الحديث الاستشعار من الموت والحذر منه والتوقّع لهجومه وقلّة الإخلاد إلى

---

١ . جمهرة الأمثال: ٤٧٤/١؛ غريب الحديث للخطابي: ١٧٩/٣.

٢ . متفرّقة.

الحياة الفانية والوثوق بها وسوء الظنّ بأدنى مرض يعتري وحُسبان أنّه مرض الموت. وراوي الحديث الحسن، وتمامه: «وَهِيَ سِجْنُ اللهِ فِي الأَرْضِ يَحْبِسُ بِهَا عَبْدَهُ إِذَا شَاءَ، وَيُرْسِلُهُ إِذَا شَاءَ»[١].

قوله صلى الله عليه وآله: الحُمَّى مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ

«الفيح»: تصاعد الحرّ، يقال: فاحت القدر تفيح إذا غليت، وأفحتُها أنا وفاحت الشجّة [و]تفحت الدم.

يعني أنّ الحمّى وشدّة توهّجها[٢] على الإنسان مما تَحُتُّ[٣] ذنوبه وتخلّصه من خبث المعاصي ويكفّر عنه سيّئاته، فكأنّه عليه السلام جعل اشتعالها[٤] على بدنه وقاء[٥] ما يستحقّه من العذاب على طريق التشبيه والتمثيل، فإذا استوفى عقابه المستحقّ بقي له الثواب الدائم.

وهذا الحديث قريب المعنى من الذي يليه وهو متضمّن لتسلية المؤمن وتصبيره على مزاولة ما ❊يسوقه الله تعالى إلى بدنه تصفيةً له وتطهيراً من الذنوب. ٣٧

وروي عنه عليه السلام: «مَنْ حُمَّ ثَلَاثَ سَاعَاتٍ فَصَبَرَ فِيهَا بَاهَى اللهُ بِهِ مَلَائِكَتَهُ، فَقَالَ: مَلَائِكَتِي انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي وَصَبْرِهِ عَلَى بَلَائِي، اكْتُبُوا لِعَبْدِي بَرَاءَةً مِنَ النَّارِ، قَالَ: فَيُكْتَبُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ، هَذَا كِتَابٌ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ، بَرَاءَةٌ مِنَ اللهِ لِعَبْدِهِ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ، إِنِّي قَدْ آمَنْتُكَ مِنْ عَذَابِي، وَأَوْجَبْتُ لَكَ جَنَّتِي، فَادْخُلْهَا بِسَلَامٍ»[٦].

و عن أبي الدرداء قال: ما يسرّني من وصب ليلة حمر النعم مرض المؤمن تكفير

١. مسند الشهاب: ٦٩/١، ح٥٨.

٢. توقّدها.

٣. تحطّ.

٤. في خ: استعالها.

٥. كذا في خ، وفي البحار: وفاء.

٦. راجع: الفردوس: ٦٣٥/٣، ح٥٩٨٨؛ نزهة المجالس: ٨٥/١.

خطيئته.[١]

وعن الحسن البصري: «إنَّ اللهَ تعالى يُكَفِّرُ عَنِ الْمُؤْمِنِ [مِنْ] خَطَايَاهُ كُلِّهَا بِحُمَّى لَيْلَةٍ»[٢].

وفائدة الحديث الأمر بالتصبّر والاستسلام لله تعالى فيما يؤدّب به من الأمراض والأسقام، وإعلام أنّها لا يخلو من التطهير والتمحيص فضلاً عمّا فيها من الأعواض، وفي الصبر عليها من الثواب. وراوية الحديث عائشة، وتمامه: «فَابْرُدُوهَا بِالْمَاءِ»[٣].

قوله صلى الله عليه وآله: الْحُمَّى حَظُّ كُلِّ مُؤْمِنٍ مِنَ النَّارِ

هو قريب المعنى من الذي قبله، و«الحظّ»: النصيب، وجمعه القليل: أَحُظٌّ، والكثير: حظُوظٌ وأحاظ[٤]. وقال:

وليس الغِنَى والفَقْرُ من حِيلَةِ الفَتَى ... ولكنْ أَحاظٍ قُسّمَتْ وجُدُودُ[٥]

وأحاظ جمع أَحْظٍ وأحظ جمع القلّة لحظّ على قلب إحدى الظاءين ياءً من باب «قَصَّيْتُ أظفاري»[٦]، «وَخابَ مَنْ دَسَّاها»[٧]؛ فهو إذا جمع جمع القلّة.

ومعنى الحديث: أنّ الله تعالى يحطّ عنه أوزاره ويغفر له بما ساقه من المرض إليه، فيصبر عليه، ولا يعاقبه بالنار، فكأنّ الحمّى كانت حظّه من [نار][٨] جهنّم.

وروي في حديث آخر عنه صلى الله عليه وآله: «مَا مِن النَّاسِ إِلَّا وَلَهُ حَظٌّ مِنَ النَّارِ وَحَظُّ الْمُؤْمِنِ

---

١. الزهد لابن المبارك: ٤٠٩/١ـ٤١٠؛ مصنّف عبد الرزّاق: ١٩٧/١١، ح٢٠٣١٣؛ شعب الإيمان: ١٧٦/٧، ح٩٩٠٥.

٢. المرض والكفّارات: ٣٩؛ شعب الإيمان: ١٦٦/٧، ح٩٨٦٥.

٣. مسند الشهاب: ٧٠/١، ح٦٠.

٤. في البحار: حظاظ.

٥. المحاسن والمساوئ: ٢١٠؛ زهر الآداب: ٤٤٢/١.

٦. راجع: إعراب القرآن: ١٧١/١؛ تهذيب اللغة: ٧٣/١٢.

٧. الشمس: ١٠.

٨. الزيادة في البحار.

الْحُمَّى»[١].

وعن مجاهد بن جبر في قوله تعالى: «وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وارِدُها كانَ عَلى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيّاً»، قال: «من حُمّ من المسلمين فقد وردها وهو حظّ المؤمن منها»[٢].

وفائدة الحديث التسلية وتطييب القلب بما يكابده[٣] الإنسان من الآلام والأدواء بما يحطّ فيها من الأوزار والأعباء، وإعلام أنّه ما يُقصر[٤] عليه في عقوبته وتوفية استحقاقه على التقريب. وراوي الحديث عبد الله بن مسعود، وتمامه[٥]: «وحُمَّى لَيْلَةٍ تُكَفِّرُ خَطَايَا سَنَةٍ محرّمة»[٦].

٣٨ *قوله ﷺ: الْقَنَاعَةُ مَالٌ لا يَنْفَدُ

«القناعة»: الرضا بالميسور، يقال: قَنِعَ يقنَع قَنَاعةً وقُنْعاناً فهو قَنِع وقَنُوع وقَنَعَ قُنُوعاً: سأل، وقد يستعمل القنوع بمعنى الرضا.

قال:

وقالوا: قد زُهيت فقلتُ: كلّا ... ولكنّي أعزّني القنوع[٧]

وقال لبيد:

فمنْهُمْ سَعيدٌ آخذٌ بنَصِيبِهِ ... ومِنْهُمْ شَقِيٌّ بالمعيشَةِ قانِعُ[٨]

١. الزهد لابن السريّ: ٢٣٣/١، ح٣٩١؛ كنز العمّال: ١٣٢/٣، ح٦٧٦٢؛ والآية في مريم: ٧١.

٢. تفسير الثعلبي: ٢٢٨/٦؛ شعب الإيمان: ٣٣٩/١، ح٣٧٤؛ والآية في مريم: ٧١.

٣. كذا في البحار، وفي خ: يكايده، وعلى كلا اللفظين المعنى: يقاسي شدّته.

٤. في البحار: ممّا يقتصر

٥. في البحار: وتمام الحديث.

٦. مسند الشهاب: ٧١/١، ح٦٢.

٧. راجع: الصحاح: ١٢٧٣/٣؛ تاج العروس: ٨٩/٢٢.

٨. راجع: المجالسة وجواهر العلم: ٩٣؛ ديوانه: ٤٦.

وفي المثل: «خير الغنى القنوع وشرّ الفقر الخضوع»[1].

أراد صلّى الله عليه وآله أنّ القناعة والرضا بما قسم الله تعالى أحد المالين، ثمّ هو مال لا ينقصه الإنفاق ولا يتطرّق إليه الآفات.

ولا يفيد هذا الحديث اعتزال الإنسان وانتباذه ناحيةً وتعطّله عن المكاسب المجدية عليه، كيف؟! وهو مندوب إلى الضدّ من ذلك وعقله الذي هو قدوة رأيه يتقاضاه به فضلاً عن الشرع الذي يحثّه عليه لتقيم به العبادات ويتمكّن من أداء الواجبات، لأنّ صلاح دينه ودنياه مربوط بذلك، كفّاً لنفسه وصيانةً لماء وجهه وتوفيراً لحرمته وإعزازاً لدينه وإحرازاً ليقينه.

وفائدة الحديث الحثّ على القناعة والرضا بما قسم الله تعالى، وظلف النفس عن التطلّع إلى ما وراء ذلك ممّا يسوء حمله وينوء ثقله. وراوي الحديث أنس.

قوله صلّى الله عليه وآله: الْأَمَانَةُ تَجُرُّ الرِّزْقَ وَالْخِيَانَةُ تَجُرُّ الْفَقْرَ

يحتمل هذا الحديث وجهين: أحدهما: أن يكون المعنى أنّ الرجل إذا أرضيته بالأمانة وطاب ذكره بالصيانة رغب الناس في معاملته فكثر حرفاؤه ومعاملاوه وزكت تجارته، وكان ذلك سبباً لرزقه والتوسّع فيه، وبالعكس من ذلك. والوجه الآخر: أنّه إذا أدّى الأمانة وتجنّب الخيانة وراقب جانب الله تعالى فيما يأتي ويذر، بارك الله له فيه ووسّع عليه رزقه، وبالضدّ من ذلك.

ويكون نسبة الجرّ إلى الأمانة والخيانة على معنى أنّهما السبب في ذلك.

وفائدة الحديث الأمر بالأمانة والنهي عن الخيانة والتخويف منها. وراوي الحديث زيد بن خالد، ورواه في الخطبة التي ذكرها.[2]

---

١. مجمع الأمثال: ١/٢٤٤.

٢. مسند الشهاب: ١/٧٢، ح ٦٤.

قوله صلى الله عليه وآله: الصُّبْحَةُ تَمْنَعُ الرِّزْقَ

«الصبحة» والصَبحَة ـ بالفتح والضمّ ـ: نوم الغداة، وكأنّها بالفتح المصدر وبالضمّ الاسم.

٣٩ ومعنى الحديث: أنّ الغداة شباب النهار وعنوان المدّة التي ينتدب فيها *العاقل لاكتساب ما يعوّل عليه ديناً ودنياً، إذ هي موسم الذكر والشكر، ومظنّة الانتعاش لطلب المعاش، وجزّ الوقت وصفوته، والساعة يقوم فيها الإنسان خافضاً في نفسه مستريحاً من تعب أمسه، قد تودّعتْ أطرافه وهدأت[١] أعضاؤه، فإذا صرفها إلى الباطل وغمرها بالنوم الذي هو أحد الموتين فقد فوّت نفسه الفائدة الجليلة وجلب إليها الرذيلة.

وفي كلام ابن عبّاس رضي الله عنه لبعض ولده وقد رآه نائماً نومة الغداة: «قم، لا أنام الله عينيك! أما علمت أنّ نوم النهار ثلاثة: خلق وخُرق وحُمق، فأمّا الخُلق فنومة الهاجرة، وهو خلق رسول الله صلى الله عليه وآله وأمّا الخرق فنومة الضحى يشغل عن أمر الدنيا والآخرة، وأمّا الحمق فنومة ما بين العصر والمغرب لا ينامها إلّا أحمق أو سكران، أما علمت أنّ العرب يقول في نومة الضحى أنّها مكسلة مهرمة منسأة»[٢].

وفي كلام عمر أنّه نهى عن نومة الغداة وقال: «إِنَّهَا مَبْخَرَةٌ مُجْفَرَةٌ»[٣].

في الحديث: «وَفِّرُوا أَشْعَارَكُمْ، فَإِنَّهَا مَجْفَرَةٌ»[٤] يعني مقطعة للنكاح ونقص للماء.

وفائدة الحديث النهي عن نوم الغداة وإعلام أنّ تضييع وقت الذكر والإمساك عمّا يجلب الحرمان. وراوي الحديث عثمان بن عفّان.

---

١. سكنتْ.

٢. راجع: المجالسة وجواهر العلم: ٣٥١؛ المقاصد الحسنة: ٤١٨.

٣. الفائق: ٢١٩/١؛ النهاية: ١٠١/١؛ كنز العمّال: ٩٧/٩، ح ٢٥٧٥٥.

٤. غريب الحديث لابن سلام: ٧٤/٢؛ المراسيل لأبي داود: ١٧٩، ح ١٩٩؛ الفائق: ٢١٩/١.

قوله صلى الله عليه وآله : الْعَمَائِمُ تِيجَانُ الْعَرَبِ

«العمامة» معروفة، واشتقاقها من العموم الشمول، وباعتبار اشتمالها على الرأس سمّيت بذلك، يقال: اعتمّ وتعمّم إذا لبس العمامة، وعمّم الرجل إذا سُوّد في العرب، كما يقال في العجم: تُوّج، والتاج: الإكليل، يقال: توّجته فتتوّج .

أعلم صلى الله عليه وآله أنّ العمائم هي لباس العرب دون التيجان.

وروي في حديث : «الْعَمَائِمُ تِيجَانُ الْعَرَبِ، فَإِذَا وَضَعُوهَا وَضَعَ اللهُ مِنْهُمْ»[١] كان معناه إذا تشبّهوا بالعجم.

وفي حديث آخر: «فَرْقُ مَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْمُشْرِكِينَ الْعَمَائِمُ عَلَى الْقَلَانِسِ»[٢].

وروي عنه عليه السلام : «أَنَّهُ عَمَّمَ أميرَ المؤمنينَ عليه السلام بِيَدِهِ فَذَنَبَ[٣] الْعِمَامَةَ مِنْ وَرَائِهِ وَمِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: أَدْبِرْ فَأَدْبَرَ، ثُمَّ قَالَ: أَقْبِلْ فَأَقْبَلَ ، فَقَالَ صلى الله عليه وآله : هَكَذَا تَكُونُ تِيجَانُ الْمَلَائِكَةِ»[٤].

وعن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه : أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله دخل يوم الفتح وعليه عمامة سوداء تسمّى السحاب، [٤٠] فأهداها لأمير المؤمنين عليه السلام فلبسها، فقال الناس: ما أحسن عليّاً في السحاب، فقال بعض من لا بصيرة له من الغُلاة، ـ وكلّهم لا بصيرة له ـ: إنّ عليّاً في السحاب،[٥] وأوردوا في ذلك ما نزّه الله عنه قدر أمير المؤمنين عليه السلام .

---

١ . في المصادر: «وضع الله عزّهم»، راجع: ثمار القلوب: ١٥٩، ح٢٢٢؛ جامع الأحاديث: ٢٢٩/٥، ح١٤٥٣٧؛ كنز العمّال: ١٣٢/١٥، ح٤١١٣٣؛ وراجع: مكارم الأخلاق للطبرسي: ١١٩؛ وسائل الشيعة: ٥٧/٥، ح٥٨٩٢.

٢ . سنن أبي داود: ٥٥/٤، ح٤٠٧٨؛ سنن الترمذي: ٢٤٧/٤، ح١٧٨٤؛ المعجم الكبير: ٧١/٥، ح٤٦١٤.

٣ . في المصدر: وَرَتَّبَ .

٤ . راجع: الكافي: ٤٦١/٦، ح٤؛ وراجع: مشيخة ابن شاذان: ٢٧ـ ٢٨، ح٢٦؛ كنز العمّال: ٢٠٥/١٥، ح٤١٩١٣.

٥ . راجع: أخلاق النبيّ وآدابه: ١٩٧/٢، ح٣٠٧؛ تاريخ الإسلام: ٣٨٩/١٣.

وفائدة الحديث الإعلام بشِعار العرب والترغيب في التعمّم، وبيان أنّ لبس التاج من شأن الأعاجم. وراوي الحديث أمير المؤمنين عليه السلام، وتمامه: «وَالاحْتِبَاءُ حِيطَانُهَا، وَجُلُوسُ الْمُؤْمِنِ فِي الْمَسْجِدِ رِبَاطُهُ»[1].

قوله صلى الله عليه وآله: الحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ

«الحياء»: الانقباض[2] عن القبائح، يقال: حيّي يحيى حياءً، فهو حَيِيّ، واستحيى فهو مستحيّ واستحيى فهو مستحٍ.

يعني صلى الله عليه وآله: أنّ الحياء وانقباض النفس عن المخازي والفضائح وجميع ما يستنكف منه بجميع أنواعه وضروبه خير.

وروي عنه عليه السلام: «الْحَيَاءُ مِنَ الْإِيمَانِ»[3]، وعنه عليه السلام: «الْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»[4].

وفائدة الحديث مدح الحياء وإعلام أنّه بجميع أنواعه وأقسامه خير. وراوي الحديث أنس بن مالك، ورواه عمران بن حصين.[5]

قوله صلى الله عليه وآله: الْحَيَاءُ لا يَأْتِي إلّا بِخَيْرٍ

هذا الحديث قريب المعنى من الذي قبله، ومعناه: أنّ الحيِيّ لا يكاد يقدم على ما لا يُرتضى ولا يحمد حياءً من الخلق واستنكافاً وتذمّماً ومراقبةً لجانب الله تعالى ومحافظةً على أمره ونهيه، وإذا كان كذلك فإنّ حياه بكلّ خير لا يأتي إلّا بخير وبرّ.

---

١ . مسند الشهاب: ١/٧٥، ح٦٨.

٢ . في البحار: انقباض النفس.

٣ . عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١/٢٣٩، ح٢٣؛ بحار الأنوار: ٦٨/٣٣٤، ح١٢؛ وراجع: مسند الحميدي: ٢/٢٨١، ح٦٢٥؛ مسند أحمد: ٢/٩، ح٤٥٥٤.

٤ . مصنّف عبد الرزّاق: ١١/١٢٦، ح٢٠١٠٥؛ مسند أحمد: ٢/٤٤٢، ح٩٧٠٨.

٥ . مسند الشهاب: ١/٧٦، ح٧٠.

وفائدة الحديث تعريف أمر الحياء وأنّ كلّما يقتضيه ويوجبه خير لا شرّ فيه. وراوي الحديث عمران بن حصين.

قوله صلى الله عليه وآله : المَسْجِدُ بَيْتُ كُلِّ تَقِيٍّ

أصل السجود التطأمن والتذلّل، و«المسجد»: موضع السجود، وأصل هذا البناء إذا كان من فعَل يفعَل أن يكون بالفتح اسماً كان أو مصدراً إلّا أحرفاً لزمت كسر العين كالمسجد والمطلع والمغرب والمسقط والمفرق والمجزر والمسكِن والمرفِق والمنبت والمنسك، فجعلوا الكسر فيهنّ علامةً للاسم، وقد يفتح ، وإذا كان من فعل يفعل فالموضع بالكسر والمصدر بالفتح، فرقاً بينهما، يقول: نزل منزلاً وهذا منزله.

ومعنى الحديث: أنّ المساجد منازل الأتقياء يأوون إليها ويسكنون فيها، حتّى أنّها لكثرة سكّانهم إيّاها كالبيوت التي هي مساكنهم ومساقط رؤوسهم.

٤١

روى *عامر الجهنيّ عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: «مَنْ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ إِلَى المَسْجِدِ، كُتِبَ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا عَشْرُ حَسَنَاتٍ، وَالْقَاعِدُ فِي المَسْجِدِ يَنْتَظِرُ الصَّلاَةَ كَالْقَانِتِ، وَيُكْتَبُ مِنَ المُصَلِّينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى بَيْتِهِ»[١].

وعن أبي أُمامة أنّه قال: «أَشَدُّ النَّاسِ تَكْذِيباً لِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله اليَهُودُ ، فَقَالُوا : يا مُحَمَّدُ! أَيُّ البِقَاعِ خَيْرٌ وَأَيُّ البِقَاعِ شَرٌّ؟ فَسَكَتَ فَقَالَ : أَسْأَلُ صَاحِبِي جِبْرِيلُ ـ فَمَكَثَ ثَلاثاً ـ ثُمَّ جَاءَهُ جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَهُ وَسَأَلَهُ، فَقَالَ : مَا المَسْؤُولُ بِأَعْلَمَ بها مِنْ السَّائِلِ، ولكِنِّي أَسْأَلُ رَبِّي، [فَسَأَلَ رَبَّهُ ، فَقَالَ : إنَّ شَرَّ البِلاَدِ أَسْوَاقُهَا ، وخَيْرُ البِقَاعِ مَسَاجِدُهَا] ثُمَّ هَبَطَ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ! لَقَدْ دَنَوْتُ مِنَ اللهِ عَزَّ وجَلَّ دُنُوّاً مَا دَنَوْتُ مُثْلَهُ قطّ، فَكَانَ بَيْنِي وبَيْنَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ حِجَابٍ مِنْ نُورٍ، [فَقَالَ:] إنَّ شَرَّ بقاعِ الأَرضِ أَسْوَاقُهَا، وخَيْرَ البِقَاعِ المَسَاجِدُ، ثُمَّ جاءه جِبْرِيلُ عليه السلام

١ . الزهد لابن المبارك: ١٣٩/١، ح ٤١٠؛ مسند أحمد: ١٥٩/٤، ح ١٧٤٩٢؛ المعجم الكبير: ٣٠١/١٧، ح ٨٣١.

فقال: يا مُحَمَّدُ! إنَّ للهِ مَلائِكَةً سَيَّاحِينَ في الأَرْضِ، لَيْسُوا بِالحَفَظَةِ الَّذِينَ وُكِّلُوا بِأَعْمَالِهِمْ يَغْدُونَ بألْوِيَةٍ[١] ورَايَاتٍ فَيُرْكِزُونَهَا عَلى أَبْوَابِ المَسَاجِدِ فَيَكْتُبُونَ النَّاس عَلى قدر مَنَازِلِهِمْ أَوَّلَ دَاخِلٍ وآخِرَ خَارِجٍ»[٢].

وسئل ابن عبّاس عن النوم في المسجد: «أمّا أَنْ يَتَّخِذَهُ [مَبِيتاً أو] مَقِيلاً فَلَا، وأمّا أَنْ يَسْتَرِيحَ إليه ساعةً فَلَا بَأْسَ»[٣].

وإذا كانت المساجد بيوت الأتقياء فالواجب أن لا يجري فيها ما لا يشبه أفعالهم وأقوالهم، وأن تنزّه عن المباحات فضلاً عن الفواحش والغيبة والبهتان واللغو والهذَر والتوزيعات والتقسيطات على الناس.

وروي: أنّ رجلاً كلّم خالد بن أيّوب وهو في المسجد فقام وأخرج رأسه من المسجد وأجابه.[٤]

وفائدة الحديث التنويه بذكر المساجد والترغيب في الأويّ إليها والعبادة فيها. وراوي الحديث أبو الدرداء، وروى أنّه كتب إلى سلمان: «أَمَّا بَعْدُ يَا أَخِي! فَاغْتَنِمْ صِحَّتَكَ [قَبْلَ سَقَمِكَ]، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ بِكَ مِنَ الْبَلايا[٥] مَا لا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ رَدَّهُ، وَيَا أَخِي! اغْتَنِمْ دَعْوَةَ الْمُؤْمِنِ [الْمُبْتَلَى، وَيَا أَخِي! وَلْيَكُنِ الْمَسْجِدُ بَيْتَكَ]، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ يَقُولُ: الْمَسْجِدُ بَيْتُ كُلِّ تَقِيٍّ»[٦].

---

١. جمع اللواء.

٢. جامع الأحاديث: ١١٧/١٢، ح٢٣٩؛ كنز العمّال: ٥٧/٤، ح٩٩٠٤.

٣. مصنّف ابن أبي شيبة: ٤٢٧/١، ح٤٩١٥.

٤. لم أقف على مصدره.

٥. كذا في خ، وفي المصدر: البلاء.

٦. مسند الشهاب: ٧٧/١، ح٧٢.

قوله صلى الله عليه وآله: آفَةُ الْعِلْمِ النِّسْيَانُ وَآفَةُ الْحَدِيثِ الْكَذِبُ وَآفَةُ الْحِلْمِ السَّفَهُ وَآفَةُ الْعِبَادَةِ الْفَتْرَةُ وَآفَةُ الشَّجَاعَةِ الْبَغْيُ وَآفَةُ السَّمَاحَةِ الْمَنُّ وَآفَةُ الْجَمَالِ الْخُيَلاءُ وَآفَةُ الْحَسَبِ الْفَخْرُ وَآفَةُ التَظَّرّفِ الصَّلَفُ وآفَةُ الْجُودِ السَّرَفُ وَآفَةُ الدِّينِ الهَوَى

٤٢

*لم يكن في نسخة القاضي قوله عليه السلام: «آفَةُ الحَدِيثِ الكِذْبُ وَآفَةُ الظُّرْفِ الصَّلَفُ، وَآفَةُ الجُودِ السَّرَفُ، وَآفَةُ الدِّينِ الهَوَى». «الآفة»: الفساد والعاهة، وأصل الكلمة أوفة يقال: أيف الزرع آف فهو مؤوف مثل معوف . و«العلم»: إدراك الشيء محقّقاً وحدّوه بما اقتضى سكون النفس. و«النسيان»: سهو يطرئ على الضروريّ منه. و«الحديث»: الخبر قليلاً كان أو كثيراً وجمعه أحاديث على غير قياس. وقال الفرّاء: «نُرى[1] أنّ واحد الأحاديث أحدوثة، إلّا أنّه صار جمعاً للحديث»[2]. و«الكذب»: أن يكون الخبر بخلاف ما المخبَر عنه عليه . و«الحلم»: ضبط النفس عن سورة الغضب وجمعه أحلام، وقد يعبّر به عن العقل. و«السفه»: الخفّة والطيش وزمام سفه شديد الاضطراب، يقال: سفه سفهاً وسفِه سفاهةً وسفاهاً، وسفه نفسَه أصله سفهت نفسُه فلمّا صرف الفعل إلى الرجل انتصب ما بعده بوقوع الفعل عليه لأنّه في معنى سفُه. و«العبادة»: غاية الخضوع، ولا تصلح إلّا للمنعم بأصول النعم. و«الفترة»: الكسل. و«الشجاعة»: ربط الجأش عند البأس، وقد شجُع يشجع شجاعة فهو شجاع . و«البغي»: تجاوز الاقتصاد في الطلب، ويجعل عبارة عن الظلم والاستطالة. و«السماح» و«السماحة»: الجود، يقال: سمح له بكذا وما كان سمحاً ولقد سمح. و«المنّ»: المنّة وهو ذكر ما أحسنتَ به إلى غيرك تشبّعاً وتبجّحاً. و«الجمال»: الحسن، وقد جمل. و«الخيلاء»: الكبر، وقد تكسر الخاء منه. و«الحسب» قد تقدّم القول فيه، وهو ما يُعدّ من مفاخرة الآباء ،

---

١ . كذا في المصادر، وفي خ غير واضح.

٢ . راجع: الصحاح: ٢٧٨/١؛ لسان العرب: ١٣٣/٢.

و«الفخر»: المباهاة، و«الظرف»: الكياسة، وقد ظُرِفَ ظرافةً. و«الصلف»: قلّة الخير، وسحاب صلف: قليل الماء . وفي المثل : «ربّ صلف تحت الراعدة»[١] يضرب للرجل يتوعّد بما لا يكون منه. و«الجود»: السخاء و«السرف»: تجاوز القصد، و«الدين»: الطاعة، وعبّر به عن الانقياد للشريعة. و«الهوى»: ميل النفس إلى جانب الشهوات .

ومعنى هذه الأحاديث نهي العالم عن التغافل والتكاسل [و]ميل النفس عن[٢] العلم والمحافظة عليه والتدريس له، ونهي المحدّث عن الكذب الذي يذهب برونق حديثه ويرغّب الناس عنه فضلاً عمّا يستحقّه من الذمّ ويستوجبه من العقوبة، ونهي الحليم عن السفه والسفاهة *التي ترجع على حمله بالنقص، ونهي المتعبّد عن التواني والفتور في العبادة، ونهي الشجاع عن البغي الذي تعارف الناس أنّ مرتعه وخيم وأنّ صاحبه لا يكاد يظفر، ونهي الجواد عن المنّ الذي يكدّر عطيّته ويهدم صنيعته ويبطل صدقته، ونهي الجميل عن التكبّر الذي يشين جماله وينقص كماله، ونهي الحسيب عن الاستطالة والتفاخر الذي يضع الرفيع؛ وكفاك مانعاً من الافتخار قوله عليه السلام: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلَا فَخْرَ»[٣]، ومعناه: أنّي لا أذكر ذلك على سبيل الافتخار والمباراة وإلّا فأيّ مظنّة فخر فوق سيادة ولد آدم، ونهي الظريف عن ادّخار ما يقدر عليه من الخير على الناس، ونهي الموسِع عن الإسراف والتبذير الذي يُسرع في ماله ويفتّ في عضد[٤] حاله، ونهي المتديّن عن اتّباع الهوى فيما يتخيّل له ويتصوّر من الباطل بصورة الحقّ عنده.

٤٣

وفائدة الأحاديث التقدّم بالنصيحة الشافية والموعظة الكافية والأمر بالمحافظة على العلم

---

١ . راجع: جمهرة الأمثال: ٤٨٧/١، مثل ٨٦٩؛ مجمع الأمثال: ٢٩٤/١.

٢ . كذا في خ، ولعلّ الصواب: إلى.

٣ . الأمالي للصدوق: ٢٥٥؛ بحار الأنوار: ٢٩٤/٩، ح ٥؛ وراجع: سنن ابن ماجه: ١٤٤٠/٢، ح ٤٣٠٨؛ مسند أبي يعلى: ٢٨١/٧، ح ٤٣٠٥.

٤ . يوهن قوّته.

وملازمة الصدق وضبط النفس والإقبال على العبادة وفطام النفس عن رضاع البغي والاستطالة وتجنّب المنّ والتكبّر والتفاخر وادّخار الخير والشرف واتّباع الهوى المضلّ. وراويها جعفر بن محمّد الصادق عن أبيه عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام عن النبيّ صلى الله عليه وآله في وصيّته إليه.

قوله صلى الله عليه وآله: السَّعِيدُ مَن وَعَظَ بِغَيرِهِ وَالشَّقِيُّ مَن شَقِيَ في بَطنِ أُمِّهِ

«السعادة»: الفيض الإلهيّ للإنسان وإعانته له على درك الخير، وقد سَعد يَسعَد سعادةً فهو سعيد، مثل سَلم سلامةً فهو سليم، وسُعد فهو مسعود. و«الوعظ»: الزجر مع ضرب من التحذير، وقال الخليل رحمه الله: «هو التذكير بما يَرِقّ له القلب من الخير»[١]. و«الشقاوة» ضدّ السعادة ، وقد شقي شِقوةً وشقاوةً، وكسر الشين في الشقاوة لغة وإنّما لم تقلب الواو في الشقاوة همزةً لأنّه بني على التأنيث في أوّل وضعه، ومثل ذلك «النهاية»، فلم تكن الواو والياء حرفي إعراب ولو كان قد بني على التذكير في أوّل الوضع لكان مهموزاً كالصلاءة والعباءة والغطاءة، لأنّها ما أعلّ أوّلاً ثمّ أدخلت الهاء عليه.

٤٤ يقول صلى الله عليه وآله: «إنّ السعيد هو الذي ينظر في أحوال غيره من أمثاله فيتحرّى لنفسه ما يستحسنه منها ويتجنّب ما لا يرتضيه، فإنّ غيره كالمرآة له ينظر فيها فتؤدّي إليه حقيقة ما يريد أن يقف عليه، وتصوّر فيها ما يريد أن يحقّقه، وفيه ما يريد أن يتحقّقه، وفيه أنّه إذا رآى غيره قد ارتكب ما جرّ عليه وبالاً في أمر دينه أو دنياه اعتبر به ونصح نفسه وردعها عن ارتكاب مثله، فكأنّه واعظ له وعظه فنجعت فيه موعظته، وزاجر أخذه بزجره فسعد بقبوله سعادةً تامّة، وسلم بمكانه سلامةً كاملةً عامّةً .

والشقيّ من سبق في علم الله تعالى شقاؤه إذ هو في بطن أمّه .

---

١ . راجع: المفردات: ٥٢٧.

وقيل: ذلك لا تأثير لعلم الله تعالى في سعادته وشقاوته، بل هو يعلم الأشياء بحقائقها كما هي، إذ هو عالم لذاته من غير اعتبار علم، فلا يتعدّد علمه مترتّباً على العلوم كالحال فينا .

وقد روي عنه عليه السلام : «السعيدُ مَن سَعِدَ بِعَمَلِهِ وَالشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ بِعَمَلِهِ»[١] .

وقيل: إنّ المعنى بالأمّ هاهنا الأرض، يعني أنّ الشقيّ من خرج من الدنيا ولم يتب فيغفر له. وهذا وجهٌ. وقد عبّروا عن الأرض بالأمّ كثيراً ؛ قال الشاعر:

ووالدة أولادها عدد الحصا ... وما مسّها فحل وما أزلها بعل

وتحملهم رفقاً بهم فوق ظهرها ... طوال الليالي لا تملّ وإن ملّوا

تجاريهم عن الفطام بردّهم ... إلى بطنها حتّى كأنّهم أكل[٢]

وفائدة الحديث الأمر بالاعتبار والانزجار، وإعلام أنّ الله تعالى قد أحاط علماً بالشقيّ والسعيد فلينظر المرء لنفسه، وما أقدره أن يمحو اسمه من صحيفة الأشقياء ويثبته في جريدة السعداء، ولا يتّكل على أنّه إن كان الله تعالى يعلم أنّه سعيد فهو سعيد، وبالضدّ فإنّ الشقيّ إذا انتقل سعيداً كان في سابق علم الله تعالى أنّه سينصل[٣] ممّا يحكم عليه بالشقاوة وينسلخ منه ويصير سعيداً، فعلم الله على ما كان عليه، وهذا واضح والحمد لله. وراوي الحديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله يخطبنا ويقول ذلك»[٤] .

قوله صلى الله عليه وآله : كفّارةُ الذَّنْبِ النَّدَامَةُ

«الكفّارة»: ما يُغطّي على الإثم ويستره حتّى كأنّه لم يكن، وأصل الكفر الستر، ومنه سمّي الليل كافراً والأكّار[٥] كافراً يقال: كفّر عن يمينه.

---

١ . راجع: التفسير الكبير: ٥٠/١٨.

٢ . لم أقف على مصدره.

٣ . سيخرج.

٤ . مسند الشهاب: ٨٠/١، ح٧٦.

٥ . الحرّاث والزارع.

وهذا الحـديث كـالذي مضى قبل: «الندم توبة»، يقولﷺ: إنّ كفّارة الذنب التي تجبر كسره وتغطّيه *بل تمحوه وتفنيه، هي الندامة؛ وإنّما جعل الندامة كفّارةً للذنب لأنّها أوّل درجات التوبة والركن الوثيق من أركانها التي لا تصحّ من دونها ولا تثبت بسواها.

٤٥

وفائدة الحديث الأمر بالندامة على ما يتّفق من الذنوب والنهي عن الإصرار عليه .

وراوي الحديث ابن عبّاس.

قولهﷺ : الجُمُعَةُ حَجُّ المَسَاكِينَ

«الحجّ» هو القصد، وقد خصّه تعارف الشرع بالقصد إلى بيت الله تعالى لأداء النسك، والحِجّ ـ بالكسر ـ هو الاسم والمرّة الواحدة حجّة ـ بالكسر ـ وهو من الشواذّ . و«المسكين»: الفقير، يقال: تسكّن الرجل وتَمَسْكَنَ اشتقاقاً من صورة اللفظ، كما قالوا: تدرّع وتَمَدْرَعَ وتَنَطّق وتَمَنْطَقَ.

وقال يونس بن حبيب : المسكين أشدّ حالاً من الفقير قال: وقلتُ لأعرابيّ أفقير أنت؟ فقال: لا والله! بل مسكين.[١]

وفي الحديث: ليس المسكين الذي رُدّه اللقمة واللقمتان، وإنّما المسكين الذي لا يسأل ولا يُفطن له فيعطى.[٢]

وقيل: الفقير الذي ليس له بلغة من العيش. وأسند بقول الراعي:

أمَّـا الفَـقِيرُ الذي كـانَتْ حَـلُوبَتُهُ وَفْـقَ العِـيَالِ فـلم يُـتْرَكْ له سَـبَدُ[٣]

والمسكين الذي لا شيء له أصلاً، ويردّ ذلك قوله تعالى: «أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ

---

١ . راجع: غريب الحديث لابن قتيبة: ١/١٩١؛ الزاهر في معاني كلمات الناس: ١/١٢٧؛ تهذيب اللغة: ٩/١٠٣.

٢ . راجع: مسند أحمد: ١/٣٨٤، ح٣٦٣٦؛ صحيح البخاري: ٢/٥٣٨، ح١٤٠٩.

٣ . غريب الحديث لابن قتيبة: ١/١٩١؛ أدب الكاتب: ٢٩ـ٣٠؛ مقاييس اللغة: ٤/٤٤٤.

يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ»[١]، ويقال للمرأة مسكينة تشبيهاً بالفقير وإلّا فالشرط في باب مفعيل أن لا تلحق الهاء به صفةً للمؤنّث وكذلك مَفعال .

بيّن صلى الله عليه وآله أنّ ثواب حضور المساكين الجوامع إقامةً للجمعة ثواب حجّ الأغنياء، ولئن لم يقدروا على الزاد والراحلة وقعدت بهم الاستطاعة فلقد قرّب الله تعالى عليهم المسافة وكفاهم المؤون الثقيلة وأفاض عليهم من رحمته ما يوازي ثواب الحجّاج . وفيه تطييب لقلوب الفقراء والعاجزين عن القيام بأمور الحاجّ .

وفائدة الحديث الحثّ على إقامة الجمعات والترغيب فيها، وتسلية قلوب الفقراء والمساكين عن التحرّق على فقدان الأموال والتحسّر عليها. وراوي الحديث عبد الله بن عبّاس.

قوله صلى الله عليه وآله : الْحَجُّ جِهَادُ كُلِّ ضَعِيفٍ وَجِهَادُ الْمَرْأَةِ حُسْنُ التَّبَعُّلِ

«الجهاد»: قِتال العدوّ، وأصله من جهد الرجل في كذا إذا جَدّ فيه وبالغ، والاجتهاد والتجاهد: أخذ النفس ببذل الوسع والطاقة. والجهد: الطاقة، والجهد: المشقّة. والجهاد على ثلاثة أضرب: جهاد ❊العدوّ المجاهر، وجهاد الشيطان، وجهاد النفس؛ وقوله تعالى: «وَجَاهِدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ»[٢]، يجمع ذلك كلّه. ٤٦

وقال النبيّ صلى الله عليه وآله : «جَاهِدُوا أَهْوَائَكُمْ كَمَا تُجَاهِدُونَ أَعْدَائَكُمْ»[٣].

و«التبعّل»: حسن قيام أحد البعلين بمصالح الآخر، والبعل: الزوج، والبعل والبعلة: الزوجة، والبعال: ملاعبة الرجل أهله وحسن معاشرته لها، ويقال له التبعّل أيضاً.

---

١ . الكهف: ٧٩.

٢ . الحجّ: ٧٨.

٣ . راجع: المفردات: ١٠١؛ شرح نهج البلاغة: ١٦٨/٢٠؛ زهر الأكم: ١٨٣.

أراد ﷺ: أنّ الحجّ قائم مقام الجهاد للضعفاء الذين لا يستطيعون مباشرة القتال ومقاساة الحروب ومزاولة الوقايع بأنفسهم وأنّ الله تعالى يثيبهم على ما يتحمّلونه من الكُلَف[١] والمشاقّ في القصد إلى بيت الله تعالى مثل ثواب المجاهدين الذين يغمسون أبدانهم في غمار الحرب وحرّ القراع.

وفيه بيان أنّ جهاد كلّ أحد على حدّ ما ينتهي إليه مكنته وقدر ما تقوم به قدرته، فجهاد الضعيف الحجّ وجهاد المرأة حسن المعاشرة لزوجها[٢] بحفظ فراشه وتحسين الأخلاق له والابتذال في خدمته وتولّي ذلك بنفسها.

وفائدة الحديث الحثّ على الحجّ وإعلام أنّ ثوابه مثل ثواب الجهاد، والأمر بحسن معاشرة المرأة لزوجها والقيام بخدمته وبيان أنّ ذلك جهادها. وراوي الحديث عبد الله بن عبّاس رضي الله عنه.

قوله ﷺ: طَلَبُ الحَلالِ جِهَادٌ

«الحلال»: المباح الذي لم يحظر الشرع. وقيل في اشتقاقه: إنّه من الحلّ الذي هو ضدّ العقد.

يعني ﷺ أنّ في طلب الحلال الطلق الذي لا يشوبه شوائب الحرام مشقّةً عظيمةً وكلفةً صعبةً ومجاهدةً بليغةً، فإذا قام العبد بمواجبه أثابه الله تعالى ثواب المجاهدين، وكفاك في الحثّ على ذلك قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ»[٣]. وأوّل ذلك معرفة الحلال عن الحرام ثمّ

---

١. التكاليف.

٢. في خ: زوجها.

٣. البقرة: ٢٧٤.

طلبه، ولن يوصل إلى معرفته إلّا بعد مزاولة التعلّم واحتمال المشقّة في تحصيل المعرفة به، فإذا علم ذلك جاهد نفسه في طلب الحلال وتجنّب الحرام.

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه كان يقول: «مَنِ اتَّجَرَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ارْتَطَمَ فِي الرِّبَا ثُمَّ ارْتَطَمَ»[١]. وكان يقول عليه السلام: «التَّاجِرُ فَاجِرٌ، وَالْفَاجِرُ فِي النَّارِ، إلَّا مَنْ أَخَذَ الْحَقَّ وَأَعْطَى الْحَقَّ»[٢].

٤٧

وكان يقول عليه السلام: «مَعَاشِرَ النَّاسِ! الْفِقْهَ ثُمَّ الْمَتْجَرَ فَوَ اللهِ لَلرِّبَا فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ عَلَى الصَّفَا»[٣].

وقال الصادق عليه السلام: «مَنْ أَرَادَ التِّجَارَةَ فَلْيَتَفَقَّهْ فِي الدينِ لِيَعْلَمَ بِذَلِكَ مَا يَحِلُّ لَهُ مِمَّا يَحْرُمُ عَلَيْهِ وَمَنْ لَمْ يَتَفَقَّهْ فِي دِينِهِ ثُمَّ اتَّجَرَ تَوَرَّطَ الشُّبُهَاتِ»[٤].

وقيل لمحمّد بن الحسن الشيباني: «هلّا ألّفت في الزهد كما ألّفت في الأحكام كتباً؟ قال: قد فعلت، قيل: وما هو؟ قال: كتاب البيوع فإنّ فيه معرفة الجائز من البياعات والفاسد منها، ومن فصّل بينهما ومال إلى الجائز دون الفاسد فقد طلب الحلال، ومن طلب الحلال فهو زاهد»[٥].

وفائدة الحديث الأمر بطلب الحلال وتجنّب الحرام والشبهات، وإعلام أنّ ثواب المتحرّي لذلك ثواب المجاهدين الذين يُعرضون أنفسهم للبلايا ويتساقون كأس المنايا. وراوي الحديث عبد الله بن عبّاس.

---

١. الكافي: ١٥٤/٥، ح٢٣.

٢. الكافي: ١٥٠/٥، ح١؛ من لا يحضره الفقيه: ١٩٥/٣، ح٣٧٣١.

٣. المصدرين.

٤. المقنعة: ٥٩١؛ وسائل الشيعة: ٣٨٢/١٧، ح٢٢٧٩٧.

٥. راجع: الحاي الكبير: ١١/٥.

قوله صلّى الله عليه وآله: مَوْتُ الْغَرِيبِ شَهَادَةٌ

هذا الحديث لم يكن في نسخة القاضي.

«الغريب»: المتباعد، واشتقاقه من غرب أي بعد، وكلّ شيء فقد مثله في جنسه فهو غريب، وعلى ذلك قوله عليه السلام: «الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً»[١]؛ وقيل للعلماء غرباء لقلّتهم فيما بين الناس. و«الشهادة» معناها شهود الملائكة المحتضر، أي حضورها إيّاه وبشارتها له بالمغفرة، كما قال تعالى: «تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ»[٢].

بيّن عليه السلام أنّ ثواب المؤمنين الذين يقبضون في الغربة ثواب الشهداء الذين استشهدوا دون دينهم واشتروا الجنّة بأنفسهم وأموالهم، ولعمري أنّه كما قال عليه السلام: فإنّ النازح عن وطنه الغريب عن مسكنه البعيد عن معارفه وأحبّائه وأولاده وأقربائه إذا احتضر في دار الغربة ومحلّ الثاني عن أولي القربة يتصفّح وجوه حاضريه، فلا يرى من يسكن إليه أو يعوّل عليه، هذا إذا حضروه وإن كانت الأخرى فهو من المنتبذين[٣] في دكّة رباط أو صحن مسجد أو زاوية خان ينظر فلا يرى أحداً يوعيه أو يستأمن إليه أو يستأنس إلى [من] يحفيه أو يستعين به في شربة ماء يسقيه لَقريبٌ من رحمة الله تعالى التي وسعت كلّ شيء.

وروي: «مَنْ مَاتَ غَرِيباً مَاتَ شَهِيداً»[٤].

وذكر في هذا الحديث أنّه يعني بالغريب المؤمن، إشارة إلى أنّه غريب في الدنيا ووطنه الجنّة.

وروي عنه عليه السلام: المبطون شهيد وصاحب ذات الجنب* شهيد.[٥]

٤٨

---

١. كمال الدين: ٦٦؛ بحار الأنوار: ١٩١/٥٢؛ وراجع: مسند أحمد: ٣٩٨/١، ح ٣٧٨٤؛ سنن الدارمي: ٤٠٢/٢، ح ٢٧٥٥.

٢. فصّلت: ٣٠.

٣. المعتزلين.

٤. مسند الشهاب: ٢٢٧/١، ح ٣٤٩.

٥. مصنّف عبد الرزّاق: ٥٦٢/٣، ح ٦٦٩٥؛ سنن أبي داود: ١٨٨/٣، ح ٣١١١.

وروي عنه عليه السلام: «أنّه لو لم يكن شهيداً إلّا من استشهد بين الصفّين لقلت شهداء أمّته»[١]؛ والوجه الأولى أظهر وأعرف.

وفائدة الحديث إعلام أنّ أعواض المؤمنين الذين متوفّون غرباء كأعواض الشهداء وثوابهم كثوابهم. وراوي الحديث عبد الله بن عبّاس.

قوله صلى الله عليه وآله: الْعِلْمُ لا يَحِلُّ مَنْعُهُ

قريب منه قوله عليه السلام: «مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ يعلمهُ فَكَتَمَهُ، أُلْجِمَ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ»[٢].

أراد صلى الله عليه وآله أنّ العلم ممّا يجب على العالم إفشاؤه وتعليمه وتمكين الناس من الاقتباس منه والاستفادة، وما أقبح البخل.

واعلم أنّ العالم الذي يبخل بعلمه غير عامل بقضيّة العلم، لأنّ العلم لا يُفتى له بذلك ولا يرخّص فيه، بل يأمره ببثّه وعرضه، والعلم أنواع وفنون مهما كان الناس إليه أحوج كان مانعه آثم وأخرج، ويا عجباً ممّن يقرّب نفسه فضيلة التعليم مع إحاطة علمه بما فيه من الثواب الجزيل والذكر الجميل. ثمّ إنّ المتعلّم إذا كتم العلم ونُفِسَ به عليه[٣] وأدّخِر عنه لم يستقرّ به أرض ولا سماء حتّى يُحصّله، وكان أقرب إلى أن يفتح الله عليه أبواباً، وكان منعه إغراؤه به وحثّاً عليه وإلجاءً إليه، ولم يبق في يد الكاتم إلّا سوء المقالة في الدنيا والعذاب في العقبى، ولعمري ما أقول ذلك إلّا عن خُبرة وطول تجربة، وليت شعري، أتكتم شيئاً أوحي إليه وأوثر به دون الناس، كلّا والله، فكم قد تداولته الأيدي وابتدلته الألسن وتناقلته الشفاه ومجّته[٤] الأسماع حتّى وصل إليه، وهو في التجمّل به لابس أخلاق غيره وشارب فضل سواه.

---

١ . لم أقف على مصدره.

٢ . مسند أحمد: ٤٩٥/٢، ح١٠٤٢٥؛ سنن ابن ماجه: ٩٨/١، ح٢٦٦.

٣ . نفس الشيء عليه: حسده عليه ولم يره أهلاً له.

٤ . لفظتْه.

وقال النبيّ صلى الله عليه وآله لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن: «لأَنْ يَهْدِيَ اللهُ عَلَى يَدَيْكَ رَجُلاً واحداً خَيْرٌ لَكَ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ [وَغَرَبَتْ]»[١].

وروي: ما أخذ الله تعالى على الناس أن يتعلّموا حتّى أخذ على العلماء أن يعلّموا.[٢]

وقيل لسفيان: «ألا تجلس فحدّثنا؟ فقال: والله لو علمت أحداً يبتغي العلم لله لحملت العلم إلى منزله»[٣].

وروى أبو سعيد الخدريّ عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «مُعَلِّمُ الْخَيْرِ يَسْتَغْفِرُ له كُلُّ شَيْءٍ حتّى الْحُوتُ في الْبَحْرِ»، و«كاتِمُ الْعِلْمِ يَلْعَنُهُ كُلُّ شَيْءٍ حَتَّى الحُوتُ في الْبَحْر، وَالطَّيْرُ في السَّمَاءِ»[٤].

وللشافعيّ في محمّد بن الحسن:

قل لمن لم تر عين	من رآه مثله
العلم ينهى أهله	أن يمنعوه أهله[٥]

وفائدة الحديث النهي عن كتمان العلم والبخل به. وراوي ❊ الحديث أنس، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أَيُّ شَيْءٍ لا يَحِلُّ مَنْعُهُ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: الْمِلْحُ، وَقَالَ آخَرُ: النَّارُ، فَلَمَّا أَعْيَاهُمْ، قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: [ذَلِكَ] الْعِلْمُ لا يَحِلُّ مَنْعُهُ»[٦].

٤٩

---

١. في المصادر قاله لأمير المؤمنين حين بعثه إلى اليمن؛ راجع: الكافي: ٢٨/٥، ح ٤؛ تهذيب الأحكام: ١٤٢/٦، ح ٢٤٠؛ وراجع: سنن أبي داود: ١٦٠/٢، ح ٣٥٨٢؛ كنز العمّال: ١٠٧/١٣، ح ٣٦٣٥٠.

٢. راجع: الامتاع والمؤانسة: ٤٣٧؛ محاضرات الأدباء: ٦٦/١؛ تفسير القرطبي: ٣٠٥/٤.

٣. لم أقف على مصدره.

٤. راوي فقرة الأولى ابن عبّاس والثانية أبوسعيد الخُدريّ؛ راجع: مصنّف ابن أبي شيبة: ٢٨٤/٥، ح ٢٦١١٣؛ سنن الدارمي: ١١٠/١، ح ٣٤٣؛ وراجع: العلل المتناهية: ٩٩/١، ح ١٢٥؛ كنز العمّال: ٨٣/١٠، ح ٢٨٩٩٧.

٥. أخبار أبي حنيفة: ١٢٧؛ طبقات الفقهاء: ١٤٢؛ تاريخ مدينة دمشق: ٢٩٣/٥١.

٦. مسند الشهاب: ٨٤/١، ح ٨٤.

قولهﷺ : الشَّاهِدُ يَرَى مَا لا يَرَى الْغَائِبُ

شهدت الشيء وحضرته شهوداً وأنا شاهد وقوم شهود أي حضور، وهو في الأصل مصدر شهد والشهادة خبر قاطع، تقول: شهد عليّ كذا وبكذا، والمشاهدة في ذلك شرط إمّا بالبصر أو بالبصيرة، وهذا بناء الكلمة، وبخلافه غبت عنه غيبةً وغياباً وغيوباً ومَغيباً ، وهؤلاء قوم غُيَّب وغُيَّاب وغَيَبٌ، وأصل الغيب الاستتار عن حاسّة البصر.

وتكلّم بهذا الحديث أمير المؤمنينعليه السلام لمّا بعثه رسول اللهﷺ ليقتل ابن عمّ مارية القبطيّة، وكان يختلف إليها ويزورها فتكلّم المنافقون فيها، فقال النبيّﷺ لأمير المؤمنينعليه السلام : خُذْ هذَا السَّيْفَ وَانْطَلِقْ، فَإِنْ وَجَدْتَهُ عِنْدَهَا فَاقْتُلْه، قال: قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ أَكُونُ فِي أَمْرِكَ كَالسكَّةِ المُحَمَّاةِ؟ [لاَ أَرْجِعُ حَتَّى] أَمْضِيَ لِمَا أَمَرْتَنِي ؟ أَمِ الشَّاهِدُ يَرَى مَا لاَ يَرَى الْغَائِبُ ؟ قَالَعليه السلام : بَلِ الشَّاهِدُ يَرَى مَا لاَ يَرَى الْغَائِبُ، قال: فَأَقْبَلْتُ مُتَوَشّحاً السَّيْفَ فَوَجَدْتُهُ عِنْدَهَا، فَاخْتَرَطْتُ السَّيْف، فَلَمَّا [رَآنِي] أَقْبَلْتُ نَحْوَهُ عَرَفَ أَنّي أُرِيدُهُ، فَأَتَى نَخْلَةً، فَرَقِيَ إليها ثُمَّ رَمَى بِنَفْسِهِ عَلى قَفَاهُ، وَشَغَرَ رِجْلِيهِ فَإِذَا أنّه أَجَبُّ أَمْسَحُ، مَا لَهُ ممّا للرجال قَلِيلٌ وَلاَ كَثِيرٌ، فَغَمَدْتُ السَّيْفَ، ورجعتُ إلى النبيّﷺ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ : الْحَمْدُ للهِ الَّذِي صَرَفَ عَنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ»[١].

إن يسأل سائل فقال: كيف يأمر رسول اللهﷺ بالقتل على الظنّ والتهمة من غير حقيقة موجبة لذلك؟ فالجواب: أنّه لم يأمر بقتله اتّهاماً وظنّةً، بل كان قد تقدّم إليه بالامتناع من زيارة مارية وذكر أنّه كان من المعاهدين، والمعاهد إذا خالف كان ناقضاً للعهد وبنقض العهد يستوجب القتل. وفائدة قوله ـ عليه وآله السلام ـ «الشاهد يرى ما لا يرى الغائب» تخيير أمير المؤمنينعليه السلام في قتله والإمساك عنه على ما لا يلوح له من الرأي فيما فوّضه إليه، وكما تحكم به المشاهدة التي تتحقّق بها صورة الحال.

---

١ . الأمالي للسيّد المرتضى: ٥٤/١ـ٥٥؛ شرح مشكل الآثار: ٤٧٣/١٢ـ٤٧٤، ح٤٩٥٣؛ حلية الأولياء: ١٧٧/٣ـ١٧٨؛ كنز العمّال: ١٨٠/٥، ح١٣٥٩٣.

٥٠

وفائدة الحديث على الإطلاق*وبيان أنّ الشاهد للأمر الملابس له واقف من حقائقه ومكاسره على ما لا[١] ربّما يخفى على من لا يشاهده ولا يلابسه. وراوي الحديث أنس بن مالك.

قوله ﷺ: الدَّالُّ عَلَى الْخَيْرِ كَفَاعِلِهِ

الدلالة ما يوصلك إلى معرفة الشيء كدلالة اللفظ على المعنى ودلالة الدليل على المدلول، والدليل هو الهادي إلى الطريق، يقال: دلّ يدلّ دِلالةً ودَلالةً بالفتح أفصح ودَلولةً أيضاً، والدليل والخير هو ما يُرغب فيه، وخرتَ يا رجل وخار الله لك .

وفحوى هذا الحديث: أنّ الدالّ على الخير أحد الخيّرين، لأنّه إن لم يكن سبباً للخير بنفسه كان سبباً له بواسطة.

وروى ابن مسعود قال: «جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: احْمِلْنِي، فَقال: مَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكَ عَلَيْهِ، وَلَكِنْ ائْتِ فُلَاناً فَلَعَلَّهُ يَحْمِلُكَ، فَأَتَاهُ فَحَمَلَهُ، ، فَقَالَ عليه السلام: مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ»[٢].

ويأخذه مأخذه قول الشاعر:

وإذا امْرُؤ أسْدَى إلَيْكَ صَنِيْعَةً   مِنْ جَاهِهِ فَكَأَنَّهَا مِنْ مَالِهِ[٣]

وفائدة الحديث الحثّ على الدلالة على الخير إذ[ا] لم يمكن فعله، لأنّ الدلالة على الخير أحد الخيّرين سواء كان ذلك الخير دينيّاً أو دنياويّاً. وراوي هذا الحديث في مسند القاضي أبو مسعود الأنصاريّ.

---

١ . كذا في خ.

٢ . راجع: مسند الطيالسي: ٨٥، ح ٦١١؛ مصنّف عبد الرزّاق: ١٠٧/١١، ح ٢٠٠٥٤؛ صحيح مسلم: ١٥٠٦/٣، ح ١٨٩٣.

٣ . قاله أبو تمام، راجع: الأغاني: ٤١٨/١٦؛ التمثيل والمحاضرة: ٢٣/١؛ ديوانه: ٥٩.

قوله صلى الله عليه وآله: سَاقِي الْقَوْمِ آخِرُهُمْ شُرْباً

هذا من مكارم الأخلاق التي كان صلى الله عليه وآله لا يزال يأخذ بها أصحابه ويتقدّم بها إليهم ويكرّرها عليهم، والأدب في ذلك أنّ الساقي للقوم وهم عطاش مجهودون إذا ابتدأ بنفسه دلّ على جشعة وقلّة مبالاته بأصحابه الذين ائتمن عليهم وجعل ملاك أرواحهم وقوام أبدانهم وآدابهم بيده وأمر الماء عندهم شديد، فإنّ كثيراً ما يقتحمون البوادي ويعرضون أنفسهم للفح الهجائر[١] ووَقَدان الظهائر[٢] ويفتخرون بذلك ويتجلّدون عليه ويذكّرونه في مفاخراتهم، وإذا كان كذلك أدّت الحال إلى تقاسم الماء[٣] بينهم بالمَقْلَة ـ وهي حَجَر القسم ـ.

وقد قيل: الماء أهون موجود وأعزّ مفقود.[٤]

وفائدة الحديث الحثّ على الأخذ بالأكرم من الأفعال والتباعد عمّا يجلو[٥] الإنسان في معرض الأنذال[٦] ولباس الأرذال[٧]. وراوي الحديث المغيرة.

قوله صلى الله عليه وآله: كُلُّ مَعرُوفٍ صَدَقَةٌ

٥١

❊المعرفة والعرفان الإحاطة بالشيء مع تفكّر وتدبّر، وهو أخصّ من العلم، وفي خلافه الإنكار، ويقال: عرفت الله ولا يقال: علمت الله، لأنّ علم ذلك يحتاج إلى استدلال وتفكّر والله تعالى يعلم ذلك، ولا يقال: يعرف، وقيل: هو مشتقّ من عرفتُه أي أصبتُ عَرْفَه ورائحته

---

١. كذا في البحار، وفي خ: الماء.

٢. اللفْح: الحَرّ؛ والهجائر: جمع الهجيرة وهي نصف النهار عند اشتداد الحرّ؛ والوقدان: الاشتعال؛ والظهائر: جمع الظهيرة وهي الظهر، ساعة زوال الشمس.

٣. كذا في البحار، وفي خ: المال.

٤. المجالسة وجواهر العلم: ٣٣٧، ح ١٩٨٢؛ ميزان العمل: ٧٨.

٥. في البحار: يجعل.

٦. جمع النذل والنذيل وهو الحقير.

٧. في خ: والناس والأرذال.

أو عَرْفه وهو خدّه،[١] ولمّا كان الخير له صلاحيّة أن يعرف فيرغب في فعله سمّي المعروف وبالعكس منه المنكر، فمدح الله تعالى أمّة نبيّنا صلى الله عليه وآله فقال: «تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ»[٢]، والمعروف ما يعرف حسنه بالعقل والشرع، وكذلك العُرف وخلافه المنكر والنكر، ويعبّر بالمعروف والعرف عن الإحسان، ومن ذلك يقال للاقتصاد في الجود: معروف، لمّا كان مستحسناً عقلاً وشرعاً، قال الله تعالى: «وَمَنْ كَانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ»[٣]، والاعتراف: الإقرار وأصله إظهار معرفة الجريمة وهو بخلاف الجحود. و«الصدقة» ما يطهّر الإنسان به ماله متقرّباً إلى الله تعالى صادقاً فيما يفعله مصدّقاً به، وأكثر ما يستعمل الصدقة في التطوّع، والزكاة في الواجب.

ومعنى الحديث ـ والله أعلم ـ: أنّ كلّما يتقرّب به العبد إلى الله تعالى، من المعروف والخير صغيراً كان أو كبيراً كائناً ما كان، إذا قصد به وجهه وصدقت به نيّته وقع أجره على الله تعالى وقوع أجر الصدقة، لأنّه في كلي الفعلين متجرّ جهة التقرّب.

وقد جاء في الحديث: إنّ أدنى المعروف إماطة الأذى عن طريق الناس.[٤]

وقال عليه السلام: «إِنَّكُمْ لَنْ تَسَعُوا النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ فَسَعُوهُمْ بِبَسْطِ الْوَجْهِ وَحُسْنِ الْخُلُقِ»[٥].

وفائدة الحديث الترغيب في فعل الخير من دون أن يستصغر ويستهان به، فإنّه لا يدري أيّ صغير يقع موقع القبول من الله تعالى. وراوي الحديث جابر بن عبد الله الأنصاري.

---

١ . راجع: المفردات: ٣٣١.

٢ . آل عمران: ١١٠.

٣ . النساء: ٦.

٤ . راجع: صحيح مسلم: ٦٣/١، ح٣٥؛ سنن ابن ماجه: ٢٢/١، ح٥٧؛ في المصادر: «الإيمان بضع وستّون أو سبعون باباً أدناها ... ».

٥ . كتاب الزهد لابن سعيد الكوفي: ٢٨، ح٦٩؛ وراجع: مصنّف ابن أبي شيبة: ٢١٢/٥، ح٢٥٣٣٣؛ المستدرك: ٢١٢/١، ح٤٢٧.

قوله صلى الله عليه وآله: مُدَارَاةُ النَّاسِ صَدَقَةٌ

مداراة الناس التي هي ملاينتهم ومعاشرتهم وحسن مداراتهم، يجوز همزها وترك همزها، فإذا هُمِزَ كان أصله من الدرء الدفع يقال: درأت عنه أي دفعت، وفلان ذو تدرئ إذا كان قويّاً على دفع أعدائه، ومنه «كوكب درّيّ» لتلألؤه . ومن عاشر الناس فلاينهم وعايشهم بالمعروف فكأنّه دافعهم بالأجمل الأحسن، كما قال تعالى: «ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ» [١]؛ وإذا ترك همزه لم يخل من أحد وجهين: إمّا أن يكون على وجه *التخفيف للهمزة، أو يكون من درى من قولهم: تدريته وأدريته، أي خَتَلتُه [٢] لأنّه إذا دفع شرّهم بحسن المعايشة فكأنّه ختلهم واستنزلهم عن الخطيئة المكروهة بحسن المسّ ولين الحسّ.

٥٢

وإنّما صارت مداراة الناس صدقة لوجوه: منها: أنّ المداري يحتمل السفه فيستحقّ باحتماله مثل ثواب الصدقة . والثاني: أنّه إذا دارى الناس تصديقاً بما وعد الله في ذلك استحقّ ثواب التصديق وكذلك كلّ ما يتصدّق به من الأوامر والنواهي، وكأنّه تفصيل للحديث الذي قبله. والثالث: أنّه إذا سمع المكروه مثلاً فعفى واستصلح كان قد تصدّق بأعزّ الأشياء عليه نفسه وكان من باب قوله عليه السلام: «أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ كَأَبِي ضَمْضَمٍ كَانَ إِذَا أَصْبَحَ، يقولُ: اللهُمَّ إِنِّي قَدْ تَصَدَّقْتُ بِعِرْضِي عَلَى عِبَادِكَ» [٣] إن أسمعوني لم أسمعهم وإن ظلموني لم أظلمهم.

وقال بعض المتأخّرين:

إنّ تـرمِك الدهـر إلى مـعشرٍ	تـوافـقوا فـيك عـلى بـغضهم
فـدارهـم مـا دمت في دارهـم	وأرضـهم مـا دمت في أرضـهم [٤]

١ . المؤمنون: ٩٦.

٢ . في خ: خليلته.

٣ . الأمالي للسيّد المرتضى: ٨٥/٣؛ وراجع: سنن أبي داود: ٢٧٢/٤، ح٤٨٨٧؛ مسند البزار: ٣٠٢/١٣، ح٦٨٩٢.

٤ . قاله أبو الفتح البستيّ وغيره؛ راجع: المنازل والديار لابن منقذ: ١٨٨؛ وراجع: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: ١٧٢/٧؛ خريدة القصر: ٢٨٩/١٣.

وفائدة الحديث الحثّ على مداراة الناس والتجاوز عن سيّئاتهم والصفح عن زلّاتهم والستر على قبيحهم والإذاعة لحسنهم والبشاشة في وجوههم ومساعدتهم على ما يقدر العاقل عليه والتغافل عن بعض ما يفتي العقل أو الشرع بالتغافل عنه.

فقد روي عن الباقر عليه السلام: يا بنيّ! معايشة الناس مكيال: ثلثاه التغافل، وثلثه الفطنة والامتناع من مناقشتهم ومؤاخذتهم بكلّ حقّ وباطل.[1] وراوي الحديث جابر الأنصاري.

قوله صلى الله عليه وآله: الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ

الكلمة الجملة المفيدة هاهنا وعند أهل اللسان تقع الكلمة على كلّ جزء من الكلام اسماً كان أو فعلاً أو حرفاً، ولذلك قال أميرهم[2]: هذا باب علم ما الكلم من العربيّة، ولم يقل الكلام لأنّه أراد الثلاثة الأشياء. و«الطيّب»: ما تستلذّه الحواسّ، وإنّما قيل للمتناول من حلّه طيّب لأنّ عاقبته غير مستوخمة ومغبّته[3] غير مستوبلة، وليس كذلك الملاذّ[4] المحرّمة لأنّها وإن طابت عاجلاً لم تطب آجلاً، فهي في الحقيقة غير ملذّة، كما قال: لا خير في لذّة بعدها النار.[5] والكلمة الطيّبة يرضى بها السائل إذا لوطف بها، وقد ورد الشرع بإعطاء السائل أو ردّه بالكلام الجميل. ولا يختصّ الكلمة الطيّبة بهذا ٥٣ الموضع بل في جميع المواطن كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «مَنْ عَذُبَ لِسَانُهُ كَثُرَ إخْوَانُهُ»[6]. والمعنى: أنّ الله تعالى يثيب بالكلمة الطيّبة ثواب الصدقة، أو تكون الكلمة الطيّبة صدقة أخلاقه الحسنة.

---

١. راجع: تحف العقول: ٣٥٩، فيه عن الصادق عليه السلام؛ كفاية الأثر: ٢٤٠م فيه عن السجّاد عليه السلام؛ بحار الأنوار: ٧٥: ٢٤١.

٢. سيبويه، راجع: الكتاب: ١٢/١.

٣. عاقبته وآخره.

٤. جمع الملذّة وهي الشهوة.

٥. راجع: الأمالي في لغة العرب: ٢٢/٢؛ الغرباء: ٦٨؛ حلية الأولياء: ٢٢١/٧.

٦. عيون الحكم والمواعظ: ٤٢٤؛ شرح مأة كلمة لأمير المؤمنين: ٩٠؛ وراجع: الإعجاز والإيجاز: ٢٨.

وفائدة الحديث الحثّ على تحسين الأخلاق وإطابة الكلام وتجنّب ما يستهجن منه. وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: «لِسَانُكَ يَقْتَضِيكَ مَا عَوَّدْتَهُ»[١]. وراوي هذا الحديث أبو هريرة.

قوله صلى الله عليه وآله: مَا وَقَى بِهِ الْمَرْءُ عِرْضَهُ كُتِبَ لَهُ بِهِ صَدَقَةً

«الوِقاية»: حفظ الشيء ممّا يخاف أن يضرّه، يقال: وقيت الشيء وقايةً، والوِقاية ما يحفظ به الشيء وربّما يقال له وَقاية؛ ومنه التقوى، وهي في عرف الشرع حفظ النفس ممّا يؤثم. و«العرض» يُستعمل في معنى الجسد، وفي صفة أهل الجنّة: «وإنّما هو عَرَق يسيل من أعراضهم»[٢] أي أجسادهم، و«العرض» أيضاً النفس، يقال: أكرمت عنه عرضي أي صنتُ عنه نفسي. وقيل: العرض: الحسب؛ والمعنى بالعرض في هذا الحديث: النفس.

يعني: أنّ ما ينفقه المرء صيانةً لحسبه وحفظاً لنفسه، فإن كان في مرآة العيون أنّه لو أنفقه في غير هذه الجهة كان أجدى وارد عليه وأحرى به يكتب له ثواب الصدقة، لأنّه كما تفضل الصدقة عن ماله يفضل ذلك عن ماله بفضل ذلك أيضاً، فهما في هذا الاعتبار سواء، وكما أمر الله تعالى بالزكاة والصدقة وقد أمر بحفظ النفس وفكّ غَرْب الألسن[٣] الحديدة عنها.

وروي أنّ الحسن بن عليّ ـ صلوات الله عليهما ـ أعطى من كان يعاديه فأجزل، فقيل له في ذلك، فقال: «مَا وَقَى بِهِ الْمَرْءُ عِرْضَهُ كتبَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ»[٤].

وفائدة الحديث الحثّ على حفظ النفس عن أن تتداولها السفهاء بألسنتهم واشتراها

---

١ . مطلوب كلّ طالب: ١٨؛ عيون الحكم: ١٤٢؛ وراجع: الإعجاز والإيجاز: ٢٩؛ الطيوريّات: ٥٨٤/٧.

٢ . راجع: الصحاح: ١٠٩١/٣؛ جمهرة اللغة: ٧٤٧/٢؛ وراجع: غريب الحديث لابن سلام: ١٥٤/١؛ الزاهر في معاني كلمات الناس: ٦٢/٢.

٣ . حدّتها.

٤ . في المصادر عن رسول الله صلى الله عليه وآله؛ راجع: الدعوات: ١٠٧، ح٢٣٩؛ بحار الأنوار: ٩٣، ح١٨٢، ح٢٩؛ وراجع: مسند عبد بن حميد: ٣٢٧، ح١٠٨٣؛ سنن الدارقطني: ٢٨/٣، ح١٠١.

منهم بعَرَض محقّر. وراوي الحديث جابر، وتمام الحديث: «مَا أَنْفَقَ الرَّجُلُ عَلَى أَهْلِهِ وَنَفْسِهِ كُتِبَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ، وَمَا وَقَى بِهِ الرَّجُلُ عِرْضَهُ كُتِبَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ»[1].

قوله ﷺ: الصدَقَةُ عَلَى القَرَابَةِ صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ

«القرابة»: القربى في الرحم، وهو في الأصل مصدر، تقول: بيني وبين فلان قرابة وقُرْب وقُربى ومَقربةٌ وقُرْبَةٌ وقُرُبَةٌ، وهو قريبي وذو قرابتي، وإذا قيل: هو قربتي، فالتقدير: ذو قرابتي إلّا أنّه يكون بحذف المضاف، ويجوز أن يكون على القرابة، معناه على أنّه يكون المتصدّق عليه قريباً.

٥٤ والمعنى *مع القرابة يعني: أنّ الصدقة إذا كانت على الغرباء حسن موقعها وعظم ثوابها، فكيف إذا كانت على الأقرباء، لأنّها حينئذٍ صدقة وصلة رحم، فيكون صاحبها قد أحرز الأجرين وحصّل المثوبتين، ويتّفق أن يكون أكثر الأقرباء أعداءً لأنّه من أصعب الأشياء أن ترى من هو فوقك خصوصاً إذا أتيتما إلى دَوحة وطلعتما من جُرثومة.

وقد جاء في الحديث: «أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ عَلَى ذِي الرَّحِمِ الْكَاشِحِ»[2] يقطعك وتصله.

وفائدة الحديث الأمر بالإحسان إلى ذوي القربى والمتواشجين[3] في أعراق الأنساب. وراوي الحديث سليمان بن عامر.

قوله ﷺ: الصَّدَقَةُ تَمْنَعُ مِيتَةَ السَّوْءِ

«الموت» عبارة عن فقدان الحياة من البدن، وليس المرجع به إلى إثبات ذاتٍ عند

---

١. مسند الشهاب: ١/٨٩، ح ٩٤.

٢. مسند الحميدي: ١/١٥٧، ح٣٢٨؛ مسند أحمد: ٥/٤١٦، ح٢٣٥٧٧؛ وراجع: الكافي: ٤/١٠؛ تهذيب الأحكام: ٤/١٠٦، ح ٣٠١؛ والكاشح: العدوّ الذي يضمر عداوته ويطوى عليها كشحه أي باطنه.

٣. الواشجة: الرحم المشتبكة المتّصلة.

المحصّلين، و«الميتة» كالركبة والجلسة، يقال: مات فلان ميتةً حسنةً وميتة السوء كالغرق والاحتراق وأكل السباع والتردّي والهدم إلى غير ذلك ـ وقى الله منها ـ فأخبر صلّى الله عليه وآله أنّ الصدقة تمنع ذلك كلّه.

وروي عن مالك بن أنس: أنّ امرأةً كان لها ولد صغير فاحتمله السبع، فإذا سائل على بابها يسأل فأعطته رغيفاً وجلست فما كان أسرع من أن دخل ابنها الدار، ونوديت لقمةً بلقمة»[1].

وعن عمر بن الخطّاب أنّه قال: تباهت الأعمال، فقالت الصدقة: أنا أفضلكنّ.[2]

وعن سالم بن أبي الجعد: إنّ الصدقة لتدفع سبعين باباً من السوء،[3] وفضل سرّها على علانيّتها سبعون،[4] وإنّك إذا تصدّقت يفكّ عنك سبعين شيطاناً.[5]

وسئل إبليس عن حاله عند صدقة المؤمن، قال: كأنّي أقطع نصفين.[6]

ومعنى الحديث: أنّ الله تعالى يدفع ببركة الصدقة ميتة السوء .

وفي حديث : «الصَّدَقَةُ تردّ البَلَاءَ»[7].

وفائدة الحديث الحثّ على الصدقة واستدفاع البليّات والآفات بها. وراوي الحديث أبو هريرة، ورواه رافع.[8]

---

١ . راجع: حلية الأولياء: ٣٨٤/٢؛ الإحاطة في أخبار غرناطة: ٣٣/٢؛ في الحلية عن مالك بن دينار.

٢ . راجع: صحيح ابن خزيمة: ٩٥/٤، ح٢٤٣٣؛ المستدرك: ٥٧٦/١، ح١٥١٨.

٣ . في المصادر عن رافع بن خديج، راجع: المعجم الكبير: ٢٧٤/٤، ح٤٤٠٢.

٤ . راجع: الفردوس: ٢٦٦/٢، ح٣٢٣٦.

٥ . راجع: مسند أحمد: ٣٥٠/٥، ح٢٣٠١٢؛ صحيح ابن خزيمة: ١٠٥/٤، ح٢٤٥٧.

٦ . لم أقف على مصدره.

٧ . في المصادر: «تردّ القضاء»؛ راجع: من لا يحضره الفقيه: ٣٦٩/٤؛ وسائل الشيعة: ٣٨٤/٩، ح١٢٣٩٦.

٨ . راجع: مسند الشهاب: ٩١/١، ح٩٧.

قوله صلى الله عليه وآله: صَدَقَةُ السِّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ

«السرّ»: خلاف الإعلان، والسرّ حديث الرجل الذي يكتمه، وقد مدح الله تعالى صدقتي السرّ والإعلان كلتيهما، إلّا أنّه عزّ وجلّ فضّل صدقة السرّ فقال: «إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ» [١]، وصدقة ٥٥ *الإعلان ممدوحة ليراها غير المتصدّق فيرغب في مثلها، وتكون داعيةً له إلى ذلك، وليعلم الناس أنّه يتصدّق ولا يظنّون به ظنّ السوء؛ وصدقة السرّ أفضل لمكان أنّها من شوب الرياء والنفاق أبعد، وفي طريقة الإخلاص أجدّ وبفعل الإحسان أشبه. و«الغضب»: فوران [٢] دم القلب إرادة الانتقام. وقال النبيّ صلى الله عليه وآله: «اتّقوا الغَضَبَ فَإِنَّهُ جَمْرَةٌ تُوقَدُ في قلبِ ابنِ آدَمَ أَلَمْ تَرَوا إلى انتِفاخِ أَوْدَاجِهِ وَحُمْرَةِ عَيْنَيْهِ» [٣]، والغضب الأحمر: الشديد الحمرة، يقال: أحمر غضب، وإذا وصف الله تعالى به كان المعنى إرادة الانتقام فحسب.

ومعنى الحديث أنّ الصدقة التي يرضى الله بها ويعفو عن العبد بمكانها هي الصدقة الخالصة لوجهه السليمة من شوائب الأغراض والمراقبات.

وفائدة الحديث الحثّ على إخفاء الصدقة وإسرارها لتكون أخلص وأتق ومن العقاب أوقى. وراوي الحديث عبد الله بن جعفر أبي طالب رواه عنه محمّد بن عليّ الباقر عليهما السلام.

قوله صلى الله عليه وآله: صِلَةُ الرَّحِمِ تَزِيدُ فِي الْعُمُرِ

«الرحم»: رحم المرأة، ومن جهة الارتكاض [٤] في الرحم: حركة الولد في الرحم على

---

١. البقرة: ٢٧١.

٢. في المفردات: ثوران.

٣. مصنّف عبد الرزّاق: ١١/١٨٨، ح ٢٠٢٨٩؛ مسند أحمد: ٣/١٩، ح ١١١٥٩؛ شعب الإيمان: ٦/٣١٠، ح ٨٢٩٠.

٤. الاضطراب والتحرّك.

اعتبار تكون القرينتين[1] فيها. و«العُمُر» و«العُمْر»: مدّة عمران البدن بحلول الحياة فيه.

روي عن أبي الدرداء قال: «ذكر زيادة العمر عند رسول الله ﷺ فقال: إنّ الله لا يؤخّر نفساً إذا جاء أجلها وإنّما زيادة العمر بذرّيّة صالحة يرزقها العبد، فيدعون له بعد موته فيلحقه دعاؤهم في قبره، فذلك زيادة العمر»[2] فهذا وجه، والأحسن أن يكون زيادة العمر على الحقيقة، وإنّما فرّ من ذلك من فرّ لئلّا يلزمه تحميل الله تعالى، وأنّه يمكن أن يكون الأمر بخلاف ما علمه، ولا لعمري لا تقتضي زيادة العمر هذا الذي تحاماه، وإنّما ذلك على معنى أنّه إذا حكم الله أنّ زيداً يعيش إلى وقت معلوم وعلم أنّه إن عمل خيراً عاش أكثر منه، لم تتناقض المعلومان ويكون كلّ منهما معلوماً لله تعالى على الوجه الذي ذكر؛ وبيان ذلك أنّه يكتب مثلاً في اللوح المحفوظ مثلاً أنّ زيداً يعيش ستّين سنةً، وهذا لا يوجب أن لا يعيش أكثر منه لأنّا لا نقول بمدلول الخطاب، ثمّ يعمل زَيدُ خيراً زِيده ثلاثين سنةً أخرى كان عالماً بذلك كلّه، وأنّه يعمل خيراً *فيزيده تعالى ثلاثين، فإنّه إن كتب أنّه لا يعيش أكثر من ستّين فإنّه يعيش أكثر من ذلك، ولا لحظةً. ٥٦

وفائدة الحديث الحثّ على صلة الرحم للمعاني الجمّة المربوطة بها. وراوي الحديث عبد الله بن مسعود.

قوله ﷺ: صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ

ويروى: «فِعْلُ الْمَعْرُوفِ يَقِي»[3]، أصل الصنع الفعل المسوّق فيه، فكلّ صنع فعل وليس كلّ فعل صنعاً. ومن هاهنا لا يوصف ما يحصل من الحيوانات بالصنع ويوصف بالفعل، والصنيعة

---

١. كذا في خ.

٢. راجع: تفسير ابن أبي حاتم: ٣١٧٤/١٠، ح١٧٩٤٢؛ نوادر الأصول: ١٢٧/٣؛ الفردوس: ٤٤٥/٣، ح٥٣٦٥؛ كنز العمّال: ٤٠١/١٥، ح٤٣٦٦١.

٣. راجع: قضاء الحوائج: ٢٢؛ مسند الشهاب: ٩٣/١، ح١٠١؛ كنز العمّال: ١٧٤/٦، ح١٦٢٨٦.

ما يصطنع من خير. و«مصارع السوء»: ورطات الهلكة والوقوع فيما لا يطاق من الأمراض والأوجاع والآفات والعوارض.

ومعنى الحديث: أنّ فعل الخير له طرفان: طرف إلى البارئ ـ جلّت عظمته ـ فيرضاه عليه، وطرف إلى الناس فيمدحونه به، فلا يهمّ بالوقوع في شديدة من شدائد الدنيا إلّا أخذ الله بضَبْعِه وخلّصه من التورّط فيها، واسترحم الناس له واهتمّوا بأمره، وأجدر به بين رضا ربّه وحمد الناس أن ينجوه، ويمكن أن تعمّ مصارع السوء أمور الآخرة أيضاً.

وفائدة الحديث الترغيب في فعل الخيرات وتجنّب الشرور. وراوي الحديث بَهْزُ بن حكيم عن أبيه عن جدّه.

قولهﷺ: الرَّجُلُ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ حَتّى يَقْضِيَ بَينَ النَّاسِ

الظلّ خلاف الضِحّ والفيء أخصّ منه، لأنّ الظلّ ما لم تصل إليه الشمس، والفيء ما كانت عليه الشمس فزالت، ولمّا كانت الغالب على بلاد العرب وبواديها الحرّ فكانوا يستريحون إلى الظلّ والبرد عبّروا عن كلّ طيب ولذيذ بهما.

قال الأسود بن يَعفر:

ولقد غَنُوا فيها بأكرمِ عِيشَةٍ ... في ظِلِّ مُلْكٍ ثابتِ الأَوتادِ[1]

وقال:

يرى بَردَ ماء ذيد عنه وروضة ... برود الضحى فينانةً بالأصائل[2]

ولهذا قال تعالى: «إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ»[3]، وقال تعالى: «أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا»[4]، ويعبّر

---

١. راجع: عيار الشعر: ٨٨؛ العقد الفريد: ٢٥٢/٣؛ الأغاني: ٢٢/١٣.

٢. ذيد عنه أي منع منه، والفينانة: الكثيرة الأغصان، والأصائل: جمع أصيل وهو الوقت بعد العصر إلى المغرب؛ والمعنى يرى ماء بارداً منع منه وروضة باردة في وقت الضّحى كثيرة الأغصان بالعشي؛ راجع: شرح ديوان الحماسة للتبريزي: ١٦٨/٢.

٣. المرسلات: ٤١.

٤. الرعد: ٣٥.

به عن العزّ والمنعة يقال: أنا في ظلّ فلان، أي في كنفه وعزّه. ويقال: أنّه في عيش ظليل أي طيّب.

قال جُرير:

وَلَقَد تُسَاعِفُنا الدِّيارُ وعَيْشنا لَو دَامَ ذَاك كَما تُحبُّ ظَلِيلُ[١]

ومعنى الحديث: أنّ الرجل إذا تصدّق في الدنيا بصدقة يقصد بها وجه الله تعالى كان في القيامة مستذرياً بها[٢] عن حرّها وكربها. وقوله عليه السلام: «حَتّى يَقْضِيَ بَينَ النَّاسِ» يدلّ على ٥٧ *طول الوقوف في القيامة.

وروي: أنّ امرأة تصدّقت بخرقة فرأت في المنام وسئلت عن حالها فقالت: أنا في ظلّ تلك الخرقة.[٣]

وفائدة الحديث الحثّ على الصدقة حتّى تكون في القيامة حاجزةً بينه وبين لفح حرّها واضطرام وَهَجها[٤]. وراوي الحديث عقبة بن عامر.

قوله صلى الله عليه وآله: الصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ

«الخطيئة»: الاسم من خَطِئ يخطأ خِطْأً وخِطْأَةً، قال أبو عبيد: خطئ وأخطأ لغتان بمعنى واحد. وقال الأمويّ: المخطئ من أراد الصواب فصار إلى غيره، والخاطئ من تعمّد لما لا ينبغي.[٥] وجمع الخطيئة خطايا أصله خطائئ كخطاعع فلمّا اجتمعت الهمزتان قلبت الثانية ياءً لأنّ قبلها كسرة فانتقلت وقلبت ألفاً، ثمّ قلبت الهمزة الأولى ياءً لخفائها بين الألفين

---

١. راجع: تهذيب اللغة: ٢٥٩/١٤؛ ديوانه: ٥٠٦.

٢. احتمى بها وصار في كنفه.

٣. راجع: مصنّف عبد الرزّاق: ٣٧٠/١١، ح٢٠٧٦٨؛ المستدرك: ٥١٨/٤، ح٨٤٥٥.

٤. اشتداد حرّها.

٥. راجع: صحاح اللغة: ٤٧/١.

فصارت خطايا.

ومعنى الحديث: أنّ الإنسان المؤمن إذا تصدّق تجاوز الله تعالى عن خطيئته، وإذا كان التجاوز يتعقّب الصدقة فكأنّها هي الجالبة له والسبب فيه، فجعلها هي المطفئة للذنب المبطلة له. وهذا كما قال تعالى: «فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ»[١]، ومعلوم أنّ الآية لا تفعل بنفسها شيئاً من ذلك بل السامع يزداد إيماناً إلى إيمان وتصديقاً إلى تصديق أو رجساً إلى رجس وكفراً إلى كفر.

وقوله تعالى: «إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ»[٢]، كمثل يدلّ شيء من ذلك على التفاني[٣] والتحابط.

ومعنى الحديث: أنّ الخطايا تنحاتّ[٤] عن المتصدّق وتتناثر عنه حتّى كأنّ صدقته ماءً أريق على جمر فأطفاه.

وفائدة الحديث الترغيب في الصدقة وإعلام أنّ الخطايا تتفاني عندها ولا تبقى معها. وراوي الحديث معاذ بن جبل وجابر.

قوله ﷺ: المُعْتَدِي فِي الصَّدَقَةِ كَمَانِعِهَا

الأصل في «عدو»: التجاوز، ثمّ يختلف المعاني، والاعتداء والتعدّي والعدوان: مجاوزة الحدّ ووضع الشيء غير موضعه. وقد ذكر بعض الناس في معنى هذا الحديث فقصّر لأنّه قال: معنى الحديث: أنّ واضع الصدقة في غيرها كمانعها بعد وجوبها عليه.

١. التوبة: ١٢٤ـ ١٢٥.

٢. هود: ١١٤.

٣. في خ: التنافي.

٤. تتناثر، تتفرّق، تتساقط.

ومعنى الحديث: أنّ على المعتدي ـ وهو المصدّق الذي أخذ خيار المال ـ من الإثم مثل ما على المانع من الزكاة، ❊لأنّ ذلك يؤدّي إلى الإجحاف بأموالهم. ٥٨

ذكر أنّ الصادق عليه السلام أشار في بعض كلامه إلى الوجه الأوّل،[1] فإن صحّ عنه كان الصواب، ولا يبعد أن يكون الذين يعاملون هذه المعاملة يمنعون الصدقة من قابل أو ينحون أموالهم إلى حيث لا تنال أيدي المتصدّق إليهم، فيكون الساعي هو الذي منع صدقتهم.

وهذا مثل الحديث الآخر حيث قال لمعاذ بن جبل لمّا أراد أن يبعثه إلى اليمن: «إيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ»[2].

وروي أنّه عليه السلام نهى أن يؤخذ من خَزَرات أموالهم،[3] يعني خيارها، وقد ذكر ذلك أبو عيسى في جامعه[4].

وفائدة الحديث تأديب المصدّق وزجره عن الحيف على المتصدّق واختيار ماله. وراوي الحديث أنس بن مالك.

قوله صلى الله عليه وآله: التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لا ذَنْبَ لَهُ

التوب والتوبة: الإقلاع من الذنب على أحسن الوجوه . وقال الأخفش: التَوب جمع توبة مثل عَوْمَة وعَوْم.[5] وتاب إلى الله توبةً ومتاباً وتاب الله عليه أي وفّقه الله لها. والتَتْوِبَة: التوبة حكاها سيبويه.[6]

١ . «تَارِكُ الزَّكَاةِ وقَدْ وَجَبَتْ لَه كَمَانِعِهَا وقَدْ وَجَبَتْ عَلَيْه»؛ راجع: الكافي: ٣/٥٦٣، ح٣.

٢ . راجع: سنن الترمذي: ٣/٢١، ح٦٢٥؛ صحيح البخاري: ٢/٥٤٤، ح١٤٢٥.

٣ . راجع: مسند الشافعي: ٩٨؛ غريب الحديث لابن سلام: ٢/٩٠.

٤ . هو أبو عيسى محمّد بن عيسى بن سورة الترمذي توفّي ٢٩٧ هـ صاحب الجامع المعروف بسنن الترمذي.

٥ . راجع: الصحاح: ١/٩١.

٦ . راجع: الصحاح: ١/٩٢.

والتوبة أبلغ الاعتذار، وذلك أنّ الاعتذار على ثلاثة أضرب: الإنكار كقول المعتذر: لم أفعل، والتعلّل لقوله فعلت لكذا وكذا، والإقرار وهو قوله: فعلت وبئس ما فعلتُ وقد أقلعت، والثالث هو التوبة، وهي في الحقيقة ترك الذنب والندم على ما مضى والعزم على أن لا يعود إلى مثله وتدارك ما أمكن أن يتدارك؛ فهذه شرائط التوبة.

وروي أنّ رجلاً قال بحضرة أمير المؤمنين عليه السلام: أَسْتَغْفِرُ اللهَ، فَقَالَ عليه السلام: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ! أَتَدْرِي مَا الاسْتِغْفَارُ؟! إِنَّ الاسْتِغْفَارَ دَرَجَةُ الْعِلِّيِّينَ، وَهُوَ اسْمٌ وَاقِعٌ عَلَى سِتَّةِ مَعَانٍ: أَوَّلُهَا: النَّدَمُ عَلَى مَا مَضَى، وَالثَّانِي: الْعَزْمُ عَلَى تَرْكِ الْعَوْدِ إِلَيْهِ أَبَداً، وَالثَّالِثُ: أَنْ تُؤَدِّيَ إِلَى الْمَخْلُوقِينَ حُقُوقَهُمْ حَتَّى تَلْقَى اللهَ عزّ وجلّ أَمْلَسَ لَيْسَ عَلَيْكَ تَبِعَةٌ، وَالرَّابِعُ: أَنْ تَعْمِدَ إِلَى كُلِّ فَرِيضَةٍ عَلَيْكَ ضَيَّعْتَهَا فَتُؤَدِّيَ حَقَّهَا، وَالْخَامِسُ: أَنْ تَعْمِدَ إِلَى اللَّحْمِ الَّذِي نَبَتَ عَلَى السُّحْتِ فَتُذِيبَهُ بِالْأَحْزَانِ حَتَّى يَلْصَقَ الْجِلْدُ بِالْعَظْمِ وَيَنْبُتُ بَيْنَهُمَا لَحْمٌ جَدِيدٌ، وَالسَّادِسُ أَنْ تُذِيقَ الْجِسْمَ أَلَمَ الطَّاعَةِ كَمَا أَذَقْتَهُ حَلَاوَةَ الْمَعْصِيَةِ؛ فَعِنْدَ ذَلِكَ تَقُولُ أَسْتَغْفِرُ اللهَ عزّ وجلّ»[1].

٥٩

وقد وعد الله تعالى بقبول التوبة حيث قال: «وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ»[2]، وهو أوفى بوعده، فإذا تاب العبد محى الله تعالى ذنوبه، فبقي أملس ليس عليه أثر وصمة ولا دنس خطيئة فكأنّه لم يذنب.

وفائدة الحديث الحثّ على التوبة والترغيب في الرجوع عن الذنب. وراوي الحديث عبد الله بن مسعود.

قوله صلّى الله عليه وآله: الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

أصل الظلم وضع الشيء في غير موضعه، هذا في وضع اللغة فأمّا عند أهل النظر فإنّه

١ . نهج البلاغة: ٥٤٩؛ بحار الأنوار: ٣٦/٦ـ٣٧، ح ٥٩.

٢ . الشورى: ٢٥.

كلّ ضرر لا نفع فيه ولا دفع ضرورة يظنّ فيه هذان الوجهان ولا يكون مستحقّاً.

وروي عن بعض أهل العلم[١]: أنّ الظلم ثلاثة: ظلم بين الإنسان وبين الله تعالى، وأعظمه الكفر والنفاق، ولذلك قال تعالى: «إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ» [٢]، وقال: «أَلَا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ» [٣]، «وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً» [٤]؛ وظلم هو بينه وبين الناس، وإيّاه عنى بقولهﷻ : «وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا» إلى قوله تعالى: «إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ» [٥]، وقال: «وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً» [٦]؛ وظلم بينه وبين نفسه، كما قال: «فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ» [٧]، «وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ» [٨].

على أنّه إذا حقّق فابن آدم في جميع ذلك ظالم لنفسه في الحقيقة، إلّا أنّ ظلمه في الوجهين الأوّلين يتعدّي عنه إلى غيره إمّا كفراناً أو عسفاً. و«الظلمة» عدم النور.

ومعنى الحديث: أنّ الظالم يوم القيامة في هياط ومياط[٩] وأمور مظلمة وأهوال محيّرة وآفات مذهلة، وما يدلّ على أنّ الظالم تبقى متخبّطاً في الظلمة قوله تعالى: «قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً» [١٠].

عن عبد الله بن سلام قال: «لمّا خلق الله تعالى الملائكة فاستووا على أقدامهم رفعوا

---

١. راجع: المفردات: ٣١٥ـ٣١٦.

٢. لقمان: ١٣.

٣. هود: ١٨.

٤. الإنسان: ٣١.

٥. الشورى: ٤٠.

٦. الإسراء ٣١.

٧. فاطر: ٣٢.

٨. النساء: ٦٤.

٩. في هياط ومياط: في اضطراب، في شرّ وجَلَبة، وقيل: في دنوّ وتباعد.

١٠. الحديد: ١٣.

رؤوسهم فقالوا: يا ربّ! مع من أنت؟ قال: مع المظلوم حتّى يؤدّى إليه حقّه»[١].

وقيل: أوّل ظلم وقع في أمّة محمّد صلى الله عليه وآله قولهم: «تنحّ عن الطريق»[٢].

وقال الحسن: «ظلمك لأخيك المسلم أن تكتم خير ما فيه وتذكر شرّه»[٣].

ويروى: أنّ رجلاً من أهل الجنّة يوقف في عرصة القيامة فيطول موقفه فيقول: لم وقفت؟ فيقال: فلاناً ظلم يوم كذا وأنت حاضر فلم تنصره.[٤]

وكتب بعضهم على دار وزير بعد موته:

هــذه دار مــن ظــلم وتــعدّى عــلى الأمــم

ســنّ في النــاس سـنّةً فـــهم مـــنه في ألم

ودنى في القـــبر أنّـــه قـطّ لم يـعرف القـلم[٥]

[٦٠] وفائدة الحديث النهي عن الظلم والتعدّي وتذكير أنّ من يتعدّ حدود الله فقد ظلم نفسه. وراوي الحديث ابن عمر.

قوله صلى الله عليه وآله: كَثْرَةُ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ

«الضحك»: انبساط أسارير الوجه وظهور الأسنان من سرور النفس، ولذلك يقال لمقدّمات الأسنان ضواحك ويعدّ الضحك في قبيل الاعتقاد . وأصل الضحك التقيّح، ولذلك قال الشاعر:

أيـــن أهـــلُ القـــباب بـــالدَّهناءِ أيـــن جـــيرانـــنا عـــلى الأحـــساءِ

١ . راجع: العظمة: ٧٤١/٢، ح ١٩؛ المنتظم: ١٩٢/١؛ الدر المنثور: ٧٦/٢؛ فيض القدير: ١٢٥/١.

٢ . راجع: طبقات الشافعيّة الكبرى: ٢٩/٦.

٣ . راجع: الاستذكار: ٥٦٢/٨؛ صفة الصفوة: ٢٤٥/٣؛ البداية والنهاية: ٢٧٥/٩؛ في المصادر عن محمّد بن سيرين.

٤ . لم أقف على مصدره.

٥ . لم أقف على مصدره.

فـارقونا والأرضُ مُـلْبَسَةٌ نـوراً قـاح[١] تُجَـادُ بـالأنواء
كـلَّ يـومٍ بـأُقحوانٍ جـديدٍ يـضحكُ الأرض مـن بـكاءِ السَّماءِ[٢]

يقال: ضحك يضحك، ضَحِكاً وضَحْكاً وضحاكاً وضِحْكاً أربع لغات. والأضحُوكَة ما يضحك منه، والضحكة المرّة الواحدة.

وروي: أنّه لا يضحك من الحيوانات إلّا الإنسان والقرد.[٣]

وإنّما قـال عليه السلام ذلك، لأنّ الضـحك مـن نـتائج السـرور ولوازم الغـفلة، وذلك أنّ المـتيقّظ الحـازم والمتنبّه الضـابط يشغله ما يهمّه من أمر دنياه وآخرته عن الجنوح إلى اللهو واللعب والانهماك في السرور[٤] والطرب فلا يزال حزيناً مهموماً متفكّراً في أمر معاشه ومعاده، فمتى يفرغ للضحك؟! ومن المحسوس ما قال عليه السلام، لأنّ الإنسان إذا ضحك كثيراً تبلّد ذهنه وأعيا خـاطره، فذلك الكلال من موت القلب وخمود الحسّ، فأمّا الابتسام فبخلاف ذلك، لأنّـه معدود في حـسن الخـلق. وقـد قـيل: يـنبغي أن يكون المـرء دائم الابتسام قـليل الضـحك. وكـذلك كـان سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وآله، وفيما روي عن الله تعالى: «أنا عِنْدَ القُلُوبِ المُنْكَسِرَةِ».

وفـائدة الحـديث الحثّ عـلى تجـنّب الضـحك والاحـتراز مـن الاسـتغراب فـيه. وراوي الحديث أبو هريرة.

---

١. في المصدر: نور الأقاحي.

٢. قاله الحسين بن مطير الأسدي، راجع: الأغاني: ٢٥/١٦؛ الحماسة البصريّة: ١٦٩/٢؛ خزانة الأدب: ٤٥٨/٥ـ٤٥٩.

٣. لم أقف على مصدره.

٤. كذا في متن النسخة ولكن في حاشيتها أنّ في النسخة التي استنسخها منها: الأثر.

قوله صلى الله عليه وآله: فِي كُلِّ كَبِدٍ حرّى أَجْرٌ

الحـرّة ـ بالفتح ـ: العطش، وأمّا قولهم: حرّة تحت قرّة، فإنّما كُسر لمكان قرّة ليتزاوجا، يقال: حرّ الرجل يحرّه حرّةً عطش، وحرّ يحرّ حريّةً من حُريّة الأصل وحَرّ العبد يحرّ حرّاً فهذه الثلاثة بكسر العين من الماضي وفتحها من المضارع؛ وأمّا حرّ النهار فيقال فيه: حررت ما يوم ـ بالفتح ـ وحررت بالكسر يَحَرّ ويحرّ وحرارةً وحروراً وأحرّ النهار لغةٌ سمعها الكسائي[1]، والحرّان: العطشان، والأنثى: حرّى.

ومعنى [الحديث]: في إرواءكلّ كبد حرّى أو في سقي كلّ كبد، فحذف المضاف ورأيت من يفسّره على: أنّ لكلّ همّ يحرّ الكبد ويحميها عوضاً، وهذا وهم.

٦١

وللحديث سبب، وهو: «أنّ رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: أإنَّ *لَنَا فِي الْبَهَائِمِ لَأَجْراً؟ فَقَالَ: فِي كُلِّ [ذَاتِ] كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ»[2].

وروي: أنّ رجلاً من بني إسرائيل فاسقاً متهتّكاً أتى على بئر في بعض أسفاره فإذاً [كلب] يلهث من شدّة العطش فرقّ له ونزل في البئر وملأ مُوقَه ـ أي خفّه ـ ماءً وسقى ذلك الكلب وأرواه، فشكر الله تعالى له ذلك وأوحى الله إلى نبيّ ذلك الزمان: إنّي قد غفرت له بشفقته على خلق من خليقتي.[3] ولئن كان الله تعالى يعطيه الحياة والقدرة والقوّة والشهوة والنفرة فلا يبخل عليه بشربة من ماء تشربه أنّك أيضاً مجّاناً.

وفائدة الحديث الحثّ على سقي الحيوانات من عطشها إذا كانت ممّا لا يستضرّ به والإبقاء عليها.

١. راجع: الصحاح: ٦٢٩/٢.

٢. مسند أحمد: ٣٧٥/٢، ح ٨٨٦١؛ صحيح البخاري: ٨٣٣/٢، ح ٢٢٣٤؛ سنن أبي داود: ٢٤/٣، ح ٢٥٥٠.

٣. راجع: صحيح البخاري: ١٢٧٩/٣، ح ٣٢٨٠؛ صحيح مسلم: ١٧٦١/٤، ح ٢٢٤٥.

قوله ﷺ: العُلَماءُ أُمَنَاءُ اللهِ عَلَى خَلقِهِ

«العلم»: اعتقاد الشيء على ما هو، على وجه يقتضي سكون النفس، وهو ضربان: ضروريّ وهو ما لا يمكن العالم به نفيه عن نفسه بشكّ، ومكتسب وهو بالعكس منه؛ والعالم: المختصّ بصفته لكونه عليها يصحّ منها أحكام فعله، ويجمع علماء كما يقول: شاعر وشعراء وهو على التشبيه بفعيل كفقير وفقراء، يقال: عَلِم يَعلم علماً وهو إذا كان بمعنى العرفان تعدّى إلى مفعول واحد، وإذا كان بمعنى علمت منه شيئاً تعدّى إلى مفعولين كقولك: علمت زيداً عاقلاً والأوّل يدخل على الآحادم والثاني يدخل على المبتدأ وما يجري مجرى ذلك. و«الأمناء» جمع أمين. و«الخلق» مصدر وُصِفَ هذا ممّا سمّي فيه المصدر ويقال لهم الخليقة أيضاً .

ومعنى الحديث: أنّ الله تعالى استأمن العلماء على الخلق لمكان علمهم ومزيّة معرفتهم، وقد ميّزهم من غيرهم بقوله: «هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ» [١]، فجعلهم أمناء على خلقه يقوّمونهم إذا زاغوا ويرشدونهم إذا ضلّوا ويعلّمونهم إذا جهلوا ويتحرّون رشدهم إذا استشاروهم ويعظونهم إذا أذنبوا وينعشونهم إذا نُكبوا، وإذا كانوا [غير] أمناء على الخلق فياويحهم [٢] إذا خانوهم ولم ينصحوهم أو أروهم الباطل بصورة الحقّ والحقّ بصورة الباطل مراقبةً لأغراضهم ومحافظةً على نظام أمورهم؛ بل ليت شعري ماذا يقول عالم السوء غداً إذا وقف بين يدي الملك الجبّار العزيز القهّار الذي استرعاه أمرهم وعلّمه نفعهم وضرّهم؟! أم ماذا يصنع العامّيّ المسكين إذا قلّده وهو عاجز أن يميّز بينه وبين غيره مغترّ بظاهره الجميل غافل عن باطنه الدخيل؟!

وقيل: إنّ معنى الحديث أنّ العلماء إنّما يكونوا علماء إذا كانوا أمناء.

---

١ . الزمر: ٩.

٢ . كذا في خ.

٦٢

وروي*عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: أخاف على أمّتي العالم الفاجر والجاهل الناسك.[١]

وذلك لأنّ العالم الفاجر ينفر عنه الناس لفجوره والجاهل الناسك يتّبعونه لزهده .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: قصم ظهري رجلان: محقّ فاسق ومبطل ناسك، هذا ينفر عن حقّه بفسقه وذاك يدعو إلى باطله بنسكه.[٢]

وفائدة الحديث الحثّ على إكرام العلماء وتعظيمهم وتبجيلهم، أو وعظ العلماء بالأمانة والديانة والتثبّت وتحقيق الحقّ وإبطال الباطل. وراوي الحديث أنس بن مالك.

قوله صلى الله عليه وآله: مَخَافَةُ اللهِ رَأْسُ كُلِّ حِكْمَةٍ

«الخوف»: الظنّ المتعلّق بحصول مضرّة فيما يستقبل أو فوات نفع، وقيل: الخوف توقّع مكروه عن أمارة مظنونة أو معلومة كما أنّ الرجاء والطمع توقّع محبوب عن أمارة مظنونة أو معلومة، ويُضادّ الخوف الأمن. و«الحكمة»: العلم، وإذا استُعمل في الفعل كان المراد به كلّ فعل حسن واقع من العالم بحسنه. وقيل: الحكمة إصابة الحقّ بالعلم والفعل؛ والحكمة من الله تعالى العلم بالأشياء وإيجادها على غاية الإحكام، ومن الإنسان معرفة الموجودات وفعل الخيرات؛ وأصل «حكم»: المنع، ومنه حكمة الدابّة وأحكمتُ الأمر.

ومعنى الحديث أنّ أوّل الحكمة مخافة الله تعالى، فإنّ الحكيم هو الذي تضع الأمور مواضعها، ولن يفعل ذلك إلّا بعد أن يجعل تقوى الله تعالى شعاراً والخير دثاراً، وينظر للناس كما ينظر لنفسه، ويتّخذ الخير عادةً، فإذا حقّق ذلك كان مبدأ أمره مخافة الله.

ومن كلام بعضهم: الحزن يمنع من الطعام والخوف يمنع من الذنوب والرجاء يقوي على

---

١ . لم أقف على نصّه، راجع: تاريخ مدينة دمشق: ١٧١/١٠؛ كنز العمّال: ١٩/٩، ح٢٤٨٤٧.

٢ . راجع: الخصال: ٦٩، ح١٠٣؛ بحارالأنوار: ١٠٦/٢.

الطاعة وذكر الموت يزهد عن الفضول.[١]

وفائدة الحديث الحثّ على مخافة الله تعالى وخشيته. وراوي الحديث زيد بن خالد، قال: ذكر صلى الله عليه وآله ذلك في خطبة.[٢]

قوله صلى الله عليه وآله : الْجَنَّةُ دَارُ الْأَسْخِيَاء

«الجنّة»: كلّ بستان ساتر بأشجاره الأرض ، والجنّة قيل: سمّيت بذلك على التشبيه بالبستان، وشتّان ما هما. وقيل: لانطواء ما فيها علينا، كما قال الله تعالى: «فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ»[٣]، «وَجَنَّاتٌ»[٤] قال ابن عبّاس: إنّما جُمعت لأنّها سبع جنّات: جنة الفردوس وعدن وجنّة النعيم ودار الخلد وجنّة المأوى ودار السلام وعليّون.[٥] وأصل «جنن»: الستر، ومنه الجنّ لاستتارهم عن أعيننا والمِجَنّ والجنين *وإلى غير ذلك. ٦٣

و«السخاوة»: سماحة الأخلاق ولين من الجانب، يقال: سخت نفسي عن الشيء إذا تركته، وسَخُو يسخُو: صار سخيّاً، وأرض سَخَاوِيّة: ليّنة. وروي في بعض الحديث تمام هذا الخبر، فعلى هذا ينبغي للعبد أن لا يخلو من السخاء في حالتي الشدّة والرخاء مع الأعداء وذوي الآخاء، وهذه الزيادة بكلام غير رسول الله صلى الله عليه وآله أشبه.

ومعنى الحديث: وعد الأسخياء بالجنّة، لأنّ السخاء أوّل درجة من درجات الخير، وما من خصلة من الخصال إلّا والسخاء عنوانها والجود بنيانها، وكفاك قول الله تعالى: «قَدْ أَفْلَحَ

---

١. راجع: تاريخ الإسلام: ٣١٢/١٩.

٢. راجع: مسند الشهاب: ١٠٠/١، ح١١٦.

٣. السجدة: ١٧.

٤. و ذلك في قوله تعالى: «كانَتْ لَهُمْ جَنّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً»، الكهف: ١٠٧.

٥. راجع: المفردات: ٢٠٣.

الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ» إلى قوله ـ عزّ وعلا ـ: «أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ» [١]، فعبّر بالفلاح عن جميع ما عدّد في هذه الآيات، ثمّ لمّا صار إلى ذكر السخاء قال: «وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» [٢]، فأطلق ذكر الفلاح على من وقى الشحّ، وما أجدر الخلّة بمجرّدها رقم الله الصلاح والفلاح على صاحبها أن يختارها الإنسان ويتكلّفها حتّى تصير له سجيّةً، فإنّ الخير عادة يعتادها الإنسان ثمّ يتطبّع بها.

وقال النبيّ عليه السلام: «أَيُّ دَاءٍ أَدْوَى مِنَ الْبُخْلِ» [٣].

وفائدة الحديث الحثّ على السخاء وإعلام أنّ الجنّة دار من آثر ذلك. وراوية الحديث عائشة.

قوله صلى الله عليه وآله: الْجَنَّةُ تَحْتَ ظِلالِ السُّيُوفِ

«الظلّ»: ضوء شعاع الشمس دون شعاعها، فإذا لم يكن ضوء فهو ظلمة وليس بظلّ، وجمع الظلّ ظِلال والظَلال أيضاً، ما أظلّك من سحاب وضباب [٤]، وظلّ الليل سواده وهو استعارة ومجاز، واستظلّ بالشجرة: استذرى بها، وظلال السيوف كناية عن المعركة.

يقول صلى الله عليه وآله: الجنّة تحت السيوف المرفوعة إذا أظلّت على الشجعان في حرّ المصاع، حيث يتحرّج المؤمن المتّقي أن يفرّ من خصمه، فيغوض في غمرتها ولا تأسي نفسه على حسرتها.

والمعنى: أنّه إذا آثر ظلال السيوف كان جزاؤه الجنّة، فكأنّها كانت تحت ظلال ظفر بها.

---

١. المؤمنون: ١ـ١٠.

٢. الحشر: ٩.

٣. الكافي: ٤٤/٤؛ من لا يحضره الفقيه: ٣٧٩/٤، ح ٥٧٩٩؛ وراجع: مسند أحمد: ٣٠٧/٣، ح ١٤٣٤٠؛ صحيح البخاري: ١٥٩٣/٤، ح ٤١٢٢.

٤. سحاب يغشي الأرض كالدخان، ويكثر في العناة الباردة.

والمماصعة والمِصَاع مثل المضاربة والضراب، والسيوف تنوشَه والأقران تحوشه[١].

وفائدة الحديث الحثّ على الجهاد ذبّاً عن بيضة الإسلام. وراوي الحديث أبو بكر بن أبي موسى عن أبيه عن النبيّ صلى الله عليه وآله.

قوله صلى الله عليه وآله: الْجَنَّةُ تَحْتَ أَقْدَامِ الْأُمَّهَاتِ

٦٤

«الأمّ» في كلام العرب: الأصل، ومكّة *أمّ القرى لأنّ الأرض دحيت من ناحيتها من تحت الكعبة، والأمّ: الوالدة ويجمع أمّهات، والأصل [في] الأمّ أُمَّهَةٌ ولذلك يجمع على أمّهات. وفُرق بينهم فقيل: الأمّهات للناس والأمّات للبهائهم، ويقال: أممت أمومةً وتصغير الأمّ أميمة ويقال: يا أمت ويا أبت فيجعلون علامة التأنيث عوضاً عن ياء الإضافة ويوقف عليها بالهاء، والأمّ العَلَم الذي يرجع إليه الجيش، وأمّ الدماغ: الجلدة التي تضمّه. وقال الخليل: كلّ شيء ضمّ إليه سائر ما يليه يسمّى أمّاً،[٢] وكان أصل هذه الكلمة من أممت أي قصدت، وذلك أنّ الفروع كلّها تنساق إلى أصولها فكأنّها يقصد الأصول فسمّي كلّ أصل أمّاً.

وروي عنه صلى الله عليه وآله أنّه قال لأبي هريرة: دعوة الوالدة أسرع إجابةً. قال: قلت: ولم؟ قال: لأنّها هي أرحم من الأب ودعوة الرحم لا تسقط.[٣]

وقال عليه السلام: من أدرك والديه أو أحدهما فلم يغفر له فلا غفر الله له، ومن أدرك شهر رمضان فلم يغفر له لا غفر الله له ومن ذُكِرتُ عنده فلم يصلّ عليّ فلا غفر الله له.[٤]

---

١. تنوشه: تتناوله؛ وحاش القوم الصيد: نفّره بعضهم على بعض ليصيدوه.

٢. راجع: العين: ٤٢٦/٨.

٣. راجع: إحياء علوم الدين: ٢١٧/٢؛ طبقات الشافعيّة الكبرى: ٣١٧/٦؛ بريقة محموديّة: ٨٨/٦.

٤. راجع: المقنعة: ٣٠٨ـ٣٠٩؛ وسائل الشيعة: ٢٠٦/٧، ح٩١٢٣؛ وراجع: البرّ والصلة: ٢٣، ح٤٧؛ مسند البزار: ٢٤١/٤، ح١٤٠٥.

وقال عليه السلام: «إنَّ البارَّ لا يموتُ ميتةَ سوءٍ»[١].

وروى بَهْز بن حكيم عن جدّه قال: قلت: « يَا رَسُولَ اللهِ! مَنْ أَبَرُّ؟ قَالَ: أُمَّكَ، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ أُمَّكَ، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ أُمَّكَ، قُلْتُ: ثُمَّ [مَنْ]؟ قَالَ: ثُمَّ أَبَاكَ، ثُمَّ الْأَقْرَبَ فَالْأَقْرَبَ»[٢].

وقال عليه السلام: « يُقَالُ لِلْعَاقِّ: اعْمَلْ مَا شِئْتَ [مِنَ الطَّاعَةِ] فَإِنِّي لا أَغْفِرُ لَكَ، [وَ]يُقَالُ لِلْبَارِّ: اعْمَلْ مَا شِئْتَ، فَإِنِّي أَغْفِرُ لَكَ»[٣].

وجاء رجل إلى النبيّ صلّى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله! دلّني على عمل أعمله يقرّبني إلى الله تعالى، فقال: هل لك من والدة، قال: نعم، قال: فإنّما يكفي مع البرّ بالوالدين العمل اليسير .[٤]

وروي أنّ رجلاً أتى النبيّ صلّى الله عليه وآله وقد ألمّ بذنب، فذكر ذلك له، فقال عليه السلام: «هَلْ لَكَ أُمٌّ؟ قَالَ: لَا، فسكت عنه حتّى قام، فقَالَ: هَلْ لَكَ خَالَةٌ ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَبِرَّهَا»[٥].

وروي أنّه [أتاه] ابنة خالته من الرضاعة فنزع صلّى الله عليه وآله رداءه عن ظهره وبسطه لها، فقال: «مرحباً بأمّي»[٦].

وقوله عليه السلام: «تَحْتَ أَقْدَامِ الْأُمَّهَاتِ» مجاز، وهذا كما يقال: هذا تحت قدمي، أي أنا وليّه وأنا المحامي عليه إن رفعتْ قدميّ عنه يمكن منه؛ والمعنى: أنّ تحرّي رضا الأمّ هو الموصل إلى الجنّة، فكان الجنّة تحت حورها، وهي الممكنة منها.

وفائدة الحديث الحثّ على البرّ بالأمّهات وطلب مراضيهنّ والتذلّل لهنّ. وراوي

٦٥

١ . راجع: تاريخ ابن معين: ٢٥٥/٣؛ أطراف الغرائب والأفراد: ١٨٠/٥، ح ٥٠٧٤؛ الفردوس بمأثور الخطاب: ٣٣/٢، ح ٢٢٠٧.

٢ . مصنّف عبد الرزّاق: ١٣٢/١١، ح ٢٠١٢١؛ مسند أحمد: ٣/٥، ح ٢٠٠٤٠.

٣ . حلية الأولياء: ٢١٦/١٠؛ الفردوس: ٤٥٧/٥، ح ٨٧٣٩؛ كنز العمّال: ١٩٨/١٦، ح ٤٥٥٢٧.

٤ . راجع: تفسير الثعلبي: ٩٤/٦.

٥ . مسند ابن المبارك: ١٣٦، ح ٧٨؛ البرّ والصلة: ٣٩، ح ٧٧.

٦ . راجع: البرّ والصلة: ٤١، ح ٨٠؛ مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا: ٧٣، ح ٢١٤؛ مسند ابن المبارك: ١٣٦، ح ٨١.

الحديث أنس بن مالك.

قوله صلى الله عليه وآله: الدُّعَاءُ بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ لا يُرَدُّ

الدعاء والنداء متقاربان في المعنى، وحقيقة الدعاء قول الواحد منّا: افعل، لمن فوقه في الرتبة بشريطة أن يكون مريداً للمدعوّ إليه؛ والدعاء أصله الصياح، يقول: دعوتُ فلاناً، أي صحتُ به. والدعوة: المرّة، وأصل الدعاء دَعاوٌ، إلّا أنّ الواو لمّا وقعت طرفاً قُلبت همزةً كقولك: كساء، ومن الياء رداء. و«الأذان»: إعلام، وهو فعال من أذنته إيذاناً، والأذان والإيذان والأذين بمعنى واحد، وقد أذّن أذاناً؛ والمئذنة: المنارة، والأذين أيضاً الكفيل؛ وقيل: الأذين: المكان يصل إليه الأذان من كلّ ناحية، وأذنته وآذنته بمعنى، والمؤذّن: كلّ من تكلّم بشيء نداءً، وقال تعالى: «فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ»[١]، «وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ»[٢]. وإقامة الصلاة: إدامتها وتوفية شرائطها، ولم يأمر الله تعالى عباده بالصلاة حيثما أمر ولا مدح بها إلّا بلفظ الإقامة تنبيهاً أنّ الغرض منها توفية شروطها لا الإتيان بهيئاته نحو قوله تعالى: «أقيموا الصَّلَاةَ»، و«المقيمي الصَّلَاةِ»[٣].

وقال صلى الله عليه وآله: «إنَّ الدُّعَاءَ بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ لَا يُرَدُّ»، وذلك لمكان الأذان وحرمته، وأنّه دعوة الحقّ والتذكير بجلال الله تبارك وتعالى، وهو شعار الملّة ونداء سوق الشريعة وجمال بلاد الإسلام والدليل على الصلاة التي هي عماد الدين؛ وقد سمعت ما جرّ فقدان الأذان على أهل الردّة.

وروى أنس عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «إذَا نُودِيَ بِالصَّلَاةِ فُتِحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَاسْتُجِيبَ

---

١. الأعراف: ٤٤.

٢. الحجّ: ٢٧.

٣. الحجّ: ٣٥.

الدُّعَاءُ»[١].

فللأذان هذه المنزلة الرفيعة، والإقامة أوّل درجات الاستعداد للصلاة، ولا تخلو من تحرّي الإخلاص والانقطاع إلى الله تعالى، وإذا وقع الدعاء بين طرفي دعوة الحقّ والإخلاص فلا بدّ له من الإجابة.

وفائدة الحديث الحثّ على الدعاء والاستكثار منه فيما بين الأذان والإقامة، لتكون الإجابة أولى وبالإطلاب أحرى. وراوي الحديث أنس بن مالك.

قوله صلى الله عليه وآله: كَسْبُ الحَلالِ فَرِيضَةٌ بَعْدَ الفَرِيضَةِ

«الكسب»: إيجاد الفعل طلباً للمنفعة أو دفعاً للمضرّة، وأصله الجمع، يقال: كسب شيئاً واكتسبه*وفلان طيّب الكسب، والمكسبة بوزن المغفرة، وطيّب الكِسبة ـ بالكسر ـ يقال: كسبت الرجل مالاً فكسبه، وهذا أحد ما جاء على فعلته؛ والكواسب: جوارح الطير، وتكسّب: تكلّف من الكسب. و«الحلال»: المباح، واستعماله في الشرعيّات أكثر، وكأنّه مُستعار من حلّ العقدة، لأنّ المحرّم كأنّه معقود عليه، والحلال كأنّه محلول العقدة. و«الفريضة»: ما يفرض عليك، أي يوجب، يقال: فرض الله عليه كذا وافترض، أي أوجب؛ وحقيقة الفريضة الواجب المعيّن المبيّن قدره على المفروض عليه، وفرض الحاكم النفقة للمرأة وفرضتُ للرجل إذا قطعتُ له من مال الفيء، وأصل الفرض الجزّ والقطع.

٦٦

ومعنى الحديث ـ والله أعلم ـ: أنّ كسب الحلال بعد تأدية ما وُظّف على المسلم وأوجب عليه علماً وعملاً كالمفروض عليه سدّاً لخلّته ورمّاً لفاقته لئلّا يكون كلّاً على الناس، ويستغني به عن السؤال والاستسعاف والإبداء بالإلحاف.

---

١. مسند الطيالسي: ٢٨٢، ح٢١٠٦؛ مسند أبي يعلى: ١١٩/٧، ح٤٠٧٢؛ الدعاء للطبراني: ١٦٦، ح٤٨٥؛ جامع الأحاديث: ٢٧٢/١، ح١٨٤١.

ويؤيّد هذا المعنى قوله عليه السلام: «لَا تَحِلُّ الصَّدَقَةُ لِغَنِيٍّ وَلَا لِذِي مِرَّةٍ سَوِيٍّ»[١].

ومدح الله تعالى قوماً بالتصوّن عن السؤال، فقال: «يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً»[٢]. والحديث يدلّ على الترغيب في صيانة ماء الوجه والانكفاف[٣] عن التبدّل والتعرّض للناس واستغنام أموالهم.

وفائدة الحديث الحثّ على الكسب من الحلال بعد أداء المفروضات. وراوي الحديث عبد الله، إذا أطلق عبد الله فهو عبد الله بن مسعود.

قوله صلّى الله عليه وآله: أَعْظَمُ النِّسَاءِ بَرَكَةً أَقَلُّهُنَّ مَؤُونَةً

«العظم»: الكبر، وقد عَظُم أي كبر، وعظّمته، وتنكره العظمة[٤] لكلّ كبير محسوساً كان أم معقولاً عيناً كان أو معنى. و«البركة» أصلها الثبوت واللزوم، ومن ذلك براكاء الحرب وبروكاؤها للحومة التي يلزمها أصحابها، وبَرَكَ البعير ألقى بَرْكِهِ[٥]، وبركة الله ثبوت خيره؛ وسمّيت البِركة بِركةً لثبوت الماء فيها، والمبارك ما فيه الخير، ولمّا كان الخير الربّانيّ يصل إلى عباده من غير إحساس لهم به على وجه لا يحيط به الحصر والعدّ قيل لكلّ زائد مبارك وفيه بركة ؛ والإشارة بما روي: «ما نقص مال من صدقة»[٦] إلى ذلك لا إلى المحسوس الذي اعتبره الخاسر الذي سمع هذه الكلمة فقال: بيني وبينك الميزان،[٧] وتبارك الله أي اختصّ بالخيرات

---

١ . مسند أحمد: ١٦٤/٢، ح ٦٥٣٠؛ سنن الدارمي: ٤٧٢/١، ح ١٦٣٩.

٢ . البقرة: ٢٧٣.

٣ . الانصراف.

٤ . كذا في خ، ولعلّ صواب العبارة كذا: وقد عظم أي كبر عظمه، واستعير العظمة؛ راجع المفردات: ٥٧٣.

٥ . صدره.

٦ . من لا يحضره الفقيه: ٣٨١/٤، ح ٥٨٢٧؛ النوادر للراوندي: ٨٦؛ وراجع: المنتقى من كتاب مكارم الأخلاق: ٨٣، ح ١٦٨؛ المعجم الأوسط: ٣٧٤/٢، ح ٢٢٧٠؛ مسند الشهاب: ١١/٢، ح ٧٨٣.

٧ . راجع : المفردات: ١٢٠.

٦٧ الكثيرة وكلّ ما جاء في الكتاب من﴿تبارك الله﴾ فإنّه إشارة إلى ما يتعقّبه من ذكر مخلوقاته العجيبة ومصنوعاته الغريبة تعالى وتقدّس.

و«المؤنة» فعولة، وتهمز ولا تهمز، وقال الفرّاء: «هي مفعُلة من الأَين و[هو] التعب»، ويقال: هو مفعُلة من الأوْن وهو الخُرْج والعِدل، لأنّه ثقل على الإنسان، قال الخليل: «لو كان مفعلةً لكان مئينة مثل معيشة». وعند الأخفش يجوز أن يكون مفعُلة، ومأنتُ القوم أمؤنُهُم مأناً: إذا احتملت مؤونتهم، ومن ترك الهمز قال: مُنتهم أمونهم وما مأنت مأنه أي لم أكترث له.[١]

ومعنى الحديث: أنّ بركة المرأة وكثرة خيرها قلّة مؤونتها والإنفاق عليها، فخير النساء القانعة الراضية باليسير التي لا تُكلّف زوجها ما لا يطيقه من المطاعم والملابس وغير ذلك، ولا تستدعي منه إلّا ما يقدر عليه عفواً صفواً، ومثلها يرغب فيها.

وفي دعاء لداود ـ صلوات الله عليه ـ: «اللّهمّ إنّي أسألك وأعوذ بك من خصال أربع، أمّا التي أسألكها: فبدن صابر وقلب شاكر ولسان ذاكر وزوجة صالحة تعينني على أمر ديني؛ وأمّا التي أعوذ بك منها فولد يكون عليّ ربّاً ومن مال يكون عليّ عذاباً ومن امرأة يشيبني قبل المشيب ومن جار سوء إن رأى حسنةً كتمها وإن رأى سيّئةً أذاعها.[٢]

وروي: «أَعْظَمُ النساءِ بَرَكَةً أَصْبَحُهُنَّ وَجْهاً، وَأَقَلُّهُنَّ مَهْراً»[٣].

وفائدة الحديث الحثّ على طلب الزوجة الصالحة القانعة القليلة المؤونة. والحديث من رواية عائشة.

---

١ . راجع: الصحاح: ٢١٩٨/٦ـ٢١٩٩.

٢ . راجع: من لا يحضره الفقيه: ٥٥٨/٣، ح٤٩١٧؛ وراجع: الزهد لابن السري: ٥٠٥/٢، ح١٠٣٨؛ تاريخ واسط: ١٣٠؛ المعجم الأوسط: ١٩٩/٦؛ الفردوس: ٤٦٢/١، ح ١٨٨٠.

٣ . مسند الشهاب: ١٨٦/٢، ح١١٤٦؛ الفردوس: ٣٦٠/١، ح١٤٥٣.

قوله صلى الله عليه وآله: المُؤْمِنُ مِرْآةُ المُؤْمِنِ

«المؤمن» هو المصدِّق، وقوله: «وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا»[1]، أي بمصدّق، ويجوز أن يكون معنى المؤمن ذا الأمن، ويجوز أن يكون معناه أنّه جعل لنفسه الأمن. و«المرآة»: الآلة التي تُرى صورة الأشياء، وهي مفعلة من الرؤية وجمعها مِراء وهي كأنّها آلة الرؤية .

والمعنى: أنّ المؤمن يحكي لأخيه المؤمن جميع ما يراه فيه، فإن كان حسناً زيّنه له ليزداد منه، وإن كان قبيحاً نبّه عليه لينتهي عنه. وهذا ممّا روي عن [عمر بن الخطّاب]: «رَحِمَ اللهُ مَنْ أَهْدَى إِلَيّ عُيُوبِي»[2].

وفائدة الحديث الحثّ على تنبيه المؤمن على أعماله الحسنة والقبيحة حتّى لا يغفل عنها.
وراوي الحديث أنس بن مالك.

قوله صلى الله عليه وآله: المُؤْمِنُ أَخُو المُؤْمِنِ

أخٌ أصله أخوٌ، كقولك في جمعه آخاءٌ مثل آباء، وتقول في التثنية أخوان وبعض العرب* يقول: أخان، ويجمع على إخوان، مثل خَرَب وخِربان، وعلى إخوة وأخوة وأخين. [٦٨]
قال الشاعر:

وَكَانَ بَنُو فَزَارَةَ شَرَّ قَوْمٍ وَكُنْتُ لَهُمْ كَشَرِّ بَنِي الأَخِينَا[3]

ولا يستعمل أخو إلّا مضافاً، ويقال: ما كنتُ أخاً ولقد أخَوتَ تأخو أخوّةً، وأخ بيّن الأخوّة وأخت بيّنة الأخوّة أيضاً، وضمّت الهمزة من «أُخت» ليدلّ على أنّ الذاهبة الواو، والنسبة إلى الأخ والأخت جميعاً أخويّ؛ والأخ المشارك الآخر في الولادة من الطرفين أو من أحدهما أو من الرضاع، ويستعمل الأخ في المشارك لغيره في القبيلة أو الدين

---

١ . يوسف: ١٧.

٢ . راجع: سنن الدارمي: ١٦٩/١؛ نثر الدرّ: ٢٤/٢؛ شرح نهج البلاغة: ٢٤/١٢.

٣ . راجع: البيان والتبيين: ١٠٨؛ المقتضب: ١٧٤/٢؛ خزانة الأدب: ٤٣٦/٤.

أو الصنعة أو المعاملة أو المودّة أو غير ذلك من المناسبات؛ والأخ من الأسماء المتضايفة.

ومعنى الحديث: أنّ المؤمن ينبغي أن يحافظ على المؤمن محافظته على أخيه فيسوءه ما يسوءه ويسرّه ما يسرّه، ويعدّ جميع أحواله معدّاً لأحوال أخيه.

وفائدة الحديث الحثّ على العناية بأحوال المؤمن والقيام بأعبائه. وراوي الحديث أبو هريرة.

قوله صلى الله عليه وآله: الْمُؤْمِنُ يَسِيرُ الْمُؤُونَةِ

هذا إخبار معناه الأمر، أمر رسول الله صلى الله عليه وآله المؤمن أن يكون يسير المؤونة كسير المعونة قانعاً بالموجود صابراً عن المفقود[1] شاكراً ذاكراً، لا طامح البصر[2] إلى زبرج الدنيا، ولا جشعاً تواقاً[3] إلى العليا، منكسر القلب، ذليل النفس للربّ، تكفيه الكسرة، وترويه الشربة، ويواريه الجَرَد، ويُلفِحَه الحرّ، وينفحه البرد، كما وصفه أمير المؤمنين عليه السلام: «هُوَ مِنْ نَفْسِهِ فِي تَعَبٍ وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ»[4].

وفائدة الحديث الحثّ على التخفّف من الدنيا والابتذال فيها. وراويه أبو هريرة.

قوله صلى الله عليه وآله: الْمُؤْمِنُ كَيِّسٌ فَطِنٌ حَذِرٌ

«الكياسة» ضدّ الحمق والكيّس: الظريف، ويقال هو كيّس مكيّس. ويُنسب إلى أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال شعراً:

---

١. في خ: المقصود.

٢. طمح بصره إلى الشيء: ارتفع.

٣. مشتاقاً.

٤. الخصال: ٦٢٠؛ الإرشاد: ٣٠٢/١؛ تحف العقول: ١١٠؛ بحار الأنوار: ٥٣/٧٢، ح ١٠.

أَمـا تَـراني كَـيِّساً مُكَيَّسا بَـنَيْتُ بَعْدَ نـافِعٍ مُخَيَّسا[١]

و«مخـيّس» اسـم سـجن بـناه أمـير المـؤمنين عليه السلام بـالعراق، وكـان بَـنَى قـبله نـافعاً فـحرّقه لصوص حبسوا فيه، وكان مبنيّاً من القصب، فبنى مخيّساً بالجصّ والآجر، ويقال مخيَّس أي ذليل ومخيِّس أي موضع التذليل. وقد كاس الغلام يكيس كيساً وكياسةً، وتكيّس: تظرّف، وكايستُه فكستُه أي غلبتُه. و«الفطنة» كالفهم، *ورجل فَطِن وفَطُنٌ، وقد فَطَن فطِنةً وفَطَانةً وفـطانيةً. و«الحـذر»: احـتراز مـن مخـيف، يـقال: حـذر حـذَراً وحـذّرته، وحَـذَار أي احـْذرْ، والحذر: التحرّز مثل الحذر، ورجل حَذُر وحَذِر أي متيقّظ متحرّز، ويجمع حذرين وحذَرَى.

٦٩

وهـذا الحـديث أيـضاً ظـاهره إخـبار ومعناه أمر، يـأمر رسـول الله صلى الله عليه وآله الرجـل المـؤمن أن يكون كـيّساً ظـريفاً، ضـابطاً أمـر ديـنه ودنـياه، فطناً غـير غـافل عمّا سيَدهمه، متحرّزاً غـاية الاحتراز والتحرّز.

وقال الحسن: «المؤمن فطن، هدم دنياه فبنى بها دينه وآخرته، ولم يهدم آخرته ليبني بها دنياه»[٢].

وقال عليّ بن بكار: «ذهب الأخيار فلم يبق إلّا من يؤثر الدرهمين على دينه»[٣].

وقال يحيى بن معاذ: إنَّ الدِّرْهَمَ عَقْرَبٌ، فَإنْ لَمْ تُحْسِنْ رُقْيَتَها فَلا تَأْخُذْهُ، فَإنَّها إنْ لَدَغَكَ قَتَلَكَ سمّها. قيل: وما رقيتها؟ قال: أخذها من حلّها ووضعها في حلّها[٤].

و إنّما شرط صلى الله عليه وآله هذه الخلال للمؤمن لأنّ فيها جوامع الخير يكون كيّساً نظّاراً في الدلائل الموصلة إلى العلم فطناً فهماً عالماً بما يأتي، ويذر حِذراً متحرّزاً مع ذلك كلّه، لأنّ المؤمن منزله بين الخوف والرجاء.

---

١ . كتاب الأدب: ٣٥١؛ العقد الفريد: ١٦٨/٤؛ الفائق: ٤٠٥/١.

٢ . لم أقف على مصدره.

٣ . لم أقف على مصدره.

٤ . راجع: حلية الأولياء: ٦٠/١٠؛ إحياء علوم الدين: ٢٣٣/٣.

وفائدة الحديث الحثّ على التنبيه والتيقّظ وقلّة الركون إلى الدنيا الخدّاعة المكّارة. وراوي الحديث أنس بن مالك.

قوله صلى الله عليه وآله: الْمُؤْمِنُ أَلِفٌ مَأْلُوفٌ

«الإلف»: اجتماع مع التئام، يقال: ألّفتُ بين القوم وألفْتُ الموضع آلفه[1] إلْفاً، وآلفنيه زيد فأنا آلف، وآلفتُ الموضع أولفه إيلافاً وآلفه[2] أؤالفه مؤالفةً وإلافاً على وزن أفعل وفاعل، والتأليف: جمع أجزاء متفرّقة على ترتيب يقدّم فيه المقدّم ويؤخّر المؤخّر، وأوالف الطير التي ألّفت الدور.

فيقول صلى الله عليه وآله: إنّ المؤمن ينبغي أن يكون آلفاً مستأنِساً بالخلق مستأنَساً به غير نافر منفّر ولا منفور منه، معير يخفّ[3] إلى حاجات أخيه المؤمن غير رافع نفسه عنه، يغفر زلّته ويقيل عثرته، ولا يحسد ولا يحقد عليه، موافقاً غير منافق، محالفاً غير مخالف، مناصحاً غير مفاضح.

وفائدة الحديث الحثّ على الألف وحسن المصادقة. وراوي الحديث جابر بن عبد الله الأنصاري.

قوله صلى الله عليه وآله: الْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ

٧٠

«الأمن»: طمأنينة النفس وزوال الخوف، والأمن والأمانة والإيمان*والأَمَنَة قريب من قريب، والله تعالى مؤمن لأنّه آمن عباده من ظلمه إيّاهم، ورجل أَمَنَة وأُمَنَة: يثق بكلّ أحد. وهذا الحديث أيضاً ظاهره إخبار وهو في معنى الأمر، أي: ينبغي أن يكون المؤمن موثوقاً

---

١. كذا في البحار، وفي خ: ألف.

٢. في البحار: آلفته.

٣. كذا في البحار، وفي خ: يحيف.

به مأمون الحديث[١] غير خائن في نفس أو مال، ولا مخفرٍ ذمّةً ولا ناقضٍ عهداً ولا ناكثٍ عقداً[٢].

وفائدة الحديث الحثّ على الديانة والأمانة والصيانة واتّباع الأحسن في المعاملة وإيثار الصدق والمجاملة. وراوي[٣] الحديث أنس بن مالك وفُضالة بن عبيد.

قوله صلى الله عليه وآله: الْمُؤْمِنُ غِرٌّ كَرِيمٌ وَالْفَاجِرُ خِبٌّ لَئِيمٌ

رجل غرّ وغرير أي غير مجرّب، وجارية غرّة وغريرة وغرّ أيضاً بيّنة الغرارة، ويجمع الغرّ أغراراً، والغرير أَغِرّاء، وقد غرّ يغرّ ـ بالكسر ـ غرارةً، والاسم الغرّة، ويقال: كان ذلك في غرارتي وحداثتي أي غرّتي والغِرّة: الغفلة، والغارّ: الغافل، واغترّه: أتاه على غرّة منه، واغترّ بالشيء: خُدع به. و«الكرم»: الجود، وإذا وصف الله تعالى بالكرم فهو عبارة عن الإحسان والإنعام المترادف، وإذا كان وصفاً للآدمي فهو الأخلاق[٤] والأفعال المحمودة فيه، والكرم كالحرّيّة إلّا أنّه أكبر منها درجةً، ونقيض الكرم اللؤم، وقد كرم الرجل فهو كريم، وقوم كرام وكرماء ونسوة كرائم؛ ويقال: رجل كرم وامرأة كرم ونسوة كرم. وقال: فتنبو العين عن كرم عجاف.[٥] والكَرام كالكريم والكِرام فوق ذلك. و«الفجور»: الفسق وأصل «فجر»: الشقّ، ومنه الفجر الطالع وفجر الماء، فكان الفجور شقّ لنا من الدين[٦]، وأكثر ما يذكر الفاجر في القرآن والحديث يراد به الكافر. وقوله: «ونخلع ونترك من يُفجرك»[٧] قيل:

---

١. في البحار: مأمون الجانب نقيّاً من المعايب.

٢. في البحار: ولا ناقض عهد ولا ناكث عقد.

٣. في البحار: وراويا.

٤. في البحار: للأخلاق.

٥. راجع: ٣٦٨/٥؛ إصلاح المنطق: ٦٠؛ غريب الحديث لابن قتيبة: ٥٧١/٢.

٦. في البحار: شقّ لباس الدين.

٧. راجع: المدوّنة الكبرى: ١٠٣/١؛ مصنّف عبد الرزّاق: ١١٠/٣، ح٤٩٦٨؛ الدعوات الكبير: ١٤٥/٢، ح ٣٨١.

يكذّبك وقيل: يتباعد. و«الخبّ»: الخدّاع الجُربُز، وقد خببتَ يا رجل تخبّ خِبّاً ـ بالكسر ـ، وقد خبّب فلان فلاناً أي خدعه. و«اللؤم»: الدناءة والشحّ، وأصله الهمز، وقد لَؤُمَ لؤماً ومَلْأمَة ولآمَة كقولك: لئامة، ويا ملأمان خلاف يا مَكْرَمان.[١]

فوصف صلى الله عليه وآله المؤمن بالغفلة عمّا لا يعنيه والإهمال لما ليس من شأنه وبالجود الذي هو تاج المفاخر وواسطة المآثر؛ وعكس ذلك كلّه للكافر، فوصفه بالجربزة والخبث والشيطنة، وقرن بذلك اللؤم والشحّ، وجعله لا يبضّ حَجَرَه[٢] ولا يورق شجره؛ وهو وصف معناه الترغيب *في خصال الخير وتجنّب خصال الشرّ.

٧١

وفائدة الحديث الأمر بالتغافل عن بعض الأمور وترك الاستقصاء فيها والمساهلة في المعاملة، والنهي عن الخبّ وسوء المعاملة والخداع والاستهزاء والبخل بما في اليد. وراوي الحديث أبو هريرة.

قوله صلى الله عليه وآله : المؤْمِنُونَ كَالْبُنْيَانِ يُشَدُّ بَعْضُهُ بَعْضاً

«البنيان»: الحائط، وهو واحد، قال الله تعالى: «لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ»[٣]، تقول: بنا فلان بيتاً وبنا قصوراً وبنا على أهله، ولا تقل: بأهله، فإنّه سقط من الكلام، وأصل ذلك أنّ المحوّل زوجته كان يبني عليها قبّةً فقيل لكلّ محوّل يبني على أهله. والبنية: الكعبة ، والبُنى ـ بالضمّ ـ جمع بنية وهي البناء، وأكثر ما يقال للمعالي، والبِنَى جمع بِنْيَة، وفلان صحيح البِنْيَة أي الفطرة.

---

١ . راجع: الصحاح: ٢٠٢٥/٥.

٢ . مثل للبخيل، أي: ما تندى صفاته.

٣ . التوبة: ١١٠.

فشبّه صلى الله عليه وآله المؤمن بالبناء الذي يستمسك مادام متّصلاً بعضه ببعض، فإذا تداعى وتهوّر[١] وتميّز تفرّقت أجزاؤه وبطل التئامه، كذلك المؤمنون ما تعاضدوا وترافدوا فهم كالبناء المتّخذ الذي تبنوا عنه المعاول[٢] وتعجز عنه العوامل، فإذا تخاذلوا وتواكلوا زال ذلك الاتّحاد وظهر الفساد.

وهذا الحديث أيضاً ظاهره إخبار ومعناه أمر، كما يقول واحد منّا لغيره: سبيلك أن تفعل ذلك، أي افعل. وفائدة هذا الحديث الحثّ على التعاون والتظاهر والنهي عن التقاطع والتدابر. وراوي الحديث أبو موسى.

قوله صلى الله عليه وآله: المؤمنُ مِنْ أَهْلِ الإيمانِ بِمَنزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الجَسَدِ

تمام هذا الحديث: «يَأْلَمُ الْمُؤْمِنُ لِما يُصِيبُ أَهْلَ الإيمانِ كَما يَأْلَمُ الرَّأْسُ لِما يُصِيبُ الْجَسَدَ»[٣].

«الأهل»: أهل لرجل وأهل الدار، وكذلك الأهل[٤] والجمع أهلات وأهال، وزادوا فيه الياء على غير قياس كما قالوا: ليال في جمع ليل، وجاء في الشعر: آهال مثل فرخ وأفراخ وزند وأزناد[٥]؛ وأهل الرجل من يجمعه وإيّاهم نسب أو دين أو غير ذلك من صناعة وبلد، وأهل الرجل في الأصل من يجمعه وإيّاهم مسكن واحد، ثمّ يجوّز فيه فقيل: أهل بيت الرجل لمن يجمعه وإيّاهم نسب، وإذا أطلق ذلك فالمتعارف منه أولاد رسول الله صلى الله عليه وآله ولحمته؛ قال الله

---

١. تهدّم.

٢. جمع المِعْوَل وهي آلة من الحديد ينقر بها الجبال.

٣. مصنّف ابن أبي شيبة: ٨٩/٧، ح٣٤٤١٦؛ مسند أحمد: ٣٤٠/٥، ح٢٢٩٢٨؛ مسند الشهاب: ١١٣/١، ح١٣٦.

٤. كذا في خم وفي الصحاح: الأهلة.

٥. راجع: الصحاح: ١٦٢٩/٤.

٧٢

تعالى: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ»[١].

ويعني رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك إعلام أمير[٢] المؤمنين وعزّتهم واتّفاقهم الذي ينبغي أن يكونوا عليه وتعاونهم وتآزرهم وتظاهرهم وتظافرهم حتّى لو شاكت رِجل مؤمن بالمشرق لكان يجب على المؤمن من أهل المغرب أن يتألّم لذلك إذا علمه كما لو شاكت رِجله، وهذا هو الذي يوجبه الإسلام ويقتضيه الديانة؛ ولذلك مثّله بالرأس من الجسد، لأنّه إذا تألّم بعض الأوصال والأعضاء كانت الجملة متألّمة.

وفائدة الحديث الحثّ على التراحم والتعاطف وأن يكون المؤمنون متوادّين مُترائفين[٣] مشفقين. وراوي الحديث سهل بن سعد الساعدي.

قوله صلى الله عليه وآله : المؤمِنُ يَوْمَ القِيَامَةِ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ

القيامة عبارة عن قيام الساعة المذكورة في قوله تعالى: «وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ»[٤] «يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ»[٥]، والقيامة يفيد لفظها أنّها تقوم دفعةً واحدةً ولذلك أدخلت فيه الهاء. و«الظلّ» عبارة عن عدم ضوء الشمس لحائل يحول؛ وقيل: الظلّ في الحقيقة ضوء شعاع الشمش دون الشعاع، وإذا لم يكن ضوء فهو ظلمة وليس بظلّ؛ وقيل: الظلّ ضدّ الضِحّ[٦]؛ وهو أعمّ من الفيء لأنّه يقال: ظلّ الليل وظلّ الجنّة، ويقال: لكلّ موضع لم تصل إليه الشمس ظلّ، ولا يقال فيء إلّا لما فات الشمس منه؛ ويعبّر بالظلّ عن العزّ والمنعة والرفاهة،

---

١. الأحزاب: ٣٣.

٢. كذا في خ.

٣. متراحمين.

٤. الروم: ١١.

٥. المطفّفين: ٦.

٦. الشمس أو ضوؤها إذا استكمن من الأرض.

قال الله تعالى: «إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ» [١]، وقال تعالى: «أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا» [٢]، وأظلّني فلان وأنا في ظلّ فلان.

ولهذا الحديث وجهان:

أحدهما: محسوس، وهو أنّ الشمس يوم القيامة ـ كما ورد في الحديث ـ تشرق على أهلها العُراة الضاحّين لها، تصهرهم [٣] وتلوّح أبشارهم وتفجّر به منهم العَرَق الذي ينادون منه: الغَرَق! الغرق! حتّى أنّه تغلي أدمغتهم [٤] من حرّها ـ على ما ورد في الحديث [٥] ـ وحتّى يلجمهم العرق والصعيد خالٍ من مظلّ، فهم في صهرتها إلّا أن يظلّهم الله بما شاء من فضله.

وروي: أنّ الصدقة تظلّ عليهم كالغمامة والغَيَايَة [٦] يظلّ الله تعالى بعض عباده يومئذٍ بعرشه [٧] ـ كما ورد في الحديث الصحيح ـ ونحن مؤمنون بجميع ما قاله من لا ينطق عن الهوى الذي قال فيه: «مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا» [٨]،فإذا قال صدّقنا، وإذا حكم حقّقنا. ٧٣

والوجه الآخر: معنويّ مجازيّ، وهو أنّ المؤمن في منعة الصدقة وعزّها، يعني أنّ ثوابها يؤويه كما يؤوي الظلّ الضاحي؛ وهذا مجاز، والله تعالى أعلم بمراد رسول الله صلّى الله عليه وآله.

وفائدة الحديث الحثّ على بذل النوال في جميع الأحوال والسخاء بما يفني ويعقب ما

---

١. المرسلات: ٤١.

٢. الرعد: ٣٥.

٣. تذيبهم.

٤. الأدمغة جمع الدماغ.

٥. راجع: تفسير مقاتل بن سليمان: ٢/٢٠٩.

٦. السحابة المنفردة.

٧. لم أقف عليه.

٨. الحشر: ٧.

يدوم ويبقى. وراوي الحديث عقبة بن عامر.

قوله صلى الله عليه وآله: المؤمِنُ يَأكُلُ فِي مِعىً وَاحِدٍ وَالْكَافِرُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءَ

«المعاء» على وزن اللواء واحد الأمعاء، وهي مجاري الطعام في البطن، وتثنيته معيان؛ وهذا مثل، وذلك أنّ المؤمن لا يأكل إلّا من الحلال ويجتنب الحرام والشبهة والكافر لا يبالي ما أكل وكيف أكل ومن أين أكل، وإذا كان كذلك فمأكل الكافر أكثر من مأكل المؤمن، وخصّ السبعة بالذكر كما تذكر السبعون في مثل هذا الموضع، قال الله تعالى: «إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ» [١]، والمعاء أيضاً المِذنَب من المذانب وهو مسيل الماء في الحضيض.

قال أبو عبيد: «نرى ذلك لتسمية المؤمن عند طعامه فيكون فيه البركة والكافر [لا] يفعل ذلك» [٢]، وهذا الوجه كما ترى.

وقيل: إنّ هذا مثل ضربه النبيّ صلى الله عليه وآله للمؤمن وزهده في الدنيا وللكافر وحرصه عليها، وليس الغرض بذلك الأكل فحسب، بل يعني اتّساع الرغبة، وهذا الوجه قريب من الوجه الذي قدّمناه وصدّرنا به الكلام.

وقيل: هذا في رجل بعينه كان في حال كفره يأكل فيكثر فلمّا أسلم قلّ طَمَعه [٣]. وذكر أنّه عمرو بن معدي كرب الزبيدي. [٤]

---

١ . التوبة: ٨٠.

٢ . راجع: غريب الحديث لابن سلام: ٢٢/٣؛ تهذيب اللغة: ١٥٨/٣؛ لسان العرب: ٢٨٧/١٥.

٣ . في البحار: طعامه.

٤ . لم أقف على مصدره.

وقال أبو عبيد في تاريخه[١]: نرى أنّه عنى أبا بصرة الغفاري واسم أبي بصرة حميل ـ بالحاء وضمّه ـ فمن قال جميل أو جهال فقد أخطأ والله أعلم بذلك.

ويؤيّد أنّ المعنى اتّساع الرغبة قولهم: فلان يأكل هذه البلدة وهذه الولاية، ولعلّه لا يأكل ممّا يحصل منها لقمة بل يتصرّف في ذلك، وذكر في الأكل مجاز في مثل هذا الموضع، ويقال: أكل فلان ألف دينار، ولعلّه ليس به ولم يأكل أو أعطاه أو أنفقه في وجه غير الأكل، والغرض بالأكل الشنعة.

ألا ترى إلى قول أمير المؤمنين عليه السلام: «لَيُسَلَّطَنَّ عَلَيْكُمْ غُلَامُ ثَقِيفٍ الذَّيَّالُ الْمَيَّالُ يَأْكُلُ خَضِرَتَكُمْ وَيُذِيبُ شَحْمَتَكُمْ»[٢].

٧٤

ويقول لغيره يعني معاوية ※: «أَمَّا إِنَّهُ سَيَظْهَرُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي رَجُلٌ رَحْبُ الْبُلْعُومِ مُنْدَحِقُ الْبَطْنِ وَاسِعُ السُّرْمِ يَأْكُلُ مَا يَجِدُ وَيَطْلُبُ مَا لَا يَجِدُ»[٣]، وكلّ ذلك تعبير بالرُغب. وقيل: الرغب الشؤم.[٤]

وهذا إعلام منه صلى الله عليه وآله أنّ المؤمن يشغله دينه وخوفه من الله عن الدنيا والاتّساع فيها.

وفائدة الحديث الحثّ على الرغبة عن الدنيا والاجتناب عن الوقوع في مصائد شهواتها. وراوي الحديث جابر، ورواه ابن عمر.

قوله صلى الله عليه وآله: المؤمِنُونَ هَيِّنُونَ لَيِّنُونَ

«الهون»: السكينة والوقار، قال الله تعالى: «يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً»[٥]، والهون مصدر

---

١. راجع: تهذيب اللغة: ٣/١٥٨؛ غوامض الأسماء المبهمة: ٥/٣٤٨؛ كشف المشكل: ١/٤٢٠؛ وراجع: التاريخ الأوسط.

٢. نهج البلاغة: ١٣٧؛ بحار الأنوار: ٣٤/٩١.

٣. نهج البلاغة: ٩٢؛ بحار الأنوار: ٣٩/٣٢٥.

٤. راجع: العين: ٤/٤١٣؛ الصحاح: ١/١٣٧؛ والرُغب: الشره.

٥. الفرقان: ٦٣.

هان عليه الشيء، وشيء هيّن ـ على فيعل ـ أي سهل، وهين مخفّف منه والجمع أهْوِناء وقوم هينون لينون، والهُون ـ بالضمّ ـ الهوان، ويقال: خذ أمرك بالهون والهُوَينى، أي بالرفق واللين، والهوينى تصغير الهَوْنى، والهَوْنَى تأنيث الأهون كالكبرى تأنيث الأكبر.

وقال ابن الأعرابي: «العرب تمدح بالهين واللين [مخففاً] وتذمّ بالهيّن والليّن مثقّلاً»[١].

وقال غيره: هما جميعاً واحد، والأصل التثقيل فخفّف.

وتركيب «هون» في كلام العرب على وجهين: أحدهما: تذلّل الإنسان في نفسه لما[٢] لا غضاضة فيه، وهو ممّا يمدح فيه كما قال تعالى: «يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً»[٣]. والآخر: أن يكون من التسخير والإذلال والإهانة، كقوله تعالى: «فَأَخَذَتْهُمْ صاعِقَةُ الْعَذابِ الْهُونِ»[٤]، ولا يبعد أن يكون الهاوون[٥] من هذا، لأنّه يهون به الشداد والصلاب، وهو عربيّ صحيح، ولا يجوز هاون.

فوصف صلى الله عليه وآله المؤمنين بأنّهم هيّنون ليّنون؛ والمعنى أمرٌ يأمرهم بالهون ولين الجانب ودَماثة[٦] الأخلاق وسكون الريح والهُدُوء وخفض الجناح.

وتمام الحديث: «مثل الجمل الأنف إن قدته انقاد وإن أنخته استناخ»[٧]. و«الأنف»: البعير الذي يشتكي أنفه، يقال: أنف البعير فهو أنف، مثل تَعِب فهو تَعْب. وقيل: الأنف المأنوف الذي عقر الخشاش أنفه، فهو لا يمتنع على قائده لما يجده من الوجع. وقيل: الأنف الذلول.[٨]

---

١. راجع: تهذيب اللغة: ٦/٢٣٣؛ غريب الحديث لابن الجوزي: ٢/٥٠٥.

٢. في البحار: بما.

٣. الفرقان: ٦٣.

٤. فصّلت: ١٧.

٥. وعاء مجوّف من الحديد أو النحاس يدق فيه.

٦. سهل.

٧. راجع: الزهد لابن الحنبل: ٣٨٦ـ٣٨٧؛ حلية الأولياء: ٥/١٨٠؛ شعب الإيمان: ٦/٢٧٣، ح ٨١٢٩؛ الفردوس: ٤/١٨٨، ح ٦٥٨٣.

٨. راجع: غريب الحديث لابن الجوزي: ١/٤٤؛ النهاية: ١/٧٥.

وأَنختُ الجمل فاستناخ أي أبركتُه فبرك.

وَقَالَ عليه السلام: «حُرِّمَتِ النَّارُ عَلَى الْهَيِّنِ اللَّيِّنِ السَّهْلِ الْقَرِيبِ»[١].

وقال سعيد بن عبد الرحمن الزبيدي: «يعجبني من القُرّاء كلّ سهل طلق مِضحاك، فأمّا من تلقاه* ببشر ويلقاك بعبوس يمنّ عليك بعمله، فلا أكثر الله في المسلمين مثله»[٢].

٧٥

وقال عليه السلام: «إنَّ مِنَ الصَّدَقَةِ أَنْ تُسَلِّمَ عَلَى النَّاسِ بِوَجْهٍ طلقٍ»[٣].

وفائدة الحديث الحثّ على الأخلاق الحسنة والأخذ بالجميل. وراوي الحديث ابن عمر.

قوله صلى الله عليه وآله: الشِّتَاءُ رَبِيعُ الْمُؤْمِنِ

«الشتاء»: الربع من السنة، قال المبرّد: هو جمع شتوة،[٤] ويجمع الشتاء أشتيةً، والنسبة إلى الشتاء شتويّ وشِتويّ، وشتوا بمكان كذا وتشتّيا، وأشتى القوم: دخلوا في الشتاء. و«الربيع»: الربع المعروف من السنة، وكأنّه سمّي ربيعاً لأنّه الربع الواعد بالخير كالنصيف بمعنى النصف؛ والربعيّ: ما ولد فيه، والمَرْبَع: المنزل، الربعيّ، والرَبْعُ: المنزل، وذلك لأنّ أوّل نزولهم في الربيع؛ وهو أطيب فصول السنة يتبرّج السماء فيه كلّ يوم بألوان من بين أدكن فاختيّ[٥] وأحمر معصفريّ[٦] وأسود غرابيّ وأبيض عتابيّ[٧]، فترى خطيب الرعد يهدر في شقاشقه وميض

---

١. راجع: الورع لابن حنبل: ٨٣؛ الآحاد والمثاني: ٢٣٧/١، ح٣٠٩؛ شعب الإيمان: ٢٧٢/٦، ح٨١٢٥.

٢. مداراة الناس: ٦٥؛ روضة العقلاء: ٧٦؛ كتاب السماع: ٩٤.

٣. راجع: شعب الإيمان: ٢٥٣/٦، ح٨٠٥٣؛ الترغيب والترهيب: ٢٨٢/٣، ح٤٠٧٢؛ كنز العمّال: ٤٩/٩، ح٢٥٢٦٢.

٤. راجع: الصحاح: ٢٣٨٩/٦.

٥. منسوب إلى الفاختة وهي ضرب من الحمام.

٦. تَعَصْفَرَ: انصبغ بالعصفر، وهو نبات صيفيّ من الفصيلة المركّبة زهره تابلاً ويستخرج منه صبغ أحمر يصبغ به الحرير ونحوه.

٧. كذا في خ.

البرق يتسلسل في شقايقه[١]، فيبكي بأدمُع له سجام على الرُبى والآكام فتضحك الأرض من بكائها، وتبرز من لباسها في أبهى بهائها، وتلبس الهضاة الزعر[٢] أكسيتها الفاخرة وأزهارها الزاهرة، ذلك تقدير العزيز العليم القادر الحكيم؛ فليطيب هذا الفصل.

شبّه صلى الله عليه وآله الشتاء بالربيع وذلك لطول ليله على القائم وقصر نهاره على الصائم.

وقد جاء في رواية تمام هذا الحديث: «قَصُرَ نَهَارُهُ فَصَامَهُ، وَطَالَ لَيْلُهُ فَقَامَهُ»[٣].

فشبّهه صلى الله عليه وآله بالربيع لطيبه وندب المؤمن إلى استغنامه وغمره بالطاعة الليليّة والنهاريّة.

وفائدة الحديث الحثّ على الطاعة في الشتاء ليلاً ونهاراً. وراوي الحديث أبو سعيد الخدري رضي الله عنه.

قوله صلى الله عليه وآله: الدُّعَاءُ سِلاحُ المُؤْمِنِ

«السلاح»: كلّما يقاتل به، وجمعه أسلحة، والإسْليح: نبتٌ إذا أكلته الإبل سمّنت وغزرت كأنّها تحمل بذلك سلاحاً دافعاً عن النحر؛ وهذا كثير في كلامهم، قال شاعرهم:

أَزْمَانَ لم تأخذْ إليَّ[٤] سِلاَحَها إبلي بِجِلَّتِهَا ولا أَبْكارِها[٥]

وتسلّح الرجل: لبس سلاحه، ورجل سالح: معه السلاح، والمسلّحة: قوم ذو سلاح، والمسلّحة كالثغر[٦].

---

١. جمع الشقيقة وهي مطر الغزير.

٢. الهِضاة: الذؤابة، والزعر: قليلة الريش.

٣. راجع: شعب الإيمان: ٤١٦/٣، ح ٣٩٤٠؛ سنن البيهقي: ٢٩٧/٤، ح ٨٢٣٩؛ كنز العمّال: ١٤٣/١٢، ح ٣٥٢٠٩.

٤. كذا في المصادر، وفي خ: عليّ.

٥. قاله النمر بن تولب، راجع: غريب الحديث لابن سلام: ٢٠٥/١؛ الزاهر في معاني كلمات الناس: ١٦٣/٢.

٦. ما تقدّم من الأسنان.

٧٦

*فيقول ﷺ: إنّ المؤمن يستعين بالله على عدوّه مستعيناً به عن غيره، ويجعل دعائه سلاحه الذي يتحصّن به ويستدفع بمكانه.

وفائدة الحديث الحثّ على الدعاء والاستكفاء بعزّته عن غيره. وراوي الحديث جعفر بن محمّد عن أبيه عن أمير المؤمنين عليهم السلام، وتمامه: «الدُّعَاءُ سِلَاحُ الْمُؤْمِنِ وَعِمَادُ الدِّينِ وَنُورُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ»[١].

قوله ﷺ: الصَّلاةُ نُورُ الْمُؤْمِنِ

«النور»: الضياء المنتشر الذي ينسب به إلى الرؤية، والنور نوعان: دنيويّ وأخرويّ، فالدنيويّ ينقسم إلى محسوس ومعقول، فالمحسوس كنور الأجسام النيّرة والمعقول كنور العقل . والأخرويّ الذي يسعى بين يدي المؤمنين في الآخرة، قال تعالى: «يَسْعى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمانِهِم»[٢]، وقوله تعالى: «اللهُ نُورُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ»[٣]. يقال: أناره الله ونوّره، والنار: اللهيب البادئ لحاسّة البصر ويرجعان من جهة اللفظ إلى واحد.

فجعل ﷺ الصلاة نور العبد المؤمن الهادي إلى الجنّة ويقول[٤] كذلك.

وقد روى عليّ بن موسى الرضا عن أبيه عن آبائه عليهم السلام عن رسول الله ﷺ: «أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ الصَّلَاةُ»[٥]، فإن جاء بها تامّةً وإلّا زُخَّ في النار.

وعن النبيّ ﷺ لعائشة: «يَا عَائِشَةُ! اهْجُرِي الْمَعَاصِي [فإنّها أفضل الهجرة] وحافظي

---

١ . مسند أبي يعلى: ٣٤٤/١، ح٤٣٩؛ المستدرك: ٦٦٩/١، ح١٨١٢؛ مسند الشهاب: ١١٦/١، ح١٤٣.

٢ . الحديد: ١٢.

٣ . النور: ٣٥.

٤ . في خ: وبقو.

٥ . الكافي: ٢٦٧/٣؛ من لا يحضره الفقيه: ٢٠٨/١، ح٦٢٦؛ وراجع: مسند أحمد: ٦٥/٤، ح١٦٦٦٥.

على الصلاة فإنّها أفضل الجهاد»[١].

وعن أنس بن مالك أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله إذا أحبّ رجلاً أمره بالصلاة.[٢]

وهذا الحديث كالذي قبله، لأنّ الصلاة هي الدعاء في الأصل.

وقال الله تعالى: «وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْها»[٣].

وفائدة الحديث الحثّ على الصلاة والمبادرة إليها ومراعاة أركانها وأوقاتها وشروطها. وراوي الحديث أنس بن مالك.

قوله صلى الله عليه وآله: الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ

«الدنيا»: اسم لهذه الدار التي نحن فيها، وهي معبر إلى الآخرة، والآخرة بإزائها، وهي الفُعلى من الدنوّ، وجمعها الدنى مثل الكبرى والكبر. و«السجن»: الموضع الذي يحبس فيه، والسجّين بإزاء علّيّين، وهو اسم لجهنّم. و«الجنّة»: البستان التي تجنّ أرضها[٤] الأشجارَ، وهي اسم لدار الخلد.

٧٧

شبّه رسول الله صلى الله عليه وآله المؤمن [بـ]المسجون، من حيث هو ملجم *الأوامر والنواهي، مضيّق عليه في الدنيا، مقبوض على يده فيها، مخوّف بسياط العقاب، مبتلى بالشهوات ممتحن بالمصائب، خلاف[٥] الكافر الذي هو مخلوع العذار، متمكّن من شهوات البطن والفرج، بطيبة من قلبه وانشراح من صدره، مخلّى بينه وبين ما يريد على ما يسوّل له الشيطان، لا ضيق عليه ولا منع، فهو يغدو فيها ويروح على حسب مراده وشهوة فؤاده؛ فالدنيا كأنّها جنّة له

١. الورع لابن أبي الدنيا: ٥٨، ح٤٨؛ المعجم الأوسط: ٢٣٨/٤، ح٤٠٧٧؛ كنز العمّال: ١٠٩/٢، ح٣٩٣.

٢. لم أقف على مصدره.

٣. طه: ١٣٢.

٤. في خ: وأرضها.

٥. في البحار: بخلاف.

يتمتّع بملاذّها[١] ويتنعّم[٢] بنعيمها، كما أنّها كالسجن للمؤمن صارفاً له عن لذّاته مانعاً من شهواته.

وفي الحديث أنّه قال عليه السلام لفاطمة عليها السلام: «يَا فَاطِمَةُ تَجَرَّعِي مَرَارَةَ الدُّنْيَا لِحَلَاوَةِ الْآخِرَةِ»[٣]. وروي: «أَنَّ يَهُودِيّاً تَعَرَّضَ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام وَهُوَ فِي شَظَفٍ مِنْ حَالِهِ وَكُسُوفٍ مِنْ بَالِهِ وَالْحَسَنُ عليه السلام رَاكِبٌ بَغْلَةً فَارِهَةً عَلَيْهِ ثِيَابٌ حَسَنَةٌ فَقَالَ: جَدُّكَ يَقُولُ: إِنَّ الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ، فَأَنَا فِي السِّجْنِ وَأَنْتَ فِي الْجَنَّةِ؟! فَقَالَ عليه السلام: لَوْ عَلِمْتَ مَا لَكَ وَمَا يَرتبُ[٤] لَكَ مِنَ الْعَذَابِ لَعَلِمْتَ أَنَّكَ مَعَ هَذَا الضُّرِّ هَاهُنَا فِي الْجَنَّةِ وَلَوْ نَظَرْتَ إِلَى مَا أُعِدَّ لِي فِي الْآخِرَةِ لَعَلِمْتَ أَنِّي مُعَذَّبٌ فِي السِّجْنِ هَاهُنَا»[٥].

وروي أنّ سلمان رضي الله عنه أكره على طعام فقال: حسبي إنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «إِنَّ أَطْوَلَ النَّاسِ جُوعاً يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَكْثَرُهُمْ شِبَعاً فِي الدُّنْيَا، يَا سَلمانُ! الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ»[٦]، فالمؤمن يتزوّد والكافر يتمتّع.

والله إن أصبح فيها مؤمن إلّا حزيناً وكيف لا يحزن، وقد جاء عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «أَنَّهُ وَارِدُ جَهَنَّمَ، وَلَمْ يَأْتِ أَنَّهُ صَادِرٌ عَنْهَا»[٧].

وقال منصور الفقيه ناظماً لمعنى الحديث:

---

١. جمع الملذّة وهي الشهوة.

٢. في البحار: يتمتّع.

٣. راجع: كتاب التمحيص: ٦؛ مكارم الأخلاق: ١١٧؛ مناقب آل أبي طالب عليهم السلام: ١٢٠/٣؛ وراجع: الفردوس: ٤٣٥/٥، ح ٨٦٦٠؛ كنز العمّال: ١٩٠/١٢، ح ٣٥٤٧٥.

٤. في البحار: يرقب.

٥. راجع: كشف الغمّة: ١٦٧/٢؛ بحار الأنوار: ٣٤٦/٤٣ـ٣٤٧.

٦. المعجم الكبير: ٢٣٦/٦، ح ٦٠٨٧؛ مسند البزار: ٤٦١/٦، ح ٢٤٩٨؛ شعب الإيمان: ٢٧/٥، ح ٥٦٤٤؛ كنز العمّال: ١٨٣/١٣، ح ٣٧١٢٧.

٧. راجع: الزهد لابن المبارك: ١٠٤/١، ح ٣٠٩؛ تاريخ مدينة دمشق: ١٠٦/٢٨؛ وراجع: الأمالي للطوسي: ٥٢٩؛ مكارم الأخلاق: ٤٦١؛ بحار الأنوار: ٣٣٣/٦٣، ح ١٣.

جـنّة المـؤمن دنـياه كـذا قـال الرسـول وهـي للـمؤمن سجن حـزنه فيه طويل[1]

وفائدة الحديث الحثّ على مصابرة شدائد أحوال الدنيا وتجرّع مرارتها وتطييب القلب لما يعدّ له في الآخرة. وراوي الحديث عبد الله بن عمر.

قولهﷺ: الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ

«الحكمة»: العلم إذا استعمل في الفعل فالمراد به كلّ فعل حسن واقع من العالم لحسنه. وقيل: الحكمة إصابة الحقّ بالعلم والفعل؛ والحكمة من الله تعالى العلم بالأشياء وإيجادها على غاية الإحكام، ومن الإنسان معرفة الموجودات وفعل الخيرات، وهذا هو الموصوف به لقمان بقوله تعالى: «وَلَقَدْ آتَيْنا لُقْمانَ الْحِكْمَةَ»[2]. والكلمة الدالّة على الخير حكمة، وهي المعنّية في هذا *الحديث.

78

وقال ابن دريد: الحكمة كلّ كلمة وعظتك أو زجرتك أو دعتك إلى مكرمة أو نهتك عن قبيح.[3]

والحُكم أيضاً الحكمة، قال تعالى: «وَآتَيْناهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً»[4].

وسمع ابن جريج كلمة حكمة، فقال: «ضالّتي وربّ الكعبة»[5].

وأصل «حكم» في كلام العرب المنع للإصلاح، ومنه حكمة الدابّة وإحكام العُقدة كيلا ينحلّ سريعاً.

وصف النبيّﷺ الحكمة أنّها إذا ظفر بها المؤمن اغتنمها، كأنّها ضالّته والتقطها كأنّها لُقَطته، وفرح بها لأنّه المنتفع بمكانها.

---

١. لم أقف على مصدره.

٢. لقمان: ١٢.

٣. راجع: جمهرة اللغة: ١/٥٦٤؛ تفسير الثعلبي: ١/٢٧٦ـ٢٧٧.

٤. مريم: ١٢.

٥. لم أقف عليه.

وتمام الحديث: «حَيْثُمَا وَجَدَ الْمُؤْمِنُ ضَالَّتَهُ فَلْيَجْمَعْهَا إِلَيْهِ»[١].

وفي رواية أخرى: «حَيْثُمَا وَجَدَها هُوَ أَحَقُّ بِهَا»[٢].

وفائدة الحديث الحثّ على اصطياد الحكمة والتشبّث بها والاقتباس منها. وراوي الحديث زيد بن أسلم.

قوله صلى الله عليه وآله: نِيَّةُ المؤمِنِ أَبْلَغُ مِنْ عَمَلِهِ

قد تقدّم الكلام في النيّة ومعناها.

ومعنى الحديث ـ والله أعلم ـ: أنّ النيّة عمل بين العبد وربّه تبارك وتعالى لا يطّلع عليه غيره، ولا يمكن أن يشوبها الرياء والسمعة بخلاف العمل، فإنّه قد يقع مشوباً مخلوطاً غير خالص لله تعالى، وإذا كان كذلك فالنيّة الخالصة أبلغ من العمل الذي حاله هذه.

وقال بعضهم: إنّ المؤمن ينوي أشياء من أبواب الخير كالصدقة والصوم والصلاة وغير ذلك، ولعلّه يعجز عنها وهو معقود النيّة عليها، فنيّته خير من عمله، يعني العمل الذي لم يوافق له.

قال: وعلى هذا المعنى يُروى عنه صلى الله عليه وآله أنّه قال: «لَنْ يَدْخُلَ أَحَدُكُمْ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهِ، قيل: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ بِرَحْمَتِهِ»[٣]، أي إنّما يستحقّ الخلود بالنيّة.

وقال عبد الله بن مسلم المروزيّ: «إِنَّ اللهَ عزّ وجلّ يُخَلِّدُ الْمُؤْمِنَ فِي جَنَّتِهِ بِنِيَّتِهِ لا بِعَمَلِهِ، وَلَوْ جُوزِيَ بِعَمَلِهِ لَمْ يَسْتَوْجِبِ التَّخْلِيدَ، لِأَنَّ عَمَلَهُ فِي سِنِينَ مَعْدُودَةٍ، وَالْجَزَاءُ يَقَعُ بِمِثْلِهَا وَبِأَضْعَافِهَا، وَإِنَّمَا يُخَلِّدُهُ اللهُ بِنِيَّتِهِ، لِأَنَّهُ كَانَ نَاوِياً أَنْ يُطِيعَ اللهَ أَبَداً لَوْ أَبْقَاهُ أَبَداً، فَلَمَّا اخْتَرَمَتْهُ

---

١. مسند الشهاب: ١/١١٨، ح١٤٦.

٢. المجازات النبويّة: ١٩٨؛ وراجع: سنن ابن ماجه: ٢/١٣٩٥، ح٤١٦٩؛ سنن الترمذي: ٥/٥١، ح٢٦٨٧؛ مسند الشهاب: ١/٦٥، ح٥٢.

٣. مسند ابن المبارك: ٥٢، ح٨٣؛ مسند أحمد: ٢/٢٥٦، ح٧٤٧٣؛ صحيح البخاري: ٥/٢١٤٧، ح٥٣٤٩.

المنيّة دُونَ نِيَّتِهِ، جَزَاهُ عَلَيْهَا [التَّخْلِيدَ أَبداً]، وَكَذَلِكَ الْكَافِرُ نِيَّتُهُ شَرٌّ مِنْ عَمَلِهِ، لِأَنَّهُ كَانَ نَاوِياً أَنْ يُقِيمَ عَلَى كُفْرِهِ أَبَداً، فَلَمَّا اخْتَرَمَتهُ المنيّة[1] دُونَ نِيَّتِهِ، جَزَاهُ اللهُ عليها»[2].

وكلام ابن قتيبة: هذا مستخرج من كلام عبد الله جعفر بن محمّد الصادق عليهما السلام وقد سئل عن مثل ذلك.[3] وروي عن الحسن أنّه قال: إنّما خُلّد ❊أهل الجنّة وأهل النار للنيّات.[4]

٧٩

والكلام في هذا الحديث طويل الذيل. وقد روي هذا الحديث على هذا النسق: «نيّة المؤمن خيرٌ من عملِهِ»[5]، فعلى هذا يحمل معنى حسناً، وهو أن يكون «من» للتبعيض لا للمبالغة.

والمعنى: نيّته خير من جملة أعمال الخير التي يؤثّرها وهو مثاب على فعله ثواباً، ومثاب[6] على نيّته ثواباً، لأنّ ذلك من أفعال القلوب وهذا من أفعال الجوارح.

وروي أنّ هذا الحديث مخصوص، وهو أنّ جسراً على باب المدينة انهدم فنوى رجل من المسلمين أن يصلحه فسبقه إلى إصلاحه يهوديّ، فاغتمّ المسلم لذلك، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: نيّة المؤمن خير من عمله.[7] والضمير لليهوديّ.

ووجدت لبعض المتأخّرين كتاباً مكسوراً[8] على هذا الحديث، قد ذكر فيه ثلاثين وجهاً في معناه.

وفائدة الحديث الحثّ على نيّة الخير وإرادته والعزم عليه. وراوي الحديث على لفظ

---

١. في المصدر: الله.

٢. راجع: المجالسة وجواهر العلم: ٢٣٥، ح١٣٥٧؛ تأويل مختلف الحديث: ١٤٩.

٣. راجع: التمهيد: ٢٦٥/١٢.

٤. راجع: إحياء علوم الدين: ٣٦٤/٤.

٥. المعجم الكبير: ١٨٥/٦، ح٥٩٤٢؛ مسند الشهاب: ١١٩/١، ح١٤٨.

٦. في خ: ومثاباً.

٧. لم أقف على مصدره.

٨. مرتّباً.

«أبلغ» أنس بن مالك، وعلى لفظ «خير» النوّاس بن سمعان الكلابيّ. قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «نِيَّةُ الْمُؤْمِنِ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِهِ، وَنِيَّةُ الْفَاجِرِ شَرٌّ مِنْ عَمَلِهِ»[١].

قوله صلى الله عليه وآله : هَدِيَّةُ اللهِ إِلَى المؤمِنِ السَّائِلُ عَلَى بَابِهِ

«الهديّة» اللطف الذي يهدي بعضاً إلى بعض، يقال: أهديتُ له وإليه، والمِهدَى: الطبق الذي يحمل عليه الهديّة ونحوه، والمِهداء: الكثير الهدايا، والتهادي: أن يهدي بعض القوم إلى بعض.

قال النبيّ صلى الله عليه وآله : «تهادوا تحابّوا»[٢].

جعل النبيّ عليه السلام السائل على بابك المحتاج إلى الفضل الذي أنت عنه مستغن هديّةً منه إليك، وأمرك بقبولها، وقبولها الإقبال عليه بالمواساة والإكرام والاحترام إن كنت غنيّاً، وبالعذر الحسن والدعاء له والوعد الجميل إن كنت فقيراً.

وفائدة الحديث الحثّ على إكرام السائل وتلقّي هديّة الله بالنائل. وراوي الحديث ابن عمر.

قوله صلى الله عليه وآله : تُحْفَةُ الْمُؤْمِنِ الْمَوْتُ

«التحفة»: ما أتحفت به الرجل من البرّ واللطف، وكذلك التُحَفَة، والجمع تُحَف.

وإذا كان النبيّ عليه السلام جعل الدنيا السجن والمؤمن مسجوناً فيه، فالموت فُرجة ذلك السجن التي تتخلّص بها منه.

وفي الحديث: ما أحد منكم إلّا والموت أولى به من الحياة إن كان محسناً استراح من

---

١ . راجع: مسند الشهاب: ١/١١٩، ح١٤٨.

٢ . مسند أبي يعلى: ١١/٩، ح٦١٤٨؛ مسند الشهاب: ١/٣٨١، ح٦٥٧.

هموم الدنيا، وإن كان مسيئاً لم يزدد من الذنوب.[١]

٨٠

نعم، والمؤمن *إذا كان واثقاً بعمله آمناً في نفسه كان الموت له من أجلّ التحف يتخلّص به من هموم الدنيا وضرّها وبؤسها ومخاوفها وأخطارها، ولكنّ الشأن في الوثوق. وإن أردتَ الواثق فانظر إلى أمير المؤمنين عليه السلام حيث يقول: «اللهُمَّ قَدْ مَلِلْتُهُمْ وَمَلُّونِي وَسَئِمْتُهُمْ وَسَئِمُونِي»[٢]، ثمّ يقول عليه السلام: ما يمنع أشقاها أن يقوم فيخضب هذه من هذا.[٣]

وعن أبي هريرة عن النبيّ عليه السلام: لا يتمنّينّ أحدكم الموت حتّى يثق بعمل.[٤]

وعن ابن مسعود قال: «ذَهَبَت صَفْوَةُ الدُّنْيَا، وَلَمْ يَبْقَ [مِنْهَا] إِلَّا الْكَدَرُ، فَالْمَوْتُ الْيَوْمَ تُحْفَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ»[٥]، يعني بذلك ذهاب الصدر الأوّل من الصحابة.

وفائدة الحديث الحثّ على التهوين بأمر الدنيا وترك استثقال الموت. وراوي الحديث عبد الله بن عمر.

قوله صلّى الله عليه وآله: شَرَفُ الْمُؤْمِنِ قِيَامُهُ بِاللَّيْلِ وَعِزُّهُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ

«الشرف»: العلوّ والمكان العالي.

---

١ . راجع: مصنّف ابن أبي الشيبة: ١٤٨/٧، ح٣٤٨٦٥؛ حلية الأولياء: ٩٧/٢؛ تاريخ مدينة دمشق: ٤٣٥/٥٧.

٢ . الإرشاد للمفيد: ٢٨٢/١؛ الاحتجاج: ٢٥٧/١؛ وراجع: مصنّف عبد الرزّاق: ١٥٤/١٠، ح١٨٦٧٠.

٣ . راجع: التوحيد للصدوق: ٣٦٨؛ روضة الواعظين: ١٣٢؛ وراجع: أمالي المحاملي: ١٧٨، ح١٥٠؛ تاريخ مدينة دمشق: ٥٤٥/٤٢.

٤ . مجمع الزوائد: ٢٠٦/١٠؛ كنز العمّال: ٢٣٦/١٥، ح٤٢١٥٣؛ وراجع: مسند أحمد: ٣٥٠/٢، ح٨٥٩٢.

٥ . العزلة: ٧٨؛ الأمالي الخميسيّة: ٢٦٦/٢؛ مجمع الزوائد: ٣٠٩/١٠.

قال معافر بن يعفر[١]:

آتِي النَّدِيَّ فلا يُقرِّبُ مَجْلِسِي وأَقُودُ لِلشَّرَفِ الرَّفِيعِ حِمَارِي[٢]

أي: أقود حماري إلى المكان العالي فأركبه من ضعفي وكبري؛ وجبل مشرف: عال، ورجل شريف، والجمع شرفاء وأشراف، مثل يتيم وأيتام، وقد شرُف ـ بالضمّ ـ فهو شريف اليوم[٣]، وشارف من قليل أي سيصير شريفاً، حكاه الفرّاء،[٤] وشرفتُه أشرفته: غلبته بالشرف[٥]. «العزّ» حال تمنع الإنسان أن يغلب، وكذلك العزّة، وأرض عَزازٌ: صلبة، وتعزّز اللحم: اشتدّ وعزّ، كأنّه حصل في عَزاز كقولهم: تظلّف أي حصل في ظلف من الأرض؛ والعزيز: الذي لا يقهر؛ والعزّة يمدح بها تارةً كقوله [تعالى]: «وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ»[٦] ويذمّ بها أخرى لقوله تعالى: «بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ» [٧]، وعزّة الكفّار تعزّز لا حقيقة لها.[٨]

فكان النبيّ عليه السلام يعلّمنا: الشرف والعزّة ما هما، ولمّا كان عادة الناس أن يعدّوا الشرف المال وحطام الدنيا من المراكب السري[٩] والملابس البهيئة والمطاعم الشهيّة والأحوال الرضيّة والجواري الوضيئة والخيل والحشم والأتباع والخدم والأملاك المعتقدة والأسباب المفتقدة، والعَزّ[١٠] الغلبةَ والقهرَ والمنعَ والبهرَ والسموَّ والعلوَّ وقودَ الجيوش والتصدّرَ على العروش وقهرَ

١. اسمه النعمان بن يعفر بن سكسك، من حمير، ملك جاهليّ يمانيّ.

٢. راجع: الحيوان: ٤٨٦/٦؛ البيان والتبيين: ٥١١؛ وراجع: الصحاح: ١٣٧٩/٤.

٣. كذا في خ، ولعلّ الصواب: القوم.

٤. راجع: الصحاح: ١٣٨٠/٤.

٥. راجع: الصحاح: ١٣٨٠/٤.

٦. المنافقون: ٨.

٧. ص: ٢.

٨. راجع المفردات: ٥٦٣.

٩. كذا في خ: ولعلّ الصواب: السريّة.

١٠. عطف على الشرف، أي: أي يعّوا العزّ ... .

الأعداء ورفع الأحبّاء؛ هجّن[١] رأيهم وبيّن غلطهم في ذلك؛ وأعلمهم أنّ شرف المؤمن أن ❊يقوم في جوف الليل، حاسراً[٢] عن عينيه النوم الشهيّ ليرضى الربّ العليّ، ويناجيه في الظلمات والخلق مغمورون من النوم في الغفلات، صافاً قدميه رافعاً يديه، يذري[٣] دموعَه ويبدي خضوعه ويبطن خشوعه، فيُلبّي الله[٤] نداه ويُسمع جواره ودعاه، وأنّ عزّه[٥] قَهرُ نفسه الأمّارة وتركُ دنياه الغرّارة وقمعُ شهواته المردئة وردع آرائه المغوية ولطمُ الشيطان الذي لا يفتر عن إضلاله ولا يغفل عن إزاله، فإذا اقتنى الشرف والعزّ على هذا المنهاج وحصّلها على هذا السياج فهو الشريف الظريف والعزيز المزيز[٦]، فهذا هو الشرف وهذا هو العزّ.

٨١

وقال النبيّ صلى الله عليه وآله: أنا سيّد ولد آدم ولا فخر وأنا أوّل من تنشقّ عنه الأرض ولا فخر وأنا أفصح العرب والعجم ولا فخر.[٧]

قيل: ففيم فخرك يا رسول الله؟ قال: «كَفَانِي فَخْراً أَنْ أَكونَ لَهُ عَبْداً»[٨].

وقال الصادق عليه السلام: «مَنْ لَمْ يصلِّ صلاةَ الليلِ فَلَيسَ مِنَّا»[٩].

ووجدت لبعض المتأخّرين كتاباً مكسوراً على فضل صلاة الليل.

---

١. قبّح وعاب، فاعله رسول الله صلى الله عليه وآله.

٢. زائلاً.

٣. يُسيل.

٤. قال الله له: لبّيك.

٥. وأعلمهم أنّ عزّه.

٦. مزّ يَمُزّ مزازةً فهو مزيز: فضل غيره.

٧. راجع: العقد الفريد: ٢٣٧/٤؛ وراجع: المعجم الأوسط: ٢٠٣/٥، ح٥٠٨٢.

٨. راجع: البصائر والذخائر: ١٤/٢؛ شرح نهج البلاغة: ١٣٢/٢٠؛ وراجع: الخصال: ٤٢٠، ح١٤؛ كنز الفوائد: ١٨١.

٩. راجع: المقنعة: ١١٩؛ روضة الواعظين: ٣٢١.

وفائدة الحديث الحثّ على التهجّد والتورّع و[عدم] الاحتياج[١] إلى الناس. وراوي الحديث سهل بن سعد الساعدي.

قوله ﷺ: الْعِلْمُ خَلِيلُ الْمُؤْمِنِ وَالْحِلْمُ وَزِيرُهُ وَالْعَقْلُ دَلِيلُهُ وَالْعَمَلُ قَائِدُهُ وَالرِّفْقُ وَالِدُهُ وَالْبِرُّ أَخُوهُ وَالصَّبْرُ أَمِيرُ جُنُودِهِ

«العلم»: إدراك الشيء بحقيقته، وهو على ضربين: أحدهما: إدراك الذات، والثاني: الحكم على الذات بوجود شيء له أو نفي شيء عنه؛ والأوّل يتعدّي إلى مفعول واحد، كقوله تعالى: «اللهُ يَعْلَمُهُمْ»[٢]؛ والثاني يتعدّي إلى مفعولين، كقوله تعالى: «فَإِنْ عَلِمتُموهنَّ مؤْمِنَاتٍ»[٣]. و«الخليل»: الذي تخلّل حبّ صاحبه نفسه، وبه سمّي إبراهيم عليه السلام خليلاً، وكان يقال: أنّه من الخلّة الفقر؛ والوجه الأوّل، قال الشاعر:

قَد تَخَلَّلتَ مَسلَكَ الروحِ مِنّي وَبِهِ سُمِّيَ الخَليلُ الخَليلا[٤]

والخَلّة: المودّة، والخُلّة: الخليل، والمخالّة: المصادقة، والخليل: الصديق، والخلالة: المودّة أيضاً.

وجعل ﷺ العلم خليلاً له، لأنّه كصديقه الذي يعلّمه مَراشِده[٥] ويجنّبه مفاسده ويهديه إلى الصواب ويخرجه من ربقة الارتياب، فهو خليله المصادق ومخبره الصادق ومستشاره ❊الأمين ومعتمده المكين. و«الحلم»: ضبط النفس عن هيجان الغضب والأناة وكظم الغيظ، وجمعه أحلام؛ ويعبّر بالحلم عن العقل، قال تعالى: «أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَٰذَا»[٦]، وليس هو في الحقيقة عقلاً بل هو من مسبّباته، وقد حلم يحلم فهو حليم، وتحلّم تكلّف ذلك، وتحالم:

٨٢

---

١. كذا في خ.

٢. الأنفال: ٦٠.

٣. الممتحنة: ١٠.

٤. راجع: بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار: ٢٧٧؛ المفردات: ١٥٣؛ تفسير السلمي: ١٦٢/١.

٥. مقاصده.

٦. الطور: ٣٢.

أرى من نفسه هذا المعنى. و«الوزير»: نائب الملك الذي يحمل أوزار ملكه ويكفيه المؤن، والوِزارة: صناعة، وليس من الموازرة المعاونة لأنّ الوزير من «وَزر» والموازرة من «وُزِر». والوِزر: الثقل، وأوزار الحرب: آلاتها.

وجعل صلى الله عليه وآله الحلم وزيره، لأنّه الذي يحمل أثقاله، ويجمل أفعاله وأقواله، ويضبط أموره، فيعرفه معروفه، وينكر منكوره، وينفي عنه المشيّن ويجلب إليه المزيّن؛ فهو الوزير الموازر والنائب والمظاهر.

و«العقل» في اللغة هو الحبس، والعاقل: من حبس الأشياء على مواضعها ووضعها فيها، ومنه عقلتُ البعير إذا حبستُه بالعقال، وحقيقة العقل مجموع علوم قد اتّصلت للإنسان صحّ منه اكتساب العلوم والمعارف وحسن تكليفه.

وقال أمير المؤمنين ـ صلوات الله عليه ـ: «العقل عقلان: مطبوع ومسموع، ولا ينفع المسموع إذا لم يكن المطبوع، كما لا ينفع الشمس وضوء الشمس ممنوع». فالأوّل المشار إليه بقوله صلى الله عليه وآله: «ما خلق الله خلقاً أكرم عليه من العقل» والثاني: المشار إليه بقوله: «ما كسب أحد شيئاً أفضل من عقل يهديه إلى هدى أو يردّه عن رديء»، وكلّ موضع ذمّ الله تعالى الكفّار فيه بعدم العقل فالإشارة به إلى الثاني دون الأوّل.[1]

وقد عقل الرجل يعقل عقلاً ومعقولاً فهو عاقل وعقول.

و«الدليل»: الدالّ على الطريق، وقد دلّه يدُلّه دَلالةً ودِلالةً ودُلولةً، والدِلّيلى: الدليل، والدلالة: ما يتوصّل به إلى معرفة الشيء كدلالة الألفاظ على المعاني ودلالات الإشارات والرموز والكتابة والكناية، والدليل: الدالّ وفيه فضل مبالغة كالعليم والقدير.

وجعل صلى الله عليه وآله العقل دليله، لأنّه الهادي المرشد والمطرق المسدّد والداعي المؤيّد والداعي[2] المؤكّد والأمين الذي عليه الاعتماد والصديق الذي [يبعد] منه الفساد ولا يظنّ به العناد، وهو

---

١ . راجع: مفردات الراغب: ٣٤٢؛ نهج السعادة: ٨/١٧٤ـ١٧٥.

٢ . كذا في خ: ولعلّ الصواب: والراعي.

٨٣ المنصف المتّصف والفارق بين المؤتلف والمختلف، وهو الحاثّ ❊على سعادة الدارين وخير المنزلين.

و«العمل»: كلّ فعل يكون من الحيوان بقصد، وهو أخصّ من الفعل، لأنّ الفعل قد ينسب إلى الحيوانات التي يقع منها الفعل بغير قصد، والمراد بالعمل هاهنا الطاعات المفروضات والمسنونات. و«القائد» واحد القُوّاد والقَادة، وهو الذي يقود الجيش ويقوم بمصالحه.

وجعل [صلى الله عليه وآله] العمل قائده، لأنّه هو الذي يقوده إلى الخير ويجنبه من الضَيْر[1] ويقرّه في النعيم المقيم.

و«الرفق» ضدّ العنف، وقد رفق به يرفق وترفّق به، والرفيق ضدّ الأخرق. و«الوالد» من ولدك وهو أحد الوالدين.

وجعل صلى الله عليه وآله الرفق والده، لأنّ الوالد هو الحَدِب[2] المشفق والصديق المحقّق والمحبّ المفرط والعاشق المُشرِط، وكذلك الرفق هو الذي لا يؤدّيه إلى الصواب ويجنبه ما يجب منه الاجتناب، فهو كالوالد الشفيق الدالّ على الطريق.

و«البرّ» خلاف العقوق، والمبرّة مثله، يقال: بَرِرتُ والديّ ـ بالكسرة ـ أبرّه بِرّاً فأنا برٌّ به وبارّ، وفلان يبرّ خالقه أي يطيعه. وقيل: البرّ: التوسّع في الخيرات نظراً إلى التوسّع في الطاعة. وروي[3] أنّه سئل عليه السلام عن البرّ، فتلا قوله تعالى: «لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى»[4]، إلى آخر الآية. والبرّ يستعمل في الجود والسماحة. و«الأخ»: من ولده أبوك أو أمّك. وقد تقدّم الكلام فيه.

---

١. المضرّة.

٢. حَدِبَت المرأة على ولدها: امتنعت عن الزواج بعد أبيه رأفةً به، فالرجل حَدِب وهي بتاء.

٣. راجع: المفردات: ١١٤؛ وراجع: المستدرك: ٢/٢٩٩، ح٣٠٧٧.

٤. البقرة: ١٧٧.

فجعل[صلى الله عليه وآله] البرّ أخاه، لأنّه هو جناحه الذي يطير به وهو المحبّ الشفيق والصديق الشقيق[١] الذي ارتكض معه في الرحم فهو يعايشه على الطريق الأقوم ويرافقه على المنهاج الأسلم، فهو الأخ الرحيم والحَدِب الكريم.

و«الصبر»: الكفّ عن الجزع والإمساك عن ضيق، يقال: صبرت الدابّة أي حبستها بلا علف، وصبر الرجل على مصيبة يصبر صبراً، وصبرتُه: حبستُه وكففتُه. قال الله تعالى: «اصْبِرْ نَفْسَكَ»[٢]، وقال النبيّ عليه السلام: «اقْتُلُوا الْقَاتِلِ وَاصْبِرُوا الصَّابِرِ»[٣] أي احبسوا الذي حبسه للموت. والصبر صبران: صبر على المعصية، وصبر على الطاعة، والصبر عن المعصية يندرج تحته. و«الأمير»: ذو الأمر المقبول. و«الجند»: العسكر اعتباراً بالغلظة [٨٤] من الجَنَد، وهي الأرض الغليظة التي فيها حجارة، ويجمع جنوداً وأجناداً.

فجعل[صلى الله عليه وآله] الصبر أمير جنوده، لأدائه إلى الثبات والإحكام ووضع الأشياء مواضعها.

وهذه أمثال ضربها النبيّ صلى الله عليه وآله للمؤمن في الخصال التي ذكرها وفحوى جميعها الأمر.

وفائدة الحديث الحثّ على هذه الخصال المحمودة الشريفة والتزامها. وراوي الحديث أبو الدرداء.

قوله صلى الله عليه وآله: الْغَيْرَةُ مِنَ الْإِيمَانِ

«الغيرة»: كراهيّة أن يكون لغير ذي المَحرم إلى عيال الغاير سبيلٌ نظراً فما فوقه، وغار الرجل على أهله يَغار غَيراً وغيرةً وغياراً[٤] ورجل غيور وغَيران، وجمع غَيور غُيُر، وجمع غيران غَيارى وغُيارى، ورجل مغيار وقوم مغايير وامرأة غيور ونسوة غُيُر وامرأة غيرى

١. في خ: الشفيق.

٢. الكهف: ٢٨.

٣. غريب الحديث لابن سلام: ٢٥٤/١؛ تهذيب اللغة: ١٢١/١٢؛ سنن البيهقي: ٥٠/٨؛ الفائق: ٢٧٦/٢.

٤. كذا في معاجيم اللغويّة، وفي خ: وغاراً.

ونسوة غُيارى.

فجعل صلى الله عليه وآله غيرة الرجل وحميّته وحمايته من الإيمان، لأنّها من أخلاق الإيمان، وممّا يوجبه الدين والأمانة، والعقل أيضاً يدلّ على الغيرة حفظاً للمناسب وصيانةً للمناصب حتّى لا ينسب أحد إلى غير أبيه فتبقى الأنساب محروسةً مصونةً عن شوائب الدِّعوة[١].

وعن النبيّ عليه السلام: أنا غيور والله أغير منّي، ومن غيرته حرّم الفواحش.[٢] والغيرة من الله تعالى مجاز. والمعنى أنّه لا يرضى الفواحش.

وتمام الحديث: «وَالبَذَاءُ مِنَ النِّفَاقِ»[٣]، وهو أن لا يكون ضابطاً فيدخل الرجال على أهله فيماذي بعضهم بعضاً من المذي وهو ماء النشاط.

وفائدة الحديث الحثّ على الغيرة. وراوي الحديث أبو سعيد الخُدريّ.

قوله صلى الله عليه وآله: الْحَيَاءُ مِنَ الْإِيْمَانِ

«الحياء»: انقباض النفس عن القبائح وتركها لذلك، يقال: حيي فهو حييّ، واستحيا فهو مستحيي، واستحى[٤] فهو مستحٍ، والحياء إذا نسب إلى الله تعالى فالمراد به التنزيه وأنّه لا يرضى فيوصف لأنّه يستحيي منه وأنّه يتركه كرماً، وما أكثر ما يمنع الحياء من الفواحش والذنوب، ولذلك قال: «الحياء خير كلّه»، و«الحياء لا يأتي إلّا بالخير»[٥]، فإنّ الرجل إذا كان

---

١. الإدّعاء في النسب.

٢. راجع: مسند أحمد: ٣٢٦/٢، ح٨٣٠٤؛ سنن الدارمي: ٢٠٠/٢، ح٢٢٢٧؛ المعجم الكبير: ٢٣/٦، ح٥٣٩٤.

٣. مصنّف عبد الرزّاق: ٤٠٩/١٠، ح١٩٥٢١؛ في أكثر المصادر: «والمراء من النفاق»؛ راجع مسند الشهاب: ١٢٣/١، ح١٥٤.

٤. كذا في المفردات: ١٤٥؛ وفي خ: واستحيى.

٥. راجع: تعظيم قدر الصلاة: ٨٤٦/٢؛ وفي أكثر المصادر: «الخير لا يأتي إلّا بالخير».

حيّياً لم يُرخِص حياؤه من الخلق في شيء من الفواحش فضلاً عن الحياء من الله تعالى.

٨٥

وروى عبد الله بن مسعود أنّه جاء قوم إلى النبيّ ﷺ فقالوا: «إنَّ صَاحِبَنَا قَدْ أَفْسَدَهُ الْحَيَاءُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: إنَّ الْحَيَاءَ مِنْ [شَرَائِعِ] الإسْلامِ، وَإنَّ الْبَذَاءَ مِنْ لُؤْمِ الْمَرْءِ»[١].

وفائدة الحديث الحثّ على الحياء وصيانة النفس. وراوي الحديث سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه.

قوله ﷺ: الْبَذَاذَةُ مِنَ الْإِيمَانِ

«البذاذة»: القَهل ورثاثة الهيأة، يقال: رجل باذّ الهيأة وفي هيأته بذاذة، وهي ترك مداومة الزينة والمنوّق[٢] نوق في اللباس. وقد بذذتَ بعدي يا رجل! وكفاك حثّاً على البذاذة والترجية[٣] والأخلاق والأطمار[٤] ما كان رسول الله ﷺ.

فقد روي أنّه كان يقمّ[٥] البيت ويرقع الثوب ويخصف النعل ويعلف الناضح[٦] ويأكل مع الخادم.

وروي أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال لعمر بن الخطّاب: إن أردت يا عمر! أن تلقى صاحبك فارقع ثوبك واخصف نعلك وقصّر أملك وكُلْ دون شبعك.[٧]

وعدّ في قميص عمر سبع عشرة رقعة إحداهنّ جراب وذلك في عهد خلافته.[٨]

---

١. المعجم الكبير: ٢١٣/١٠، ح١٠٥٠٦؛ الأمالي الخميسيّة: ٢٧٢/٢؛ مجمع الزوائد: ٩٢/١.

٢. المذلّل.

٣. كذا في خ.

٤. الأخلاق جمع الخَلَق وهو البالي من الثياب والجلد وغيرها، والأطمار جمع الطمر وهو الثوب الخلَق البالي.

٥. يكنس.

٦. الدابّة يستقى عليها.

٧. راجع: فضائل الصحابة: ٢٦٤/١، ح٣٤٤.

٨. راجع: الطبقات الكبرى: ٣٢٨/٣.

وعن النبيّ عليه السلام: «مَنْ تَرَكَ اللِّبَاسَ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ تَوَاضُعاً [للهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى]، دَعَاهُ اللهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُءُوسِ النَّاسِ، حَتَّى يتخيّر[١] مِنْ حُلَلِ الْإِيمَانِ أَيَّهَا شَاءَ»[٢].

وعن الصادق عن أبيه عليهما السلام قال: كان كُمّ عليّ لا يجاوز أصابعه وكان يقول: ليس للكمّين على اليدين فضل.[٣]

وروي أنّه دخل السوق فاشترى قميصين خشنين بأربعة دراهم فكسا عليه السلام قنبراً أنعمهما وألينهما فقال له: هلّا استأثرت به؟ فقال: مه! ثمّ أنّه يده ففضل الكمّين على اليدين فأمر الخيّاط حتّى قطع الفضل ورمى بالمقطوع إلى فقير فقال له الخيّاط: دعني يا أمير المؤمنين! اكفّهما؟ فقال: لا الأمر أعجل من ذلك أو كما قال.[٤]

وفائدة الحديث الحثّ على البذاذة ورثاثة الهيأة حتّى تطيّب قلوب الفقراء الذين لا يقدرون على فاخر الثياب. وراوي الحديث أبو أمامة الباهليّ، قال: كرّر به اللفظ ثلاث مرّات.[٥]

قوله صلى الله عليه وآله: الصَّبْرُ نِصْفُ الْإِيمَانِ وَالْيَقِينُ الْإِيمَانُ كُلُّهُ

قد تقدّم الكلام في بيان الصبر ووجوهه، والعبادات يستعمل على نسك وورع، والواجب أن يصبر عليها المؤمن، وذلك يجب أن يصبر عن المعاصي، ❊وكلا الصبرين كأنّهما نصف الإيمان؛ ويجوز أن يكون كأنّه على معنى أنّ الطاعات التي هي تمام الإيمان وكماله. و«اليقين»: ٨٦

---

١. كذا في خ، وفي المصادر: يخيّره.

٢. مسند أحمد: ٤٣٩/٣، ح١٥٦٦٩؛ سنن الدارمي: ٦٥٠/٤، ح٢٤٨١؛ كنز العمّال: ٤٩/٣، ح٥٧٣٣.

٣. راجع: مناقب آل أبي طالب عليهم السلام: ٣٦٦/١؛ مستدرك الوسائل: ٢٦٤/٣ـ٢٦٥، ح٣٥٤١؛ وراجع: كنز العمّال: ٤٦٤/١٥، ح٤١٨٤٢.

٤. راجع: شرح نهج البلاغة: ١٣٩/٩؛ وراجع: عوالي اللئالي: ٢٧٩/١.

٥. مسند الشهاب: ١٢٦/١، ح١٥٧.

العلم وزوال الشكّ، ولا يحصل اليقين إلّا بعد الاستدلال والنظر، فكلّ يقين علم وليس كلّ علم يقيناً، ولهذا لا يوصف الله تعالى بأنّه موقن كما يوصف أنّه عالم، قال الله تعالى: «وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ» [١]، فأخّر الإيقان عن النظر، يقال: منه يقنتُ الأمر ـ بالكسر ـ يقْناً، وأيقنتُ واستيقنتُ وتيقّنتُ كلّه بمعنى، وأنا على يقين من الأمر.

وجعل[ﷺ] الصبر نصف الإيمان لأنّه الورع، واليقين كلّ الإيمان لأنّه العلم الذي لا شكّ فيه، وهو العلم به وبصفاته، ولا يُدان العلمَ به بشروطه إيمان.

قال بعض المتأخّرين: معنى الصبر الورع والكفّ عمّا نهى الله عنه، لأنّ العبادات تنقسم قسمين: نسك وورع، فالورع ما نهى عنه والنسك ما أمر به وإنّما ينتهي بالصبر، فعلى هذا الصبر نصف الإيمان. [٢]

وقال النبيّ عليه السلام: «لَو كَانَ الصَّبرُ رَجُلاً لَكَانَ كَرِيماً» [٣].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: الصبر على المصيبة والصبر على الطاعة والصبر عن المعصية، فالصبر على المصيبة ثلاثمائة درجة، والصبر على الطاعة ستّمائة درجة والصبر عن المعصية تسعمائة درجة. [٤]

وقال عمر بن الخطّاب: «وجدنا خير عيشنا في الصبر» [٥] و«جميع خير الدنيا في صبر

---

١ . الأنعام: ٧٥.

٢ . راجع: غريب الحديث للخطابي: ٤٥٦/١؛ النهاية: ٦٤/٥.

٣ . مسكن الفؤاد: ٤٨؛ وراجع: حلية الأولياء: ٢٩٠/٨؛ الفردوس: ٣٤٠/٣، ح٥٠٢٥؛ كنز العمّال: ١١١/٣، ح٦٥٠٤.

٤ . عنه عن رسول الله ﷺ، راجع: الكافي: ٩١/٢، ح١٥؛ وسائل الشيعة: ٢٣٨/١٥، ح٢٠٣٧٣؛ وراجع: كنز العمّال: ١١١/٣، ح٦٥١٥.

٥ . راجع: الزهد لابن المبارك: ٢٢٢/١، ح٦٣٠؛ الزهد لابن حنبل: ١١٧؛ كنز العمّال: ٢٩٨/٣، ح٨٦٣٣.

ساعة»[١].

وسئل أمير المؤمنين عليه السلام عن الشجاعة فقال: «صبرُ سَاعَةٍ»[٢].

وقال: «لو كان عند علمائنا صبر ما غَدَوا بهم هؤلاء [يعني الملوك]»[٣].

وقال الحسن: «لو أمرنا بالجزع لصبرنا»[٤].

وفائدة الحديث الحثّ على الصبر عن المعصية وعلى الطاعة، والورع عن المحارم، واجتناب الشكّ في ذات الله تعالى. وراوي الحديث عبد الله بن مسعود.

قوله صلى الله عليه وآله: الْإِيمَانُ نِصْفَانِ: نِصْفٌ شُكْـرٌ وَنِصْفٌ صَبْرٌ

«الشكر»: تصوّر النعمة وإظهارها والاعتراف بها مع القصد إلى تعظيم فاعلها. وقيل[٥]: إنّه مركّب من حروف «ك ش ر»، والكشر كالكشف والكفر يضادّه وهو جحود النعمة وسترها، ودابّة شكور: مظهر لسمنه شفقة صاحبه عليه، ودابّة شكور أيضاً قليل العلف كأنّه يشكر قليل نعمة صاحبه. وقيل: هو من شكرت الناقة يشكر شكراً فهي شَكِرة، واشتكر الضرع امتلأ *لبناً، فكان الشكر الامتلاء من ذكر المنعم عليه، يقال: شكرته وشكرت له. والثاني: أفصح، والشُكران ضدّ الكفران، وتشكّرت له. ٨٧

كأنّه صلى الله عليه وآله جعل الشكر نصف الإيمان لأنّه إنّما يكمل بعد المعرفة بالله تعالى وصفاته، فإذا عرفه ونظر فيما أنعم به عليه شكره، والنصف الآخر صبر على الطاعة وعن المعصية، فهو

---

١. راجع: تفسير السلمي: ١٣٦/١؛ نثر الدرّ: ١٣٤/٥.

٢. راجع: مطالب السؤول: ٢٧٧؛ بحار الأنوار: ١١/٧٥، ح ٧٠؛ وراجع: مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا: ٦٠، ح ١٧٢.

٣. لم أقف على مصدره.

٤. هي المصادر عن يونس بن عبيد: راجع: الحيوان: ١٦٧/١؛ العقد الفريد: ١٠٠/٣؛ شرح نهج البلاغة: ١٩٢/١.

٥. راجع: المفردات: ٢٦٥؛ تاج العروس: ٢٥٥/١٢.

جزء العمل؛ ومجموع العلم والعمل الإيمان الكامل.

وفائدة الحديث الحثّ على الصبر والشكر. وراوي الحديث أنس بن مالك.

قوله ﷺ: الإِيمَانُ يَمَانٍ وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ

«الحكمة»: المعرفة بمراتب الأفعال في الحسن والقبح والصلاح والفساد. وقيل لها حكمة لأنّها بمنزلة المانع من الفساد وما لا ينبغي أن يختار. والأصل في «حكم» المنع.

قال جرير:

أَبَنِي حَنِيفَةَ أحكمُوا سُفهاءكُمْ إني أَخافُ عَلَيْكُمُ أَنْ أَغْضَبَا[1]

أي إمنعوهم من السفه.

وقال أبو عبيد[2]: إنّما بدأ الإيمان من مكّة لأنّها مولد النبيّ ﷺ ومبعثه ثمّ هاجر إلى المدينة. ويقال: إنّ مكّة من أرض تهامة وتهامة من أرض اليمن، وبها سمّيت مكّة، وما وليها من أرض اليمن التهائم ومكّة على هذا التفسير يمانيّة. وفيه وجه آخر، وهو أنّ النبيّ عليه السلام قال هذا القول وهو بتبوك، ومكّة والمدينة حينئذٍ بينه وبين اليمن، فأشار إلى ناحية اليمن وهو يريد مكّة والمدينة. وقال بعضهم: أراد بهذا القول الأنصار، لأنّهم يمانون وهم نصروا المؤمنين وآووهم، فينسب الإيمان إليهم. انتهى كلامه.

يقال: رجل يمنيّ ويمان، والألف عوض من ياء النسب فلا يجتمعان. قال سيبويه وبعضهم يقول: يمانيّ بالتشديد، وجماعة يمانية ويمانون وامرأة يمانية.

وفائدة الحديث تعريف أنّ الإيمان نشأ من اليمن، كما روي: «إِنِّي أَجِدُ نَفَسَ الرَّحْمَنِ مِنْ

---

١. راجع: غريب الحديث لابن سلام: ٤٢٧/٤؛ الزاهر في معاني كلمات الناس: ٣٩٨/١؛ ديوانه: ٥٠؛ في خ: أغضب.

٢. راجع: غريب الحديث لابن سلام: ١٦١/٢ـ١٦٢؛ تفسير غريب ما في الصحيحين: ٣٠٠ـ٣٠١.

قِبَلِ الْيَمَنِ»[١]. وراوي الحديث أبو هريرة، ومتن الحديث بتمامه: «جَاءَكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ هُمْ أَرَقُّ أَفْئِدَةً، الإِيمَانُ يَمَانٍ، وَالْفِقْهُ يَمَانٍ، وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ»[٢].

قوله صلّى الله عليه وآله: الْإِيمَانُ قَيَّدَ الْفَتْكَ

«الفتك»: أن يأتي الرجل صاحبه وهو غارّ غافل، فيشتدّ عليه فيقتله، وأمّا الغيلة فهو أن يخدعه حتّى يُخرج به إلى موضع خال ثمّ يقتله. وفي المثل: «لا ينفع حيلة من غيلة»[٣].

٨٨

معنى «قيّد»: أنّ *الإيمان يمنع من الفتك كما يمنع ذا العبث قيده من عبثه. يقال: هذا فرس قيد الأوابد،[٤] يريد أنّه يلحقها بسرعة ثمّ أنّه قيّدها. قال امرؤ القيس:

وَقَد أَغتَدي وَالطَيرُ في وُكُناتِها ... بِمُنجَرِدٍ قَيدِ الأَوابِدِ هَيكَلِ[٥]

وقال ابن دريد: «القاتل الذي إذا همّ فعل»[٦] يقول: فتك يفتك فتكاً، وفي الفتك ثلاث لغات، قيد مثل «وُدّ» وقيل: الفتك الاسم. وكان أهل الجاهليّة يفتك بعضهم ببعض حتّى جاء الإسلام فأمسك المسلمون بنهي النبيّ عليه السلام عنه حين قال: «لا فتك في الإسلام»، حتّى أنّ الرجل من المسلمين كان يمرّ بالكافر وهو غافل فينبّهه ثمّ يقتله.

وممّن فتك في الإسلام أبو لولؤة غلام المغيرة بن شعبة فتك بعمر بن الخطّاب وهو يصلّي بالناس صلاة الغداة، وعمرو بن جرموز فتك بالزبير بن العوامّ وهو معه في صلاة العصر، وعبد الرحمن بن ملجم المراديّ فتك بأمير المؤمنين عليه السلام.

---

١. راجع: غريب الحديث لابن قتيبة: ١/١٤٩؛ مسند البزار: ٩/١٥٠، ح٣٧٠٢؛ المعجم الكبير: ٧/٥٢، ح٦٣٥٨.

٢. مسند الشهاب: ١/١٢٨، ح١٦٠.

٣. راجع: تهذيب اللغة: ١٠/٨٧؛ البصائر والذخائر: ٦/١٦٦.

٤. راجع: العين: ٥/١٩٦؛ تهذيب اللغة: ٩/١٩٣.

٥. راجع: جمهرة أشعار العرب: ٨٥؛ الأغاني: ٩/٨٦؛ ديوانه: ٥.

٦. راجع: جمهرة اللغة: ١/٤٠٥.

وفائدة الحديث تحريم الفتك وتشديد أمره. وراوي الحديث عمرو بن الحمق، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الإيمانُ قَيَّدَ الْفَتْكَ، مَنْ أَمَّنَ رَجُلا عَلَى دَمِهِ، فَقَتَلَهُ، فَأَنَا بَرِيءٌ مِنَ الْقَاتِلِ، وَإِنْ كَانَ الْمَقْتُولُ كَافِراً»[١].

قوله صلى الله عليه وآله: عَلَمُ الإيمانِ الصَّلاةُ

«العَلَم»: العلامة، و«العَلَم»: الجبل، و«العَلَم»: علم الثوب الصلاة، وهي العلامة التي يعلم بها الشيء.

فبيّن صلى الله عليه وآله أنّ علامة الإيمان المستقرّ الكامل، وعلى الحقيقة هو كذلك، فإنّ العقل لا يقبل أن يكون مؤمن عارف يفوته وقت الصلاة وهو قاعد لا قَلَبَة به ولا عذر له ولا مؤونة عليه فيطيب قلبه بذلك، وهذا ما لا يمكن؛ ويحتمل أن يكون المعنى: أنّ الصلاة عَلَم على كُمّ الإيمان كعلم الثوب، فكما أنّ الثوب يزيّنه علمه كذلك الإيمان زينته الصلاة، والله أعلم.

وفائدة الحديث الحثّ على الصلاة وإقامتها بشرطها. وراوي الحديث أبو سعيد الخدريّ.

قوله صلى الله عليه وآله: الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ

«الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ وَ الْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا حَرَّمَ اللهُ عزّ وجلّ عَلَيهِ»[٢].

[٨٩] المعنى ـ والله أعلم ـ أنّ المسلم الكامل *الإسلام المخلص المتّقيّ من سلم المسلمون من فضلة لسانه وتعدّي يده، لأنّ المسلم إذا أصاب شيئاً من ذلك ارتفع إسلامه، بل الغرض منه أنّ المسلم ينبغي أن يسلم المسلمون من جانبه؛ وهو أيضاً إخبار معناه الأمر، وإلّا فالإسلام حاشى له أن يرتفع بالأذى؛ وهذا كما روي: «مَنْ لَم يصلّ صلاةَ الليلِ فَلَيسَ مِنَّا»[٣]. ليس

١. مسند الشهاب: ١/١٣٠، ح ١٦٤.

٢. مسند الشهاب: ١/١٣١، ح١٦٦.

٣. راجع: المقنعة: ١١٩؛ روضة الواعظين: ٣٢١.

المعنى أنّه ليس بمسلم، بل المعنى ليس من إخواننا المخلص؛ وكقوله: «لا صلاة لجار المسجد إلّا في المسجد»، والمعنى به التشديد، لا أنّ الصلاة في الدور غير مقبولة.

وفائدة الحديث الحثّ على كفّ الأذى والعدوان. وراوي الحديث عبد الله بن عمر.

قولهﷺ: الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لا يَظْلِمُهُ وَلا يُسْلِمُهُ

بيّنﷺ في هذا الحديث حرمة المسلمين وأنّهم إخوان، ويوجب حكم الأخوّة أن لا يظلم أخ أخاً ولا ينتقص ماله ولا عرضه، بل يكون عرضه وماله كعرض نفسه ومال نفسه مراعاةً له وإشفاقاً عليه وخُفُوقاً عليه وتحفّياً به وردّاً عنه وتحفّظاً على أحواله ومظافرةً له على أفعاله وأقواله ما دام على سنن الإنصاف وسيرة الإسعاف، وكذلك لا يسلمه للمتألّف بل ينصب نفسه دونه مجَنّاً واقياً وتُرساً حامياً حتّى يكون قد وقاه حقّ الأخوّة وراعاه مراعاة الفتوّة. والحديث وإن كان ظاهره الخبر فمعناه النهي.

وفائدة الحديث الحثّ على مراعاة المسلم والتخفّر[1] له والاهتمام به وحفظه من الهضم[2] والظلم والتخلية بينه وبين ما يسوءه. وراوي الحديث عبد الله بن عمر بن الخطّاب.

قولهﷺ: الْمُسْلِمُونَ يَدٌ وَاحِدَةٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ

أصل اليد الجارحة المخصوصة، وأصلها يدْيٌ بسكون الدال، بدليل أنّ جمعها أيدٍ وأفعل في الأكثر جمع فَعْل ـ ساكنة العين ـ، وقد جاء أفعل في جمع فَعَل ـ مفتوح العين ـ في أحرف معدودة كأجبل [و] أزمن، وتجمع الأيدي على أيادٍ. قال: يصف الثلج

كـأنّه بـالصَّحْصَحانِ الأنْجَـلِ قُـطنٌ سُـخامٌ بـأيادي غُـزَّلِ[3]

---

١ . تخفّر به: احتمى واستجار.

٢ . هضم فلاناً: ظلمه وغصبه.

٣ . قاله جندل بن المثنّى الحارثي، راجع: إصلاح المنطق: ٣٨١؛ أساس البلاغة: ٢٨١؛ الخصائص: ٢٦٩/١.

وبعضهم يقول لليد يدا كعصا ورحا، وتثنيتها على هذه اللغة «يديان».

واليد: القوّة، واليد: النعمة، وأيديتُ عنده يداً فأنا مودٍ وهو مودى إليه، ويقال: يديثُ، ورجل يديّ أي حاذق وامرأة يديّة.

٩٠

ومعنى الحديث ـ والله أعلم ـ: ❊أنّ المسلمين ينبغي أن يكونوا يداً واحدةً على غيرهم. تقول: هم يد واحدة أي متوافون متجاوبون، لا يخالف بعضهم بعضاً كاليد الواحدة التي إذا شرعت في شيء لم يختلف أجزاؤها وأبعاضها، و«من» هاهنا «الذين»، والتقدير: على الذين هم سواهم أي غيرهم؛ وعند سيبويه سواهم ظرف بمعنى مكان، ويكون المعنى على الذين هم مكانهم.

وهذا أيضاً إخبار والمعنى به الأمر، يأمر المسلمين بالتحالف والتألّف، ويأجرهم بالترافق والتوافق لتكون كلمة الإسلام أعلى وبالغلبة والقهر أولى.

وفائدة الحديث الحثّ على الموافقة والمعاضدة والمظاهرة والمرافدة. وراوي الحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه قال: قال عليه السلام ذلك في خطبته يوم الفتح.[1]

قوله صلى الله عليه وآله: الْمَوْتُ كَفَّارَةٌ لِكُلِّ مُسْلِم

«الموت» عبارة عن انتفاء الحياة عن المحلّ وليس بذات معلومة [و]عن الخُفُوت كما قال تعالى: «اعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا» [2]، وعن زوال العقل قال تعالى: «أَوَمَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ» [3] وقوله: «إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى» [4]، وعن الحزن المنغّص للحياة كقوله عزّ وجلّ:

---

١. مسند الشهاب: ١/١٣٣، ح ١٧٠.

٢. الحديد: ١٧.

٣. الأنعام: ١٢٢.

٤. النمل: ٨٠.

«وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ» [١]، وعن المنام وقد يقال: «النوم موت خفيف والموت نوم ثقيل» [٢]. ونظمه الشاعر فقال: «نوم اللبيب بقدر مبيته والمقيل موت خفيف والموت نوم ثقيل» [٣]، وقال تعالى: «اللهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا» [٤]، وقال تعالى: «هُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ» [٥].

يقال: مات يموت موتاً، وفرّقوا بين الميت والمائت، فقال قوم من الأوائل: إنّ المائت الذي تحلّل قواه فكأنّه الذي الموت في رقبته، والميت الذي خلا جِيده عن الحياة.[٦]

وردّه بعض أهل اللغة فقال: هذا غير مسموع بل يقال: موت مائت كما يقال: شعر شاعر، وسئل سائل.[٧]

ومعنى الحديث ـ والله أعلم ـ: أنّ صعوبة الموت وهول المطلع ومعاينة الملائكة ومشاهدة ملك الموت وانتفاء الحياة من القالب مع الآلام المرويّة في ذلك كفّارةٌ لذنوب المسلم التي اقترفها، فيجعله الله تعالى كفّارةً لما فعله[٨] قد ألمّ به من مخالفة أمر الله تعالى.

وفائدة الحديث إعلام أنّ الموت وآلامه كفّارةٌ لذنوب المسلم. وراوي الحديث أنس بن مالك.

---

١. إبراهيم: ١٧.

٢. راجع: المفردات: ٤٧٧؛ فيض القدير: ١/ ٢٨٠.

٣. راجع: البدء والتاريخ: ٢/ ١٦٦.

٤. الزمر: ٤٢.

٥. الأنعام: ٦٠.

٦. راجع: المخصص: ٢/ ٧١.

٧. المفردات: ٨٧٢.

٨. في خ: لعلّه، ولعلّ الصواب ما أثبتّه في المتن.

٩١

قوله صلى الله عليه وآله: «طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ

الفريضة كلّ واجب مبيّن القدر على من وجب عليه، وأصل «فرض» في كلام العرب: القطع، والفرض كالإيجاب والقطع، وفَرْضُ الحاكم: قطعه للنفقة، و«نَصِيباً مَفْرُوضاً»[١] أي مقطوعاً عنهم. وقوله تعالى: «إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ»[٢] أي أوجب العمل به وقطعه قطعاً لا يحتمل فيه، وفريضة الميراث كأنّها ما يقطع لكلّ واحد من التركة، وعلم الفرائض أي [علم]ما يقطع من التركة للورثة.

ومعنى الحديث ـ والله أعلم ـ: أنّ طلب علوم الدين فريضة على كلّ مسلم مكلّف، فإنّه وإن لم يجب على كلّ أحد أن حذق جميع العلوم فإنّ عليه تحصيل العلم بما لا يسعه جهله من المفروضات في أركان الصلوات والزكوات والحجّ وغير ذلك ممّا لا بدّ منه، وإن كان له أن يقلّد فيما وراء ذلك في الأحكام والحلال والحرام فهذا هو المفروض المضيّق، وأمّا ما وراء ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم الأصول وأصول الفقه والفقه والتوسّع في ذلك فرض على الكفاية، ولا بدّ أن يكون في الأمّة قوم يقومون به ويحكمونه، فإذا قاموا سقط عن سائرهم.

وفائدة الحديث الحثّ على تعلّم ما لا بدّ من العلم به من الفرائض وأحكامها. وراوي الحديث أنس بن مالك.

قوله صلى الله عليه وآله: كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَعِرْضُهُ وَمَالُهُ

لفظ «الكلّ» معناه ضمّ الأجزاء، ولم يرد في القرآن ولا في كلام الفصيح بالألف واللام، وقد أجيز، وكذلك «بعض»، ولفظه واحد ومعناه جمع، فيقال: كلٌّ حضر، وكلٌّ حضروا، على اللفظ والمعنى، وكلّ وبعض فيهما معنى الإضافة أضفت أو لم تضف، وأصل «كلل» في كلام

١ . النساء: ٧.

٢ . القصص: ٨٥.

العرب الضمّ والجمع والإحاطة.

و«المسلم» الذي أسلم نفسه للحقّ وانقاد من السلم والتسليم، والإسلام أعمّ من الإيمان، والمسلم المستسلم المنقاد للحقّ المصدّق له بلسانه، عقد الإضمار عليه أم لم يعقد، والمعقود عليه الضمير كقول إبراهيم عليه السلام: «أسلمتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ»[١]، وقوله تعالى: «إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلَامُ»[٢]، والثاني كما قال تعالى: «قالَتِ الْأَعْرابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنا»[٣]، والإسلام المعنّي الاستسلام كقوله تعالى: «تَوَفَّني مُسْلِماً» أي مستسلماً لرضاك منقاداً له.

و«الحرام» المحظور الممنوع، وأصل «حرم» في كلام العرب المنع على أيّ وجه تصرّف.

٩٢

و«الدَم» *أصله دميٌ ـ بسكون الميم ـ كقولك في الجمع دِماء ودُميّ كظَبيّ وظِباء وظُبيّ، ودلو ودِلاء ودليّ. وقال المبرّد: أصله «دمي» بالتحريك وإن جاء جمعه مخالفاً لنظائره، والساقط منه الياء، والدليل عليه قولك في التثنية دميان، قال: ألا ترى أنّ الشاعر أخرجه على الأصل عند الاضطرار فقال: «ولكن على أقدامنا تقطر الدما»[٤]. قال: هو مثل عصاً، ولا يلزم على هذا قولهم: يديان وإن اتّفقوا على أنّ تقدير «يدٍ» فعل ساكنة العين، لأنّه إنّما بني على لغة من يقول لليد يداً، وهذه أقرب، والنسبة إليه دميّ ودَمَويّ.

و«العرض»: حسب الإنسان، والعرض أيضاً: النفس، والعرض: الرائحة، والعرض: الجسد، وتركيب «ع رض» في أصل كلام العرب لمّا اتّسع جانباً ينتج منه فروع.

وقال أبو العبّاس: العرض موضع المدح والذمّ من الإنسان.[٥]

---

١. البقرة: ١٣١.

٢. آل عمران: ١٩.

٣. الحجرات: ١٤.

٤. راجع: الصحاح: ٢٣٤٠/٦؛ وراجع: مصنّف ابن أبي شيبة: ٤٧٤/٧، ح٣٧٣٣٦؛ جمهرة اللغة: ١٣٠٦/٣؛ المنتظم: ١٢٧/٦.

٥. راجع: غريب الحديث: ٨٢/٢؛ كشف المشكل: ٧/٢؛ النهاية في غريب الأثر: ٢٠٩/٣.

وفي كلام أبي الدرداء: اقرض من عرضك ليوم فقرك.[١]

وعن أبي ضمضم: اللّهمّ إنّي تصدّقت بعرضي على عبادك.[٢]

والعرض في الحديث الحسب وما يذكر عن الإنسان.

و«المال»: ما يملكه الرجل وتصغيره مويل، والجمع أموال، وقد تموّل وقد موّله الله.

فيقول صلّى الله عليه وآله: كلّ المسلم على المسلم حرام، أي لا يحلّ للمسلم شيء من أحوال المسلم إلّا بوجه شرعيّ، فكلّه عليه حرام دمه فلا يجوز أن يراق من دون حقّه، وعرضه كنفسه وحسبه فلا يجوز أن يذكر إلّا بالأحسن الأجمل، وماله الذي يملكه فلا يجوز أن يتصرّف فيه بوجه من الوجوه إلّا بإذنه. وقوله عليه السلام: «دمه»، بدل من «كلّ»، وهو بدل بعض من «كلّ»، وكذلك «عرضه» و«ماله» بدل الاشتمال.

وفائدة الحديث الحثّ على الاتّقاء على أحوال المسلم وصيانة نفسه وماله وعرضه. وراوي الحديث أبو هريرة.

قوله صلّى الله عليه وآله: حُرْمَةُ مَالِ الْمُسْلِمِ كَحُرْمَةِ دَمِهِ

الحرمة ما لا يحلّ انتهاكه وكذلك المحرّمة، وحرمة الرجل: حَرَمُه وأهله؛ وقد تقدّم الكلام في تحقيق هذا الحديث، وفائدته: أنّ مال المسلم منزل منزلة دمه، فكما لا يحلّ إراقة دمه بغير حقّ كذلك لا يحلّ استهلاك ماله ولا التصرّف فيه بما يرجع عليه الضرر.

وفائدة الحديث الحثّ على التصوّن من مال المسلم وقلّة الالتباس به. وراوي الحديث عبد الله بن مسعود.

---

١. مصنّف ابن أبي شيبة: ١١٢/٧، ح٣٤٥٩٦؛ غريب الحديث لابن قتيبة: ٢٧٠/٢؛ الفائق: ١٣٥/٣.

٢. الأمالي للسيّد المرتضى: ٨٤/٣؛ وراجع: سنن أبي داود: ٢٧٢/٤، ح٤٨٨٦؛ مسند البزار: ٤٧٤/١٣، ح ٧٢٦٩.

قوله صلى الله عليه وآله : المُهَاجِرُ مَن هَجَرَ مَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ

٩٣

«المهاجرة»: المفارقة والمصارمة، *هذا هو الأصل، والمهاجر من هجر دار الكفر إلى دار الإيمان، كمن هاجر مكّة وتوجّه إلى المدينة؛ وأصل الهجرة: الهجران، وهو مفارقة الإنسان غيره. ولمّا هاجر رسول الله صلى الله عليه وآله من مكّة إلى المدينة وصارت المدينة مهاجرته عليه السلام أمر المسلمين بالهجرة من أوطانهم واللحوق به صلى الله عليه وآله، فجعل يحثّ على ذلك ويأمر به، كما قال عليه السلام: «هَاجِرُوا تُوَرِّثُوا أَبْنَاءَكُمْ مَجْداً»[١]. وكان الله تعالى يمدح المهاجرين كما قال: «وَالَّذينَ هاجَرُوا»[٢] وقال: «وَالْمُهاجِرينَ في سَبيلِ اللهِ»[٣].

رغب من تناقلت الألسنة إليه هذا الكلام من الأعراب وغيرهم فجعلوا يتبادرون إلى الهجرة ويفتخرون بها، فكانوا بعد الفتح يسمّون أنفسهم مهاجرين طمعاً في حيازة فضيلة الهجرة، حتّى قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ»[٤]، وحتّى قال: «الْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ».

وعن أبي ذرّ قال: قلت: يا رسول الله! أيّ الهجرة أفضل؟ قال: «مَنْ هَجَرَ السَّيِّئَاتِ»[٥].

وسئل عليه السلام: أَيُّ الْهِجْرَةِ أَفْضَلُ؟[قَالَ]: «أَنْ تَهْجُرَ مَا كَرِهَ رَبُّكَ»[٦].

وروي عنه عليه السلام: «هَاجِرُوا وَلا تَهَجَّرُوا»[٧]. أي كونوا مهاجرين على الحقيقة ولا تشبّهوا بهم.

---

١. تاريخ بغداد: ٩٣/٢؛ كنز العمّال: ٢٩٦/١٦، ح٤٤٥٦٤.

٢. البقرة: ٢١٨.

٣. النور: ٢٢.

٤. الكافي: ٤٤٣/٥، ح٥؛ من لا يحضره الفقيه: ٣٦٠/٣، ح٤٢٧٣؛ وراجع: صحيح البخاري: ٢٠٠/٣؛ مسند الشهاب: ٤١/٢، ح٨٤٤.

٥. مستدرك الوسائل: ٢٧٧/١١، ح١٣٠٠١؛ وراجع: صحيح بن حبان: ٧٦/٢؛ كنز العمّال: ١٣١/١٦، ح٤٤١٥٨.

٦. مسند الطيالسي: ٣٠٠، ح٢٢٧٢؛ مسند أحمد: ١٩١/٢، ح٦٧٩٢.

٧. مصنّف عبد الرزّاق: ٤٧٧/٤، ح٨٥٣٣؛ المستدرك: ٨٧/٣، ح٤٤٧٩.

فبيّن صلى الله عليه وآله أنّ الهجرة العامّة هي مهاجرة المعاصي والمحرّمات.

وفائدة الحديث الحثّ على مهاجرة الذنوب والمعاصي. وراوي الحديث عبد الله بن عمر، وتمامه: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ»[١].

قوله صلى الله عليه وآله: الْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي طَاعَةِ اللهِ

الجَهد والجُهد: الطاقة والمشقّة، وقيل: الجهد ـ بالفتح ـ: المشقّة، والجُهد: الوسع. والمجاهدة: مجاهدة العدوّ.

وكذلك لمّا حثّ الله تعالى المجاهدين بمثل قوله: «وجَاهدوا بِأموالكم وأنفُسِكُمْ»[٢]، وقوله ـ عزّ وعلا ـ: «وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا»[٣]، وكانوا يسمعون من النبيّ عليه السلام ذكر الجهاد ومدح المجاهدين أرادوا أن يشيع صيتهم بالمجاهدة، فقال صلى الله عليه وآله: ليس المجاهد من دخل الغَمْرَة[٤] وتوغّل في المعركة طلباً للصيت، إنّما المجاهد الحقيقيّ من جاهد نفسه في طاعة الله، فقمع شهواتها وحرّم عليه لذّاتها وحملها على الجادّة الوسطى والطريقة المثلى في الواجبات عليه.

وعنه عليه السلام: «جاهدوا أهواءكم كما تجاهدون أعداءكم»[٥].

وقال عليه السلام: «جَاهِدْ هَوَاكَ كَمَا تُجَاهِدُ عَدُوَّكَ»[٦].

[وقال]: وأعدى ❊أعدائك نفيسة بين جنبيك.[٧]

٩٤

١. مسند الشهاب: ١٣١/١، ح١٦٦.

٢. التوبة: ٤١.

٣. الأنفال: ٧٢.

٤. الشدّة.

٥. راجع: المفردات: ١٠١؛ شرح نهج البلاغة: ٣١٤/٢٠؛ وراجع: نثر الدرّ: ١٥١/٤.

٦. من لا يحضره الفقيه: ٤١٠/٤، ح٥٨٩٣؛ وسائل الشيعة: ٢٨٠/١٥، ح٢٠٥١٣.

٧. راجع: عدّة الداعي: ٣١٤؛ بحار الأنوار: ٦٤/٦٧.

وقيل[١]: المجاهدة ثلاثة أضرب: مجاهدة العدوّ الظاهر، ومجاهدة الشيطان، ومجاهدة النفس. وتدخل ثلاثتها في قوله تعالى: «وَجَاهِدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ» [٢].

وفائدة الحديث الحثّ على التورّع والتصوّن ومجاهدة النفس في ذات الله تعالى. وراوي الحديث فضالة بن عبيد. قال: قال عليه‌السلام في خطبة الوداع.[٣]

قوله صلى‌الله‌عليه‌وآله: الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللهِ

«دانه» أي أذلّه واستبعده، يقال: دنتُه فدان. قال الأعشى:

هُوَ دانَ الرَّبابَ إذْ كَرِهُوا الدِّينَ ... دِراكاً بِغَزْوَةٍ وارتِحالِ

ثُمَّ دَانَتْ بعدُ الرَّبابُ وَكَانَتْ ... كعذابٍ عُقُوبَةُ الأَقْوالِ[٤]

أي ذلّت له وطاعت.

ويحتمل الحديث وجهاً آخر، وهو أن يكون «دان» بمعنى اقترض، تقول: دنتُ الرجل أدينه أي اقترضته فهو مدين ومديون، ودان يدين أيضاً استقرض وصار عليه دين، ورجل مديون إذا كثر ما عليه من الدين، ومديان: يستقرض عليه كثيراً، وأدان: إذا باع عليه بدين فصار له دين على حريفه، وأدان: استقرض.

فعلى الوجه الأوّل يكون معنى الحديث: الكيّس من أذلّ نفسه، فإنّ الذلّ له غاية العزّ، فردعها عن الشهوات وزجرها عن الموبقات وعمل ليوم القيامة ما يغنيه، «يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى

---

١. راجع: تفسير السلمي: ٢/٢٨؛ المفردات: ١٠١.

٢. الحجّ: ٧٨.

٣. مسند الشهاب: ١/١٣٩، ح١٨٣.

٤. غريب الحديث لابن سلام: ٣/١٣٥؛ الزاهر في معاني كلمات الناس: ١/٢٧٩؛ تهذيب اللغة: ١٤/١٢٨.

عَنْ مَوْلًى شَيْئاً» [١]، «يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً» [٢].

وعلى المعنى الثاني يكون: الكيّس من أقرض نفسه شيئاً ليوم فاقته، يعني أعطى مسكيناً أو آتى فقيراً أو آثر مستحقّاً على نفسه ببعض فضول أقواله .

وقيل: دان بمعنى حاسب، ويوم الدين قيل: يوم الحساب، أي: الكيّس من حاسب نفسه، فلا يكتسب المعاصي فتراكم فَتَرينُ على قلبه، [٣] وهو إذا حاسب نفسه كان أدنى إلى ارتداعه وانزجاره.

وروي: «أنّ بعض العمّال حاسب يوماً نفسه فقال: عمري ستّون سنة وقد كتب عليّ مذ خمس وأربعون سنةً، فلو كنت أعصى الله في كلّ يوم من ذلك معصيةً واحدةً لكان كذا وكذا، فكيف؟! وما من يوم إلّا وقد كسبتُ من الخطايا ما لا يحصيه إلّا الله، وكيف لم أكتسب؟! وخطراتي وحركاتي وسكناتي ولمحاتي كلّها خطايا وذنوب؟! فواويلاه ثمّ واويلاه، ثمّ شهق شهقةً كانت روحه فيها، فسمع *هاتف يقول: يا لها من ركضة إلى الفردوس الأعلى» [٤].

٩٥

ثمّ قال عليه السلام : والعاجز من اتّبع نفسه هواها وتمنّى على الله، «العجز» أصله التأخّر عن الشيء، وحصوله عند عجزه أي مؤخّره، وهو في العرف اسم للقصور وليس بمعنى، بل هو عبارة عن فقدان القدرة، والعاجز من لا يقدر على ما يصحّ أن يكون قادراً عليه، هذا هو الصحيح . وقيل: هو ضدّ القدرة، وهو معنىً، ويسمّى عاجزاً لا يتمشّي أموره ولا يحصل أغراضه؛ وممّا نسب إلى أمير المؤمنين عليه السلام :

وَكَمْ عَاجِزٍ يُدْعَى [جَلِيداً] لِغَشْمِهِ وَلَوْ كُـلِّفَ التَّـقْوَى لَكَـلَّتْ مَـضَارِبُهُ

---

١ . الدخان: ٤١.

٢ . الانفطار: ١٩.

٣ . ران يرين عليه: غلبه وغطّاه.

٤ . راجع: الزهد والرقائق: ١٠٠ـ١٠١، ح ٧٠؛ صفة الصفوة: ١٩٦/٤ـ١٩٧.

وَعَفّاً يُسَمَّى عَاجِزاً لِعَفَافِهِ وَلَوْ لَا التُّقَى مَا أَعْجَزَتْهُ مَذَاهِبُهُ[١]

و«الهوى»: ما تهواه النفس وتريده، وهو ميل النفس إلى الشهوة. وقيل: سمّي بذلك لأنّه يهوي بصاحبه في الدنيا إلى كلّ داهية وفي الآخرة إلى الهاوية، و«الهُويّ»: السقوط.

يقول صلى الله عليه وآله ـ بعد تعريف حال الكيّس ـ: إنّ العاجز الذي مرج نفسه في مراعي اللذات ومكّنها من المحرّمات، ثمّ مع انتهاكه حرمة الله تعالى يتمنّى عليه المغفرة.

وعن النبيّ عليه السلام: «عَلَى الْعَاقِلِ أَنْ لا يَكُونَ ظَاعِناً إلّا في ثَلاثٍ: تَزَوُّدٍ لِمَعَادٍ، وَمَرَمَّةٍ لِمَعَاشٍ، وَلَذَّةٍ فِي غَيْرِ مُحَرَّمٍ، وَعَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَكُونَ بَصِيراً بِزَمَانِهِ، مُقْبِلا عَلَى شَأْنِهِ، حَافِظاً لِلِسَانِهِ»[٢].

وكتب أبو عمر الصوريّ إلى بعض إخوانه: «أمّا بعد فإنّك قد أصبحت تأمّل الدنيا بطول عمرك وتمنّى على الله الأمانيّ بأسوء فعلك وإنّما تضرب حديداً بارداً والسلام»[٣].

وقال الحسن: «إنّ قوماً ألهتهم أمانيّ المغفرة حتّى خرجوا من الدنيا وليست لهم حسنة، وهو يقول: إنّي لحسن[٤] الظنّ بربّي كيف ولو[٥] أحسن الظنّ لأحسن العمل وتلا قوله تعالى: «وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ»[٦]»[٧].

وفائدة الحديث الحثّ على إذلال النفس والقهر لها وإقراضها ومحاسبتها. وراوي الحديث شدّاد بن أوس.

---

١. الأمالي للشيخ المفيد: ٣٠٠؛ وراجع: روضة العقلاء: ١٣٠؛ الوافي بالوفيات: ٥/٤؛ المستطرف: ١٢٨/٢.

٢. راجع: إرشاد القلوب: ١٣٩/١؛ وراجع: صحيح ابن حِبّان: ٧٨/٢، ح٣٦١؛ حلية الأولياء: ١٦٧/١؛ كنز العمّال: ٥٦/١٦، ح٤٤١٥٨.

٣. قصر الأمل: ٧٩، ح٩٨؛ المجالس العشرة: ٨٠.

٤. في خ: أحسن.

٥. في المصدر: وكذب لو.

٦. فصّلت: ٢٣.

٧. راجع: محاضرات الأدباء: ٤٢٣/٢؛ الكشّاف: ٥٦٥/١.

قولهﷺ: الْمَرْءُ كَثِيرٌ بِأَخِيهِ

يقال: مرء ومرأة وامرؤ وامرأة، وقيل: إنّ المروءة فعولة من المرء كالرجولة من الرجل، والقلّة والكثرة يستعملان في الأعداد كما أنّ الصغر والكبر يستعملان في الأجسام، والكثرة نقيض القلّة، وقد كثر الشيء فهو كثير، وقوم كثير وهم كثيرون، والكوثر: الكثير، والكوثر: الغبار الكثير، والكوثر: نهر في الجنّة، وتسمّى فاطمةعليها السلام كوثراً لكثرة ولدها مع ما جرى عليهم من الحيف[1] بحصد *السيف.

٩٦

وحقيقة قولهﷺ: إنّ المرء كثير بأخيه، ليس أنّه تتزائد أجزاء نفسه حقيقةً كثرةً بل يتزايد جاهه وقدره ومنزلته وقوّته إذا تعاون هو وأخوه وبارزا وتظاهرا وتظافرا فكأنّه كثرت أجزاؤه وتضاعفت أعضاؤه؛ وكان المعنى: هو عزيز بأخيه، لأنّه ينصره ويعضده ويكفّ عنه فكأنّه منه.

وروي أنّ جبرئيلعليه السلام قال للنبيّعليه السلام: «عَجِبَتِ الْمَلَائِكَةُ وَعَجِبْنَا [مَعَهُمْ] مِنْ حُسْنِ مُوَاسَاةِ عَلِيٍّ لَكَ بِنَفْسِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِﷺ: وَمَا يَمْنَعُهُ مِنْ هَذَا وَهُوَ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ؟ فَقَالَ جَبْرَئِيلُ: وَأَنَا مِنْكُمَا»[2].

ومؤاخاة رسول اللهﷺ بين أصحابه إنّما كانت تحرّياً لتساندهم وتعاضدهم وتناصرهم وتعاونهم.

وفائدة الحديث الحثّ على احترام الأخ المؤمن ومواساته بالمال والنفس، وإعلام أنّه منك، فكأنّه أنت. وراوي الحديث أنس بن مالك.

قولهﷺ: الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ

«الدين» كالملّة والشريعة، وأصله الانقياد، يقال: دان له إذا انقاد وطاوع، فكان الملتزم للدين قد انقاد، فهو بمعنى الاستسلام.

---

١. الظلم.

٢. الإرشاد للمفيد: ٨٥/١؛ بحار الأنوار: ٨٥/٢٠؛ وراجع: شرح نهج البلاغة: ١٥١/١٤.

ولفظ الحديث إخبار ومعناه الأمر أيضاً. وما أكثر هذا النوع في كلام رسول الله ﷺ، وقد تقدّم القول في الخليل وهو الذي يتخلّل بمودّتك قلبه.

ومعنى الحديث ـ والله أعلم ـ: أنّ الإنسان يرتضخ من خليله أخلاقه وأقواله وأفعاله، ويسلك طريقه، فإن كان صالحاً صلح بمخالّته، وإن كان طالحاً طلح.

وفي كلام أفلاطن: «إيّاك ومجالسة الشرير! فإنّ طبعك يسرق من طبعه وأنت لا تدري».[1]

فكأنّه يأمر أن لا يخالّ إلّا الصالح المصلح والكريم المفلح الذي يحسّن لك الحسن ويقبّح لك القبيح، ولا يردّك عن هدى ولا يدعوك إلى رديء بل يناصحك ولا يفاضحك.

وروى أبو سعيد الخدريّ عن النبيّ عليه السلام: «لَا تُصَاحِبْ إلَّا مُؤْمِناً وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إلَّا تَقِيٌّ».[2]

وفائدة الحديث الحثّ على اختيار الخليل والصاحب والبحث عن أحواله ثمّ الإقدام على صحبته وخلاله. وراوي الحديث أبو هريرة.

قوله ﷺ: المرءُ مَعَ مَن أَحَبّ

قالوا: الحبّ مشتقّ من حبّة القلب، تقول: حبّبته كما تقول: فأدته وشعفته، أي أصبت ذلك منه؛ وأحببت فلاناً: جعلت قلبي معرّضاً لأن يحبّه، لكن في التعارف وضع محبوب موضع محبّ يقول: أحبّه *فهو محبّ، وحبّه يحبّه ـ بالكسر ـ فهو محبوب، وهذا شاذّ لأنّه لم يأت في المضاعف «يفعل» بالكسر إلّا ويجوز فيه الضمّ إلّا هذا الحرف ويقال: ما كنت حبيباً ولقد حبِبْتُ ـ بالكسر ـ فأنت حبيب.

٩٧

١ . راجع: لباب الآداب لأسامة بن منقذ: ١٢٢؛ شرح نهج البلاغة: ٢٠١٤٢؛ عيون الأنباء: ٨٣.

٢ . سنن أبي داود: ٢٥٩/٤، ح ٤٨٣٢؛ سنن الترمذي: ٦٠٠/٤، ح ٢٣٩٥؛ جامع الأحاديث: ١٦٨/٨، ح ٢٥١٨٦.

وذكر في سبب هذا الحديث: إنّه قيل لرسول الله ﷺ: الرجل يحبّ القوم ولما يعمل بعملهم، قال: «الْمَرْءُ [مَعَ] مَنْ أَحَبَّ»[١].

رواه أبو موسى الأشعريّ وروى أنس: «أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ يا رَسولَ الله! قَالَ: مَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟ قَالَ: مَا أَعْدَدْتُ لَهَا مِنْ كَثِيرِ صَلَاةٍ، وَلَا صَدَقَةٍ، وَلَا صَوْمٍ، ولكنّي أُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، قَالَ: أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ»[٢].

وروي أنّ رجلاً دخل على النبيّ ﷺ فقال: يا رسول الله! ما لي كثير صلاة ولا صوم، إلّا أنّي أشهد أن لا إله إلّا هو وأنّك رسوله الحقّ وأحبّ هذا الفتى وولديه ـ يعني أمير المؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام ـ فقال: «الْمَرْءُ [مَعَ] مَنْ أَحَبَّ»[٣].

وقد فسّر قوله تعالى: «يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ»[٤]، على هذا.[٥]

وفي الحديث: «يحشر كلّ أحد مع من يعبده، حتّى لو أنّ إنساناً عبد حجراً يحشر معه»[٦].

وروى أبو ذرّ عن النبيّ عليه السلام أنّه قال في مرضه: «مَن حَشَرَهُ اللهُ مُحِبّاً لِهذا الرَّجُلِ ـ يعني عليّاً عليه السلام ـ دَخَلَ الْجَنَّةَ»[٧].

وفائدة الحديث إعلام أنّه يحشر كلّ أحد مع من كان يحبّه ويميل إليه. وراوي الحديث عبد الله بن مسعود.

---

١. الأمالي للمفيد: ١٥٢؛ وراجع: مسند الطيالسي: ٢٣، ح١٥٩؛ سنن الدارمي: ٤١٤/٢، ح٢٧٨٧.

٢. مسند الطيالسي: ٢٨٤، ح٢١٣١؛ مسند أحمد: ١٧٢/٣، ح١٢٧٨٥؛ وراجع: مسند أبي يعلى: ٣٧٢/٥، ح٣٠٢٣.

٣. راجع: بغية الطلب في تاريخ حلب: ٢٥٧٨/٦ـ٢٥٧٩.

٤. الإسراء: ٧١.

٥. راجع: تفسير الطبري: ١٢٧/١٥؛ تفسير السلمي: ٣٩٢/١.

٦. تفسير ابن العربي: ٤٢/١؛ نظم الدرر: ٢٩٩/٧.

٧. راجع: تنبيه الغافلين عن فضائل الطالبيّين: ١٧٨.

قوله صلّى الله عليه وآله: كَرَمُ المرءِ دِينُهُ وَمُرُوءَتُهُ عَقلُهُ وحَسَبُهُ خُلقُهُ

قد تقدّم القول في الكرم وأنّه عبارة عن الأفعال والأخلاق المحمودة من السخاء والرحمة والمعاونة والخلق الحسن، فكأنّه قال صلّى الله عليه وآله: ليس الكرم أن تكون متحلّياً بهذه الخصال فحسب، فإنّ كرمه دينه وإسلامه، فإذا كان متديّناً فهو الكريم الصحيح الكرم، لأنّ جميع هذه الأخلاق والأفعال لا تغنيه من الله حتّى يكملها بدينه وإيمانه والمروءة الإنسانيّة ويشدّد وقد مرؤ صار ذا مروءة فهو مريءٌ كمريع، وتَمَرَّأ: تكلّف المروءة. وقيل: المروءة من المرء والرجوليّة من الرجل وقد تقدّم. و«العقل»: المعاني التي تعقله عن أن تقتحم في القبائح وتحتبسه.

فيقول صلّى الله عليه وآله: إنّ الإنسانيّة والرجوليّة لا تكفي حتّى يكون الرجل عاقلاً، فإنّ عقله يهديه إلى المصالح ويصدّه *عن القبائح. [98]

و«الحسب»: ما يعدّ الإنسان من مفاخر آبائه . وقيل: حسبه دينه. وقيل: ماله. وقد حسب ـ بالضمّ ـ حسابةً مثل خطب خطابةً، والمرجع فيه إلى الحساب؛ فكأنّه صلّى الله عليه وآله يقول: ليس الحسب المعتبر المحسوب في الإنسان إلّا حسن خلقه، فإنّه وإن كان من أهل بيت كريم لآبائه مفاخر ومآثر وكان سيّئ الخلق لم ينفعه صيت آبائه.

وحاصل الحديث أنّه يحكم بأنّ الرجل إذا كان متديّناً عاقلاً مجرّباً مستبصراً حسن الخلق كان كاملاً.

وفائدة الحديث إعلام أنّ الكامل التامّ من اجتمعت له هذه الخصال. وراوي الحديث أبو هريرة.

قوله صلّى الله عليه وآله: مِنْ حُسْنِ إسْلامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لا يَعْنِيهِ

«لا يعنيه» أي لا يهمّه ولا يحزنه، وهو من عني يعنى عناءً[1] أي نصب؛ ولو فسّره مفسّر

---

١. ما في الحديث يكون من «عنى يعني عُنيّاً وعنايةً».

بـ «لا يريده» من قولك: عنيتُ به هذا المعنى والمعنى من ذلك والمراد به المراد، لم يكن مخطئاً؛ وعنيت بحاجتك: أعني بها فأنا معنيّ، وعنيتُ فأنا عانٍ لغة، والأوّل أفصح.

معنى هذا الحديث: أنّه ينبغي أن يكون المسلم مقبلاً على ربّه مشتغلاً بنفسه معتذراً من ذنوبه متجنّباً ما هو مستغنٍ عنه مغتنماً فراغه عن ذلك شاكراً ربّه على الفراغ لا هامزاً ولا غامزاً ولا خرّاجاً ولا ولّاجاً[1] ولا متكلّفاً ولا متعسّفاً؛ وترك ما لا يعني من أصعب الأشياء.

روي أنّ بعضهم كتب إلى يونس بن عبيد الله : «يا أخي! اكتب إليّ كيف أنت وكيف حالك؟ فكتب إليه: أمّا بعد فإنّك كتبت إليّ تسألني كيف أنا وكيف حالي، فأخبرك أنّ نفسي قد ذلّت لي بصيام اليوم البعيد الطرفين الشديد الحرّ ولم تدلّ لي بترك الكلام فيما لا يعنيني»[2].

وفائدة الحديث الحثّ على ترك الفضول والإكباب[3] على ما هو أولى. وراوي الحديث زيد بن ثابت عن أبيه وأبو هريرة وزين العابدين عليه السلام عن أبيه ـ صلّى الله عليه ـ .[4]

قوله صلى الله عليه وآله : النّاسُ كَأَسْنَانِ الْمُشْطِ

شبّههم في تساويهم في الأحكام بأسنان المشط، لأنّها متّسقة متساوية غير متشاخصة في الأكثر. وروي أنّ تمام الحديث: «وَإِنَّمَا[5] يَتَفَاضَلُونَ بِالْعَافِيَةِ»[6].

والمعنى استواؤهم في الحكم، لا يتفضّل شيء من الأحكام شريف على مشروف *ولا وضيع على رفيع. ٩٩

١ . خرّاج ولّاج: كثير الطواف والسعي.

٢ . لم أقف عل نصّه.

٣ . الإقبال.

٤ . راجع : مسند الشهاب: ١/١٤٣ـ١٤٤، ح ١٩١ـ١٩٣.

٥ . كذا في المصادر، وفي خ: لا.

٦ . راجع: الأمثال في الحديث النبوي: ٢٠٣، ح ١٦٥ـ١٦٨؛ كنز العمّال: ٩/١٧، ح ٢٤٨٢٣.

وقال أبو سليمان الخطّابيّ في الحديث وجهان،[١] فذكر ما ذكرناه، وقال في الثاني: إنّه على طرق الشكاية منهم، كما قال عليه السلام: «النَّاسُ كَإِبِلٍ مِائَةٍ لا تَجِدُ فِيهَا رَاحِلَةً وَاحِدَةً»[٢]؛ وذكر العافية في الحديث معناها الرحمة، ولعمري أنّها العافية الشافية والنعمة الكافية.

وروي أنّه عليه السلام وقف على القبور فقال: «السَّلامُ عَلَيكُم دَارَ قَوم مُؤمنين! أَنْتُم لَنَا سَلَفٌ وَنَحْنُ لَكُمْ تَبَعٌ، أَسْأَلُ اللهَ لَنَا وَلَكُمُ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنيا والآخِرَةِ»[٣]. وقيل: العفو عن الذنوب والعافية عن الأسقام والمعافاة من مظالم العباد.

وفائدة الحديث إثبات المساواة ونفي التفاضل بين الناس في الأحكام الشرعيّة والأمور الدينيّة. وراوي الحديث أنس بن مالك.

قوله صلى الله عليه وآله: النَّاسُ مَعَادِنُ كَمَعَادِنِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ

«المعدن»: مستقرّ الجوهر من قولك: عدن بالمكان إذا أقام فيه، ومنه: «جَنَّاتُ عَدْنٍ» أي إقامة. و«الذهب»: الجسد المعروف الذي ذَهِبَ الناس والقطعة منه[٤] ذهبة، وذهب الرجل إذا رأى القطعة الكبيرة من الذهب في المعدن فدهش، و«الفضّة»: أحد الثمنين وهو أحد الأجساد أيضاً.

فيقول صلى الله عليه وآله: الناس متفاوتون كتفاوت المعادن متفاضلون كتفاضل الجواهر المجلوبة منها، فمنها الذهب والفضّة والنحاس والحديد والأسرب والرصاص والزرنيخ والفيروزج وغير ذلك. وكان الغرض النبويّ أن يعلّمك أنّ الناس متفاوتون أمثال الفلزيّة والخَرَز[٥] ليسوا

---

١ . راجع: غريب الحديث للخطابي: ١/٥٦١ـ٥٦٢.

٢ . المعجم الأوسط: ٣/٣٣٧، ح٣٣٢٧؛ مسند الشهاب: ١/١٤٦، ح١٩٧.

٣ . راجع: مسند الروياني: ١/٦٧، ح١٥؛ مصنّف ابن أبي شيبة: ٣/٢٧، ح١١٧٨٧؛ مسند أحمد: ٥/٣٥٩، ح٢٣٠٨٩.

٤ . كذا في اللغة، وفي خ: فيه أنّه القطعة.

٥ . فصوص من جيّد الجوهر ورديئه، واحدها خَرْزة.

بأمثال، وإن كانوا من جنس واحد.

ومورد هذا الحديث على العكس من مورد الحديث الذي قبله[١]، فكأنّه صلّى الله عليه وآله يقول: إذا صادفت أحداً فتعرّف أحواله وتجسّس[٢] أفعاله وأقواله، فإن كان صالحاً فعليك به فهو من المعدن النفيس، فإن كان طالحاً فاهرب منه فهو من المعدن الخسيس.

وفائدة الحديث الإعلام بتفاوت الناس على أنّهم بنو الرجل. وراوي الحديث أبو هريرة، وتمام الحديث: «خِيَارِهِمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ كَخِيَارِهِمْ فِي الإسْلامِ إذَا تَفَقَّهُوا»[٣]، يعني أنّ الخيار منهم في الجاهليّة إذا تفقّهوا فهم الخيار في الإسلام، والله أعلم.

١٠٠ قوله صلّى الله عليه وآله: النَّاسُ كَإِبِلٍ مِائَةٍ لا تَجِدُ فِيهَا رَاحِلَةً وَاحِدَةً

الناس أصله أناس، فخفّف، وليس الألف واللام عوضاً من الهمزة المحذوفة، لأنّهما تجتمعان مع الهمزة كقوله:

إنَّ المَنَايَا يَطَّلِعْنَ ... على الأنَاسِ الآمِنِينَا[٤]

والناس بن مُضر بن نزار: اسم قيس عيلان. و«الإبل»: البُعران الكثيرة، ولا واحد له من لفظه وأبَلَ الوحشيّ يأبِل أُبُولاً وأبَل يأبِل أبْلاً: اجتزأ عن الماء، شبّهت بالإبل في الصبر عن الماء، ويأبل[٥] الرجل عن امرأته إذا ترك مقاربتها، ورجل آبِلٌ وأبِلٌ: حسن القيام على إبله، وإبل مؤبّلة[٦] أي مجموعة. و«الراحلة»: البعير الذي يصلح للارتحال، وراحله: عاونه على راحلته.

١. زاد في البحار: يعني قوله صلّى الله عليه وآله: الناس كأسنان المشط.

٢. كذا في البحار، وفي خ: وتحسّن.

٣. كذا في المصادر، وفي خ: إذا تفقّهوا؛ راجع: مسند الشهاب: ١/١٤٥، ح١٩٦.

٤. قاله أبو عثمان، راجع: الخصائص: ٣/١٥١؛ المخصص: ٥/٢١٨؛ خزانة الأدب: ٢/٢٤٥.

٥. في المفردات: تأبّل.

٦. كذا في خ والمفردات، وفي البحار: مأبلة.

والمعنى ـ والله أعلم ـ أنّه ذمّ للناس، وأنّه قلّما يقع فيهم من هو كامل في بابه[١].

وقال أبو عبيد: يعني أنّهم متساوون ليس لأحد منهم فضل على أحد في النسب، ولكنّهم أشباه وأمثال كإبل مائة ليس فيها راحلة يتبيّن فيها ويتميّز منها بالتام وحسن النظر.[٢]

والراحلة عند العرب تكون الجمل النجيب والناقة النجيبة يختارها الرجل لمركبه، ودخول الهاء في الراحلة للمبالغة، كما تقول: رجل داهية وراوية[٣] وعلّامة ونسّابة، ويقال: إنّها إنّما سمّيت راحلةً لأنّها ترحل كما قال تعالى: «فِي عِيشَةٍ راضِيَةٍ»[٤] أي مرضيّة، وكما قال تعالى: «مِنْ ماءٍ دافِقٍ»[٥]، أي مدفوق. قال: ويقال لفلان إبل، إذا كانت له مائة من الإبل وإبلان إذا كانت له مائتان، ويقال للمائة منها هنيدة معرفة[٦] لا تنصرف.

وقال أبو سليمان الخطّابيّ: «يقال للمائتين هنيد[٧] بغير هاء والعهدة عليه»[٨].

وقال ابن قتيبة[٩]: «الراحلة هي التي يختارها الرجل لمركبه ورحله على النجابة وتمام الخَلْق وحسن المنظر فإذا كانت في جملة الإبل عُرفت. يقول: الناس متساوون ليس لأحد منهم فضل في النسب، ولكنّهم أشباه كإبل مائة ليس[١٠] فيها راحلة»[١١].

---

١. كذا في البحار، وفي خ: رأبه.

٢. راجع: تهذيب اللغة: ٦/٥.

٣. في خ: وراوية للشعر.

٤. الحاقّة: ٢١.

٥. الطارق: ٦.

٦. كذا في المعاجم اللغويّة والبحار، وفي خ: معرّبة.

٧. كذا في خ، وفي ص: هند.

٨. راجع: غريب الحديث: ١/٨٨؛ تاج العروس: ٩/٣٤٩.

٩. راجع: تهذيب اللغة: ٦/٥.

١٠. كذا في خ، وفي المصدر: ليست.

١١. راجع: تهذيب اللغة: ٦/٥.

وقد خطأه أبو منصور الأزهريّ لفظاً ومعنىً[١] أمّا اللفظ فمن حيث جعل الناقة هي الراحلة، وليس الجمل عنده راحلة والراحلة عند العرب تكون الجمل النجيب والناقة النجيبة. وأمّا المعنى فإنّ المعنى أنّه يعزّ فيهم الكامل الفاضل زهداً في الدنيا ورغبةً في الآخرة. هذا معنى كلام الأزهريّ.

وفائدة الحديث ذمّ الناس وأنّ الكامل فيهم قلّما يوجد. وراوي الحديث عبد الله بن عمر.

قوله صلى الله عليه وآله: الغِنَى اليَأسُ مِمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ

١٠١

«الغنى»: *الاستغناء. و«اليأس»: انتفاء الطمع، يقال: يئس واستيأس كعجب واستعجب، يقال: غنى واستغنى، والغِنى يعبّر به عن كثرة العَرَض، ويئس ييأس وييئس، وأيس يأيس لغة ومصدرهما واحد.

ومعنى الحديث: ليس هو بكثرة القُنيان من الأملاك والأسباب والمراكب السنيّة واللباس الحسن والغلمان الروقة[٢]، إنّما الغنى قطع الطمع عمّا في أيدي الناس، فإنّ الطامع أبداً فقير وهو مع ذلك ذليل.

وفي حديث أمير المؤمنين عليه السلام: «أفضلْ عَلَى مَنْ شِئْتَ فَأَنْتَ أَمِيرُهُ، وَاحتج إِلَى مَنْ شِئْتَ فَأَنْتَ أَسِيرُهُ، وَاسْتَغْنِ عَمَّنْ شِئْتَ وَأَنْتَ نَظِيرُهُ»[٣]، يعني أنّك إذ لم تطمع في إحسانه لم تذلّل له نفسك ولم تحتج إلى احتماله.

وروي عن إبراهيم النخعيّ قال: «إنّ الأغنياء لا يعطونك بقدر ما يغنونك وإنّما يغنونك

١. تهذيب اللغة: ٥/٦ـ٧.

٢. الجميل من الناس.

٣. راجع: مصباح الشريعة: ١٠٦؛ مستدرك الوسائل: ١٢/٧٠، ح١٣٥٣٧؛ وراجع: التمثيل والمحاضرة: ٩؛ نهاية الأرب في فنون الأدب: ١٣٨/٨.

بقدر ما يفضحونك»[١].

وقال أيّوب السِخْتياني: «لا تسأل[٢] الرجل حتّى يكون فيه خصلتان: العفّة عمّا في أيدي الناس، والتجاوز عمّا يكون منهم»[٣].

وفائدة الحديث الحثّ على الاستغناء عن الناس وقطع الطمع عمّا في أيديهم. وراوي الحديث عبد الله؛ وتمام الحديث: «وَمَنْ مَشَى مِنْكُمْ إلَى طَمَعٍ فَلْيَمْشِ رُوَيْداً»[٤].

قوله ﷺ: رَأْسُ الْعَقْلِ بَعْدَ الْإِيمَانِ التَّوَدُّدُ إِلَى النَّاسِ

يقال: وددتُ الرجل أودّه ودّاً إذا أحببتُه، والودّ: المحبّة، والتودّد: إظهار المودّة والتخلّق بخلق الوديد، وتعديته بـ«إلى» يدلّ على فعل مقدّر؛ وهذا من أفصح الكلام[٥]، والمعنى بالتودّد التقرّب إلى الناس، وهذا كثير.

يقول [ﷺ]: أوّل درجات العقل أن ينظر فيعرف صديقه، ويحيط علماً بصفات خلاله، ثمّ بعد ذلك أن يتودّد إلى الناس فيخالقهم ويواسيهم، ولا يربأ عنهم بنفسه ولا يتكبّر عليهم، بل يحفّ في حوائجهم[٦] إذا احتاجوا إليه ويعينهم بنفسه وماله وجاهه، فإنّ التودّد يجذب إلى المودّة الخالصة ويصطاد القلوب ويستميل النفوس، والمسلمون يجب عليهم التوادّ والتراحم.

وفائدة الحديث الحثّ على مخالطة الناس والتحفّز[٧] إلى حاجتهم والتودّد إليهم وترك التجافي عنهم والتكبّر عليهم. وراوي الحديث أبو هريرة.

---

١. العزلة: ٦٧.

٢. في أكثر المصادر: لا ينبل.

٣. راجع: مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا: ٢٩؛ التوبيخ والتنبيه: ٣٨، ح٥٨؛ صفة الصفوة: ٢٩٣/٣.

٤. مسند الشهاب: ١٤٦/١، ح١٩٩.

٥. في البحار: كلام العرب.

٦. يستدير حولها.

٧. التهيّؤ.

قوله صلى الله عليه وآله: كُلُّ امرِئٍ حَسِيبُ نَفْسِهِ

«الحسيب»: المحاسب، قال تعالى: «كَفى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسيباً»[١]؛ كأنّه عليه السلام ينهى أن يتّبع عورات الناس ويتفحّص عن أحوالهم ويُفلى[٢] عن أسرارهم، حتّى تبق *المخازي[٣] مكتومة والمساوي مغطّاة والمفاضح مستورة.

[١٠٢]

فيقول صلى الله عليه وآله: ليس إلى أحدكم حساب غيره، بل كلّ مرهون بعمله، كما قال تعالى: «وَلا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى»[٤]، فلا تهتكوا من الناس أستارهم ولا تتبّعوا أخبارهم، فكلّ امرئ محاسب نفسه غداً في عرصة القيامة.

وقال الحسن في قوله تعالى: «كَفى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسيباً»: «لقد أنصفك من جعلك حسيب نفسك»[٥]. [وراوي الحديث أبو هريرة].

قوله صلى الله عليه وآله: كُلُّ مَا هُوَ آتٍ قَرِيبٌ

إشارة إلى أنّ مدّة الدنيا قريبة يكاد يلتق طرفاها وما صحّ أنّه آتٍ فيها فكأنّ قد أتى؛ وهو ترغيب في الاستعداد للموت والسؤال وأحوال القيامة قبل هجوم الندامة وملامة النفس حيث لا تنفع الملامة، وهو إذا استعدّ لذلك كان أبعد من الدنيا والتلذّذ بملاذّها والركون إليها والتعويل عليها، وأقرب إلى قصر الأمل والإسراع في العمل؛ فكان كما قال لقمان عليه السلام لابنه:

---

١. الإسراء: ١٤.

٢. ينظر متأمّلاً.

٣. جمع المخزاة وهي الذلّ والهوان.

٤. الأنعام: ١٦٤.

٥. راجع: الزهد لابن المبارك: ٥٤٥/١، ح١٥٦٣؛ أمالي ابن سمعون: ٢٦٣/١؛ وراجع: مجمع البيان: ٢٣١/٦.

«يا بنيّ! الليل والنهار يعملان فيك، فاعمل فيهما»[١]. وإذا فعل ذلك قلّ تحسّره على نعيم الدنيا، وكان المتوقّع للموت والمترصّد للفوت.

وفائدة الحديث الحثّ على انتظار الموت والبعث والحشر والحساب. وراوي الحديث زيد بن خالد الجهنيّ.

قوله صلى الله عليه وآله: كُلُّ عَينٍ زَانِيَةٌ

الزنا المقاربة من غير نكاح ولا ملك يمين، ويمدّ ويقصر، فالقصر لغة أهل الحجاز والمدّ لغة نجد، قال الفرزدق:

أَبـا حـاضِرٍ مِـنْ يَـزْنِ يُـعْرَفْ زنـاؤُهُ ومَنْ يَشْرَبِ الخُرطومَ يُصْبِحْ مُسَكَّرا [٢]

وفلان لزِنْيَة خلاف رِشدة، وقد يقال: زَينَة ورشدة، والأوّل أفصح وزناً. قال له: يا زاني.

كأنّه صلى الله عليه وآله يشير إلى قلّة التصوّن في الناس، فيقول: كلّ عين تنظر إلى ما ليس لها أن تنظر إليه، والنظر وإن لم يكن في نفسه زنا فهو لعمري السبب الذي يجرّه ويؤدّي إليه، فهو كالبذر له؛ وهذا كما قال عليه السلام: «زِنَا الْعُيُونِ النَّظَرُ»[٣]؛ والكلام وإن ورد مورد العموم، فإنّه حكم أكثريّ، والصحيح أنّه ليس للعموم صيغة مخصوصة، وهذا كقولك لصديق لك: أين كنت اليوم فالناس كلّهم جاؤني غيرك، ولعلّه لم يحضره إلّا خمسون دونها.

والكلام مبنيّ على إخبار أنّ الشهوات كثيرة، فالعاقل من ردع نفسه عمّا لا يحلّ منها وقمعها إلّا عمّا لا ملامة فيه.

١٠٣ وفائدة الحديث الحثّ على غضّ *البصر دون المحارم التزاماً لطريقة ذوي المكارم.

---

١. مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا: ٢٩، ح٤٧؛ محاضرات الأدباء: ٣٩٥/٢.

٢. راجع: جمهرة اللغة: ١٠٧١/٢؛ الزاهر في معاني كلمات الناس: ٢٤/٢.

٣. مسند الشهاب: ٧٤/١، ح٦٧.

وراوي الحديث أبو موسى الأشعريّ.

قوله صلّى الله عليه وآله : كُلُّ شَيءٍ بِقَدَرٍ حتّى العجز والكيس

القَدْر والقَدَر: التقدير، والتقدير: ما يقدره الله من القضاء، وقد قدر الشيء يقدِر قدراً ومقدَرةً ــ بفتح الدال ــ فأمّا المقدرة ــ بضمّها ــ فهو اليسار، والتقدير: إيجاد الفعل لغرض مثله. و«العجز»: القصور والضعف، واختلفوا في أنّه معنى أو غير ذلك، والصحيح عند محقّقيهم أنّ المرجع به إلى عدم القدرة، يقال: عَجَز يعجِز عجْزاً ومعجَزةً ومعجزاً. و«الكيس»: الدهاء، وفلان كيْس مكيِّس أي ظريف، وقد كاس يكيس كيْساً وكياسةً.

يقول صلّى الله عليه وآله: كلّ شيء يفعله الله تعالى فهو محكم مقدّر فيه غرض المثل حتّى عجز الإنسان وضعفه المجبول وكيسه ودهاؤه المغرّز فيه وكذلك هو، فإنّ القدرة من فعل الله تعالى، فإذا لم يخلق للعبد كان عاجزاً، وكذلك العلوم المخصوصة المعبّر عنها بالكيس من فعله.

والمعنى: أنّ الأولى بالعبد التسليم والرضا بما قضى الله تعالى، فإنّه العالم البصير والحكيم الخبير وهو أعلم بمصالح العباد من الصحّة والسقم والقوّة والضعف والغنى والفقر والحِدّة والبَلَادَة[1] وغير ذلك.

و«حتّى» للغاية وتكون حرف الجرّ، فإذا جرّرت ما بعدها كانت بمعنى «إلى» لقوله تعالى: «حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ»[2]، وإذا رفعت فالتقدير: «حتّى الفجر»، والكيس: القدر.

وفائدة الحديث الحثّ على التسليم والرضا بالقضاء، فإنّه عزّ وجلّ لا يقضي إلّا بما هو الأصلح، لكونه عالماً بما لا طريق لنا إليه. وراوي الحديث عبد الله بن عمر .

---

١ . الحدّة والبلادة: الفقرة والاستكانة.

٢ . القدر: ٥.

قوله صلى الله عليه وآله: كُلُّ صَاحِبِ عِلْمٍ غَرْثَانُ إلَى عِلْمٍ

أنواع العلوم كثيرة، وكلّها متناصرة متعاونة، وبعضها يتقاضى بعضاً وبعضها مفتقراً إلى بعض كما لا يخفى؛ فالأدب يحتاج إلى النحو، والنحو يحتاج إلى التصريف، وعلم التفسير يحتاج إلى جميع العلوم؛ فترى بعضها مفتقر إلى بعض غير مستغن عنه؛ والعلم هو ما اقتضى سكون النفس؛ ويطلق على معرفة الصناعات والأعمال فيقال له علم البناء والحدّادة والنجّارة والصبّاغة.

ومعنى الحديث ـ والله أعلم ـ: أنّ كلّ من أحكم علماً تاقت[1] نفسه إلى علم آخر يستفيده ويستبصر فيه، وذلك لاشتباك ✽العلوم وتجانسها؛ وكيف لا يكون كذلك، والعلم ما اقتضى سكون النفس، والإنسان توّاقٌ إلى ذلك السكون ليشتاق إلى أن يوفّق لذلك. [١٠٤]

وقوله عليه السلام: «إلى علم» منكّراً على أنّه يعني به علماً آخر، لأنّه لو أراد ذلك العلم المقدّم ذكره لقال إليه أو إلى العلم، لأنّ النكرة إذا تكرّرت تعرّفت، يقول: مررتُ برجل فقال لي الرجل كذا وكذا، وهو ذاك بعينه.

وفائدة الحديث بيان [أنّ] العلوم يجذب بعضها بعضاً ويدعوا بعضها إلى بعض، كما قال: «مَنْهُومَانِ لَا يَشْبَعَانِ: طَالِبُ عِلْمٍ وَطَالِبُ دُنْيَا»[2]. وراوي الحديث جابر بن عبد الله.

قوله صلى الله عليه وآله: لِكُلِّ شَيْءٍ عِمَادُ وَعِمَادُ هَذَا الدِّينِ الْفِقْهُ

«العماد»: البناء الرفيع، فيراد به الجمع فيؤنّث.

قال عمرو بن كلثوم:

---

١. اشتاقت ونازعت.

٢. الكافي: ١/٤٦؛ نهج البلاغة: ٥٥٦، حكمة ٤٥٧.

وَنَحْــنُ إذَا عِمَادُ الْحَــقِّ[١] خَــرَّتْ عَـلَى الْأَحْـفَاضِ تَمْنَعُ مَنْ يَلِينَا[٢]

والواحد حينئذٍ عمادة، قال ابن عرفة: يقال: عماد ويجمع أعمدة وعُمداً، وليس في كلامهم فِعال وجمعه فعل إلّا عمادٌ وعَمَد ولهاب ولهب، ومنه قوله تعالى: «فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ»[٣]. قال الليث: أي في شبه أخبية[٤] من النار،[٥] ويقال: عمدتُ إلى الشيء، فالعمد إذا أقمته بعماد يعتمد عليه، وأعمدته: جعلت تحته عمداً، وفلان طويل العماد: إذا كان معمّداً أي طويلاً. و«الفقه» أصله الفهم، وفقه الرجل ـ بالكسر ـ ويقال: فلان لا يفقَه ولا ينقه، وأفقهتك الشيء، ثمّ خصّ به علم الشريعة، والعالم فقيه قد تفقّه وفقّهه الله ولم يكن فقيهاً ففقُه يفقُه فقاهةً.

يقول ﷺ: لكلّ شيء عماد يعمده وقوام يقيمه ومساك يمسكه، وعماد الإسلام الفقه، لأنّه معرفة العبادات الحلال والحرام والقضايا والأحكام، وكما لا يقوم البناء ولا يستمسك إلّا بالأعمدة، فكذلك الدين لا يكمل ولا يقوم إلّا بالفقه، لأنّه عماده الذي يعتمد عليه، وملاكه الذي يعتضد به.

وفائدة الحديث الحثّ على تعلّم الفقه والاشتغال به والإمعان فيه. وراوي الحديث أبو هريرة، وتمامه: «مَا عُبِدَ اللهُ بِشَيْءٍ أَفْضَلَ مِنْ فِقْهٍ فِي دِينٍ، وَلَفَقِيهٌ أَشَدُّ عَلَى الشَّيْطَانِ مِنْ أَلْفِ عَابِدٍ، وَلِكُلِّ شَيْءٍ عِمَادٌ وَعِمَادُ هَذَا الدِّينِ الْفِقْهُ، فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: لأَنْ أَجْلِسَ سَاعَةً فَأَفْقَهَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ *أُحْيِيَ اللَّيْلَةَ إِلَى الْغَدَاةِ»[٦].

١٠٥

١. كذا في خ، وفي بعض المصادر: الحيّ.

٢. راجع: تهذيب اللغة: ١٢٨/٤؛ تفسير القرطبي: ٤٦/٢٠؛ تاج العروس: ٤١٣/٨

٣. الهمزة: ٩.

٤. كذا في المصادر، وفي خ: أخية.

٥. راجع: العين: ٥٧/٢.

٦. مسند الشهاب: ١٥٠/١، ح٢٠٦.

قوله صلى الله عليه وآله: كُلُّ مُشْكِلٍ حَرَامٌ وَلَيْسَ فِي الدِّينِ إِشْكَالٌ

يقال: أشكل الشيء إذا التبس واشتبه، وهو مشتقّ من الشكل، فحقيقة أشكل: دخل في شكل غيره واشتبه وتماثل ولم يتّضح أمره. و«الحرام»: الممنوع منه، وأصل «حرم»: المنع، وينقسم الحرام إلى شرعيّ وبشريّ؛

فيقول صلى الله عليه وآله: كلّما أشكل عليك فلم يتّضح وجهه ولم يتميّز سقيمه من صحيحه أو صالحه من فاسده فشروعك فيه حرام والتوقّف دونه واجب، سواء كان اعتقاديّاً أو شرعيّاً أو ماليّاً أو معامليّاً ومن أيّ وجه كان؛ ولذلك قيل: التوقّف فرض من لا فرض له، وكلّما خالطه الحرام فهو مجتنب عنه.

وقال ابن مسعود: إنّ الحرام يغلب الحلال[1].

وقال النبيّ عليه السلام: «دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ»[2].

ثمّ قال عليه السلام: «وليس في الدين إشكال»، أي اشتباه، لأنّه واضح بيّن، بشريطة[3] أن يكشف الإنسان غطاء الهوى عن عينيه ويسوّي جميع ما ينظر فيه بين يديه، ويستوفق الله تعالى، مميطاً[4] عن قلبه حبّ النَشْو[5] غير متعصّب لدين أبويه وقبيلته وأهل بلده ومعلّمه، فأنا كفيل بأن تهديه العناية الربّانيّة والرحمة الرحمانيّة إلى سواء السبيل. وهيهات أن يتّفق ذلك.

ورواه بعضهم: «كلّ مسكر حرام»[6] إلّا أنّ القاضي أبا عبد الله القضاعيّ أورده كذلك:

---

١. راجع: غريب الحديث لابن قتيبة: ٢/٢٣٠؛ النهاية: ٣/٣٧٦.

٢. مصنّف عبد الرزّاق: ٣/١١٧، ح ٤٩٨٤؛ مسند أحمد: ١/٢٠٠، ح ١٧٢٣.

٣. بشرط.

٤. مُبعداً.

٥. نشي، نشواً: سكر أوّل السكر.

٦. الكافي: ٦/٤٠٧؛ الاستبصار: ٤/٩٥، ح ٣٦٥؛ وراجع: مسند أحمد: ١/٢٨٩، ح ٢٦٢٥.

«كلّ مشكل»، وما رواه الراوي : «كلّ مسكر حرام» فهو لعمري صحيح لا شكّ فيه، إلّا إنّا نشرح كتاب القضاعيّ ونتّبعه. وقال من خالفه: إنّه لا يكاد يوجد في شيء من الصحاح بلفظ «المشكل»، بل فيها : «كلّ مسكر حرام».

وفي كتاب أبي عبيدة يسند عن طارق بن سويد قال: «قلت يا رسول الله! إنّ بأرضنا أعناباً نعتصرها فنشرب منها؟ قال: لا، فراجعته فقال: لا، فقلت: أيستشفى بها المريض؟ قال: ذلك داء ليس بشفاء»[1].

وروي أنّ نفراً من اليمن قدموا على النبيّ صلى الله عليه وآله فسألوه عن المزر ــ وهو نبيذ الدُخن ــ وقالوا: إنّ أرضنا عشمة ــ أي يابسة ــ ونحن قوم نحترث ولا نقوّي على عملنا إلّا به، فقال النبيّ عليه السلام : كلّ مسكر حرام.[2]

وفي رواية أخرى: «مَا أَسْكَرَ الْفَرَقُ مِنْهُ فَالْحَسْوَةُ مِنْهُ حَرَامٌ»،[3] قال ثعلب: الفرق اثنا عشر مدّاً.[4]

وفائدة الحديث على الوجه الأوّل تجنّب ما فيه إشكال وترك الخوض فيه والالتباس فيه من جميع الوجوه ، ❊وعلى الوجه الثاني تجنّب المسكر من الأشربة. وراوي الحديث تميم الداري. ١٠٦

قوله صلى الله عليه وآله : كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ

أصل الرعي الحفظ يقول: رعى يرعى رعياً، ورعاك الله أي حفظ[ك]؛ والراعي يجمع رُعاةً مثل قاضي وقضاة، ورُعْياناً مثل شباب وشُبّانٍ ورِعاءً مثل جائع وجِياعٍ؛ والرعية: من ترعاهم المتولّي لهم وهو فعلة من رعى لأنّه يحوطهم ويحفظهم.

---

١ . راجع: التاريخ الكبير للبخاري: ٣٥٢/٤، ح٣١١١؛ سنن ابن ماجه: ١١٥٧/٢، ح٣٥٠٠.

٢ . راجع: غريب الحديث للخطابي: ٥٨٩/١؛ الفائق: ٣٦٣/٣.

٣ . مسند إسحاق: ٣٩٨/٢، ح٩٤٩؛ المعجم الأوسط: ١٣٠/٩، ح٩٣٢٨.

٤ . راجع: غريب الحديث للخطابي: ٣٤٩/٢.

يخاطب النبيّ عليه‌السلام جميع المكلّفين فيقول: كلّكم راع مسؤول، فإن كان ذا سلطان سئل عمّن تحت يده وحكمه وإن كان حاكماً كما سئل عن المتحاكمَين إليه، وإن كان رئيساً سئل عن مرؤوسه، وإن كان والياً سئل عمّن يلي أمرهم، وإن كان ذا زوجة وأهل فهم رعيته الذين يسأل عنهم ويسألون عمّا فعلوا فيهم، سؤال تثبيت وإحكام لا سؤال استفهام واستعلام ليطالبوا بما اعترفوا به: هل راعوا عليهم هل حافظوهم هل كانفوهم[١] هل كانوا لهم على ما أخذ الله عليهم العهد، أم ظلموهم وغصبوهم وجَفوهم[٢] وآذوهم وشتموهم وارتكبوا فيهم متون نهي الله تعالى.

وفائدة الحديث الحثّ على مراعاة من تحت اليد وإعلام أنّه سيسئل عنه يوم القيامة. وراوي الحديث ابن عمر.

قوله صلى‌الله‌عليه‌وآله: لِكُلِّ غَادِرٍ لواءٌ يَومَ القِيَامَةِ بِقَدرِ غدرَتِهِ

أصل الغدر الإخلال بالشيء والترك له، ويقال للمخلّ بالعهد التارك له غادر، وجمعه غَدَرَة، وهو غدّار كثير الغدر، ويقولون: يا غُدَر. و«اللواء» المطرّد وهو دون العلم والبند.

يقول صلى‌الله‌عليه‌وآله: لكلّ غادر لواء، أي كلّ من غدر في عقد أو خامر[٣] في عهد فإنّه يشهر ليوم القيامة في الموقف المشهود حتّى تعرفه الخلائق أنّه الذي كان غدر في الدار الدنيا؛ ويجوز أن يكون ذكر اللواء حقيقة العلامة فتكون أخزى له، ويجوز أن يكون مجازاً يعني أنّه يشنّع عليه ويعرّف حاله وينادي عليه في صعيد القيامة، فكان التعريف لواء مضروب عليه يعرّف بمكانه. وهو نهي عن الغدر والخيانة، وإيعاد بأنّه يورث الفضيحه على رؤوس الأشهاد ومجمع العباد.

---

١. عاونوهم.

٢. في خ: وحفوهم.

٣. استتر.

وروت عائشة عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: «ذِمَّةُ الْمُسْلِمِينَ وَاحِدَةٌ، فَإِنْ أَجَارَتْ عَلَيْهِمْ جَارِيَةٌ فَلا تَخْفِرُوهَا، فَإِنَّ لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءً [يُعْرَفُ بِهِ] يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[١].

١٠٧

وعن أمّ هانئ ـ رضي الله عنها ـ أنّها أجارت رجلين فأراد أمير المؤمنين عليه السلام قتلهما فقالت: يا رسول الله! إنّي أجرتهما، فقال صلى الله عليه وآله: قَدْ أَجَرْنَا مَنْ أَجَرْتِ.[٢]

وقال عليه السلام: «مَنْ قَتَلَ مُعَاهَداً فِي غَيْرِ كُنْهِهِ لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ»[٣].

وفائدة الحديث التحذير من الغدر وسوء عاقبته وكراهة مغبّته[٤]. وراوي الحديث عبد الله بن مسعود، ورواه أنس بن مالك.

قوله صلى الله عليه وآله: أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الدِّمَاءِ

«الدم» أصله دَمْوٌ، وإنّما قيل دمي يَدْمي لمكان الكسرة التي قبل الياء، كما يقال رضى وهو من الرضوان ويثنّى دموان ودميان، وعند سيبويه[٥] أصله دميٌ يجمعه على دماء ودَميٌ كظبيّ وظباء وظُبيّ. وقال المبرّد[٦]: أصله [فَعَل] بالتحريك إلّا أنّه جاء جمعه نادراً يعني دماء، ودَمْي الشيء يَدمى دمىً ودُمِيّاً فهو دم.

فيقول صلى الله عليه وآله: أوّل ما يقضى ـ أي أوّل القضاء يوم القيامة ـ يكون في الدماء مع ما يُقضى في تأويل المصدر وفي هذا تفخيم لشأن الدماء وتعظيم لأمرها، وأمر الدم لعمري صعب لا أدري كيف يستخير الإنسان أن يخرّب بيت حيّ مثله لا لغرض مثله فإنّه كان ليقتله ليبرّه من حطام الدنيا، فلا والله ما بلغ قدر الدنيا وما فيها إلى ذلك، وإن كان يقتله حسداً وبغياً

---

١. مسند الحارث: ٦٨٧/٢، ح ٦٧١؛ مسند أبي يعلى: ٣٥٦/٧؛ ربيع الأبرار ونصوص الأخيار: ١٣٩/٤.

٢. راجع: مسند أبي عوانة: ٢٩٢/٤، ح ٦٧٨٥؛ المعجم الكبير: ٤١٧/٢٤، ح ١٠١٥.

٣. صحيح البخاري: ١١٥٥/٣، ح ٢٩٩٥؛ مسند البزار: ١٢٩/٩، ح ٣٦٧٩.

٤. عاقبته وآخره.

٥. راجع: الصحاح: ٢٣٤٠/٦.

٦. المصدر.

فهو عالم أنّه سيشرب الشربة التي سقاها إن لم تكن قبلاً فموتاً، كما قال:

فَمَنْ لَمْ يَمُتْ بالسَّيْفِ ماتَ بِغَيْرِهِ تَنَوَّعَتِ الأسْقَامُ والداءُ واحِدُ [١]

فما باله يقتل مثله إلّا [لـ] غرض صحيح، اللّهمّ إلّا أن يكون أدباً شرعيّاً أو حكماً دينيّاً فحينئذٍ يخرج من هذا. وفيه تحذير من أمر الدنيا والولوغ فيها بغير حقّها، وتعظيم الشأن لهوله وعظمته، يقدّم الحكم فيها على جميع الأقضية والأحكام.

وفائدة الحديث الحثّ على الامتناع من إراقة الدماء والإسراع فيها والتحذير منها. وراوي الحديث عبد الله بن مسعود.

قوله صلّى الله عليه وآله: أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ الصَّلاةُ

«الأوّل» خلاف الآخر، قالوا: أصله أوأل فقلبت الهمزة واواً وأدغم، والجمع الأوائل والأوالي على القلب. [٢] وقال بعضهم: وأصله ووأل فوعلٌ فقلبت الواو الأولى همزةً وجمع على أوائل، [٣] ولم يقولوا: أواول، لاستثقالهم [اجتماع] الواوين بتوسّطهما ألف الجمع وهو لا يصرف صفةً تقول: لقيته عاماً أوّل، وإذا لم تجعله صفةً صرفت كقولك: الحمد لله أوّلاً وأخيراً. و«المحاسبة»: التضيق في العدد، تقول: حاسبته أي ضايقته. و«الصلاة» أصلها الدعاء والتحميد والتبريك، *وقيل: معنى «صلّى» فعل ما يزحزحه عن [النار وهو] الصلاة. ١٠٨

يقول صلّى الله عليه وآله: أوّل ما يضيّق في الحساب عليه يوم القيامة الصلاة، وذلك أنّها عماد الدين، والعبادة المكرّرة في اليوم والليلة خمس مرّات، بخلاف العبادات الأخر التي منها ما يجب في العمر مرّةً كالحجّ [٤] أو لا يجب لعدم بعض الأسباب، ومنها ما يجب في السنة مرّةً كالصوم

١. قاله ابن نباتة، راجع: سير أعلام النبلاء: ٢٣٤/١٧؛ تاريخ الإسلام: ١١٧/٢٨.

٢. راجع: الصحاح: ١٨٣٨/٥.

٣. راجع: لسان العرب: ٧١٧/١١.

٤. في خ: الحجّ.

والزكاة على شرائطها، ومنها ما يجب وقتاً دون وقت كالجهاد فإنّه يجب عند شرائط معتبرة؛ فأمّا الصلاة فهي العبادة التي لا تكاد تسقط مادام التكليف ثابتاً، حتّى أنّ المكلّف إن لم يستطعها قائماً يجب عليه إقامتها قاعداً ومضطجعاً ومشيراً، ويعلم بهذا التضييق مكان هذه العبادة، فيقول عليه السلام: إنّ أوّل ما يحاسب العبد عليه الصلاة التي لها هذه المنزلة.

وفائدة الحديث الحثّ على الصلاة وإقامتها بشروطها وأداء الأمانة فيها والتنبيه على حرمتها. وراوي الحديث عبد الله.

قوله صلى الله عليه وآله: أَوَّلُ مَا يُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ الْخُلُقُ الْحَسَنُ

«الخلق» مشتقّ من خَلَق إلّا أنّ الخَلْق يقع على ما يدرك من الهيئات والصور والخُلُق مختصّ بالسجايا الخافية عن الأبصار بل تدركه البصائر بالاختبار. والمعنى في الخلق كأنّ الإنسان خُلِق عليه لشدّة ملازمته له، وإن كان محموداً يحسنه [وإن كان] مذموماً يقبحه، ولو لا أنّه كناية عن معايشه الإنسان غيره بالجميل وضدّه لما حُمد عليه ولا ذُمّ كما لا يحمد على حسن خلقه وقبحه. ولهذا قال عليه السلام: «حسّنوا أملائكم»[1] أي أخلاقكم، الواحد ملأ، قال: «فقلنا أحسني ملاء جهينا»[2].

وفي الحديث تنبيه على تكلّف تحسين الأخلاق وتنويه بذكره.

وفائدة الحديث الحثّ على اقتناء مكارم الأخلاق والتكلّف لها، والإخبار أنّها في رتبة الابتداء بها عند وضع الموازين. وراوية الحديث أمّ الدرداء.

---

١. لم أقف عليه.

٢. راجع: غريب الحديث للخطابي: ١/٣٣٩؛ تهذيب اللغة: ١٥/٢٩٠.

قوله صلى الله عليه وآله: أَوَّلُ مَا تَفقدونَ مِنْ دِينِكُمْ الأمَانَةُ وَآخَرُ مَا تَفقدونَ الصَّلاةُ.

الأمان والأمانة بمعنى: ومعنى الأمانة: ما ائتمنتَ عليه.

أخبر صلى الله عليه وآله فإنّ مخلّفيه كلّهم كانت المحافظة عليهم من حفظ الأمانة، فرأيت كيف وقع الخلف فيما بينهم حتّى تنازعوا وتجادلوا، وتأدّى خلافهم إلى قتل عثمان، وهلمّ جرّاً إلى ما انتهك من حرمة آل النبيّ ــ صلّى الله عليه وآله وعليهم ــ حتّى لحقوا بالله تعالى ما بين مسموم ومقتول ومظلوم ومشرّد في الآفاق *لا يستطيع أن يعرّف نفسه فضلاً عن غير ذلك؛ [١٠٩] وحتّى روي أنّ الرواة في زمن بني أميّة كانوا إذا أرادوا الرواية عن أمير المؤمنين عليه السلام قالوا: «عن رجل من قريش» وربّما قالوا: «عن أبي زينب»، إلى كثير ممّا يجرح الفؤاد ويورث الكباد؛ فقال صلى الله عليه وآله: أوّل ما تفقدون من دينكم الأمانة وآخر ما تفقدون الصلاة، إخبار منه عليه السلام ثانياً [بأنّ] الصلاة والإتيان بها ممّا لا يرتفع عن الأمّة ما دام التكليف باقياً؛ ويندرج تحت هذه الأمانة العبادات كلّها، فإنّها كالأمانة عند ابن آدم وخاصّة الصلوات؛ فقد فسّر قوله تعالى: «إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ»[١]، على أنّها الصلاة؛[٢] ويكون المعنى حينئذٍ: الصلاة وأداؤها على ما يجب عليها من الشروط، وتكون الصلاة الثانية التي تُرفع آخراً صورة الصلاة وإن لم تكن على وفق ما يجب، فإنّ الناس ما داموا في قيد الإسلام متديّنين له قائلين به، فلن يخلوا من صورة صلاة تصلّى في الأوقات، قبلت أو ردّت.

وفائدة الحديث الإخبار عن هذا الغيب، وأنّه يقع الخلاف عقيب وفاته عليه السلام، وأنّ صورة الصلاة تبقى ما بقي الناس مسلمين. وراوي الحديث أنس بن مالك.

---

١. الأحزاب: ٧٢.

٢. راجع: معالم التنزيل: ٦٦٨/٣.

قوله ﷺ : أَوّلُ مَا يُرْفَعُ عَنْ هَذهِ الأمَّةِ الحَيَاءُ وَالأمَانَةُ

معنى هذا الحديث كالذي قبله، وإشارة إلى ما كان يعلم بالوحي من عند[١] الله تعالى أنّ أمّته يقدمون على محارم ينتهكونها ومظالم يرتكبونها استعصاماً بالوقاحة، والخروج من حكم الحياء، ولعمري أنّه ﷺ كأنّه كان ينظر إلى وراء ستر رقيق إلى ما سيكون بعده، وكيف لا؟! والوسيط الصادق يخبره كلّ يوم من عند ربّه بما سيكون، وارتكاب القبائح كلّها من ارتفاع الحياء وفقدانه، فإنّ العبد لو كان في قيد حيائه ما شرب مسكراً ولا زنا ولا كذب ولا قتل ولا سرق إلى غير ذلك ممّا لا يخلو من السرف والوقاحة.

وفائدة الحديث بأنّ الأمانة والحياء من أوّل ما يرتفع من هذه الأمّة؛ وفيه حثّ على التمسّك بهما والملازمة للواجب فيهما. وراوي الحديث أبو هريرة.

قوله ﷺ : الْوُدُّ[٢] يَتَوَارَثُ وَالبُغْضُ يَتَوَارَثُ

أصل الوراثة انتقال قنية إلى غير صاحبها من غير عقد ولا ما هو جار مجراه. تقول: ورثتُه كذا وورثتُ منه كذا، ❊وعلى الأوّل قال الشاعر:

١١٠

ورّثتهم فتسلّوا عنك إذ ورثوا وما ورثتك إلّا الهمّ والحزن[٣]

يقال: ورِثتُه أرِثُه وِرْثاً ووِراثةً وإرثاً ورِثَةً.

ومعنى الحديث: أنّ الآباء إذا كانوا متوادّين متحابّين نشأ أولادهم على ذلك، كأنّ ذلك الودّ جرى في أعراقهم، فنشئوا عليه ونسبوا به وارتضخوا[٤] منه وكرعوا فيه[٥]؛ وبالضدّ من ذلك

---

١. في خ: عبد.

٢. كذا في خ، وفي المصادر: الحبّ.

٣. الأغاني: ١١/٢٣؛ الاستذكار: ٢٤٣/٧؛ ربيع الأبرار: ١٥٥/٥.

٤. تناولوا.

٥. كَرَعَ في الماء يَكْرَعُ كُرُوعاً، إذا تناوله بفيه من موضعه من غير أن يشرب بكفّيه و لا بإناء.

فإنّا نرى القبيلتين كان آباؤهما متباغضين متشاحنين[١] بقي ذلك فيهم بقاء خلودهم وتمرّنوا عليه على وجه الدهر هؤلاء عبد مناف وعبد شمس وبنو أميّة والطالبيّون إلى غيرهم.

فأخبر صلى الله عليه وآله أنّ الودّ والبغض يتوارثان كابراً عن كابر وأوّلاً عن آخر.

وفائدة الحديث النهي عن الشروع في أسباب البغض والأمر بالرغبة فيما تجلب المودّة وتوجب الألفة ضمّاً لحبل الأمّة واستصلاحاً لما هو أعمّ لنفعهم وأتمّ لصلاحهم. وراوي الحديث عُقبة.

قوله صلى الله عليه وآله: حُبُّكَ لِلشّيءِ يُعمِي ويُصمّ

«الحبّ»: الإرادة. وقيل: أصل الحبّ من إصابة حبّة القلب،[٢] وقد تقدّم القول فيه.

والمعنى أنّك إذا أحببت شيئاً صدفك حبّه عن معايبه وأعماك عن مثالبه، فتتهالك عليه وهو عيبة العيوب ودنوت الذنوب، ولا يتكأّد[٣] ما فيه من المعايب إلّا إذا زال ذلك الحبّ وانشرى[٤] عن قلبك ما لم يزل شايعاً يستر على مقابحه ويُسبِل ذَيَل الستر[٥] على فضائحه، فحينئذٍ ترى عيوبه واضحةً ومعايره[٦] فاضحةً.

ولذلك قال شاعرهم:

وَعَينُ الرِضا عَن كُلِّ عَيبٍ كَليلَةٌ إلّا أنّ عَينَ السُخطِ تُبدي المَساوِيا[٧]

---

١. متباغضين.

٢. قاله السلمي، راجع تفسير السلمي: ٩٧/١.

٣. يصعب ويشقّ.

٤. كذا في خ.

٥. أسبل الستر: أرسله وأرخاه.

٦. معايبه.

٧. قاله عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر، راجع: عيون الأخبار: ٢٨٣و٣٠٦؛ العقد الفريد: ١٨٢/٢؛ الأغاني: ٢٧٢/١٢.

وروي أنّ المأمون قال: «لو لا أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «أُخبر تقله» لقلت: أقله تخبر»[١]. وهذا كلام حسن في معناه.

فيقول صلى الله عليه وآله: إنّ الحبّ يغطّي على قلب العاقل حتّى [يرى] المثالب مناقب والمعائر مآثر.

وفائدة الحديث النهي عن حبّ ما لا ينبغي الإغراق في حبّه، فإنّه يؤدّي إلى أن يلتبس عليه حاله، فيحصل مخدوعاً عن عقلك مخلوباً عن رأيك. وراوي الحديث أبو الدرداء.

قوله صلى الله عليه وآله: الهَدِيَّةُ تذهبُ بِالسَّمْعِ وَالبَصَرِ

«الهديّة»: ما تعطيه غيرك لا على سبيل جزاء.

ومعنى الحديث: التنبيه على مكان الهديّة وأنّها تفسخ العزائم وتسلّ السخائم وتنزع الضغائن وتميت الدفائن وتزيد في العدد وتنفث[٢] في العُقَد *وتحلّ المبرم من الأمور، حتّى كأنّ المهدى إليه لا سمع له فيسمع ما يكرهه ولا بصر فيبصر ما يسوءه،[٣] ولا يخلو هذا الحديث من أحد وجهين: إمّا أن يكون قد أمر بالمهاداة لتألّف القلوب واجتماع الشمل والموافقة بين الناس، كما قال عليه السلام: «تَهَادَوْا تَزْدَادُوا حُبّاً»[٤]. ويجوز أن يكون نهياً للحكّام والولاة عن قبول الهديّة، فإنّهم إذا أسفّوا[٥] لذلك ومالوا إليه، فما أجدر حقوق الناس أن تبطل، وما أقرب الباطل أن يتحقّق، ولذلك نهى القضاة أن يقبلوا الهدايا لينظروا إلى الخصمين نظراً واحداً، وجبلّة الإنسان الميل إلى من أحسن إليه، كما قال عليه السلام: «جُبِلَتِ

١١١

---

١. راجع: العزلة: ٥٤؛ شرح نهج البلاغة: ٢٠/ ٤٠؛ الكشكول: ٢/ ٤٥.

٢. تنفخ، والنفّاثات في العقد: السواحر.

٣. في خ: يسوءك.

٤. المعجم الأوسط: ٦/ ٥٤، ح ٥٧٧٥؛ مسند الشهاب: ١/ ٣٨٠، ح ٦٥٥؛ كنز العمّال: ٦/ ٤٤، ح ١٥٠٥٧.

٥. دنوا.

الْقُلُوبُ عَلَى حُبِّ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيهَا، وَ[عَلَى] بُغْضِ مَنْ أَسَاءَ إِلَيْهَا»[١]. وإذا شنّعت لفظ الهديّة سمّيتها رُشوةً وهي المنهيّ عنها شرعاً. وروي: أوّل من ارتشى في الإسلام يَرْفأ غلام عمر بن الخطّاب.[٢] قال بعضهم: «كان الدرهم يُعرف في يديَّ حتّى أناوله إيّاه»[٣].

وفائدة الحديث إمّا الحثّ على التهادي لتكون مدعاة إلى المودّة، وإمّا الحثّ للولاة وإلى الأمراء أن لا يقبلوا الرُشى والمصانعات. وراوي الحديث أنس بن مالك.

قوله صلى الله عليه وآله: الْخَيْرُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِي الْخَيْلِ

«الخير» هو النفع الحسن المرغوب فيه، وبالعكس منه الشرّ. و«الخيل» اسم يقع على الفرسان والأفراس، فالأوّل كَقَوْلِهِ عليه السلام: «يَا خَيْلَ اللهِ ارْكَبِي»[٤]، والثاني كَقَوْلِهِ عليه السلام: «عَفَوْتُ لَكُمْ عَنْ صَدَقَةِ الْخَيْلِ»[٥]، يعني الأفراس؛ فاشتقاق الخيل من الخيلاء، لأنّ الفرس كأنّ له خيلاء في نفسه وكذلك الفارس، ولذلك يقال: ما ركب أحد فرساً إلّا وجد في نفسه نخوةً[٦]. وفي كلام العجم[٧]: «إنّ الرستاقيّ إذا ركب الفرس نسي الله»[٨].

---

١. من لا يحضره الفقيه: ٣٨١/٤، ح٥٨٢٦؛ مسند الشهاب: ٣٥٠/١، ح٥٩٩؛ شعب الإيمان: ٣٨١/١، ح٤٦٦.

٢. راجع: الحاوي الكبير: ٣٠/١٦؛ المعرفة والتاريخ: ٢٤٤/١؛ تاريخ مدينة دمشق: ١٨/٦٠.

٣. قائله المغيرة بن شعبة، راجع: المعارف لابن قتيبة: ٥٥٨، قال: «وقال: ربّما عرق الدرهم في يدي أرفعه ليرفأ ليسهل إذني على عمر».

٤. الإرشاد: ٩٠/٢؛ المستدرك على الصحيحين: ٣٩٧/٢؛ شعب الإيمان: ٣٦٢/٧، ح١٠٥٩٠؛ كنز العمّال: ١٧٣/٢، ح٤٣٦٣.

٥. مسند أحمد: ١٢١/١، ح٩٨٤؛ مسند الطيالسي: ١٩، ح١٢٤.

٦. راجع: المفردات: ١٦٢.

٧. في البحار: للعجم.

٨. لم أجده.

والحديث مقصور على مدح الأفراس للغناء الذي جعله الله فيها، ولو لا الخيل لما فُتحت مدينة ولا يُغلب على بلد من بلاد الكفر[١]، وبها استنجد النبيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وصحابته ــ رضى الله عنهم ــ من بعده ما تيسّر لهم من الاستيلاء وفتح البلاد ونشر دعوة الإسلام فيها، ولو لا يقويهم بها لما تيسّر لهم ذلك ولا تمشّى لهم أمر. ثمّ إنّها من أخصّ آلات الجهاد وأمر العُدد[٢] لأعداء الإسلام.

وذكر «النواصي» مجاز، وإنّما اختصّها بالنكر لأنّها من أوّل ما يستقبلك منها، ويقال: أرى في ناصية فلان خيراً، وبالعكس.

١١٢ وروي عن وهب بن*مُنَبِّهٍ [قال][٣] في بعض الكتب: «لَمَّا أَرَادَ اللهُ أَنْ يَخْلُقَ الْخَيْلَ قَالَ لِلرِّيحِ الْجَنُوبِ: إِنِّي خَالِقٌ مِنْكِ خَلْقاً أَجْعَلُهُ عِزّاً لأَوْلِيَائِي، وَإجلالاً لأَهْلِ طَاعَتِي، فَقَبَضَ قبضةً مِن ريح الجَنوبِ فخَلَقَ مِنْهَا فَرَساً، وَقَالَ: سَمَّيْتُكَ فَرَساً وَجَعَلْتُكَ عَرَبِيّاً، الْخَيْرُ مَعْقُودُ بِنَاصِيتِكَ، وَالْغَنَمَ محوز عَلَى ظَهْرِكَ، وَجَعَلْتُكَ تَطِيرُ بِلا جَنَاحٍ، فَأَنْتَ للطَّلَبِ وَأَنْتَ لِلْهَرَبِ»[٤].

وروي: «أنّ تميماً الداري كان ينقي شعيراً لفرسه ــ وهو أمير على بيت المقدس ــ فقيل له: لو كلّفت[٥] هذا غيرك؟ فقال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: مَنْ نَقَّى شَعِيراً لِفَرَسِهِ ثُمَّ قَامَ بِهِ حَتَّى يُعَلِّقَهُ عَلَيْهِ كَتَبَ اللهُ لَهُ بِكُلِّ شَعِيرَةٍ حَسَنَةً»[٦].

وعن أنس بن مالك رفعه: «رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ سنةً ثَلاَثَمِائَةٍ وَسِتِّينَ يَوْماً كُلُّ يَوْمٍ أَلْفُ سَنَةٍ»[٧].

---

١. في البحار: الكفّار.

٢. جمع العدّة وهي ما أعدّ لأمر يحدث.

٣. الزيادة في البحار.

٤. العظمة: ١٧٧٧/٥ و١٧٧٩؛ تفسير الثعلبي: ٢٦/٣؛ كنز العمّال: ١٩٩/٤، ح١١٣٨٢.

٥. في المصادر: يكفيك.

٦. راجع: مسند أحمد: ١٠٣/٤، ح١٦٩٩٦؛ المعجم الصغير: ٣١/١، ح١٤؛ مسند الشاميين: ٤١/١، ح٣.

٧. مسند أبي يعلى: ٢٦٧/٧، ح٤٢٨٣؛ كنز العمّال: ١٣٩/٤، ح١٠٧١٨؛ في المصدر: «من حرس ليلةً على ساحل البحر كان أفضل ...».

ولم تزل العرب مُكرمة لخيولها على ما تنطق به أشعارهم؛

كما قال: «تجاع لها العيال ولا تجاع»[١].

وكما قال: «وما يستوي والورد ساعة تفزع»[٢]. إلى غير ذلك ممّا يطول تَعداده.

وكان من سنّتهم في الجاهليّة أن يتمشّى القبيلة إلى القبيلة في ثلاثة أشياء: إذا ولد لهم غلام شريف، أو نتج لهم مهر جواد، أو نبغ لهم شاعر مفلق.[٣]

وفائدة الحديث التنبيه على شرف منزلة الخيل والأمر بإكرامها. وراوي الحديث ابن عمر.

قوله ﷺ: يُمْنُ الْخَيْلِ فِي شُقْرِهَا

«اليمن»: البركة والنماء، وقد يَمَن فلان فهو ميمون إذا كان مباركاً، ويَمَنَ[٤] هو فهو يامِنٌ، وبالعكس منه شُئم وشَأَم، وتيمّنت بذلك: تبركّت به. و«الشقرة» في الإنسان: حمرة صافية مع ميل البشرة إلى البياض، وهي في الخيل: حمرة صافية تحمر معها العُرف[٥] والذَنب، فإذا اسودّا فهو الكميت؛ والشقرة في الجمال حمرة شديدة يقال: بعير أشقر، والشَقرة:[٦] شقائق النعمان، الواحدة: شقرة. قال طرفة:

وتَساقَى القومُ كأساً مُرَّةً وَعلا الخيلَ دِماءٌ كالشَّقِرْ[٧]

وشقرة لقب للحارث بن تميم بن مُرّة، والنسب إليه شقريّ ـ بفتح القاف ـ؛ والأصل من

---

١ . راجع: محاضرات الأدباء: ٢/ ٦٧٠؛ الحماسة البصريّة: ١/ ٧٨؛ ديوان الحماسة: ١/ ٦٧.

٢ . راجع: محاضرات الأدباء: ٢/ ٦٧٠؛ ديوان الحماسة: ١/ ١٣٠.

٣ . راجع: محاضرات الأدباء: ٢/ ٦٦٩.

٤ . في خ: ويمنهم.

٥ . شعر عنق الفرس.

٦ . في البحار: والشقر.

٧ . جمهرة اللغة: ٢/ ٧٣٠؛ خزانة الأدب: ٨/ ١٩٠.

الكلمة الحمرة.

وروي في حديث آخر: «يمن الخيل في الشقر»،[١] و«عليكم بكلّ كميت أغرّ محجّل أو أشقر أغرّ محجّل»[٢] و«لا تَقُصُّوا أعرافها وأذنابها»[٣].

وعن أبي قتادة الأنصاريّ: «أَنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! أُرِيدُ أَنْ أَشْتَرِيَ فَرَساً، فَأَيُّهَا أَشْتَرِي؟ قَالَ: اشْتَرِ أَدْهَمَ أَرْثَمَ مُحَجَّلاً ﴿١١٣﴾ مُطْلَقَ الْيُمْنى أَوْ مِنَ الْكُمَيتِ عَلَى هَذِهِ الشِّيَةِ»[٤].

وقال عليه السلام: «لَوْ جُمِعَتْ خَيْلُ الْعَرَبِ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ مَا سَبَقَهَا إِلَّا الْأَشْقَرُ»[٥].

وسئل بعضهم عن تفضيل الأشقر فقال: إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله بعث سريّةً فأوّل[٦] من جاء بالفتح صاحب أشقر.[٧]

ولا شكّ أنّ أقوى الخيل الشقر والكميت، ولا كثير فرق بينهما إلّا بالأعراف والأذناب.

وفائدة الحديث تفضيل الشقر والكميت،[٨] وبيان أنّها أيمن وأبرك من غيرها. وراوي الحديث عيسى بن عليّ الهاشمي عن أبيه [عن جدّه].

---

١ . سنن الترمذي: ٢٠٣/٤، ح١٦٩٥؛ الفوائد لتمام الرازي: ١٦٢/١، ح٣٧١.

٢ . مسند أحمد: ٣٤٥/٤، ح١٩٠٥٤؛ كنز العمّال: ١٧٥/١٦، ح٤٥٢٢٦.

٣ . في المصدر: لاَ تَقُصُّوا نواصي الْخَيْلِ فإنّ فيها الْبَرَكَةَ وَلاَ تَجُزُّوا أَعْرَافَهَا فإنّه ادفاؤها وَلاَ تَقُصُّوا أَذْنَابَهَا فَإِنَّهَا مَذَابُّهَا»؛ راجع: مسند أحمد: ١٨٤/٤، ح١٧٦٨٠؛ الدرّ المنثور: ٩٥/٤؛ جامع الأحاديث: ١٧٧/٨.

٤ . سنن الدارمي: ٢٧٨/٢، ح٢٤٢٨؛ سنن ابن ماجه: ٩٣٣/٢، ح٢٧٨٩.

٥ . راجع: الأنوار وجوامع الأشعار: ١٣٣؛ العقد الفريد: ١٣٥/١.

٦ . في البحار والمصادر فكان أوّل .

٧ . مسند أحمد: ٣٤٥/٤، ح١٩٠٥٥؛ سنن أبي داود: ٢٢/٣.

٨ . لم ترد في البحار الكميت .

قوله صلى الله عليه وآله: السَّفَرُ قِطْعَةٌ مِنَ الْعَذَابِ

تمام الحديث في جامع البخاريّ: «السَّفَرُ قِطْعَةٌ مِنَ الْعَذَابِ يَمْنَعُ أَحَدَكُمْ نَوْمَهُ وَطَعَامَهُ وَشَرَابَهُ، فَإِذَا قَضَى أَحَدُكُمْ نَهْمَتَهُ فَلْيُعَجِّلْ إِلَى أَهْلِهِ»،[١] و«ليطرقهم[٢] ولو كانت حجارة»[٣].

بيّن صلى الله عليه وآله حقيقة السفر وما يكابده المسافر من الحَلّ والتَرحال وتحمّل المشاقّ وركوب الخطر والغرر ومكايدة الحرّ والبرد وتنغيص النوم والمطعم والمشرب والإصحار[٤] بجميع ما تملّكه يده على غير ثقة.

وقال بعضهم: «إنّ المسافر وماله لعلى قَلَتٍ إلّا ما وقى الله»[٥]، والقَلَت: الهلاك.

ولعمري أنّه كذلك، لكنّ الحرص غالب على ابن آدم يتقاضاه الجمع والمنع ووضع المال على المال حتّى يتركه جميعاً إلى غير حامد، وربّما يسعد بما شقي له ويستريح بما تعنّى له، فيبقى الوزر في عنقه والوبال عليه في الدنيا والآخرة، ولشدّة ما خفّف الله عن المسافر في الصلاة والصيام فأمرهم بالقصر والإفطار.

و«العذاب» هو الإيجاع الشديد، يقول: عذّبته تعذيباً قال بعضهم: هو تفعيل للسلب عذّبته أي سلبته العذوبة، كما يقول: فديته ومرضته. وقيل: هو من عَذبة السوط أي ضربته بها، ثمّ استعمل في كلّ معاقبة. وقيل: هو من قولهم: بات الفرس عذوباً أي لم يأكل ولم

---

١ . صحيح البخاري: ١٠٩٣/٣، ح٢٨٣٩.

٢ . في بعض المصادر: فليطرفهم.

٣ . نصّ تمامه: «إذا قدم أحدكم على أهله من سفر فليهل لأهله فليطرقهم ولو كان حجارة تفرّد به»، راجع شعب الإيمان: ٥٠٣/٣، ح٤٢٠٤؛ كنز العمّال: ٣٠١/٦، ح١٧٥٠٧.

٤ . الإظهار.

٥ . حكاه الأصمعي، راجع: البيان والتبيين: ٢٦٦؛ أدب الكاتب: ٦٦؛ تهذيب اللغة: ٦٤/٩؛ غريب الحديث لابن الجوزي: ٢٦١/٢.

يشرب.[١] وعذبته أي جعلته كذلك، وقد عذب إذا ترك ذلك . ويقال: أعذبته عن الأمر إذا منعته منه.

وليس في الحديث النهي عن السفر، بل فيه الإخبار عمّا فيه من المشاقّ، وقد روي عنه عليه السلام: «إِذَا خَرَجَ أَحَدُكُمْ إِلَى سَفَرٍ فَلْيُوَدِّعْ إِخْوَانَهُ، فَإِنَّ اللهَ تعالى جَاعِلٌ لَهُ فِي دُعَائِهِمْ البَرَكَةَ»[٢].

وفائدة الحديث أنّ السفر نوع من العذاب والمشقّة التي تكرهها النفس وينفر منها الطباع. وقد قال بعض المتبرّمين[٣] بالسفر: لو قلت هذا الكلام * ـ وقيل ـ: العذاب قطعة من السفر، لكان أيضاً مفيداً.[٤] وراوي الحديث أبو هريرة.

١١٤

قوله صلى الله عليه وآله: طَاعَةُ النِّسَاءِ نَدَامَةٌ

«الطاعة»: أصلها الانقياد والإحاطة في المراد، و«الندامة»: التحسّر على فائت، وقيل: أصله من منادمة الحزن للنادم.

ومعنى الحديث: أنّ طاعة النساء تؤدّي إلى الندامة، فجعل السبب اسماً للمسبّب لأدائه إليه.

وقد روي عنه صلى الله عليه وآله: «مَنْ أَطَاعَ امْرَأَتَهُ كَبَّهُ اللهُ عَلَى وَجْهِهِ فِي النَّارِ. قِيلَ: وَمَا تِلْكَ الطَّاعَةُ؟ قَالَ: تَطْلُبُ إِلَيْهِ الذهابَ إِلَى الْحَمَّامَاتِ وَالعرسات والعيدات والنياحات وَالثِّيَابِ الرِّقَاقِ فَيُجِيبُهَا فيهِ»[٥].

---

١ . راجع: الفائق: ٤٠٦/٢.

٢ . المنتقى من كتاب مكارم الأخلاق ومعايبها: ١٨٠، ح٤١٥؛ الفردوس: ٢٩٩/١، ح١١٨١؛ كنز العمّال: ٢٩٨/٦، ح١٧٤٧٣.

٣ . تبرّم به: ضجر به.

٤ . راجع: العقد الفريد: ٢٤٣/٦؛ المبسوط للسرخسي: ٤/١٦؛ المستطرف: ٩٤/٢.

٥ . راجع: الكافي: ٥١٧/٥، ح٣؛ من لا يحضره الفقيه: ١١٥/١، ح٢٤١.

قال بعض السلف: «إنّ المرأة ريحانة وليست بقهرمانة»[١].

وكان عُقَيل بن عُلَّفَة يعضد بناته فلا يزوّجهنّ، فقيل له في ذلك، فقال: أجعهنّ فلا ينظرن وأعريهنّ فلا يظهرن.[٢]

ولعمري أنّ المرأة إذا صارت امرأةً ناهيةً كأنّ الزوج هو المرأة وكانت هي الزوج، وأنّ في طاعتها والانحطاط في هواها وإطلابها جميع طلباتها لهلاكها، فإنّ الشهوات لا آخر لها، فإذا أدرجت زوجها إلى بعض ما تشتهي كان طريقاً إلى ما لا تطيق، وفي ذلك هلاك بيته وذهاب حميّته؛ وكيف يطاع من صرّح أمير المؤمنين عليه السلام بذكره، فقال: «هنّ ناقصات العقل والدين والحظّ». وفسّر هذا النقصان بكلامه فقال: «أَمَّا نُقْصَانُ عُقُولِهِنَّ فَإِنّ شَهَادَةَ المرأَتَيْنِ بِشَهَادَةِ رجل، وأمّا نُقصانُ دينهنَّ فقُعودِهنَّ عَن الصَّومِ والصَّلاةِ زَمان حيضِهنَّ، وأمّا نُقصانُ حَظّهنَّ فإنّهنَّ يَرثنَ نصفَ مَا يرثُ الرَّجلُ»[٣]. أو كما[٤] قال.

وفيه يقول ضمرة بن ضمرة النهشليّ:

فأنت الزوج حينئذٍ فقومي بسوطك لا أبالك فاضربيني
وأنت الزوج حينئذٍ فقومي مغاضبة إليّ فطلّقيني[٥]

وفائدة الحديث التحذير من طاعة النساء وتمكينهنّ من أن يصرن أوامر أو نواهي. وراوي الحديث عائشة.

---

١. الكافي: ٥/ ٥١٠، ح٣، قاله أمير المؤمنين عليه السلام في رسالته إلى ابنه الحسن عليه السلام؛ وكذا راجع: ١٦/ ١٨٣، ح٤٤٢١٥.

٢. لم أقف على مصدره.

٣. راجع: نهج البلاغة: ١٠٥ـ١٠٦، خطبة ٨٠.

٤. في خ: وكما.

٥. لم أقف عليه.

قوله ﷺ: الْبَلاءُ مُوَكَّلٌ بِالْقَولِ

ويروى: «بالمنطق»[١]. أصل البلاء الغمّ الذي يبلي البدن ويخلقه. وقيل: هو من بلوته بلواً أي صيّرته، يقال: بلاه الله بلاءً وأبلاه إبلاءً حسناً؛ وقد يكون البلاء كناية عمّا يكسبه الإنسان من فعل جميل، والبلاء يكون حسناً *وسيّئاً، وأصله المحنة، والله تعالى يبلو عبده بالجميل ليمتحن شكره وبالبلوى ليمتحن صبره، والذي في الحديث هو البلاء السيّئ.

١١٥

فيقول ﷺ: إنّ الإنسان مسلّم معافاً ما خزن لسانه وسجن الكلب العقور الذي بين فكّيه في محبسه، فإذا تكلّم بما لا يعنيه عاد كلامه وبالاً عليه وجارّاً[٢] كلّ بليّة إليه، ولو لم يتكلّم لم يكن للبلاء إليه سبيل ولا للعناء عليه دليل.

ويروى: «موكّل بالمنطق». وفي أمثالهم: «ربّ كلمة تقول: دعني»[٣] و«ربّ رقبة عزيزة حزّها اللسان»[٤].

وفائدة الحديث الإمساك لفضلات القول والتكلّم بما لا فائدة فيه. وراوي الحديث أمير المؤمنين عليه السلام.

قوله ﷺ: الصِّيَامُ نِصْفُ الصَّبْرِ وَعلى كُلِّ شَيْءٍ زَكَاةٌ وَزَكَاةُ الْجَسَدِ الصِّيَامُ

أصل «الصوم» الإمساك، ولذلك يقال للفرس «صائم» إذا وقف عن السير، ومَصام الفرس موقفه إلّا أنّ الشرع حبسه على إمساك مخصوص في زمان مخصوص على أشياء مخصوصة، والصوم هو الإمساك بنيّة من قبل الفجر إلى غروب الشمس من المطاعم

---

١. مسند الشهاب: ١٦١/١؛ كنز العمّال: ٢٢٠/٣، ح ٧٨٤٥.

٢. كذا ما أثبتّه في المتن، وفي خ: حاراً.

٣. راجع: المجالسة وجواهر العلم: ٣٧٣، ح ٢٢٠٢؛ مجمع الأمثال: ٣٠٦/١.

٤. لم أقف عليه.

والمشارب والمناكح وما يجري مجراه من المفطّرات. و«الصبر»: حبس النفس عمّا تنازع إليه. و«الزكاة» أصلها النموّ والزيادة، يقال: زكا الزرع يزكو إذا نمى والتفّ[١]، والزكاة الشرعيّة ما تخرجه الإنسان من حقّ الله تعالى في المال، وقيل لها الزكاة تقوّلاً بزكاء المال أو تزكية النفس أو بمجموعها[٢]، فإنّ الخيرين فيها لا يتنافيان.

وقد رفع صلّى الله عليه وآله من شأن الصوم وجعل نصف الصبر مطلقاً، فكأنّه يقول صلّى الله عليه وآله: من صام بما أمر وصامت جوارحه فكأنّما أتى بنصف العبادة التي هي الصبر على الطاعة وعن الشهوات. ثمّ حثّ عليه فقال: «على كُلِّ شَيْءٍ زَكَاةٌ وَزَكَاةُ الْجَسَدِ الصِّيَامُ»، وهذا التعظيم للصوم إنّما هو لمكان أنّه هو العبادة التي هي بمعزل من شوب الرياء والسمعة، وما أقلّ من تداخلها من ذلك، لأنّه سرّ بين العبد وربّه لا يطّلع عليه غيرهما.

ولذلك قال ـ عزّوعلا ـ: «الصومُ لي وأنا أُجزي بِهِ»[٣].

وقال عليه السلام: «إنَّ اللهَ تعالى فَرَضَ عَلَيْكُمْ زَكَاةَ جَاهِكُمْ كَمَا فَرَضَ عَلَيْكُمْ زَكَاةَ مَالِكُمْ»[٤].

وروي عن بشر الحافيّ أنّه كان يقول: «يا صاحب الحديث أدّ زكاة الحديث، قيل: وما زكاة الحديث؟ [قال:] اعمل من كلّ مأتين بخمسة»[٥].

وفي رواية أخرى قيل: «وللحديث زكاة؟ قال: نعم، ما سمعتم من عمل أو صلاة أو تسبيح فاستعملوه»[٦].

١١٦ قال: وفي كلّ عضو من الأعضاء زكاة: فزكاة العين *النظر بالعبرة، وزكاة اللسان كلمة الفطرة، وزكاة القلب النظر بالفكرة، وزكاة البطن تنزيهه عن الحرام والشبهة، وزكاة الوجه

---

١. كثر وتضايق.

٢. في خ: بمجموعها.

٣. الكافي: ٦٤/٤، ح٦؛ مصنّف ابن أبي شيبة: ٢٧٢/٢، ح ٨٨٩٢.

٤. رفع إلى أمير المؤمنين عليه السلام، راجع: تفسير القمي: ١٥٢/١؛ بحار الأنوار: ٢٢٣/٧١، ح٧.

٥. حلية الأولياء: ٣٣٧/٨؛ لسان الميزان: ٢٣٣/٢.

٦. الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: ١٤٣/١، ح ١٨٠؛ فتح المغيث: ٣٦١/٢.

تعفيره بالسجدة بين يدي ربّ العالمين، وزكاة اليدين رفعهما بالخشوع إلى الله تعاليم، وزكاة الرجلين المشي بهما في مراضي الله تعالى؛ فإن لم يستجمع للصوم هذه الشرائط كان من باب قوله عليه السلام: «ألا رُبَّ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صومِهِ إلّا الجُوعُ والعَطَشُ، وَرُبَّ قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إلّا السَّهَرُ»[١]. أعاذنا الله من الرياء والشبهة وجعلنا من المخلصين.

وفائدة الحديث تعريف شرف الصوم وأنّه زكاة الجسد. وراوي الحديث أبو هريرة.

قوله صلى الله عليه وآله: الصَّائِمُ لا تُرَدُّ دَعْوَتُهُ

«الدعاء» هو قول القائل المريد للمدعوّ له لمن هو فوقه: افعل، وإنّما صار الصائم أقرب إلى الإجابة لأنّه تخلّى عن الطعام والشراب اللذين يبلّدانه[٢] ويفتّرانه عن الطاعة، فخلّص قلبه لله تعالى؛ وإذا دعا الله عزّ وجلّ كان أجدر بالإجابة وأقرب من الإصابة من الذي يملأ بطنه فهو من الكِظّة[٣] فيما يلهيه عن ذكر الله تعالى والدعاء له.

أولا ترى إلى موسى ـ صلوات الله عليه ـ لمّا أراد مناجاة ربّه تعالى تخلّى في الطور ثلاثين ليلةً على ما واعده الله تعالى، فروي أنّه لم يطعم في هذه الثلاثين طعاماً، فلمّا دعاه الله تعالى إلى المناجاة عمد إلى لِحاء شجرة[٤] فمضغه، فأوحى الله تعالى إليه يأمره بإتمام أربعين ليلةً ـ كما ينطق به الكتاب العزيز[٥] ـ فقال: يا ربّ! ولِمَ زاد الموعد؟ قال: ولِمَ مضغتَ لحاء الشجرة؟ قال: يا ربّ! كان ريح فيّ قد تغيّر فمضغته لئلّا تتأذّى الملائكة بريحه، فقال تعالى: لخُلُوف[٦] فم الصيام[٧] أطيب من ريح المسك، فلمّا استتمّ الأربعين ناجاه ـ جلّ وعزّ ـ.[٨]

---

١. مسند ابن المبارك: ٤٤، ح٧٥؛ سنن ابن ماجه: ٥٣٩/١، ح١٦٩٠.

٢. يقصّرانه.

٣. البِطنة.

٤. قشرها.

٥. «وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً»، الأعراف: ١٤٢.

٦. رائحة فم المتغيّر.

٧. في المصادر: الصائم.

٨. راجع: تفسير الثعلبي: ٢٧٤/٤ـ٢٧٥؛ تفسير البغوي: ١٩٥/٢؛ الكشّاف: ١٤٢/٢.

وهذا الكلام وارد مورد التشريف والتفضيل للصوم وأنّه مجراه لإجابة الدعاء.

وفائدة الحديث الحثّ على الصوم، وبيان أنّ الدعاء الذي يدعوه الصائم مستجاب بشرط المصلحة. وراوي الحديث أبو هريرة.

قوله صلّى الله عليه وآله: الصَّوْمُ فِي الشِّتَاءِ الْغَنِيمَةُ الْبَارِدَةُ

الغنيمة والغُنم والمغنم واحدٌ، وقيل: أصله من إصابة الغنم الذي يظفر به الظافر ثمّ يوسّع فيه. وغنمتُه: نقلته، وغُناماك أن تفعل كذا أي غايتك. و«البرد» أصله خلاف الحرارة، وبرَد ذلك أي ثبت كما يثبت البرد يقال: برد لي عليه حقّ. وقال الشاعر: «اليوم يوم بارد سمومه»[1]، أي ثابت، ويعبّر عن الساكن بالبرد [١١٧] *كما يعبّر عن المتحرّك بالحرارة. وعيش بارد أي طيّب دائم، قال: ومخفوض من العيش بارد[2]. وفسّر قوله تعالى: «لَا يَذُوقونَ فِيهَا بَرْداً وَلَا شَرَاباً»[3] بالنوم[4]. وقيل: إنّما قالوا عيش بارد لمكان طيب البرد في الحرّ، وبلاد العرب حارّة فهم يولعون بالبرد ويصفونه ويتمنّونه، ومن ذلك أنّهم إذا ذكروا الميّت فترحّموا عليه قالوا: «برّد الله مضجعه». و«الغنيمة الباردة» التي تغتنم من غير حرٍّ جلادٍ ولا تجشّم أعداد وإسارٍ ولا تحمّل مشقّة ولا مكابدة شقّة، وذلك لأنّ نهار الشتاء قصير يسهل صيامه وليله طويل يسهل قيامه، فالمتعبّد فيه في راحة كالغنيمة التي يغتنمها الإنسان قاراً وادعاً[5] لا يحتاج فيها

---

١ . قاله الراجز؛ راجع: الزاهر في معاني كلمات الناس: ١٩٧/١؛ تهذيب اللغة: ٢٢٤/١٢؛ غريب الحديث للخطابي: ١٨١/١.

٢ . «قليلة لحم الناظرين ...»، أنشده ابن السكّيت، راجع: الأغاني: ٢٣٣/٢٢؛ تهذيب اللغة: ٧٦/١٤؛ وقيل أنشده عتيبة بن مرداس، راجع: ديوان الحماسة: ١٠٧/٢.

٣ . النبأ: ٢٤.

٤ . راجع: تفسير الجلالين: ٧٨٧/١؛ تفسير القمي: ٤٠٢/٢.

٥ . وَدَع: سكن واستقرّ فهو وديع ووادع.

إلى حثحثة سير[١] ولا اقتحام معركة.

وفائدة الحديث الحثّ على العبادة في الشتاء، وخاصّةً على الصوم فإنّه أسهل وأيسر فيه. وراوي الحديث عامر بن مسعود.

قوله صلى الله عليه وآله: السِّوَاكُ يَزِيدُ الرَّجُلَ فَصَاحَةً

«السواك»: المسواك وجمعه سُوك ـ بضمّ الواو ـ مثل جِراب وجُرب، وساك فاه وسَوّكه تسويكاً واستاك وتسَوَّك[٢] من غير ذكر الفم. و«الفصاحة»: البلاغة، وقال بعض العلماء: «الفصاحة إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ»[٣]، وأصل «فصح» البيان؛ ويقال لكلّ ناطق فصيح لأنّه يبين عمّا في ضميره، وما لا ينطق فهو أعجم؛ وفصح فصاحةً خلاف لغته، وأفصح إذا تكلّم بالعربيّة، ولسان فصيح أي طلق، وأفصح اللبن: إذا تبرأ من اللِبأ، وأفصح الصبح: وضح، وأفصح فلان من كذا وكذا إذا تخلّص منه؛ فقوله عليه السلام: «السواك يزيد الرجل فصاحةً» معناه أنّه يطهّر الفم من الرطوبات الفاسدة والحَفْر[٤] المتزبّد والبلى المتجسّد الذي يشغل المخارج عن أداء الحرف على وجهه، فإذا نطقت تلك المخارج جاءت الحروف بأجراس صحيحة وأصوات فصيحة، وبعدُ فإنّه مطهرة للفم ومطيبة للنَكْهة[٥] ومقطعة للبلغم.

وفائدة الحديث الحثّ على السواك تطهيراً لطريق القرآن وإقامةً لسبب البيان. وراوي

---

١. سير حثحاث: سريع لا فتور فيه.

٢. في خ: يسوك.

٣. راجع: البصائر والذخائر: ١٤٥/١؛ زهر الآداب: ١١٩/١؛ عمدة القاري: ٥/١٣.

٤. صُفرة تعلو الأسنان، أو تقشّر في أصولها.

٥. رائحة الفم.

الحديث أبو هريرة.

١١٨ قوله ﷺ: جَمَالُ الرَّجُلِ فَصَاحَةُ لِسَانِهِ

«الجمال»: الحسن الكثير.

فيقول ﷺ: ليس جمال الرجل بخدّ مورّد[١] ولا ثَغْر منضّد[٢]، فإنّ ذلك إنّما يستحسن من غير الرجال، بل جماله فصاحة لسانه وحسن بيانه، وليست الفصاحة لعمري بالتشادق[٣] والتفيهق[٤]، بل الفصاحة وجادة اللفظ مع أداء المعنى وإلّا فالتشادق والإكثار ليسا من الفصاحة في شيء؛ ولذلك قال ﷺ: «إنّ أبغضكم إليّ الثرثارون المتفيهقون»[٥]، يعني المكثرين المتوسّعين في الكلام المتفاضحين، فعلمت بذلك أنّه ﷺ يعني بالفصاحة إيراد الكلام الوجيز المنبئ عن الغرض الدالّ على المقصود الحلو المقبول الناشر للقلوب.

وفائدة الحديث إعلام أنّ الجمال ليس بحسن الوجه والصباحة والملاحة، إنّما هو في البيان وإيراد الكلام على الوجه المقبول. وفيه الحثّ على اكتساب ذلك. وراوي الحديث جابر بن عبد الله.

---

١. محمّر.

٢. ضمّ الأسنان بعضه بعضاً.

٣. تفخيم الكلام.

٤. الذي يتوسّع في كلامه ويفتح به فمه، وفي خ: التجاذق.

٥. كذا في المصادر، وفي خ: المتفقهقون؛ راجع: غريب الحديث لابن سلام: ١/١٠٦؛ تأويل مختلف الحديث: ٢٩٩؛ وكذا راجع: مسند أحمد: ٤/١٩٣، ح١٧٧٦٧؛ الثرثار: كثير الكلام، والمتفيهق: الامتلاء وهو يتورّع في كلامه ويملأ به فاه؛ راجع: الفائق: ٣/٣٦٨.

قوله صلى الله عليه وآله: الْإِمَامُ ضَامِنٌ وَالْمُؤَذِّنُ مُؤْتَمَنٌ

«الإمام»: من يؤتمّ به، ولذلك يسمّى خيط البناء إماماً لأنّه يأتمّ به ويبنى على أثره، ويجمع أئمّة. وقوله تعالى: «وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً»[1]. قيل: هو جمع أمّ. قيل: هو مثل قولهم: «دِرْعٌ دِلاصٌ ودُرُوع دُلاص»[2]. وقيل: هو مصدر أمّ يأمّ أمّاً وإماماً، ككتب يكتب كتاباً وكتْباً. وكلّما يقتدى به من كتاب أو رسالة أو غير ذلك. و«الضمان» هاهنا الحفظ والرعاية.

فيقول صلى الله عليه وآله: ينبغي أن يكون الإمام حافظاً لصلاته مراعياً لوقتها عارفاً بواجباتها وسننها محيطاً بها، وكيف لا يكون كذلك وقد قلّده القوم صلواتهم، فإنّهم ربّما لا يقرؤون اتّكالاً على قرائته، فلو لا ضمانه لما صحّت صلاتهم من دون قراءة.

ثمّ قال عليه السلام: «المؤذّن مؤتمن»، أي ينبغي أن يكون مؤتمناً عارفاً بأوقات الصلوات محافظاً لها محتسباً في ذلك غير طالب أجراً ولا مدّخر ذخراً.

ولفظ الحديث وإن كان بلفظ الخبر فالمعنى الأمر، يأمرهما بأن يكونا كذلك.

وفائدة الحديث تحذير الإمام والمؤذّن من الإغفال والإهمال فيما يجب عليهما فيما هما بصدده. وراوي الحديث أبو هريرة.

قوله صلى الله عليه وآله: الْمُؤَذِّنُونَ أَطْوَلُ النَّاسِ أَعْنَاقاً يَوْمَ الْقِيَامَةِ

١١٩

التأذين والإيذان *بمعنى، والتأذين كلّ إعلام بنداء، قال تعالى: «فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ»[3]، واختصّ بالإعلام بالصلاة؛ وقوله عليه السلام: «أطول الناس أعناقاً» قيل: معناه أكثر الناس أعمالاً، يقال: لفلان عنق من الخير، أي قطعة، وهو قول ابن الأعرابيّ. وقيل: هو من طول

١. الفرقان: ٧٤.

٢. راجع: العين: ٩٩/٧؛ المحيط في اللغة: ١١٤/٨.

٣. الأعراف: ٤٤.

الأعناق، لأنّ الناس يومئذٍ في الكرب، وهم مشرئبّون[١] إلى الروح وإلى أن يؤذن لهم في دخول الجنّة.[٢] وقيل: هم يكونون يوم القيامة رؤساء، والسادة توصف بطول الأعناق.[٣] قال:

يُشبَّهون سُيوفاً في صَرامَتِهم وطولِ أنضِيَةِ الأعْناقِ واللِّمَمِ[٤]

و«النضيّ»: ما بين الكاهل والرأس من العنق.

وروي: «إعناقاً» ـ بالكسر ـ أي إسراعاً[٥]، والفتح هو المشهور، ولا يبعد أن يكون طول الأعناق عبارة عن الاستشراف[٦] إلى الثواب والفرح والسرور لما اختصّوا به من المغفرة وحبّوا[٧] من الرحمة، وبالعكس من ذلك يعبّر عن الحزين والبائس المظرف والناكس والمفكر؛ يعني أنّ المؤذّنين لكثرة ثوابهم وسرعة حسابهم وحسن مآبهم أعناقهم مربوعة ووجوههم مشرقة وأبشارهم ناضرة.

وقال النبيّ صلى الله عليه وآله: «مَنْ أَذَّنَ خَمْسَ صَلَوَاتٍ إيماناً وَاحْتِسَاباً غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ»[٨].

وقال عليه السلام: «مَنْ أَذَّنَ سَنَةً عَنْ نِيَّةٍ صَادِقَةٍ حُبِّسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ، وَقِيلَ لَهُ: اشْفَعْ لِمَنْ شِئْتَ»[٩].

وقال صلى الله عليه وآله: المؤذّن المحتسب والشهيد المتشحّط ما دام في أذانه يشهد له كلّ رطب ويابس

---

١. كذا في ص، وفي خ: مشتريون؛ واشرأبّ إليه: مدّ عنقه، أو ارتفع لينظر.

٢. راجع: تهذيب اللغة: ١٦٨/١؛ شرح السنّة: ٢٧٧/٢ـ٢٧٨؛ النهاية في غريب الحديث:٣١٠/٣.

٣. راجع: النهاية في غريب الحديث: ٣١٠/٣؛ مشارق الأنوار: ٩٢/٢.

٤. راجع: ديوان المعاني: ١٣٨/١؛ ديوان الحماسة: ٢٧٨/٢؛ تاج العروس: ٢١١/٢٦.

٥. غريب الحديث للخطابي: ٥٩٣/١؛ شرح السنّة: ٢٧٨/٢.

٦. انتصب وعلا؛ «أصل الاستشراف أن تضع يدك على حاجبك وتنظر»، راجع:النهاية في غريب الحديث: ٢٦٢/٢.

٧. كذا في خ.

٨. تفسير الثعلبي: ٨٤/٤؛ وراجع: سنن البيهقي: ٤٣٣/١، ح١٨٨٢؛ كنز العمّال: ٢٧٩/٧.

٩. الفوائد لتمام الرازي: ١٣/٢، ح٩٥٥؛ كنز العمّال: ٢٨١/٧، ح٢٠٩٣٦.

فإذا مات لم يدوّد في قبره.[١]

وعنه عليه السلام: «إِذَا كَانَ عِنْدَ الْأَذَانِ فُتِحَتْ أَبْوَابُ الجنّةِ وَاسْتُجِيبَ الدُّعَاءُ، وَإِذَا كَانَ عِنْدَ الْإِقَامَةِ لَا يُرَدَّ»[٢].

وقال عليه السلام: «اللّهمّ اغفر للمؤذّنين ـ ثلاثاً ـ»[٣].

وقال عليه السلام: «الْأَئِمَّةُ ضُمَنَاءُ وَالْمُؤَذِّنونَ أُمَنَاءُ فَأَرْشَدَ اللهُ الْأَئِمَّةَ وَغَفَرَ لِلْمُؤَذِّنِيْن»[٤].

وفائدة الحديث تعريف منزلة المؤذّنين المراعين لأوقات الصلوات الذين يحفظون الصلوات على الناس ويندبونهم إليها. وراوي الحديث أنس بن مالك.

قوله صلى الله عليه وآله: شَفَاعَتِي لأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي

«الشفاعة»: نفع الآخر والانضمام إليه أو دفع المضرّة عنه بشريطة[٥] أن يكون الشفيع أدون نيّة من المشفوع إليه. و«الكبيرة»: هي الذنب العظيم العقوبة. فيقول صلى الله عليه وآله: إنّ الشفاعة مبذولة لأهل الكبائر من الأمّة.

وقال عليه السلام: «إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةً مجابةً [قَدْ دَعَا بِهَا فِي أُمَّتِهِ] وَإِنِّي أَخْبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي»[٦].

---

١. المعجم الكبير: ٤٢٢/١٢؛ كنز العمّال: ٢٧٧/٧و ٢٨٠، ح٢٠٨٨٩و٢٠٩١٨؛ نصّه في المصادر: «الْمُؤَذِّنُ الْمُحْتَسِبُ كَالشَّهِيدِ يَتَشَحَّطُ فِي دَمِهِ حتّى يَفْرُغَ من أَذَانِهِ وَيَشْهَدُ له كُلُّ رَطْبٍ وَيَابِسٍ وإذا مَاتَ لم يُدَوَّدْ في قَبْرِهِ».

٢. في المصادر: أبواب السماء؛ راجع: مصنّف ابن أبي شيبة: ٣١/٦، ح٢٩٢٤٨؛ كنز العمّال: ٤٨/٢، ح٣٣٧٢.

٣. صحيح بن خزيمة: ١٦/٣، ح١٥٣١؛ تفسير الثعلبي: ٨٤/٤.

٤. مسند الشافعي: ٣٣؛ كنز العمّال: ٢٤١/٧، ح٢٠٤٠٧.

٥. في خ: بشرائطه.

٦. مسند أحمد: ٢٧٥/٢، ح٧٧٠٠؛ كنز العمّال: ١٦٨/١٤، ح٣٩٠٤٩.

١٢٠

*وفسّر قوله تعالى : «وَلَسَوفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى» أنّ معناه الشفاعة.[١]

وروي أنّه عليه السلام قال: «لا أرضى من المؤمنين في النار أحداً»[٢]، أو كما قال عليه السلام.

وروي أنّ رجلاً سأل النبيّ صلى الله عليه وآله عن الكبائر، فقال: «أَعَمُّهُنَّ الشركُ بِاللهِ، وَقَتْلُ نَفْسٍ مُؤْمِنَةٍ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَالفِرَارُ يَوْمِ الزَّحْفِ، وَالسِّحْرُ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَقَذْفُ المُحْصَنَةِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَاسْتِحْلالُ الْبَيْتِ الْحَرَامِ قِبْلَتِكُمْ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتاً»، ثُمَّ قَالَ عليه السلام : «لا يَمُوتُ رَجُلٌ لَمْ يَعْمَلْ هَذِهِ الْكَبَائِرَ، وَيُقِيمُ الصَّلاةَ، وَيُؤْتِي الزَّكَاةَ، إلّا رَافَقَ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله فِي دَارٍ [بُحْبُوحَةٍ] أَبْوَابُهَا مَصَارِيعُ مِنْ ذَهَبٍ»[٣].

وقيل لبعضهم في الكبائر، أهي سبع؟ قال: «هي أن تكون تسعين أشبه»[٤].

وسئل عبد الرزّاق عن الكبائر، فقال: «هي أحد عشرة كبيرة؛ منها أربعة في الرأس، وهي الشرك بالله وقذف المحصنة واليمين الفاجرة والشهادة بالزور، ومنها ثلاث في البطن وهي أكل الربا وشرب الخمر وأكل مال اليتيم، وواحدة في الرجلين وهي الفرار من الزحف، وواحدة في الفرج وهي الزنا، وواحدة في اليدين وهو قتل النفس، وواحدة في جميع البدن وهي عقوق الوالدين»[٥].

وقال النبيّ صلى الله عليه وآله : «وَخُيِّرْتُ بَيْنَ الشَّفَاعَةِ وَبَيْنَ أَنْ تَكونَ نِصْفُ أُمَّتِي أَهلَ الْجَنَّةِ، فَاخْتَرْتُ الشَّفَاعَةَ لِأَنَّهَا أَعَمُّ وَأَكْفَى، أتراهُ للمؤمنينَ الْمُتَّقِينَ، لَا وَلَكِنَّهَا لِلْمُذْنِبِينَ الْمُتَلَوِّثِينَ الْخَاطِئِينَ»[٦].

---

١ . راجع: تفسير ابن أبي حاتم: ٣٤٤٣/١٠؛ تفسير فرات الكوفي: ٥٧١؛ والآية في الضحى: ٥.

٢ . راجع: تفسير الثعلبي: ٢٢٥/١٠؛ التفسير الكبير: ١٩٢/٣١.

٣ . راجع: المعجم الكبير ٤٧/١٧، ح١٠١؛ المستدرك على الصحيحين: ١٢٧/١، ح١٩٧؛ كنز العمّال: ٢١٨/٣، ح٧٨١٨.

٤ . راجع: تفسير الطبري: ٤١/٥؛ قوت القلوب: ٢٤٩/٢؛ في المصادر: «إلى سبعين أقرب».

٥ . المجالس العشرة: ٦٦؛ وراجع: عوالي اللئالي: ٨٨/١؛ مستدرك الوسائل: ٣٦١/١١، ح١٣٢٦٦.

٦ . مسند أحمد: ٧٥/٢، ح٥٤٥٢؛ سنن ابن ماجه: ١٤٤١/٢، ح٤٣١١؛ كنز العمّال: ١٧٢/١٤، ح٣٩٠٦٤؛ في المصادر: «الخطّائين» بدل «الخاطئين».

وفائدة الحديث إعلام أنّ الشفاعة يغيث الخاطئين ويتدارك الهالكين. وراوي الحديث أنس بن مالك.

قولهﷺ: الْأَنْصَارُ كَرِشِي وَعَيْبَتِي

«الأنصار» هم الذين نصروا رسول اللهﷺ وآووه لمّا هاجر إليهم، واستعان بهم، وهم أهل مدينة الرسولﷺ ومن يجري مجراهم، وهو جمع نصير كشريف وأشراف، وأمّا ناصر فجمعه نَصْرٌ مثل صاحب وصحب، والنسب إليهم أنصاريّ وهو شاذّ، ومع شذوذه فله عذر، وهو أنّ هذا الاسم صار كالقبيلة ينسب إليه.

وأصل «الكرش» وعاء العلف لكلّ مجترٍّ[1]، وهي كالمعدة من الإنسان، وكرش الرجل عياله من صغار ولده، يقال: هم كرش منثورة أي صبيان صغار، وتزوّج فلانة فنثرت له كرشها وبطنها إذا كثر ولدها؛ والكرش: الجماعة من الناس وهو الذي في الحديث، ١٢١ *أي هم جماعتي وقومي وصحابتي الذين أثق بهم وأعتمد عليهم في أموري، وكذلك كانوا.

«وعيبتي» أي هم لي بمنزلة العيبة التي يصاب فيها حرّ المتاع، وهو مثل، أي هم خاصّتي ومودع سرّي.

وقال ابن الأنباريّ: «أراد أنّ بيننا موادعة ومكافّة تجريان مجرى المودّة التي تكون بين المتصافين الذين يُفشي بعضهم إلى بعض أسرارهم ويثقون بهم فيها»[2].

وقال ابن دريد: «الكرش وعاء يحفظ فيه حُرّ المطاع»[3].

وقيل: الكرش وعاء لطيب النساء.[4]

---

١. الجرّة: ما يفيض به البعير من كرشه فيأكله ثانياً.

٢. راجع: النهاية في غريب الأثر: ٣٢٧/٣؛ تاج العروس: ٤٥٠/٣.

٣. راجع: جمهرة اللغة: ٧٣٣/٢؛ المخصّص: ١١/٢.

٤. راجع: المحكم والمحيط الأعظم: ٦٧٩/٦؛ تاج العروس: ٣٥٧/١٧.

وقال النبيّ صلى الله عليه وآله: «اللهُمَّ اغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ، وَلِأَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ، وَلِأَبْنَاءِ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ، وَ[اغْفِرْ] لِنِسَاءِ الْأَنْصَارِ، وَلِنِسَاءِ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ، [وَلِنِسَاءِ أَبْنَاءِ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ]»[١].

وفائدة الحديث تشريف الأنصار والتنويه بهم وشكرهم على بلائهم وذكرهم لإيوائهم. وراوي الحديث أنس بن مالك.

قوله صلى الله عليه وآله: يَدُ اللهِ عَلَى الجَمَاعَةِ

أصل «اليد» الجارحة، وتستعار لمعان جمّة من القوّة والقدرة والنعمة، وهي في الأصل «يدْي» ــ بسكون الدال ــ كقولك في الجمع أيدٍ ويديّ ويِديّ، وأفعل في الأكثر جمع فعل ساكنة العين، كأفلس وأكلب وإن كان قد جاء في فَعَل قليلاً في كلمات معدودة، كأحبَل وأزمن. واليد في الحديث النعمة والإحسان، ويجوز أن يكون القوّة الحافظة؛ والكلام معناه أمر بالاجتماع على الحقّ، كما قال في موضع آخر: «الْجَمَاعَةُ رَحْمَةٌ وَالْفُرْقَةُ عَذَابٌ». والله تعالى يأمر بذلك في مواضع من كتابه العزيز.

والمعنى: أنّ نعمة الله وإحسانه شاملان للجماعة المجتمعة على الحقّ.

وقد جاء في حديث: إنّ الجماعة هو من اجتمع على الحقّ ولو كان واحداً، والفرقة الاجتماع على الباطل ولو كانوا عالَماً،[٢] أو ما هذا معناه.

ثمّ إنّه عليه السلام جعل الاجتماع رحمةً لمكان الاجتماع، وقال: «لا تجتمعُ أُمَّتي عَلَى الضَّلَالِ»[٣]، فكان المعنى: أنّ الجماعة محفوظة مرعية مشمولة بنعم الله تعالى، وبحفظه ما اجتمعوا على

---

١. مسند أحمد: ٣٧٤/٤، ح١٩٣٦٢؛ المعجم الكبير: ٢٠٥/٥ـ٢٠٦، ح٥١٠٤و٥١٠٦.

٢. قال عليّ عليه السلام: «الجماعة أهل الحقّ وإن كانوا قليلاً ...»، راجع: معاني الأخبار: ١٥٥؛ بحار الأنوار: ٢٦٦/٢، ح٢٣.

٣. في أكثر المصادر: «الضلالة» أو «ضلالة» أو «ضلال»، راجع: المعجم الكبير: ٤٤٧/١٢، ح١٣٦٢٣؛ كنز العمّال: ١١٦/١، ح١٠٢٩؛ الاحتجاج: ٢٥١/٢؛ بحار الأنوار: ٢٢٥/٢، ح٣.

الحقّ والصدق.

وفائدة الحديث الحثّ على اجتماع كلمة الحقّ والترافد[١] والتناصر في دين الله تعالى. وراوي الحديث عبد الله بن عبّاس.

قوله صلى الله عليه وآله: الصَّمتُ حُكمٌ وَقَلِيلٌ فَاعِلُهُ

«الصمت»: السكوت، وقد صمت يصمت صموتاً وصمتاً وصُماتاً وأصمت أيضاً إذا سكت وصمتُّه: سكتّه. و«الحكم»: الحكمة من العلم، وحكم يحكم صار حكيماً.

قال النابغة:

فـإنَّكَ سَـوْفَ تَحْـكمُ أَو تَـنَاهى إذا مَـا شِبْتَ أَو شـابَ الغُرابُ[٢]

١٢٢

وظاهر[ه] *خبر ومعناه الأمر بالصمت في موضعه.

وذكر أنّه معنى كلام للقمان الحكيم، وقد دخل على داود ـ صلّى الله عليه ـ وهو يمطل[٣] الحديد بيديه ويسرد درعاً، فأراد مرّات أن يسأله عليه السلام عمّا يعمل، فقال: أنا مستغن عن علم ذلك، وهو ممّا لا يعنيني، فلمّا استتمّ الدرع أفاضاه عليه السلام على نفسه وقال: نعم عدّة الحرب، فقال لقمان: بلغته ما معناه: الصمت حكم وقليل فاعله.[٤] يعني الصمت حكم وذلك إنّي أردت أن أعلم علم ما تعمل فسكتّ ثمّ علمتُ ما هو من غير أن أستفهم.

ثمّ قال عليه السلام: «وقليل فاعله»، في هذا الكلام إشارة إلى الإكثار وأنّ الإنسان كثيراً ما يشرع فيما الأولى الإضراب عنه والسكوت؛ وما أحسن ما قال:

---

١. التعاون.

٢. طبقات فحول الشعراء: ١٨٥/١؛ الحماسة المغربيّة: ١٣٣٨/٢.

٣. يمدّ ويضرب ويسبك ويطبع ويصوغ.

٤. الجامع في الحديث: ٥٠٧/٢، ح ٣٩٤؛ المستدرك على الصحيحين: ٤٥٨/٢، ح ٣٥٨٢؛ وراجع: تفسير مجمع البيان: ٢٠١/٨.

مَا إنْ نَدِمْتُ عَلى سُكُوتي مَرَّةً وَلَقَدْ نَدِمْتُ عَلَى الْكَلَامِ مِرَاراً[١]

وقال بحر السقا: «الصمت زينٌ للعالم وستر للجاهل»[٢].

وقال وهيب بن الورد: «العافية عشرة أجزاء؛ تسعة منها في الصمت وواحد في الهرب من الناس»[٣].

وفي حديث النبيّ عليه السلام: «وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ فِي نَارِ جَهَنَّمَ إلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِم»[٤].

وقال محمّد بن عليّ عليهما السلام: «إنّي لأكره للرجل أن يكون مقدار لسانه فاضلاً على مقدار علمه، كما يكره[٥] أن يكون مقدار علمه فاضلاً على مقدار عقله»[٦].

وقال الشاعر:

وَلَلصَّمتُ خيرٌ من كلامٍ بِمَأْثَمٍ فكنْ صامتاً تَسْلَمْ وإنْ شئتَ[٧] فاعْدِلِ[٨]

وقال آخر:

يَمُوتُ الفَتَى مِنْ عَثْرَةٍ بِلِسَانِهِ وَلَيْسَ يَمُوتُ الْمَرْءُ مِنْ عَثْرَةِ الرِجْلِ[٩]

وفائدة الحديث الأمر بالصمت عمّا الأولى الصمت عنه وقلّة الشروع فيما أنت عنه بمعزل.

---

١ . البيان والتبيين: ١٤٥؛ العقد الفريد: ٢/٢٨٥.

٢ . شعب الإيمان: ٤/٢٦٩، ح٥٠٥٥؛ كنز العمّال: ٣/١٤١، ح٦٨٨٢.

٣ . العزلة: ١٩؛ حلية الأولياء: ٨/١٤٢؛ وراجع: تاريخ جرجان: ٢٥٠، ح٤٠٤.

٤ . الكافي: ٢/١١٥، ح١٤؛ مسند أحمد: ٥/٢٣٦، ح٢٢١١٦.

٥ . في المصدر: أكره.

٦ . البيان والتبيين: ٦٠؛ الصناعتين الكتابة والشعر: ٣٧١؛ روضة العقلاء: ٢٢٢.

٧ . في المصدر: قلت.

٨ . أنشده رجل من ربيعة، راجع: روضة العقلاء: ٤٥

٩ . العقد الفريد: ٢/٢٨٥؛ محاضرات الأدباء: ١/٧٨.

وراوي الحديث أنس بن مالك.

قوله صلى الله عليه وآله: الرّزْقُ أشَدُّ طَلَباً لِلعَبْدِ مِنْ أجَلِهِ

«الرزق»: ما تنتفع به، وليس لغيرك منعك منه؛ و«الأجل»: المدّة. يقال: هذا أجل هذا الأمر، ويقال للمدّة المضروبة للحياة: أجل، ثمّ يقال: دنا أجله أي انقضاء المدّة المضروبة. وهذا أوجز ما يمكن بيانه في هذا الموضع. وهذا الكلام مجاز، فإنّ الرزق لا يطلب أحداً ولا الأجل، ولكنّ لمّا كان يصل إليه رزقه لا محالة ويغيّر بأجله من غير شكّ فكأنّما يطلبانه وينساقان إليه. وقوله عليه السلام: «أشدّ طلباً» معناه: أنّه لا بدّ له من أن يدركه، لمكان وعد الله تعالى ﷻ حيث يقول: «وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُها»[١]، وهذا حكم أكثريّ، وأنّا نرى من يمتنع عليه رزقه ولا يصل إليه إمّا لظلم ظالم أو عجز من تناوله أو لقحط من قبل الله تعالى، وفي ضمن هذا الحديث النهي عن طلب الدنيا والركون إليها والاعتماد عليها، والأمر بإجمال الطلب والترفيه في المكتسب، والتورّع من المحارم وتجنّب المآثم.

١٢٣

وفائدة الحديث بيان أنّ الرزق يصل لا محالة وفيه تسلية للإنسان وتقوية لقبله ليعتمد على الله تعالى، ولا يتبجّر[٢] في طلب الدنيا، فإنّ ما هو مقدّر له يصل إليه ولا يتأخّر عنه. وراوي الحديث أبو الدرداء .

قوله صلى الله عليه وآله: الرِّفْقُ فِي المِعِيشَةِ خَيْرٌ مِنْ بَعْضِ التّجَارَةِ

«الرفق» في الأمور: اللين والسهولة، وهو ضدّ العنف، تقول: رفق به يرفق رفقاً. و«المعيشة» ما يتعيّش به، وهي مفعلة من عاش يعيش، والعيش: الحياة، وهي أخصّ من الحياة، لأنّ الله تعالى يوصف بكونه حيّاً ولا يصحّ وصفه بالعيش، بل يختصّ بالحيوان.

---

١ . هود: ٦.

٢ . يلحّ.

و«التجارة»: التصرّف في رأس المال طلباً للربح.

فيقول صلى الله عليه وآله: إنّ الإنسان إذا أنفق على قدر وسعه ولم يسرف كان ذلك الرفق خيراً له من أن يتجر ويجمع المال من حلّه وغير حلّه، فيركم بعضه على بعض. والإسراف داخل في الخرق.

وقال عليه السلام: «مِنْ فِقْهِ الرَّجُلِ رِفْقُهُ فِي مَعِيشَتِهِ»[1].

وقال مجاهد: إذا كان في يد أحدكم شيء فليقتصد ولا يتأوّل هذه الآية: «وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ»، فإنّ الرزق مقسوم، فلعلّ رزقه قليل وهو ينفق نفقة الموسّع عليه. ومعنى الآية: وما كان من خلف فهو منه تعالى.[2]

وعن أبي أمامة الباهليّ قال: «إنّكم تؤوّلون[3] هذه الآية على غير تأويلها، «وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ»، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول وإلّا فصمتا: إيَّاكُمْ وَالسَّرَفَ فِي الْمَالِ وَالنَّفَقَةِ، وَعَلَيْكُمْ بِالاِقْتِصَاد، فَمَا افْتَقَرَ قَوْمٌ قَطُّ اقْتَصَدُوا. وقال عليه السلام: مَا عالَ من اقتصدَ[4].

وفائدة الحديث التحذير من السرف والحثّ على ما في اليد، لكيلا يحتاج إلى الناس فيبتلي بحمد المعطي وذمّ المانع أو يدفع إلى تجارة ربّما لا يسلم من مأثم ومعصية. وراوي الحديث جابر بن عبد الله.

قوله صلى الله عليه وآله: التَّاجِرُ الْجَبَانُ مَحْرُومٌ وَالتَّاجِرُ الْجَسُورُ مَرْزُوقٌ

١٢٤

«الجبن»: ضعف القلب *عمّا ينبغي أن يقوى فيه؛ و«المحروم»: المضيق عليه في الرزق، وأصل الحرمان المنع؛ و«الجسارة»: الإقدام على الشيء من غير نظر في العاقبة، و«الجسور»: المِقدام.

---

١ . مسند أحمد: ١٩٤/٥، ح٢١٧٤٢؛ كنز العمّال: ٢٤/٣، ح٥٤٣٨.

٢ . تفسير الثوري: ٥٩؛ تفسير الثعلبي: ٩٢/٨؛ تفسير البغوي: ٥٦١/٣؛ والآية في سبأ: ٣٩.

٣ . كذا في المصدر، وفي خ: أيّكم تأوّلون.

٤ . تفسير الثعلبي: ٩٢/٨ـ٩٣؛ تفسير مجمع البيان: ٢٢٢/٨.

فيقولﷺ: إنّ التاجر الذي ينظر في العواقب ويبقى على ماله وعلى ما في يديه لا يرزق كثيراً، ولكنّ الذي يغرّر بنفسه ويحملها على الأخطار ويقذفها في الأقطار، ويُعلق زرّ[١] الليل في عُروة النهار، وينفض أحلاس[٢] البراري في البحار فطوراً يركب مناكب البُلدان وطوراً يغوص في مفاوز الغيطان[٣] وطوراً يلجِح في البحور المصطفقة أمواجها وأخرى في الجبال المختلفة فجاجها، فيشغل الروحات والدلج[٤] بالطلب والصباح والمساء بالمكتسب، لبالحريّ أن يستجمع له المال ويتربّح له الحال.

ومعنى الحديث: أنّ التجارة تحتاج إلى سير وإمعان وحلّ وترحال وركوب مخاوف وأهوال وقلّة اكتراث ممّا سيحدث، حتّى يجتمع له المال؛ وإذا لم تكن التجارة بهذه الصفة ممّا أقلّ ما تجدي من الربح.

وفائدة الحديث تعريف أحوال التجارة وأنّ الذي يتخوّف العواقب لا يحظى منها بطائل وبالعكس. وراوي الحديث أنس بن مالك.

قولهﷺ: حُسْنُ الْمَلَكَةِ نَمَاءٌ وَسُوءُ الملَكَةِ شُؤْمٌ

«الملكة» مخصوصة بملك العبد، يقال: فلان حسن الملكة حسن الصنع إلى مماليكه. و«النماء»: الزيادة، يقال: نمى ينمى نمياً ونماء، وينمو نموّاً، والأوّل هو الفصيح. و«الشؤم» نقيض اليمن، يقال: شأم فلان قومه أي جرّ عليهم الشؤم، وشُئم عليهم فهو مشئوم.

فيقولعليه السلام: حسن الملكة أي الإحسان إلى الخول والخدم ومن تحت اليد، منزاة للمال

---

١. الذي يوضع في القميص.

٢. نفض الثوب: ذهب بعض لونه، وأحلاس جمع الحِلْس وهو ما يبسط في البيت من حصير ونحوه تحت كريم المطاع.

٣. جمع الغوط والغائط: المطمئنّ من الأرض.

٤. الروحات جمع الروحة وهو يريد به السير رواحاً، والدَلَج والدُلجة: السير من أوّل الليل.

منماة للحال ومجلبة للغنى ومجدرة بالغنيّ، ويدخل في حسن الملكة التوسعة عليهم في المأكل والمشرب والملبس وتليين القول لهم، وأن يعلّمهم ما لا بدّ لهم منه من الفرائض، ويكفّهم عن المعاصي وأن لا يُعنف بهم ولا يحمل عليهم ما لا طاقة لهم به، ولا يُسمعهم المكاره، ولا يمنعهم من طاعة الله تعالى الذي هو وهم عبيده. ثمّ قال: «وسوء الملكة شؤم»، وسوء الملكة عكس ما ذكر في حسنها، و«الشؤم»: قلّة الخير والبركة، أي يؤدّي إلى النقصان في المال والنفس والحال.

وروي: أنّ آخر كلمة سُمعت من النبيّ صلى الله عليه وآله: «الصلاةَ وَمَا مَلَكَتْ أَيُمانُكُمْ»[١].

وروي: أنّه ما من نبيّ خرج من الدنيا إلّا وصّى بمثل ذلك.[٢]

١٢٥ *وقال عليه السلام: «لا يَدْخُلُ الجنّةَ سيّئُ الملكَةِ»[٣].

وعن الحسن البصريّ: «أشدّ الناس صُراخاً يوم القيامة رجل سنّ ضلالة واتّبع عليها، ورجل سيّئ الملكة، ورجل فارغ [مكفي] استعان بنعم الله على معاصيه»[٤].

وروي قال عليه السلام: «أَرِقَّاءَكُمْ أَرِقَّاكُمْ»[٥].

وفائدة الحديث الحثّ على الاصطناع إلى الخول والمماليك ومن هو طوّع يديك والتحذير من الإساءة إليهم. وراوي الحديث رافع بن مُكَيْث.

قوله صلى الله عليه وآله: فضُوحُ الدُّنيَا أَهْوَنُ مِنْ فضُوحِ الآخِرَةِ

«الفضوح»: الفضيحة ، تقال: فضحتُه فافتضح، أي كشفت عن مساوئه، وأصل «فضح» الانكشاف والوضوح، يقال: فضَّح الصبح وأفضح إذا ظهر، وأفضح البُسْرُ:

١ . مسند أحمد: ١١٧/٣، ح ١٢١٩٠؛ سنن ابن ماجه: ٥١٩/١، ح ١٦٢٥.

٢ . لم أقف عليه.

٣ . مسند أحمد: ٧/١، ح ٣١؛ سنن ابن ماجه: ١٢١٧/٢، ح ٣٦٩١.

٤ . المجالسة وجواهر العلم: ٥٥٩/١، ح ٣٣١٥؛ التذكرة الحمدونيّة: ١٠٢/٨؛ نثر الدرّ: ١٣٣/٥.

٥ . المراسيل لابن أبي حاتم: ٢٣٤، ح ٨٧٤؛ مسند زيد بن علي: ٣٩٠؛ الإصابة: ٧١٨/٦، ح ٩٤٥٣.

ظهرت حمرته، والأفضح: الأبيض.

يقولﷺ: لأن تفتضح في دار الدنيا فيعتذر إلى من جفوتَه ويردّ المظلمة على من ظلمته ويستحلّ ممّن أسمعتَه ويتدارك في الدنيا أحوالك أسهل عليك أن يقتصّ منك في ذلك الموقف الأعظم على رؤوس الأشهاد حيث لا تحابى[1] بالذرّة «يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ»[2] «يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا»[3] «يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً»[4].

وروي[5]: أنّ عثمان بن مظعون أفرى شيئاً فلامه بعض الناس على ذلك، فقال النبيّﷺ: «فُضُوحُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ مِنْ فُضُوحِ الآخِرَةِ».

وفائدة الحديث الحثّ على التوبة والموافاة إلى القيامة مجرّداً من التبعات، وتعريف أنّ استدراك الدنيا أسهل من فضيحة الآخرة. وراوي الحديث الفضل بن عبّاس.

قولهﷺ: الْقَبْرُ أَوَّلُ مَنْزِلٍ مِنْ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ

«القبر»: مضجع الميّت وقبرتُه أنا وأقبرتُه: جعلتُ له مكان قبر، مثل سقيته وأسقيته أي جعلت له شرباً.

ومعنى الحديث: أنّه يبيّن في القبر للمقبور ما ينتهي أمره إليه من الخير والشرّ، وذلك بما فيه من سؤال الملكين اللذين يسألانه عن ربّه ورسوله وكتابه، فإن ارتضياه بشّراه بالنعيم وإن أنكرا أمره بشّراه بالحميم وتصلية الجحيم والعذاب الأليم؛ فهو أوّل أمور الآخرة التي تعرض لابن آدم .

---

١ . تسامح.

٢ . المطفّفين: ٦.

٣ . النحل: ١١١.

٤ . الانفطار: ١٩.

٥ . لم أقف على مصدره.

وروي: أنّ عثمان بن عفّان كان يجزع من القبر أكثر ممّا كان يجزع من غيره، فقيل له في ذلك، فقال: هو أوّل منزل يبيّن فيه الخير والشرّ ويبدو فيه عنوان الأمر.[١]

١٢٦ وفائدة الحديث تعريف أنّ الإنسان إذا *تبوّأ قبره وقف على جميع أحواله وحقيقة آماله. وراوي الحديث عثمان بن عفّان.

قوله صلى الله عليه وآله: الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى

أصل «الصدَم» ضرب الشيء الصلب بمثله، والفرسان يعدوان فيتصادمان. وكتب عبد الملك إلى الحجّاج: «ولّيتك العراقين صدمة واحدة أي دفعةً واحدةً»[٢].

ومعنى الحديث: أنّه ينبغي أن يصبر الإنسان عند فوزه بالمصيبة وحميها وهجومها، ولا يترك أن ترتكبه المصيبة بل يجب أن يصبر نفسه ويذكّرها عاقبة الدنيا وزوالها ونفادها، ويستسلم وينزل عند حكم الله تعالى، ويعلم أنّ الخيرة فيما اختارها الله، ويسلّم زمام الأمر إليه، فإنّه الحكيم الذي لا يعارض؛ وإن لم يفعل ذلك ولَدَم[٣] صدره وضرب وجهه وشقّ جيبه ولطم فخذيه ودعا بالويل والثبور، فما أقلّ عناء ذلك، بل تفوت نفسه الفضيلة وتجلب إليها الرزيلة.

وروي: أنّ أمير المؤمنين عليه السلام شيّع جنازةً فرآهم تبكون، فقال عليه السلام: تبكون، والله لو عاينتم ما عاين ميّتكم هذا لأذهلتكم معاينتكم عن ميّتكم.[٤]

وفي الحديث: «مَنْ تَعَزَّى بِعَزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَأَعْضُوهُ بِهَنِ أَبِيهِ، وَلا تُكَنُّوا»[٥].

---

١. راجع: مسند الشهاب: ١/١٧١، ح٢٤٧؛ شعب الإيمان: ٧/٣٥٢، ح١٠٥٥٣.

٢. تاريخ اليعقوبي: ٢/٢٧٣؛ غريب الحديث لابن قتيبة: ٣/٦٨٤.

٣. ضرب.

٤. راجع: الكافي: ١/٤٠٥، ح٣؛ نهج السعادة: ٣/٣٠٢.

٥. غريب الحديث لابن سلام: ١/٣٠٠؛ سنن النسائي: ٥/٢٧٢، ح٨٨٦٤؛ مسند أحمد: ٥/١٣٦، ح٢١٢٧٤؛ كنز العمّال: ١/١٤١، ح١٣٠٣.

وقيل في معنى هذا الحديث بعينه: «أن تعزّى» بمعنى اعتزّى أي انتسب وهو قولهم: يا لفلان هذه لام الاستعانة»[١].

وقال عليه السلام: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَطَمَ الْخُدُودَ، وَشَقَّ الْجُيُوبَ، وَدَعَا بِدُعاءِ الْجَاهِلِيَّةِ»[٢].

ولا يختصّ الصبر في هذا الحديث بمصيبات الموت، بل في جميع الشدائد والأحوال، فإنّه يتعيّن على المرء أن يثبّت قدمه في أوّل وهلة ممّا يحلّ به، وإلّا فليستعدّ للفزع والجزع وما لا طاقة له به.

وروى أنس بن مالك قال: «مَرَّ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله بِامْرَأَةٍ تَبْكِي عِنْدَ قَبْرٍ، فَقَالَ لَهَا: اتَّقِي اللهَ وَاصْبِرِي، قَالَتْ: إِلَيْكَ عَنِّي فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبْ بِمُصِيبَتِي وَلَمْ تَعْرِفْهُ، فَقِيلَ لَهَا: إِنَّهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله فَأَتَتْ بَابَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله فَلَمْ تَجِدْ عِنْدَهُ بَوَّابِينَ، فَقَالَتْ: لَمْ أَعْرِفْكَ، فَقَالَ صلى الله عليه وآله: إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى»[٣].

وقال عليه السلام: «لَوْ كَانَ الصَّبْرُ رَجُلاً لَكَانَ كَرِيماً»[٤].

ويمكن أن يكون المعنى: أنّ الصبر ما كان عند الشدّة ووقوعها، فأمّا ما يكون عند مضيّ الزمان وتقادم الأمر فلا يحكم عليه بالصبر بل هو ما يتأدّي الجزع إليه من السُلُوّ والنسيان، والله ــ عزّ وعلا ــ أعلم ورسوله صلى الله عليه وآله.

١٢٧ وفائدة الحديث ❊الحثّ على التصبّر والاستسلام للأمر إذا وقع والتهوين لمصائب الدنيا. وراوي الحديث أنس بن مالك.

---

١. غريب الحديث: ٣٠١/١؛ تهذيب الغة: ٦٢/٣؛ وراجع: حاشية ابن عابدين: ٢٣٩/٢.

٢. مسند أحمد: ٤٥٦/١، ح٤٣٦١؛ صحيح البخاري: ٤٣٥/١، ح١٢٣٢؛ مسند ابن أبي شيبة: ١٧٠/١، ح٢٤٥.

٣. صحيح البخاري: ٤٣٠/١، ح١٢٢٣؛ سنن البيهقي الكبرى: ٦٥/٤، ح٦٩١٩.

٤. حلية الأولياء: ٢٩٠/٨؛ الفردوس: ٣٤٠/٣، ح٥٠٢٥؛ كنز العمّال: ١١١/٣، ح٦٥٠٤.

قوله صلى الله عليه وآله : دَفنُ البَنَاتِ مِنَ المكرُمَاتِ

«الدفن»: إخفاء الشيء في التراب وما يجري مجراه، و«المكرمة»: الفعل الحسن الجميل؛ فيقول صلى الله عليه وآله : إنّ البنات عورات، وربّما يخاف من جهتهنّ البوائق، ولذلك قال تعالى: «وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلاً ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ» [١]، وقال تعالى: «وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى» [٢]، وذلك لما يخطر له من الخطرات السيّئة، وإنّ البنت محراة [٣] بكلّ مخزاة ومَجْدَرَة بكلّ معذرة، وهي التي ربّما تسوّد وجوه أهل البيت بما تجلبه إليهم من المسبّة والعار والشنآن؛ وإذا كان كذلك فالقبر أحد ما يحسم هذه المادّة منها ويؤمن من الخزي بسببها.

وروي عن ابن عبّاس قال: لمّا عُزّي النبيّ صلى الله عليه وآله على ابنته رقيّة قال: «الْحَمْدُ للهِ، دَفْنُ الْبَنَاتِ مِنَ الْمَكْرُماتِ» [٤].

وقال الشاعر :

ولم أر نـعمة شمـلت كـريماً كـعورة مسلم سترت بقبر [٥]

وقال الحسن البصريّ : «البنون نعم والبنات حسنات، فالنعم مسؤول عنها والحسنات مثاب عليهنّ» [٦]. وإنّما صارت حسنةً لأنّ تربيتها وسترها وصيانتها صعب، فإذا احتاط الإنسان ذلك وتحرّاه كان له إحدى الحسنات. وقال الشاعر:

ومن نعمة الله لا شكّ فيه بقاء البنين وموت البنات [٧]

---

١ . الزخرف: ١٧.

٢ . النحل: ٥٨.

٣ . مَقْمَنَة.

٤ . المعجم الكبير: ٣٦٦/١١، ح١٢٠٣٥؛ حلية الأولياء: ٢٠٩/٥؛ مسند الشهاب: ١٧٣/١، ح٢٥٠.

٥ . قاله الوافر، راجع: عيون الأخبار لابن قتيبة: ٦٢/٣؛ محاضرات الأدباء: ٣٩٧/١؛ زهر الأكم: ٨٦/٣.

٦ . لم أجد نقله عن الحسن البصريّ، بل في المصارد نقل عن الإمام الصادق عليه السلام ، راجع: نثر الدرّ: ٢٤٤/١؛ محاضرات الأدباء: ٣٩٦/١ ؛ وراجع: تحف العقول: ٣٨٢؛ بحار الأنوار: ٢٠٦/٧٥ .

٧ . أنشده البختريّ، راجع: ديوانه: ٢٠؛ وقال آخر: «سروران ما لهما ثالث حياة البنين وموت البنات»؛ راجع: تفسير غرائب القرآن: ٢٨٣/١.

يقول النبيّ عليه السلام: «دَفنُ البَنَاتِ مِنَ المكرُمَاتِ». وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر:

لكـلّ أب بـنت يُـرجّي بـقاءها ثـلاثة أصـهار إذا ذكّـر الصـهر
فـصهرٌ يـراعيها وخِـدرٌ يـصونها وقـبرٌ يـواريها وخـيرُهم القـبرُ [١]

ونعي إلى ابن عبّاس بنت له فاسترجع، ثمّ قال: «عورة سترها الله ومؤنة كفاها الله وأجر ساقه الله، ثمّ صلّى ركعتين وقال: فعلنا ما أمر الله وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ» [٢].

وتُوفّيت لجعفر بن يحيى البرمكيّ بنت، فقال: «تقديم الحُرم من النعم» [٣].

وعـن بـعضهم: «النـساء عـورات، فـإذا زوّجت سـترت عـورة، وإذا دفـنت سـترت العورات». [٤]

وعن بعضهم قال: قلت لبعض العلماء: مات بعض أقاربي، فقال:

لا تـغضبنّ عـلى الزمـان وصـرفه مـا دام يـرضى عـنك بـالأطراف [٥]

١٢٨ وإنّما صار دفنها مكرمةً لأنّ الله قد أكرم صاحب البنت بذلك، *فهي مكرمة من عند الله انساقت إليه، فإن كانت صغيرةً فذلك من أجلّ النعم لمكان أنّها تطير إلى الجنّة وتتخلّص من عذاب الدنيا والآخرة، وتسلم أبوها من المعاير والاهتمام بأمرها، ويجعلها الله تعالى في كفّة حسناته.

روي عن النبيّ صلّى الله عليه وآله: ما من مسلمين يموت لهما أربعة من الولد فيحتسبان بهم إلّا دخلا

---

١. المحاسن والمساوئ: ٤١٠؛ ديوان المعاني: ٢٥١/٢؛ أدب الدين والدنيا: ١٦١.

٢. إحياء علوم الدين: ١٣٣/٤؛ تفسير القرطبي: ٣٧٢/١؛ وراجع: العقد الفريد: ١٥٥/٣؛ والآية في البقرة: ٤٥.

٣. لم أقف عليه.

٤. في عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٤٢/١، عن عليّ عليه السلام: «للمرأة عشر عورات ... »؛ وكذا راجع: قوت القلوب: ٤١٧/٢؛ كنز العمّال: ٢٣٢/١٦، ح٤٥٨٥٦.

٥. راجع: يتيمة الدهر: ٩٩/٤.

الجنّة فقال له أو ثلاثة؟ قال: وثلاثة. قال: واثنان، والذي نفسي بيده إنّ السقط ليجرّ أمّه بسوره[١] إلى الجنّة.[٢]

وفائدة الحديث إعلام أنّ البنت إذا توفّيت كانت منّةً من الله تعالى. وراوي الحديث ابن عبّاس.

قوله صلّى الله عليه وآله: مُعْتَرَكُ الْمَنَايَا مَا بَيْنَ السِّتِّينَ إِلَى السَّبْعِينَ

أصل «العرك» الدلك، وعركت القوم في الحرب عركاً، والمعاركة: القتال، والمعترك: موضع الحرب، وكذلك المعرك والمعركة، واعتركوا أي ازدحموا في المعترك.

ومعنى الحديث: أنّ هذا العقد الذي هو بين الستّين والسبعين مظنّة للموت، وأكثر ما يموت الإنسان فيه هذا العقد، ولعمري أنّه كذلك فيما يشاهد.

وفائدة الحديث إعلام أنّ عقد الستّين إلى السبعين هو الذي هو قلّما يحوزه الإنسان. وراوي الحديث أبو هريرة.

قوله صلّى الله عليه وآله: أَعْمَارُ أُمَّتِي مَا بَينَ السِّتِّينَ إِلَى السَّبعِينَ

«العُمر» و«العَمر» اسم لمدّة عمارة البدن بالروح، وقد عمّره الله تعالى أي أعطاه العمر. وهذا الحديث كالذي قبله، والغرض في ذكر ذلك أنّ يتأهّب[٣] الإنسان لنفسه، ويشعرها أنّ

---

١. كذا في ص، وفي خ: يسوقها.

٢. راجع: مسند أحمد: ٢٤١/٥و٣١٢، ح٢٢١٤٣و٢٢٧١٧؛ ونصّها: «ما من مُسْلِمَيْنِ يمُوتُ لهُما أَرْبَعَةُ أَوْلاَدٍ إلّا أَدْخَلَهُمَا الله الْجَنَّةَ قالوا: يا رَسُولَ اللهِ وَثَلاَثَةٌ؟ قال: وَثَلاَثَةٌ. قالوا: يا رَسُولَ اللهِ وَاثْنَانِ؟ قال: وَاثْنَانِ وَإِنَّ من أمّتي لَمَنْ يَعْظُمُ لِلنَّارِ حتّى يَكُونَ أَحَدَ زَوَايَاهَا وَإِنَّ من أمّتي لَمَنْ يَدْخُلُ بِشَفَاعَتِهِ الْجَنَّةَ أَكْثَرُ من مُضَرَ» و«ما من مُسْلِمَيْنِ يُتَوَفَّى لهُما ثَلاَثَةٌ إلّا أَدْخَلَهُمَا الله الْجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إيَّاهُمَا فَقَالُوا: يا رَسُولَ اللهِ أَوِ اثْنَانِ؟ قال: أَوِ اثْنَانِ. قالوا: أو وَاحِدٌ؟ قال: أو وَاحِدٌ. ثُمَّ قال: والذي نفسي بيده إنَّ السِّقْطَ لَيَجُرُّ أُمَّهُ بِسَرَرِهِ إلى الْجَنَّةِ إذا احْتَسَبَتْهُ».

٣. يتأهّب له: يستعدّ.

أمره قد تناهى، وبلغت السفينة به إلى ساحل البحر ومنتهى الحياة، فالأولى أن يتدارك ما فات ويتلافى في الذي قصّر فيه، ولا يغفل حتّى يأتيه الموت بغتةً وهو متلطّخ بالمآثم لم يتب منها ولم ينفصل عنها ولم يتطهّر صحيفته عن مظالم العباد، فيقع في بلائها [لا] مخلّص منه وعقوبة لا فرج عنها إلّا أن يشاء الله.

وفائدة الحديث التقدّم بالإنذار والأمر بالتدارك إذا ناهز[1] الستّين. وراوي الحديث أبو هريرة.

قوله صلى الله عليه وآله: المَكْرُ وَالخَدِيعَةُ فِي النَّارِ

«المكر»: صرف الآخر عمّا هو بصدده بحيلة، وقد مكرتُ به أمكر مكراً؛ و«الخداع» قريب منه، وهو أن ينزل غيرك عن مقصده بأمر تبديه وأنت تضمر غيره، وهو أيضاً أن تريد بغيرك مكروهاً وهو لا يعلم، يقال: خدعه يخدعه خدعاً، والاسم الخديعة، وتخادع له: أرى ذلك من نفسه.

١٢٩

فيقول * صلى الله عليه وآله: إنّهما من الأفعال التي تجرّ العبد إلى النار وتجلبها إليه.

والمعنى: أنّ صاحب المكر والخديعة يستحقّ النار ـ نعوذ بالله منها ـ، ويدخل الاستهزاء في ذلك، لأنّه أيضاً اشتراك للعبد عن عقله الذي أعطاه الله تعالى ومتّعه به.

وفائدة الحديث النهي عن المكر والخداع، وإعلام أنّ صاحبهما يستوجب النار. وراوي الحديث أنس بن مالك.

قوله صلى الله عليه وآله: اليَمِينُ عَلَى نِيَّةِ المُسْتَحلِفِ

أصل «اليمين» الجارحة، وقيل للحلف «يمين» لمدّ اليمين إليها عند المعاهدة، وأصل الحلف الملازم، لأنّ الحلف كلّ ملازمة تكون بعهد، وحَلَف يحلِف حَلْفاً ومَحلوفاً؛ وتحالفوا: تعاهدوا،

---

١. داناه وقاربه.

وهو أحد المصادر على لفظ المفعول، وأحلفته وحلّفته واستحلفته بمعنى، فظاهر هذا الحديث الخبر ومعناه الأمر، يأمر الحالف أن ينوي على نيّة مستحلفه من غير تورية ولا إضمار، وإنّما قال عليه السلام ذلك لئلّا يرتفع الاعتماد من الخلق وليوثق بالأيمان. اللّهمّ إلّا أن يدفع ضرر دينيّ أو دنيويّ، فحينئذٍ رخّص الشرع له في التورية والإضمار.

وفائدة الحديث الأمر بالصدق وإسقاط الحيل والمخادعات من الناس. وراوي الحديث عبد الله بن مسعود.

قوله صلى الله عليه وآله : الحَلفُ حِنْثٌ أو نَدَمٌ

«الحنث» أصله الذنب والإثم، وحنث في يمينه إذا لم يكن منه وفاء بالمحلوف عليه فيأثم، وبلغ الحنث أي الحدّ الذي يكتب الذنب عليه، وتحنّث: تجنّب الحنث، كتأثّم وتعذّر. و«الندم»: التحسّر على ما فات وقته. فمعنى قوله عليه السلام : «حِنْثٌ أو نَدَمٌ» النهي عن اليمين وتولّع الإنسان بها وأن يحلف على كلّ حقّ وباطل، واسم الله تعالى أجلّ وأعزّ أن يبتذل لغرض من أغراض الدنيا وحطامها.

فيقول صلى الله عليه وآله : إنّه لا يخلو من أن يبرّ يمينه أو يفجر، وأن يفي بما حلف عليه أو يغدر، فإن حلف كاذباً فقد حنث وأثم، وإن حلف صادقاً ندم على ابتذاله اسم الله تعالى في محقّر من أمر الدنيا؛ فالأولى أن يحفظ لسانه من اعتياد الحلف.

وفائدة الحديث النهي عن تعوّد اليمين حتّى يستقيم اللسان عليه، ويتعوّده تنزيهاً لاسم الله تعالى واحتراماً لذكره في أغراض الدنيا. وراوي الحديث عبد الله بن عمر .

قوله صلى الله عليه وآله : الْيَمِينُ الْفَاجِرَةُ تَدَعُ الدِّيَارَ بَلاقِعَ

١٣٠

❊«الفجور»: الفسق، والفجور: الميل، على هذا ورد في كلام العرب؛ وأصل «فجر» في كلامهم الشقّ الواسع، يقال: فَجَرتُ الماء أفجُره فَجْراً وفَجِرته ــ بالكسر ــ، والفُجْرة: مفتح

الماء؛ والفجور الفسق من ذلك، كأنّه شَقٌّ لباس الأمانة وتحريق ستر الصيانة. و«البلقعة»: الأرض القفر[1] التي لا أثر بها، هذه إذا أفردت وسمّي بها، فإذا وصف بها قلت: ذات بلقع ومنزل بلقع.

يقول صلى الله عليه وآله مخوّفاً من عاقبة اليمين الكاذبة: إنّها تخرّب الدور وتزيل النعم، والإنسان إذا حلف كاذباً لاستجلاب شيء من حطام الدنيا فقد جعل ربّه عزّ وجلّ وصلةً إلى الباطل وتعنّت باسمه الكريم في ما لا أصل له، فهي ممّا تورث زوال النعمة في الدنيا والنار في الآخرة نعوذ بالله منها. وإذا قال عليه السلام: «الحَلفُ حِنْثٌ أو نَدَمٌ» فأفصح بأن قال: اليمين الصادقة تورث الندامة، فكيف الكاذبة التي يبارز العبد بها ربّه ـ أعاذنا الله تعالى من ذلك ـ؟!

وفائدة الحديث الزجر عن الإقدام على اليمين الكاذبة استصلاحاً لأمر من أمور الدنيا. وراوي الحديث أبو هريرة.

قوله صلى الله عليه وآله: اليَمِينُ الْكَاذِبَةُ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ مَمْحَقَةٌ للكَسْبِ

يقال: نفق الشيء إذا راج و«النفاق» ضدّ الكساد، وأصل «نفق» المضيء والنفود منه، نفق البيع: راج، ونفقت الدابّة: ماتت، ونفقت الدراهم: فنيت وأنفقتها. و«المحق»: النقص، يقال: محقت الشيء أمحقه محقاً إذا أنقصته، وقال تعالى: «يَمْحَقُ اللهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ»[2]، والتمحيق: [خلاف] التكثير، ومنه المحاق لآخر الشهر لأنّ القمر كأنّه ينمحق فيه.

فيقول صلى الله عليه وآله: اليمين الكاذبة المحلوف عليها [منفقة للسلعة] أي تروّجها، لكنّها تمحق الكسب وتفسده وتذهب بالبركة والنماء من المعاملة، ولعمري أنّه لكذلك، وقد شاهدناه كثيراً، وكيف يبارك في تجارة يكذب فيها ويستعان في ذلك الكذب باسم الله تعالى؛ هذا في الدنيا، فأمّا في الآخرة فنعوذ بالله ممّا يعاقب عليه.

وفائدة الحديث النهي عن ترويج السِلَع بالأيمان الكاذبة، والإيذان بأنّها تذهب بالبركة.

---

١. الخالية.

٢. البقرة: ٢٧٦.

وراوي الحديث أبو هريرة.

قوله صلى الله عليه وآله: السَّلامُ تَحِيَّةٌ لِمِلَّتِنَا وَأَمَانٌ لِذِمَّتِنَا

١٣١ أصل السَلْم والسلامة: التعرّي من الآفات، وقولنا: «سلام *عليكم» من هذا، كأنّه سلامة عليكم؛ ورفع «سلام» بأنّه مبتدأ، وتنكيره لمكان أنّه واقع موقع الفعل والفعل في غاية التنكير، وهو واقع موقعه، وذلك لأنّ «سلام عليكم» معناه سلّمك الله؛ وهذا معنى كلام لشيخنا أبي الفتح عثمان بن جنّي رحمه الله قرائةً بخطّ الشيخ أبي أحمد عبد السلام بن الحسين بن محمّد بن عبد الله البصري رحمه الله. و«التحيّة» أصلها أن تقول: حيّاك الله أي عمّرك من الحياة التي هي المعنى الذي إذا وجّه في محلّ أوجب كونه حيّاً، فقد صحّ أنّ التحيّة معناها الدعاء بالحياة، وأصلها «تحيية» على تفعلة فأدغمت الياء في الياء وردّت حركتها إلى «الحاء» قبلها فصار تحيّةً. و«الملّة» كالدين، وهو ما يملّه نبيّ من الأنبياء عليهم السلام من الشرائع والأحكام أي يمليه، ويضاف إلى الرسل فقال: ملّة إبراهيم وملّة محمّد صلى الله عليه وآله. و«الأمان»: الأمن، وهو طمأنينة النفس. و«الذمّة»: ما يَذُمّ الرجل على تركه وتضييعه، وكذلك الذمام، والذمّة في الحديث: العهد.

فيقول صلى الله عليه وآله لفظ السلام تحيّة لأهل ملّتي، بها يتحابّون، وهي علامة لأهل الإسلام، وأمان للّذين هم في عهدنا. وقوله عليه السلام: «لذمّتنا» أي لذوي ذمّتنا وأهل ذمّتنا وعهدنا وأماننا، وذلك أنّا لو فرضنا أنّ جماعةً حصلوا في نيّة واستقبلهم جماعة آخرون يتوقّع الشرّ منهم، فسلموا عليهم لكان سلامهم أماناً لهم يخلدون إليهم ويستريحون بمكانه، وهذا كقوله عليه السلام: «افشوا السلام»[١].

وفائدة الحديث الأمر بالتسليم على المسلمين وإفشاء السلام ومراعاة لشعار الإسلام.

وراوي الحديث أنس بن مالك.

---

١. مسند الطيالسي: ٢٧، ح١٩٣؛ مسند أحمد: ١٥٦/٢، ح٦٤٥٠؛ روضة الواعظين: ٤١٨.

قوله ﷺ: عِلْمٌ لا ينفَعُ كَكَنْزٍ لا ينفَقُ مِنْهُ

«النفع»: خير يستعان به، وقيل: هو لذّة خالصة وسرور خالص أو ما يؤدّي إليهما، وقد نفعه ينفعه وانتفع به، والاسم المنفعة. و«الكنز»: المال المجموع بعضه إلى بعض، وهو بمعنى المفعول، كالخلق بمعنى المخلوق، وكنزت المال وأكنزه إذا جمعته وحفظته من قولك كنزت التمر وأكنز إذا اجتمع بعضه إلى بعض وتكرّر.

يقول ﷺ: العلم الذي [لا] يتعدّي نفعه إلى غير صاحبه مثل الكنز المدفون في الأرض لا يهتدى إليه ولا يستدلّ عليه، فهو باقٍ ١٣٢ *في جوف الأرض لا يصل إلى أحد منهم خير، فوجوده كعدمه لارتفاع نفعه عن العالم؛ على أنّ العلم بخلاف الكنز لأنّه يفنى على الإنفاق والعلم يزكو عليه وينمى.

ويجوز أن يريد عليه السلام بالنفع عمل العالم، فإنّه إذا علمه ولم يعمل به فكأنّه كنز لا ينفق.

وفائدة الحديث الحثّ على التفهيم وبثّ العلوم التي فيها للمسلمين راحة وخير، والعمل به حتّى يكون نافعاً، ويشبّهه إذا لم ينتفع به بالكنز الذي لا ينتفع منه ولا يرتفق. وراوي الحديث عبد الله.

قوله ﷺ: الطَّاعِمُ الشَّاكِرُ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ الصَّائِمِ الصَّابِرِ

«الطعام»: ما يتناول ليغذو، وطعِم يطعَم طعماً، فهو طاعم إذا أكل، والطَعم ـ بالفتح ـ: ما يؤدّيه الذوق، ويقال للطعام الطعم. و«الشكر»: أن يعترف بنعمة المنعم قاصداً لتعظيمه بذلك، «الأجر» و«الأجرة»: ما يريد عليك من ثوابك ديناً ودنياً. و«الصوم» قد تقدّم ذكره، وكذلك الصبر.

فيقول ﷺ: إنّ الذي يأكل ويشرب ويعلم أنّ ذلك نعمة من ربّه يكرمه عليها الشكر، فيشكره ويعترف بإنعامه، ويتبجّج[1] بعبوديّة ربّ هذا كرمه وفضله، يؤجر على شكره ذلك

---

[1]. فرح، افتخر وتباهى.

مثل أجر الذي يمسك، رفعه نهاره خاتماً على فَيهِ من المطاعم التي خلقها الله تعالى لعباده، فيكابد الجوع والعطش طلباً لرضاه؛ ويعلم من ذلك أنّ ثواب الشكر مثل ثواب الصبر ـ وفّقنا الله للشكر على نعمه التي هي فوق الحدّ والحصر ـ.

وفائدة الحديث تعريف منزلة الشكر، وأنّ ثوابه مثل درجة الصابر الذي يجرّع نفسه مرارة الطاعة طلباً لرضا ربّ العالمين. وراوي الحديث سِنان بن سَلمة الأسلميّ.

قوله صلى الله عليه وآله: الصَّلاةُ قُرْبَانُ كُلِّ تَقِيٍّ

«القربان» كلّ ما يتقرّب به إلى الله تعالى، وصار في العرف اسماً للذبيحة، وأصله من القرب. و«التقوى»: حفظ النفس ممّا يؤثم، والتاء فيه بدل من الواو، ووزنه «فعلى» من وقى يقي.

يقول صلى الله عليه وآله: إنّ الصلاة ما يتقرّب به العبد إلى الله تعالى، وكيف لا؟! وهي مناجاة العبد مع مولاه، وأيّ قربان أقرب من المناجاة.

وروي عن بعض الصالحين أنّه قال: «إنّي إذا أردت أناجي الله تعالى صلّيت ركعتين، وإذا أردت أن يناجيني *قرأت ورداً من القرآن».[1] ١٣٣

وقال تعالى: «وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ»[2]؛ فالواجب على كلّ عاقل أن يلحّ على هذه العبادة التي هي قربان له إلى ربّه.

وروى أبو هريرة عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «الصَّلاةُ قُرْبَانٌ، وَالصَّدَقَةُ فِدَاءٌ، وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ، [إنَّمَا مَثَلُ] الصَّلاةِ مَثَلُ رَجُلٍ أَرَادَ مِنْ إمَامٍ حَاجَةً فَأَهْدَى لَهُ هَدِيَّةً، وَمَثَلُ الصَّدَقَةِ كَمَثَلِ رَجُلٍ أُسِرَ فَفَدَى نَفْسَهُ، وَمَثَلُ الصِّيَامِ كَمَثَلِ رَجُلٍ لَقِيَ عُدُوّاً وَعَلَيْهِ جُنَّةٌ حَصِينَةٌ»[3].

وفائدة الحديث الحثّ على الصلاة وأدائها بشرطها ومعرفتها أنّها تقرّب العبد إلى ربّه

---

١. راجع: البصائر والذخائر: ٤٤/٧؛ نثر الدرّ: ٥٧/٧؛ شرح نهج البلاغة: ٥٨/٢.

٢. العلق: ١٩.

٣. الزهد لابن مبارك: ٣٨١/١، ح١٠٧٦.

تبارك وتعالى. وراوي الحديث أمير المؤمنين عليه السلام.

قوله صلى الله عليه وآله: بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ الْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلاةِ

«بين» بمعنى وسط، ويكون ظرفاً، ويسمّى فيجري عليه الإعراب كقوله تعالى: «لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ» [١] ولا يستعمل إلّا فيما له مسافة أو عدد، يقول: بين الجبلين واد، وبين الرجُلين بَوْن، فإن أضيف إلى واحد فلا بدّ أن يعطف عليه ما يجعله في حيّز المسافة أو العدد يقول: بين الدار والمسجد نهر وبين زيد وعمرو كلام، فإن أضفتَه إلى الضمير كرّرت لفظ بين، لأنّه لا يعطف على المضمر المجرور كما قال تعالى: «وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ» [٢]، وقال تعالى: «بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ» [٣]، فإن عطفت ظاهراً على ظاهر لم تحتج إلى التكرير ولو كرّرت لكان قبيحاً، يقول: بين داري ودارك شجر، ولو قلتَ: «بين داري وبين دارك» لم يجز، فأمّا قول النبيّ صلى الله عليه وآله: «بين العبد وبين الكفر» فكرّر ولم يعطف فلمكان سرّ لطيف، وهو أنّ العبد جثّة والكفر حدث، فلا يكاد يحصل بين الجثّة والحدث مسافة فكرّر لأجل ذلك، فاعلم.

فيقول: بين العبد وشعار الكفر ترك الصلاة؛ فحذف المضاف، وذلك أنّ ترك الصلاة ـ وإن كان عظيماً ومن أعظم المناكير والكبائر ـ فإنّ العبد المؤمن بتركه لا يصير كافراً؛ على أنّ المؤمن لا يترك الصلاة، ومن ترك ثلاث صلوات متعمّداً من غير عذر وجب قتله، ومن تركها جاحداً لها كان كافراً حقيقةً؛ وقد أفتى بعض الفقهاء بأنّ تارك الصلاة عمداً كافر. [٤] والحديث ورد مورد تكبير هذا الذنب وتعظيم هذا الخطأ.

---

١. الأنعام: ٩٤.

٢. فصّلت: ٥.

٣. القصص: ٢٨.

٤. راجع: المبسوط: ٧/٢٨٣؛ منتهى المطلب: ٧/١٢٤.

١٣٤ وفائدة الحديث الحثّ على أمر الصلاة ❊والمحافظة عليها وترك التهاون بها لمكانها من الدين والديانة. وراوي الحديث جابر بن عبد الله.

قوله ﷺ: مَوضِعُ الصَّلاةِ مِنَ الدّينِ كَمَوضِعِ الرَّأسِ مِنَ الجَسَدِ

هذا الحديث كالذي قبله في تعظيم الصلاة وإجلال شأنها، فيقول ﷺ: إنّ موضعها من الدين كموضع الرأس من الجسد، فكما لا حرمة لجسد لا رأس له كذلك لا موقع لدين لا صلاة معه، وذلك لأنّ الصلاة عبادة تكرّرت في اليوم والليلة ليكون العبد بها متحلّياً وللباس العبوديّة مكتسياً، فكأنّه إذا نبذها وراء ظهره مستنكف من عبادة ربّه الذي هو مالك نفعه وضرّه، وإذا كان كذلك فمن الواجب أن يتوفّر العبد عليها ويبالغ في الإتيان بها طلباً لرضا ربّ العالمين.

وفائدة الحديث الحثّ على الصلاة والمحافظة عليها والمراعاة لها والمداومة عليها. وراوي الحديث عبد الله بن عمر.

قوله ﷺ: صَلاةُ الْقَاعِدِ عَلَى النِصْفِ مِنْ صَلاةِ الْقَائِمِ

هذا في النوافل، فأمّا في الفرائض فلا رخصة في الإتيان بها إلّا عن قيام، اللّهمّ إلّا أن يكون عاجزاً فحينئذٍ يكون تكليفه الصلاة عن قعود أو عن اضطجاع أو إشارة، ولا ينقص من أجره إن شاء الله، لأنّه قد أدّى المكتوبة عليه وهو لا يطيق الإتيان بها قائماً.

والمعنى: ثواب صلاة القاعد على النصف من ثواب صلاة القائم ـ والله أعلم ـ، وعلّة ذلك كثرة المشقّة في القيام والسهولة في القعود.

وفائدة الحديث تعريف أنّ ثواب صلاة القاعد المستطيع القيام نصف صلاة القائم. وراوي الحديث عبد الله بن عمر.

قوله صلّى الله عليه وآله: الزَّكَاةُ قَنْطَرَةُ الْإِسْلامِ

أصل «الزكاة» النموّ والبركة، ويطلق ذلك في الأمور الدنيويّة والأخرويّة، يقال: زكا الزرع إذا زاد ونمى؛ والزكاة: إخراج حقّ الله تعالى إلى مستحقّيه، سمّيت بذلك إمّا لتوقّع البركة في الباقي أو لتزكية النفس وتنميها إلى الخير والبركة، وكلّ ما يذكر من لفظ «زكو» فإنّ المرجع به إلى النموّ والزيادة، والأعمال الصالحة ينمي الخير وترفع المنزلة. و«القنطرة»: الجسر المعقود على الأنهار والأودية.

وشبّه النبيّ صلّى الله عليه وآله الزكاة بالقنطرة لأنّها هي التي تحوز السابلة[1]، فلو لم تكن لم يسلم المارّ، [١٣٥] ❊وكان يعرض أن يسقط في هوّة أو أن يحمله السيل فيهلكه غرقاً؛ فكذلك الزكاة إذا لم يؤدّها من وجبت عليه كان بالحريّ أن يهلك ماله فيسقط في هوّة ويستحقّ النار فيغرق فيها ـ أعاذنا الله منها ـ والله أعلم.

وفائده الحديث الحثّ على إخراج الزكاة وتطهير المال بأدائها. وراوي الحديث أبو الدرداء.

قوله صلّى الله عليه وآله: طِيبُ الرِّجَالِ مَا ظَهَرَ رِيحُهُ وَخَفِيَ لَوْنُهُ وَطِيبُ النِّسَاءِ مَا ظَهَرَ لَوْنُهُ وَخَفِيَ رِيحُهُ

«الطيب»: فيما يستلذّه حاسّة الشمّ، ثمّ يستعمل فيما يستلذّه الأكل من الطعام، وربّما كُني عن الطهارة والنظافة به.

فيقول صلّى الله عليه وآله: ينبغي للرجال أن يتطيّبوا بما له رائحة ولا لون له كماء الورد والعود وأمثال ذلك، فإنّ العطر الملوّن يستنكر في الرجال وينفر الطبع منه، وطيب النساء بالعكس من ذلك، فإنّ لهنّ التزيّن لأزواجهنّ بالوسمة والزعفران واللكّ[2] وغير ذلك من الأصباغ الريّحة[3].

---

١. المختلفة في السبل جائيةً وذاهبةً.

٢. صبغ أحمر يصبغ به الجلود.

٣. طيّبة الريح.

وروي في سبب هذا الحديث عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه كان يبايعه قوم، فكان بيد أحدهم رَدْع خلوق فبايعه بأطراف أصابعه، فقال: «طيبُ الرجالِ مَا ظَهَرَ رِيحُهُ»[١] إلى آخر الحديث.

وقوله عليه السلام: «وَطِيبُ النِّسَاءِ مَا ظَهَرَ لَوْنُهُ وَخَفِيَ رِيحُهُ» هذا باعتبار أن تكون المرأة تخرج من بيتها فالأولى أن لا يوجد منها ريح، فإنّ النساء عورات؛ فأمّا إذا كانت في بيتها فلتُطيِّب لنفسها ولزوجها بالغوالي والمسك والنَدّ[٢] وكلّها له لون وريح.

وروي عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «إذا خَرَجَتِ المَرْأَةُ عن[٣] المَسْجِدِ فَلْتَغْتَسِلْ مِنِ الطِّيبِ كما تَغْتَسِلُ مِنَ الجَنابَةِ»[٤].

وكذلك روي عنه عليه السلام: «لاَ تَمْنَعُوا إمَاءَ اللهِ مَسَاجِدَ اللهِ وَلْيَخْرُجْنَ تَفِلاَتٍ»[٥]، وعلى أزواجهنّ أن يحبسوهنّ في بيوتهنّ ولا يُرخّصوا لهنّ في البروز إلى الحمامات والمناحات والعرسات والمقابر ولا يتخطّوا في هواهنّ إشفاقاً عليهنّ من أن ينظرن أو يُنظرن أو ينظر إليهنّ.

وروي عن بعض الأكابر أنّه قال: «لأن ينظر من نظر إلى أهلي وهي متعرّية من ثيابها أسهل عليّ من أن تنظر إلى أحد»[٦].

وهذا كلام حسن، فإنّه لا يؤمن مِن نظر المرأة الضعيفة الرأي السخيفة اليقين إذا نظرت إلى من يعجبها أن يتولّد من نظرها ما لا يطاق، [١٣٦] *والأولى أن لا يُرين ولا يَرين، بل الواجب أن يتستّرن عمّن لم يحلّ الله له النظر إليهنّ.

---

١ . مصنّف عبد الرزّاق: ٣٢١/٤، ح٧٩٣٨؛ شرح نهج البلاغة: ١٥٢/١٩.

٢ . جمع النادّ وهو عود يتبخّر به.

٣ . في المصادر: إلى.

٤ . سنن النسائي: ٤٣٠/٥، ح٩٤٢٣؛ كنز العمّال: ١٧٢/١٦، ح٤٥١٨٠.

٥ . مسند الشافعي: ١٧١؛ مصنّف عبد الرزّاق: ١٥١/٣، ح٥١٢١؛ مسند أحمد: ٤٣٨/٢، ح٩٦٤٣.

٦ . لم أقف عليه.

وفي الأثر: «إن استطعت أن لا يعرف[١] أهلك غيرك فافعل»[٢].

وروي في الحديث: من أطاع امرأته في كلّ ما تريد كبته على وجهه في النار»[٣].

وقال صلى الله عليه وآله: أيّما امرأة وضعت ثوبها في غير بيت زوجها فقد هتك سترها المستور فيما بينها وبين ربّها.[٤]

وفائدة الحديث الحثّ على صيانة الحرم وتعريف أنّ الرجل ليس له أن يتشبّه بالنساء في طيبهنّ المتلوّن، والمرأة ليس لها أن تتعطّر وتتبخّر وتُبْرَز فيفتين بها ويعطرها. وراوي الحديث أبو هريرة.

قوله صلى الله عليه وآله: التُّرَابُ رَبِيعُ الصِّبيَانِ

ظاهر الحديث أنّ التراب ممّا يستلذّ الصبيان التمسّح به واللعب فيه، فهم يتمرّغون[٥] فيه ولا تنزّه لأجله، ولعمري أنّه لكذلك، فقلّما يظفر الصبيان بالتراب والرمل إلّا يحفوا له[٦] وتمرّغوا فيه وتمرّسوا به ولم يتنافوا عنه.

وقال بعض أهل الإشارات: إنّه إشارة إلى التراب ممّا يعجب [به] الصبيان والإعزاز فينبغي أن لا يعجب به العقلاء فيطلبوه، يعني المساكن والمنازل والدور والقصور والأشخاص

---

١ . في المصادر: لايعرفن.

٢ . نقل عن أمير المؤمنين عليه السلام، راجع: الكافي: ٣٣٨/٥، ح٧؛ شرح نهج البلاغة: ٧٢/١٦؛ كنز العمّال: ٧٦/١٦، ح٤٤٢١٥.

٣ . نقل في الكافي: ٥١٧/٥، ح٣ عن رسول الله صلى الله عليه وآله: « مَنْ أَطَاعَ امْرَأَتَهُ أَكَبَّهُ اللهُ عَلَى وَجْهِهِ فِي النَّارِ»؛ الخصال: ١٩٦، ح٢.

٤ . راجع: مسند الطيالسي: ٢١٢، ح١٥١٨؛ مصنّف عبد الرزّاق: ٢٩٤/١، ح١١٣٢؛ مسند أحمد: ١٩٨/٦، ح٢٥٦٦٨.

٥ . تمرّغ في التراب: إذا تمسّح به وتقلّب عليه.

٦ . يمشون بلا خفّ ولا نعل.

والحصص، كما قال: «وكلّ الذي فوق التراب تراب»[1]. فإنّ جميع ذلك تراب لا قدر له ولا قيمة، وهو ممّا يعجب الصبيان لا العقلاء المدركين.

وفائدة الحديث إعلام أنّ الصبيان يستريحون إلى التراب ويفرحون بالتمرّن به، ويجوز أن يكون متمرّناً متضمّناً لما أشار إليه صاحب هذه الإشارة. وراوي الحديث عبد الله بن عمر.

قوله صلى الله عليه وآله: الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ وَما تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ

هذا الحديث ممّا تسكب فيه العبرات ولا تؤمن في تفسيره العثرات، وأنا مورد فيه بقدر ما رزقني الله تعالى من العلم به، فأقول: إنّ أصل [كلمة] «روح» موضوع للطيب والطهارة فتسمّى روح الإنسان روحاً، والملائكة المطهّرون أرواحاً، وروح القدس جبرئيل عليه السلام، والروح اسم ملك آخر؛ قال تعالى: «يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ صَفّاً»[2]، وعيسى عليه السلام روح الله عليه السلام، والنسبة إلى الملائكة والجنّ رُوحانيّ بالضمّ وهم *الروحانيّون، ويقال لكلّ ذي روح روحانيّ. قال أبو عبيدة: والروح الراحة،[3] ومكان روحانيّ: طيّب، والريح واحدة الرياح والأرواح، أصلها روح فقلبت الواو ياءً لمكان كسرة الراء، والراح والرياح ـ بفتح الراء ـ: الخمر، وروح وريحان أي رحمة ورزق، والروح: النسيم، والريحان: المشموم من ذلك الروح، والتي يحيى بها الإنسان سمّيت بذلك لطهارتها وطيبها في الخلقة وفي مبدء التكوين. ١٣٧

وقال أصحاب الأصول: الروح النفس المتردّد في مخارق الحيّ.[4] وعلى ذلك قال الشاعر:

---

١ . قال المتنبي: «إذا نلت منك الودّ فالمال هيّن وكلّ الذي فوق التراب تراب»؛ راجع: يتيمة الدهر: ١/٩٥؛ الحماسة المغربيّة: ٢/١٢٥٧.

٢ . النبأ: ٣٨.

٣ . راجع: جمهرة اللغة: ١/٥٢٦؛ نزهة الأعين النواظر: ٣١١.

٤ . راجع: عمدة القاري: ٢٥/١٤٨؛ تفسير مجمع البيان: ١/٤٣٩؛ تفسير البحر المحيط: ١/٤٦٨.

فَقُلْتُ لَهُ ارْفَعْهَا إلَيْكَ وَأَحْيِهَا بِرُوحِكَ وَاجْعَلْهَا لَهَا قِيتَةً قَدْراً[١]

وما يقوله قوم: إنّ الأرواح قائمة بالأجساد، وإنّها كانت قبل الأجساد بكذا وكذا عامّاً، فإنّها غير داخلة في الأجساد ولا خارجة منها، وأنّها تفنى أوّلاً ولا تفنى إلى غير ذلك؛ فنحن مستغنون عن ذكره فيما نحن بصدده، وكتب الأصول والجدل أولى بذكر ذلك.

فقال بعض من تكلّم في هذا الحديث: إنّه على حذف المضاف، والتقدير: ذوو الأرواح، وهذا قريب المأخذ.

وعند جماعة من محقّقي أصحاب الأصول أنّه يجوز عقلاً أن يكون الله تعالى إذا استشهد الشهداء وتوفّى السيّء أو الصالح من بني آدم ينتزع من جسده أجزاءً بقدر ما تحلّ الحياة التي كانت الجملة بها حيّةً فيها، فيردّها إلى تلك الأجزاء، فيصير حيّاً، وإن كانت جثّته صغيرةً، فيرفعه إلى حيث شاء، فإنّه لا اعتبار في الحيّ بالجثّة.

فظاهر الكتاب يشهد بصحّة ذلك حيث يقول تعالى: «وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْواتاً بَلْ أَحْياءٌ» إلى قوله تعالى: «وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ»[٢].

وفي الحديث: «أَرْوَاحُ الشُّهَدَاءِ فِي أَجْوَافِ طَيْرٍ خُضْرٍ تعلّق مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ ثُمَّ تَأْوِي إلَى قَنَادِيلَ مُعَلَّقَةٍ بِالْعَرْشِ»[٣].

و هذا الحديث ممّا يعضد هذه المقالة؛ فعلى هذا تتعارف هذه الأجساد اللطيفة بعد موت صاحبها، كما كانت في دار الدنيا يعرف بعضها بعضاً وتتباشر فتأتلف[٤] وبالعكس.

١. قاله ذو الرمة في بحر طويل أوّله: «لقد جشأت نفسي عشيّة مشرف»، ديوانه: ١٣٩؛ منتخب الكلام في تفسير الأحلام: ٣٨٨؛ الزاهر في معاني كلمات الناس: ٢/٣٧٦.

٢. آل عمران: ١٦٩ـ١٧٠.

٣. راجع: المعجم الكبير: ٩/١٨٣، ح ٨٩٠٥؛ جامع الأحاديث: ١٠/٣٦٣، ح ٢١٥٨؛ وراجع: مسند الحميدي: ١/٦٦، ح ١٢٠.

٤. كذا في البحار، وفي خ: فيأتلف.

وروت عائشة في سبب هذا الحديث: «أَنَّ مُخَنَّثاً قَدِمَ الْمَدِينَةَ فَنَزَلَ عَلَى مُخَنَّثٍ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ مُخَنَّثٌ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَقَالَ: الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ»[١] الحديث.

وروي عنه عليه السلام: «الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ تَلتقي فَتَشَامُّ كَمَا تَشَامُّ الْخَيْلُ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ فَلَوْ أَنَّ مُؤْمِناً جَاءَ إِلَى مَجْلِسٍ فِيهِ مِائَةُ مُنَافِقٍ لَيْسَ فِيهِمْ إِلَّا مُؤْمِنٌ وَاحِدٌ لَجَاءَ حَتَّى يَجْلِسَ إِلَيْه وَلَوْ أَنَّ مُنَافِقاً ١٣٨ * جَاءَ إِلَى مَجْلِسٍ فِيهِ مِائَةُ مؤمن وَلَيْسَ فِيهِمْ إِلَّا منافق وَاحِدٌ لَجَاءَ حَتَّى يَجْلِسَ إِلَيْهِ»[٢]. أو كما قال عليه السلام.

وروي عن عائشة أنّها قالت: «كَانَتِ امْرَأَةٌ بِمَكَّةَ تَدْخُلُ عَلَى نِسَاءِ قُرَيْشٍ تُضْحِكُهُنَّ فَلَمَّا هَاجَرْتُ إِلَى الْمَدِينَةِ دَخَلَتِ الْمَدِينَةَ فَدَخَلَتْ عَلَيَّ، قُلْتُ: فُلَانَةُ! مَا أَقْدَمَكِ؟ قَالَتْ: إِلَيْكُنَّ، قُلْتُ: فَأَيْنَ نَزَلْتِ؟ قَالَتْ: عَلَى فُلَانَةَ امْرَأَةٍ مُضْحِكَةٍ بِالْمَدِينَةِ، فَدَخَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! [دَخَلَتْ] فُلَانَةُ الْمُضْحِكَةُ، قَالَ عليه السلام: فَعَلَى مَنْ نَزَلَتْ؟ قُلْتُ: عَلَى فُلَانَةَ، قَالَ: الْمُضْحِكَةِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: الْحَمْدُ للهِ، إِنَّ الْأَرْوَاحَ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ»[٣]. الحديث.

و في كلام بعضهم: «الروح نقاب»، أي يعلم بالأشياء، وهذه كناية عن العلم والفطنة والذكاء والمعرفة والدهاء، والعرب تعبّر بالروح عن الحياة والله الموفق.

وأقول: إنّ تحقيق أمر الروح عسير، ولا يعلم حقيقة ذلك إلّا مَن خلَقَه وصوّره[٤] وركّبه، «وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً»[٥]، ولو أراد [الله] تعالى أن يعلم حقيقته وماهيّته بكنهه

---

١. راجع: قوت القلوب: ٣٩٢/٢؛ مسند أبي يعلى: ٣٤٤/٧، ح٤٣٨١؛ عمدة القاري: ٢١٥/١٥؛ في المصادر ورد في مزاحة دخلت على امرأة مثلها.

٢. كتاب المؤمن: ٣٩، ح٨٩؛ بحار الأنوار: ٢٧٣/٧١ـ٢٧٤، ح١٦؛ وراجع: الأمثال في الحديث النبوي: ١٥٦، ح١٠٨؛ نوادر الأصول في أخبار الرسول صلى الله عليه وآله: ١٧٥/٤؛ شعب الإيمان: ٤٩٧/٦، ح٩٠٣٨.

٣. اعتلال القلوب: ٤٨٠/١؛ روضة المحبّين: ٧٣؛ التمهيد: ٤٣٣/١٧.

٤. في بحار الأنوار: وأوجده.

٥. الإسراء: ٨٥.

لأعلمناه، وقال: «وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي»[1]، فقال حتّى نسكت عمّا أسكت الله عنه، وقد أوردتُ بعض ما سمعتُ فيه وعلمتُ، وأنت محكّم فيه، فانظر فيه واحكم، والتوقّف [فيه] فرض من لا فرض له، والله أعلم وأحكم، ثمّ رسوله صلى الله عليه وآله.

وفائدة الحديث إعلام أنّ الجنس إلى الجنس أميل وإليه أسوق وأشوق، والتعارف ممّا يجرّ الائتلاف وبالعكس. وراوية الحديث عائشة.

قوله صلى الله عليه وآله: الصِّدْقُ طُمَأْنِينَةٌ وَالكِذْبُ رِيبَةٌ

«الصدق»: الخبر عن الشيء كما هو، وقد صدق يصدق صدقاً، والمصدوقة: الصدق، وصدق زيد؛ ويتعدّي إلى مفعولين، تقول: صدّقته الحديثَ، وصَدَق في الفعل إذا وفى بما وعد، والصدّيق: الكثير التصديق والذي يصدق فعله. قوله: «والطمأنينة» فعليلة من «طمن» وقد اطمأنّ إذا سكن فهو مطمئنّ، وتصغير مطمئنّ طُميئن بوزن طَمْأَنّ، والهمزة فيه زائدة، ويقال: أطمأنّ في معنى تطمان[2] وطمْأن، واطأمنّ على القلب يقال: طَأمن منه إذا سكن. و«الكذب» على العكس من الصدق. و«الريب»: الشكّ، والريب ما رابك، والاسم الريبة، وأراب: صار ذا ريبة.

فيقول صلى الله عليه وآله: الصدق ممّا يسكن القلب ويقرّ صاحبه، فإنّ الإنسان إذا صدق كان فارغ ❊القلب من تبعة تتبعه أو خجلة تتعقّب.

١٣٩

قوله: «فهو مطمئنّ»: قارّ وادع؛ فلذلك قيل: الصدق منجاة والكذب بخلاف ذلك[3]؛ فإنّ الكاذب مرتاب وعلى غير ثقة من أن تنفذ كذبته أو تغلب فيفتضح عليه؛ هذا في الدنيا، فأمّا في الآخرة فهو أدهى وأمرّ من الفضيحة هاهنا.

---

١. الإسراء: ٨٥.

٢. في خ: اطمأنّ.

٣. العقد الفريد: ١٩/٣؛ التذكرة الحمدونيّة: ٤٠٩/٧؛ في المصادر: «والكذب مهواة».

وفائدة الحديث الحثّ على الصدق فإنّه ينفعك إذا ظننت أنّه يضرّك، والتحذير من الكذب فإنّه يضرّك إذا ظننت أنّه ينفعك. وراوي الحديث الحسن بن عليّ عليهما السلام.

قوله صلى الله عليه وآله: الْقُرْآنُ غِنَىً لا فَقْرَ بَعْدَهُ وَلا غِنَى دُونَهُ

«القرآن» في الأصل مصدر قرأ يقرأ قراءةً وقرآناً، فسمّى كتاب الله تعالى بالمصدر لأنّه يقرأ. وقيل: سمّي قرآناً بجمعه السور وضمّها، ويكون من قولهم: ما قرأت الناقة سلىً قطّ وجنيناً، ولم تضمّ رحمها على ولد[١] والسلى: الجلدة الرقيقة التي تكون فيها ولد المواشي. و«الغنى»: الاستغناء.

فمعنى قوله صلى الله عليه وآله: «القرآن ...» أي التزام أحكامه والعمل بأوامره والانتهاء عن مناهيه غنى لا فقر بعده؛ ولعمري أنّه الغنى الذي لا غنى فوقه ولا يفتقر بعده صاحبه، وبعد فإنّه مدعاة إلى مكارم الأخلاق والتصوّن وكسر النفس وقصر الآمال وقمع الشهوات وحسم الأطماع، وأيّ فقر أفقر من الطمع.

وقد قيل: «الطمع فقر حاضر»[٢] وما أكثر من صرعه الطمع وورّطه في عاثور[٣] لم ينعش[٤] منه.

وقال أمير المؤمنين ـ صلوات الله عليه ـ: «[أَكْثَرُ] مَصَارِعِ الْعُقُولِ تَحْتَ بُرُوقِ الأطماعِ»[٥]. فإذا حسم المؤمن موادّ الطمع عن الخلق وقصّر رغبته على ربّه تبارك وتعالى فقد تخلّق بأخلاق القرآن وتطبّع بطباعه وأمن الفقر، لأنّه حينئذٍ يكون قد سلّم ربقته من ربّه تبارك

١ . راجع: تفسير الطبري: ٤٢/١؛ وراجع: تاج العروس: ٣٧٠/١.

٢ . راجع: فقه الرضا عليه السلام: ٣٦٧؛ مستدرك الوسائل: ٢٣١/٧؛ وكذا راجع: الجامع في الحديث: ٥٢٦/٢، ح٤١٨.

٣ . حفرة تحفر للأسد وغيره ليصاد.

٤ . لم يرفع.

٥ . نهج البلاغة: ٥٠٧، فيه: «بروق المطامع»؛ وراجع: نثر الدرّ: ٢٢٣/١؛ الإعجاز والإيجاز: ٣٠.

وتعالى، وهو أغنى الأغنياء وأولى من أغنى عبده عن غيره.

وقوله عليه السلام: «لا غنى دونه» أي ليس في الدنيا غنى ما وراء ذلك، لأنّه إن أخلد إلى الأموال والحطام كانت بعرض الزوال والانتقال وكان راغباً في لا مرغب، فالغنى الحقيقيّ هو التزام أحكام القرآن.

ومثل ذلك ما روي عنه عليه السلام: «مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ فَلَيْسَ مِنَّا»[١]، أي من لم يستيقن به ويقتبس من نوره، ولا يريد به الغناء وترجيع الصوت.

وفائدة الحديث الحثّ على قراءة القرآن وتحصيل علومه والتزام أحكامه وتعريف أنّه هو الغنى البليغ. وراوي الحديث أنس بن مالك.

١٤٠

قوله صلّى الله عليه وآله: «الإِيمَانُ بِالْقَدَرِ يُذْهِبُ الْهَمَّ وَالْحُزْنَ»

أصل «القدر» تبيين كميّة الشيء، ويقال: فيه القدر؛ يقول: قدرتُ الشيء أقدرُه قدراً، وقدّرته تقديراً؛ قال الله تعالى: «فَقَدَرْنا فَنِعْمَ الْقادِرُونَ»[٢]، وقدْر الله: ما يقدره ويقضيه، ويقال: فيه قدر. قال:

ألا يا لَقومٍ للنوائب والقدر وللأمر يأتي المرء من حيث لا يدري[٣]

والمقدُرة والمقدِرة بمعنى القدرة، فأمّا من القضاء والقدر فمَقْدَرة ـ بالفتح ـ لا غير. و«الهمّ» الغمّ الذي يذيب الإنسان من قولهم: همّ الشحم، والهاموم ما ذاب منه؛ و«الحزن»: خشونة في الصدر بحلول ما لا تريد أو لامتناع ما تريد، و«الحَزَن»: الغليظ الخشن من الأرض، يقال: حَزِن وحزَنته وأحزنته.

---

١ . أمالي سيّد المرتضى: ٣٥/١؛ معاني الأخبار: ٢٧٩؛ وراجع: مسند أبي يعلى: ١٩٥/٨، ح ٤٧٥٥.

٢ . المرسلات: ٢٣.

٣ . أنشده الأخفش لهُدبة بن الخَشرُم؛ راجع: الأغاني: ٢٦٧/١٠؛ لسان العرب: ٧٤/٥؛ وفي المصادر: «لقومي».

يقول صلى الله عليه وآله ـ تسليةً للعبد فيما يصيبه في دار الدنيا من نقص الأموال والأنفس والثمرات والأمراض والأسفار والأوجاع والقحوط والمجاوع ـ: هي[1] من قبل الله تعالى، إنّ العبد إذا علم أنّ ذلك كلّه من تقدير ربّ عليم يضع الأمور مواضعها ويعلم من ذلك ما يخفى وجهه علينا، لا يظلم ولا يحيف ولا يجور ولا يميل، وسلّم واستسلم وأذعن وصبر محتسباً، وعلم أنّه حكم من لا يعترض في فعله، ولا يجور في قدره ولا يسأل عن عمله، إذ هو على وجه الصواب والصلاح؛ زال همّه وراح حزنه وطاب قلبه، وحصل له فراغ ما يشغله وتوزّع خاطره.

وفائدة الحديث تسلية العبد عمّا يصيبه من القضاء المعلوم والقدر المحتوم، وأنّه إذا علم أنّه من الله تعالى العالم بمكاسر أحوالنا وأفعالنا، زال همّه وحزنه. وراوي الحديث أبو هريرة.

قوله صلى الله عليه وآله: الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا يُرِيحُ الْقَلْبَ وَالْبَدَنَ، وَالرَّغْبَةُ فِي الدُّنْيَا تُكَثِّرُ الْهَمَّ وَالْحُزْنَ وَالبطَالَةُ تُقسي القَلْبَ

الزهد في الشيء: الرغبة عنه. و«الدنيا» صفة هذه الدار الفانية التي نحن فيها، ووزنها فُعلى من الدنوّ، كأنّها تأنيث أدنى وجمعها دُنى مثل الكبرى والكبر والصغرى والصغر، والنسب إليها دنياويّ ويقال: دنيويّ ودُنْيِيّ؛ وقد تقدّم ذكر الهمّ والحزن واشتقاقها. و«البطالة»: التعطّل والتفرّغ والكسل، وقد يقال بالفتح بطالةً فهو بطّال، وبطّلته: حكمت ببطالته. و«القسوة»: الجفاء وغلظ القلب من قولك: حجر قاسٍ، والمقاساة: المعالجة من ذلك، ودرهم قسيّ: صلب رديء.

١٤١ يقول صلى الله عليه وآله: إنّ *من زهد في الدنيا فلم تنزع نفسه إلى حطامها ولم تطمح بصره إلى حلالها[2] فضلاً عن حرامها ولم ينظر إلى زخرفها ولم يمل إلى زبرجها وتورّع من الرواح والغدوّ وتعطّل من الحلّ والترحال والمجاهدة في تحصيل المال، واشتغل عنها بعبادة الله تعالى

---

١. في خ: أهي.

٢. طمع بصره إليه: بصر.

والإقبال على أمره ونهيه والتزام أحكام الشريعة النبويّة، واستراح من همها وحزنها وفرغ من لأوائها[١] ومحنها؛ وبالعكس من ذلك الرغبة فيها تجرّ عليه الكوارث[٢] والشواغل، وتصدّه عمّا خلق له من العبادة المؤدّية إلى سعادة الأبد والنعيم المخلّد.

ثمّ قال عليه السلام: «والبطالة تقسي القلب»، ولعمري أنّه لكذلك، لأنّ المشغل عن الطاعة والارتسام والتباعة والمودّع نفسه عن حرّ العبادة والقصد إلى الله تعالى بالوفادة، بعرض أن يتعطّل ويتبطّل ويبعد عن الله عزّ وجلّ، فإذا بعد عنه انقطع عنه نظره وخذله حاسماً موادّ التوفيق عنه، فبقي حجراً صلداً لا تعمل فيه العوامل ـ نعوذ بالله من الخذلان ـ. وقال القائل:

عَلِمتَ يا[٣] مُجاشِعُ بنَ مَسعَدَه ... أَنَّ الفَراغَ وَالشَبابَ وَالجِدَه

مَفسَدَةٌ لِلمَرءِ أَيُّ مَفسَدَة[٤]

وإذا اتّصفتَ علمتَ أنّ الراحة في الزهد ووداع الدنيا.

وروي: «أنّ رجلاً من أهل البصرة كانت له تجارة وعقل وصلاح، فهداه عقله إلى أن ترك التجارة وأقبل على العبادة، فكان يسمع بمالك بن دينار فتاقت نفسه إليه، قال: فأتيته فوجدته في المسجد وحوله قوم يقرءون القرآن، فجلست ناحيةً حتّى تفرّقوا وجاء آخرون يسمعون الحديث والزهد والمواعظ، فلمّا تفرّقوا قام فصلّى ركعتين أو أربعاً ثمّ خرج، فتبعته، فقال مالك: [ألك حاجة؟] قلت: [نعم أردت أن] أجيء معك إلى بيتك، فقال: كرامةً، فأدخلني إلى حجرة نظيفة وظلّ بارد رطب وبيت ريّح فيه باريّة ومِطْهَرة ودَوْرق[٥] وسلّة[٦]

---

١. ضيقها وشدّتها.

٢. جمع الكارثة وهي النازلة العظيمة والشديدة.

٣. كذا في المصادر، وفي خ: تعلمنّ.

٤. قاله أبو العتاهية، راجع: لباب الآداب للثعالبي: ١٧٢؛ خاصّ الخاصّ: ١٠٩؛ معجم الأدباء: ٥٠٧/٤؛ في المصادر: «علمت يا مجاشع ...».

٥. الدورق: إناء من زجاج يوضع فيه الشراب، الباريّة: الحصير؛ المطهرة: كلّ إناء يتطهّر منه كالإبريق وغيره.

٦. كذا في خ، وفي أحد المصدرين: وجلّة، وفي الآخر: وحلّة.

فيها كسر. فقلت: يا مالك! ألك امرأة؟ قال: أعوذ بالله! قلت: ألك ولد؟ قال: أعوذ بالله! قلت: أعليك دين؟ قال أعوذ بالله! قلت: ألك على الناس دين؟ قال: أعوذ بالله! قلت: يا مالك! يزعم الناس إنّك أزهد الناس وأنت خريم الناعم فشهق شهقةً»[١]. قال أبو سليمان الخطّابيّ: ظلمه حين شبّهه بخريم الناعم.[٢]

١٤٢ وفائدة الحديث إعلام أنّ الزهد في الدنيا يورث الراحة والعصمة، والرغبة *فيها يورث الهمّ والحزن واشتغال القلب بما لم يُخلق له، والبطالة والفراغ ممّا تُقسي القلب وتباعد عن الخير. وراوي الحديث عبد الله بن عمر.

قوله صلى الله عليه وآله: الْعَالِمُ وَالْمُتَعَلِّمُ شَرِيكَانِ فِي الْخَيْرِ

«العلم»: المعرفة بالشيء كما هو أو وجود شيء فيه أو انتفاء شيء عنه، فالأوّل يتعدّي إلى مفعول واحد لقوله تعالى: «لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللهُ يَعْلَمُهُمْ»[٣]، والثاني يتعدّي إلى مفعولين اثنين كقوله تعالى: «فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ»[٤]، وقيل: هو ما اقتضى سكون النفس، والعالم في الحديث هو العارف بالحقائق، والمتعلّم من أخذ نفسه بمعرفة ذلك، والشركة خلط المالين أو العلمين على التقريب.

فيقول صلى الله عليه وآله: إنّ الذي حصّل العلم بذات الله وصفاته وكتابه وسننه وأحكامه وما يجري مجرى ذلك من الحكم والمواعظ وما يعود بالنفع على صاحبه أو يكون طريقاً إلى ذلك، ومن يكدّ[٥] نفسه ويكدح لتحصيله واقتباسه واكتسابه خالصةً لوجه الله تعالى لا يتعلّمه للمراء

---

١. العزلة: ٣٨ـ ٣٩؛ تاريخ مدينة دمشق: ٥٦/٤٠٧ـ٤٠٨.

٢. راجع: العزلة: ٣٩.

٣. الأنفال: ٦٠.

٤. الممتحنة: ١٠.

٥. يشتدّ في العمل.

والجدل والتفاخر والاستطالة على الناس، شريكان في الخير الذي قصداه والأجر الذي طلباه، لأنّهما كالسبب والمسبّب فضلاً عمّا لهما من الثناء والذكر الجميل في الخلق.

وفائدة الحديث الحثّ على العلم والتعلّم. وراوي الحديث أبو الدرداء.

قوله صلّى الله عليه وآله: عَلَى اليَدِ مَا أَخَذَتْ حَتَّى تُؤَدّيَهُ

و«يُؤَدّيَهُ» رواية.

إضافة الفعل إلى اليد مجاز، وهو أنّ الفعل صادر عن الحيّ والأجزاء بمنزلة الجماد، فعلمت أنّ الاعتبار بالحيّ، والفعل حاصل من جملته، ولذلك مستحقّ هو عليه الحمد والذمّ والثواب والعقاب، إلّا أنّه يضاف الفعل إلى الآلة التي بها يحصل كالأخذ إلى اليد والسعي إلى الرِجل والقول إلى اللسان والزنا إلى الفرج، وأمثال ذلك، وهو كلّه مجاز، ولكنّ لمّا التبست الجارحة بفعل من الأفعال حسن نسبته إليها لمكان هذه الملابسة والاختصاص، ومن ذلك قولهم: «يدَاكَ أَوْكَتا وفُوكَ نَفَخَ»[1].

ومعنى الحديث: أنّ الذي يأخذ من غيره شيئاً يلزمه أداؤه إلى صاحبه شرعاً، فعليه بحفظ ذلك من غير إخلاد إلى[2] تهاون أو تفريط أو تضييع أو تقصير في حفظه وصيانته.

وفائدة الحديث الأمر بالتحفّظ لما استعير من *أموال الناس والصيانة له. وراوي الحديث سمرة بن جندب. ١٤٣

قوله صلّى الله عليه وآله: الْوَلَدُ لِلْفِرَاشِ وَلِلْعَاهِرِ الْحَجَرُ

«الولد»: المولود، كالنفض والقضّ، و«الفراش» والفرش: كلّ ما بسط من الثياب، ووصف

---

١. راجع: تهذيب اللغة: ١٤/١٧؛ جمهرة الأمثال: ٢/٢٤٣؛ مجمع الأمثال: ٢/٤١٤.

٢. أخلد إليه: ركن إليه ويرضى به.

الله تعالى الأرض بالفراش كذلك كما وصفها بالمهاد[١] حيث جعلها ـ عزّ وعلا ـ مبسوطةً مذلّلةً تحت أقدامنا؛ والفرش: ما يركب من الأنعام، كأنّه يفرش فيجلس عليه، أو من حيث فرشه الله في الأرض فبسطه وأكثره، والفراش: المرأة، تشبيهاً بذلك، ويتعدّي منها إلى الزوج فيكنى عنهما بالفراش، ولذلك قال عليه السلام: «الولد للفراش»؛ ويجوز أن يكون المعنى: لصاحبي الفِراش. وتوصف المرأة بالإزار، قال: «فِدىً لَكَ من أَخِي ثِقَةٍ إزارِي»[٢]، ويقال: فلان كريم المفارش، إذا كان كريم النساء،[٣] وافترش الرجل المرأة: كناية عن البضاع، وافترش ذراعيه: بسطهما. و«العهر»: الزنا، يقال: عهر فهو عاهر، والعهر ـ بالكسر ـ اسم المزني، وهذه امرأة عاهرة ومُعاهرة، وتعيهر[٤] الرجل: فجر.

وفي الحديث: «اللّهمّ أبدلهُ بالعَهْرِ العِفَّةَ»[٥].

فيقول لذات البين وتبريةً من الشين، وهذه رحمة من الله تعالى، أعني إلحاق الولد بالفراش ستراً على الفاسقين وإبقاءً على صاحب المرأة وتحرّياً للولد حتّى يعيّر ولا يرمى بذلك، فتبارك الله الذي يرحم خلقه؛ وقوله عليه السلام: «وللعاهر الحجر» لا يعني به الرجم، إنّما هو مثل، أي لا نصيب له في الولد في حكم الشريعة.

وروي في سبب هذا الحديث: «إنّ رجلاً قال: يا رسول الله! إنّ فلاناً ولدي، عاهرتُ[٦] بأمّه في الجاهليّة. فقال صلى الله عليه وآله: لَا دَعْوَةَ فِي الْإِسْلَامِ، ذَهَبَ أَمْرُ الْجَاهِلِيَّةِ، الْوَلَدُ لِلْفِرَاشِ،

---

١. أشار إلى آيتين: «الَّذي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِراشاً»، البقرة: ٢٢٠؛ و«أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهاداً»، النبأ: ٦.

٢. «ألا أبلغ حفص رسولاً ...»؛ راجع: الطبقات الكبرى: ٢٨٦/٣؛ غريب الحديث لابن قتيبة: ٢٢/٢؛ العقد الفريد: ٢٧٨/٢.

٣. راجع: الصحاح: ١٠١٤/٣.

٤. كذا في اللغة، وفي خ: ويعتهر.

٥. في المصادر: بدّله؛ راجع: غريب الحديث لابن الجوزي: ١٣٧/٢؛ النهاية في غريب الأثر: ٣٢٦/٣.

٦. كذا في المصادر، وفي خ: عهرت.

وَلِلْعَاهِرِ الْحَجَرُ»[١]. ولفظ الحجر هنا معناه الخيبة والحرمان، كقولك للذي يخيّبه من غيرك: ما لك عندي إلّا التراب.

وقضى في الجاهليّة أكثم بن صيفي بالولد للفراش، فأقرّه الله في الإسلام، وقضى به رسول الله صلى الله عليه وآله،[٢] وأدرك أكثم الإسلام، وله مائتا سنة ـ على ما روي ـ وله أربعون ولداً ذكوراً لصلبه.[٣]

وفائدة الحديث الحكم بالولد للفراش ونفي للدعوة التي كانت الجاهليّة تستلحق بها الأولاد. وراوي الحديث أبو هريرة.

قوله صلى الله عليه وآله: الضِّيَافَةُ عَلَى أَهْلِ الوَبَرِ وَلَيْسَتْ عَلَى أَهْلِ المَدَرِ

١٤٤

«الضيف»: من مال إليك فنزل عليك، وأصل «ض ي ف» في كلام العرب *الميل، ومنه أضفتُ الشيء إلى الشيء أي أملتُه، والإضافة في كلام أهل النحو من ذلك وتضيّفت[٤] الشمس للغروب وضافت، والضيف مصدر وصف به الواحد والجمع والمذكّر والمؤنّث كعدل وزور وفَطر، يقال: أضفت فلاناً وضيّفته إذا أنزلته بك، واستضفته: طلبت منه الضيافة، وتضيّفته مثل ضيّفته . و«الوبر» للإبل بمنزلة الصوف للغنم. و«المدر»: القُرى، والمَدَرَة: القرية، قال الراجز: «لَيْلاً وما نادى أَذِينُ المَدَرَهْ»، وباليمن قرية يقال لها المدر[٥] ينسب إليها فلان المدريّ.

عيّن رسول الله صلى الله عليه وآله الضيافة على أهل الوبر وهم الذين يسكنون البوادي ويتّسعون

---

١ . راجع: مسند أحمد: ٢٠٧/٢، ح٦٩٣٣؛ سنن أبي داود: ٢٨٣/٢، ح ٢٢٧٤.

٢ . راجع: الأوائل للعسكري: ١٧؛ صبح الأعشى في صناعة الإنشاء: ٤٩٥/١ـ٤٩٦.

٣ . راجع: الأعلام: ٦/٢؛ الوافي بالوفيات: ١٩٩/٩.

٤ . في خ: ويضيفت.

٥ . كذا في المصادر، وفي خ: المدرة.

مساقط القطر من الأعراب والرُعيان[١] وذلك لأنّ الغريب الذي ينزل عليهم بعرض الهلاك إن لم يقرؤه، فربّما لم يجد بالوادي غير من ظفر به، فإن قصّروا في حقّه وتقاعدوا عنه كان سعياً في هلاكه وسبباً لحتفه[٢]، وبخلاف ذلك أهل القرى والحضر فإنّه إن منعه قوم ساعده آخرون وإن حرمه جماعة أعطاه غيرهم، واهتدى الغريب إلى حيلة توصله إلى القوت وتهديه إلى المطعم.

وفائدة الحديث إيجاب الإيواء على أهل الوبر النازلين في الفلوات ورفع إيجابه على أهل القرى والأمصار فإن فعلوا فهم مشكورون وإن قصروا لم يحتقبوا[٣] بذلك وزراً. وراوي الحديث عبد الله بن عمر.

قوله صلى الله عليه وآله: لِلسَّائِلِ حقّ وَإِنْ جَاءَ عَلَى فَرَسٍ

أثبت صلى الله عليه وآله للسائل حقّاً على أيّ وجه كان، وذلك أنّه ربّما يسأل عن ضرّ مدقع وحاجة حافزة إلى ذلك وضرورة حملته عليه، وإن كان يحتمل أن يكون سؤاله عن ظهر غنى؛ فيقول صلى الله عليه وآله: إنّه ينبغي أن يُواسى السائل على كلّ حال، وذلك لأنّه عليه السلام أثبت له حقّاً مخافة أن يكون هو بعينه المضطرّ الذي لا منقذ[٤] له، فعليك بالإحسان إليه؛ فإن كان مضطرّاً وقع ما تعطيه موقعه، وإن كان كاذباً فإنّك أعطته بنيّة الاضطرار «ولكلّ امرء ما نوى»؛ فالاحتياط أن تحسن إلى السائل كائناً ما كان، ولذلك قال عليه السلام: «لَوْ لَا أَنَّ السُّؤَّالَ يَكْذِبُونَ مَا قُدِّسَ مَنْ رَدَّهُمْ»[٥].

---

١. جمع الراعي.

٢. الموت.

٣. لم يكتسبوا، لم يجمعوا.

٤. في خ: منقد.

٥. المجالسة وجواهر العلم: ٤٢٣، ح ٢٤٧١؛ مسند الشهاب: ٣١١/٢، ح١٤٢٨؛ وراجع: جامع الأخبار: ١٣٨؛ بحار الأنوار: ١٧٠/٩٣.

وفي الحديث: لا تردّوا السائل، فإنّه قد يسألكم من ليس بإنسيّ ولا جنّيّ.[١]

١٤٥ وهذا إشارة إلى أنّه ربّما يكون امتحاناً من الله تعالى على يدي ملك من *ملائكته والله أعلم.

وفي الحديث الأمر بالإحسان إلى من هو أهله وإلى من ليس بأهله، فإن كان أهله فهو أهله، وإن لم يكن أهله فأنت من أهله. يقول: لو جاء السائل على فرس لكان لا يسقطنّ حقّه فإنّه لا اعتبار بفروسيّته ولعلّه محتاج.

وفائدة الحديث الحثّ على إجابة السؤال والإحسان إلى[٢] السائل. وراوي الحديث الحسين بن عليّ عليهما السلام.

قوله صلى الله عليه وآله: أَيُّ دَاءٍ أَدْوَى مِنَ الْبُخْلِ

«الداء» تركيبه من «دوي» فلا بدّ من همز قوله عليه السلام: أدوأ إلّا أن يخفّف فيقول: أدوا، والأصل الهمز، والداء: الوجع، والجمع الأدواء، وَداء يَداء داءً أي مرض، والفاعل داءٌ[٣] وقد دِئْتَ يا رجل[٤] وأدأ: أيضاً مرض فهو مديء، وأدوأه[٥] غيره: أمرضه، يتعدّي ولا يتعدّي.

وروي في سبب هذا الحديث: «أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال لبني سلمة[٦]: مَنْ سَيِّدُكُمْ؟ قَالُوا: جَدُّ بْنُ قَيْسٍ، وَإِنَّا لنزنهُ بشيءٍ مِنَ البُخلِ، فَقَالَ عليه السلام: وَأَيُّ دَاءٍ أَدْوَى مِنَ الْبُخْلِ؟! بَلْ سَيِّدُكُمُ

---

١. راجع: دعائم الإسلام: ٢٤٣/١؛ بحار الأنوار: ٢٥/٩٣؛ نصّه فيهما: «لا تردّوا سائلاً ذكراً أو أنثى بليل فإنّه قد يسأل من ليس من الجنّ ولا من الإنس ولكن ليزيدكم الله به خيراً».

٢. في خ: إليه.

٣. في خ: داءيٌ.

٤. كذا في المصادر اللغويّة، وفي خ: بالرجل.

٥. كذا في اللغة، وفي خ: أدأه.

٦. كذا في المصادر، وفي خ: لبني ساعدة.

الأَبْيَضُ الْجَعْدُ عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ»[١].

والحديث وإن كان خاصّاً فإنّ معناه على العموم، يذمّ صلى الله عليه وآله البخل ويشبهه بالداء العياء الذي لا دواء له، فيقول: أيّ داء أصعب منه، ولذلك لا يكون كذلك وهو جامع لمساوئ العيوب.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «البخيلُ مُستعجِلٌ للفقرِ، يَعِيشُ فِي الدُّنْيَا عَيْشَ الْفُقَرَاءِ، وَيُحَاسَبُ فِي الْآخِرَةِ حِسَابَ الْأَغْنِيَاءِ»[٢].

وفي كلامهم: «البخل فقر حاضر»،[٣] وعلى الحقيقة فالعقل لا يُرخِص في البخل وإن يكدّ الإنسان نفسه وينفق عمره في جمع[٤] المال يركُم بعضه على بعض، ولعلّه لا يخرج منه حقّ الله تعالى ولا حقّ المستحقّ فيعيش شقيّاً ملوماً، ويقدّم على ربّه ألوَمُ وأشقى، ويورثه من لا يقبل له منّة ولا يشكره، بل ربّما لا يترحّم عليه فتسعد نفسه بما شقي به يورثه.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام لولده الحسن عليه السلام: «لَا تُخَلِّفَنَّ وَرَاءَكَ شَيْئاً مِنَ الدُّنْيَا فَإِنَّكَ تُخَلِّفُهُ لِأَحَدِ رَجُلَيْنِ: إِمَّا رَجُلٌ عَمِلَ فِيهِ بِطَاعَةِ اللهِ فيسعد[٥] بِمَا شَقِيتَ بِهِ، وَإِمَّا رَجُلٌ عَمِلَ فِيهِ بِمَعْصِيَةِ اللهِ فَكُنْتَ عَوْناً لَهُ عَلَى مَعْصِيَتِهِ؛ وَلَيْسَ أَحَدُ هَذَيْنِ حَقِيقاً أَنْ تُؤْثِرَهُ عَلَى نَفْسِكَ»[٦].

وفائدة الحديث النهي عن البخل والتقريع به. وراوي الحديث جابر بن عبد الله.

١٤٦ قوله صلى الله عليه وآله: «الْعَائِدُ فِي هِبَتِهِ كَالْكَلْبِ يَعُودُ فِي قَيْئِهِ»

العود في الهبة كناية عن استرداد الموهوب، والهبة يعني بها الموهوب سمّاه بالمصدر كخلق

---

١. راجع: المعجم الأوسط: ٧٥/٤، ح ٣٦٥٠؛ وراجع: مصنّف عبد الرزّاق: ٣٣٨/١١، ح ٢٠٧٠٥؛ الاستيعاب: ١٦٨/١.

٢. المناقب للخوارزمي: ٣٧٧ـ٣٧٨؛ نهج البلاغة: ٤٩١؛ الإعجاز والإيجاز: ٣٠.

٣. زهر الآداب: ٤٤٨/٢.

٤. في خ: جميع.

٥. في أكثر المصادر: فسعد.

٦. نهج البلاغة: ٥٤٩؛ بحار الأنوار: ١٤٤/٧٠؛ محاضرات الأدباء: ٦٦٣/١؛ كنز العمّال: ٧٢١/٣، ح ٨٥٧٢.

الله وضرب الأمير. و«القيء»: خروج الطعام من جانب الحلق قصداً وغير قصد؛ يقول: قاء يقيء قيئاً، قَيّأته أنا وأقأته: حملته على استقاء، وتقيّأ: إذا تكلّف ذلك؛ ويقول: هذا ثوب يقيء الصبغ، أي مشبع الصبغ، والقَيوء: الدواء المقيّئ.

ويقول صلى الله عليه وآله: العائد في هبته كالكلب يعود فيأكل قيئه؛ ولعمري! إنّها من عادة الكلاب، وشبّهه عليه السلام بالكلب شنعة لفعله وتكبيراً لذلك الفعل منه.

وفائدة الحديث النهي عن استرداد الهبات لما في ذلك من أثارة[١] الدفائن وإظهار الضغائن. وراوي الحديث ابن عبّاس.

قوله صلى الله عليه وآله: النَّظَرُ فِي الخضرةِ يَزِيدُ فِي الْبَصَرِ وَالنَّظَرُ إِلَى الْمَرْأَةِ الْحَسْنَاءِ يَزِيدُ فِي الْبَصَرِ

النظر تقليب الحَدَقة نحو المرئيّ طلباً للرؤية، وقد يطلق على الرؤية لأنّه كالمسبّب له، والنظر: التأمّل والتفكّر أيضاً، والذي في الحديث هو الرؤية.

يقول صلى الله عليه وآله: إنّ النظر في الخضرة يزيد في البصر، وذلك لأنّ الخضرة مشتملة على سواد، والسواد يقبض العين ولا ينشر شعاعها، كما يكون في النظر إلى الأشياء البيض والمصقولة البرّاقة فإنّها تكاد تخطف البصر؛ ألا ترى إلى الناظر في عين الشمس والماشي في الثلج الغالب كيف يقهر حين يعجز عن النظر، وذلك لأنّ البياض ينشر الشعاع، ومن لطيف صنع الله ـ عزّ وعلا ـ الذي حفظ به أبصار عباده صبغ السماوات بلون الزرقة حفظاً لأشعّة العين بالمشي في الثلج وإبقاءً على رؤيتهم، فإنّه تحين النظرة إلى السماء لنا دائباً من غير قصد، فهذه إحدى نعمه التي نحن عنها غافلون وعن منزلتها ذاهبون، والزرقة والخضرة من قبيل السواد الذي يقبض بالبصر؛ وكذلك النظرة إلى المرأة الحسناء، وذلك أنّ النظر إلى كلّ مستلذّ ينشر القلب ويحدث الفرح ويقرّ العين ويبشر الروح ويزيد في البصر والبصيرة.

---

١. بقيّة الشيء.

هذا إذا فسّرت البصر بالجارحة، فأمّا إذا حملته على البصيرة ـ وهو جائز ـ، فقد يعبّر بالبصر عن البصيرة، فيقال: فلان له بصر بهذا الأمر؛ فالمعنى ـ والله أعلم ـ: أنّ النظر إلى الخضرة والتأمّل فيها يزيد في البصيرة، وكيف *لا؟! وبالأمس رأيت خشبةً يابسةً لا أثر عليها من الورق والنور، فتراها أيّام الربيع قد تبرّجت في حُليّها وحُللها وتزخرفت[١] بأزاهيرها الملوّنة تنادي على أنفسها بصانع حكيم قادر عليم أخرجها من خفاء العدم إلى فضاء الوجود تعالى وتقدّس، فيستدلّ بها إلى صانعها؛ وكذلك النظر في صورة حسنة يحلّ لك النظر إليها، تُقدّر فيها أنّها كانت نطفة وقطرة من ماء مهين، ثمّ صوّرت ودرّجت إلى أحسن هندام[٢] وأجمل صورة وأهيأ شارة[٣] وأهيب روعة[٤] وأكمل جهرة، علمت أنّ ذلك لم يتكوّن بنفسه إلّا بقادر صانع عالم يضع الأمور مواضعها ويخلق ما يشاء ويحكم ما يريد.

١٤٧

وفي كلام أمير المؤمنين عليه السلام: «اعْجَبُوا لِهَذَا الْإِنْسَانِ يَنْظُرُ بِشَحْمٍ وَينطق[٥] بِلَحْمٍ وَيَسْمَعُ بِعَظْمٍ وَيَتَنَفَّسُ مِنْ خَرْمٍ»[٦].

فلا شكّ أنّك إذا نظرت هذا النظر وتدبّرت وفكّرت هجمت بك الفكرة على معرفة خالق السماوات والأرضين رازق العالمين فيستزيد إيماناً إلى إيمانك واستدلالاً إلى استدلالك.

وفائدة الحديث إعلام أنّ النظر إلى الخضرة والجمال الحلال يزيد في البصر والبصيرة.

وراوي الحديث جابر بن عبد الله.

قوله صلى الله عليه وآله: أُمَّتِي الْغُرُّ الْمُحَجَّلُونَ [يَوْمَ الْقِيَامَةِ] مِنْ آثَارِ

١ . تزيّنت.

٢ . الهِندام: الحسن القدّ، معرّب وأصله بالفارسيّة: أندام؛ راجع: صحاح اللغة: ٢٠٥٦/٥.

٣ . الشارة: حسن المنظر، الهيأة؛ وأهيأ أفعل من هاء يهاء وهيأة وهاء: صار حسن الهيأة.

٤ . الروعة: المسحة من الجمال.

٥ . في المصادر: ويتكلّم.

٦ . نهج البلاغة: ٤٧٠؛ بحار الأنوار: ٣٠٧/٥٨، ح ١٥.

الْوُضُوءِ

الغُرّة: البياض، والأغرّ: الأبيض، وغُرّة الفرس: بياض جبهته فوق سعة الدرهم؛ والأصل في «غرر» الأثر الظاهر، وغرّ الثوب أثر مكاسره ومطاويه، ويجمع الأغرّ: غرّاً وغُرّاناً. و«التحجيل» في أربع قوائم الفرس أو في ثلاث منها أو في رجليه قلّ أو كثر، واشتقاقه من الحَجْل وهو القيد والخلخال، والحِجْل لغة فيه؛ لأنّ البياض منه في موضع الخلخال وموضع الأحجال. ويُكنى بالغرّة والتحجيل عن الشهرة والعرفان، يقال: يوم أغرّ محجّل أي مشهور مشهود.

فيثني ﷺ على أمّته أنّهم البيّض الوجوه والأطراف من آثار ماء الوضوء على أعضاء الطهارة في الدار الدنيا ليتمكّنوا من عبادة الله تعالى، وأنّ الله تعالى يورثهم يوم القيامة عوضاً عن ذلك بياضاً ونوراً في أعضاء طهارتهم، كما قال تعالى: «يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِناتِ يَسْعى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمانِهِمْ»[١]، كما قال الله تعالى: «سِيماهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ»[٢]، وكلّ ذلك عبارة عن النور الساطع الذي يشرّف الله تعالى به عبده *يوم القيامة. ١٤٨

وروى أبو هريرة أنّه قيل لرسول الله ﷺ: «أتعرفُ أمّتَكَ يومَ القيامةِ؟ فَقَالَ ؑ: أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لِرَجُلٍ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ فِي خَيْلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ أَلَا يَعْرِفُ خَيْلَهُ؟! قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ! قَالَ: فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ [يَوْمَ الْقِيَامَةِ] غُرّاً مُحَجَّلِينَ مِنَ الْوُضُوءِ»[٣]. والدهم: السود، والبهم: المصمتة التي لا يخالط لونها لون آخر. يقال: أسوَد بَهيم وأشقر بهيم.

وفائدة الحديث إعلام[٤] رتبة خالصي أمّة محمّد ﷺ يوم القيامة وأنّ أعضاء طهارتهم

---

١ . الحديد: ١٢.

٢ . الفتح: ٢٩.

٣ . مسند أحمد: ٤٠٨/٢، ح ٩٢٨١؛ صحيح مسلم: ٢١٨/١، ح ٢٤٩؛ كنز العمّال: ٢٧٣/١٥، ح ٤٢٥٦٠.

٤ . في خ: الإعلام.

ووضوئهم متضوّئة[١] منوّرة لما قد تعبّدوا بها من الوضوء. وراوي الحديث أبو هريرة.

قوله صلى الله عليه وآله: التَّصْفِيقُ لِلنِّسَاءِ وَالتَّسْبِيحُ لِلرِّجَالِ

«الصفق»: الضرب بصوت وكذلك التصفيق، يقال: صَفَقته الريح وصفّقته، والتصفيق باليد التصويت بها، ويقال: صفقتَ له بالبيع والبيعة صفقاً أي ضربت يدك على يده، والصفقة: البيعة، وصفقت الباب: رددته، وكلّ ذلك من الصوت. ورواية القاضي: «التصفيح للنساء»[٢] وهو التصفيق أيضاً. و«التسبيح»: تنزيه الله تعالى، وأصل «س ب ح» المرّ السريع في الماء والهواء، ولذلك قيل للنجوم يسبّح، قال تعالى: «فِي فَلَكٍ يسْبَحُونَ»[٣]، فكان التسبيح هو المرّ السريع في التنزيه والعبادة، ويقال: سبّح إذا قال سبحان الله، سبحان الله، وسبحان الله مصدر أي أسبّح الله تسبيحةً وهو كالغفران والكفران.

ومعنى كلامه عليه السلام أنّ الرجل إذا أراد أن ينبّه على شيء من أمور الدنيا أو الدين وكان في الصلاة أو كان المنبّه في الصلاة كان له أن يقول: سبحان الله، وليس للمرأة ذلك، لأنّ صوتها عورة وكلامها عورة، فعليها أن تصفّق على يديها إعلاماً بما تريد التنبيه عليه.

وقيل: التصفيق هو ضرب أصابع اليد اليمنى على الكفّ اليسرى، وفيه: أنّ النساء كفّاهنّ عورة.

وفائدة الحديث تعليم أنّ الرجل إذا أراد التنبيه في الصلاة سبّح، والمرأة لا تسبّح بل تصفّق بيديها. وراوي الحديث سهل بن سعد الساعديّ.

قوله صلى الله عليه وآله: النَّظَرُ سَهْمٌ مَسْمومٌ مِنْ سِهَامِ إبْلِيسَ

النظر سهم يصيب المرمى فيقتله، ويجوز ـ والله أعلم ـ أن يكون على أنّه كالسهم

١. في خ: متضوّءة.

٢. راجع: مسند الشهاب: ١/١٩٤.

٣. الأنبياء: ٣٣.

المسموم الذي يريد على الناظر فيقتله. وهذا أقرب من جهة المعنى، لأنّ الخطاب للناظر لا المنظور إليه؛ وهذا نهي عن النظر إلى المحارم، فربّما أورث ذلك ذهاب النفس والمال ١٤٩ *والولد والدين والدنيا، وكم من ذلك!

ولذلك قال حكيمهم:

وَكُنْتَ إذا أَرْسَلْتَ طَرْفَك رَائِداً لِقَلْبِكَ يَوْماً أَتْعَبَتْكَ الْمَنَاظِرُ

رَأَيْتَ الَّذِي مَا كُلَّهُ أَنْتَ قَادِرٌ عَلَيْهِ وَلَا عَنْ بَعْضِهِ أَنْتَ صَابِرُ[1]

وقال النبيّ صلّى الله عليه وآله لأمير المؤمنين عليه السلام: «يَا عَلِيُّ! إنَّ لَكَ فِي الْجَنَّةِ كَنْزاً، وَإنَّكَ ذُو قَرْنَيْهَا، وَلَا تُتْبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ، فَإِنَّ لَكَ الْأُولَى وَلَيْسَتْ لَكَ الأخرى»[2]. وإنّما قال عليه السلام: «الأولى لك»، لأنّه لا قصد له فيها وإنّما اتّفقت من غير قصد، والإنسان لا يؤاخذ بما لا يقصده وينويه، والثانية إنّما كانت عليه لأنّها عن قصد.

وروي عن جرير قال: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صلّى الله عليه وآله عَنْ [نَظْرَةِ] الْفَجْأَةِ، فَقَالَ النبيّ عليه السلام: اصْرِفْ بَصَرَكَ.[3]

وقال تعالى: «قُلْ لِلْمُؤْمِنينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصارِهِمْ»[4].

وسئل ابن عبّاس: ما الكبائر؟ فذكر: النظر.[5]

وعن مجاهد: إذا أقبلت المرأة جلس الشيطان على رأسها فزيّنها لمن ينظر إليها، وإذا أدبرت جلس على عجزها فزيّنها لمن ينظر إليها.[6]

---

١. المجالسة وجواهر العلم: ٥٥٤، ح٣٢٨٤؛ مصارع العشّاق: ٢/٢١٠؛ ديوان الحماسة: ٢/٧٠.

٢. معاني الأخبار: ٢٠٥؛ بحار الأنوار: ٣٩/٤١، ح١٣؛ وراجع: مصنّف ابن أبي شيبة: ٤/٧، ح١٧٢٢٧؛ كنز العمّال: ٥/١٨٥، ح١٣٦٤٠.

٣. مسند أحمد: ٤/٣٦١، ح١٩٢٢٠؛ سنن أبي داود: ٢/٢٤٦، ح٢١٤٨.

٤. النور: ٣٠.

٥. لم أقف عليه؛ راجع: تفسير الطبري: ٥/٤١؛ شعب الإيمان: ٥/٤٢٨، ح٧١٥٠.

٦. تفسير القرطبي: ١٢/٢٢٧.

وقال كعب: إيّاكم والنظر إلى النساء وثيابهنّ! فإنّهنّ من سهام إبليس التي يقتل بهنّ.[١]

وقال النبيّ صلى الله عليه وآله: «مَا مِنْ رَجُلٍ يَنْظُرُ إلَى مَحَاسِنِ امْرَأَةٍ ثُمَّ يَغُضُّ بَصَرَهُ إلَّا أَحْدَثَ اللهُ لَهُ عِبَادَةً يَجِدُ حَلاوَتَهَا[٢]»[٣].

وقال عبد الجبّار الخراسانيّ: كنت جالساً مع ابن عمر على باب داره إذ أقبل غلام صبيح، فقام ابن عمر فدخل داره وأغلق بابه حتّى خرج الغلام من سكنه[٤] فسألته عن ذلك، فقال: إنّ النظر إليهم حرام والجلوس معهم حرام والكلام معهم حرام.[٥]

وفي الحديث: «لا تجالسوا أولاد الأغنياء، فإنّ لهم فتناً كفتن العَذارى»[٦].

وقال صلى الله عليه وآله: «مَنْ أَصَابَ مِنِ امْرَأَةٍ نَظْرَةً حَرَاماً مَلأَ اللهُ عَيْنَيْهِ نَاراً يوم القيامةِ، ثُمَّ يُؤمرُ بِهِ إلَى النَّارِ، ومَن قدر عليها فتركَها دخل في صحبةِ الله برحمته ثمّ يُؤمرُ بهِ إلى الجنّةِ»[٧].

وعن ابن عبّاس: «الشَّيْطَانُ مِن ابن آدم فِي ثَلاثَةِ[٨] مَنَازِلَ: فِي بَصَرِه، وَقَلْبِهِ، وذَكَرِهِ، وَهُوَ فِي المَرْأَةِ فِي ثَلاثَةِ مَنَازِلَ: فِي بَصَرِهَا، وَقَلْبِهَا، وَعجيزتِهَا»[٩].

وإنّما نسبه إلى إبليس، لأنّ له السعي الجميل في مثل ذلك، وهو الذي يدعو إليه ويوسوس به ويحثّ عليه.

---

١. لم أقف عليه.

٢. زاد في بعض المصادر: فِي قَلْبِهِ.

٣. مسند أحمد: ٢٦٤/٥، ح٢٢٣٣٢؛ شعب الإيمان: ٣٦٦/٤، ح٥٤٣١.

٤. في المصادر: سكّة.

٥. راجع: بريقة محموديّة: ٦٦/٤؛ نصاب الاحتساب: ١٤٥.

٦. الفوائد لتمام الرازي: ١٢٤/١، ح٢٨٢؛ شعب الإيمان: ٣٥٨/٤، ح٥٣٩٧؛ الفردوس: ٦٢/٥، ح٧٤٦٦.

٧. مسند الحارث: ٣١٢/١ـ٣١٣؛ بستان الواعظين ورياض السامعين: ٢١٧؛ ذمّ الهوى: ١٩٣.

٨. كذا في المصادر، وفي خ: من ابن آدم في ثلاث.

٩. الزهد لابن السري: ٦٥١/٢، ح١٤٢٦؛ روضة المحبّين: ٩٥؛ ذمّ الهوى: ٩٢؛ كذا في خ، وفي المصدر: وَعُجُزها.

وفائدة الحديث التحذير من النظر إلى المحارم، وإعلام أنّه سهم مسموم يؤدّي إلى الهلاك. وراوي الحديث حذيفة بن اليمان.

١٥٠

قوله صلى الله عليه وآله: الشُّؤْمُ فِي الْمَرْأَةِ وَالْفَرَسِ وَالدَّارِ

«الشؤم»: نقيض اليمن، ويقال: رجل مشئوم ومشوم على التخفيف وقد شأمهم يشأمهم إذا جرّ إليهم الشؤم، وشئم عليهم فهو مشؤوم إذا صار ذا شؤم عليهم.

وروي هذا الحديث على وجه آخر: أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله قال: «لَا عَدْوَى وَلَا هَامَةَ وَلَا صَفَرَ وَإِنْ تَكُنِ الطِّيَرَةُ فِي شَيْءٍ فَفِي الْمَرْأَةِ وَالْفَرَسِ وَالدَّارِ»[١]. و«العدوى» اسم من أعداه الجرب وغيره يعديه، إذا تجاوز منه إليه. وتعادى القوم إذا أصاب بعضهم من داء بعض. فيقول صلى الله عليه وآله: «لا عدوى»، وفي حديث آخر: «فما أعدى الأوّل»[٢].

ولا يعني صلى الله عليه وآله [به][٣] أنّ بعض الأمراض لا يعدي، [فقد رئي] مشاهدة أنّ الجرب يعدي والرمد[٤] يعدي وغير ذلك من الأمراض، ولكنّ المعنى ــ والله أعلم ــ: أنّه لا ينبغي للإنسان أن يعتقد أنّ هذه الأمراض لا تكاد تحصل إلّا من العدوى فحسب، بل قد تُعدي وقد يبتدئها الله تعالى ابتداءً من غير عدوى، فلا عدوى مطلقةً بحيث لا تكون ابتداء بالمرض؛ والأولى أن يقال: إنّ الله تعالى قد أجرى العادة بأن تجرب الصحيحة إذا ماسّت الجربة [في بعض الأحوال]، ولذلك قال صلى الله عليه وآله: «لَا يُورِدَنَّ ذُو عَاهَةٍ عَلَى مُصِحٍّ»[٥] وتكون العدوى محمولةً

١. صحيح مسلم: ١٧٤٧/٤، ح٢٢٢٥؛ صحيح ابن حِبّان: ٤٩٧/١٣، ح٦١٢٧.

٢. الأمالي للسيّد المرتضى: ١١٣/٤؛ وراجع: تأويل مختلف الحديث: ١٠٢؛ تهذيب الآثار، مسند علي: ٧/٣، ح٨؛ كنز العمّال: ٥٣/١٠، ح٢٨٦٢٩.

٣. الزيادة في البحار.

٤. هيجان العين وانتفاخها.

٥. غريب الحديث لابن سلام: ٢٢١/٢؛ الفائق: ٣٧/٣؛ وراجع: معاني الأخبار: ٢٨٢؛ كذا في المصادر، وفي خ: لا يوردنّ دم عاهة.

على هذا المعنى.

و«الهامة» أصله من طير الليل وهي التي يتشأّم بها، كبيرة الرأس صفراء العينين في قدّ الحمامة، وقد شاهدتها كثيراً.

وكانت العرب يقول: «إنّ القتيل الذي لا يدرك ثأره تصير روحه هامة فتزقو وتقول: اسقوني اسقوني فإذا أدرك ثأره طارت»[١] وتنطق أشعارهم بهذا. قال جرير:

ومنّا الذى أبكَى صُدَىَّ بن مَالِكٍ ونَـفَّرَ طـيراً مـن جُـعَادَةَ وُقَّـعا[٢]

أي قتل قاتله فنفرت الطير عن قبره.

و«الصفر» زعموا حيّة في بطن الإنسان إذا جاع عضّ مائلته. قال: «ولا يعضّ على شرسوفه الصفر»[٣].

فردّ رسول الله صلى الله عليه وآله أن يكون شيء من ذلك، وبيّن أنّها اعتقادات فاسدة.

و«التطيّر»: التفأّل بالطير، وكانوا يزجرونها فيتفأّلون[٤] بسنوحها وبروحها، فيقال لذلك الزجر أيضاً ويقال ذلك في الوحش أيضاً.

وقيل: «إنّ شؤم المرأة كثرة مهرها وسوء خلقها وأن لا تلد، وشؤم الدار ضيقها وسوء جوارها، وشؤم الفرس أن لا يُغزى عليها»[٥]. وقيل: إنّ الشؤم في هذه الثلاثة لكثرة الإنفاق عليها.

١٥١ *وعن أنس قال: «قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ! إنَّا كُنَّا فِي دَارٍ كَثِيرٌ فِيهَا عَدَدُنَا كَثِيرٌ فِيهَا

١. راجع: الأمالي في لغة العرب: ٢٢٤/٢؛ مختار الصحاح: ٢٩٣؛ مقاييس اللغة: ٢٧/٦.

٢. راجع: الصحاح: ٢٠٦٣/٥؛ ديوان جرير: ٣٤١.

٣. أنشده أعشى باهلة، راجع: جمهرة أشعار العرب: ٢١٥؛ غريب الحديث لابن سلام: ٢٦/١؛ خزانة الأدب: ٢٠٠/١؛ والشرسوف: غضروف معلّق بكلّ ضلع مثل غضروف الكتف.

٤. كذا في البحار، وفي خ: فيفألون.

٥. قال الصادق عليه السلام: «الشُّؤْمُ فِي ثَلَاثَةٍ فِي الْمَرْأَةِ وَالدَّابَّةِ وَالدَّارِ فَأَمَّا شُؤْمُ الْمَرْأَةِ فَكَثْرَةُ مَهْرِهَا وَعُقُوقُ زَوْجِهَا وَأَمَّا الدَّابَّةُ فَسُوءُ خُلُقِهَا وَمَنْعُهَا ظَهْرَهَا وَأَمَّا الدَّارُ فَضِيقُ سَاحَتِهَا وَشَرُّ جِيرَانِهَا وَكَثْرَةُ عُيُوبِهَا»؛ راجع: الأمالي للصدوق: ٣١١؛ بحار الأنوار: ١٥٠/٧٣.

أَمْوَالُنَا فَتَحَوَّلْنَا إِلَى دَارٍ أُخْرَى فَقَلَّ فِيهَا عَدَدُنَا وَقَلَّتْ فِيهَا أَمْوَالُنَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله: ذَرُوهَا ذَمِيمَةً»[1] ولا تأثير للدار. بل لعلّه عليه السلام قال ذلك حتّى لا يتأذّوا بهذا الاعتقاد.

وفائدة الحديث إعلام أنّ هذه الثلاثة الأشياء يكثر الخرج عليها وتذهب البركة من المال بسببها. وراوي الحديث عبد الله بن عمر. وقد روي عن عائشة: أنّ هذا الكلام حكاه رسول الله صلى الله عليه وآله عن اليهود وأنّهم كانوا يعتقدون ذلك فسمع الراوي آخر الكلام فرواه عنه عليه السلام.[2]

قوله صلى الله عليه وآله: نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ

«النِعمة»: الحالة الحسنة وهي في بناء الحالة كالركبة والجِلسة، والنَعمة: التنعّم وهي في بناء المرّة الواحدة كالضربة والقبلة[3] ثمّ صارت النِعمة جنساً كأنّه بمعنى استدامة تلك الحال من غير انقطاع؛ وأنعم الله عليه، والمنعم عليه ينبغي أن يكون من الناطقين، لا يقال: أنعم على الفرس والحمار إلّا مجازاً، والنعماء بإزاء الضرّاء. وأصل «ن‌ع‌م» من اللين، والنعومة: اللين، والناعم: الليّن، وقد نَعِمَ ينعَم ونعُم ينعُم ونعِمَ ينعُم، وقالوا: إنّها متداخلة يعني أنّه مضارع «نعم»، فنقل إلى نعُم، ونعِم ينعِم شاذّة، والنُعْم خلاف البؤس.

و«الغبن»: مضارّة الآخر في المعاملة على خفية ما، تقول: غَبَن فلان، فإذا كان ذلك في الرأي قيل: غَبِن يقول: غَبِن رأيه أي في رأيه؛ ووصف تعالى يوم القيامة بيوم التغابن[4]، لأنّ من كان يصحّ منه أن يكون من أهل الجنّة صار من أهل النار.

فيقول صلى الله عليه وآله: إنّ هاتين النعمتين اللتين هما الصحّة والفراغ يغبن فيهما كثير من الناس، لأنّ

---

١ . سنن أبي داود: ٢٠/٤، ح ٣٩٢٤؛ سنن البيهقي: ١٤٠/٨، ح ١٦٣٠٥.

٢ . مسند الشاميّين: ٣٤٣/٤.

٣ . في المصدر: الشتمة، راجع: المفردات: ٨١٤؛ وفي خ: كالضرّ والقبلة.

٤ . «يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ»، التغابن: ٩.

الأكثر من الناس يصرّفون الصحّة إلى الفسق والبطالة وما لا يجدي عليهم شيئاً كما ينفقون الفراغ في الكسل والغفلة والنوم، فتذهب النعمتان منهم ضياعاً وباطلاً لا يكسبون فيهما خيراً ولا يحصلون منهما إلّا على الخسران المبين.

ولعمري أنّ الصحّة والفراغ نعمتان لا يحاط بقدرهما ولا يحصر خيرهما ولا يعرف مكانهما إلّا إذا ذهبا، ومن حقّ الصحّة أن تصرف إلى العبادة ويقصر عليها ولا يتهاون عن الانتفاع بها فيذهب *حسرات، وهي لا بدّ ذاهبة، فإنّها كظلّ سحابة تنقشع[١] عن قريب، وكيف تبقى الصحّة مع تعادي الطبائع وهجوم الروائع؛ وكذلك الفراغ، ينبغي أن يكون مشغولاً بذكر الله تعالى، فلا بدّ أن يكون مرحوماً بالشغل، وما أقلّ ما يلبث في هذه الدنيا الخدّاعة الغرّارة، وفوات كلّ من الصحّة والفراغ غبن لا غبن يعادله، فإنّه يمكن أن يحصل بهما النعيم الأبديّ والخير السرمديّ، فإذا فات فلا بدّ أن يكون خسراناً وغبينةً.

١٥٢

وقوله عليه السلام: «نعمتان» رفع خبر مبتدأ محذوف والتقدير: هما نعمتان وهاتان نعمتان، «الصحّة والفراغ» بدل من المبتدأ، ويجوز أن يكون «نعمتان» خبراً لمبتدأ وهو الصحّة والفراغ، كأنّه قال صلى الله عليه وآله: الصحّة والفراغ نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس، ويجوز أن يكون «نعمتان» مبتدأ والصحّة والفراغ خبراً، لأنّ النعمتين قد وصفا وحدثا.

وفائدة الحديث الحثّ على معرفة منزلة الصحّة والفراغ، وأنّهما نعمتان مسؤول عنهما في القيامة. وراوي الحديث عبد الله بن عبّاس.

قوله صلى الله عليه وآله: وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ

«ويل»: قبوح وكلمة عذاب، وويل حزن ومكروه، وتَوَيّل: إذا تحزّن، وكان تنكيرها مثل تنكير سلام. و«العرب» ولد إسماعيل عليه السلام، كأنّهم سمّوا بذلك لأنّهم أفصحوا باللغة العربيّة البيّنة، والإعراب: التبيين.

١. تذهب.

فيخبر ﷺ عمّا سيشمل العرب بعده من الخلاف والشقاق وسلّ السيوف والمماراة والمجادلة، وكان كما قال ﷺ، ولعلّه لم يقتل في أمّة من الأمم ما قتل في أمّة محمّد ﷺ، وإذا تفكّرت في ذلك بانت لك صحّته، انظر إلى ما كان في أيّام الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ، ثمّ إلى ما كان في الدولة الأمويّة، ثمّ إلى الدولة العبّاسيّة، كفانا الله فتن آخر الزمان؛ والإخبار بذلك كلّه علم معجز للنبيّ ﷺ.

وعن زينب بنت جحش قالت: «دخلتُ على رسول الله ﷺ وقال: لَا إِلَهَ إلّا الله، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ من شَرٍّ قد اقْتَرَبَ! فُتِحَ الْيَوْمَ من رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مثل هذه ـ وَحَلَّقَ بإصبعه الإِبْهَامِ والتي تَلِيهَا ـ قالت زَيْنَبُ: فقلت: يا رَسُولَ اللهِ! أَفَنَهْلَكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قال: نعم، إذا كَثُرَ الْخَبَثُ»[1]. والخبث: الشرّ[2] والمكروه؛ يجوز أن يكون هذا الكلام حقيقةً ويجوز أن يكون مثلاً لشرّ تَفَاقَم[3] صدعه أو خبر ‌*‌ أخبره الله تعالى به ممّا يكرهه لأهله ولأمّته والله أعلم.

١٥٣

وفائدة الحديث الإخبار بما سيكون بعده. وراوي الحديث أبو هريرة.

قوله ﷺ: الْجُبْنُ وَالْجُرْأَةُ غَرائِزُ يَضَعُهَا اللهُ حَيْثُ يَشَاءُ

«الجبن»: ضعف القلب، وقد جَبَن يجبُن مثل خرج يخرج، فهو جَبان وجَبُن بالضمّ فهو جبين، ويقال للمرأة أيضاً جَبان كحصان ورزان. و«الجرأة»: قوّة القلب والشجاعة، وقد جَرُءَ يَجْرُؤ جَراءةً ـ بالمدّ ـ وجُرأةً، ويقال للجرأة الجُرَة كالكُرَة فيسقطون الهمزة تخفيفاً، وفلان جريء المقدَم أي الإقدام. و«الغريزة»: القريحة والطبيعة التي غرّزها الله في الإنسان وطبعه عليها.

---

١. مسند أحمد: ٤٢٨/٦، ح ٢٧٤٥٤؛ صحيح البخاري: ١٢٢١/٣، ح٣١٦٨؛ كنز العمّال: ١٤٨/١٤، ح٨٨٦٨.

٢. في خ: والشرّ.

٣. عظَم.

يقول: إنّ الجبن والجرأة طبيعتان يخلقهما[1] الله لمن يشاء من عباده، يعني قوّة القلب وضعفه لا يقدر على إحديهما آدميّ، لأنّهما من فعل الله تعالى خاصّة، لأنّ أعنّة[2] القلوب بيده تعالى وتقدّس.

وفي الحديث: «قلب ابن آدم بين إصبعين من أصابع الرحمان»،[3] أي يقدّره ويقلّبه حيث ما شاء كما يكون بين إصبعيك شي فتقلّبه، وهذا مثل.

وفائدة الحديث أنّ الجبن والجرأة فعلان من فعل الله تعالى يختصّ بكلّ منهما ما يشاء من خلقه. وراوي الحديث أبو هريرة.

قوله صلّى الله عليه وآله: مِنْ كَنْزِ الْبِرِّ كِتْمَانُ الْمَصَائِبِ وَالْأَمْرَاضِ وَالصَّدَقَةِ

البرّ أصله التوسّع في الخير كما أنّ البرّ الأرض الواسعة، ويوصف العبد بالبرّ فيقال: هو بارّ وبَرّ أي مطيعٌ، وقد بررت ـ بالكسر ـ، ويوصف الله تعالى بذلك أيضاً ومن أسمائه المباركة البرّ أي الواسع الخير اللطيف بعباده. و«المصيبة»: النازلة التي تنزل بالإنسان، وتكون من فعل الله تعالى ومن فعل غيره، والمصُوبة أيضاً؛ وأصلها «صاوب»، وأجمعت العرب على همز مصائب بخلاف أخواتها على تشبيه الأصليّ بالزائد. و«المرض»: التياث[4] الجسم وخروجه عن حدّ الاعتدال. و«الصدقة»: ما يخرجه الإنسان من ماله متقرّباً إلى الله تعالى.

فيقول صلّى الله عليه وآله: إنّ من أُعين على كتمان ما يصاب به من مصيبة ونازلة وما سيحدث له من

---

١. في خ: يخافهما.

٢. جمع العنان.

٣. الإيضاح للفضل بن شاذان: ٥٣٢؛ أمالي سيّد المرتضى: ٢/٢؛ وراجع: مسند إسحاق: ٧٥٥/٣، ح١٣٦٩؛ سنن النسائي: ٤٤٣/٤، ح٧٨٦١.

٤. اختلاط والتفات.

علّة ومرض وما سيوفّق له من صدقة يتقرّب بها إلى ربّه فقد مُلّك كنز البرّ والخير، وذلك أنّ كتمان المصائب من الصبر الذي ثوابه بغير حساب وكذلك المرض والصدقة التي يتقرّب بها ✽إلى ربّه، ويجوز أن يشوبها شوب السمعة، فإذا كُتمت هذه الأمور جاءت كما أمر الله فوقعت موقع القبول فكأنّها كنز مذخور لصاحبها يوم القيامة، وذكر في البرّ في الحديث أنّه الجنّة،[١] وهي لعمري كلّ برّ.

١٥٤

وفائدة الحديث الأمر بكتمان هذه الأشياء والحثّ عليه، وتعريف أنّ ذلك كنز من كنوز الخير. وراوي الحديث ابن عمر.

قولهﷺ: مِنْ سَعَادَةِ الْمَرْءِ أَنْ يَشْبَهَ أَبَاهُ

«السعادة» أصلها نصرة الله تعالى العبد على نيله الخير، وقد سعَد الرجل ـ بالفتح ـ يسعد سعوداً وسعِد ـ بالكسر ـ فهو سعيد وسعد فهو مسعود وقد أسعده الله .

وروي في سبب الحديث: «أنّ النّبيّﷺ كَانَ فِي فُسْطَاطٍ فَجَاءَهُ السَّائِبُ بْنُ عَبْدِ يَزِيدَ[٢]، وَمَعَهُ ابْنُهُ فَنَظَرَ إِلَيْهِمَا، قَالَ: مِنْ سَعَادَةِ الْمَرْءِ أَنْ يُشْبِهَ أَبَاهُ»[٣].

وذلك أنّ الرجل إذا أشبه أباه لم يتخالج أحد التنكّر فيه ولم يعيّبوه أنّه لا يشبه والده، وكانت العرب يلحقون الأبناء بالآباء بالشبه، ويسمّون ذلك الفعل ـ أعني الإلحاق ـ قيافةً وقافةً . والعرب كثير، منهم مُجَزِّزُ المدلجيّ وابن كُرز الخُزاعيّ[٤] في آخرين، فلمّا جاء الإسلام بطلت القيافة واستقرّ الولد للفراش[٥]. ومع ذلك فإشباه الولد أباه محسمة للظنون، وربّما يكون

---

١ . عن أمير المؤمنينعليه السلام : «ثَلَاثَةٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ: كِتْمَانُ الصَّدَقَةِ وَكِتْمَانُ الْمُصِيبَةِ وَكِتْمَانُ الْمَرَضِ»؛ راجع: الإرشاد للشيخ المفيد: ٣٠٣/١؛ بحار الأنوار: ٤٢٣/٧٤.

٢ .كذا في المصادر، وفي خ: زيد.

٣ . مسند الشهاب: ١٩٨/١، ح٢٩٩.

٤ . هو معقل بن أبي كرز الخزاعيّ، راجع: نثر الدرّ: ١٢٣/٧؛ مناقب آل أبي طالبعليهم السلام : ١١١/١.

٥ . راجع: المغازي للواقدي: ٤٧٩/٢؛ مصنّف عبد الرزّاق: ٤٤٧/٧، ح١٣٨٣٣.

الولد لرِشْدة[1] ولا يشبه، لأنّ ذلك بحكم الله تعالى، بل الأكثر ذلك.

وفائدة الحديث أنّ الولد الذي يشبه أباه سعيد من حيث لا يذكر بشرّ. وراوي الحديث أنس بن مالك، قال: كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله ذَاتَ يَوْمٍ فِي فُسْطَاطٍ إِذْ جَاءَهُ السَّائِبُ بْنُ عَبْدِ يَزِيدَ، وَمَعَهُ ابْنُهُ، فَنَظَرَ إِلَيْهِمَا، وَقَالَ: «مِنْ سَعَادَةِ الْمَرْءِ أَنْ يُشْبِهَ أَبَاهُ».الحديث.

قوله صلى الله عليه وآله: مِنْ سَعَادَةِ الْمَرْءِ حُسْنُ الْخُلُقِ

مخرج الخَلق والخُلق واحد، وذلك أنّهما جميعاً من عطاء الله تعالى، إلّا أنّ الخَلق يختصّ بالصور والأشكال والخُلق بالسجايا والأحوال؛ والخليقة أيضاً الخُلق، وتخلّق فلان بخُلق كذا أي تكلّفه.

فيقول صلى الله عليه وآله: إنّ من السعادة أن يكون المؤمن حسن الخلق طيّب السجايا كريم الخِيَم[2] ميمون النقيبة محمود الطريقة يرغب الخلق في صحبته ولا ينفرون منه.

وفي الحديث: «أَوَّلُ مَا يُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ الْخُلْقُ الْحَسْنُ»[3].

١٥٥ وقال عليه السلام: «أحسنوا أملاءكم»[4] أي أخلاقكم وقد تقدّم ذكر *ذلك، والعبد قادر أن يتخلّق بالأخلاق الحسنة ولذلك قال: «حسّنوا أملاكم» .

وفائدة الحديث الثناء على حسن الخلق والحثّ على اختيار السجايا الكريمة. وراوي الحديث جابر بن عبد الله.

---

١ . صحيح النسب.

٢ . الطبيعة والسجيّة.

٣ . مصنّف ابن أبي شيبة: ٢١٢/٥، ح٢٥٣٣٧؛ مسند عبد بن حميد: ٤٥٢/١، ح١٥٦٥؛ كنز العمّال: ٥/٣، ح٥١٦٠.

٤ . كذا في المصادر، وفي خ: «حسّنوا أملاكم»؛ راجع: النهاية في غريب الأثر: ٣٥١/٤؛ وكذا راجع: تهذيب اللغة: ٢٩٠/١٥.

قوله صلى الله عليه وآله: أَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الدُّنْيَا هُمْ أَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الْآخِرَةِ

يقال فلان «أهل» لكذا أي خليق به؛ وأهل الرجل أصله من يجمعه وإيّاهم مسكن، ثمّ يتجوّز فيه لمن كان نسبيّه أو بلديّه أو صانعاً صناعته أو متديّناً بدينه، وأهل لكذا أي بينه وبين هذا الأمر نسبة. و«المعروف» كلّ فعل يعرف حسنه عرفاً وشرعاً وبالعكس من ذلك المنكر.

ومعنى الحديث ـ والله أعلم ـ: أنّ من يوَلّي الخير في الدار الدنيا يولّاه في الآخرة، أي يجري على ذلك، فكما كان في الدنيا أهل ذلك الخير بأن يعطي؛ فهو أهل له بأن يعطي والفعل يلابس المفعول كما يلابس الفاعل، فكأنّهما يمتدّانه من طرفيه. ويجوز أن يكون المعنى: أنّ أهل المعروف في الدنيا يشفعون في الآخرة في إخوانهم من المؤمنين المحتاجين إلى الشفاعة؛ وكلا الوجهين حسن مجوّز.

وفائدة الحديث إعلام أنّ من وُفّق في الدنيا للمعروف والخير كان مخصوصاً بالخير بالآخرة في نفسه ولغيره. وراوي الحديث أبو هريرة.

قوله صلى الله عليه وآله: الْخَازِنُ الْأَمِينُ الَّذي يُعطِي مَا أَمَرَ بِهِ طَيِّبَةً بِهِ نَفْسُهُ أَحَدُ الْمُتَصَدِّقِينَ

قد تقدّم الكلام في أفراد حروف هذا الحديث. يقول صلى الله عليه وآله: الخير الذي يصل إلى المستحقّ ينشر بركته؛ فالمعطي الذي يأمر به والخازن الذي يصل على يده والمحبّ المريد لذلك والحاثّ عليه كلّهم شركاء كالمعطي، والخازن الذي يصل الخير من يده إلى يد المستحقّ له خصوص بهذا الخبر من قبل أنّه هو كالسبب لملابسته له، فهو أحد المتصدّقين.

وقال: «طيّبة به نفسه»، حثّاً على طيب النفس بمال غير الخازن، وهو أنّ أبخل الباخلين من بخل بمال غيره؛ ولعمري إنّها لمنزلة عليّة وحسنة سنيّة وموهبة هنيّة تكون المال من

كيس غيرك وتصيب من الثواب في كيسك من غير إنفاق ولا غرامة.

وفائدة الحديث الحثّ على الأمانة والتصوّن وطيب النفس في فعل الخيرات. وراوي الحديث أبو موسى.

قوله صلّى الله عليه وآله: السُّلْطَانُ ظِلُّ اللهِ فِي الْأَرْضِ يَأْوِي [إِلَيْهِ] كُلُّ مَظْلُومٍ

١٥٦

*«السلاطة»: القهر، وقد سلّط الله فلاناً فتسلّط عليهم، والسُلطة اسم منه، ومن ذلك السلطان هو القاهر، والسَلاطَة تسمّى سلطاناً والحجّة تسمّى سلطاناً. و«الظلّ» أصله عدم أشعّة الشمس، وهو أعمّ من الفيء، ويقال ظلّ الليل، والفيء ما كانت عليه الشمس ثمّ زالت، ولفظ الفيء ينبئ عن ذلك ويعبّر عن الظلّ بالمنعة والعزّ والرفاهة، يقال: أظلّني فلان أي جعلني في ظلّه ومنعته الذي يأوي المظلومون إليه؛ فيستجيرون به ويعيشون في كنفه، فيؤويهم وينصرهم ويعينهم ويجبرهم، وهو غياثهم الذي يفزعون إليه وملاذهم الذي يتوكّلون عليه، وهو الملك العادل الذي ينصر الدين ويؤوي المسلمين، فالإسلام منه على بال والجور من خيبته مؤذن بالزيال[١]؛ ولا يعني به الظلمة المتحكّمين المتسلّطين على أعناق الرجال، فإنّهم يحتاجون إلى من يؤوي عليهم المسلمين ويكفّ أيديهم عن المظلومين.

وقال بعض الأصحاب الإشارات: إنّ المعنى فيه: أنّ السلطان يحاكي صورة فعل الله في المعدلة والنصفة، فإنّه ينصر المظلوم ويؤويه، ويقهر الظالم ويقضيه، فكأنّه ظلّ الله المحاكي أفعاله كما يقع ظلّ الشيء إلى الأرض والماء مثل صاحب الظلّ.

وفائدة الحديث إعلام أنّ السلطان العادل في الأرض كنائب الله عزّ وجلّ الذي يستعين به خلقه ويفزع إليه كلّ مظلوم محروم. وراوي الحديث عبد الله بن عمر.

---

١. الفراق.

قوله صلى الله عليه وآله: كَلامُ ابْنِ آدَمَ كُلُّهُ عَلَيْهِ لا لَهُ إلَّا أَمْرٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ نَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ أَوْ ذِكْرٌ لله

«الكلام» في عرف أهل اللسان الجزء المفرد اسماً كان أو فعلاً أو حرفاً، وهو عند أصحاب الأصول الجملة المركّبة المفيدة أو الواقعة ممّن يصحّ من قبيله الإفادة. وقال محقّقوهم: الكلام هو أخصّ من القول، لأنّ القول يقع على المفرد.

فيقول: إنّ كلّما يتكلّم به ابن آدم عليه إلّا ما كان أحد هذه الثلاثة التي ذكرها من المعروف والنهي عن المنكر وذكر الله تعالى؛ وللأمر بالمعروف شرط، وهو أن يكون متمكّناً من ذلك أمناً أن يجلب عليه أمره بالمعروف ألف منكر، وكذلك النهي عن المنكر؛ وللنهي أيضاً شرط، وهو أن يعلم أنّه لا يجرّ عليه ضرراً، فإذا علم أنّه لا يستضرّ *بنهيه ضرراً بليغاً فعليه أن ينكر بيده فيعيّر ويرفع، فإن لم يقدر باليد فعليه أن ينكر باللسان فيعظ ويزجر ويخوّف وينصح وينحّي ذا المروءة، فإن لم يقدر أنكر بقلبه غاية الإنكار متمنّياً أن يقدر على تغييره ودفعه ورفعه، فحينئذٍ يقع بذلك الإيجاب في عروة الصواب.

١٥٧

وروي: «إلّا أمراً بمعروف»[١]، وكذلك ما بعده، ووجهه واضح وسماعيّ الرفع، ووجه الرفع أنّ «إلّا» مع ما بعده بمنزلة «غير»، فكأنّه قال عليه السلام: غير أمرٍ بمعروفٍ، وهو في موضع الصفة لكلام ابن آدم فهو كقوله تعالى: «لَوْ كانَ فيهِما آلِهَةٌ إلَّا اللهُ لَفَسَدَتا»[٢]، والمعنى غير الله. ولقول الشاعر:

وكُلُّ أَخٍ مُفَارِقُهُ أَخُوهُ ... لعَمْرُ أَبيك إلّا الفَرْقَدانِ[٣]

١. المعجم الكبير: ٢٤٣/٢٣، ح ٤٨٤؛ مسند الشهاب: ٢٠١/١.

٢. الأنبياء ٢٢.

٣. قاله عمرو بن معديكرب؛ جمهرة الأمثال: ٢١/٢؛ نهاية الإرب في فنون العرب: ٥٨/١؛ جمهرة أشعار العرب: ١٣.

وهو محمول على مثل ذلك.

وفائدة الحديث إعلام أنّ الأمر بالمعروف أو النهي عن المنكر أو ذكر الله تعالى هو الذي يُجدي على ابن آدم ويعود عليه بخير، وما وراء ذلك كلّه عليه يؤاخذ به ويسأل عنه. وراوية الحديث أمّ حبيبة زوج رسول الله صلّى الله عليه وآله.

قوله صلّى الله عليه وآله: التُؤَدَةُ وَالاقْتِصَادُ وَالتَّثَبّتُ وَالصّمتُ جُزءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَعِشْرِينَ جُزءاً مِنَ النُّبُوَّةِ

«التؤدة»: الاستقامة والتثبّت والسكون[1]، ووزنه فُعلة والتاء بدل من الواو وأصله «وأدة» واتّأد وتوأّد: تثبّت. و«الاقتصاد»: توسّط الأمر بين الأمرين كالإفراط والتفريط ونحو ذلك، و«الصمت»: السكوت، تقول: صَمَت يصمُت صمتاً وصُمُوتاً وصُماتاً، ورجل صِمّيت سكّيت. و«النبوّة»: الرسالة، وهي من النبأ، لأنّه يخبر عن الله تعالى بأمره ونهيه، وأصل النبيّ على هذا همز ثمّ تركوا كما تركوا الهمز في الذرّيّة والرويّة. وليس فيه ذكر التثبّت وذكر في هذا الحديث على هذا الوجه.

ومعناه: أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله بعث بالنبوّة على رأس أربعين سنةً من عمره الذي هو ثلاث وستّون سنةً، وكان يوحى إليه عن سبع وثلاثين سنةً فيما يخصّه وقبل ولد كان محدّثاً معلّماً أحكاماً شرعيّةً يحتاج إليها إلهاماً وركزاً في القلب ووقراً في السمع، وكان مدّة نبوّته من حيث الحقيقة ستّة وعشرين، فكأنّه كان يقول عليه السلام في سنة سبع وثلاثين يثبت، وهي جزء من نبوّتي؛ والله ورسوله أعلم.

وفائدة الحديث من النبأ، لأنّه يخبر عن الله تعالى بأمره ونهيه، وأصل النبيّ فعيل بمعنى مُفعل أي منبأ كحبيب بمعنى مُحبّ، *والجمع نبآء[2] كعظيم وعظماء. ١٥٨

١. في خ: والسكون.

٢. في خ: أنبياء.

قال ابن عبّاس:

يـــا خَـــاتَم النُّـــبَآءِ[١] إنَّكَ مُـــرْسَلُ بـالحقّ كُـلُّ هُـدَى السَّـبِيلِ هُـدَاكَـا[٢]

ويجمع على أنبياء كوصيّ وأوصياء ودعيّ وأدعياء، وأصل النبيّ على هذا همز ثمّ تركوه كما تركوا الهمزة في النسخة الأولى التي كان القضاعيّ رحمه الله كسرها على ألف حديث، «التؤدة والاقتصاد والصمت جزء من ستّة وعشرين جزءاً من النبوّة»؛ واستدلّوا في ذلك بقولهم في مسيلمة: «نُبَيِّئَة سوء»[٣].

وقال بعضهم: هو من النَّبْوَة، والنَباوَة أي الارتفاع.[٤]

وروي أنّه قال عليه السلام لمن قال له: يا نبيء الله، فقال: «لست بنبيء الله، أنا نبيّ الله»[٥]. وقال: لا تبتروا باسمي، أي لا تهمزوا، والنَبْرة: الهمزة، و«قريش لا تنبر»[٦] أي لا تهمز.

أثنى صلى الله عليه وآله على هذه الأفعال وأخبر أنّها من أفعال الفتوّة وأشعار المروءة وأخلاق النبوّة، وصيّر مجموعها جزءاً من أجزاء النبوّة، لأنّ كلّ نبيّ نبأه الله تعالى متحلّ بهذه الأفعال، فكأنّها أجزاء من النبوّة، وهذه الأفعال الأربعة المذكورة في الحديث متقاربة المعنى كان مستقاها من مَعين واحد، وتخصيصه الستّة والعشرين من بين العدد، وقوله عليه السلام: «جزء من ستّة وعشرين جزءاً من النبوّة» ثلاثة في ستّة وعشرين تكون ثمانية وتسعين، وهي الخصال المذكورة في الثمانين التي لا ينبغي أن لا يخلو المؤمن المخلص منها، وهي مجموعة معروفة.

وقال عليه السلام: «الإِيمَانُ بِضْعَةٌ وَسِتُّونَ بَاباً أَعْلاهَا شَهَادَةُ أَنْ لا إِلَهَ إلا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ

---

١. كذا في المصادر، وفي خ: الأنباء.

٢. كتاب سيبويه: ٤٦٠/٣؛ المقتضب: ١٦٢/١؛ جمهرة اللغة: ١٠٢٨/٢.

٣. كتاب سيبويه: ٤٦٠/٣؛ المخصص: ٤٧٤/٣.

٤. السنّة للخلال: ١٩٢/١ـ١٩٣، ح٢٠٨؛ تفسير السمعاني: ٨٧/١؛ الفائق: ٤٠١/٣.

٥. الزاهر في معاني كلمات الناس: ١١٣/٢، ح٦٢٨؛ الفردوس بمأثور الخطاب: ٤٢٠/٣، ح٥٢٨٤.

٦. الأفعال: ٢٤٣/٣.

الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ»[١].

وقد فسّر هذه الأبواب الراغب في كتاب الذريعة[٢] على ما فسّر.

وروى الطبرانيّ في معجمه الصغير وساد الإسناد إلى عبد الله بن سرجس، قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله: «الْهَدْيُ الصَّالِحُ وَالسَّمْتُ الصَّالِحُ وَالاقْتِصَادُ وَالتُّؤَدَةُ جُزْءٌ مِنْ أَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ جُزْءاً مِنَ النُّبُوَّةِ»[٣].

وهذا يزيد على ذلك العدد وبعضه قريب من بعض.

وقيل: «النبيّ: الطريق»[٤]. [وقيل]:

لأَصْبَحَ رَتْماً دُقَاقُ الحَصَى مَكان النَّبيِّ مِن الكَاثِبِ[٥]

والنبيّ سمّي بذلك لأنّه طريق إلى الله عزّ وجلّ فيما لا يعلم عقلاً.

وقال اليزيديّ: إنّما سمّي الأنبياء أنبياءً لأنّهم قد ارتفعت درجتهم واستعلت منزلتهم على سائر الخلق.[٦]

وأثنى صلى الله عليه وآله على أمّته والتخلّق بهذه الأخلاق إعلام أنّها من أخلاق النبوّة ترغيباً لأمّته في تنخّلها[٧] والتوسّم بها. وراوي الحديث ابن عبّاس رضي الله عنه. ١٥٩

١. مصنّف ابن أبي شيبة: ٣٠٥/٥، ح٢٦٣٤٣؛ التمهيد: ٢٣٦/٩؛ أمالي الجرجاني: ١٩/١.

٢. الذريعة إلى مكارم الشريعة.

٣. المعجم الصغير: ٢٢٢/٢، ح١٠٦٥؛ الفقيه والمتفقّه: ٥١/٢؛ كنز العمّال: ١٠١/٣، ح٦٣٧٦.

٤. قاله الكسائي، راجع: تهذيب اللغة: ٣٤٩/١٥؛ تفسير الطبري: ٣١٧/١.

٥. قاله أوس بن حجر، راجع: العين: ٣٥٢/٥؛ غريب الحديث لابن سلام: ١٢٤/٢؛ أنشده في ضمن بحر متقارب تامّ، أوّله: «ألم تكسف الشمس والبدر».

٦. لم أقف عليه.

٧. تخيّرها.

قوله صلى الله عليه وآله: الْأَنْبِيَاءُ قَادَةٌ وَالْفُقَهَاءُ سَادَةٌ وَمُجَالَسَتُهُمْ زِيَادَةٌ

«الأنبياء» جمع نبيّ، وهو من بعثه الله بالرسالة إلى خلقه لتعليم ما ليس لهم في المعقول دليل عليه؛ و«القادة» جمع القائد، وهو الرئيس المتقدّم للقوم يقودهم إلى ما يشاء، والقوّاد أيضاً جمع قائد؛ و«الفقهاء» جمع فقيه، والفقه: الفهم، وفقه الرجل وأفقهتك الشيء، ثمّ اختصّ بعلم الشريعة وما كان فقيهاً، ولقد فقه وتفقّه إذا طلب هذا العلم فتخصّص به؛ و«السيّد» هو الكبير الذي يتولّى أمر سواد الناس أي جمعهم الكثير، وأصله سَيْوِد فيعل من السواد، فقلبت الواو ياءً وأدغمت في الياء، يقال: سادهم يسودهم سيادةً وسودداً وسيْدودةً، وسادة فعلة كأنّه جمع سائد كذائد وذادة وطائع وطاعة، وجمعوا سيّداً على سيائد كما جمعوا جيّداً على جيائد بالهمز، وهذا على الشذوذ، لأنّ جمع فيعل فياعل بلا همز.

فيقول صلى الله عليه وآله: الأنبياء قادة الناس يقودونهم إلى الخير ويرأسونهم، لأنّهم متّبعون ووسائط بين الله تعالى وخلقه، فلذلك وصفوا بذلك. وقال عليه السلام: «الفقهاء سادة»، لأنّهم يسودون الناس بما لهم من علم الرسول صلى الله عليه وآله، لأنّهم ورثته الذين ورثوا علمه، فهم سادة الناس الذين يشرحون لهم معاني كلام النبيّ صلى الله عليه وآله ويتبيّنون لهم أحكام شرعه صلى الله عليه وآله. وقال عليه السلام: «مجالستهم زيادة»، لأنّ الذي يجلس إليهم ربّما يسألهم عن مسألة أو كلمة فيشرحونها أو يسألهم غيره فيسمع ما يجري على ألسنتهم من الخير أو يعمل به، فتلك زيادة تحصل له.

وفائدة الحديث إعلام حال النبوّة والفقه، والأمر بإجلال تلك العلوم، ومجالسة أصحابنا.

وراوي الحديث أمير المؤمنين عليه السلام.

قوله صلى الله عليه وآله: الْمُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعطِهِ كَلابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ

وروي: «بما لم يملك»[1]، «المتشبّع»: من يريد أنّه شَبْعان وليس كذلك، ويستعير لكلّ من

١. في المصادر: «بما لا يملك»؛ راجع: غريب الحديث لابن سلام: ٢/٢٥٢؛ مسند الشهاب: ١/٢٠٤؛ الفائق: ٢/٢١٦.

يريد شيئاً لا يملك ولا يقدر عليه إيهاماً أنّ له ذلك، كمن يريد أنّه زاهد وليس به أو عالم وليس كذلك. وذكر «ثوبي زور» على التشبيه زيادة في الشنعة، ومن عادتهم تثنية الشيء تنويهاً على اسمه وإعلاماً به وتذكيراً بمكانه.

وقيل في قوله تعالى: «وَلِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ»[١]: أنّها جنّة واحدة،[٢] واحتجّ في ذلك بقول الشاعر:

ومَهْمَهَيْنِ قَذَفَيْنِ مَرَّتَيْنْ قَطَعْتُه بالسَّمْتِ لا بِالسَّمْتَيْنْ[٣]

١٦٠

*قال: قطعته لأنّه أراد مَهْمَهاً واحداً. وهذا كثير في كلامهم، ويكون المعنى أنّه يكذب في ذلك كذباً لميعاً وزوراً شنيعاً. وقد ذكر أنّ معنى «ثوبَي زور» أن يصل كُمين بكُمّي دثاره فيرى أنّ تحت دثاره قميصاً وهو كاذب؛ وهذا الوجه كما ترى إلّا أنّه قد ذكرناه، ويجوز أن يكون إشارة إلى التطبّع فيما يتنحّله من مذهب وطريقة؛ والعرب تكنّي بالثوب عن حال لابسه وعن مذهبه. قال:

وإنّي بِحَمْدِ اللهِ لَا ثَوبَ غَادِرٍ لَبِسْتُ وَلَا مِنْ ريبةٍ أَتَقَنَّعُ[٤]

وروي في سبب الحديث: «أنّ امرأةً آتت النبيّ صلى الله عليه وآله فقالت: يَا رَسُولَ اللهِ! إنَّ لي ضَرَّةٍ، فَهَلْ عَلَيَّ جُنَاحٌ أَنْ أَتَشَبَّعَ بِمَا لَمْ أعطِ؟ فَقَالَ صلى الله عليه وآله: المُتَشَبِّعُ بِمَا لا يملك[٥] كَلَابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ»[٦].

ومعنى الحديث: أنّ الذي يتكبّر بما ليس عنده فهو كالكاذب الذي قنع بكذبه، يسخر من نفسه ويظنّ أنّه يسخر بالناس، لأنّه مزوّر غير محقّق.

---

١. الرحمن: ٤٦.

٢. ذكر عن الفرّاء، راجع: تفسير السمرقندي: ٣٦٥/٣؛ تفسير الثعلبي: ٨٨/٤.

٣. راجع: تفسير الثعلبي: ٨٨/٤؛ التفسير الكبير: ١٠٨/٢٩؛ المحكم والمحيط الأعظم:٤٧١/٨.

٤. قاله غيلان بن سلمة الثقفيّ؛ راجع: غريب الحديث للخطابي: ٦١٣/١؛ الزاهر في معاني كلمات الناس: ٤٣٣/١.

٥. كذا في خ، وفي المصادر: المُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ.

٦. مصنّف عبد الرزّاق: ٢٤٨/١١، ح٢٠٤٥٢؛ مسند أحمد: ١٦٧/٦، ح٢٥٣٧٩.

وفائدة الحديث: النهي عن الصلف والتكبّر وادّعاء ما لا يقدر عليه وليس في ملك[١].
وراوي الحديث أمير المؤمنين عليه السلام.

قوله صلى الله عليه وآله: الْوُضُوءُ قَبْلَ الطَّعَامِ يَنْفِي الْفَقْرَ وَبَعْدَهُ يَنْفِي اللَّمَمَ وَيُصحّحُ الْبَصَر

أصل «الوضاءة» النظافة والحُسْن، تقول: وَضُؤَ يَوْضَؤَ وَضَاءَةً؛ وصار الوُضُوء في الشرع اسماً للتطهّر والاستعداد للصلاة، تقول: توضّأت ولا يجوز توضّيت. والوضوء الماء الذي يتوضّأ به، وهو أيضاً كالمصدر من توضّأت للصلاة كالولوع والقبول. وقال اليزيديّ: المصدر بالضمّ الوضوء. وقال أبو عمرو: لم أسمع إلّا الفتح في الاسم والمصدر.[٢]

و«اللمم» طرف من الجنون، وأصل «لمم» في كلامهم: المقاربة للشيء، تقول: ألمّ به، واللمام والإلمام: مقاربة الزيادة، ويقال: ألمّ به ولم يفعل، أي قاربه. و«الوضوء» في الحديث على أصله في اللغة وهو النظافة والتنظّف، فهو كناية عن غسل اليدين.

ولعمري إنّه قبل الطعام في غاية الحسن، لأنّ الإنسان لا يدري أين تكون يداه وماذا تمسّان؛ فالأولى به أن يغسلهما قبل الطعام، وإذا تناول شيئاً فالأولى أن يغسلهما نفياً للوَضَر والزُهومة[٣] التي ربّما تتلوّثان به.

فيقول صلى الله عليه وآله: إنّ التنظّف قبل الطعام ينفي الفقر، لأنّه أجلّ الرزق الذي رزقه الله تعالى ❊فتنظّف له، فكان هذا الفعل منه ممّا يبارك فيه. «وبعده ينفي اللمم» يعني السوداء التي تعرض للإنسان هل يده طاهرة أم لا، وإذا غسلهما قطع على النظافة والطهارة وسلمت ثيابه من الدنس والزهومات، والإنسان مشغول القلب بثيابه. وقوله عليه السلام: «يصحّح البصر» يجوز

١٦١

١. في خ: ملكك.
٢. راجع: الصحاح: ٨١/١.
٣. الوَضَر: الدَرَن والدسَم؛ والزُهُومة: الريح المنتنة.

أن يكون لمكان انتفاء الزهومات، فهي مما تؤذي العين، وكذلك كلّ ريح كريهة، فإنّ العين تتأذّى بها، ولعلّ لذلك خاصّيّة عرفها رسول الله صلى الله عليه وآله.

وفائدة الحديث الأمر بغسل اليدين [قبل الطعام] وبعده تنظّفاً وتطهّراً. وراوي الحديث موسى بن جعفر عن أبيه عن آبائه عليهم السلام عن النبيّ صلى الله عليه وآله.

قوله صلى الله عليه وآله: الْقَاصُّ يَنْتَظِرُ المَقْتَ، وَالمُسْتَمِعُ إلَيهِ يَنْتَظِرُ الرَّحْمَةَ، وَالتَّاجِرُ يَنْتَظِرُ الرزْقَ، وَالمحُتَكِرُ يَنْتَظِرُ اللَّعْنَةَ

«القاصّ»: الذي يَسرُد القصص والحكايات، وقد قصّ يقال: قصصتُ له الحديث قصصاً، واقتصصت اقتصاصاً، والاسم القصص ـ بالفتح ـ وضع موضع المصدر حتّى غلب عليه. والقصص بالكسر جمع قصّة وهي الأمر والحديث تذكره لغيرك. «المقت»: البغض الشديد. و«الرحمة» أصلها الرقّة الجالبة للإحسان إلى المرحوم، وهي من الله تعالى الإحسان والفضل. و«الاحتكار»: جمع الطعام وحبسه على من يشتريه به تربّصاً للغلاء، واسمه الحُكرة. و«اللعنة»: الطرد والإبعاد على وجه السخط.

فيقول صلى الله عليه وآله: إنّ القاصّ الذي يصدف الناس عن أشغالهم بما يحكيه من الحكايات ويضيف إليها من التزويقات[1] ينتظر المقت وبغض الخلق وسخط الباريء ـ جلّت قدرته ـ، وذلك لأنّ غرضه ليس الوعظ لله وفي الله، وإنّما هو منجّم[2] يحبس الناس على حلقته بما زوّق من كلامه، وربّما يكذب فيما يرويه وإنّما غرضه الخِلابة[3] وخداع الناس عن أموالهم والمراءاة حتّى يفسّح له في المجالس ويبدأ بالسلام، وذلك شيء لم يكن في عهد النبيّ صلى الله عليه وآله ولا في عهد الصدر الأوّل من أصحابه ـ رضوان الله عليهم ـ وإنّما ظهر في الفتنة.

١. التزيينات.

٢. في خ: مهنجم.

٣. الخديعة باللسان.

وروي عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «إنّ بني اسرائيل لمّا قَصُّوا هَلَكُوا»[١].

وعنه عليه السلام: «لا يقصّ إلّا أميراً أو مأموراً أو مُراءٍ»؛[٢] وكان كعب الأحبار يقصّ، فلمّا سمع هذا الحديث ترك القصص.[٣]

١٦٢

وعنه عليه السلام: *«يَكُونُ في آخِرِ الزَّمَانِ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ يَأْتُونَكُمْ بِالْأَحَادِيثِ بِمَا لم تَسْمَعُوا أَنْتُمْ ولا آبَاؤُكُمْ، فَإِيَّاكُمْ وَإِيَّاهُمْ أن يفتنوكم أو يُضِلُّوكُمْ»[٤] وهم القصّاص، رواه أبو هريرة.

وروي «أنّ أمير المؤمنين عليه السلام دخل مسجد الكوفة فرأى قاصّاً يقصّ، فقال: من هذا؟ قالوا: رجل يحدّث. قال: إنّ هذا رجل يقول: اعرفوني أنا فلان بن فلان، فسلوه هل يعرف الناسخ من المنسوخ؟! فسألوه فقال: لا، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: فلا تحدّث»[٥].

وفي كلام للحسن البصريّ أنّه قال لهؤلاء: «تفرّقوا فرّق الله بين أعضائكم وأصلابكم»[٦].

ونظر زين العابدين عليّ بن الحسين عليهما السلام إلى الحسن البصريّ وهو يقصّ عند الحجر، فقال: «يَا حَسَنُ! أَتَرْضَى نَفْسَكَ لِلْمَوْتِ؟ قَالَ: لَا، فَعَمَلَكَ لِلْحِسَابِ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَثَمَّ دَارٌ لِلْعَمَلِ غَيْرُ هَذِهِ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَللهِ تعالى فِي أَرْضِهِ مَعَاذٌ غَيْرُ هَذَا الْبَيْتِ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَلِمَ تَشْغَلُ [النَّاسَ] عَنِ الطَّوَافِ[٧]»[٨].

فيقول صلى الله عليه وآله: القاصّ ينتظر المقت والبغض، أي يحصل على مقت الناس وسخط الربّ،

---

١ . الفردوس: ٢٣١/١، ح٨٨٦؛ النهاية: ٧١/٤.

٢ . راجع: مسند أحمد: ١٨٣/٢، ح٦٧١٥؛ سنن الدارمي: ٤١٠/٢، ح٢٧٧٩.

٣ . راجع: مسند عبد الرحمن بن عوف: ٩٦، ح٤٩؛ تاريخ مدينة دمشق: ٣٨/٣٤.

٤ . صحيح مسلم: ١٢/١، ح٧؛ شرح مشكل الآثار: ٣٩٨/٧؛ كنز العمّال: ٨٥/١٠، ح٢٩٠٢٤.

٥ . الناسخ والمنسوخ للنحاس: ٥١ـ٥٢؛ نواسخ القرآن: ٣٠؛ كنز العمّال: ١٢٤/١٠، ح٢٩٤٤٩.

٦ . في المصادر: «بين أرواحكم وأجسامكم»؛ راجع: المجالسة وجواهر العلم: ٧٨، ح٤٦١؛ حلية الأولياء: ١٥١/٢؛ تاريخ مدينة دمشق: ٣٧٧/٤٥.

٧ . كذا في المصادر، وفي خ: فلم تشتغل وعن الطواف فيقول الناس.

٨ . أماليّ سيّد المرتضى: ١٣٣/٢؛ مناقب آل أبي طالب عليهم السلام: ٢٩٧/٣؛ بحار الأنوار: ١٣٢/٤٦، ح٢٢.

لأنّ غرضه التشادق والتفاصح[١] لا الخير، فإنّه يريد أن يتّسق نظام كلامه فيزيد وينقص، فيكذب من حيث لا يدري، وربّما تعمّد ذلك قلّة مبالاة وسخافة دين، ثمّ إنّه يكثر [كلامه] ومن كثر كلامه كثر سقطه. ومن أين له الكثير الصحيح؟! ومن أصعب ما يعرض في ذلك دعاؤه للظلمة، يجلس مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله فينافق ويدعوا لمن اللعنة إليه أقرب والسخط به أولى، ولعلّ المدعوّ له في بقايا خماره أو لم يغسل وجهه بعد، وأكثر ما يدعا لهؤلاء، فلو أتى بوعظ الشرق والغرب لما وقع في مقابلة دعائه لهم.

وفي الحديث: «إذا زكّي الفاسق اهتزّ العرش»[٢].

فكيف يبارك الله في قوم هذا دأبهم، يزكّون على الله الظلمة والفاسقين، ولهذا يقال في الشام للكرسيّ الذي يقصّ عليه: حمار الكذّابين.

«وهو ينتظر المقت» أي يؤول أمره إلى ذلك، والعامّيّ المسكين إذا سمع منه ذكر الله وذكر رسوله ظنّ به خيراً فجلس إليه ليسمع موعظةً فهو ينتظر الرحمة.

ثمّ قال عليه السلام: «والتاجر ينتظر الرزق»، يعني التاجر الصدوق الأمين الذي لا يحلف كاذباً ولا يبخس في البيع ولا يخون ولا يسرق بل يؤدّي الأمانة فيما *هو بصدده، فهو ينتظر النماء والبركة من الله تعالى، وهو بعرض ذلك. ١٦٣

وفي الحديث النبويّ: «التَّاجِرُ الصَّدُوقُ الْأَمِينُ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ»[٣].

والمحتكر الذي يحبس الطعام على الناس عند احتياجهم إليه واستغنائه عنه يتربّص به اصطياد أموالهم وذهاب بيوتهم، ينتظر اللعنة والإبعاد من رحمة الله تعالى، ويصل إليه في الآخرة ويشقى في دار الدنيا؛ فأخبر بذلك عن معاينة؛ فكم قد رأيتُ المحتكرين وقد جمعوا

١ . تشدّق: توسّع في المنطق؛ والتفاصح: تكلّف الفصاحة.

٢ . عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «إذا مدح الفاسق غضب الله واهتزّ لذلك العرش»؛ راجع: الصمت واداب اللسان: ١٤٤، ح٢٢٨؛ معجم أبي يعلى: ١٥٦، ح١٧١؛ شعب الإيمان: ٤/ ٢٣٠، ح٤٨٨٦.

٣ . سنن الدارمي: ٣٢٢/٢، ح٢٥٣٩؛ كنز العمّال: ٤/ ٥، ح٩٢١٧.

أموالاً جمّة، ثمّ رأيتهم ولم يبق لهم ما يتقوّتونه؛ «فهو ينتظر اللعنة» أي بعرض ذلك.

وروي عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «الِاحْتِكَارُ فِي عَشَرَةِ أشياءَ: في الْبُرِّ وَالشَّعِيرِ وَالتَّمْرِ وَالزَّبِيبِ وَالذُّرَةِ وَالسَّمْنِ وَالزَّيْتِ وَالْعَسَلِ وَالْجُبُنِّ وَالْجَوْزِ»[١].

وعن عثمان بن عفّان: «مَنِ احْتَكَرَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِنْ طَعَامِهِمْ ضَرَبَهُ اللهُ بِالْجُذَامِ أو بِبَلاءٍ»[٢].

وعن النبيّ صلى الله عليه وآله: «مَنْ تَمَنَّى الْغَلاءَ عَلَى أُمَّتِي لَيْلَةً واحدةً، أَحْبَطَ اللهُ عَمَلَهُ أَرْبَعِينَ سَنَةً»[٣].

وفي الحديث: إنّ محتكر الطعام يحشر مع قتلة الأنبياء عليهم السلام.[٤]

وعن الحسن البصريّ: «من تربّص بطعام أربعين يوماً يريد به الغلاء ثمّ تصدّق به لم يكن كفّارةً لما صنع»[٥].

وفي الحديث: «مَنْ جَلَبَ طَعَاماً إِلَى مِصْرٍ مِنْ أَمْصَارِ الْمُسْلِمِينَ فباعَهُ بِبيعِ يَومِهِ كَانَ لَهُ عِندَ اللهِ أَجْرُ شَهِيدٍ في سبيلِ اللهِ تعالى»[٦].

وفائدة الحديث النهي عن القصص والاحتكار والأمر بأداء الأمانة. وراوي الحديث العبادلة رضي الله عنهم.[٧]

---

١. طبّ النبيّ: ٢٢؛ بحار الأنوار: ٥٩/٢٩٢؛ وراجع: الفردوس: ١/١٢٣ـ١٢٤، ح ٤٢٤.

٢. عنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله؛ راجع: التاريخ الكبير: ٨/٢١٧، ح ٢٧٧٤؛ سنن ابن ماجه: ٢/٧٢٩، ح ٢١٥٥؛ كنز العمّال: ٤/٤٠، ح ٩٧١٨.

٣. الفردوس: ٣/٥٥٥، ح ٥٧٤٤؛ تاريخ بغداد: ٤/٥٩.

٤. في المصادر: «يُحْشَرُ الْحَكَّارُونَ وَقَتَلَةُ الأَنْفُسِ إلى جَهَنَّمَ فِي دَرَجَةٍ وَاحِدَةٍ»؛ راجع: الفردوس: ٥/٤٧٦، ح ٨٨١٤؛ كنز العمّال: ٤/٤٢، ح ٩٧٣٩.

٥. نقل عن الصادق عليه السلام؛ راجع: الأمالي للطوسي: ٦٧٦، ح ١٤٢٧؛ وسائل الشيعة: ١٧/٤٢٦، ح ٢٢٩٠٥.

٦. نقله ابن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وآله، راجع: قوت القلوب: ٢/٤٤٩؛ تاريخ بغداد: ١٣/٤٧٢؛ كنز العمّال: ٤/٤٢، ح ٩٧٤٠.

٧. هم: عبد الله بن عمر، عبد الله بن زبير، عبد الله بن العبّاس وعبد الله بن عمرو؛ راجع: المعجم الكبير: ١٢/٤٢٦، ح ١٣٥٦٧.

قوله صلى الله عليه وآله: السَّعَادَةُ كُلُّ السَّعَادَةِ طُولُ الْعُمُرِ فِي طَاعَةِ اللهِ

«السعادة»: مدد الفيض الإلهيّ في النصرة على إدراك الخير.

فيقول صلى الله عليه وآله: إنّ السعادة بأجمعها لعبد طال عمره، فاستسعد بطاعة الله تعالى ولم يضيّع عمره العزيز في البطالة والنوم والكسل والقعود عن الواجب عليه، وعلم أنّ عمره ذاهب فاستدرك بقيّته فحبسها على العبادة فمن فعل ذلك فقد ربح في سوق دنياه، ومن أغفل ذلك وأهمله غبن نفسه وغبن رأيه وخسر في معاملته خسراناً لا يتجبّر بعده نعوذ بالله من الخذلان.

وفي كلام بعضهم: «إِنَّ الدُّنْيَا كَانَتْ وَلَمْ أَكُنْ فِيهَا، وَسَتَكُونُ وَلا أَكُونُ فِيهَا، وَإِنَّمَا لِي مِنْهَا أَيَاماً قَلائلَ، فإن سعدتُ بها فأنا سعيدٌ، وَإِنْ شَقِيتُ فَأَنَا شَقِيٌّ»[١]. وروي ذلك عن ❋بعض ١٦٤ أهل البيت عليهم السلام.

وفائدة الحديث الحثّ على الطاعة وتعريف أنّ طول العمر في الطاعة يورث السعادة. وراوي الحديث ابن عمر.

قوله صلى الله عليه وآله: الشَّقِيُّ كُلُّ الشَّقِي مَنْ أَدْرَكَتْهُ السَّاعَةُ حَيّاً لَمْ يَمُتْ

«الشقاوة» على الضدّ من السعادة، و«الساعة» كناية عن القيامة، وأصل الساعة الجزء من الزمان، ويقال: ساعة سَوْعَاءُ أي شديدة مشاهرةً ومشابهةً ويقال: إنّ الساعة قد أطلقت على ثلاثة أوجه: على القيامة التي هي يوم البعث وهي الكبرى كما في هذا الحديث، والساعة الوسطى هي موت القرن الأوّل وروي أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله رأى عبد الله بن أنيس فقال: إن يطل عمر هذا الغلام لم يمت حتّى تقوم الساعة فكان آخر من مات من الصحابة، والساعة الصغرى موت الإنسان.[٢] وفي الحديث: «مَنْ مَاتَ منكمْ فَقَدْ قَامَتْ قِيَامَتُهُ، يرى مَا لَهُ مِنْ

---

١. نقل عن أعرابيّ؛ راجع: المجالسة وجواهر العلم: ٤٩، ح ٢٧٠؛ شرح نهج البلاغة: ١٤٥/٦؛ مختصر تاريخ دمشق: ١١٧/٨.

٢. راجع: المفردات: ٢٤٨.

خيرٍ أو شَرٍّ»[١]. وروي أنّه عليه‌السلام كان إذا هبّت ريح شديدة تغيّر لونه، فقال: تخوّفت الساعة. وقال عليه‌السلام: ما أمدّ طرفيّ ولا أغضّها إلّا وأظنّ الساعة قد قامت، يعني موته صلى‌الله‌عليه‌وآله.[٢]

فيقول صلى‌الله‌عليه‌وآله: شرّ الناس من قامت عليه القيامة، وهو حيّ بعد، وذلك أنّ في آخر الزمان عند إظلال القيامة يرتفع التكليف وتغلق باب التوبة، لأنّ تلك الحالة مثل حالة الناس «لا يَنْفَعُ نَفْساً إيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ»[٣]، لأنّها شبيهة بحالة النزع، لأنّ في تلك المدّة يصير الشكّ إيقاناً والظنّ عياناً ويزل زمام الاختيار عن يد المختار، ويُرهَق[٤] إلى وهلة الاضطرار، فشرّ الناس من يقوم القيامة الحقيقيّة عليه، لأنّه ممّن ارتفع تكليفه ولم يؤمن بعد.

وفائدة الحديث تعريف أنّ القيامة تقوم على شرّ الناس وإنّ التكليف ينقطع إذا ظهر عنوان القيامة ولاحت تباشير[٥] الحسرة والندامة. وراوي الحديث عبد الله بن جَراد.

قوله صلى‌الله‌عليه‌وآله: الْوَيْلُ كُلُّ الْوَيْلِ لِمَنْ تَرَكَ عِيَالَهُ بِخَيْرٍ وَقَدِمَ عَلَى رَبِّهِ بِشَرٍّ

قد تقدّم الكلام في الويل وأنّها كلمة ويح[٦] وعذاب، وقال عطاء بن يسار: الويل وادٍ في جهنّم لو أرسلت فيه الجبال لماعت نعوذ بالله منه.[٧] وقيل: الويل جبّ في جهنّم.[٨]

كأنّه يقول صلى‌الله‌عليه‌وآله: العذاب كلّ العذاب أي العذاب الشديد معدّ لمن ترك عياله بخير، أي

---

١. حلية الأولياء: ٢٦٨/٦؛ الفردوس: ٢٨٥/١، ح١١١٧؛ كنز العمّال: ٢٣٣/١٥، ح٤٢١٢٣.

٢. راجع: المفردات: ٢٤٨.

٣. الأنعام: ١٥٨.

٤. ويكلّف.

٥. جمع التبشير، البشرّ؛ وتباشير الصبح: أوائله.

٦. في خ: فنوح.

٧. الزهد لابن المبارك: ٩٥/١؛ تهذيب اللغة: ٣٢٧/١٥.

٨. في أكثر المصادر: الفلق جبّ النار، راجع: تفسير السمرقندي: ٦١٠/٣.

١٦٥ أبقى لهم مالاً من وجه حرّمه الله عليه، فجمعه وكدّ فيه *نفسه وأتعب بدنه وشغل خاطره واستفرغ وُكْدَه[١] وجهد جهده وأطار نومه[٢] حتّى اشترى به الشقاوة الأبديّة والمذلّة السرمديّة، فعياله المخلّفون يرتعون فيه وينفقونه طلقاً حلالاً ويكسبون به خير الدنيا والآخرة، والكادّ الكاسب يعرض على النار غدوّاً وعشيّاً، ويقدم على ربّه يوم القيامة وقد قتل هذا وغصب ذاك وكذب على هذا وسعى على ذاك إلى أمثال ذلك ممّا يفتخر به أبناء زماننا هذا وينسبون من يتعاطي ذلك إلى الكيّس والنجابة ومن يتحاماه[٣] إلى الغرارة والغفلة وقلّة المعرفة بأمور الدنيا؛ ولقد قال لي في بعض هذه الأيّام إنسان من المتصرّفين : إنّك قليل البصر بأمور الدنيا، فقلت: إنّي أعرفها غاية العرفان، ولكن أربأ[٤] بنفسي عن تعاطيها، فخذ على ما التصرّف وما البراعة في أمور الدنيا التي تجهّلني فيها، هو أن تغضب كلّ ما تقدر عليه، ولا يكون كلامك إلّا كذباً وتسعى بكلّ ما تقدر عليه حتّى تذهب ثلثه وتضرب بين كلّ اثنين بعرفانك أو تعرفها، وتجمع ولا تبالي من أين اجتمع وتحقد وتحسد وتشرب وتزني ولا تصلّي ولا تصوم ولا تؤمن بالله ولا باليوم الحساب، أو أعرف أمور الدنيا أم لا؟! فتشوّ[٥] وسامحه الله.

وفائدة الحديث تخويف من اكتسب مالاً من غير حلّه ليتركه على عياله والنهي عن ذلك. وراوي الحديث ابن عمر.

قوله صلّى الله عليه وآله : دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ مُسْتَجَابَةٌ وَإِنْ كَانَ فَاجِراً فَفُجُورُهُ عَلَى نَفْسِهِ

قد تقدّم القول على الفجور وأنّه في الأصل شقّ الستر وصدع الديانة، وربّما يستعمل

١ . الوُكد: السعي والجهد.
٢ . نفّر ودفع نومه.
٣ . يتوقّوه ويجتنبوه.
٤ . أرتفع.
٥ . كذا في خ، ولعلّ الصواب: فتشوّه.

بمعنى الكذب كقوله تعالى: «لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ»[١] على ما قيل،[٢] والله أعلم بمراده، وأكثر ما جاء في القرآن الفجور بمعنى الكفر، ولا شكّ أنّ كلّ كفر فجور وزيادة.

فيقول صلّى الله عليه وآله: إنّ دعاء المظلوم مستجاب؛ وكم قد رأينا وشاهدنا دعائهم وقد استجيب.

وقد جاء في الحديث: «الظلم البحت يبتر العمر»[٣]؛ وذلك لأنّ المظلوم العاجز المقهور يعجز عن كلّ متمسّك ويسدّ عليه المنافذ، فيلجأ إلى الله تعالى وينقطع إليه فيدعوه من حُرْقَة قلبه، فيستجيب عزّ وعلا دعاءه ويسمع ندائه ويقهر ظالمه ويكفّ عاديته ويكلّ[٤] أظفاره ويسلبه قوّته عليه.

وقوله عليه السلام: «وَإِنْ كَانَ فَاجِراً فَفُجُورُهُ عَلَى نَفْسِهِ» معناه: أنّه على الجملة يقرّ بالله تعالى ويعلم أنّه خالقه، ولا يوجد من الكفّار على أنواعهم من ينكر الخالق رأساً إلّا الدهريّة، *فإذا اشتكى إلى ربّه سمع ظُلامته[٥] وأولى الظالم ملامته والمظلوم سلامته، فيقول: إنّ الفجور لا يحجب الدعاء ولا يمنع الإجابة، وذلك أنّه على الجملة عبده ومربوبه الذي يعطيه أصول النعم من الحياة والشهوة والنفرة ويرزقه ولا يحبس عنه رواضع[٦] النعم وموادّ الرزق فتى يرضى أن يظلم عبد مثله في العبوديّة؟! فقد جمعتهما العبوديّة وأوجبت المماثلة بينهما.

١٦٦

فأمّا العقائد والديانات فإنّه لا تعلّق لها بالظلم والعدل؛ واعتبر بالشاهد، هل يرضى مَلك من ملوك بني آدم أن يكون له مملوك فيظلمه غيره ويهضمه ويسلبه نعمته وهو في حرز الملك وتحت قدرته فيسكت عنه ولا يدفع عنه ظلمه؟! فما لا يرضاه ابن آدم كيف

١ . القيامة: ٥.

٢ . قاله ابن عبّاس؛ راجع: جامع البيان: ٢٢١/٢٩، ح٢٧٥٥٠؛ تفسير الطبري: ١٧٨/٢٩؛ تفسير السمعاني: ١٠٣/٦.

٣ . لم أقف عليه، في بعض المصادر: «عقوق الوالدين» وفي بعضها: «الزنا» يبتر العمر.

٤ . يضعف.

٥ . الظُلامة: ما يطلبه المظلوم.

٦ . جمع الراضعة وهي مؤنّث الراضع.

يرضاه الخالق عزّ وعلا؟! وقوله تعالى: «وَما دُعاءُ الْكافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلالٍ» [١]، فإنّه ليس من قبيل هذا الدعاء، لأنّه في النار ــ نعوذ بالله منها ــ وإن حملت الفجور على الفسق سُهِل الأمر وتخلّص من الاعتراض.

وفائدة الحديث الزجر عن الظلم وتخويف الظالم بأنّ الله تعالى يسمع دعاء المظلوم وإن كان فاجراً. وراوي الحديث أبو هريرة.

قوله صلى الله عليه وآله: ثَلاثُ دَعَواتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لا شَكَّ فِيهِنَّ: دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ وَدَعْوَةُ الْوَالِدِ عَلَى وَلَدِه

يقول صلى الله عليه وآله: إنّ هذه الثلاث الدعوات مستجابات لا شكّ فيهنّ، منها دعوة المظلوم لما تقدّم الكلام عليه. ودعوة المسافر لأنّه ممتحن مكدود [٢] يعني [٣] يحتمل أعباء سفره [و]مراقبة خطره، فكأنّ العبد كلّما كان أضعف قلباً وأشدّ حُرقةً وأكثر همّاً كان أقرب إلى الله تعالى؛ وكذلك قال: «أنا عند المنكسرة قلوبهم» [٤]، ثمّ إنّه ربّما كان ذلك السفر طاعة، والمطيع على شرف استماع الدعاء. وأمّا دعوة الوالد على ولده فلحقوقه الكثيرة عليه: الأوّل: أنّه أحد أسباب وجوده، والمرهَق [٥] لنفسه طلباً لسلامة ولده، والساهر لنومه، والمعنّى لراحته، والمفتقر لغناه، والمتخطّ في هواه؛ فإذا قابله بالحقوق وإنكار الحقوق كان بالحريّ أن يسمع الله تعالى دعاء والده المظلوم عليه.

وفائدة الحديث الزجر عن الظلم والعقوق، وإعلام أنّ هؤلاء الثلاثة المذكورين في

---

١. الرعد: ١٤.

٢. مغلوب.

٣. في خ: معنى.

٤. التفسير الكبير: ٧٦/٢؛ نظم الدرر: ٦٢٧/٢.

٥. المحمول عليه في الأمر ما لا يطيق.

الحديث على شرف الإجابة. وراوي الحديث أبو هريرة.

قوله صلى الله عليه وآله: الْقُضَاةُ ثَلاثَةٌ: قَاضيانِ فِي النَّارِ وَقاضٍ فِي الْجَنَّةِ

١٦٧

القضاء ينطلق على معاني وهو هاهنا عبارة عن *فصل الحكم من الناس.

ويقول صلى الله عليه وآله: إنّ القضاة ثلاثة، فقسّمهم ثلاثة أنواع: أحدها مصيب، والآخران هالكان متردّيان في النار.

فالأوّل من الهالكين: أن يتولّى القضاء وليس له بأهل، لجهله بالكتاب والسنّة والفقه وأحوال الشريعة يتقلّد القضاء وغرضه أن يصطاد أموال الناس، فنصب التديّن شَرَكاً يحوش إليه[1]، يرتشي ويظلم ويسلّ ويهضم، ويحلّ الحرام ويحرم الحلال، ويلغ في الدماء، ويدور على درهم يغصبه وحطام يكسبه؛ ليست الديانة منه على بال.

والثاني: أن يكون عالماً ولكن غرضه أيضاً غرض الجاهل، فهو أحذق صناعةً وأمتن بضاعةً، يبيع الدين بمحقّر من الدنيا ولا يفكّر في العقبى، فيظلم ويجور بل يهلك ويبور؛ ومن يتحاكم إليه يعتمد عليه ويحسن الظنّ بمكانه لعلمه ومعرفته ولا يعلم أنّه جعل علمه آلةً يصطاد بها وشبكةً يسوق إليها؛ فيتصاحبان إلى النار وهي أولى بهما.

والثالث الذي هو أهل الجنّة، هو العالم الذي تعينه الديانة وتحوطه الأمانة وتحيفه الصيانة وتتبرّأ منه الخيانة، يقضي بما يعلم ويحكم بما يفهم، وهو خائف ممّا شرع فيه، عالم بالله تعالى ومراضيه، محيط بالتنزيل والتأويل، عارف بالناسخ والمنسوخ والخاصّ والعامّ والمحكم والمتشابه والمفصّل والمجمل، قد قبل علم الأحكام والحلال والحرام، لا تأخذه في الله لؤمة لائم، فهو الذي يحمل بين يديه أطباق النور ويُرتب له لباس الحبور.

وهيهات أن يكون أكثر قضاة زماننا من الصنف الأوّل، وأقلّهم من الصنف الثاني والصنف الثالث، سمعت به ولم أشاهده. وهو أمير المؤمنين عليه السلام إذ زكّاه صلى الله عليه وآله وقال: «أقضاكم

---

١ . الشَرَك: حبالة الصيد؛ وحاش: جمع وساق.

عليّ»[1].

ثمّ أقول: ويل لمن تلبّس بالقضاء وإن كان نقيّ الجيب طاهراً من كلّ ريب، فإنّه لا بدّ أن يدفع إلى مضايق لا يمكنه التفصّي منها والتخلّص عنها؛ أوما سمعت بأبي حنيفة وقد عرض المنصور عليه القضاء، كيف تفادى[2] وتقاعس[3] مع علمه بذلك ومعرفته بمكاسره حتّى ضرب عليه فلم يجب وحبس فلم يجب إلى أن مات في سجنه واحتال للمتلمّس[4] منه فقال: «إنّي لا أصلح للقضاء، ولا يخلو كلامي هذا من أن يكون صدقاً أو كذباً، فإن كان صدقاً فهو كما قلت، وإن كان كذباً فالكاذب لا يصلح أن يقضي بين الناس»[5].

١٦٨ وقال عليه السلام: «الْقَاضِي الْعَادِلُ يُجَاءُ بِهِ، *يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَلْقَى مِنْ شِدَّةِ الْحِسَابِ مَا يَتَمَنَّى أَنْ لا يَكُونَ قَضَى بَيْنَ اثْنَيْنِ فِي تَمْرَةٍ واحدةٍ»[6].

وقال عليه السلام: «مَنْ طَلَبَ الْقَضَاءَ وُكِلَ إِلَيهِ، وَمَنْ أُجْبِرَ عَلَيْهِ وُكِّلَ به ملكٌ يُسَدِّدُهُ»[7].

وفي الحديث: «إذَا كَانَ يَومُ الْقِيَامَةِ نَادَى مُنَادٍ من السماءِ: أَيْنَ الظَّلَمَةُ وَأَعْوَانُ الظَّلَمَةِ! حتّى مَنْ رَبَطَ لَهُمْ كِيساً أو برئ قلماً أو ألاقَ[8] دَوَاةً فيحشرونَ جميعاً إلى النَّارِ»[9] أو كما

---

١. الاحتجاج: ١٦٣/٢؛ بحار الأنوار: ٣٣٤/٤٧، ح ١؛ وراجع: تمهيد الأوائل: ٥٤٣.

٢. تفادى من الشيء: إذا تحاماه وانزوى عنه.

٣. تأخّر.

٤. في خ: للتلمّس.

٥. راجع: البصائر والذخائر: ٢١٣/٩؛ سنن البيهقي: ٩٨/١٠، ح ٢٠٠٢٤؛ تاريخ بغداد: ٣٢٨/١٣.

٦. مسند الطيالسي: ٢١٧، ح ١٥٤٦؛ صحيح ابن حِبّان: ٤٣٩/١١، ح ٥٠٥٥؛ كنز العمّال: ٣٧/٦ و٣٩، ح ١٤٩٨٨ و١٥٠٠٨.

٧. سنن الترمذي: ٦١٤/٣، ح ١٣٢٤؛ مسند أحمد: ٢٢٠/٣، ح ١٣٣٢٦.

٨. في المصادر: لاق.

٩. راجع: ثواب الأعمال: ٢٦٠؛ النوادر للمؤلّف: ١٥٩؛ أعلام الدين: ٤٠٨؛ جامع الأخبار: ١٥٥؛ بحار الأنوار: ٣٨٠/٧٢، ح ٤٤.

قال صلى الله عليه وآله.

فروي أنّ أحمد بن حنبل لمّا حبس كان طول نهاره يعظ المحبوسين ويزجرهم عن المعاصي ويرويهم الأخبار ويُحدثهم بالأحاديث ويحسّن لهم التوبة والإنابة، وكان السجّان، يشاهد ما يرى، فروى لهم ذات يوم هذا الحديث فبكى السجّان وقال: أيّها الشيخ أنا من أعوان الظلمة؟ قال: معاذ الله، ففرح السجّان، فقال أحمد: بل أعوان الظلمة المزيّن الذي يزيّنك والخيّاط الذي يخيط ثوبك والقصّار الذي يقصر لك والبقّال الذي يعاملك وأنت عين الظالم.[1]

وقال الشاعر:

إذَا خَانَ الأَمِيرُ وَكَاتِبَاهُ وَقَاضي الأَرْضِ دَاهَنَ فِي القَضَاءِ

فَوِيلٌ ثُمَّ وَيْلٌ ثُمَّ وَيْلٌ لِقَاضِي الأَرْضِ مِنْ قَاضِي السَّمَاءِ[2]

وقال مجاهد: «يُؤْتَى بِمُعَلِّمِ الْكُتَّابِ المكتب يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَإِنْ كَانَ عَدَلَ بَيْنَ الْغِلْمَانِ، وَإِلَّا أُقِيمَ مَعَ الظَّلَمَةِ»[3].

وقال عليه السلام: إنّ في النار وادياً إذا فتح استغاثت جهنّم من حرّه، وفي ذلك الوادي بئراً إذا فتحت استغاث ذلك الوادي من حرّها، يدخلها أهل الجور من العمّال والأمراء؛[4] أو كما قال.

وقال أيّوب السجستانيّ لمّا مات ابن أذينة ذكر أبو قلابة للقضاء فهرب إلى اليمامة، قال أيّوب: فلقيته بعد ذلك، فقلت: وما كان عليك لو دخلت في القضاء؟ قال: إنّي وجدت أمراء القضاء في ثلاثة نفر ركبوا سفينةً: أحدهم ماهر بالسباحة لا يكاد يغرق إلّا قليلاً، والثالث لا يعرف شيئاً فانكسرت السفينة، فالذي لم يحسن غرق في الحال، والذي يحسن شيئاً كابد الماء

---

١. لم أقف عليه.

٢. بغية الطلب في تاريخ حلب: ٤٥٣/١؛ السلوك في طبقات العلماء والملوك: ١٦٤/١؛ المستطرف: ٢٢٠/١.

٣. المجالسة وجواهر العلم: ١٠٧، ح٦١٩؛ عيون الأخبار: ٣١.

٤. لم أقف عليه؛ راجع: الخصال: ٣٩٨ـ٣٩٩، ح١٠٦؛ بحار الأنوار: ٣١٠/٨ـ٣١١، ح٧٧.

هُنَيْهَةً[١] ثمّ غرق، وأمّا الذي هو ماهر بالسباحة فكابد الماء وكابده فغرق بعد أيّام؛ فلم أر أحداً منهم نجا؛ فكذلك القاضي وإن كان عالماً فهماً فلا يكاد ينجو إلّا من عصمه الله تعالى بفضله.[٢]

وما أحسن ما ضرب أبو قلابة المثل للقضاء، فإنّه كذلك حذو النعل بالنعل.

وفائدة الحديث التحذير من القضاء والدخول فيه والتكلّف له والجُنُوح[٣] إلى واديه. وراوي الحديث ابن عمر؛ وفي آخر الحديث: «قَاضٍ قَضَى بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ فَهُوَ فِي النَّارِ، ‎١٦٩ *وَقَاضٍ قَضَى بِالْهَوَى فَهُوَ فِي النَّارِ، وَقَاضٍ قَضَى بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَهُوَ فِي الْجَنَّةِ».[٤]

قوله ﷺ: خَصْلَتَانِ لا تَكونَانِ فِي مُنَافِقٍ: حُسْنُ سَمْتٍ وَفِقْهٌ فِي الدِّينِ

كان أصل الخصل: القطع، يقول: سيفه مخصل أي قاطع، والخصل في النضال: الخطر الذي يخاطر عليه كأنّه قطع رهينةً، وتخاصل القوم: تراهنوا في الرمي، وخصلتهم: غلبتهم، والخَصْل: القرطسة، والخُصْلة: اللفيفة من الشعر، والخَصلة: الخلّة تكون في الإنسان وهي التي في الحديث. و«المنافق» الذي يدخل في الدين لفظاً ويخرج منه عقداً، واشتقاقه من النافِقاء وهي جُحر اليربوع[٥]، يقال: نافق اليربوع إذا دخل في جحره، والنافقاء جحر يكتمه ويظهر غيره ويقال للظاهر من جحرته «القاصعاء»، فإذا أتي من قبل القاصعاء خرج من النافقاء، وقد انتفق اليربوع أي خرج؛ وجمع النافقاء نوافق، والنَفَق: السَرَب.

---

١ . قليلاً من الزمان.

٢ . راجع: مصنّف ابن أبي شيبة: ٥٤٣/٤، ح٢٢٩٨٧؛ المجالسة وجواهر العلم: ٣١٨، ح١٨٦٧.

٣ . الميل.

٤ . مسند الشهاب: ٢٠٩/١ـ٢١٠، ح٣١٧.

٥ . حيوان من الفصيلة اليربوعيّة، له ذنب طويل ينتهي بخصلة من الشعر وهو قصير اليدين طويل الرجلين.

فيقول صلى الله عليه وآله: إنّ هاتين الخلّتين لا تكادان توجدان في المنافق: حسن الطريقة، ـ و«السمت»: الطريق، وقد سمَت يسمُت: قصد السمت، والسمت: هيأة الخير يعني أنّ المنافق يسخر ويستهزئ ويمحن ولا يبالي ما فعل وما قال، لأنّه لا خوف معاد عليه يصدّه عمّا لا يعنيه ـ؛ ولا الفقه في الشريعة، وماذا يصنع بالفقه إذا لم يؤمن به، بل يتشبّه ويرى ويلبس ولا يتمشّ له، فإنّ الله تعالى يفضحه ولا يتركه مستور الحال.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «مَا أَضْمَرَ أَحَدٌ شَيْئاً إِلَّا ظَهَرَ فِي صَفَحَاتِ وَجْهِهِ وَفَلَتَاتِ لِسَانِهِ»[1].

وفائدة الحديث إعلام أنّ هاتين الخصلتين المحمودتين: هيأة الصلاح والفقه في الدين، لا يوجدان في المنافق. وراوي الحديث عبد الله بن سلام.

قوله صلى الله عليه وآله: خَصْلَتَانِ لا تَجْتَمِعَانِ فِي مُؤْمِنٍ: الْبُخْلُ، وَسُوءُ الْخُلُقِ

قد تقدّم الكلام في البخل ومعناه، وأصعب البخل الامتناع من إخراج حقّ الله تعالى؛ و«سوء الخلق» من أقبح الخصال الذميمة.

يعني عليه السلام أنّ المؤمن سهل الجانب سمح لا يبخل بما يعلم أنّه تاركه من قليل؛ ودَمِث الأخلاق طاهر الأعراق لا ينفّر جليساً ولا يؤذي أنيساً، بل يعامل بالأحسن الأوفق والأجمل الأرفق، ويعاشر أخاه بأحسن المعاشرة، فلا يشحّ بما تحويه ذات يده على الإخوان ولا يسيء معاشرته للخلّان.

ومضمون الحديث: أنّ الإيمان يأمر بذلك، ❊وليس الغرض أنّه لا يمكن أن يكون مؤمن متمسّكاً[2] أو سَلَس[3] الأخلاق، بل هو آمر بأنّه ينبغي أن يكون المؤمن سمحاً بذّالاً وحسن

١٧٠

١. نهج البلاغة: ٤٧٣، حكمة ٢٦؛ بحار الأنوار: ٢٠٤/٧٢، ح ١١.

٢. كذا في خ، والصواب: ممسكاً.

٣. كذا صحّح في خ، والصواب: سيّئ.

الخلق مزّاحاً متبسّماً غير عابس ولا باسر لئلّا ينفر عنه إخوانه ولاينفر منه أخدانه.

وفائدة الحديث الأمر بالسماحة والسخاء والنهي عن سوء الخلق. وراوي الحديث أبو سعيد الخُدريّ.

قوله صلّى الله عليه وآله: عَيْنَانِ لا تَمَسُّهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ فِي جَوْفِ اللّيلِ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تحرسُ فِي سَبِيلِ اللهِ

عظّم [رسول] الله صلّى الله عليه وآله هذين الأمرين: البكاء من خشية الله، والحراسة في سبيله؛ وللبكاء منزلة عظيمة لا تنال بغيره لما فيه من الخشوع والتواضع والانقطاع إلى الله تعالى.

وفي الحديث: «إنَّ القطرةَ مِنَ الدَّمْعِ تُطْفِئُ بُحُوراً مِنَ النَّارِ»[1] وهو غاية القَرع ونهاية الجزع.

فيقول صلّى الله عليه وآله: إنّ العين الباكية من خشية الله تعالى محرّمة على النار، وكذلك العين التي تحرس جيش الإسلام إذا عادوا إلى مُعَسكرهم معيّين[2] من حرّ الجلاد وتعب العَراك فينطرحون، فالنوم إليهم أقرب وعليهم أغلب، فالعين التي تحفظهم وتحرسهم محرّمة على النار، وكذلك العين التي تربأ لهم[3] حتّى لا يهجم عليهم العدوّ على غرّة ولا يغشون بغتةً.

وفائدة الحديث الإخبار عن عظيم ثواب الباكي والحارس في سبيل الله، والتنويه بذلك والتنبيه على فضله ومنزلته. وراوي الحديث أبو هريرة.

قوله صلّى الله عليه وآله: مَنْهُومَانِ لا يَشْبَعَانِ: طَالِبُ عِلْمٍ وَطَالِبُ دُنْيَا

«النَهم»: بلوغ الغاية في الشيء والحرص عليه والولوع به، وقد نُهِم بكذا فهو منهوم أي مولع.

---

١. راجع: نوادر الأصول: ٢٠٢/٢؛ شعب الإيمان: ٤٩٥/١، ح٨١٢؛ الفردوس: ٩٧/٤، ح٦٣٠٤؛ كنز العمّال: ٦٣/٣، ح٥٩٠٨.

٢. كذا في خ.

٣. تصير طليعة لهم والطليعة الذي يرقب العدوّ من مكان عال لئلّا يدهم قومه.

فيقول صلى الله عليه وآله: إنّ طالب العلم لا يشبع منه، وذلك أنّه لا يتناهى، فكلّما حصل شيئاً تاقت نفسه إلى ما سواه، فلا يكاد يشبع منه.

وقال عليه السلام: «وَكُلُّ طَالِبِ [عِلْمٍ] غَرْثَانُ إلى عِلْمٍ»[١].

وكذلك الدنيا، كلّما حصل منها شيئاً أراد أن يجمع إليه غيره للحرص المجبول فيه والشهوة المغرزة في طباعها؛ فأحد هذين الحرصين ممدوح وهو نهمة العلم، والآخر مذموم وهو الحرص على الدنيا، لأنّها تصرفه عن كلّ خير وتصدّه عن العبادة التي هي رأس ماله.

وما أحسن ما قال:

ألم تر أنّ المرء طول حياته مـعنىً بـأمر لا يـزال يـعالجه

كـدود كـدود القـزّ يـنسج دائـباً ويهلك غـمّاً وسط ما هو ناسجه[٢]

[١٧١] *وصاحب الدنيا تظنّ أنّ راحته في الكثرة، وكلّما استكثر منها نشب[٣] في حبالته، والشيطان يسوّل له أنّه إذا استكثر كفى المؤونة وسلم من التعب والنصب لها. وقد شبّهه صاحب كليلة ودمنة بمن تطفئ النار بالتبن، فكلّما أكثر عليها زادها تدخيناً وأذىً،[٤] فهذا مثل الدنيا؛ والراحة في القناعة والإقبال على الغرض المطلوب منه.

و«منهومان» رفع مبتدأ لاختصاصه، و«طالب علم» وما بعده خبر، ويجوز أن يكون بالعكس من ذلك، لأنّ النكرة في مثل هذا الموضع تقوم مقام المعرفة، لأنّه ليس الغرض به التخصيص.

وفائدة الحديث إعلام أنّ صاحب العلم وصاحب الدنيا يشتاقان إلى الازدياد فيهما.

وراوي الحديث العبّاس بن عبد المطّلب.

---

١ . سنن الدارمي: ٩٨/١، ح ٢٨٥؛ الفردوس: ٢٦٢/٣، ح ٤٧٧٩؛ مسند الشهاب: ١٥٠/١.

٢ . قاله أبو الفتح البستيّ، راجع: دميّة القصر: ١٥٧/٣؛ مجمع الأمثال: ١٥٧/٢؛ حياة الحيوان الكبرى: ٤٧٦/١؛ المستطرف: ٢٤٣/٢.

٣ . نشب في الشيء: علق ووقع فيه.

٤ . راجع: المجالسة وجواهر العلم: ٩٢، ح ٥٤٨؛ البصائر: ١٢/١.

قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: الشَّيخُ شَابٌّ فِي حُبِّ اثْنتينِ: فِي حُبِّ طُولِ الْعُمرِ وكَثْرَةِ الْمالِ

يبيّن صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أنّ الشيخ وإن تراجعت قوّته وتنقصت قدرته فإنّ شهوته كما كانت وحرصه على ما مضى، ولعلّه أحرص من الشابّ قد قضى الشهوات وذاق عسيلتها وانتفع بمكانها فهو أعرف بمكاسرها منه والشابّ بعدُ غُرّ غافل عن هذه الأحوال.

فيقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: إنّ شهوة الشيخ لا تتقاصر عن شهوة الشابّ في حبّ هذين: طول الحياة وكثرة المال، ولعمري أنّ كلّاً منهما مشتهىً؛ أمّا الحياة فهي أصل اللذّات ولو لاها لما حصل الالتذاذ بشيء من الملاذّ، وأمّا المال فهو معشوق بني آدم الذي يطوفون عليه وينساقون إليه وينزلون لديه؛ فالشيخ شابّ في هذين أي راغب فيهما لم يتقاعد به طول العمر عن الرغبة فيهما.

والغرض المقصود من قول النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ نهي المشايخ عن الرغبة في الدنيا وطول الحياة، فإنّ الشيخوخة لو عرضت للشجر والحجر والحشيش لكانت مؤذنةً بزواله ومُعلمةً باضمحلاله.

وروي أنّ شهر بن حوشب تلبّس ذات يوم ليدخل على بعض الملوك، فنظر في المرآة فرأى شيبةً فأخذها بيده، ثمّ خلع لباسه ونقص عمامته، وجعل يقول: «السُّلْطَانُ بَعْدَ الشَّيْبِ. السُّلْطَانُ بَعْدَ الشَّيْبِ»[١].

وحكي عن يونس بن حبيب قال: «قال رُوبة بن العجّاج: حتّى متى تسألني عن هذه الأباطيل وأزوقها لك؟! أما ترى الشيب قد بلغ في لحيتك»[٢] أي ظهر.

١٧٢ *وفي كلامهم: «الشيب وكلّ عيب»[٣]. وقال الشاعر:

---

١ . العمر والشيب: ٧١، ح٦٧؛ حلية الأولياء: ٥٩/٦؛ تهذيب الكمال: ٥٧٨/١٢.

٢ . الأغاني: ٣٦٠/٢٠؛ طبقات فحول الشعراء: ٧٦٧/٢؛ غريب الحديث لابن قتيبة: ٧٢١/٣؛ بغية الوعاة: ٣٦٥/٢، ح٢٢٠٦.

٣ . التمثيل والمحاضرة: ٨١؛ دميّة القصر: ٧٢٧/٢.

مَـنْ شَـابَ قـد مـاتَ وهـو حـيٌّ يَمـشي عـلَى الأرضِ مشيَ هـالِكْ
لو كــانَ عــمر الفَــتَى حِــساباً لكــــانَ في شـــيبِهِ فَــــذَلِكْ[1]

وقال:

سـلامٌ عـلَى سَـيْرِ القِـلاصِ مـا الرَّكبِ سلامٌ على شُـربِ المُدامَـةِ[2] والشُّـربِ
ســـلامُ فـــتى لم يـــبقَ مـــنهُ بـــقيَّةٌ سـوَى نـظرِ العـينينِ أو شـهوةِ القـلبِ[3]

وفي كلام العرب: «الشيب وكلّ عيب».

فالأجمل بالشيب أن يخشع ويعتذر لما مضى، فإنّ بقيّة عمر المرء لا قيمة لها، بها يدرك ما فات، فعليه بالبكاء والخضوع والانقطاع والخُنُوع[4].

وفـائدة الحـديث إعـلام أنّ الشيخ لا تفتر شهوته ولا تـنقص رغـبته لمكان شيخوخيّته وسقوط قوّته، والإشارة فيه إلى نهيه عنه والامتناع منه. وراوي الحديث أبو هريرة.

قـولهﷺ : أَرْبَـعَةٌ يـبْغِضُهُمْ اللهُ تـعَالى: الْبَـيَّاعُ الْحَـلَّافُ، وَالْفَقِيرُ الْمُخْتَالُ، وَالشَّيْخُ الزَّانِي، وَالْإِمَامُ الْجَائِرُ

أخبرﷺ أنّ الله تعالى يبغض هؤلاء الأربعة:

أوّلهـم: البـيّاع الحـلّاف الذي يـبيع محـقّراً لا قـدر له ولا قـيمة، فـلمكان شعيرة أو حـبّة يكسبها يتبدّل اسم الله تعالى تنفيقاً لسلعته وترويجاً لمعاملته، ولو كان عالماً بقدر الله ــ عزّ

---

١ . أنشده أبو القاسم نصر بن أحمد البصريّ لنفسه؛ راجع: الزهد الكبير: ٢٥٤؛ محاضرات الأدباء: ٣٥٩/٢؛ نهاية الأرب: ٣١/٢.

٢ . كذا في خ، وفي المصادر: ووصل الغواني والمداومة.

٣ . قاله إسحاق بن إبراهيم بن الموصليّ؛ راجع: البيان والتبيين: ٥٠٣؛ العقد الفريد: ٣٥٥/٦؛ محاضرات الأدباء: ٣٩٤/٢.

٤ . خَنَع فلان خنْعاً وخنوعاً: فجر وأتى أمراً قبيحاً، فاستحيا منه ونكّس رأسه.

وعلا اسمه ـ لكان يَرْبَوَ[١] عن التفوّه به فيما لا قيمة ولا قدر، فإنّ حطام الدنيا كائناً ما كان أخسّ وأبذل من ذلك.

وروي أنّ النبيّ عليه السلام مرّ بشاة ميّتة فقال لأصحابه: ما قدر هذه الشاة الميتة عند أهلها؟ قالوا: لا قدر لها. فقال صلى الله عليه وآله: والذي بعثني بالحقّ، الدنيا عند الله تعالى أهون من هذه عند أصحابها.[٢] أو كما قال عليه السلام.

وليس قدر الدنيا بالغاً هذا المبلغ، بل هي جيفة يتنازعها كلاب تتهارش عليها.

وما أحسن ما قال القائل:

ومن يذقِ الدُّنيا فَإنّي طعمتُها وَسِيقَ إلَينَا عَذْبُها وعَذابُها

فَما هِي إلّا جِيفَةٌ مُسْتَحِيلَةٌ عليها كلابٌ همُّهنَّ اجتذابها

فإنْ تَجْتَنِبْها كُنْتَ سِلْماً لأَهْلها وإن تَجْتَذِبْهَا نَازَعتْكَ كِلابُهَا[٣]

وقال عليه السلام: «لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ لَما سَقَى كَافِراً منها شَرْبَةَ مَاءٍ»[٤].

والثاني: الفقير المختال الذي يتكبّر ويحدب أهداب الخيلاء، فما أقبح ذلك بالمتموّلين فكيف بالفقراء!

١٧٣ وروي أنّ المهلّب بن أبي صُفرة دخل البصرة أميراً عليها، فدخل *المسجد وهو يتبختر لشبابه وماله، فنظر إليه مُطرّف بن عبد الله بن الشحين، فقال: أيّها الفتى! لا تمش هذه

---

١. علا وارتفع.

٢. راجع: مصنّف ابن أبي شيبة: ٨٦/٧، ح٣٤٣٨٩ـ٣٤٣٩١؛ مسند أحمد: ٣٢٩/١، ح٣٠٤٨؛ سنن ابن ماجه: ١٣٧٦/٢، ح٤١١٠.

٣. قاله الشافعيّ، راجع: التفسير الكبير: ١٠٣/٢٠؛ السلوك في طبقات العلماء والملوك: ١٥٨/١؛ كشف الخفاء: ٤٩٣/١.

٤. عن رسول الله صلى الله عليه وآله، راجع: الأمالي للصدوق: ٣٠٥، ح٣٤٨؛ الاختصاص: ٢٤٣؛ بحار الأنوار: ٢٠/٤٣، ح٧و ١٢٤/٧٠، ح١١٤؛ وراجع: مصنّف ابن أبي شيبة: ٧٨/٧، ح٣٤٣٢٤؛ سنن الترمذي: ٥٦٠/٤، ح٢٣٢٠.

المشية، فإنّها مشية يبغضها الله تعالى، فقال: كأنّك لا تعرفني؟ فقال: بلى، أنا أعرفُ الناس بك، أوّلك نطفة مذرة، وآخرك جيفة قذرة، وأنت ما بين ذلك حمّال بول وعذرة، أفأعرفك أم لا؟![1]

فالاختيال والتكبّر يقبح بالأغنياء وأصحاب الأموال، فكيف بالفقير المعدم! فلذلك كان أبغض وأقرب إلى المذمّة.

والثالث: الشيخ الزاني، ولعلّه أبغض الأربعة، كيف يستجيز من انتهى عمره وقارب أجله وأكل أكلة، فملك الموت عليه‌السلام يَلمَحه الشَزْرَ[2] ويحسم منه العمر، قد بيّض سواده وسوّد فؤاده بعد أن رقّ جلده ودقّ عظمه، تصبو نفسه وتميل قلبه إلى الفضائح فيزني.

وفي مصحف ابن مسعود: «الشَّيْخُ وَالشَّيْخَةُ إذَا زَنَيَا فَارْجُمُوهُمَا نَكَالاً مِنَ اللهِ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ». يقول: إنّها آية من كتاب الله.[3]

والرابع: الإمام الجائر الذي قلّد أمر العامّة والخاصّة وائتمن في ذلك وعوّل عليه وملك زمام الرعيّة فصار ضامناً، فإذا جار عليهم وخانهم تعرّض لسخط الله تعالى وباء بغضبه.

يقول صلى‌الله‌عليه‌وآله: إنّ هؤلاء الأربعة ممّن يبغضهم الله تعالى لا محالة.

وفائدة الحديث النهي عن هذه الأربعة المذمومة الممقوتة والتحذير منها والتبعيد عنها.

وراوي الحديث أبو هريرة.

قوله صلى‌الله‌عليه‌وآله: ثلاثٌ مهلكاتٌ وثلاثٌ منجياتٌ فالثَلاثُ المُهْلِكَاتُ: شُحٌّ مُطَاعٌ، وَهَوَى مُتَّبَعٌ وَإعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ؛ وَالثَلاث المُنْجِيَات: خَشْيَةُ اللهِ فِي السِّرِ وَالْعَلانِيَةِ، وَالْقَصْدُ فِي

---

١. راجع: الأغاني: ٨٥/٤ـ٨٥؛ حلية الأولياء: ٣٨٤/٢؛ محاضرات الأدباء: ٣٢٢/١.

٢. ينظر إليه نظرة الإعراض.

٣. راجع: مصنّف عبد الرزّاق: ٣٦٥/٣، ح ٥٩٩٠؛ مسند أحمد: ١٣٢/٥، ح ٢١٢٤٥.

الْفَقْرِ وَالْغِنَى، وَالْعَدْلُ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا

لو لم ينصح الأمّة صلى الله عليه وآله إلّا بهذا الكلام لكفى، فإنّه صلى الله عليه وآله بيّن ستّة، وأيّة ستّة! فيها الصلاح والفساد والهلاك والنجاة.

قال: من المهلكات: شحّ مطاع؛ أي بخل يأتمره الإنسان ويرتسمه.

وقد قال عليه السلام: «أَيُّ دَاءٍ أَدْوَى مِنَ الْبُخْلِ»[١].

وقال الله تعالى: «وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ»[٢].

والبخل ينقسم قسمين: بخلٌ بما أوجب الله إخراجه من المال وهو الزكاة التي هي مطهرة للمال ومَطيَبة للكسب، وبخلٌ بما ينتزع به من حقوق *الإخوان؛ والأوّل يوجب النار والثاني يُعقِب الشَنار[٣]. ١٧٤

وقال عليه السلام: «إِيَّاكُمْ وَالشُّحَّ فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، أَمَرَهُمْ بِالظُّلْمِ فَظَلَمُوا، وَأَمَرَهُمْ بِالْقَطِيعَةِ فَقَطَعُوا، وأمرهم بالفجور ففجروا»[٤].

ومنها: هوىً متّبع؛ وهو ما تذهب نفسه إليه من أمور الدنيا، ولا يكون الهوى إلّا مذموماً، لأنّه لا يتعلّق في الأكثر إلّا بقبيح، قال تعالى: «وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوى»[٥]. وقيل: الهوى هو الهوان، لأنّ النفس تشتاق إلى ما يؤذيها من القبائح والشهوات المهلكة؛ وخلق الله تعالى بإزائه العقل، فإن سلّطه على الشهوة نجا، وأن سلّط الشهوة على العقل هلك.

وفي كلام الحسن بن عليّ عليهما السلام: خلق الله ابن آدم وركّب فيه الشهوة وأعطاه العقل، وخلق الملائكة وأعطاها العقل دون شهوة الأكل والنكاح، وخلق البهائم وركّب فيها الشهوة

---

١. الكافي: ٤/٤٤، ح٣؛ مصنّف عبد الرزّاق: ١١/٣٣٨، ح٢٠٧٠٥؛ مسند أحمد: ٣/٣٠٧، ح١٤٣٤٠.

٢. الحشر: ٩.

٣. الأمر المشهور بالشنعة والقبح. ويقال: عار وشنار.

٤. مسند أحمد: ٢/١٩١، ح٦٧٩٢؛ سنن النسائي: ٦/٤٨٦، ح١١٥٨٣؛ شعب الإيمان: ٦/٤٦، ح٧٤٥٨.

٥. النازعات: ٤٠.

ولم يعطها العقل؛ فمن سلّط عقله على شهوته كان خيراً من الملائكة ومن سلّط شهوته على العقل فهو شرّ من البهائم؛[١] أو كما قال عليه السلام.

ومنها: إعجاب المرء بنفسه؛ وهو التكبّر وأن يحسن الإنسان الظنّ بنفسه، وما في الدنيا خلّة أقبح من الكبر.

وقال عليه السلام: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ كِبْرٍ»[٢].

وقيل: «إنّ الكبر حمق لا يدري الإنسان ألام يصرفه، فيصرفه إلى الكبر، فلو علم المتكبّر ما له في التواضع لتواضعَ ولم يتكبّر، وإنّما يتكبّر الإنسان رفعاً لنفسه وإعلاءً لقدره ولا يكاد يتكبّر إلّا لهذا»[٣].

ولعمري إنّه لو عكس لكان أقرب إلى ما طلب وأدنى إلى ما فيه، فإنّه مهما ترفع بنفسه لم يظفر إلّا بالمقت والبغض وسوء [الخلق]، وإذا تواضع تعبّد الناس له ورفعوه، فصحّ أنّ الذي يطلبه خلاف ما يفعله.

وأمّا المنجيات:

فأوّلها: خشية الله تعالى؛ وهو رأس أمر العقل، فإنّه إذا خشي الله تعالى لم يتجاسر[٤] على الإقدام على المعاصي، وكلّما ذكر الله تعالى قصرت إليه نفسه فلم تساعده على القبيح، وإذا تنزّه عن المناهي سعد سعادةً لا شقاوة بعدها .

والثاني: القصد في الفقر والغِنى؛ وهو أن يكون متوسّطاً في أموره غير مسرف ولا شحيح.

وقال بعض الحكماء: «القصد هو الشيء الذي يجري ما دونه ولا يضرّ عدم ما فوقه»[٥].

فعلى العاقل أن لا يسرف إذا استغنى ولا يقتُرُ إذا افتقر، *فإنّ الله تعالى هو الرزّاق.

١٧٥

---

١ . عن أمير المؤمنين عليه السلام، راجع: علل الشرائع: ٤/١؛ بحار الأنوار: ٢٩٩/٥٧، ح ٥.

٢ . الكافي: ٣١٠/٢، ح٧؛ بحار الأنوار: ٢١٦/٧٠، ح٧؛ وراجع: مسند أحمد: ٤٥١/١، ح ٤٣١٠.

٣ . لم أقف على قائله ومصدره.

٤ . في خ: تتجاسر.

٥ . لم أقف عليه.

وقال النبيّ عليه السلام: «خَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَاطُهَا»[١].

وقال الله تعالى: «وَالَّذينَ إذا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكانَ بَيْنَ ذلِكَ قَواماً»[٢].

وقال الله تعالى: «وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إلى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْها كُلَّ الْبَسْطِ»[٣].

وقال في معنى آخر: «وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخافِتْ بِها وَابْتَغِ بَيْنَ ذلِكَ سَبيلاً»[٤]. وطرفا الأمور مذمومان: الإفراط والتفريط.

وقال عليه السلام: «مَا عَالَ مَنْ اقْتَصَدَ»[٥].

والثالث: العدل في الغضب والرضا؛ وهو أن ينصف من نفسه في جميع الأحوال غضبان كان أو راضياً، فلا يخرجه غضبه عن التزام حدّه ولا يدخله رضاه فيما يضرّه.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ثلاث من أخلاق الأنبياء: من إذا غضب لم يدخله غضبه في الميل، ومن إذا رضى لم يخرجه رضاه من حقّ، ومن إذا قدر لم يتعاط ما ليس له فعله»[٦].

وفائدة الحديث تعريف المهلكات الثلاث والزجر عنها، والمنجيات الثلاث والدعاء إليها. وراوي الحديث أنس بن مالك.

قوله صلى الله عليه وآله: الْمُسْتَبَّانِ مَا قَالا فَهُوَ عَلَى الْبَادِئِ مَا لَمْ يَعْتَدِ

---

١. راجع: الكافي: ٥٤١/٦، ح١٨؛ فيه عن الكاظم عليه السلام؛ وراجع: شعب الإيمان: ١٦٩/٥، ح٦٢٢٩؛ كنز العمّال: ١٧/٣، ح٥٣٣٠.

٢. الفرقان: ٦٧.

٣. الإسراء: ٢٩.

٤. الإسراء: ١١٠.

٥. مصنّف ابن أبي شيبة: ٣٣١/٥، ح٢٦٦٠٤؛ المعجم الكبير: ١٠٨/١٠، ح١٠١١٨؛ مسند الشهاب: ٥/٢.

٦. المعجم الصغير: ١١٤/١، ح١٦٤؛ الفردوس: ٧٨/٢، ح٢٤٦٦؛ كنز العمّال: ٣٤٢/١٥، ح٤٣٢٢٥؛ في المصادر: «ثَلاَثٌ مِنْ أَخْلاَقِ الإيمانِ: مَنْ إذَا غَضِبَ لَمْ يُدْخِلْهُ غَضَبُهُ فِي بَاطِلٍ، وَمَنْ إذَا رَضِيَ لَمْ يُخْرِجْهُ رِضَاهُ مِنْ حَقٍ، وَمَنْ إذَا قَدِرَ لَمْ يَتَعَاطَ مَا لَيْسَ لَهُ».

المَظْلُومُ

أصل السبّ الشتم القبيح، وسمّيت الإصبع التي تلي الإبهام سبّابةً لإشارتها بالسبّ، كما سمّيت مسبّحة لتحريكها بالتسبيح، والمستبّان: المتسابّان المتشاتمان.

فيقول صلى الله عليه وآله: إنّ ما يتكلّم به المتسابّان ترجع عقوبته على البادئ لأنّه السبب في ذلك ولو لم يفعل لم يكن.

ولذلك قيل: البادئ أظلم والذي يجيب ليس بملوم كلّ الملامة.

كما قال تعالى: «وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولئِكَ ما عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ»[1].

على أنّ الواجب على المشتوم أن يحتمل ويحلم ولا يطفئ النار بالنار، فإنّ النارين إذا اجتمعا كان أقوى لهما، فيقول تغليظاً لأمر الشاتم: إنّ ما يجري بينهما من التشاتم عقوبته تركب البادئ، لكونه سبباً لذلك؛ هذا إذا لم يتجاوز المظلوم حدّه في الجواب، فإذا تجاوز وتعدّى كانا شريكين في الوزر والوبال.

والكلام وارد مورد التغليظ، وإلّا فالمشتوم ينبغي أن لا يجيب ولا يزيد في الشرّ، ولا يكون عقوبة فعل المشتوم على الشاتم، ألا إنّ للشاتم في فعله أيضاً نصيباً من حيث كان سببه، وإلّا فكلّ مأخوذ بفعله.

روي: «أنّ رجلاً شتم زيد بن عليّ عليهما السلام، فقال له: يا بن سوداء! فقال: ذاك لونها، فقال: يا بن الخبازة، *فقال: ذاك صنعتها، فقال: يا بن الزانية! فقال: أمّا هذا فلم يكن»[2].

١٧٦

وروي: «أنّ رجلاً أسمع زين العابدين عليه السلام شتيمةً، فقال: إن كان جميع ما قلت فيّ فغفر الله لي، وإن لم يكن فيّ فغفر الله لك»[3].

---

١ . الشورى: ٤١.

٢ . راجع: نثر الدرّ: ٢٣٨/١.

٣ . لم أقف من السجّاد عليه السلام في المصادر؛ راجع: البيان والتبيين: ٢٥١؛ ديوان المعاني: ١٣٤/١؛ نثر الدرّ: ٩٥/٥.

هكذا فلتكن السادة والكبراء، وإنّما قالوا لنتأدّب بكلامهم ولنقتدي بهم.

وروي: «أنّ عيسى بن مريم قال ليحيى بن زكريّا عليهما السلام: ألا أهدي لك نصيحةً تنال بها حسنةً كبيرةً؟ قال: نعم، قال: لا تغضب، قال يحيى عليه السلام: وكيف لي بذلك؟ قال: إن قيل لك ما فيك فقل: ذنب ذُكّرته فاستغفر الله منه، وإن قيل لك ما ليس فيك فاحمد الله إذ لم يجعل فيك ما عيّرت به، وهي حسنة سيقت إليك»[١].

وعن محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام: «من حَلُم وقى عرضهم، ومن جاد حَسُن ذكره، ومن أصلح ماله استغنى، ومن صبر حمدَ أمره، ومن عفى عفى الله عنه، ومن اتّقى وقاه الله ما أهمّه»[٢].

وفائدة الحديث الأمر بكفّ اللسان والاحتمال لما يكره والنزول عند الحدّ من غير أن يتعدّي أو يتجاوز. وراوي الحديث الحسن بن أبي الحسن.

قوله صلّى الله عليه وآله: أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ

«الفرط»: الذي يتقدّم الواردة الذين يريدون الماء فيهيّئ لهم الأرسان والدِلاء ويمدُر الحوض[٣] لهم، ويستقي لهم، وهو فعل بمعنى فاعل مثل تَبع بمعنى تابع، يقال: رجل فرط وقوم فرط، ومنه [قولهم] في الدعاء للطفل: «اللهُمَّ اجْعَلْهُ لَنَا فَرَطاً»[٤] أي أجراً يتقدّمنا حتّى نرد عليه. وقد فرطتُ القوم أفرطهم فرطاً فأنا فارط، والجمع فُرّاط، وفُرّاط القطا:[٥] متقدّماتها إلى الماء.

فيقول صلّى الله عليه وآله: أنا أفرطكم الذي أسبق إلى صعيد المحشر على حوضي الذي أسقي منه أمّتي.

وورد في الحديث: «أنَّ سعةَ هَذا الحَوضِ مَا بَيْنَ صَنْعَاءَ إِلَى أَيْلَةَ وعليه قُدْحَانُ بِعَدَدِ

---

١. مداراة الناس: ٥٤، ح٥٢؛ فضائح الباطنيّة: ٢٢٠؛ وراجع: أماليّ الصدوق: ٦٠٣؛ بحار الأنوار: ٢٨٧/١٤، ح١٢.

٢. لم أقف على مصدره.

٣. سدّ خلال حجارته بالمدر.

٤. مصنّف عبد الرزّاق: ٤٩٢/٣، ح٦٤٣٩؛ الدعاء للطبراني: ٣٦٢، ح١٢٠٣.

٥. جمع القطاة، وهو نوع من اليمام؛ وكذا يقال لمقعد الرديف من الفرس.

النُّجُومِ»[١]. قدحان جمع قدح كـ«سبت وسبتان» و«برقٍ وبرقان».

ومعنى الحديث: إنّي أسبقكم وأتشفّع لكم وأسقيكم من حوضي، أي أنا قائم بأمر أمّتي غير غافل عنهم في مقام من المقامات، أشفع لهم وأذبّ عنهم، وأحامي عليهم ـ رزقنا الله شفاعته ولا حرّمنا تَباعته ـ.

وفائدة الحديث إعلام أنّه صلى الله عليه وآله أمّته منه على بال وهو ساقٍ إلى حوضه يسقي أمّته ـ اللّهمّ اسقنا منه ـ. وراوي الحديث أبو هريرة.

١٧٧ *قوله صلى الله عليه وآله: أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ ـ وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى ـ

هذا الحديث وارد مورد التعظيم لأمر الأيتام والأمر بالشفقة عليهم والتحفّي[٢] بهم والنظر لهم والمحافظة على مالهم، لأنّه عاجز لا كادّ له ولا كادح، لأنّ اليتيم لا يقال إلّا إذا توفّي أبوه قبل بلوغه، فهو أعجز خلق الله وأقعدهم عن أحواله.

وروي عنه عليه السلام أنّه قال: «مَنْ مَسَحَ رَأْسَ يَتِيمٍ لَمْ يَمْسَحْهُ إِلَّا للهِ، كَانَتْ لَهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ مَرَّتْ عَلَيْهَا يَدُهُ حَسَنَاتٌ، وَمَنْ أَحْسَنَ إِلَى يَتِيمَةٍ أَوْ يَتِيمٍ عِنْدَهُ، كُنْتُ أَنَا وَهُوَ [فِي الْجَنَّةِ] كَهَاتَيْنِ؛ وقَرنَ بَيْنَ أُصْبُعَيْهِ»[٣].

وروي عن ابن عبّاس قال: «جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله فَقَالَ: يَا رَسولَ اللهِ! إِنَّ فِي حِجْرِي يَتِيماً، أَفَآكُلُ مِنْ مالِهِ؟ قَالَ: [بِالْمَعْرُوفِ] غَيْرُ مُتَأَثِّلٍ مَالاً، وَلا وَاقٍ مَالَكَ بِمَالِهِ»[٤].

وعن أبي هريرة: «أَنَّ رَجُلاً شَكَا إِلَى النبيّ صلى الله عليه وآله قَسْوَةَ قَلْبِهِ، فَقَالَ [لَهُ]: إِنْ أَرَدْتَ تَلْيِينَ قَلْبِكَ، فَأَطْعِمْ الْمِسْكِينَ، وَامْسَحْ رَأْسَ الْيَتِيمِ»[٥].

---

١ . عن رسول الله صلى الله عليه وآله؛ راجع: الكافي: ٢٠٩/١، ح٦؛ وراجع: المعجم الكبير: ٦٧/٣، ح٢٦٨٣.

٢ . الإكرام بالإلطاف.

٣ . مسند أحمد: ٢٥٠/٥، ح٢٢٢٠٧؛ المعجم الكبير: ٢٠٢/٨، ح٧٨٢١؛ كنز العمّال: ٧٣/٣، ح٦٠٣٥.

٤ . السنن الكبرى للبيهقي: ٢٨٥/٦، ح١٢٤٥٢؛ تخريج الأحاديث والآثار: ٢٨٥/١، ح٢٩٦؛ والتأثّل: إتّخاذ أصل المال.

٥ . مسند أحمد: ٢٦٣/٢، ح٧٥٦٦؛ مسند عبد بن حميد: ٤١٧، ح١٤٢٦.

فيقول صلى الله عليه وآله: إنّ كافل اليتيم معه في الجنّة، ولا يريد أنّ له من الدرجات ما له، وضمّ الإصبعين دليل على كونه معه في الجنّة.

وفائدة الحديث الحثّ على الإشفاق على الأيتام وحفظ أموالهم ومراعاة ما يرجع عليهم بالصلاح والفلاح، ووعده أنّه معه في الجنّة. وراوي الحديث سهل بن سعد.

قوله صلى الله عليه وآله: أَنَا النَّذِيرُ وَالْمَوْتُ الْمُغَيِّرُ وَالسَّاعَةُ الْمَوْعِدُ

«النذير»: المنذر. يقول: أنا النذير الذي أنذر الناس وأخوّفهم عقاب الله وأدعوهم إلى الصلاح وأدلّهم على الفلاح وأزجرهم عمّا يوبقهم ويرديهم.

وقال في حديث: «إنّما مَثَلي ومَثَلُكم كمَثَلِ رجُلٍ أَنْذَرَ قَوْمَه جَيْشاً، فقالَ: أَنا النَّذِيرُ العُرْيانُ»[1]. قال ابن السكّيت[2]: هو رجل من خثعم، حمل عليه يوم ذي الخَلَصة عَوْف بن عامر، فقطع يده ويد امرأته، فقال ذلك ـ يعني أنا النذير ـ الذي لا يخفى صورته لما فعل به فكأنّه عريان. والنبيّ صلى الله عليه وآله يريد بذلك أنا النذير الصادق.

ثمّ قال صلى الله عليه وآله: «الْمَوْتُ الْمُغَيِّرُ»، أي أنّه يهجم على ابن آدم، كالمغيّر الذي لا يخبر القوم ويُكْبِسهم على غرّة وغفلة؛ وتشبيه الموت بالمغيّر من أحسن التشبيهات.

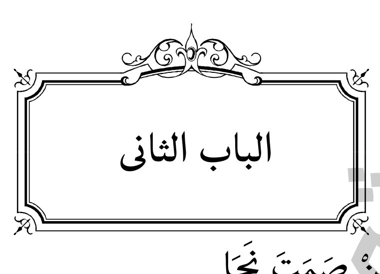
ثمّ قال عليه السلام: «السَّاعَةُ الْمَوْعِدُ»، لجميعنا للمنذِر والمنذَر، فيثاب المنذر على إنذاره ويعاقب المنذر على إصراره، عصمنا الله من كلّ ما يضرّنا، وقادنا ‌* إلى الخير بنواصينا إنّه كريم. ١٧٨

وفائدة الحديث إعلام أنّ عليه الإنذار، فهو يقوم به، والموت لا شكّ نازل، والمرجع للجميع إلى يوم القيامة. وراوي الحديث أبو هريرة.

---

١. تهذيب اللغة: ٣/١٠٢؛ الفائق: ٢/٤١٢.

٢. إصلاح المنطق: ٣٢٣؛ وراجع: تهذيب اللغة: ٣/١٠٢.



الباب الثاني

قوله صلى الله عليه وآله: مَنْ صَمَتَ نَجَا

لا يعني به النبيّ صلى الله عليه وآله السكوت على الخير، وإنّما يعني به الصمت عمّا لا يعني الإنسان من المحالات والخوض في الباطل وجذب أهداب[1] الأضاليل والأمور الدنيويّة، التي ربّما يجرّ الكلام فيها ضرب الأعناق والشدّ في الوثاق والانزعاج عن الوطن وتراكم المحن؛

وهذا قال عليه السلام: «الْعَافِيَةُ عَشَرَةُ أَجْزَاءٍ، تِسْعَةٌ مِنْهَا فِي الصَّمْتِ إِلَّا مِنْ ذِكْرِ اللهِ تَعَالى»[2].

وقال عليه السلام: «عِفَّةُ اللِسَانِ صَمْتُهُ»[3].

وفي كلام بعضهم: «في كلّ شيء نجاسة، ونجاسة اللسان البذاء».[4]

وقال: «إِمْلَاءُ الْخَيْرِ خَيْرٌ مِنَ السُّكُوتِ، وَالسُّكُوتُ خَيْرٌ مِنْ إِمْلَاءِ الشَّرِّ»[5].

---

١. جمع هُدْب، وهدب العين: شعر أشفار العين.

٢. عن أمير المؤمنين عليه السلام، راجع: كنز الفوائد: ١٨٦؛ بحار الأنوار: ٢٩٣/٦٨، ح٦٣؛ وراجع: الإعجاز والإيجاز: ٣٤

٣. كذا نسب إلى أمير المؤمنين عليه السلام، راجع: الرسالة القشيريّة: ١٦٠؛ نظم درر السمطين: ١٦٠.

٤. راجع: ربيع الأبرار: ٧٧/٣؛ لباب الحديث: ٦٤.

٥. أمالي الطوسي: ٥٣٥؛ مكارم الأخلاق للطبرسي: ٤٦٦؛ وراجع: المستدرك على الصحيحين: ٣٨٧/٣، ح٥٤٦٦؛ مسند الشهاب: ٢٣٧/٢.

وقيل: لو كان الكلام من فضّة، لكان السكوت من ذهب.[١]

وقيل: «خطأ السكوت خير من خطأ الكلام»[٢]، على أنّه لا خطأ في السكوت.

وقال صلى الله عليه وآله: «قُلْ خَيْراً تَغْنَمْ،وَاسْكُتْ تَسْلَمْ»[٣].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «لَا خَيْرَ فِي الصَّمْتِ عَنِ الْحُكْمِ، كَمَا أَنَّهُ لَا خَيْرَ فِي الْقَوْلِ بِالْجَهْلِ»[٤].

وفائدة الحديث الأمر بالسكوت عن ما لا يعنيك، وإعلام أنّ السلامة والنجاة في السكوت. وراوي الحديث عبد الله بن عمر.

قوله صلى الله عليه وآله: مَنْ تَوَاضَعَ للهِ رَفَعَهُ اللهُ وَمَنْ تَكَبَّرَ وَضَعَهُ اللهُ

«الوضع»: الحطّ في الأصل، والضعة في الحسب ضدّ الرفعة والشرف، وقد أبدل فيه الهاء من الواو ورجل وضيع. والتواضع: تكلّف الضعة من غير أن تكون والتكبّر على خلافه، كأنّه يتكلّف الكبر، وشتّان ما هما إلى العرش، وذاك في الحسن، وما أحسن التواضع بمن خُلق أوّلاً من تراب وطين ثمّ من ماء مهين وانسلك من مبال في مبال ثمّ سقط إلى محنة ووبال؛ أفيرخص العقل له أن ينظر إلى ظلّه ويجعل لنفسه موضعاً ولرجله موطناً يتكبّر بنفسه على بني جنسه؟! لا والله، فإنّ الكبرياء لله.

كما قال ـ عزّ من قائل ـ: «الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِداً مِنْهُمَا أَلْقَيْتُهُ فِي النَّارِ»[٥].

---

١ . عن لقمان، راجع: الكافي: ١١٤/٢، ح٦؛ بحار الأنوار: ٢٩٨/٦٨، ح٧٠؛ وراجع: البيان والتبيين: ١١٢؛ حلية الأولياء: ٣٣٧/٣.

٢ . قاله الصالح المري، راجع: البيان والتبيين: ٢٥٦؛ المجالسة وجواهر العلم: ٢٩٦، ح١٧١٥؛ نثر الدرّ: ١٥٢/٤.

٣ . حلية الأولياء: ٣٢٨/١؛ المعجم الكبير: ١٩٧/١٠، ح١٠٤٤٦؛ شعب الإيمان: ٢٤٢/٤، ح٤٩٤٠.

٤ . الكافي: ٢٠/٨، ح٤؛ بحار الأنوار: ٢٩١/٦٨، ح٦٢.

٥ . مصنّف ابن أبي شيبة: ٣٢٩/٥، ح٢٦٥٧٩؛ مسند أحمد: ٤٢٧/٢، ح٩٥٠٤.

١٧٩

*وفي الحديث: «مَا مِنْ آدَمِيٍّ إِلَّا وَفِي رَأْسِهِ سِلْسِلَتَانِ: سِلْسِلَةٌ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، وَسِلْسِلَةٌ إِلَى الْأَرْضِ السَّابِعَةِ، فَإِذَا تَوَاضَعَ رَفَعَهُ اللهُ [بِالسِّلْسِلَةِ] إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، وَإِذَا تَكَبَّرَ وَضَعَهُ اللهُ [بِالسِّلْسِلَةِ] إِلَى الْأَرْضِ السَّابِعَةِ»[١].

وعن عون بن عبد الله: «مَنْ كَانَ فِي صُورَةٍ حَسَنَةٍ وَفِي مَوْضِعٍ لَا يُشِينُهُ، وَوُسِّعَ عَلَيْهِ مِنَ الرِّزْقِ، ثُمَّ تَوَاضَعَ لِلهِ، كَانَ مِمَّنْ خَلَص لِلهِ»[٢].

وفي الحديث: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا تَوَاضَعَ رَفَعَ اللهُ حِكْمَتَهُ، وَقَالَ: انْتَعِشْ، رَفَعَكَ اللهُ؛ فَهُوَ فِي نَفْسِهِ حَقِيرٌ، وَفِي أَعْيُنِ النَّاسِ كَبِيرٌ، وَإِذَا تَكَبَّرَ وَعَدَا طَوْرَهُ خفضه[٣] إِلَى الأَرْضِ وَقَالَ اخْسَأْ خَسَّأَكَ اللهُ، فَهُوَ فِي نَفْسِهِ كَبِيرٌ وَفِي أَعْيُنِ النَّاسِ حَقِيرٌ، حَتَّى إِنَّهُ أَحْقَرُ فِي أَعْيُنِهِمْ مِنَ الْخِنْزِيرِ»[٤].

وفائدة الحديث الحثّ على التواضع والمنع من التكبّر. وراوي الحديث عمر بن الخطّاب.

قوله صلى الله عليه وآله: مَن يتأَلَّ عَلَى اللهِ يُكَذِّبْهُ، ومنْ يَغْفِرْ يَغْفِرِ اللهُ لَهُ ومنْ يَعْفُ يَعْفُ اللهُ عنْهُ ومنْ يَصْبِرْ على الرَّزِيَّةِ يُعَوِّضْهُ اللهُ وَمنْ يَكْظِم يأجُرْهُ اللهُ تَعالى

«الأليّة»: الحلف، والجمع الألايا، وقد آلى يؤلي إيلاءً، وقيل: أصله من ألا يألوا إذا قصّر، كأنّه يقع الحلف على ما قصّر فيه. وهذا الكلام في خطبة له عليه السلام.[٥]

ومعنى الحديث ـ والله أعلم ـ: النهي عن التحكّم على الله تعالى وأنّه لا محالة يفعل كذا

١ . فوائد العراقيين: ١٠٨، ح١٠٢؛ شعب الإيمان: ٢٧٦/٦، ح٨١٤٢؛ كنز العمّال: ٥٠/٣، ح٥٧٤٥.

٢ . الزهد لابن المبارك: ٥١/٢، ح١٨٤؛ المعجم الكبير: ١٨١/٩، ح٨٨٩٤.

٣ . في أكثر المصادر: وَهَصَه، ووهصه: كسره ودقّه؛ وطئه وطئاً شديداً.

٤ . جزء ابن عيينة: ٩٢، ح٢٤؛ مصنّف ابن أبي شيبة: ٩٦/٧، ح٣٤٤٦١؛ تخريج الأحاديث والآثار: ٤٥٥/١، ح٤٥٧.

٥ . راجع: الزهد لابن السري: ٢٨٦/١، ح٤٩٥؛ مسند الشهاب: ٢٢٠/١.

ولا يفعل كذا وأنّه يغفر لفلان، وأحلف أنّ فلاناً في الجنّة أو في النار؛ لأنّ هذا إلى الله تعالى، لأنّه العالم بالضمائر الخبير بالسرائر.

وروت عائشة أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله قال: «وَيْلٌ لِلْمُتَأَلِّينَ مِنْ أُمَّتِي»[١] يعني الذين يحكمون على الله تعالى.

وفي حديث أمّ العلاء: «فَطَارَ لنا عُثْمَانُ بن مَظْعُونٍ فِي السُّكْنَى حين اقْتَرَعَتْ الْأَنْصَارُ على سُكْنَى الْمُهَاجِرِينَ فَاشْتَكَى فَمَرَّضْنَاهُ حتى تُوُفِّيَ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ فِي أَثْوَابِهِ، قالَ: فَدَخَلَ عَلَيْنَا رسول الله صلّى الله عليه وآله فقلت: رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْكَ أَبَا السَّائِبِ! فَشَهَادَتِي عَلَيْكَ أن قد أَكْرَمَكَ اللهُ فقال النبيّ صلّى الله عليه وآله: [وما يُدْرِيكِ؟ قلت: لَا أَدْرِي، والله قال:] أَمَّا هو فَقَدْ جَاءَهُ الْيَقِينُ وَإِنِي لَأَرْجُو لَهُ الْخَيْرَ من اللهِ، والله ما أَدْرِي وأنا رسول اللهِ ما يُفْعَلُ بِي ولا بِكُمْ. فَقالت أُمُّ الْعَلَاءِ: فَوَاللهِ لَا أُزَكِّي بَعْدَهُ أَحَداً. قالت: وَرَأَيْتُ لِعُثْمَانَ فِي النَّوْمِ عَيْناً تَجْرِي فَجِئْتُ إلى رَسُولِ اللهِ صلّى الله عليه وآله وَذَكَرْتُ ذلك له، فقال: ذَاكَ عَمَلُهُ»[٢].

١٨٠ وروي أنّ بلالاً دخل على النبيّ صلّى الله عليه وآله فقال: ماتت فلانة فاستراحت، *فغضب صلّى الله عليه وآله وقال: «إنّما اسْتَرَاحَ مَنْ غُفِرَ لهُ»[٣].

«ومن يغفر يغفر الله له» أي من يغفر زلّة عبد من عباد الله يغفر الله له، كما قال: «ارْحَمْ مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكَ مَنْ فِي السَّمَاءِ»[٤]؛ «ومن يعف يعف الله عنه» مثله.

و«من يصبر على الرزيّة يعوّضه الله»، قد تقدّم الكلام في الصبر، وأنّ ثوابه لا يعلمه إلّا الله عزّ وجلّ لقوله تعالى: «إِنَّما يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسابٍ»[٥]، و«الرزيّة»: المصيبة، وكذلك

---

١. الفقه الأكبر: ١٣٨؛ الفائق: ٥٢/١؛ كنز العمّال: ٢٢٤/٣، ح ٧٩٠٢.

٢. مصنّف عبد الرزّاق: ٢٣٧/١١، ح ٢٠٤٢٢؛ مسند أحمد: ٤٣٦/٦، ح ٢٧٤٩٧.

٣. المعجم الأوسط: ١٤٨/٩، ح ٩٣٧٩؛ حلية الأولياء: ٢٩٠/٨؛ كنز العمّال: ٢٩١/١٥، ح ٤٢٧٧١.

٤. من لا يحضره الفقيه: ٣٨٠/٤، ح ٥٨٠٦؛ وراجع: مسند الطيالسي: ٤٤، ح ٣٣٥؛ مصنّف ابن أبي شيبة: ٢١٤/٥، ح ٢٥٣٦٤.

٥. الزمر: ١٠.

المَرْزِئَة، وقد رزأته الرزيّة: أصابته، وأصل الرزء: الإصابة، تقول: رزئته رُزءاً أو مرزئةً إذا أصبت منه خيراً. فيقول: من يصبر على المصيبة يعوّضه الله تعالى عن الفائت؛ والصبر هو حبس النفس عن الجزع.

«وَمنْ يكْظِمِ الغَيْظَ يأجُرْهُ اللهُ تَعالى»، وأصل الكظم مجرى النفس، يقال: أخذ بكظمه، والكظوم: احتباس النفس، ويعبّر به عن السكوت، وكظم فلان حبس نفسه، والكِظامة: ما يسدّ به مجرى الماء، وكظم الغيظ :حبسه، أي من يتجرّع مرارة الغيظ، ولم يحبّ[1] لله تعالى آجره الله تعالى على ذلك الاحتمال، وقد أثنى الله تعالى على الكاظمين: «وَالْكَاظِمينَ الغَيْظِ»[2].

وروي أنّ غلاماً لزين العابدين عليه السلام كان يقلب الماء على يده، فوقعت عروة الإبريق على جبينه، فالتفت إليه، فقال: يا مولاي! «وَالْكاظِمينَ الْغَيْظَ» فقال: قد كظمنا، فقال: «وَالْعافينَ عَنِ النَّاسِ» ؟ فقال: قد عفونا. «وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنينَ» قال: أنت حرّ لوجه الله تعالى ولك من مالي كذا وكذا.[3]

كذلك فلتكن الأكابر، وإنّما روي مثل ذلك وهذه الأشياء ليقتدى بها ويجتنب ما تضادّها.

وفائدة الحديث النهي عن التحكّم على الله تعالى والأمر بالعفو والمغفرة والتجاوز عمّن هو تحت يدك والصبر وكظم الغيظ. وراوي الحديث زيد بن خالد الجُهَنيّ.

قوله صلى الله عليه وآله: من قدَّرَ رَزَقَهُ اللهُ وَمَنْ بَذَّرَ حَرَّمَهُ اللهُ

التقدير: الإنفاق بقدر الموجود من غير إسراف، والتقدير خلاف التبذير هاهنا؛

---

١ . كذا في خ، والصواب: ومن يكظم.

٢ . آل عمران: ١٣٤.

٣ . عن سيّد الشهداء عليه السلام، راجع: كشف الغمّة: ٣١/٢ـ٣٢؛ بحار الأنوار: ١٩٥/٤٤، ح ٩؛ وراجع: الفرج بعد الشدّة: ٨٥/١؛ نثر الدرّ: ٢٣٠/١؛ محاضرات الأدباء: ٢٩٢/١؛ والآية في آل عمران: ١٣٤.

فيقول صلى الله عليه وآله: من قصد في إنفاقه فلم يفرّط كان بالحريّ أن يرزقه الله تعالى، كما قال: «وَالَّذينَ إذا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا»[١].

وقال النبيّ صلى الله عليه وآله: «مَا عَالَ مَنِ اقْتَصَدَ»[٢].

وقال عليه السلام: «الرِّفْقُ فِي الْمَعِيشَةِ خَيْرٌ مِنْ بَعْضِ التِّجَارَةِ»[٣].

والتبذير أصله تفريق الشيء، كالبذر الذي يبذر في الأرض، ثمّ قيل لكلّ مسرف مضيّع مبذّر. «وَمَنْ بَذَّرَ حَرَّمَهُ اللهُ» أي من أسرف *وضيّع ما رزقه الله تعالى تركه الله تعالى محروماً، لتبذيره وقلّة اكتراثه[٤] واعتداده بنعمة الله تعالى.

١٨١

وقال الشاعر:

لَمَالُ المَرءِ يُصْلِحُهُ فَيُغْني مفاقِرَه أعفُّ من القُنُوعِ[٥]

ولأن يحفظ الإنسان ما آتاه الله تعالى مجّاناً بلا ثمن ليصون به وجهه ويحترم به نفسه وجاهه خيرٌ من أن يفقر نفسه فيعذبها في الدنيا إلى أن يرد الآخرة ممقوتاً، وربّما يعذّبه الله تعالى على ذلك.

وفائدة الحديث الأمر بالتقدير ومجانبة التبذير والوعد بالرزق على هذا والحرمان على ذلك. وراوي الحديث أمير المؤمنين عليه السلام.

١. الفرقان: ٦٧.

٢. الخصال للصدوق: ٦٢٠؛ وراجع: مصنّف ابن أبي شيبة: ٣٣١/٥، ح٣٩٠؛ المعجم الكبير: ١٠٨/١٠، ح١٠١١٨.

٣. المعجم الأوسط: ٣١٨/٨، ح٨٧٤٦؛ مسند الشهاب: ١٦٩/١، ح٢٤٢.

٤. الاكترا: المبالاة.

٥. قاله الشمّاخ في بحر تامّ؛ راجع: العين: ١٧٠/١؛ جمهرة اللغة: ٩٤٢/٢؛ ديوانه: ٣٩.

قولهﷺ: مَنْ نُوقِشَ الحِسَابَ عُذِّبَ

المناقشة: الاستقصاء في الحساب، ويقال: انتقشت حقّي عليه أي بالغت في استخراجهم، والنقش: النتف، ومنه المنقاش، ونقشت الشوكة إذا استخرجتها. وفي كلامهم: المناقشة تورث المهارشة. و«نوقشَ الحسابَ» أصله نوقش في الحساب، فحذف الحرف وأوصل الفعل.

يقولﷺ: من لم يسامح في القيامة ونوقش حسابه على النقير والقطمير كان علامة أن يعذّب.

وكذلك قالﷺ: «مَا مِنْ أَحَدٍ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهِ. قيلَ: وَلا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: وَلا أَنَا، إلّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ بِرَحْمَتِهِ»[١].

وإذا كان رسول اللهﷺ يقول ذلك فماذا تقول؟! ليت شعري! ولا شكّ أنّه لا ينجو من يحاسب على المناقشة من غير مسامحة ومتاركة، فإنّ الله تعالى إذا حاسب بجميع نعمه علينا وجميع زلّاتنا وخطايانا التي لا نخلو منها في لفظاتنا ولحظاتنا لم ننجُ من سخطه إلّا أن يرحمنا، فهو الغفور الرحيم الغنيّ الكريم.

وروي أنّ معاوية لمّا احتضر تمثّل بهذين البيتين:

إنْ تُناقِشْ يكنْ نِقاشُكَ يا ربّ ... عذاباً، لا طوقَ لي بالعذابِ

أو تسامح[٢]، فأنتَ ربٌّ رحيمٌ ... عن مُسيءٍ ذُنوبُهُ كالتّرابِ[٣]

ولو طالبنا الله تعالى وتقدّس بجميع ما له علينا من الحقوق التي قابلناها بالعقوق هلكنا فيك يا ربّنا! نعتصم من مناقشة الحساب ومزاولة العذاب، ونحن عبيدك المساكين، فاغفر وارحم واحمل وحامل، ولا تناقش، فأنت أرحم الراحمين.

وفائدة الحديث إعلام أنّ من حاسبه الله تعالى على جميع ما فعل عذّبه الله ـ أعاذنا الله

---

١. مسند أحمد: ٢/٢٥٦، ح٧٤٧٣؛ الزاهر: ١/٢٠٢؛ كنز العمّال: ٤/١٠٧، ح١٠٤١٠.

٢. في المصادر: تسامح.

٣. حسن الظنّ بالله: ١٠٦؛ المحتضرين: ٧١؛ تاريخ مدينة دمشق: ٥٩/٢٤٤؛ نهاية الأرب في فنون الأدب: ٢٠/٢٣٢.

١٨٢ من العذاب ـ، فنحن له، ـ أي نحن ملكه ـ، وبه ومنه قوتنا، *وانتهاؤنا إليه وعليه[١]. وراوية الحديث عائشة.

قوله صلى الله عليه وآله: مَنْ بَدَا جَفَا وَمَنِ اتَّبَعَ الصَّيْدَ غَفَلَ وَمَنِ اقْتَرَبَ مِنْ أَبْوَابِ السُّلْطَانِ افْتُتِنَ

بدا الرجل إذا سكن البادية ونزلها يبدو بَداوةً فهو باد.

والمعنى ـ والله أعلم ـ: إذا سكن البوادي والبراري كان من ذكر الله تعالى أبعد ومن الخير أقعد وإلى الجفاء والغلظة أقرب، لقلّة ذكر الله والصلوات والجماعات والجمعات والأذكار وذكر المواعظ والنواهي فيها؛ وبعكس ذلك البلدان، وإن جرى فيها ما لا يجوز ولا يسوغ، فإنّ الأذان والجماعات والجمعات والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والاجتماعات والمغاوث[٢] حاصلة فيها؛ وفضلاً عن ذلك كلّه، فالحياء من الناس ربّما يردع من الأمور المنكرة ومهما لم يفعل لم يكتب عليه سواء كان ذلك لله تعالى أو لخلقه. ثمّ البداوة قد تحمل الإنسان على القَسْوة والفظاظة والشره والنَكادَة، لمكان أنّ من يوجد في البراري والصحاري أقرب إلى الطمع فيه، فهو مدفوع إلى أن يردّ عن نفسه، فحينئذٍ يجفو طبعه ويغلظ قلبه ولم يكترث بالمناهي، وربّما لا يعلمها، ولا يتحقّق الحلال والحرام. ولذلك قال إبراهيم النخعيّ: «تفقّه ثمّ اعتزل».[٣]

ولا يبعد أن يكون هذا خاصّاً في زمان النبيّ صلى الله عليه وآله ووجوب الهجرة إلى المدينة؛ فقال: ومن بدا ولم يهاجر كان جافياً، فأمّا في زماننا هذا فالفرار من هؤلاء الذين نراهم واجب، والبعد منهم لازب وفقدانهم راحة.

---

١. كذا في البحار، وفي خ: وإليه.

٢. المياه، لأنّه يستغاث بها.

٣. العزلة: ١٩؛ إحياء علوم الدين: ٢/٢٢٢؛ شرح نهج البلاغة: ١٠/٢٤.

وقد روى أبو سعيد الخدريّ أنّ رجلاً قال: «يا رسول الله! أيّ الناس أَفْضَلُ؟ قال: مُؤْمِنٌ مُجَاهِدٌ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ. قال: ثُمَّ من؟ قال: رَجُلٌ مُعْتَزِلٌ فِي شِعْبٍ مِنَ الشِّعَابِ، يَعْبُدُ رَبَّهُ، وَيَدَعُ الناس من شَرِّهِ»[1].

وعن عبد الله بن مسعود عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «ليأتينّ على الناس زَمَانٌ لاَ يَسْلَمُ لِذِي دِينٍ دِينُهُ إلّا مَنْ فَرَّ بدينه من قرية إلى قرية، ومِنْ شَاهِقٍ إلى شَاهِقٍ، وَمِنْ جُحْرٍ إلى جُحْرٍ كَالثَّعْلَبِ الذي يروغ[2]. قال: ومتى ذلك يا رسول الله؟ قال: إذا لَمْ تُنَلِ المَعِيشَةُ إلّا بمعاصي الله فإذا كان ذلك الزمان حلّت العزوبة. قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله! وقد أمرتنا بالتزويج؟ قال: إنّه إذا كان ذلك الزمان كان هلاك الرجل على يدي أبويه، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ ١٨٣ لَهُ أَبَوَانِ فَعَلَى يَدَيْ زَوْجَتِهِ وَوَلَدِهِ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ زَوْجَةٌ وَلَا وَلَدٌ، فَعَلَى يَدَيْ قَرَابَتِهِ [وَ جِيرَانِهِ]. قَالُوا: وَكَيْفَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: يُعَيِّرُونَهُ بِضِيقِ الْمَعِيشَةِ وَتُكلّف مَا لَا يُطِيقُ حَتَّى يُورِدُوهُ[3] مَوَارِدَ الْهَلَكَةِ»[4].

وسمعت من يفسّره على معنى قوله: «البادئ أظلم»[5] يعني من بدأ بالشرّ فهو الجافي على تخفيف الهمز.

وقوله عليه السلام: «وَمَنِ اتَّبَعَ الصَّيْدَ غَفَلَ» معناه ـ والله أعلم ـ: أنّ الذي يتّبع الصيد وينقطع إليه بنفسه ورأيه يصدّه عن العبادات الواجبة عليه، وأيضاً فإنّ ذلك أيضاً في البوادي، وحينئذٍ يلزم الصائد ما يلزم البادئ بما تقدّم ذكره، ولا شكّ أنّ للصيد[6] ضراوةً وحرصاً

١. مصنّف عبد الرزّاق: ٣٦٨/١١، ح٢٠٧٦١؛ مسند أحمد: ٣٧/٣، ح١١٣٤٠.

٢. يذهب يَمْنةً ويَسْرةً في سرعة وخديعة.

٣. في خ: يورده.

٤. العزلة: ١٠؛ إحياء علوم الدين: ٢٣٢/٢؛ شرح صحيح البخاري: ٢٠٥/١٠؛ الفردوس: ٤٤٨/٥ـ٤٤٩، ح٨٦٩٧؛ كنز العمّال: ٦٧/١١، ح٣١٠٠٨.

٥. عن أمير المؤمنين عليه السلام؛ راجع: تحف العقول: ٤٢١؛ بحار الأنوار: ٣٢٤/٧٥، ح٢٥.

٦. في خ: الصيد.

وشهوةً تُصدّ عن جميع المهمّات، ويصدف عن العبادات؛ ويجوز أن يكون الصيد كناية عن طلب الدنيا، فيقول صَلَّىٰٱللهُعَلَيْهِوَآلِه: «من اتّبع الصيد» أي الدنيا «غفل» أي من حبس نفسه على الحطام؛ وجعله من أهمّ الأمور، فكأنّه يصد صيداً. والله أعلم.

وقوله عَلَيْهِالسَّلَامُ: «من قرب من أبواب السلاطين افتتن»، أي من خالط أصحاب الأمر والنهي من هؤلاء المتغلّبين على الدنيا وقع في الفتنة، يقال: فتنتُه فافتتن؛ وكيف لا يفتن من خالطهم وعرفهم، فإنّه يرى المنكر فلا يمكنه النهي عنه، ويريد أن يأمر بالمعروف فلا يتجاسر أن يفعل، ويكلّفونه المآثم، فإن ائتمرهم وأطاعهم هلك دينه، وإن امتنع عنهم هلكت نفسه، وربّما أركبوه الخطّة الشنعاء والفعلة العوراء في بعض مآربهم وحاجاتهم، غير مفكّرين في دين المكين ودنياه، وأنّ الذي لا ينظر لدين نفسه كيف ينظر لدين غيره، لا أحوج الله إليهم ولا قرّب دارهم؛ وممّا يغترّ به الحمق أن يخطر الشيطان بخاطر أحدهم، أنّك إذا دخلت على بعض هؤلاء نصحته وأمرته وزجرته وربّما تكفّ عاديته عن بعض المسلمين أو يتشفّع إليه في منفوع يصل إلى بعضهم، فالله الله! أيّها المسكين! فإنّه من تسويل الشيطان الذي يرديك أو همّة سيّئة من هممك التي تغويك، بل لا تعرفه ولا يعرفك.

وقيل لابن مبارك: لو دخلت على هذا الرجل فأمرته ونهيته، لعلّ الله أن ينفع بك. قال: لا، من اعتزلهم فقد أمرهم ونهاهم.[١]

وقال سفيان: إن دعوك لتقرأ عليهم : «قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ»[٢] فلا تأتهم.[٣] يعني الظلمة.

١٨٤ وفائدة الحديث التحذير من البداوة واتّباع [الصيد] *والانقطاع إليه والدنوّ من أبواب السلاطين والظلمة. وراوي الحديث أبو هريرة.

---

١. راجع: ربيع الأبرار: ١/١٢١.

٢. الإخلاص: ١.

٣. مسند ابن الجعد: ٢٧٤، ح١٨٢١؛ حلية الأولياء: ٦/٣٨٧؛ شرح السنّة: ١٤/٢٩٦، ح٤١٠٣.

قولهﷺ: من قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ

وروي: «من أصيب»[١].

«الشهيد» فعيل بمعنى مفعول، مِن شهده يشهده، إذا حضره، كأنّه الملائكة تشهده عند الاحتضار، كما قال تعالى: «تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخافُوا وَلا تَحْزَنُوا»[٢]؛ ويجوز أن يكون بمعنى فاعل، أي أنّهم يشهدون ما أعدّ الله لهم من الدرجات والمنازل عنده، وقال ـ عزّ وعلا ـ: «وَالشُّهَداءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ»[٣].

فيقولﷺ: الذي يُقتل دون ماله وقُدّار[٤] متاعه يحفظه من اللصوص وقطّاع الطريق فيُقتل يعطيه الله تعالى درجة الشهادة في حرّ المعركة للدفاع عن الدين والنفس، وذلك لأنّ[٥] حرمة ماله كحرمة دمه، كما قال عليه السلام: «حُرْمَةُ مَالِ الْمُسْلِمِ كَحُرْمَةِ دَمِهِ»[٦].

وفائدة الحديث تعظيم حرمة مال المسلم والإخبار بأنّه إذا قتل على الدفاع عنه أعطي ثواب الشهيد. وراوي الحديث أبو هريرة.

قولهﷺ: مَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ

أهل الرجل هاهنا زوجته وأولاده وأقرباؤه، وهذا الحديث قريب ممّا قبله.

فيقولﷺ: من قتل محافظاً على أهله ذابّاً عنهم دافعاً عن حريمهم كتب له مثل ثواب

---

١. مسند الشهاب: ١/٢٢٤؛ السنن الكبرى للبيهقي: ٨/٣٣٥، ح ١٧٤١١.

٢. فصّلت: ٣٠.

٣. الحديد: ١٩.

٤. كذا في خ.

٥. في خ: لأنّه.

٦. عوالي اللئالي: ٣/٤٧٤، ح ٤؛ وراجع: الكافي: ٢/٣٦٠، ح ٢؛ وراجع: مسند أحمد: ١/٤٤٦؛ مجمع الزوائد: ٤/١٧٢.

الشهادة.

وفائدة الحديث تعظيم حقّ الأهل والأقرباء وبيان درجة من قتل في الدفاع عنهم.
وراوي الحديث سعيد بن زيد.

قوله صلى الله عليه وآله: مَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ

وروي: «أصيب»[1]. هذا الحديث قريب ممّا تقدّم.

فيقول صلى الله عليه وآله: إنّ من فدى دينه بنفسه فقاتل أعداء الدين وبذل دونه مهجته وقصر عليه نصرته، وهذه هي القتلة الحرّة التي تحصل بها الشهادة الحقيقيّة إذا كانت بشرائطها في نصرة الدين القيّم، لأنّه بذل الموجود أجمعه ثمّ النفس معه. كما قال: «والجود بالنفس أقصى غاية الجود»[2].

وفائدة الحديث إعلام أنّ من قتل في نصرة الإسلام كتب اسمه في جريدة الشهداء.
وراوي الحديث سعيد بن زيد.

قوله صلى الله عليه وآله: مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْراً يُصِبْ مِنْهُ

ويروى: «يصَب». «الخير» هو المرغوب فيه.

١٨٥ يقول صلى الله عليه وآله وسلم: من أراد الله تعالى *به خيراً أصابه بمصيبة في نفسه أو أهله أو ماله، فيصبر فيثيبه.

ورأيتُ من يفسّره على وجه آخر فيقول: إنّ المعنى: أنّ من أراد الله تعالى به أصيب الخير

---

١ . مسند الشهاب: ٢٢٤/١؛ سنن البيهقي: ٢٦٦/٣، ح٥٨٥٩.

٢ . «يجود بالنفس إذ ضنّ الجواد بها والجواد بالنفس أقصى غاية الجود»؛ أنشده محمّد بن الجهم للمأمون، راجع: كتاب بغداد: ١٧١؛ تاريخ الطبري: ٢٠٥/٥؛ وأيضاً نقل عن مسلم بن الوليد: راجع: العقد الفريد: ١٠٣/١؛ ديوان المعاني: ١٠٤/١.

منه، ويروونه «يصب» ـ بفتح الصاد ـ، على أنّه بفتح الصاد يمكن حمله على المعنى الأوّل، وهذا الوجه الأخير كما ترى، والأوّل هو الذي فسّره عليه العلماء والمشايخ، والذي يؤيّد الوجه الأوّل: إذا أصابه بمصيبة في بعض ما يعزّ عليه[1] وكان مخلصاً صبر، وإذا صبر كان له ثواب الصبر الذي لا يعلمه إلّا الله.

وفائدة الحديث تسلية المصاب وأنّ الله تعالى أراد به خيراً. وراوي الحديث أبو هريرة.

قولهﷺ: مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرَاً يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ

يقولﷺ: من أراد الله به الخير في الدنيا وكتب له السعادة عنده علّمه الفقه، وهو علم الشريعة المحمّديّة التي هي علم الحلال والحرام والفرائض والأحكام، وجعل زمام الكتاب والسنّة بيده، فيعلم لنفسه ويعلّمه غيره.

وفائدة الحديث تشريف علم الفقه، وتنبيه على أنّ من اختاره الله تعالى بالفقه وعطاه الذكاء والفطنة لتحصيله فقد أراد به خير الدنيا والآخرة. وراوي الحديث معاوية بن أبي سفيان.

قولهﷺ: مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرَاً يَجْعَلْ لَهُ خُلْقاً حَسَناً

هذا الحديث وجدتُه في مسند الشهاب[2] ولم يكن في النسخ. وهو إخبار أنّ من أراد الله به الخير حسّن خُلقه فعاشر الخلق جَذْلان فرحاً طيبَ النفس بلا غائلة ولا دخلة.

وحسن الخلق نوعان: أحدهما من فعل الله تعالى وهو أن يخلق العبد ذكيّاً فطناً في صورة مقبولة وهمّة عالية وسجيّة محمودة وطبيعة مرضيّة، والنوع الآخر الذي هو على العبد فأن يتأدّب بآداب النبوّة وما يفتي بحسنه عقله، الذي هو كمصباح نوّر الله في صدره، يدرك به ما

---

١. يشدّ ويشقّ عليه.

٢. مسند الشهاب: ١/٢٢٥؛ في المصدر: خلقه حسناً.

يريد، ويميّز بنوره بين الحسن والقبيح.

وفائدة الحديث الثناء على حسن الخلق والتأدّب بالأدب النبويّ. وراوي الحديث قُبيصَة بن ذؤيب.

قوله ﷺ: مَنِ اشْتَاق إِلَى الجَنَّةِ سَارَعَ إِلَى الْخَيْرَاتِ وَمَنْ أَشْفَقَ مِنَ النَّارِ لَهَى عَنِ الشَّهَوَاتِ وَمَنْ تَرَقَّبَ المَوْتَ لَهَى عَنِ اللَّذَّاتِ وَمَنْ زَهِدَ فِي الدُّنْيَا هَانَتْ عَلَيْهِ المصيبات

١٨٦

«الشوق»: النزاع إلى المحبوب، و«الجنّة»: البستان *الذي تُجنّ أشجاره أرضه، وهي في الحديث دار الخلد. والإشفاق خوف مشوب بعناية. ولهى عن الشيء يُلهي لُهيّاً ولهياناً: إذا سلا عنه وتركه وأضرب عن ذكره. و«الشهوة»: نزوع النفس إلى ما تحبّ. و«اللذّة»: إدراك ما تشتهيه. والزهد في الشيء: الرغبة عنه. و«المصيبة»: ما يصيب الإنسان من المكروه.

يقول ﷺ: من اشتاق إلى النعيم الأبديّ والخير السرمديّ طلب طريقه وتفحّص عنه، والطريق إلى ذلك المبادرة إلى اكتساب الخيرات من الطاعات البدنيّة والماليّة، ومن أشفق من النار فما أغناه عن اتّباع الشهوات، وأيّ فائدة ليت شعري في شهوة تستوخم عاقبتها، ومن أين لمن يخاف النار الفراغ للشهوات، فعليه أن يضرب عليها رأساً ولا يتخيّلها، لأنّ مزاج وقته لا يفتي بجواز ملابستها، ومن ترقب الموت الذي لا يؤمن في كلّ طرفة ولمحة أن يهجم، فمن أين له اللذّة بالمطاعم والمشارب والمناكح أو تتركه الفراغ أن يميل نفسه إلى شيء من ذلك ويتجاذب أهدابها، كلّا والله لو كانت لنا نفوس مراعية وآذان واعية وأبصار رائيّة ولكن عمى القلب، يستر علينا هذه الأحوال وغمرنا في طلب الحطام، فنحن عليه متهالكون وللصواب تاركون، وحبّ الدنيا أصمّنا عن سماع الموعظة، فمن شَغَب[1] الدنيا وحليّتها التي

---

١. أحدث فتنة وجلبة.

مكّناها من أنفسنا وأشعفنا بها قلوبنا صمّت آذان أحلامنا عن نداء الآخرة على دار السلامة وعرضها في من يزيد، ومن صدف نفسه عن الدنيا وقلع عروق قلبه عنها ورغب عن شراب جشعها الذي يسقيه ساعةً فساعةً لم يكترث بما يصيبه فيها علماً بأنّها ظلّ آفل وسناد مائل. كما قال أمير المؤمنين عليه السلام متمثّلاً :

لقد أسمعتَ لو ناديتَ حُـبّاً ولكن لا حياةَ لِمن تُنادي[1]

وفائدة الحديث الدعاء إلى هذه المكارم المطرّقة لابن آدم إلى النعيم الذي لا يفنى. وراوي الحديث أمير المؤمنين عليه السلام .

قوله صلى الله عليه وآله : مَنْ مَاتَ غَرِيباً مَاتَ شَهِيداً

مضى تفسير هذا الحديث في قوله عليه السلام : «موتُ الغريبِ شَهَادةٌ». ويجوز أن يراد بالغربة آخر الزمان إذا قلّ أهل الدين، فكان المؤمن فيه غريباً من قوله عليه السلام : «إنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيباً، وَسَيَعُودُ غَرِيباً فطوبى للغرباء»[2].

وفائدة الحديث الإخبار أنّ موت *الغريب في غربته ثوابه ثواب الشهداء. وراوي الحديث أبو هريرة. ١٨٧

قوله صلى الله عليه وآله : مَنِ اعْتَزَّ بِالعَبِيدِ أَذَلَّهُ اللهُ

أصل العزّ منع غلبة الغير، والعَزاز: الأرض الصلبة، ولحم متعزّز[3] أي صلب، واستعزّ بالمريض: إذا اشتدّ مرضه وأشرف على الموت.

---

١ . راجع: كنز الفوائد: ٤٨؛ الأغاني: ١١٤/١٥؛ جامع بيان العلم وفضله: ١٧٣/٢.

٢ . عيون أخبار الرضا عليه السلام : ٢١٨/١؛ مكارم الأخلاق للطبرسي: ٤٤٩؛ وراجع: الفتن لأبو نعيم الأصبهاني: ١٨٩/١، ح٥٠٧؛ مسند أحمد: ٣٩٨/١، ح ٣٧٨٤.

٣ . في خ: متعزّز.

ومعنى الحديث: من أعتزّ وتغلّب وبطش بكثرة العبيد كان ذلك داعيةً إلى أن يذلّه الله تعالى ويقهره ويحزمه بالصغار ويحرمه بالتبار[١]، وذلك بأنّه تكحّل بقاعدة الكبر، وما أذلّ المتكبّر على الله وأصغره وأحقره.

فيقول ﷺ: إنّ الله يذلّ من يرى عزّه بالمماليك فيقيمهم صفوفاً على رأسه جبريّة وأبّهة، بل العزّة لله ولرسوله، وللمؤمنين يخضعون لله تعالى فيلبسهم رداء العزّ ويتوّجهم بتاج الكرامة ويظلّهم تحت ظلّ السلامة، فإذا تعزّزت فتعزّز بالله وتوكّل عليه.

وفائدة الحديث التنبيه على خطإ من يتعزّز ويتكبّر بالعبيد والحشم والموالي والخدم، وأنّه تؤول عاقبته إلى الذلّ والهوان. وراوي الحديث عمر بن الخطّاب.

قوله ﷺ: مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا

«الغشّ»: خلط الشيء بغيره وإيهام أنّه منه كخلط الماء باللبن، وهو من الخيانة، وقد غَشَّه يغشّه غشّاً، والغَشّ: اسم لما يُخلط به ثمّ يستعمل نقيضاً للنصح، والغِشّ: المشرب الكدر.

فيقول ﷺ: من لم يناصحنا في المودّة وأضمر لنا فليس منّا.

وفي تاريخ البخاري يروى عن أبي بُردَة بن نِيار قال: «مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِطَعَامٍ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهِ فَإِذَا هُوَ مَغْشُوشٌ فَقَالَ: لَيْسَ مِنَّا مَنْ غَشَّنَا»[٢].

قيل: «يا رسول الله! ما معنى قولك: ليس منّا من غشنا؟ [قال]: ليس مثلنا»[٣] أي ليس أخلاقه مثل أخلاقنا. وهكذا قوله: «من لم يأخذ شاربه فليس منّا»[٤].

---

١. بالهلاك.

٢. التاريخ الكبير: ٢٢٧/٨؛ وراجع: مسند أحمد: ٤٦٦/٣، ح ١٥٨٧١.

٣. راجع: غريب الحديث لابن سلام: ١٩١/٣؛ دعائم الإسلام: ٢٨/٢؛ كنز العمّال: ١٥٩/٤، ح ٩٩٧٥.

٤. مسند أحمد: ٣٦٦/٤، ح ١٩٢٨٣.

وقال أبو سليمان الخطّابيّ: «إنّما هو على الزجر والوعيد والتغليظ، لأنّه خارج عن الملّة والإسلام، وقد نفى الغشّ أن يكون من أخلاق الأنبياء والصالحين؛ وهذا شبيه بالحديث الآخر: «يُطْبَعُ الْمُؤْمِنُ عَلَى كُلِّ خُلُقٍ لَيْسَ الْخِيَانَةَ وَالْكَذِبَ»[١] يعني أنّهما ليسا من أخلاق أهل الإيمان؛ وليس على أنّه من غشّ أو خان أو كذب فليس بمؤمن والله أعلم»[٢]. انتهى كلام الخطّابيّ.

ولعمري أنّه كما قال، فإنّ الخيانة ليست من أخلاق الإسلام.

١٨٨ *وقال جعفر بن محمّد الصادق عليهما السلام: «مَنْ لَمْ يُصَلِّ صَلَاةَ اللَّيْلِ فَلَيْسَ مِنَّا»[٣]، أي لم يتخلّق بأخلاقنا، لأنّا نصلّي بالليل.

وفائدة الحديث النهي عن الغشّ والزرجنة[٤] والخيانة والغرور. وراوي الحديث ابن عمر.

قوله صلى الله عليه وآله: مَنْ رَمَانَا بِاللَّيْلِ فَلَيْسَ مِنَّا

أصل «الرمي» إلقاء المحسوسات كالسهم والحجر والمدَر، ويكنى به عن الشتم كالقذف، قال الله تعالى: «وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ»[٥]، وقال عزّ وجلّ: «الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ»[٦]. وكان قوم من المنافقين وممّن لم يستقرّ الإيمان في قلوبهم ولم يجدوا حلاوته يجتمعون بالليل فيقولون للرسول صلى الله عليه وآله ما برّأه الله منه ويفترون عليه ويشتمونه، فأوحى الله تعالى بذلك إليه أو يعلمه من جهة المسلمين، فقال: «مَنْ رَمَانَا بِاللَّيْلِ فَلَيْسَ مِنَّا». وهذا كرم منه صلى الله عليه وآله وإبقاء على الرامي لعلّه يرتدع أو يستحيي أو يكفّه عن ذلك إيماناً واعتقاداً، وهذا

---

١. مسند الشهاب: ١/٣٤٤؛ شعب الإيمان: ٤/٢٠٧، ح ٤٨١١؛ كنز العمّال: ٣/١٨٨، ح ٧٤٦٧.

٢. لم أقف عليه

٣. المقنع: ١٣١؛ روضة الواعظين: ٣٢١؛ بحار الأنوار: ٨٤/١٦٢، ح ٥٣.

٤. التخارج والخبّ والخديعة.

٥. النور: ٦.

٦. النور: ٢٣.

من غاية عنايته بالخلق، فقال على الإجمال من غير تعيين وتبيين وتنصيص وتخصيص لمن تعاطى ذلك دفعاً بالأحسن وأخذاً بأبين الكرم. والكلام في «ليس منّا» قد تقدّم في الحديث الذي قبله.

وقد قيل في معنى هذا الحديث: إنّ معنى «رمانا بالليل» أي تركوا الليل علينا فلم يحضروا جماعتنا وتحرّزوا عن مجالسنا وتجالسوا عنّا وطرحوا أنفسهم عن جملتنا، فكأنّهم طرحوا الليل علينا حتّى نُكابده نحن، وهذا وجه.

وفائدة الحديث إعلام أنّ ما يجري في خفية عنه صلى الله عليه وآله بعين من لا يخفى عليه خافية، فهو يوحى به إليه. وراوي الحديث ابن عبّاس.

قوله صلى الله عليه وآله : مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ

«الردّ» هو المردود، كالخلق بمعنى المخلوق والضرب بمعنى المضروب.

فيقول صلى الله عليه وآله: من زاد في الإسلام ما ليس فيه أو ضمّ إليه ما ليس منه، فهو ردّ؛ أي تلك الزيادة والضميمة مردودة غير مقبولة. وصورة اللفظ خبر والمراد به الأمر، أي يردّوه.

وهذا كقوله عليه السلام: «كُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ»[1].

١٨٩ وإنّما قال صلى الله عليه وآله ذلك لعلمه بما سيكون بعده من الفتن والتفرّق، وإنّ *كلّ قوم يتعلّقون ببدعة وكلّ طائفة يعتصمون في طريقتهم بما يوافقها.

وقال عليه السلام: «ستكثر الكذّابة بعدي، فما وافق الكتاب والسنّة فخذوه، وما سوى ذلك فاضربوا به عرض الجدار»[2]، أو كما قال عليه السلام.

وفائدة الحديث تعريف أنّه لا يجوز اتّباع كلّما يروى ويؤثر والأمر بردّ البدع والزوائد.

---

١. صحيح ابن خزيمة: ١٤٣/٣، ح ١٧٨٥؛ المعجم الكبير: ٩٧/٩، ح ١٧٨٥؛ كنز العمّال: ٦/١١، ح ٣٠٤٠٥.

٢. في الاحتجاج: ٤٤٧/٢: «قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ الْكَذَّابَةُ وَسَتَكْثُرُ بَعْدِي فَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ فَإِذَا أَتَاكُمُ الْحَدِيثُ عَنِّي فَاعْرِضُوهُ عَلَى كِتَابِ اللهِ وَسُنَّتِي فَمَا وَافَقَ كِتَابَ اللهِ وَسُنَّتِي فَخُذُوا بِهِ وَمَا خَالَفَ كِتَابَ اللهِ وَسُنَّتِي فَلَا تَأْخُذُوا بِهِ»؛ وراجع: الكافي: ٦٣/١، ح ١.

وراوية الحديث عائشة.

قوله صلى الله عليه وآله: مَنْ لَمْ يَأْخُذْ شَارِبَهُ فَلَيْسَ مِنَّا

«الشارب»: الشعر النابت على أجراف[1] الشفة العليا، وسمّي بذلك لأنّه يشرب ما يشربه صاحبه وينثل به. والكلام في هذا الحديث و«ليس منّا» كما تقدّم من أنّ معناه أنّه ليس من أخلاقنا.

وفي الحديث: «أَحْفُوا الشَّوارِبَ وَأَعْفُوا اللِّحَى»[2]، والإحفاء: أخذ الشارب، والإعفاء: التكثير من عفا شعره أي كثر.

وفائدة الحديث الأمر بأخذ الشارب حتّى لا يتشبّه بالأكراد والأتراك. وراوي الحديث زيد بن أرقم.

قوله صلى الله عليه وآله: مَنْ تَأَنَّى أَصَابَ أَوْ كَادَ وَمَنْ عَجَّلَ أَخْطَأَ أَوْ كَادَ

«الأناة»: التؤدة وهو اسم من تأنّى، وتأنّي أي تَرَفَّق وتنظّر، واستأنيته أي انتظرت به، والأناة من النساء: الوقور.

قا ل سيبويه: أصله وناةٌ من الوني كأحد من وحد.[3] وأنيت الشيء إيناءً: أخّرته أتربّص به وقته.

فيقول صلى الله عليه وآله: من ترفّق في أمره وتثبّت أصاب أي بلغ الصواب، وكان بالحريّ أن لا تزلّ رجله ولا يأتي بما يُلام عليه، وبالعكس من ذلك من عجّل، لأنّه أقدم على الأمر من غير

---

١. جمع الجُرُف.

٢. مكارم الأخلاق للطبرسي: ٦٧؛ بحار الأنوار: ١١٢/٧٣، ح ١٤؛ وراجع: مسند أحمد: ١٦/٢، ح ٤٦٥٤.

٣. كتاب سيبويه: ٣٣١/٢؛ الأصول في النحو: ٣٠٧/٣.

تدبّر ونظر، وذلك دأب العجلان، ينتشر عليه أمره ويتشعّب عليه رأيه.

وقال عليه السلام: «التَّأَنِّي مِنَ الرحمانِ، وَالْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ»[١].

وقوله عليه السلام: «أو كاد» أي أو كاد أن يصيب وكاد أن يخطئ، فاختصر لتقدّم الفعل عليه.

وفائدة الحديث الأمر بالتثبّت والرفق والنهي عن العجلة والخُرق. وراوي الحديث عقبة بن عامر.

قوله صلى الله عليه وآله: مَنْ يَزْرَعْ خَيْراً يَحْصُد رَغْبَةً وَمَنْ يَزْرَع شَرّاً يَحصُد نَدَامَةً

«الزرع»: الإنبات، قال تعالى: «أَفَرَأَيْتُمْ ما تَحْرُثُونَ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ»[٢]، فنسب الحرث الذي هو إلقاء البذر في الأرض إليهم والزرع الذي هو الإنبات إلى ذاته تبارك وتعالى، لأنّه هو المنبت. والزرع أيضاً المزروع، *ويقال للصبيّ زرعه الله أي أنبته وجَبَره وأصلح شأنه، وازدرع فلان أي احترث. و«الحصد»: قطع الزرع، يقول: حصدتُ الزرع أحصده حصداً فهو محصود وحصيد وحَصَدٌ والمِحصَد: المِنجل؛ وأحصد الزرع واستحصد: بلغ أن يُحصد، وهذا زمان الحصاد. و«الرغبة» هي الإرادة، مصدر رغبت فيه أرغب رغبةً ورغباً وارتغبت فيه، ثمّ يوصف ما يرغب فيه بالرغبة وتسميةً بالمصدر، والرغبة: العطاء الكثير والجمع رغائب، وأصل «رغب»: السعة، يقول: حوض رغيب وسقاء رغيب وفرس رغيب العَدْو، والرَغْبة كأنّها سعة في الإرادة، ويقال: الرَغَب والرُغبى.

١٩٠

فيقول صلى الله عليه وآله: من يزرع الخير والمحبوب يحصد ما يرغب فيه، أو يحصد الرغبة فيه، لأنّ صاحب الخير مرغوب فيه محبوب، ومن يزرع شرّاً يحصد في العاقبة ندامةً وحسرةً، وهذا

---

١. مسند إسحاق: ٤٢٨/١، ح ٤٩٤؛ مسند أبي يعلى: ٢٤٧/٧، ح ٤٢٥٦؛ شعب الإيمان: ٨٩/٤، ح ٤٣٦٧؛ كنز العمّال: ٤٤/٣، ح ٥٦٧٥؛ في أكثر المصادر: «من الله».

٢. الواقعة: ٦٣ ـ ٦٤.

يتمشّى في الدنيا والآخرة، وإنّ الخيّر يحبّه الله تعالى ويحبّه الناس، وجزاء خيره على الرصد له، والشرير يبغضه الله تعالى ويبغضه خلقه لما ينساق إليهم من شرّه.

وفائدة الحديث أنّ صاحب الخير مرغوب فيه تانٍ[1] من عنانه متمكّن من سلطانه، وصاحب الشرّ مرغوب عنه نادمٌ على ما أسلفه متحسّر على ما خلّفه. وراوي الحديث أمير المؤمنين عليه السلام.

قوله صلى الله عليه وآله: مَنْ أَيْقَنَ بِالْخَلَفِ جَادَ بِالْعَطِيَّةِ

هذا مثل يضربه صلى الله عليه وآله، فيقول: إذا أيقن الإنسان أنّ ما ينفقه يثمر له خيراً وينمى له مالاً كان أقرب إلى الإنفاق؛ ألم تر إلى التاجر الذي ينفق رأس ماله في بضاعة يشتريها ويحملها بنفسه العزيزة ويتحمّل مشاقّ البرّ والبحر وكرب الهواجر[2] والأشجار ويكابد الشَظَف[3] والسهر حتّى يزيد في رأس ماله، كلّ ذلك ثقةً منه بالزيادة والنماء. و«الخلف» هو ما يخلف الشيء ويقوم مقامه. فالتجارة المربحة هي التي يكون المعامل فيها ربّ العزّة تبارك وتعالى الذي خزائنه لا تنقص وبحره لا يغضغض[4]، وفوائده تنمي وتزيد وتزكو فلا تبيد.

فيقول عليه السلام: إنّ العبد إذا أيقن أنّ ما ينفقه في سبيل الله يربيه الله له فيعود إليه مضاعفاً أضعافاً، كان *أقرب إلى الإنفاق وأبعد من الإمساك.

١٩١

وقد روي عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «إِنَّ اللهَ يُعْطِي عَبْدَهُ الْمُؤْمِنَ بِالْحَسَنَةِ أَلْفَ أَلْفِ حَسَنَةٍ، وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: [لَا، بَلْ] سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله: يُعْطِيهِ أَلْفَيْ أَلْفِ حَسَنَةٍ، ثُمَّ تَلَا: «إِنَّ اللهَ لا يَظْلِمُ

---

١. ثابت وراسخ، من تنأ بالمكان: أقام به.

٢. جمع الهاجرة وهي نصف النهار عند اشتداد الحرّ.

٣. يبس العيش.

٤. لا ينقص ولا يقطع.

مِثْقالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضاعِفْها وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً»[١]، فَإِذَا قَالَ اللهُ تعالى: «أَجْراً عَظِيماً»، فَمَنْ يقدرُ قَدْرَهُ»[٢].

وقال صلى الله عليه وآله: «إِنَّ الصَّدَقَةَ تَقَعُ فِي يَدِ الرَّحْمَنِ قَبْلَ أَنْ يَقَعَ[٣] فِي يَد السائلِ»[٤].

وقال صلى الله عليه وآله عن الله تعالى: «مَن عَمِلَ حَسَنَةً فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا [أو أَزِيدُ] وَمَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَجَزَاهُ مِثْلُهَا وَأغفر، وَمَنْ عَمِلَ قُرَابَ الأَرْضِ خَطِيئَةً ثُمَّ لقيني لاَ يُشْرِكُ بِي شَيْئاً جَعَلْتُه له مِثْلَهَا مَغْفِرَةً، وَمَنِ اقْتَرَبَ إِلَيَّ شبراً اقْتَرَبْتُ إليهِ ذِرَاعاً، وَمَنِ اقْتَرَبَ إِليّ ذِرَاعاً اقْتَرَبْتُ إليه بَاعاً، وَمَنْ أتاني بِمَشي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً»[٥].

وفائدة الحديث الترغيب في الخير وإعلام أنّ جزاء ذلك معدّ، والتذكير بأنّ من تيقّن الخير لم يستكثر الإنفاق عليه. وراوي الحديث أمير المؤمنين عليه السلام.

قوله صلى الله عليه وآله: مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ أَكْرَمَ النَّاسِ فَلْيَتَّقِ اللهَ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ أَقْوَى النَّاسِ فَلْيَتَوكَّل، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ أَغْنَى النَّاسِ فَلْيَكُنْ بِمَا في يَدِ اللهِ أَوْثَقَ مِنْهُ بِمَا فِي يَدِهِ

الكرم إذا وُصف الله تعالى به فهو الإحسان والإنعام، وإذا وصف به ابن آدم كان عبارة عن الأفعال المحمودة، وأعلاها يتعلّق بمن هو أعلى، ولا وجه أعلى من وجه الله الكريم، فما يتعلّق به يسمّى تقىً، فأكرم الناس من كان أتقى؛ ولذلك قال تعالى: «إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُم»[٦].

---

١. النساء: ٤٠.

٢. مسند أحمد: ٥٢١/٢، ح ١٠٧٧٠؛ تخريج الأحاديث والآثار: ٣٢٠/١، ح ٣٢٩.

٣. في المصادر: تقع.

٤. المجازات النبويّة: ٤٤٦؛ وراجع: المعجم الكبير: ١٠٩/٩، ح ٨٥٧١؛ مجمع الزوائد: ١١١/٣.

٥. مسند أحمد: ١٥٣/٥، ح ٢١٣٩٨؛ كنز العمّال: ١٢٤/١، ح ١١٣٣.

٦. الحجرات: ١٣.

فيقول صلى الله عليه وآله: من أراد أن يكون أكرم من كلّ كريم فليجعل التقوى شعاره والخير دثاره، ومن أراد أن يكون أقواهم فلينقطع إلى الله تعالى متوكّلاً عليه مستنداً إليه ليكفيه كيد كلّ كائد وعناد كلّ معاند، ومن أراد أن يكون أغنى الناس فليثق بموهبة الله تعالى وما يختصّه به من الخيرات وما هو معدّ في خزائنه أكثر من الثقة بما في يده، لأنّ ذلك دائم لا يفنى ومستمرّ لا ينقطع وما في يده معدّ لا يأمن استرداده ولا يمنع نفاده.

وفائدة الحديث الأمر بالتقوى والتوكّل على الله تعالى والثقة به والانقطاع إليه *والاستمداد منه. وراوي الحديث ابن عبّاس.

١٩٢

قوله صلى الله عليه وآله: مَنْ هَمَّ بِذَنْبٍ ثُمَّ تَرَكَهُ كَانَتْ لَهُ حَسَنَةٌ

«الهمّ»: إرادة الشيء، يقال: هممت بالشيء أهمّ به همّاً، ولا مَهَمَّة له ولا هَمام أي لا يَهُمّ.

فيقول صلى الله عليه وآله: من فاوض نفسه في الشروع في معصية وهمّ بها ثمّ تركها خشيةً من الله تعالى ومراقبةً لوجهه الكريم كتب له بذلك فعل يثاب عليه، وذلك أنّه بترك القبيح يستوجب المدح والثواب، وخاصّاً إذا نازعته نفسه إليه وتقاضته الشهوة وحفزته الدواعي وتقدّم عزمه عليه، فالنزوع عمّا سبيله ذلك أشدّ عليه وتجنّبه أشدّ، والصلاح أعدّ وبحبل الرجاء أمدّ.

وعن النبيّ صلى الله عليه وآله: إنَّ اللهَ غَفَرَ لأُمَّتِي ما حَدَّثَتْ بِهِ نَفْسَهَا، مَا لَمْ يَفْعَلْهُ أَوْ يَتَكَلَّمْ بِهِ.[1] أو كما قال عليه السلام.

وفائدة الحديث إعلام أنّ الإنسان إذا همّ بقبيح غفر الله له ذلك الهمّ ما لم يدخل في الوجود وكتب مكانه حسنةً لتركه القبيح الذي عزم عليه. وراوي الحديث عبد الله بن عمر.

قوله صلى الله عليه وآله: مَنْ آتَاهُ اللهُ خَيْرَاً فَلْيُرَ عَلَيْهِ

يقول صلى الله عليه وآله: من اختصّه الله تعالى وألبسه ثوب ثروته وأعطاه الله من خزانته أحبّ أن

١ . مسند أحمد: ٤٧٤/٢، ح ١٠١٤٠؛ سنن ابن ماجه: ٦٥٨/١، ح ٢٠٤٠.

يرى أثر تلك النعمة عليه ظاهراً، فإنّ إظهار النعمة نوع من شكر المنعم وإن لم ينطق به، ويدخل تحت ذلك صنع الخير فيما يؤتيه الله تعالى العبد من إطعام الطعام وكسوة أولى الأعدام حتّى يكون قاضياً حقّ نعمة الله تعالى وإحسانه إليه، ولا يركم بعضه على بعض ظانّاً أنّه لا يعيش إلّا به ويغني المدد فيبقى عنه ويسعد به غيره ويلحقه ضيره؛ كما قال عليه السلام: لك في مالك شريكان: الحادث والوارث، فلا تكن أخسّ الثلاثة نصيباً.[١]

وفائدة الحديث الأمر بالإحسان ممّا أحسن الله تعالى به إليك والإنفاق منه، والتُّقى عن التقتير والتضييق وحبسه عن وجوهه. وراوي الحديث عبد الله.

قوله صلى الله عليه وآله: مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَسْلَمَ فَلْيَلْزَمِ الصَّمْتَ

«السلامة»: التجرّد من الآفات.

فيقول صلى الله عليه وآله: من أراد أن يسلم من الغوائل والتبعات فعليه بالصمت، لأنّ أكثر الآفات والنوازل منشأها من الكلام.

وفي مثل لهم: «رُبَّ كَلِمَةٍ تَقُولُ: دَعْنِي»[٢].

١٩٣ وروي: «أنّ أبابكر لمّا احتضر جعل ينضنض *لسانه: هذا أوردني الموارد»[٣].

---

١. عن أبي ذرّ، ونصّه في المصادر: «لَكَ فِي مَالِكَ شَرِيكَانِ، أَيُّهُمَا جَاءَ أَخَذَ وَلَمْ يُؤَامِرْكَ: الْحَدَثَانِ وَالْقَدَرُ، كِلَاهُمَا يَمُرُّ عَلَى الْغَثِّ وَالسَّمِينِ، وَالْوَرَثَةُ يَنْتَظِرُونَ مَتَى تَمُوتُ، فَيَأْخُذُونَ مَا تَحْتَ يَدَيْكَ وَأَنْتَ تقدّم لِنَفْسِكَ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَّا أَنْ تَكُونَ أَحْسَنَ الثَّلَاثَةِ نَصِيباً، فَافْعَلْ»؛ عيون الأخبار لابن قتيبة: ٣٤٠؛ المجالسة وجواهر العلم: ١١٧، ح٦٨٦؛ تاريخ مدينة دمشق: ٢١١/٦٦؛ نهاية الأرب في فنون الأدب: ١٩٥/٣.

٢. المجالسة وجواهر العلم: ٣٧٤، ح٢٢٠٢؛ الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: ٧٤٨/٦؛ مجمع الأمثال: ٣٠٦/١.

٣. مصنّف ابن أبي شيبة: ٤٣٢/٧، ح٣٧٠٤٧؛ حلية الأولياء: ١٧/٩؛ كنز العمّال: ٣٣٥/٣، ح٨٨٩٠؛ وينضنض لسانه: يقلقه ويحرّكه.

وروي أنّه كان يضع حصاةً في فيه لا يخرجها إلّا عند الصلاة والطعام لئلّا يتكلّم بما لا يعنيه.[١]

وفي حديث : «وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ فِي نارِ جَهَنَّمَ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ»[٢].

وفي كلام بعضهم: «الكلام ذكر والجواب أنثى، وحيثما [اجتمع] الزوجان فلا بدّ من النتاج»[٣].

وربّما يتكلّم الإنسان بما لا يأبه به ولا يضع له محلّاً إمّا لأن يُضحك به غيره أو يحاضر به أو لغرض من الأغراض، فقد رأينا كثيراً ممّن يتكلّم في محفل ولم يكن له غرض إلّا تداري[٤] الناس يخوضون في الكلام وكلّهم وارد أن يكون له سهم فيما يخوضون فيه.

وفائدة الحديث النهي عن الكلام فيما لا يعنيك ولزوم الصمت واستدامة السلامة. وراوي الحديث أنس بن مالك.

قوله صلى الله عليه وآله : مَنْ كَثُرَ كَلامُهُ كَثُرَ سَقَطُهُ وَمَنْ كَثُرَ سَقَطُهُ كَثُرَت ذُنُوبُهُ وَمَنْ كَثُرَتْ ذُنُوبُهُ كَانَ النَّارُ أَوْلَى بِهِ

هذا الحديث كأنّه تعليل وتفصيل للحديث الذي قبله، ولعمري أنّه لكذلك، أنّ الإنسان إذا أرسل لسانه ليتكلّم بما يعرض له فلا بدّ أن يقع السقط والغثّ[٥] في كلامه، وإذا كثر السقط كثرت الذنوب، لأنّ كلّ سقطة ذنب ولو لم يكن فيها إلّا أنّها عبث لكفى، ومن كثرت

---

١ . راجع: إحياء علوم الدين: ١١١/٣؛ مرقاة المصابيح: ٩٥/٩.

٢ . نقل عن رسول الله صلى الله عليه وآله، راجع: ١١٥/٢، ح ١٤؛ مسند الطيالسي: ٧٦، ح ٥٦٠؛ مسند أحمد: ٢٣٦/٥، ح٢٢١١٦.

٣ . نقل عن علي عليه السلام؛ راجع: خصال الصدوق: ٧٣، ح ١١١؛ بحار الأنوار: ٢٠٩/٧٢ـ٢١٠، ح ١؛ وراجع: شعب الإيمان: ٣٤٤/٦، ح٨٤٤٨؛ كنز العمّال: ٢٧٧/٣، ح ٨٤٨٩.

٤ . نشوز واختلاف.

٥ . الرديء من كلّ شيء.

ذنوبه استحقّ النار.

ومحصول الحديث الأمر بقلّة الكلام وهو من عادة الأنبياء والأوصياء والسادة.

وكذلك قال عليه السلام: «نحنُ مَعاشِرَ الأنبياءِ فِينا بُكُؤٌ»[١]، أي قلّة كلام إلّا فيما نحتاج إليه، من بكأت الناقة إذا قلّ لبنها ويكون بَكاءً وبكوءاً.

وروي في صفة النبيّ صلى الله عليه وآله: إنّه كان لا يسرد الكلام سرداً.[٢]

وقد تقدّم الكلام في الصمت.

وفائدة الحديث تفصيل أذى كثرة الكلام وتأديته إلى النار نعوذ بالله منها. وراوي الحديث ابن عمر.

قوله صلى الله عليه وآله: مَنْ رُزِقَ مِنْ شَيءٍ فَلْيَلزَمَهُ

هذا أدب من رسول الله صلى الله عليه وآله يؤدّب به أمّته، فيقول عليه السلام: من رزقه الله تعالى من شيء من صناعة أو تجارة أو دَهْقَنَة فليلزمه، فلعلّ الله تعالى قصّر رزقه عليه، وأبى أن يفتح عليه باب الرزق إلّا منه، ثمّ إنّ التنقّل في الحِرَف والظفر في أنواعها معجزة لأنّه إذا كان ذوّاقاً لم يحكم شيئاً منها، وإذا لم يحكمها قلّ عمله ونزر دخله، وكان التنقّل دليلاً على شدّة طلبه للدنيا وحرصه عليها وتهالكه على أسبابها ❊ورغبته فيها، والحريص محروم، فالأولى أن يلزم طريقته ويتعهّد صنعته ولا يتجاوزه اشتياقاً إلى كلّما يخطر بباله. ١٩٤

وفائدة الحديث الأمر بلزوم الجهة التي يرزقه الله تعالى. وراوي الحديث أنس بن مالك.

---

١. راجع: تهذيب اللغة: ٢١٩/١٠؛ الفائق: ١٢٥/١؛ غريب الحديث لابن الجوزي: ٨٢/١؛ النهاية: ١٤٨/١.

٢. راجع: سنن النسائي: ١٠٩/٦، ح١٠٢٤٥؛ سنن البيهقي: ٢٠٧/٣، ح٥٥٤٧ و٥٥٤٨.

قوله صلى الله عليه وآله: مَنْ أُزِلَّتْ إلَيهِ نِعْمَةٌ فَلْيَشْكُرَهَا

يقال: أزللت عنده إزلالاً وزَلّةً: إذا اتّخذت عنده يداً، وأزلّت: أسديت وأعطيت، والزلّة اسم لما يرفع من المائدة لعزيز.

يقول صلى الله عليه وآله: من اختصّه الله تعالى بنعمة أعطاه إيّاها فليلحّ في شكرها، فإنّ الشكر يمتري المزيد.

وقال تعالى: «لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ» [١].

وقال الشاعر: «والكُفْرُ مَخْبَثَةٌ لِنفْسِ المُنْعِمِ» [٢]، أي مفسدة.

وقال آخر: وكافر النعمة كالكافر. [٣]

وفائدة الحديث الأمر بشكر المنعم المغرّز في العقول الذي لو لم يرد الشرع ببيانه لعلمناه عقلاً وفطرةً. وراوي الحديث يحيى بن عبد الله بن صيفي.

قوله صلى الله عليه وآله: مَنْ لَمْ يَشْكُرِ القَلِيلَ لَمْ يَشْكُرِ الكَثِيرَ

هذا الحديث كالذي تقدّمه في معنى الشكر، وفيه زيادة بشكر القليل من النعم، وذلك أصغر قدر النعمة لا يخرجها من أن تكون مشكورةً، فإنّ النعم الكثيرة إن استحقّت الشكر الكثير فالقليلة يصبها الشكر بالحصّة قدر ما يخرجها من كونها مكفورةً، والشكر جلاء للنعمة ومجلبة للزيادة وإنصاف من المنعم عليه وذكر حسن بين الناس.

وفائدة [الحديث] الأمر بشكر قليل [٤] النعمة وكثيرها وإعلام أنّ من غمط القليل من النعمة تعدّى منه الكفران إلى أن يغمط الكثير. وراوي الحديث النعمان بن بشير.

---

١ . إبراهيم: ٧.

٢ . قاله عنترة بن شداد العبسيّ، راجع: جمهرة أشعار العرب: ١٤٩؛ تهذيب اللغة: ١٧٤/١٠؛ ديوان المعاني: ١١١/١.

٣ . أنشده أبو تمام الطائي، راجع: المنتحل: ٢٢؛ وراجع: التمهيد: ٢٩٥/٢٣.

٤ . في خ: بقليل.

قولهﷺ: مَنْ عَزَّى مُصَاباً فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ

العزاء: الصبر، وعزّيته فتعزّى وصبّرته فتصبّر.

يقولﷺ: من صبّر صاحب مصيبة ومصاباً لفجيعة بكلام يعظه به أو حديث يرويه له أو آية من كتاب الله تعالى يفسّرها له ويتلوها ليتدبّرها وينظر فيها ويتصوّر عاقبة الصبر كتب الله له مثل أجر من كظم ذلك الجزع وتجرّع تلك الجُرَع من غير أن ينقص من أجر المصاب شيء.

وفائدة الحديث الحثّ على تعهّد المصاب وتسليته بالجميل من الكلام. وراوي الحديث عبد الله.

قولهﷺ: مَنْ فَطَّرَ صَائِماً كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ

١٩٥ يحثّ عليه السلام بهذا الحديث الناس على تعاطي الأخلاق الحسنة *من الضيافات وبذل الطعام وخاصّةً للصائمين.

فيقولﷺ: من فطّر صائماً أي رتّب له فطوره ليفطر على طعامه كان شريكه في أجر ذلك الصوم الذي صامه من غير أن يحتبس من أجر الصائم شيء، وذلك لأنّ الخزانة واسعة والنعمة شائعة.

وفائدة الحديث الترغيب في تفطير الصائمين والترتيب لهم والتحفّي بهم وإعلام أنّه شريكه في الأجر. وراوي الحديث زيد بن خالد.

قولهﷺ: مَنْ رَفَقَ بِأُمَّتِي رَفَقَ اللهُ بِهِ

الرفق: اللين وتسهيل الأمر، يقال: رفقتُ به أرفق رفقاً، وحكى أبو زيد: أرفقته بمعنى رفقت به، وكذلك ترفّقت به.

يقولﷺ: إنّ من رفق بأمّتي [و]سهّل عليهم وسامحهم وأخذ معهم بالأحسن الأوفق

رحمةً لهم وتحنّناً عليهم وإحساناً إليهم وتحفّياً بهم ومجاملةً معهم، قابله الله بمثل فعله؛ وإن كان هذا الرافق من غير الأمّة كان هدراً، لأنّه لم يستوف شرطه الذي لا بدّ للقربة منه.

وهذا ترغيب في الإحسان إلى أمّته صلى الله عليه وآله نظراً إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وإلى كلامه وحثّه وحرمةً للإخوان المؤمنين وعلماً بأنّه كما يدين يدان وكما يعامِل يعامَل حذو النعل بالنعل؛ فعلى المؤمن أن يكون رحيماً رؤوفاً لطيفاً كريماً مشبهاً بأخلاق الربوبيّة على قدر المقدور واقتداءً بالصفات الصمديّة التي أفخر الصفات؛

وبذلك أمر صلى الله عليه وآله حيث قال: «إِنَّ للهِ تَعَالَى تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْماً مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»[1].

ولا يريد بذلك يعدّها عدّاً، بل معناه: من أطاق أن يقتدي بها قدر ما يطيق دخل الجنّة، وأحصى بمعنى أطاق؛

كما قال عليه السلام: «اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا»[2]؛

فقال تعالى: «عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ»[3]، أي تطيقوه؛ فنحن مأمورون بأن نقتبس من صفاته الكريمة عزّ ربّنا وعلاه.

وفائدة الحديث الأمر بالرفق واللين والسهولة والإخبار بأنّ من فعل ذلك جازاه الله تعالى جزاءً حسناً. وراوية الحديث عائشة.

قوله صلى الله عليه وآله: مَنْ عَادَ مَرِيضاً لَمْ يَزَلْ فِي خُرفَةِ الجَنَّةِ

«الخرفة»: قدر ما يجتنى من الفاكهة، والمخرفة: البستان، وحكى أبو زيد: «الخرائف: النخل

---

١. التوحيد: ١٩٥؛ بحار الأنوار: ١٨٧/٤، ح٢؛ وراجع: مسند أحمد: ٤٩٩/٢، ح١٠٤٨٦؛ سنن الترمذي: ٥٣٢/٥، ح٣٥٠٨.

٢. مسند الطيالسي: ١٣٤، ح٩٩٦؛ مسند أحمد: ٢٧٦/٥، ٢٢٤٣٢.

٣. المزّمّل: ٢٠.

١٩٦ اللاتي تخرص»[١]. والخريف: الفصل الذي يخترف فيه الثمار، والمِخرَف: *ما يجتنى فيه الفواكه، وخرفت الثمار أخرفها[٢] بالضمّ أي اجتنيتُها فهو مخروف وخريف وأنا خارف.

وروي هذا الحديث على وجه آخر: «وعائد المريض في خرافة الجنّة»[٣]، أي في اجتناء ثمر الجنّة.

وروي على وجه آخر: «عائد المريض على مخارف الجنّة حتّى يرجع». قال أبو عبيد: قال الأصمعيّ: واحد المخارف مخرف وهو جنى النخل سمّي بذلك لأنّه يُخترف أي يُجتنى.[٤]

وقال ابن قتيبة: ليست المخارف الجنى بل هي النخل أنفسها والجنى مخروف وليس بمخرف.[٥]

والأمر في ذلك قريب، فأمّا الذي نحن فيه من قوله عليه السلام: «عائد المريض في خرفة الجنّة» فهو تسمية الشيء بما يؤول إليه أي أنّه في ثمر الجنّة يطعمه ويتناوله.

والمعنى: سيطعمه وسيصل إليه ثواباً على عيادته للمريض، الذي خلع الله تعالى عنه لباس العافية وابتلاه بالمرض الذي يصدّه عن المطاعم والمشارب، بل سجنه في جلده لا يستطيع أن يتحرّك ويقوم ويقعد وينصرف، فمن رقّ له وسلّى قلبه عن مرضه وطيّب قلبه بذكر عرضه وزاره حتّى لا يقع له أنّه قد أدرج في صحيفة النسيان وترك ذكره من بين الإخوان، كان بعرض أن يمكّنه الله من خرفة ثمارها وفواكهها ـ أطعمنا الله منها ـ.

ويجوز أن يعني بالخرفة البستان، ويكون على معنى سكّان الخرفة أو مظنّة الخرفة، فحذف المضاف.

وفائدة الحديث الحثّ على العيادة وإعلام أنّه من جملة العبادة. وراوي الحديث ثوبان.

---

١. راجع: الصحاح: ١٣٤٩/٤.

٢. في خ: أخرفتها.

٣. سنن البيهقي الكبرى: ٣٨٠/٣، ح ٦٣٧٤؛ غريب الحديث لابن الجوزي: ٢٧٣/١.

٤. راجع: غريب الحديث لابن سلام: ٨١/١؛ تهذيب اللغة: ١٥٠/٧.

٥. راجع: غريب الحديث للخطابي: ٤٨٢/١؛ مشارق الأنوار: ٢٣٣/١؛ كشف المشكل: ٣١٤/٢.

قولهﷺ: مَنْ دَعَا عَلَى مَنْ ظَلَمَهُ فَقَدِ انْتَصَرَ

يقولﷺ: من دعا على ظالمه فقد انتقم منه، وأصل الانتصار طلب النصرة، يقال: انتصر واستنصر، فكان المعنى طلب النصرة من الله تعالى على الظالم، ومن كان الله تعالى ناصره على ظالمه فقد انتقم عنه غاية الانتقام.

وقال النبيّ عليه السلام: «دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ مُسْتَجَابَةٌ»[١].

وقال عليه السلام: «دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ تُحْمَلُ عَلَى الْغَمَامِ»[٢].

يقول الله تعالى: «لَأَنْصُرَنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ»[٣].

وأيّ انتقام أهول من أن يكون الله ناصره على ظالمه، وهو وإن لم يقع ولم يحصل بعده فإنّه في حكم الحاصل الواصل، وإن لم يدْعُ عليه كان أشدّ لانتقامه وأصعب لانتصاره، لأنّ موسى الله أحدّ وساعِد الله أشدّ؛ أولم تر إلى النبيّﷺ حين سمع دعاء عائشة على الذي سرقها قال: «لاَ تُسَبِّخي *عنهُ بِدُعائِكِ عليه»[٤]، أي لا تخفّفي، يقال: سبّخ الله عنه الحمّى أي خفّفها وسكّنها. ١٩٧

وعن الحجّاج بن الفُرافِصَة قال: قرأت في بعض الكتب: «مَنْ[٥] لَمْ يَنْتَصِرْ مِمَّنْ ظَلَمَهُ بِيَدٍ وَلا حِقْدٍ وَلا لِسَانٍ، فَكَذَلِكَ إشارة إلى مَنْ عِلْمُهُ[٦] يَقِينٌ، وَمَنِ اسْتَغْفَرَ لِظَالِمِهِ هَزَمَ الشَّيْطَانَ»[٧].

---

١. الكافي: ٤٠٣/٨؛ أماليّ الطوسي: ٣١١؛ بحار الأنوار: ٣١٠/٧٢، ح ١١؛ وراجع: مسند الطيالسي: ٣٠٦، ح ٢٣٣٠؛ مسند أحمد: ٣٠٤/٣، ح ٨٧٨١.

٢. مسند الطيالسي: ٣٣٧، ح ٢٥٨٤؛ مسند أحمد: ٣٠٤/٢، ح ٨٠٣٠.

٣. نقل عن رسول اللهﷺ أنّه قال: يقول الله ... ؛ راجع: روضة الواعظين: ٣٢٦؛ وراجع: مسند الطيالسي: ٣٣٧، ح ٢٥٨٤؛ مسند أحمد: ٣٠٤/٢، ح ٨٠٣٠.

٤. غريب الحديث لابن سلام: ٣٣/١؛ الفائق: ١٤٥/٢؛ وراجع: مسند أحمد: ٤٥/٦، ح ٢٤٢٢٩.

٥. كذا في المصادر، وفي خ: ممّن.

٦. كذا في المصدر، وفي خ: عمله.

٧. الزهد لابن المبارك: ٢٣٤/١، ح ٦٦٩؛ حلية الأولياء: ١٠٩/٣؛ تهذيب الكمال: ٤٤٩/٥؛ في المصدر الأوّل: «فرافضة»، وفي سائر المصادر: «فرافصة»، وفي خ: «الفرافضة».

وقال يونس بن ميسرة: «مَنْ كَانَ عَفْوُهُ قَرِيباً مِمَّنْ أَسَاءَ إِلَيْهِ فَذَاكَ الَّذِي يَقُومُ بِهِ الدُّنْيَا»[١].

قال الله تعالى: «فَمَنْ عَفا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ»[٢]، وقال تعالى: «خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجاهِلِينَ»[٣].

وفائدة الحديث إعلام أنّ من دعا على ظالمه فقد انتقم منه انتقاماً بليغاً حين استكفى الله أمره ووكله إلى من [لا]يسامح في حقّ عباده تعالى وتقدّس. وراوية الحديث عائشة.

قولهﷺ: مَنْ مَشَى مَعَ ظَالِمٍ فَقَدْ أَجْرَمَ

أصل الجرم: القطع، يقال: جرم الثمر فهو جارم وقوم جِرام وثمر جريم، ثمّ استعير لاكتساب المكروه، يقال: جرم واجترم والجرم اسم لما يكتسب من الشرّ، وأجرم: صار ذا جرم، كقولك ألحم: صار ذا لحم، وكذلك أصله قطف الثمر ثمّ استعير للاكتساب المذمومة، يقال: جنى جنايةً إذا ارتكب فعلاً يذمّ عليه.

فيقولﷺ: من مشى مع ظالم يكثر سواده وينصر أحفاده اكتسب بذلك جرماً يوجب عليه غرماً، وذلك أنّ مجالسة الظلمة شؤم، ومصاحبتهم مدعاة إلى الفساد مَجْدَرَة[٤] من التهاون بأمر الله تعالى ونهيه، لأنّ الله تعالى خلق ابن آدم متطبّعاً بما تكثر ممارسته له وتوّاقاً[٥] إلى ما يستأنس به، ومتخلّقاً بالأخلاق التي يزاولها وتكثر صحبته لها.

وقال أفلاطون: لا تجالس الأشرار فإنّ طبعك يسرق من طبعهم وأنت لا تدري.[٦]

ثمّ إنّ اللعنة تنثر عليهم، فمن جالسهم أو ماشاهم لم تفته اللعنة. وفي مجالستهم

---

١. روضة العقلاء: ١٦٧؛ تاريخ مدينة دمشق: ٨٥/١٨.

٢. الشورى: ٤٠.

٣. الأعراف: ١٩٩.

٤. مخلفة ومَحْرَاة.

٥. شوّاقاً والذي تتوق نفسه إلى كلّ دناءة.

٦. راجع: شرح نهج البلاغة: ١٤٢/٢٠؛ عيون الأنباء: ٨٣؛ تفسير غرائب القرآن: ١٥٨/٦.

ومصاحبتهم شيء آخر وهو أنّ ضعفة المسلمين إذا نظروا إلى الصالح يجالسهم ظنّوا بهم خيراً ووقع لهم أنّ ما يقدمون عليه لعلّ مُساغاً في الشرع وجوازاً في الدين، والذي يفعلونه لعلّه بمشاورته ومفاوضته ويسوء ظنونهم به ويكون هو الذي حملهم على ذلك.

وقال النبيّ صلى الله عليه وآله: «ثَلاثٌ مَنْ فَعَلَهُنَّ فَقَدْ أَجْرَمَ: مَنِ اعْتَقَدَ لِوَاءً فِي غَيْرِ حَقٍّ، أَوْ عَقَّ وَالِدَيْهِ، أَوْ مَشَى مَعَ ظَالِمٍ لِيَنْصُرَهُ»[1].

١٩٨

وروي: «مَنْ مَشَى مَعَ ظَالِمٍ لِيُعِينَهُ وَهُوَ يَعْلَمُ *أَنَّهُ ظَالِمٌ فَقَدْ خَرَجَ مِنَ الْإِسْلَامِ»[2]. ـ نعوذ بالله من الخذلان ـ.

وفائدة الحديث النهي عن صحبة الظلمة والركوب في موكبهم[3] والمشي معهم. وراوي الحديث معاذ بن جبل.

قوله صلى الله عليه وآله: مَنْ تَشَبَّهَ بِقَومٍ فَهُوَ مِنْهُمْ

يقول صلى الله عليه وآله: من تكلّف شبه قوم وتزيّا بزيّهم وتخلّق بأخلاقهم واقتدى بأفعالهم عدّ في جملتهم، سواء أن كان منهم عقداً ونيّةً أو لم يكن. وينبغي للعاقل أن لا يتخلّق بالأخلاق المذمومة ولا يتزيّا بالزيّ المنكر، لأنّه إذا فعل ذلك اندرج في جملة الذين تشبّه بهم وعدّ معدّهم وأصبح أحدهم.

وهذا إشارة إلى تكلّف شعار الصالحين فإنّه من تكلّف شيئاً مدّةً أوشك أن يتطبّع فيه. ويقال: «إنّ العادة إذا قدّمت صارت طبيعةً»[4]، وكم قد رأينا من صالح صاحب طالحاً

١ . الفردوس بمأثور الخطاب: ٨٦/٢، ح ٢٤٦٢؛ كنز العمّال: ١٢/١٦، ح ٤٣٧٨١.

٢ . جامع الأخبار: ١٥٥؛ بحار الأنوار: ٣٧٧/٧٢، ح ٣١؛ وراجع: المعجم الكبير: ٢٢٧/١، ح ٦١٩؛ كنز العمّال: ٢٠٠/٣، ح ٧٥٩٦.

٣ . المؤكب: الجماعة من الناس يسيرون ركباناً ومشاةً في زينة أو احتفال.

٤ . قاله أبقراط، راجع: عيون الأنباء: ٤٩.

فأصبح في جلدته ولابس بُردَته، وبالعكس من ذلك، كم من مفسد صاحب المصلحين فأخذوه صلاحهم وأعدوه فلاحهم فغدا في ظلّ الصلاح مقبلاً وبشعار الخير مشتملاً.

وفائدة الحديث الأمر باجتناب تكلّف الشبه المذموم واختيار القدوة الحسنة. وراوي الحديث طاوس .

قولهﷺ : مَنْ طَلَبَ العِلْمَ تَكَفَّلَ اللهُ بِرِزْقِهِ

التكفّل كالضمان، يقول: تكفّل يتكفّل تكفّلاً، وأصله كفل به كفالةً أي ضمنه، وكان في التكفّل زيادة التزام.

فيقولﷺ: طالب العلم يتكفّل الله تعالى برزقه ضامناً له موصلاً إليه، ثمّ إنّ طالب العلم يحلى بالعيون ويجلّ في الصدور ويرغب الناس فيه وفي التقرّب إليه والتحقّي به؛ وحقيق بمن قصر نفسه على علم الدين والكتاب والسنّة والأصول ووقفها عليه مشقياً عينيه بالسهر وقلبه بالفكر وخاطره بالنظر كادّاً بدنه بالنسخ معيناً رجليه بالطواف على أبواب أهل العلم أن يضمن الله تعالى رزقه، فيوصله إليه من أهنى الوجوه وأهيأها[١].

وفي الحديث: كن عالماً أو متعلّماً أو سائلاً أو مسؤولاً، ولا تكن الخامس فتهلك.[٢]

وفائدة الحديث الحثّ على طلب العلم وقلّه الاكتراث بالرزق، وإعلام أنّ الله تعالى تكفّل به وضمنه. وراوي الحديث زياد بن الحارث الصدائي.

١٩٩

قولهﷺ : مَنْ لَمْ يَنْفَعَهُ عِلْمُهُ *ضَرَّهُ جَهْلُهُ

تحقيق هذا الحديث: أنّ الإنسان لا يخلو من أن يكون عالماً أو جاهلاً ولا ثالث لهما، فمن

---

١ . في خ: أهيأيها.

٢ . يختلف نصّه في المصادر؛ راجع: نثر الدرّ: ١٢٦/١؛ وراجع: مسند البزار: ٩٤/٩، ح٣٦٢٦؛ المعجم الصغير: ٦٣/٢، ح٧٨٦؛ حلية الأولياء: ٢٣٧/٧؛ كنز العمّال: ٦٢/١٠، ح ٢٨٧٣٠.

حصّل المعرفة بالله تعالى بالنظر الصحيح وتعلّم الشرعيّات انتفع بها، ومن قصّر في ذلك ضلّ وهلك؛ فالأوّل منتفع بعلمه، وإن لم يفعل فيستضرّ بجهله. وما أحسن بالإنسان أن يعرف ربّه ويعلم دينه ويحكم حلاله وحرامه لينتفع به وينفع غيره.

ولذلك قال تعالى: «هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ» [١].

وهذا للدين؛ وأمّا الدنيا فإنّه يترأّس [٢] بمكانه ويرفع به على أقرانه، إن حضر بُجِّلَ [٣] وإن كان له شغل عجّل وإن غاب ذكر بخير وإن تكلّم أنصت إليه وإن أفتى اعتمد عليه .

ولذلك قال الأوّل: تعلّموا العلم فإن كنتم أغنياء كان لكم جمالاً وإن كنتم فقراء كان لكم مالاً. [٤]

وقال الشاعر:

تَـعَلَّم فـليس المـرءُ يُـولدُ عـالِماً ... وَلَيْسَ أخو عِلْمٍ كَمَنْ هُوَ جَاهِلُ

وإنَّ كَـبِيرِ الْقَـوْمِ لاَ عـلْمَ عِـنْدَهُ ... صَـغيرٌ إذا الْتَـفَّتْ عَـلَيهِ المحَـافِلُ [٥]

وفضائل العلم كثيرة وغير هذا الموضع أولى بها.

وفائدة الحديث الحثّ على طلب العلم والتحذير من الجهل. وراوي الحديث عبد الله بن عمر.

قولهﷺ: مَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ

يقولﷺ: من قعد به عمله فلم يقدّمه ديناً ودنياً لم يسرع به نسبه، وإن كان شريفاً

---

١ . الزمر: ٩.

٢ . صار رئيساً.

٣ . عُظّم.

٤ . قاله عبد الملك بن مروان لبنيه، راجع: جامع بيان العلم وفضله: ٥٧/١؛ وراجع: نور القبس: ١.

٥ . راجع: البيان والتبيين: ١٢٢؛ الزاهر في معاني كلمات الناس: ٢٠٧/٢؛ شرح نهج البلاغة: ١٠٩/١٨.

كريماً. يعني: أنّ الحسيب النسيب إذا اتّكل على النسب وكسل عن اقتناء العلم والأدب وجنح إلى الاستراحة ولزوم الراحة وضيّع عمره في الرَبيلة[١] حصل على الرذيلة والعاقبة الوبيلة ولم ينفعه النسب المجرّد، وليت شعري ماذا تنفع الألسن الفاخرة والعظام الناخرة؛ هذا في الدنيا فأمّا في الآخرة فالأمر أدهى وأمرّ.

ولذلك قال صلى الله عليه وآله: يا بني هاشم! لا يجيئني الناس بالأعمال وتجيئوني بالأنساب.[٢]

وروي عنه صلى الله عليه وآله: يا فاطمة ابنة محمّد! لا أغني عنكِ من الله شيئاً ويا خديجة ابنة خويلد! لا أغني عنكِ من الله شيئاً.[٣]

وقال تعالى: «فَلا أَنْسابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَساءَلُونَ»[٤].

وقال النبيّ صلى الله عليه وآله: لستُ بخير من فارسيّ ولا نبطيّ إلّا بالتقوى.[٥]

وقال عليه السلام: «ائْتُونِي بِأَعْمَالِكُمْ وَلَا تَأْتُونِي بِأَنْسَابِكُمْ»[٦].

وقال الأحنف بن قيس: «من فاته حسب يديه لم ينتفع *بنسب أبويه»[٧].

٢٠٠

وقال مالك بن بُرْهَة المجُاشعيّ: «ألست أشرف قومي؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن كان لك

١. النعمة والخصب؛ في خ: الدبيلة.

٢. الظاهر نقل بالمعنى، راجع: سيرة ابن إسحاق: ١٢٨/٢، ح١٩٣؛ مسند أبي يعلى: ١٥١/٣، ح١٥٧٩؛ المعجم الكبير: ٤٥/٥ و٤٦، ح٤٥٤٤ و٤٥٤٥ و٤٥٤٧.

٣. راجع: صحيح البخاري: ١٠١٢/٣، ح٢٦٠٢؛ صحيح مسلم: ١٩٢/١، ح٢٠٦؛ كنز العمّال: ٥/١٦، ح٤٣٧٠١.

٤. المؤمنون: ١٠١.

٥. راجع: التذكرة الحمدونيّة: ٣٨٩/٣؛ جامع الأحاديث: ٨٠/١٥، ح٤٨٧٨؛ كنز العمّال: ١١١/١٦، ح٤٤٣٧٧.

٦. عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢٣٥/٢؛ بحار الأنوار: ٢٤١/٧، ح١١؛ تاريخ اليعقوبي: ١١٠/٢؛ التذكرة الحمدونيّة: ٣٨٩/٣.

٧. محاضرات الأدباء: ٤٠٨/١؛ وراجع: العقد الفريد: ١٣٧/٢؛ المجالسة وجواهر العلم: ١٤١، ح٨٢٨؛ الفائق: ٢٨١/١.

عقل فلك فضل فإن كان لك خلق فلك مروءة وإن كان لك مال فلك حسب وإن كان لك دين فلك تقوى»[١].

وقال ابن الروميّ:

وما الحَسَبُ الموروثُ لا درَّ دَرُّه بمحتَسَبٍ إلّا بآخرَ مُكتسب
إذا العودُ لم يُثمر وإن كانَ شُعبةً منَ المثمراتِ اعتدَّهُ الناسُ في الحطبِ[٢]

بل إذا تعاون العمل والحسب كان نوراً وحبوراً على حبور.

وقد قال صلى الله عليه وآله: «كُلُّ حَسَبٍ وَنَسَبٍ يَنْقَطِعُ إلَّا حَسْبِي وَنَسَبِي»[٣]. فلو لم يكن معتدّاً به أصلاً لم يذكر ذلك.

وقال عليه السلام: «كذب من زعم أنّ نسبي لا ينفع ولكن بشرط أن يقترن به عمل صالح»[٤].

وفائدة الحديث الحثّ على الاكتساب والنهي عن الاحتساب بالأحساب والتكثّر بالأنساب. وراوي الحديث أبو هريرة.

قوله صلى الله عليه وآله: مَنْ جُعِلَ قَاضِياً فَقَدْ ذُبِحَ بِغَيْرِ سِكِّينٍ

وروي: «مَنْ وَلِيَ الْقَضَاءَ»[٥].

أصل الذبح الشقّ، قال الراجز:

كأنَّ بَيْنَ فَكِّها والفَكِّ فَأْرَةَ مِسْكٍ ذُبِحَتْ في سُكِّ[٦]

---

١. نثر الدرّ: ١٢٨/١؛ أسد الغابة: ١٤/٥؛ شرح نهج البلاغة: ٦٤/١٨.

٢. البصائر والذخائر: ٢٠٠/٩؛ محاضرات الأدباء: ٤٠٨/١ـ٤٠٩؛ المنتظم: ٣٦٤/١٢؛ ديوان ابن الرومي: ٣٤٩؛ كذا في المصادر، وفي خ: من الثمرات ... .

٣. طبائع النساء: ٤٠؛ كشف المشكل: ١٢٢/١؛ تفسير غرائب القرآن: ٤٥٢/٥؛ وراجع: كنز الفوائد: ١٦٧؛ الطرائف: ٧٦.

٤. لم أقف عليه.

٥. سنن أبي داود: ٢٩٨/٣، ح٣٥٧٢؛ المعجم الأوسط: ٤٩/٩، ح٩١٠٣؛ كنز العمّال: ٣٨/٦، ح١٤٩٩٩.

٦. جمهرة اللغة: ١٣٥/١؛ تهذيب اللغة: ٢٧٣/٤؛ خزانة الأدب: ٤٤٠/٧.

ويقولون: ذبحتُ الدَنَّ إذا بَزَلْتُه، والذُبّاح: شُقُوق تكون في باطن أصابع الرجل وصار في العرف اسماً لشقّ حلوق الحيوانات على وجه مخصوص. والذبح: المذبوح.

شبّه صلى الله عليه وآله المستقضى بالمذبوح بغير سكّين. وهذا تشديد منه صلى الله عليه وآله لأمر القضاء، وإنّه قلّما أمكن الرجل التفصّي من عهدته على مقتضى الشرع والدين، ولا يخلو من المجاملات والمعاملات والرشى والمصانعات؛ وإنّ أمراً يجب على المتلبّس به أن يسوّي نظره بين المترافعينِ إليه وأن يجري بينهما على سنن العدل والنصفة في اللمحة والخَطْرة والنظرة، لجدير أن يوصف متعاطيه بالذبح؛ فإنّه وإن لم يُذبح بفري الأوداج فقد ذبح بانحرافه عن سواء المنهاج، وإن لم يُفصم وَتَينه[1] فقد قصم دينه ودخل يقينه. وليت شعري، كيف يمكنه أن ينصف بينهما في الخطرات والإنسان طبع على بنية عجيبة ونَصَبة غريبة وهو أن يميل طبعه من غير غرضٍ لايح ولا قصد مسامح فينظر إلى اثنين لا يعرفهما فيقبل أحدهما ويرد الآخر ويصطفي هذا ويحتوي ذاك ولم يرهما قطّ بل يسمع غزوةً أو وقعةً فيميل إلى أحد الخصمين ولم يلمحهما *بعين، وربّما كانت المعصية مصنوعةً والوقعة موضوعةً ولم يخلق الله أحدهما وإنّما يُعلم سرّ هذا من غريز الغرائز ونحز النحائز[2]؛ فليت شعري، كيف ينصف الحاكم بين المتحاكمين إليه في اللمحة والخطرة والنظرة؟! فلهذا ولأشباهه صار من استقضى مذبوحاً بغير سكّين.

٢٠١

ويمكن أن يكون فيه وجه آخر، وذلك أنّ الذبح بغير سكّين يكون آلم للذبيحة، لأنّه قد ذبح بالليطة والصفيحة[3] التي يتردّد وتشدَخ وتدِقّ وتفضَخ[4] فهو إبطاء للموت وأريث[5]

---

١. الوتين عرق في القلب إذا انقطع مات صاحبه.

٢. النحائز جمع النحيزة وهي الطبيعة.

٣. الليطة: قشر القصب والقناة وكلّ شيء كانت له صلابة ومتانة، والصفيحة: كلّ سيف عريض.

٤. الشدخ والدقّ والفضخ: الكسر.

٥. البطء

للفوت، بخلاف الذبح بالسكّين فإنّه إذا ذبح بسكّين مرهفة الغرار محدّدة الأطرار[١] كان أروح له وأوحى وأعجل ليخلصه من ألم الذبح؛ فشبّه المستقضى بالمذبوح بغير سكّين لتعكّس الأمر عليه واشتباهه وشكاية الناس له وتمريقهم فروته وصَغْيهم[٢] له في كلّ حقّ وباطل.

وسئل بعض القضاة فقيل له: كيف أصبحتَ؟ قال: أصبحتُ ونصف الناس عليّ ساخط.[٣]

وفائدة الحديث حفظ النفس عن الشروع في القضاء إلّا باستجماع الشرائط، وهيهات! وراوي الحديث أبو هريرة.

قوله صلى الله عليه وآله: مَنْ حَمَلَ سِلْعَتَهُ فَقَدْ بَرِئَ مِنَ الْكِبْرِ

«السلعة»: متاع الرجل المحمول، وبه سمّيت الغُدّة المتحرّكة سلعةً لأنّها كالمحمولة.

فيقول صلى الله عليه وآله: من لم يربأ[٤] بنفسه عن حمل متاعه إلى بيته كان علامةً لبراءته من أنواع الكبر، لأنّ المتكبّر يترفّع عن مثل ذلك ويحسبه دناءةً وقلّة حرمة؛ ولا لعمري ممّا في ذلك من غضاضة ولا غثاثة، إنّه من علامات الإسلام وقَذْع[٥] النفس وصبرها على أثقال ما أحدث به. وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يحمل سلعته من السوق إلى بيته، فمن أكبر من رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يعرف ذلك دناءةً وضعةً إلّا حسن خلق وطيب عشرة.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام يصف عيسى عليه السلام: «دَابَّتُهُ رِجْلَاهُ وَخَادِمُهُ يَدَاهُ»[٦].

وفائدة الحديث الحثّ على الابتذال والانتداب لما يعرض من الأشغال لكيلا يكون ثقيل الظلّ بغضّ الروح. وراوي الحديث جابر بن عبد الله.

---

١. رهفه: رقّقه وحدّده؛ والغِرار: حدّ السيف ونحوه؛ والأطرار: جمع الطُرّ وهو الطرَف.

٢. ميلهم، في خ: ويصغهم.

٣. قاله شريح القاضي، راجع: أخبار القضاة: ٣٢٠/٢؛ غريب الحديث للخطابي: ٥٠٣/١.

٤. علا وارتفع.

٥. القذْع: المنع والكفّ.

٦. نهج البلاغة: ٢٢٧؛ بحار الأنوار: ٢٣٨/١٤، ح١٦.

قوله صلى الله عليه وآله: مَنْ يُشَادَّ هَذَا الدِّينَ يَغْلِبْهُ

أصل المشادّة المنازعة في الشدّة، ويرجع معناها إلى التشدّد.

٢٠٢ يقول صلى الله عليه وآله: من يغالب هذا *الدين بالتشديد على نفسه والمبالغة في العبادات الشرعيّة؛ وأراد أن يزيد عليه ويأتي بأكثر من المشروع المأمور به، أصبح مغلوباً حسيراً وانثنى[1] مقهوراً أسيراً؛ لأنّ المقصود في الطاعة الإخلاص لا الكثرة والمبالغة والمشادّة، مثلاً أن تحيي لياليه أو تختم كلّ يوم أو يصوم الدهر أو يحجّ ماشياً أو ينسلخ من مال الفقراء والمستحقّين، وهو لعمري حسنٌ بليغٌ، إلّا أنّه ربّما لا يستطيع المداومة عليه، فيحسر ويعني ويكلّ ويقوي ويحتاج إلى مسألة الناس، فلو داوم على المأمور به من الفرض والنفل ولم يتكلّف ما لم يوجبه الله تعالى عليه ولم يبالغ لبقي شديداً قويّاً سديداً مليّاً قادراً غنيّاً.

وقال النبيّ صلى الله عليه وآله: «إنَّ هذَا الدِّينَ مَتِين، فَأَوْغِلْ فِيهِ بِرِفْقٍ ، وَلاَ تُبَغِّضْ إلَى نَفْسِكَ عِبَادَةَ الله، فَإِنَّ الْمُنْبَتَّ لاَ أَرْضَاً قَطَعَ وَلاَ ظَهْرَاً أَبْقَى»[2].

وفي حديث آخر: «عَلَيْكُمْ هَدْياً قَاصِداً ـ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ ـ فإنّ من يُشَادَّ الدِّينَ يَغْلِبْهُ»[3].

والله تعالى أعلم بعباده، فلو علم أنّه ينبغي أن يكتب عليهم أكثر ممّا كتب لفعل؛ ويدخل تحت ذلك عزف النفس عن أكل الأطعمة اللذيذة ولبس الثياب الليّنة، وكلّ ذلك جائز حسن.

قال تعالى: «قُلْ مَنْ حَرَّمَ زينَةَ اللهِ الَّتي أَخْرَجَ لِعِبادِهِ وَالطَّيِّباتِ مِنَ الرِّزْقِ»[4].

فما علم أنّ جميع ذلك مخلوق لبني آدم لينتفعوا به ويتلذّذوا ويقووا على العبادة، هذا ما لم

---

١ . انعطف.

٢ . الكافي: ٨٧/٢، ح٦؛ وراجع: مسند الشهاب: ٢٨٤/٢، ح١١٤٧؛ سنن البيهقي الكبرى: ١٨/٣، ح٤٥٢٠.

٣ . مسند الطيالسي: ١٠٩، ح٨٠٩؛ مسند أحمد: ٤٢٢/٤، ح١٩٨٠١.

٤ . الأعراف: ٣٢.

يتراقّ[1] إلى حدّ الإسراف ولم يقع إلى درجة الإتلاف .

وروي عن الصادق عليه السلام أنّه سأله بعض أصحابه عن قوله تعالى: «ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ»، فقال: ماذا يقولون فيه؟ قال: إنّهم يفسّرونه بالماء البارد، فقال عليه السلام : لا، إنّ الكريم لا يحاسب على الطعام والشراب، بل النعيم ولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام .[2] أو كما قال.

وروى أبو هريرة عنه صلى الله عليه وآله أنّه قال: «إنَّ أَحَبَّ الأَعْمَالِ إِلَى اللهِ عزّ وجلّ أدومها وَإِنْ قَلَّ،

---

١ . يتناهى ويبلغ.

٢ . لم أقف عليه؛ نعم في مجمع البيان: ٤٣٣/١٠ : «رَوَى الْعَيَّاشِيُّ بِإِسْنَادِهِ فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ، قَالَ: سَأَلَ أَبُو حَنِيفَةَ أَبَا عَبْدِ اللهِ عليه السلام عَنْ هَذِهِ الآيَة، فَقَالَ: مَا النَّعِيمُ عِنْدَكَ يا نُعْمَانُ؟ قَالَ: الْقُوتُ مِنَ الطَّعَامِ وَالْمَاءُ الْبَارِدُ. فَقَالَ: لَئِنْ أَوْقَفَكَ اللهُ بَيْنَ يَدَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَسْأَلَكَ عَنْ كُلِّ أَكْلَةٍ أَكَلْتَهَا أَوْ شَرْبَةٍ شَرِبْتَهَا لَيَطُولَنَّ وُقُوفُكَ بَيْنَ يَدَيْهِ. قَالَ: فَمَا النَّعِيمُ جُعِلْتُ فِدَاكَ؟ قَالَ: نَحْنُ أَهْلَ الْبَيْتِ النَّعِيمُ الَّذِي أَنْعَمَ اللهُ بِنَا عَلَى الْعِبَادِ، وَبِنَا ائْتَلَفُوا بَعْدَ أَنْ كَانُوا مُخْتَلِفِينَ، وَبِنَا أَلَّفَ اللهُ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَجَعَلَهُمْ إِخْوَاناً بَعْدَ أَنْ كَانُوا أَعْدَاءً، وَبِنَا هَدَاهُمُ اللهُ لِلْإِسْلَامِ؛ وَهُوَ النِّعْمَةُ الَّتِي لَا تَنْقَطِعُ، وَاللهُ سَائِلُهُمْ عَنْ حَقِّ النَّعِيمِ الَّذِي أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِمْ وَهُوَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وَعِتْرَتُهُ عليهم السلام »؛ وراجع: الدعوات: ١٥٨؛ وفي عيون أخبار الرضا عليه السلام : ١٣٧/٢ : «عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبَّاسٍ الصَّوْلِيِّ الْكَاتِبُ بِالْأَهْوَازِ سَنَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ وَمِائَتَيْنِ قَالَ: كُنَّا يَوْماً بَيْنَ يَدَيْ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى عليهما السلام فَقَالَ لِي: لَيْسَ فِي الدُّنْيَا نَعِيمٌ حَقِيقِيٌّ. فَقَالَ لَهُ بَعْضُ الْفُقَهَاءِ مِمَّنْ يَحْضُرُهُ فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: «ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ»، أَمَا هَذَا النَّعِيمُ فِي الدُّنْيَا وَهُوَ الْمَاءُ الْبَارِدُ؟ فَقَالَ لَهُ الرِّضَا عليه السلام ــ وَعَلَا صَوْتُهُ ــ : كَذَا فَسَّرْتُمُوهُ أَنْتُمْ وَجَعَلْتُمُوهُ عَلَى ضُرُوبٍ، فَقَالَتْ طَائِفَةٌ: هُوَ الْمَاءُ الْبَارِدُ، وَقَالَ غَيْرُهُمْ: هُوَ الطَّعَامُ الطَّيِّبُ، وَقَالَ آخَرُونَ: هُوَ النَّوْمُ الطَّيِّبُ؛ قَالَ الرِّضَا عليه السلام : وَلَقَدْ حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ أَبِيهِ أَبِي عَبْدِ اللهِ الصَّادِقِ عليهم السلام أَنَّ أَقْوَالَكُمْ هَذِهِ ذُكِرَتْ عِنْدَهُ فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: «ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ»، فَغَضِبَ عليه السلام وَقَالَ: إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَسْأَلُ عِبَادَهُ عَمَّا تَفَضَّلَ عَلَيْهِمْ بِهِ وَلَا يَمُنُّ بِذَلِكَ عَلَيْهِمْ، وَالِامْتِنَانُ بِالْإِنْعَامِ مُسْتَقْبَحٌ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ فَكَيْفَ يُضَافُ إِلَى الْخَالِقِ عَزَّ وَجَلَّ مَا لَا يَرْضَى الْمَخْلُوقُ بِهِ، وَلَكِنَّ النَّعِيمَ حُبُّنَا أَهْلَ الْبَيْتِ وَمُوَالاتُنَا، يَسْأَلُ اللهُ عِبَادَهُ عَنْهُ بَعْدَ التَّوْحِيدِ وَالنُّبُوَّةِ»؛ بحار الأنوار: ٢٧٢/٧ـ٢٧٣، ح٤١؛ والآية في التكاثر: ٨.

فَعَليكم منَ الأعمالِ بِما تطيقونَ، فَإنَّ اللهَ لا يملُّ حَتّى تَملّوا»[١]. ومعنى الملال المنسوب إلى الله تعالى قطع مادّة الإحسان، وإنّما ذكره بلفظ الملال لمقابلة اللفظين ومراعاة الازدواج كما قال: «وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ الله»[٢]، وقوله تعالى: «يَسْتَهزِؤُنَ ، اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ»[٣]، «وَمَكَرُوا مَكْراً وَمَكَرْنا مَكْراً»[٤].

والمعنى: لا ينقطع مادّة فضله حتّى تملّوا عبادته.

٢٠٣ وفائدة الحديث الأمر بالاقتصاد *والاقتصار على المشروع من العبادات والمألوف من العادات. وراوي الحديث بريدة .

قوله صلى الله عليه وآله : مَنْ كَذَّبَ بِالشَّفَاعَةِ لَمْ يَنلهَا يومَ القِيَامَةِ

معنى الحديث: أنّ من لم يصدّق بالشفاعة كان بمرحل عنها يوم القيامة، وإنّما قال عليه السلام : «لَمْ يَنلهَا يومَ القِيَامَةِ»، لأنّه يكذّب بالشفاعة وقد نطق بها الكتاب والسنّة، وأجمعت الأمّة إلّا المكذّب لله ولرسوله المنكر للديانة الجاحد للوسائط، والكافر لا شكّ أنّه لا ينال الشفاعة؛ وهو حثّ على اعتقاد الشفاعة، وأنّها حقّ، وليت شعري، لِمَ تنكر الشفاعة العجر[٥] البارئ الغفور الرحيم عن المغفرة أم لقلّة حرمة النبيّ صلى الله عليه وآله عنده أم لكونها غير مجوّزة عقلاً؟! لا والله! بل هي صحيحة من الأنبياء والأوصياء والأئمّة عليهم السلام ومن صالحي المؤمنين أيضاً ـ لا حرمناها الله ـ.

وفائدة الحديث الحثّ على الشفاعة والإيمان بها. وراوي الحديث أنس بن مالك.

---

١ . أماليّ سيّد المرتضى: ٤١/١؛ مسند الشهاب: ٤٤٢/١، ح٧٥٨؛ كنز العمّال: ٢٢/٣، ح٥٤٠١ و ١٥/٣، ح٥٢٩٩ و ٥٣٠٠؛ وفي مسند أحمد: ١٦٥/٦، ح٢٥٣٥٦، عن عائشة عن النبيّ صلى الله عليه وآله .

٢ . الأنفال: ٣٠.

٣ . البقرة: ١٤ـ١٥.

٤ . النمل: ٥٠.

٥ . كذا في خ.

قولهﷺ : مَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَةٌ وَسَاءَتْهُ سَيِّئَةٌ فَهُوَ مُؤْمِنٌ

بيّنﷺ علامة المؤمن المحقّق الذي بعينه أمر الديانة وبجهده فكر الصيانة وهي أنّه إذا وُفّق بخير من طاعة يأتي بها على الوجه أو عبادة يقوم بواجبها أو فضل يتعدّاه إلى غيره سُرّ وفرح واستبشر وحمد الله تعالى على التوفيق لذلك، وإذا وقعت منه سيّئة وألمّ بشيء نهاه الله عنه ضاقت عليه الأرض وبكى وشكا إلى البارئ ـ جلّت عظمته ـ واستعان به واستقاله وفزع إلى رحمته سادماً نادماً وعلى أن لا يعود إلى مثله عازماً.

فيقولﷺ: إنّ العبد إذا كان مصروف القلب إلى السرور بما يقع له من حسن والاكتراث لما يتّفق له من قبيح نظراً إلى رضا الله تعالى وسخطه كان مؤمناً.

وفي الحديث: إنّ المؤمن إذا أذنب ذنباً ظنّ أنّ جبلاً وضع على عاتقه، والمنافق إذا أذنب ذنباً ظنّ أنّ ذباباً وقع على أنفه.[1]

وروي عن الصادقعليه السلام: «إنّ الإسلام محيط بالإيمان، فإذا أذنب العبد ذنباً كبيراً خرج من الإيمان إلى الإسلام»؛[2] فبان لك بذلك أنّ الإيمان أخصّ من الإسلام.

وفائدة الحديث إعلام أنّ من تسرّه حسنة يعملها ويسوءه سيّئة * يقدّم عليها لحريّ أن يكون مؤمناً. وراوي الحديث ابن عمر. ٢٠٤

قولهﷺ : مَنْ صَامَ الأبَدَ فَلا صَامَ

«الأبد» عبارة عن امتداد الزمان من غير انقطاع، ويقال: أبد أبيدٌ[3] كما يقال: دهرٌ داهر،

---

١ . راجع: مسند أحمد: ٣٨٣/١، ح٣٦٢٧و٣٦٢٨؛ صحيح البخاري: ٢٣٢٤/٥، ح٥٩٤٩؛ وراجع: الدعاء لابن فضيل: ٣٢٥، ح١٣٢؛ مسند البزار: ٨١/٥، ح١٦٥٤.

٢ . لم أقف على نصّه، لكن في الكافي باب عنوانه: «إنّ الإيمان يشرك الإسلام، والإسلام يشرك الإيمان»؛ راجع: الكافي: ٢٥/٢ـ٢٧.

٣ . في خ: يبد؛ وفي المصادر: «أبد أبيدٌ» و «أبد آبدٌ».

وإذا جمع قيل: آباد؛ كأنّ المعنى فيه التأكيد وإلّا فما لا يتناهي لا يدخل التفاضل والتزايل، ويعبّر عن الأبد بالدائم، والتأبيد: التخليد، وأبد بالمكان يَأبِد أُبُوداً أقام فيه، وأبَدَت الوحشة وتأبّدت: توحّشت، والأوابد: الوحوش.

فيقول صلى الله عليه وآله: من صام الأبد أي صام الدهر كلّه فلم يفطر الأيّام المأمور بإفطارها فلا وفّقه الله للصوم، يدعو على من لا يفطر العيد وأيّام التشريق بمنىً، لأنّه قد ارتكب معصيةً عظيمةً من حيث ظنّ أنّه يتعبّد؛ فهذا أحد وجوه هذا الحديث.

وفيه قول ثانٍ، وهو: أنّ من يصوم الدهر فلا يفطر يعتاد الصوم وتأنس نفسه به ويستقيم طبعه على الصوم ولا يلحقه كثير مشقّة، لأنّه قد جعل ليله نهاره، فكأنّه لم يصم، لمكان تعوّده لذلك وتمرّن نفسه على الإمساك بالنهار. وقوله عليه السلام: «فلا صام» يكون على هذا الوجه معناه: فلم يصم، كما قال:

إنْ تَغْفِرِ اللهُمَّ تَغْفِرْ جَمَّا وأَيُّ عَبْدٍ لَكَ لاَ أَلَمَّا[١]

أي لم يُلمّ. وهذا أيضاً وجه لا بأس به، والله أعلم بمراد رسوله.

وكنت أكلّف بعض من يصوم الدهر أن يفطر فكان يمتنع، ويقول: الله! الله! لا تشوّش العادة عليّ، فإنّي أتأذّي بإفطار العيدين وربّما لا آكل إلّا لقمةً لأكون مفطراً ولا أشبع إلّا ليلاً لئلّا تضطرب العادة.

وقد رغّب النبيّ صلى الله عليه وآله في صوم داود عليه السلام وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً، وذلك أشقّ من صوم الدهر.[٢]

وكذلك أمر صلى الله عليه وآله ببعض الأيّام في الشهر كصوم أيّام البيض والأربعاء بين الخميسين. وهذا

---

١. راجع: غريب الحديث لابن قتيبة: ٣٠١/٢؛ سنن الترمذي: ٣٩٦/٥، ح٣٢٨٤؛ الأغاني: ١٣٥/٤؛ تهذيب اللغة: ٢٥٠/١٥.

٢. راجع: الكافي: ٨٩/٤؛ مسند الطيالسي: ٢٩٨، ح٢٢٥٥؛ مسند أحمد: ١٨٨/٢، ح٦٧٦٦.

شاقّ لتبديل العادات، وهذا لا يحصل إلّا بالمشاقّ.

وفائدة الحديث إعلام أنّ صوم العيدين وصوم أيّام التشريق بمنىً حرام، أو أنّ المعتاد لصوم الدهر كأنّه مفطر من حيث الاعتياد. وراوي الحديث عبد الله بن عمر.

قوله صلى الله عليه وآله: مَنْ خَافَ أَدْلَجَ وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزِلَ

٢٠٥

أدلج: إذا سار من أوّل الليل *والاسم الدلج ـ بفتح اللام ـ والدُلجة معاً، وادّلج: إذا سار من آخره.

وهذا مثل ضربه رسول الله صلى الله عليه وآله، فيقول: من خاف أمراً تأهّب له واستعدّ وتشمّر لدفعه مجدّاً، كمن خاف عدوّاً وجنّ[1] عليه الليل فإنّه لا يتربّص السحر أو الصبح كما يفعله المجتاز بل يتّخذ الليل جملاً فيركبه ويهرب ولا يفكّر في سواد الليل وفوت النوم؛ كذلك من يخاف الآخرة وأهوالها يجب عليه أن يبادر إلى علاجها كأسرع ما يمكن، ولا يترك العبادات الواجبة عليه متربّصاً الشيب ومُخْمناً[2] أنّه إذا شابّ انقطع إلى العبادة وانملس[3] من بين الناس وتوحّش مقبلاً على الله عزّ وجلّ، فإنّه ربّما يقطع الطريق عليه فلا يصل إلى الشيب؛ وهبه وصل، من أين له في المشيب القوّة على العبادة والاستقلال بها؟! وما أكثر ما يغرّ الشيطان الناس في هذه المِسَلَّة[4] وهي إحدى مسالّه[5]، وكذلك إذا راجع نفسه وجد مصداق ذلك؛ فالله! الله! أيّها الأخ الصالح! لا تشرب شربة غرور، فكم قد أهلك قبلك، فإيّاك وإيّاه.

وفائدة الحديث الأمر بالاستعداد لما بعد الموت والمبادرة إليه وترك التهاون فيه. وراوي

---

١. في خ: أو جنّ.

٢. ظانّاً.

٣. أفلت وانقبض.

٤. مِخْيط ضخْم، إبرة عظيمة.

٥. في خ: مسايده.

الحديث أبو هريرة.

قوله صلى الله عليه وآله: مَنْ يَشْتَهِ كَرَامَةَ الآخِرَةِ يَدَع زِينَةَ الدُّنيَا

يقول صلى الله عليه وآله: من رغب في كرامة الآخرة والنعيم الأبديّ الذي لا انقضاء له ولا انقطاع، ومجاورة النبيّين والصدّيقين والشهداء والصالحين في دار الخلد الذي لا يزول، ومحلّ السعادة التي لا تحول؛ فليطلّق الدنيا الفانية الغدّارة المكّارة التي تخون، آمن ما يكون الإنسان فيها، ولا يغترّ زبرجها فإنّما هي كأحلام نائم يعجبه ما هو فيه ولا حقيقة له.

وقال بعضهم: «ما أشبه الدنيا إلّا بالمرأة الفاجرة فيوماً عند عطّار ويوماً عند بيطار»[١].

وقال النبيّ صلى الله عليه وآله: «مَنْ تَرَكَ لبسَ ثَوْبِ جَمَالٍ تَوَاضُعاً للهِ، كَسَاهُ اللهُ حُلَّةَ الْإِيمانِ»[٢].

وقال عليه السلام: «لا يطوّل الكمّين إلّا ملعون»[٣].

ولذلك قطع أمير المؤمنين عليه السلام عليه ما فضل عن يديه وأعطاه مستحقّاً، فقد روي أنّه عليه السلام اشترى قميصين بأربعة دراهم وأعطى قنبراً ألينهما ولبس الأخشن، ففضل عن يديه كمّاه فقطع الفاضل ورمى به إلى فقير، فقال له الخيّاط: دعني أكفّه، فقال عليه السلام: «الأمر أعجل من ذلك.[٤]

٢٠٦

وقال النبيّ صلى الله عليه وآله: من طوّل سراويله حتّى يدخل تحت قدميه لعنه الله وكلّ ملك بين السماء والأرض، وله بكلّ شعرة على بدنه بيت في النار.[٥]

وروي عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: «مَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا حَلَالاً تَعَفُّفاً عَنِ الْمَسْأَلَةِ، وَسَعْياً عَلَى

---

١. راجع: نثر الدرّ: ١٦٩/٢؛ محاضرات الأدباء: ٤٠٢/٢.

٢. أماليّ الطوسي: ٥٣٨ـ٥٣٩؛ بحار الأنوار: ٩٠/٧٤؛ وراجع: سنن أبي داود: ٢٤٨/٤، ح٤٧٧٨؛ شعب الإيمان: ٣١٣/٦، ح٨٣٠٤؛ كنز العمّال: ٥٦/٣، ح٥٨٢٣؛ في المصادر: «حلّة الكرامة».

٣. لم أقف عليه.

٤. راجع: الغارات: ١٠٦/١؛ مكارم الأخلاق للطبرسي: ١٠١؛ بحار الأنوار: ١٤٣/٧١ـ١٤٤، ح١٩.

٥. راجع: جامع الأحاديث: ١٩٩/٥ـ٢٠٠، ح١٤٣٢٨؛ كنز العمّال: ١٣٧/١٥، ح٤١١٩٨.

عيالِهِ، وَتَعَطُّفاً عَلَى جَارِهِ، لَقِيَ اللهَ وَوَجْهُهُ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَمَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا جَلالاً[1] مفاخراً مُكَاثِراً مرائياً، لَقِيَ اللهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ»[2].

فعليك أيّها الأخ الصالح! أن تزوّد منها للمعاد ويأكل منها قدر ما يأكل المضطرّ من الجيفة تنجُ سالماً وما أخال[3].

وفائدة الحديث الحثّ على ترك زينة الدنيا والإقبال على الله تعالى. وراوي الحديث الحسن.

قوله ﷺ: مَنْ كَثُرَتْ صَلاتُهُ بِاللَّيْلِ حَسُنَ وَجْهُهُ بِالنَّهَارِ

يقول ﷺ: من كثر قيامه لله تعالى في سواد الليل والخلق نيام قد غمرهم النوم، يطلب خلوة ربّه ومناجاته والاستعانة به والاستغاثة من الذنوب بكرمه، جعل الله تعالى ذلك القيام له نوراً في وجهه يتلألأ لمن نظر إليه بالنهار. والحديث على ظاهره، و«الحسن» ليس معناه الغضاضة[4] والبضاضة[5] والبياض المشوب بالحمرة، بل المعنى النور الذي يبرق من وجوه أصحاب الليل، والمشاهدة تغني في ذلك عن زيادة الوصف.

وسئل الحسن البصريّ: ما بال المتهجّدين من أحسن الناس وجوهاً؟ فقال: خَلَوا ربّهم فكساهم نوراً من نوره.[6]

وعن ابن عبّاس رحمه الله: «من صلّى بالليل ركعتين أو أكثر من ذلك فقد بات لله ساجداً

---

١. كذا في خ، وفي المصادر: حلالاً.

٢. راجع: مصنّف ابن أبي شيبة: ٤٦٧/٤، ح٢٢١٨٦؛ مسند عبد بن حميد: ٤١٨، ح١٤٣٣؛ كنز العمّال: ٧/٤، ح٩٢٤٧.

٣. كذا في خ.

٤. كذا في خ.

٥. رقّة اللون وصفاؤه الذي يؤثّر فيه أدنى شيء.

٦. العقد الفريد: ١٥٦/٣؛ المجالسة وجواهر العلم: ٢٨، ح١٣٣؛ وراجع: علل الشرائع: ٣٦٥/٢؛ بحار الأنوار: ١٥٩/٨٤، ح٤٨.

وقائماً»[١].

وعنه رضي الله عنه: «من أحبّ أن يهوّن الله عليه الموقف يوم القيامة فليره الله في سواد الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربّه»[٢].

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه: «ما من رجل يريد أن يقوم من الليل فتغلبه عينه إلّا كتب الله له أجرها وكان نومه صدقةً تصدّق الله تعالى بها عليه»[٣].

وعن النبيّ صلى الله عليه وآله: «رَكْعَتَانِ رَكَعَهُما العَبدُ في جَوْفِ اللَّيْلِ الأخِيرِ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الدُّنْيا وَمَا فِيهَا، [وَ]لَوْلاَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لَفَرَضْتُهُما عَلَيْهِمْ»[٤].

وذهب بعض المتأخّرين إلى أنّ معنى الحديث: من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه أي وجه يكسبه ✻عمله بالنهار، فجعل الوجه وجه ما يجترحه العبد في نهاره. قال: لأنّ الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، فهذا هو الوجه الحسن. ٢٠٧

وفسّر قول النبيّ صلى الله عليه وآله: «اطْلُبُوا الْحَوَائِجَ مِنْ حِسَانِ الْوُجُوهِ»[٥]، على هذا، قال: هي الوجوه التي يسعى الإنسان فيها؛ فهو أمر بالطلب من أحسن الوجوه المطلوب منها الحوائج، وهذا الوجه كما ترى؛ والوجه الأوّل شائع ذائع لا يمكن ردّه. وكلام الحسن البصريّ يدلّ عليه.

وفائدة الحديث الحثّ على صلاة الليل وإعلام أنّها تورث النور في وجه المصلّي. وراوي الحديث جابر بن عبد الله؛ وأصحاب الحديث ينكرون أنّ هذا الحديث من حديث النبيّ صلى الله عليه وآله.[٦]

---

١. تفسير السمرقندي: ٢/٥٤٤؛ تفسير الثعلبي: ٧/١٤٦.

٢. تفسير الثعلبي: ٨/٢٢٥؛ المحرّر الوجيز: ٤/٥٢٣.

٣. الزهد لابن المبارك: ١/٤٤٠، ح١٢٣٩؛ مصنّف عبد الرزّاق: ٢/٥٠٠، ح٤٢٢٤؛ صحيح ابن خزيمة: ٢/١٩٥، ح١١٧٢.

٤. الزهد لابن المبارك: ١/٤٥٦، ح١٢٨٩؛ كنز العمّال: ٧/٣٢٣، ح٢١٤٠٥؛ وراجع: مجمع البيان: ٢/٣٦٨.

٥. مصنّف ابن أبي شيبة: ٥/٢٩٨، ح٢٦٢٧٦؛ كنز العمّال: ٦/٥٢٠، ح١٦٨١١.

٦. في حاشية النسخة: فهو حديث موضوع كما نصّ عليه الحافظ العراقيّ (قرن ٩) في الألفية وكذلك شارحوها؛ راجع: ضعفاء العقيلي: ١/١٧٦، ح٢٢١؛ المجروحين: ١/٢٠٧، ح١٦٩؛ الموضوعات: ٢/٣٤ـ٣٦.

قوله صلى الله عليه وآله: مَنْ أَحَبَّ دُنْيَاهُ أَضَرَّ بِآخِرَتِهِ وَمَنْ أَحَبَّ آخِرَتَهُ أَضَرَّ بِدُنْيَاهُ

إنّما قال صلى الله عليه وآله ذلك لأنّ من أحبّ الدنيا وزينتها أكبّ عليها[1] وأفرغ جهده في طلبها فلم يتفرّغ للأمور الأخرويّة من العبادة والصوم والاقتصار على وجوه البرّ فقد أضرّ بآخرته إضراراً بيّناً حيث آثر عليها الفانية، وبالعكس من ذلك من أحبّ الآخرة وأن يكون أمره فيها سليماً ومرجعه كريماً انقطع إلى العبادة وأفعال الخير وما يعود عليه بالنعيم المقيم في رضى ربّه فأقبل بكلّيّته عليه ولم يفرغ إلى ترفيع الحطام واستصلاح المعاش فقد أضرّ بدنياه وآثر عليها ما يؤثر فعل العاقل اللبيب الحازم الأريب الذي نظر لنفسه فأحسن النظر مقتدياً بالنبيّ صلى الله عليه وآله وآله الطاهرين عليهم السلام وأصحابه الراشدين ـ رضي الله عنهم ـ.

ألم تر إلى النبيّ عليه السلام قال لعائشة وقد علّق على باب حجرتها ستر فيه تماثيل: «غَيّبِيهِ، فَإِنِّي إذَا نَظَرْتُ إليهِ ذَكَرْتُ الدُّنْيَا»[2].

وكانوا قد بنوا لبنةً على لبنتين ليطأها ويدخل حجرة نسائه فهدمه. وقال: لا أخرج من الدنيا ولا أضع لبنةً على لبنة.[3] وعلى هذا المنهاج آله وأصحابه.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «وَ اللهِ لَدُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَهْوَنُ فِي عَيْنِي مِنْ عِرَاقِ خِنْزِيرٍ فِي يَدِ مَجْذُومٍ»[4].

---

١ . أقبل عليه وشُغل به.

٢ . مسند إسحاق بن راهويه: ٧١٨/٣، ح ١٤٢١؛ مسند أحمد: ٤٩/٦، ح ٢٤٢٦٤؛ صحيح مسلم: ١٦٦٦/٣، ح ٢١٠٧.

٣ . راجع: حلية الأولياء: ٣٠٩/٥؛ شعب الإيمان: ٣٩٥/٧، ح ١٠٧٢٦.

٤ . نهج البلاغة: ٥١٠، حكمة ٢٣٦؛ بحار الأنوار: ٣٣٧/٤٠، ح ٢١؛ وراجع: ربيع الأبرار: ٩/١؛ غرر الخصائص الواضحة: ٥٥.

وقال عليه السلام: «الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ ضَرَّتَانِ، مَا أَرْضَى هَذِهِ أَسْخَطَ الْأُخْرَى».[١] أو كما[٢] قال عليه السلام.

وفائدة الحديث إعلام أنّ أمر الدنيا والآخرة على طرفي نقيض لا يمكن جمعهما. وفيه حثّ على وداع الدنيا والإقبال على أمر الآخرة. وراوي الحديث أبو موسى.

٢٠٨ قوله صلى الله عليه وآله: مَنْ أَهَانَ سُلْطَانَ اللهِ أَهَانَهُ اللهُ وَمَنْ أَكْرَمَ سُلْطَانَ اللهِ أَكْرَمَهُ اللهُ

«السلاطة»: التمكّن والقهر، يقول: سلطنه عليه، ومنه السلطان، والسلطان في الحديث هو الذي إليه الحكم على الكافّة، لقوله عليه السلام: «السُّلْطَانُ ظِلُّ اللهِ فِي الأَرْضِ»[٣].

يقول صلى الله عليه وآله: من أهان سلطان الله الذي سلّطه على الخلق ووضع أزمّة الأمور في يديه وجعل أمر خلقه عزّ وجلّ إليه ورفعه وجذب بضَبُعه[٤] وشرّفه بالحكم، أهانه الله؛ لأنّه كالمعارض لله تعالى في فعله، وإهانته أن يعصيه أو لا يرتسم أمره ونهيه أو يسمعه مكروهاً أو يغتابه أو يحطّه عن درجته التي جعلها الله تعالى له؛ وبالعكس من ذلك من أكرم سلطاناً أكرمه الله تعالى، لأنّه وافق الله تعالى فيما فعله وأطاعه ولم يتعدّ طوره ولم يتجاوز حدّه وألزم ما أمره، لا جرم أنّه ظفر بالمكرمة وحصّل السعادة السرمديّة بإكرام الله تعالى إيّاه.

وقد فسّر بعضهم على أنّ السلطان هو الحجّة، والإشارة به إلى أدلّة التوحيد والمعارف

---

١. راجع: روضة الواعظين: ٤٤٨؛ فيه عن المسيح عليه السلام؛ وراجع: الزهد لابن المبارك: ٢١٠/١، ح٥٩٤؛ نثر الدرّ: ٦١/٧؛ التمثيل والمحاضرة: ٤.

٢. كذا ما أثبتّه في المتن، وفي خ: وكما.

٣. مسند البزار: ١٧/١٢، ح٥٣٨٣؛ مسند الشهاب: ٢٠١/١؛ وراجع: أماليّ الطوسيّ: ٦٣٤؛ بحار الأنوار: ٣٥٤/٧٢.

٤. بعضده.

وهو أيضاً كما ترى.

وفائدة الحديث الحثّ على طاعة السلطان، لأنّه حجّة الله في الخلق وطاعة أمره ونهيه والتزام حكمه. وراوي الحديث أبو بَكْرَة.

قوله صلى الله عليه وآله: مَنْ أَحَبَّ عَمَلَ قَومٍ خَيراً كَانَ أَوْ شَرّاً كَانَ كَمَنْ عَمَلَهُ

المحبّة في هذا الحديث الرضا والإرادة والاستحسان والإعجاب بالفعل.

فيقول صلى الله عليه وآله: من رضى فعل قوم وأراده، سواء كان خيراً أو شرّاً، حسناً أو قبيحاً، طاعةً أو معصيةً؛ فكأنّه عمله؛ لأنّ رضاه وإرادته من خاصّ فعله، فهو فاعل لبعض ذلك وفاعل السبب كفاعل المسبّب؛ ولهذا قال عليه السلام حين سأله السائل فقال: يا رسول الله! ما قولك في الرجل يحبّ القوم ولمّا يعمل بعملهم؟ فقال عليه السلام: «المرء مع من أحبّ»[1]؛ لأنّه إذا أحبّ شيئاً ورضيه وأراده فكأنّه فعله، وربّما كانت الإرادة والرضى أكثر تأثيراً من الملابسة والمعالجة.

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «مَنْ غَابَ عَنْ مَعْصِيَةٍ ورضى بها فَكَأَنَّهُ حَضَرَهَا، وَمَنْ حَضَرَ مَعْصِيَةً فَكَرِهَهَا فَكَأَنَّهُ غَابَ عَنْهَا»[2].

وفائدة الحديث إعلام أنّ إرادة الشيء قريبة من فعله، والمريد الراضي بالشيء كالفاعل له. وراوي الحديث أمير المؤمنين عليه السلام

قوله صلى الله عليه وآله: مَنِ اسْتَعَاذَكُمْ بِاللهِ فَأَعِيذُوهُ وَمَن سَأَلَكُمْ بِاللهِ

١ . أماليّ المفيد: ١٥٢؛ وراجع: مسند ابن الجعد: ٢٠٩، ح١٣٧٥؛ مسند أحمد: ٣٩٢/٤، ح١٩٥١٤؛ مسند أبي يعلى: ٣١١/٦، ح٣٦٢٦.

٢ . لم أقف عليه، نعم نقل عن رسول الله صلى الله عليه وآله، راجع: سنن البيهقي الكبرى: ٢٦٦/٧، ح١٤٣٣٠؛ كنز العمّال: ٣٣/٣، ح٥٥٣٨.

٢٠٩ فَاعْطُوهُ وَمَنْ * دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ وَمَنْ أَتَى إلَيكُمْ مَعْرُوفاً فَكَافَئوهُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا لَهُ فَادعُوا لَهُ حَتَّى تَعْلَمُوا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأتُمُوهُ

يقال: عاذ فلان بفلان واستعاذ به، أي لجأ إليه، والعياذ: الملجأ، وأصله أن يقال: من استعاذكم مستشفعاً بالله تعالى فأعيذوه؛ ويجوز أن يكون المعنى: من طلب منكم أن تعيذوه، ويكون استعاذ بمعنى طلب أن يعاذ، واستعاذ به بمعنى عاذ به.

يقول صلى الله عليه وآله: من طلب الاستعاذة بكم وذكر الله تعالى الذي جرى على لسانه ومن سألكم وتشفّع إليكم باسمه فأعطوه، ومن يكون ـ هذا يرجع إلى تعظيم حرمة الله تعالى ـ متشفّعاً إليكم به فأعيذوه، ومن يكون العبد ـ ليت شعري ـ حتّى إذا ذكر اسم الله على سؤال يتعلّق به لم يسارع إلى إنجازه وقضائه؟!

«وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ»، أي من استعان بكم إلى فعل لا تكون فيه لله تعالى معصيةً فأجيبوه وأعينوه، ويجوز أن يكون الدعاء المجرّد أي من دعاكم بأسمائكم فلا تبخلوا عليه بالجواب.

وقوله عليه السلام: «وَمَنْ أَتَى إلَيكُمْ مَعْرُوفاً» ـ إذا رويته بالقصر ـ كان الأتى بمعنى الفعل، يقال: ما أتيت ذلك، وقال تعالى: «أَتَأْتُونَ الْفاحِشَةَ ما سَبَقَكُمْ بِها مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعالَمِينَ» [١]، «وَتَأْتُونَ في ناديكُم المُنْكَرِ» [٢]، وكما استعمل «أتى» في معنى ملابسة الفعل استعمل «جاء» كما قال تعالى: «لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُكْراً» [٣]، أي فعلت، وكلام العرب استعارة؛ ويجوز أن يكون على معنى: أتى إليكم بمعروف، فحذف الحرف وأوصل الفعل، والأوّل أعرف. وإذا رُويت «آتى» ـ

١ . الأعراف: ٨٠.

٢ . العنكبوت: ٢٩.

٣ . الكهف: ٧٤.

بالمدّ ـ فهو بمعنى الإعطاء، والأَتْوُ: العطاء، وقال تعالى: «وَآتَى الْمالَ عَلَى حُبِّهِ»، ويكون دخول «إلى» على معنى: ومن آتى محسناً إليكم معروفاً، على الروايتين، فـ«إلى» يتعلّق بفعل مضمر.

يقول صلى الله عليه وآله: من أتاكم معروفاً فكافئوه، كما قال تعالى: «وَإذا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْها أَوْ رُدُّوها» [١]، فمِن حمله على الهديّة. و«المكافأة»: المساواة [٢] وهو من الكفء وقد كافأته أي ساويتُه في فعله، وكنتُ له كفؤاً في الجزاء: بمثل فعله. ثمّ قال عليه السلام: فإن لم تقدروا على مكافأته فادعوا له بخير إلى أن تعلموا أنّكم قد دعوتم له بقدر ما أعطاكم. والدعاء في مقابلة العطاء استعانة بالله تعالى، فكأنّه يقول: يا ربّ! إنّ عبدك قد أحسن إليّ وما في وُسعي أن أكافئه، فتحمّل ذلك عنّي وأجزه من عندك ما يكون كفاءً لنعمته.

٢١٠

وهذا الحديث مشتمل على آداب نبويّة يعلّمها *صاحب الشرع أمّته ويحملهم عليها.

وفائدة الحديث الحثّ على مكارم الأخلاق من الإعاذة والإجابة والمواساة والمكافأة إمّا بالمال أو الدعاء. وراوي الحديث ابن عمر.

قوله صلى الله عليه وآله: مَنْ مَشَى مِنْكُمْ إلَى طَمَعٍ فَلْيَمْشِ رُوَيْداً

«الطمع»: نزوع النفس إلى الشيء المشتهى، يقال: طمِع فيه طَمَعاً وطَماعةً وطَماعِية فهو طامع وطمِع وطمُع، ويقال: طمُع أي صار طامعاً وطمّاعاً، ويستعمل في التعجّب يقال: طمُع الرجلَ زيدٌ، وخَرُجت المرأة هندُ، إذا كانت كثيرة الخروج والطمع، و«الطمع»: رزق الجند، يقال: أعطاهم الأمير أطماعهم أي أرزاقهم، وأكثر ما يستعمل الطمع في الذمّ، وقد يكون الطمع غير مذموم، كقوله تعالى: «إنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنا رَبُّنا خَطايانا» [٣]، ولمّا كان أكثره

١. النساء: ٨٦.

٢. في خ: والمساواة.

٣. الشعراء: ٥١.

مذموماً قيل: «الطمع طَبَعٌ والطمع يُدَنِّس الإهاب»[١].

فيقول صلى الله عليه وآله: من نازعته نفسه إلى مطموع فيه فليعزل نفسه عن الجشع والطموح والمرح، فإنّه أقرب إلى الغرض . وربّما ردّ لفرط الجشع والإلحاح؛ قال البشّار:

الحُـرُّ يُـلْحَى والعـصا للـعَبْدِ وليس للـملحِفِ مـثلُ الرَّدِّ[٢]

وقال بعضهم: «لا تطمع، فإنّ الطمع مركّب من ثلاثة أحرف كلّها مجوّف، ولا خير في المجوّف»[٣].

وهذا كما قال تعالى: «وَلا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبالَ طُولاً» [٤].

وكما حكاه الله تعالى ممّا قال لقمان لابنه: «وَاقْصِدْ في مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِك» [٥].

وقوله عليه السلام: «رويداً» أي ممهلاً ساكناً، وهو في موضع الحال من الضمير المستكنّ[٦] في «ليمش» وهو تصغير «رُوْد» أي مَهْلٍ وقد أورد في السير إذا رفق إرواداً، وهو ما جاء على الأصل، و«رويداً» ينصب نصب المصادر ويكون تصغير ترخيم من إرواد ويستعمل «رويد» على أربعة أوجه: اسم للفعل، وصفة، وحال ومصدر؛ فالاسم كقولك: رُوَيْدُ زيد، أي أروده وأمهله، والصفة نحو قولك: سرت سيراً رويداً، والحال كقولك: ساروا رويداً أي مرودين، والمصدر: رويد زيدٍ ـ بالإضافة ـ . ويقول: رويدك زيداً، أي أمهله، والكاف للخطاب لا موضع له من الإعراب.

---

١ . راجع: المفردات: ٣٠٧؛ اللباب في علوم الكتاب: ٤٨٦/٧؛ تاج العروس: ٤٥٩/٢١؛ الإهاب: الجِلد.

٢ . راجع: الحيوان: ٤٨٣/٦؛ الأغاني: ١٦٩/٣؛ وراجع ديوانه: ٤٨١، أنشده في بحر رجز تامّ، أوّله: «يا حال الحيّ بذات الصمد».

٣ . راجع: فيض القدير: ١٧٠/٣.

٤ . الإسراء: ٣٧ .

٥ . لقمان: ١٩ .

٦ . كذا في خ، ولعلّ الصواب: المستتر.

وفائدة الحديث الأمر بالسكون والوقار والنهي عن الأشر والبطر والجماح والطماح. وراوي الحديث عبد الله بن مسعود.

قوله ﷺ: مَنْ عَمَّرَهُ اللهُ سِتّينَ سَنَةً فَقَدْ أَعْذَرَ إِلَيْهِ

٢١١

«العمر» اسم لمدّة البقاء، ويخفّف *فيقال عَمِر وقد عمُر يعمَر عُمراً وعَمراً على غير قياس. وقيل: إنّه من العمارة، لأنّه يعمر البدن، وعمّره الله أي بقّاه وأعطاه العمر. و«العذر»: ما يمحو الإنسان به ذنبه، يقال: اعتذر إليّ فعذرته، و«أعذر»: صار ذا عذر؛ وفي كلامهم: «قد أعذر من أنذر»[1] أي من أنذر فقد صار ذا عذر وإن جاء بعذر.

ومعنى الحديث: إنّ من فتح الله تعالى له في العمر وأعاشه ستّين سنةً فقد حصّل الله تعالى في تعذيبه عذران: عذّبه لأنّه قد أعطاه من العمر ما يتذكّر فيه من تذكّر، ولم يقتصر على ذلك فقد عزّز العقل بالنذير الذي ينذر والكتاب الذي فيه بيان كلّ شيء؛ وهذا مجاز، وإلّا فإطلاق العذر على الله تعالى غير جائز، لأنّه يطلق على من يأتي المنكر ثمّ يوجّه له، والله ﷻ تعالى عن ذلك علوّاً كبيراً؛ والمعنى يؤول إلى أنّ من يعاقب بعد إبقاء ستّين سنةً وهو يعصي بعد فهو معذور على فعله. و«إلى» يتعلّق بمضمر، والتقدير: فقد أعذر فيما يسبق منه إليه أو يتعدّي إليه ونحو ذلك.

وقد تقدّم ما يشبه ذلك في الحديث الثالث إذا رجعت القهقريّ.

وقيل: أعذر بلغ أقصى العذر.[2]

وفي الحديث إشارة إلى أنّ المعاصي مع الشيب أشنع وأقطع .

وروي عن النبيّ ﷺ: «إذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ نُودِيَ: أَيْنَ أَبْنَاءُ السِّتّينَ، وَهُوَ [الْعُمُرُ] الَّذِي

---

١ . راجع: الزاهر في معاني كلمات الناس: ٤٣٨/١؛ العقد الفريد: ٦٤/٣؛ تهذيب اللغة: ١٨٤/٢.

٢ . قاله الفرّاء، راجع: الزاهر في معاني كلمات الناس: ٤٣٨/١؛ غريب الحديث للخطابي: ٣٥٩/٢.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: «أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ ما يَتَذَكَّرُ فيهِ مَنْ تَذَكَّر» [١]».[٢]

و«مَنْ عَمَّرَهُ اللهُ سِتّينَ سَنَةً، فَقَدْ أَعْذَرَ إِلَيْهِ فِي الْعُمُرِ»[٣].

وعن النبيّ صلى الله عليه وآله: «إِذَا بَلَغَ الْمَرْءُ الْمُسْلِمُ أَرْبَعِينَ سَنَةً صَرَفَ اللهُ [عَنْهُ] ثَلاثَةُ أَنْوَاعٍ مِنَ الْبَلاءِ: الْجُنُونِ وَالْجُذَامِ وَالْبَرَصِ، فَإِذَا بَلَغَ خَمْسِينَ سَنَةً خَفَّفَ اللهُ عَنْهُ ذنوبه، فَإِذَا بَلَغَ سِتّينَ سَنَةً رَزَقَهُ الإِنَابَةَ إِلَيْهِ، فَإِذَا بَلَغَ سَبْعِينَ سَنَةً أَحَبَّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، فَإِذَا بَلَغَ ثَمَانِينَ سَنَةً أُثْبِتَت لَهُ حَسَنَاتُهِ وَمُحِيت عَنْهُ سَيّئَاتُه، فَإِذَا بَلَغَ تِسْعِينَ سَنَةً غُفِرَ لَهُ ذُنُوبُهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْهَا وَمَا تَأَخَّر، وَكَانَ أَسيراً لله فِي الأرضِ ويشفع في أهلِ بيتِهِ يومَ القِيامَةِ»[٤].

وروى وهب بن منبّه قال: مكتوب في بعض كتب الله: «أَبْنَاءَ الأَرْبَعِينَ زَرْعٌ قَدْ دَنَا حَصَادُه، أَبْنَاءَ الخمسينَ هَلُمُّوا لِلْحِسَابِ، أَبْنَاءُ السّتّينَ مَاذَا قَدَّمْتُمْ وَمَاذا أخّرتمْ لا عذر لكم، أَبْنَاءَ السَّبْعِينَ عدّوا أنفسكم من الموتى لَيْتَ الْخَلَائِقَ لَمْ يُخْلَقُوا، فَإِذَا خُلِقُوا عَلِمُوا لِمَا خُلِقُوا»[٥].

٢١٢ *وروي عنه عليه السلام: «خَلَقَ اللهُ تبارك وَتَعَالَى مَلَكاً تَحْتَ الْعَرْشِ يُسَبِّحُهُ بِجَمِيعِ اللُّغَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ، فَإِذَا كَانَ لَيْلَةُ الْجُمُعَةِ أَمَرَهُ أَنْ يَنْزِلَ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا وَيَطَّلِعَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ وَيَقُولَ: يا أَبْنَاءَ الْعِشْرِينَ! لَا تَغُرَّنَّكُمُ الدُّنْيَا، وَيَا أَبْنَاءَ الثَّلَاثِينَ! اسْمَعُوا وَعُوا، وَيَا أَبْنَاءَ الْأَرْبَعِينَ! جِدُّوا وَاجْتَهِدُوا، وَيَا أَبْنَاءَ الْخَمْسِينَ! لَا عُذْرَ لَكُمْ، وَيَا أَبْنَاءَ السِّتِّينَ! مَاذَا قَدَّمْتُمْ مِنْ دُنْيَاكُمْ لِآخِرَتِكُمْ، وَيَا أَبْنَاءَ السَّبْعِينَ! زَرْعٌ قَدْ دَنَا حَصَادُهُ، وَيَا أَبْنَاءَ الثَّمَانِينَ! أنتم أَسراءُ اللهِ فِي

١ . فاطر: ٣٧.

٢ . تفسير الطبري: ١٤٢/٢٢؛ المعجم الأوسط: ٤٩/٨؛ كنز العمّال: ٦/٢، ح ٢٩٢٤.

٣ . مسند أحمد: ٤٠٥/٢، ح ٩٢٤٠؛ صحيح ابن حِبّان: ٢٤٥/٧، ح ٢٩٧٩.

٤ . معجم الصحابة: ١٠٠/٢، ح ٥٤٩؛ تفسير الثعلبي: ٢٤٠/١٠؛ كنز العمّال: ٢٨٢/١٥، ح ٤٢٦٦١.

٥ . نوادر الأصول في أحاديث الرسول: ١٥٧/٢؛ حلية الأولياء: ٣٣/٤؛ وراجع: كنز العمّال: ٣٤/١٦، ح ٤٤٠٠٤.

أرْضَهِ[١]، وَيَا أَبْنَاءَ التِّسْعِينَ! آنَ لَكُمُ الرَّحِيلُ فَتَزَوَّدُوا، وَيَا أَبْنَاءَ الْمِائَةِ! أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ؛ هكذا يقول حتّى يمضي ثلث الليل ويطلع ويقول: يا طالب الْخَيْرِ هَلُمَّ وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِر! خَوَّفْنَاكُمْ فَلَمْ تَخَافُوا وشوَّقْنَاكُمْ فَلَمْ تَشْتَاقُوا وَحَذَّرْنَاكُمْ فَلَمْ تحذَروا؛[٢] هكذا يَقولُ حتّى يمضي ثلث آخر ويطلع أُخْرَى ويقول: لَوْ لَا مَشَايِخُ رُكَّعٌ وَفِتْيَانٌ خُشَّعٌ وَصِبْيَانٌ رُضَّعٌ وَبَهَائِمُ رُتَّعٌ لَصَبَبْنَا عَلَيْكُمُ الْعَذَابُ صَبّاً»[٣].

وروي أنّ جماعةً كانوا يتنادمون بالبصرة ويجتمعون كلّ يوم، فتخلّف ذات يوم أحدهم فطلبوا، فقال: اعلموا! أنّي نظرت في رائحتي البارحة فإذا بسنّي وقد صارت أربعين، وأنشد:

يا ربّة الحذر إنّي عنك في شغل	فحاولني للهوى غيري وللغزل
في الأربعين إذا ما عاشها رجل	ما أوضح العذر والمنهاج للرجل

وودّعهم وانصرف»[٤].

وقال الشاعر:

إذَا المَرْءُ جازَ الأَرْبَعِيْنَ فَقُلْ لَهُ	بَلَغْتَ مَدَى الشُبَّان ويحَكَ فاحْذَر
فإنَّك لا تَدْرِي متى أنْتَ وارِدٌ	جَبَا مَنْهَلٍ جَمِّ الشَّرِيعَةِ أكْدَر[٥]

وفائدة الحديث إعلام أنّ ابن ستّين لا عذر له ان قصّر في حقّ نفسه. وراوي الحديث سهل بن سعد.

---

١. كذا في خ، وفي المصدر: أَطِيعُوا اللهَ فِي أَرْضِهِ.

٢. هذه الفقرة من الحديث أي من «يا طالب الخير» إلى هنا لم تورد في المصدر وإنّما جاءت في مصدر آخر، راجع: أماليّ الصدوق: ٦٠٤؛ روضة الواعظين: ٣٢٩/٢.

٣. إرشاد القلوب: ١٩٣/١؛ مستدرك الوسائل: ٧٥/٦، ح ٦٤٧٤.

٤. راجع: أماليّ الشجري: ٣٣٨/٢.

٥. غريب الحديث للخطابي: ٥٦٤/١.

قوله صلّى الله عليه وآله : مَنْ أَصْبَحَ لا يَنْوِي ظُلْمَ أَحَدٍ غُفِرَ لَهُ مَا جَنَى

لمّا كان الظلم عامّاً في بني آدم لا يخلو منه إلّا من جاهد نفسه وقمعها وتأدّب بأدب الله تعالى، قال صلّى الله عليه وآله ذلك.

وما أحسن ما قال العصريّ هو المتنبّي:

والظلمُ من خُلقِ النفوسِ فإنْ تَجِد ذا عفّة فلِعلّة لا يَظْلمُ[1]

فيقول صلّى الله عليه وآله: من عفّ وكفّ نفسه عن أن يتعدّي منه جور إلى غيره غفر الله تعالى له.

٢١٣ وللنيّات * تأثير قويّ في الأفعال، كيف ولا يقع على وجه إلّا بالإرادة المصاحبة له، والنيّة إرادة مخصوصة .

وعن النبيّ صلّى الله عليه وآله: «أفضل الجهاد من أصبح لا ينوي ظلم أحد»[2].

وفائدة الحديث إعلام أنّ العبد إذا عايش الخلق كفافاً ولم يضمر لغيره شرّاً غفر الله عزّ وجلّ له.

وراوي الحديث أنس بن مالك.

قوله صلّى الله عليه وآله : مَنْ أَلْقَى جِلْبَابَ الْحَيَاءَ فَلا غِيْبَةَ لَهُ

الحياء انقباض النفس عمّا تُعيّر به، يقال: حيي واستحيا واستحى، وإذا استعمل الحياء في ذات الله تعالى كان المعنى فيه أنّه لا يرضى ما يوصف بأنّه يستحيي منه. و«الجلباب»: الإزار وقد جلببته فتجلبب، ويسمّى القميص جلباباً والخُمار أيضاً ولا يبعد أن يكون أصله من الجِلْب وهو السحاب الرقيق الذي ليس فيه ماء ، ويقال: جُلب ـ بضمّ الجيم ـ. و«الغيبة»: ذكر الغائب بما فيه من نقيصة.

يقول صلّى الله عليه وآله: من ارتكب الفضائح وتوسّع في القبائح ولم يكترث من الناس وممّا يقولون

---

١ . يتيمة الدهر: ٢٥٩/١؛ خاصّ الخاصّ: ١٤٨؛ زهر الآداب: ٢٥١/١؛ ديوان المتنبي: ١٦٦/١.

٢ . راجع: من لا يحضره الفقيه: ٣٥٣/٤؛ النوادر للمؤلّف: ١٤٢؛ بحار الأنوار: ٣٢٠/٧٢، ح٤٧؛ وراجع: الفردوس: ٣٥٧/١، ح١٤٣٨؛ كنز العمّال: ١٣٢/٤، ح١٠٦٣٦.

فيه من التعيير والتقبيح واعتاد المُجُون[١] ولم يحفل[٢] ما قال وما قيل فيه فإن مزقّه غيره وذكره بما فيه، لم يكن مغتاباً.

وروي في الحديث: «مزّقوا الفاسق كي يرتدع الناس»[٣]. أو كما جاء.

وفائدة الحديث إعلام أنّ الذي نزع عن نفسه لباس الحياء فيما يفعله بالقبيح ليس بغيبة. وراوي الحديث أنس بن مالك.

قولهﷺ: مَنْ سَائَتْهُ خَطِيئَتَهُ غُفِرَ لَهُ وَإِنْ لَمْ يَسْتَغْفِرْ

«السوء» اسم كلّ ما يغمّ الإنسان ويحزنه، وقد ساءه يسوءه سَوءاً ــ بالفتح ــ ومساءةً ومسائيةً. والسيّئة أصلها سَيْوِئة فقلبت الواو ياءً وأدغمت، وفلان سيّئ الدخلة. و«الخطأ»: تجاوز جهة الصواب، وقد يمدّ، وقرئ قوله تعالى: «وَمَنْ قَتَلَ مُؤمِناً خطأً»[٤] على الوجهين، وقال أبو الفتح عثمان بن جني: الخطاء من أخطأت كالعطاء من أعطيت،[٥] ويقال منه: أخطأ ويخطأ، والخطأ: الذنب، وخطِئ يخطَأ خِطأً وخَطاءً. والخطيئة الاسم، وجمعها الخطايا، وأصله خطى يخطي كخطائئ فقلبت الهمزة الثانية ياءً لما قبلها من الكسرة ثمّ استثقلت فقلبت الياء ألفاً ثمّ قلبت الهمزة الأولى ياءً لخفائها بين الألفين، وقد تقدّم ذكر ذلك، [٢١٤] وإنّما كرّر أمثال هذا عليك لئلّا تحتاج إلى تطلّبها في مظانّها.

ومعنى الحديث: أنّ الإنسان لا يسوءه الخطيئة حتّى يكون نادماً على فعلها، والندم توبة، فإذا ندم على ما فرط منه غفر الله تعالى له ذلك الذنب وإن لم يستغفر له بلسانه، لأنّ

---

١. أن لا يبالي الإنسان بما صنع.

٢. يحفل: يعني ويبالي.

٣. لم أقف عليه.

٤. النساء: ٩٢.

٥. راجع: المحرّر الوجيز: ٤٥٢/٣.

الاعتبار بعقد القلب، وقد عقد الندم عليه.

وفائدة الحديث إعلام أنّ من حزن بعد الخطيئة والذنب ولام نفسه وعاتبها، كان ذلك منه توبةً يغفر الله تعالى عندها ذنبه وإن لم يستغفر بلسانه. وراوي الحديث الحسن البصريّ.

قوله صلى الله عليه وآله: مَنْ خَافَ اللهَ خَوَّفَ اللهُ مِنْهُ كُلَّ شَيْءٍ، وَمَنْ لَمْ يَخَف اللهَ خَوَّفَهُ اللهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ

«الخوف»: انتظار مكروه لعلامة دالّة على ذلك ظنّاً أو علماً، وبالعكس منه «الرجاء»: انتظار محبوب لعلامة دالّة على ذلك ظنّاً أو علماً، يقول: خافه يخافه خوفاً ومخافةً وخيفةً فهو خائف، وجمعه خُوَّف وخُيِّف[1] على اللفظ، ورجل خافٌ: شديد الخوف، وأصله خَوِف مثل فرق وفزع، والأمن: خلاف الخوف.

يقول صلى الله عليه وآله: من خاف اللهَ تعالى وغلب خوفه على قلبه وقصر نفسه عليه ولم يرخّص له عقله في مخالفة أوامر الله تعالى ونواهيه، غلبه الله تعالى على كلّ شيء، وثبت هيبته في قلب كلّ أحد، وجعل له روعةً في القلوب، وسنّى له حرمةً ومكانةً عند الناس، وبالعكس من ذلك من لم يخف الله تعالى فهتك محارمه وارتكب مآثمه ولم يراقب جانبه ولم يكترث بعقوبته، سلّط الله على قلبه الخوف، وخوّفه من كلّ شيء حتّى كأنّه منزوع القلب.

وفائدة الحديث الأمر بخوف الله تعالى القادر على النفع والضرّ، وأن يكون بين خوفه ورجائه حتّى يأمن ممّا يخاف وينال ما يرجو. وراوي الحديث واثلة بن الأسقع.

قوله صلى الله عليه وآله: مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ كَرِهَ اللهُ لِقَاءَه

قد تقدّم الكلام على الحبّ، فأمّا محبّة العبد لربّه يطلب التقرّب إليه وأمّا محبّة الله للعبد

١. كذا في المصادر، وفي خ: خُيّفة.

مرضاه عنه وتخصيصه بالنعم، ودرجة المحبّة فوق الإرادة. فيقول صلى الله عليه وآله: من أحبّ أن يلقى الله واثقاً به أحبّ الله تعالى أن يلقاه، ولا يحبّ لقاء الله تعالى إلّا وهو واثق بعمله *وافٍ بما وعد على نفسه من الطاعات واجتناب المحرّمات، فيريد أن يستريح من كدّ الدنيا ونصبها وأذاها وتعبها ويرجع إلى ربّه عزّ وجلّ قارّاً وادعاً آمناً، فإذا وفى بهذه الشرائط وأراد لقاء ربّه أراد الله تعالى ورضي لقاءه. ومن كره لقاء الله تعالى لما قدّم من الذنوب والعيوب وهو يعلم أنّه لا بدّ أن يسأله عن ذلك ويعاقبه عليه، «كره الله تعالى» أي لم يرده الله تعالى ولم يرضه، وكراهة اللقاء كراهة النُقْلَة من الدنيا إلى الآخرة مخافة أن يعاقبه الله تعالى على ما فرّط فيه أو أفرط، فلذلك يريد المقام في الدنيا .

٢١٥

وروي أنّ عائشة قالت للنبيّ صلى الله عليه وآله: «يَا رَسُولَ اللهِ! كُلُّنَا نَكْرَهُ الْمَوْتَ؟ فَقَالَ: ذَاكَ عِنْدَ الْمَوْتِ»[1]، «وإذا رأى الكافر منزله كره الموت، فقال: «رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صالِحاً»، ويقال للمؤمن: يرجعك إلى دار الهموم والأحزان فيقول: لا»[2]. أو كما قال.

وفائدة الحديث الحثّ على الطاعات التي تُطْرِق إلى محبّة لقاء الله عزّ وجلّ واجتناب ما يحمل على كراهة اللقاء . وراوية الحديث عائشة.

قوله صلى الله عليه وآله: مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ يَعْلَمُهُ فَكَتَمَهُ أُلْجِمَ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ

مثل هذا الحديث قوله عليه السلام: «الْعِلْمُ لا يَحِلُّ مَنْعُهُ»[3].

يقول صلى الله عليه وآله: من سأله مسترشد مستفيد عن بعض ما لا بدّ منه من المعارف الدينيّة

١ . راجع: سنن النسائي الكبرى: ٦٠٤/١، ح ١٩٦٤؛ مسند أحمد: ١٠٧/٣، ح ١٢٠٦٦.

٢ . راجع: تفسير الطبري: ٥٢/١٨؛ تفسير الثعلبي: ٥٦/٧؛ الدرّ المنثور: ١١٤/٦؛ والآيتان في المؤمنون: ٩٩ـ ١٠٠.

٣ . مسند الشهاب: ٨٢/١، ح٥٨؛ كنز العمّال: ٥٨/١٠، ح ٢٨٦٧٠؛ يأتي شرحه في ... .

والمراسم الشرعيّة فلم يرشده ولم يُفهمه كتماناً لعلمه إمّا ضنّاً به وشُحّاً وإمّا حسداً له لئلّا يعلمه فيكون مثله وإمّا ليبقى في تيه الجهالة، ألجمه الله تعالى يوم القيامة بلجام من نار عقوبةً على كتمان العلم؛ وإنّما صارت عقوبته الإلجام مراعاةً لكون المعاقبة من جنس الذنب، كقوله عليه السلام في حديث المعراج: «رأيتُ قَوماً يُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنْ نَارٍ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ؟ فَقَالَ: هَؤُلَاءِ خُطَبَاءُ أمّتِكَ، يَقولونَ مَا لا يَفْعَلونَ»[١]؛ وليت شعري يبخل بالعلم لماذا؟! ويُطوى عن المتعلّم لأيّ وجه؟! أو لا يعلم الكاتم للعلم البخيل به أنّه فضلة ممّا علّمه السلف؟! وكم قد تثاقلته الأقلام والألسنة حتّى وصل إليه، وكم ابتذلته الأيدي حتّى حصل له، فهو فضالة الأوّلين وخَلَقٌ من لباس الدارجين.

وفيه شيء آخر، وهو أنّ المتعلّم إذا كان به طريق فمنع، كان ذلك أحثّ له وأحرص وأزيد في الرغبة وأحفز[٢] في الطلب، ولم يغلق الله باب الخير، فإذا امتنع هنا تسهّل ثَمّ، وكان على الطالب أبرك وأسعد. ٢١٦

وممّا نسب إلى الشافعيّ يقوله لمحمّد بن الحسن الشيبانيّ: «قل للذي لم تر عين من رآه مثله: العلم سهى أهله أن يمنعوه أهله»[٣].

وأشير إلى بعض أهل العلم بالشحّ فقال: هو أحصن جانباً من أن يفوز به غير مستحقّ له.[٤]

وفائدة الحديث النهي عن كتمان العلم والشحّ به على أهله. وراوي الحديث أبو هريرة.

---

١. الصمت واداب اللسان: ٢٦٥، ح ٥٧٠؛ وراجع: مصنّف ابن أبي شيبة: ٣٣٥/٧، ح٣٦٥٧٦.

٢. أحَثّ.

٣. راجع: أخبار أبي حنيفة: ١٢٧؛ المنتظم: ١٧٤/٩؛ طبقات الفقهاء: ١٤٢.

٤. راجع: تاريخ مدينة دمشق: ٢١٩/٢٩.

قوله ﷺ: مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَكُونَ لَهُ خَبِيئَةٌ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ فَلْيَفْعَلْ

الخبيئة: الخلّة المدّخرة المستورة، من خبأت الشيء إذا سترته، والجمع الخبايا، ومنه الخبائبة للحبّ، إلّا أنّهم أجمعوا على ترك همزهم تخفيفاً، والخبء والخبيء اسم لما يُخبى، وخبءُ السماوات: المطر، وخبء الأرض: النبات، والخبْأ مصدر خبأ.

يقول ﷺ: من أمكنه أن تكون له سريرة صالحة بينه وبين ربّه ﷻ فليفعل؛ وإنّما اختصّ الخبيئة بالذكر، لأنّ الطاعة إذا كانت مكتومةً كانت أقرب إلى التقرّب وأحرى بالقبول وأبعد من شوب الرياء والنفاق وأدخل في الإخلاص.

وفي الحديث: «أفضل العبادة ما أخفي»[1].

وفائدة الحديث الحثّ على سريرة صالحة يخلصها العبد لله تعالى و[لا]يطّلع عليه غيرها لتكون كالعُقدة التي يُعقدها الإنسان. وراوي الحديث ابن عمر.

قوله ﷺ: مَنْ فُتِحَ لَهُ بَابُ خَيْرٍ فَلْيَنْتَهِزْهُ فَإِنَّهُ لا يَدْرِي مَتَى يُغْلَقُ عَنْهُ

«النُهزة»: الفرصة، وانتهزتُها: اغتنمتها، وقد ناهزتهم الفُرَص، وهما يتناهزان إمارة البلد إذا ابتدراها.

فيقول ﷺ: من مُكّن من خير وفتح عليه بابه وفُسح له فليبادر إليه، فإنّ الزمان عثورٌ والآفات كثيرةٌ ولا يدري الإنسان متى لا يقدر.

وما أحسن ما قال الشاعر:

ليس في كـــلّ ســـاعة وأوان   يــتهيّأ صــنائع[2] الإحــسان

١. لم أقف عليه.

٢. كذا في المصادر، وفي خ: صانع.

فإذا أمكنتك يوماً من الدهر فبادر بها صروف الزمان
وتشاغل بها ولائلة عنها حذراً من تعذّر الإمكان[١]

ولا يريد بالخير منالَ محقّر من الدنيا الفانية، إنّما هو إشارة إلى خير يكون سبباً للحياة الباقية والعيشة الراضية من الصلوات والزكوات والعبادات والمواساة وأفعال الخير.

٢١٧ وفائدة الحديث الحثّ على اصطياد الخير عند ❊إمكانه قبل أن يُقرَب الوقت ويحق المقت. وراوي الحديث حكيم بن عمير.

قوله صلى الله عليه وآله: مَنْ كَظَمَ غَيْظاً وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى إنْفَاذِهِ مَلأَهُ اللهُ أَمْناً وَإِيمَاناً

كظم الغيظ: حبسه، والكظامة كالسدّ في مجرى الماء، والكظائم خُروق بين البئرين يجري فيها الماء، والواحد كظامة أيضاً، والكظم على وزن فَعَل ـ محرّك العين ـ مجرى التنفّس، والجمع أكظام، يقال: أخذ بكظمه.

يقول صلى الله عليه وآله: من حبس غيظه وتجرّعه نظراً إلى عظيم قدرة الله تعالى عليه وعلماً أنّه أحوج إلى أن يكظم الله تعالى عنه غيظه، وأسفه على ما آتاه إليه بعد أن كان قادراً على إمضائه وإنفاذه، تقبل الله تعالى ذلك منه وملأه أمناً وإيماناً، والإيمان هاهنا بمعنى إعطاء الأمن أي أعطاه الله تعالى الأمن ممّا يحاذره يوم القيامة.

وليت شعري من يكون ابن آدم حتّى لا يكظم غيظه ولا يحتمل ولا ينطلم[٢]؟! ومن أين له الغضب والنخوة والبطش وهو كفّ تراب غداً.

وفائدة الحديث الحثّ على كظم الغيظ، وإعلام أنّ الله تعالى يؤمن الكاظمين من عذابه

١. راجع: المحاسن والمساوئ: ١٨٨؛ شعب الإيمان: ١٢٦/٦، ح ٧٦٩٠؛ تاريخ مدينة دمشق: ٢٣٧/٢٩؛ وراجع: سير أعلام النبلاء: ٢٠١/١٣.
٢. الطَلَم: الضرب ببسط الكفّ.

يوم القيامة. وراوي الحديث سويد بن وهب عن رجل من أبناء الصحابة عن أبيه، وفي آخر الحديث: «وَمَنْ تَرَكَ لُبْسَ ثَوْبِ جَمَالٍ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ تَوَاضُعاً كَسَاهُ اللهُ تَعالى حُلَّةَ الْكَرَامَةِ، وَمَنْ زَوَّجَ للهِ تَوَجَّهُ اللهُ بِتَاجِ الْمُلْكِ»[1].

قوله صلى الله عليه وآله: مَنْ سَرَّهُ أنْ يَجِدَ طَعْمَ الإيمَانِ فَلْيُحِبَّ المَرءَ لا يُحِبُّهُ إلّا للهِ تَعَالى

«الطعم» ـ بفتح العين ـ ما يؤدّيه الذوق من اللذّة، وهذا طعام لا طَعْم له وليس فلان بذي طعم، ويجوز تخفيف العين في مثل ذلك.

يقول صلى الله عليه وآله: من سرّه أن يجد طعم الإيمان أي لذّته وطيبه فليحبّ الرجل المؤمن لله تعالى من غير أن يشوب محبّته رغبٌ أو رهبٌ أو هوى أو شهوة، فإنّ ما يجد المرء من نفسه في ذلك من اللذّة هو طعم الإيمان؛ وهذا محال وإلّا فالإيمان ليس ما له طعم حقيقيّة، بل هو إشارة إلى طيب القلب وميل النفس والإرادة والسكون والروعة التي تحدُث في قلب المؤمن لأخيه المؤمن إذا شكا إليه واعتمد عليه وطمح قلبه نحوه وأحبّ مراضيه. وقوله عليه السلام: «لا يحبّه» جملة في موضع الحال، إمّا من المحِبّ *أو من المحَبّ.

٢١٨

وفائدة الحديث الأمر بالتحابّ والتوادّ والتأخّي والتصافي. وراوي الحديث أبو هريرة.

قوله صلى الله عليه وآله: مَنْ أَصابَ مَالاً مِنْ نَهَاوِشَ أَذْهَبَهُ اللهُ فِي نَهَابِرَ

قد فسّر أصحاب الحديث «مِنْ نَهَاوِشَ» من غير حلّه من هنا وهنا، ولم يذكرون وجه اشتقاقه، وهو معوّزٌ، وردّ علماء الصناعة عليهم فقالوا: هو من مهاوش بالميم قالوا: والمهاوش كلّما أصيب من غير حلّه كالغصب والسرقة ونحو ذلك،[2] ويقال للعدد الكثير هَوشٌ

---

١ . سنن أبي داود: ٢٤٨/٤، ح٤٧٧٨؛ مسند الشهاب: ٢٦٩/١، ح٤٣٧.

٢ . راجع: العين: ٦٨/٤؛ تهذيب اللغة: ١٨٩/٦.

والهُواشات ـ بالضمّ ـ جماعات الناس، والهواشات من الإبل ما جمع واختلط بعضه ببعض.

وقال ابن الأعرابيّ: إبل هَوَّاشة إذا أخذت من هاهنا وهنا، والمهاوش من ذلك.[١]

وقال ابن قتيبة: هو من تهاوش، أي تخاليط. قال: وروي: «مهاوش».[٢]

وكذا ذكره ابن دريد بالتاء وضمّ الواو.[٣]

«وَإِيَّاكُمْ وَهَوْشَاتِ الْأَسْوَاقِ» في حديث عبد الله أي اختلاط أهلها. وروي: «وهيشاتُ» بالياء.[٤]

و«النهابر» قال ابن قتيبة هي المهالك،[٥] ويقال: نهابير.

وفي حديث عمرو بن العاص قاله لعثمان: «إِنَّكَ رَكِبْتَ بِهَذِهِ الأُمَّةِ نَهَابِيرَ مِنَ الأُمُورِ فَتُبْ مِنْهَا»[٦].

قالوا: النهابير والهنابير: الرمال المشرفة، وأراد أموراً صعبةً وأحوالاً مشكلةً، فشبّهها بنهابير الرمل التي يصعب المشي فيها.[٧]

وفي حديث كعب في[٨] ذكر الجنّة فقال: «فيها هنابير مسك»[٩]، أي تلولٌ. وقيل: أراد بها الأنابير فقلب الهمزة هاءً لقرب مخرجيها.[١٠] وقال الحناويّ[١١]: النهابر الحفائر بين الآكام[١٢]

---

١. راجع: تهذيب اللغة: ١٨٩/٦؛ المحكم والمحيط الأعظم: ٤٠١/٤.

٢. غريب الحديث لابن قتيبة: ٣٧٦/١.

٣. راجع: تصحيفات المحدّثين: ٢٢٩/١.

٤. غريب الحديث لابن سلام: ٨٤/٤؛ وراجع: مسند أحمد: ٤٥٧/١، ح٤٣٧٣.

٥. راجع: غريب الحديث لابن قتيبة: ٣٧٣/٢.

٦. الطبقات الكبرى: ٦٩/٣؛ غريب الحديث لابن قتيبة: ٣٧١/٢.

٧. راجع: غريب الحديث لابن الجوزي: ٤٤٣/٢.

٨. في خ: وفي.

٩. تهذيب اللغة: ٢٨٢/٦؛ الفائق: ١١٦/٤.

١٠. راجع: غريب الحديث لابن قتيبة: ٥٠٦/٢.

١١. لم أقف على ترجمته وقوله.

١٢. كذا في المصادر اللغويّة، وفي خ: الأكابر.

واحدتها نهبورة.

فيقول ﷺ: من أصاب مالاً ولم يتحرّ[1] جهة حلّه، بل قمش من هنا وثمّ غير مفكّر في الحلال والحرام لم يصلح أن يعتقد ويجعل عقدة ولا يبقى، بل يذهبه الله تعالى في نهابر أي في مهالك، أي يذهب عنه ويطير من يده، وكثيراً ما سمعتُ المتصرّفين يقولون: إنّ مثلنا ومثل ما يدور في أيدينا ونجمعه من الأموال مثل السَلّة في الماء مادامت فيه فهي ممتلئة فإذا استخرجتها لم يبق فيها شيء.

وقال ﷺ: «مَنْ لَمْ يُبَالِ مِنْ أينَ كَسَبَ الْمَالَ لَمْ يُبَالِ اللهُ مِنْ أينَ أَدْخَلَهُ النَّارَ»[2].

وقال عليه السلام: «مَنْ أَصَابَ مَالاً مِنْ مَأْثَمٍ فَوَصَلَ بِهِ رَحِماً، أَوْ تَصَدَّقَ بِهِ، أَوْ أَنْفَقَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ، جُمِعَ [ذَلِكَ] جَمِيعاً، ثُمَّ يقذفَ بِهِ فِي نارِ جَهَنَّمَ»[3].

٢١٩ وفائدة الحديث النهي عن اكتساب المال وادّخار العقدة من هذا *الوجه وجمعه من هنا وثَمّ. وإعلام أنّه يذهب ولا يبقى. وراوي الحديث أبو سَلَمة الحِمْصيّ.

قوله ﷺ: مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ من الرِّفْقِ فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ من الْخَيْرِ

يقول ﷺ: من خلقه الله تعالى رضيناً رزيناً وقوراً أميناً، لم يلابس شيئاً من أمور الدنيا إلّا رفق به وقدّر الوجوه فيه ونظر في العواقب، فقد أعطاه الله خير الدنيا والآخرة؛ لأنّه ينظر في أمور الدنيا فيتحامى[4] ما يجرّ العدوات والخصومات، وينظر في أحوال الآخرة أيضاً

---

١. تحرّى في الأمور: قصد أفضلها.

٢. أخبار أصبهان: ٣٩٩/١؛ كنز العمّال: ٩/٤، ح ٩٢٧١.

٣. الزهد لابن مبارك: ٢٢١/١، ح ٦٢٥؛ المجالسة وجواهر العلم: ٢٥٩، ح ١٤٩١؛ كنز العمّال: ٨/٤، ح ٩٢٦٥.

٤. فيتجنّب.

ويقول: إن لم يحكم أموري في هذه الدنيا الغدّارة الغرّارة لم أقدم في عرصة القيامة إلّا على الخسران، فإذا نظر في ذلك أحكم أمره ودبّره كما ينبغي، فيكون قد جمع خير الدنيا إلى خير الآخرة، لأنّ الرفيق بالأمور يحمده الناس، ولا يحلّ به في الدنيا ما يستوخم عاقبته فيها، ويقدم في القيامة على ما قدّمه من الخير.

وفائدة الحديث الأمر بالرفق والتثبّت والنهي عن الخرق والطيشوشة[1]. وراوية الحديث عائشة.

قوله صلّى الله عليه وآله: مَنْ آثَرَ مَحَبَّةَ اللهِ عَلَى مَحَبَّةِ النَّاسِ كَفَاهُ اللهُ مَؤُونَةَ النَّاسِ

«المؤونة»: ما يثقل على الإنسان حمله، يهمز ولا يهمز وهي فعولة . وقال الفرّاء: هي مفعَلة من الأين وهو التعب والشدّة، ويقال: هو مفعُلة من الأون وهو الخُرج والعِدل، لأنّه ثقلٌ على الإنسان، قال الخليل: ولو كان مِفعُلةً لكان مئينةً مثل معيشةٍ، وجوّز الأخفش أن يكون مفعُلة، ومأنتهم أمؤنهم مأناً: احتملت مؤونتهم، ومن ترك الهمز قال: منتهم أمونهم.[2] وقد ذكر فيما مضى.

فيقول صلّى الله عليه وآله: من آثر محبّة الله تعالى واتّبع رضاه واختاره على رضا الخلق كفاه الله تعالى ما يخافه ويتوقّعه من شرّهم، لأنّه عباده ونواصيهم بأيدي قدرته، فإذا أقبل العبد على الله تعالى مراقباً جانبه متتبّعاً مراضيه آمنه الله تعالى جرائر الناس وكفاه مؤوناتهم وأثقالهم.

وفائدة الحديث الحثّ على الاستعصام بعظمة الله تعالى وإيثار رضاه على رضا الخلق،

---

١ . كذا في خ.

٢ . راجع: الصحاح: ٢١٩٨/٦ـ٢١٩٩؛ لسان العرب: ٣٩٦/١٣؛ تاج العروس: ١٤٢/٣٦.

وإعلام أنّه إذا لم يراقب جانب الخلق كفاه الله تعالى شرّهم ونحّى[١] عنه ضرّهم. وراوية الحديث عائشة .

قولهﷺ : مَنْ فَارَقَ الجَماعَةَ شِبراً خَلَعَ رِبْقَةَ الإسلامِ مِنْ عُنُقِهِ

«الربق»: حبل فيه جماعة عقود يجعل رأس كلّ بهمةٍ في واحد منها، والواحد منها رِبْقة والجمع: الرِبَق والأرباق والرِبَاق، وربقتُ ※الجدي أربُقُه رَبْقاً إذا سلكتُ رأسه في الرِبقة، وارتبق الجدي؛ ويقال: ارتبق الظبي في الحبالة أي علِق، والربيقة: البَهمة المربوقة في الرِبق قاله يعقوب بن السكّيترحمه الله .[٢]

٢٢٠

يقولﷺ : من فارق الجماعة ولو بقليل ممّا يبتدعه هو أو يقتدي ببدعة فقد انسلّ[٣] من عقد الإسلام، لأنّه إذا فعل ذلك فقد انحلّت عروة من عرى إسلامه، فإن رجع إليها وإلّا تسكّع[٤] في طغيانه وتردّى في هلاكه وعاز عن القطيع الذي فيه الحقّ وصار من الذين يقول فيهم النبيّﷺ : «مَثَلُ المُنَافِقِ كَمَثَلِ الشَّاةِ الْعَائِرَةِ بَيْنَ الْغَنَمَيْنِ»[٥]، وإنّما شبّهه بالشاة العائرة لأنّها مفلتة مخرجة رأسها من العقد متحيّرة لا تدري بأيّ قطيع تلحق وربّما أضلّت على الأقاطيع فلم تلحق بشيء منها فكانت طعمة الذئب، كذلك الإنسان إذا فتح على نفسه أبواب البدع جعل ينسلّ من الدين انسلالاً حتّى ينقطع من الحقّ المجمع عليه، فيصير طعمة للشيطان فيأخذ بحلقه فيصرفه كيف ما شاء .

١ . أزال وأبعد.

٢ . راجع: الصحاح: ٤/ ١٤٨٠.

٣ . خرج في خفية.

٤ . تمادى وتخبّط.

٥ . مسند أحمد: ٢/ ٤٧، ح ٥٠٧٩؛ مسند الشهاب: ٢/ ٢٨٥، ح ١٣٧١.

والحديث حثّ على ملازمة ما الإجماع واقع عليه.

وقال عليه السلام: «لا يَجْتَمِعُ أُمَّتِي عَلَى الضَلالِ»[١].

والمعنى: أنّ الحقّ ليس بخارج من الأمّة وليس الإجماع ما اجتمع عليه الدهماء وطابق عليه الحشو والغوغاء، ولا الغرض به الكثرة، فلو كان مثلاً أحد من الناس على الحقّ لكان الإجماع في جنبته، ولو اجتمع عالم منهم على الباطل والبدعة لكانوا مبتدعين ولا اعتبار بالكثرة، وإنّما الاعتبار بالحقّ وتحرّيه وتجنّب الباطل وتحاميه؛ وعلى العاقل أن يعزل عن نفسه حبّ الشيء ودين الآباء وعقيدة المعلّم فإنّه أب ثان يقتدي الإنسان به، والحقّ لا يعرف بالرجال، وأن يخلع عن قلبه حبّ البلدة التي هي مسقط رأسه ومسرح أنفاسه، فإنّ البلدان عند الله تعالى كلّها بلدة واحدة، والتراب لا يُهدى، وإنّما الدليل هو النظر الشافي في المدلول على الوجه بشرائطه أن يخلع الهوى ويسوّي العقائد كلّها عند نفسه، فإذا فعل ذلك اهتدى إلى الحقّ المجمع عليه بتوفيق الله تعالى وترك البدع جانباً.

وقوله عليه السلام: «شبراً» نصبه على المصدر.

وقال النبيّ صلى الله عليه وآله: «لَا يَقْبَلُ اللهُ لِصَاحِبِ بِدْعَةٍ صَوْماً، وَلَا صَلَاةً، وَلَا حَجّاً، وَلَا صَدَقَةً، وَلَا عُمْرَةً، وَلَا جِهَاداً، وَلَا صَرْفاً، وَلَا عَدْلاً، وَيَخْرُجُ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا تَخْرُجُ الشَّعَرَةُ ❊مِنَ الْعَجِينِ»[٢]. ٢٢١

وقال عبد الله بن مسعود في قوله تعالى: «وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً»[٣]، قال: الجماعة.[٤]

قال الفضيل: صَاحِبُ الْبِدْعَةِ لا تَأْمَنْهُ عَلَى ذِمّتِكَ[٥]، وَلا تُشَاوِرْهُ فِي أَمْرِكَ، وَلا تَجْلِسْ

---

١. راجع: إرشاد القلوب: ٢٦٤/٢؛ بحار الأنوار: ٣٦/٢٩، ح١٨.

٢. سنن ابن ماجه: ١٩/١، ح٤٩؛ كنز العمّال: ١٢٣/١، ح١١١٥؛ جامع الأحاديث: ٥٠٢/٢، ح٦٨٨٢.

٣. آل عمران: ٢٠٠.

٤. تفسير الطبري: ٣٠/٤؛ المعجم الكبير: ٢١٢/٩، ح٩٠٣٣؛ تفسير الثعلبي: ١٦٢/٣.

٥. في المصدر: دينك.

إلَيْهِ، فَإنّه مَنْ جَلَسَ إلَى صَاحِبِ بِدْعَةٍ وَرَّثَهُ [اللهُ] الْعَمَى»[١].

وقال النبيّ عليه السلام: «[فَلْيَلْزَمِ] الْجَمَاعَةَ، فَإنَّ يَدَ اللهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ»[٢].

وفائدة الحديث مراقبة الإجماع في الدين وطرح البدع والضلالات التي نصبها الجهّال شركاً ليصطادوا بها الناس ويحيلوهم عمّا في أيديهم ويترأّسوا عليهم، ومنشأ كلّ بدعة من طلب الرئاسة. وراوي الحديث أبو ذرّ رضي الله عنه.

قوله صلى الله عليه وآله: مَنْ فَارَقَ الجَمَاعَةَ وَاسْتَذَلَّ الإمَارَةَ لَقَ اللهَ وَلا وَجْهَ لَهُ عِنْدَهُ

هذا الحديث كالذي قبله، و«الإمارة» مصدر الأمير، وقد أمر فلان علينا، وأمُر ـ بالضمّ ـ لغةً أي صار أميراً، والأمير ذو الأمر المقبول، والإمرة أيضاً الإمارة، وقد تأمّر فلان عليهم أي تسلّط، وأمّره السلطان: جعله أميراً. والاستذلال والإذلال والتذليل ثلاثتها في معنى واحد.

فيقول صلى الله عليه وآله: من فارق الكلمة وخرق الإجماع المنعقد بين الأمّة واستذلّ أمر الإمامة أي لم يوجب طاعة الإمام على نفسه وهو محقّ، لقي الله تعالى ولا وجه له عنده، أي لا حرمة ولا جاه ولا وزر.

وقيل: إنّ الجاه هو الوجه، فقلت: تقول[٣] أوجهتُه ووجّهته أي جعلتُه وجيهاً.

وهذا الكلام إعظام لأمر الإمامة، وإعلام أنّ العاصي للإمام المحقّ لا وجه له عند الله تعالى.

واستذلال الإمارة: هو عصيان الإمام إمّا باعتقاد أنّه لا يجب طاعته أو بأن يأمره أمراً

١. اعتقاد أهل السنّة: ١/١٣٨، ح ٢٦٤؛ حلية الأولياء: ٨/١٠٣.

٢. المعجم الأوسط: ٧/١٩٣، ١٩٣؛ مجمع الزوائد: ٥/٢٢٥.

٣. كذا في خ.

فيمتنع من قبوله وارتسامه والمسارعة إليه، وكلّ ذلك استذلال للإمام.

وفائدة الحديث تعظيم أمر الإجماع والإمامة، وإعلام أنّ من خرق الإجماع واستذلّ الإمام خرج من الإسلام، لأنّه لو كان مسلماً لكان له عند الله تعالى قدر وجاهٌ. وراوي الحديث عثمان.

قوله ﷺ: مَنْ نَزَعَ يَدَهُ مِنَ الطَّاعَةِ لَمْ يَكُنْ لَهُ يَومَ القِيَامَةِ حُجَّةٌ وَمَنْ فَارَقَ الجَماعَةَ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً

وهذا الحديث أيضاً كالحديثين المتقدّمين، فيقول ﷺ: من كفّ يده من الطاعة أي طاعة النبيّ ﷺ والأئمّة بعده القائمين مقامه الذين هم خلفاؤه في الأرض والحجج على العباد، ٢٢٢ *لم يكن له يوم القيامة حجّة على الله تعالى، بل يكون الحجّة عليه، لأنّه فوّت حظّه وبخس[1] نفسه بعصيان من تجب طاعته.

ثمّ قال النبيّ ﷺ: من فارق الجماعة مات ميتةً جاهليّةً، أي مات كافراً، لأنّ الجاهليّة هي ما كان قبل الإسلام، وهي كناية عن الكفر، وربّما يبالغ فيقول: الجاهليّة الجَهلاء، كقولك: ليلة لَيلاء.

وفائدة الحديث تعظيم أمر الجماعة والإمامة وإبعاد من استذلّ أحدهما. وراوي الحديث ابن عمر.

قوله ﷺ: مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَسْكُنَ بُحْبُوحَةَ الجَنَّةِ فَلْيَلْزِمِ الجَماعَةَ

«بحبوحة» الدار: وسطها، ومنه يتبحبح في المكان إذا تمكّن فيه.

وهذا الحديث أيضاً من قبيل ما تقدّم من تعظيم أمر الجماعة. فيقول ﷺ: من سرّه أن يسكن الجنّة فليلزم الجماعة، أي ليراع الإجماع ولا يبتدع ما يخرقه ؛ وذكر البحبوحة مبالغة

١. ظلم.

وتأكيد.

وفائدة الحديث الأمر بلزوم الجماعة والتزام حكم الإجماع. وراوي الحديث عمر بن الخطّاب.

قوله صلى الله عليه وآله: مَنْ أَقَالَ نَادِماً بَيعَتَهُ أَقَالَهُ اللهُ تَعَالى عَثْرَتَهُ

أقاله البيع: فسخه، يقال: أقلته البيع، وقِلته البيع أيضاً لُغيّة[1]، واستقلته البيع أي طلبت أن يفسخه فأقالني إيّاه، وتقايل المتبايعان إذا تفاسخا البيع. والبيعة: المرّة الواحدة من البيع .

فيقول صلى الله عليه وآله: من فسخ بيعة نادم فسخ الله تعالى في عرصة القيامة عقوبة عثرته، وذلك أنّ الآراء تختلف وتتغيّر في البيوع والأَشْرِية، وربّما يبيع الإنسان أو يشتري ثمّ يرى صلاحه في فسخ ما عقده على نفسه، فمتى فسخ للنادم بيعته كان ذلك طريقاً إلى فسخ عقوبته يوم القيامة؛ ويقال: أقلته عثرته، كما يقال: أقلته البيع؛ وفي الدعاء: «يا مقيل العثرات! أقلني عثرتي»[2].

وفائدة الحديث الحثّ على إقالة بيع النادم واستصلاح حاله. وراوي الحديث أبو هريرة.

قوله صلى الله عليه وآله: مَنْ كَفَّ لِسَانَهُ عَنْ أَعْرَاضِ النَّاسِ أَقَالَهُ اللهُ عَثْرَتَهُ يَومَ القِيَامَةِ

قال أبو العبّاس:

«العرض موضع المدح والذمّ من الإنسان. قال ابن الأعرابيّ: ذهب أبو العبّاس إلى أنّ القائل إذا ذكر عرض غيره فمعناه أموره التي يرتفع أو يسقط بذكرها ومن جهتها يحمد أو يذمّ، فيجوز أن يكون أموراً يوصف هو بها دون أسلافه، ويجوز أن تذكر أسلافه ليلحقه ❊النقيصة بعيبهم. قال: ولا نعلم بين أهل اللغة خلافه إلّا ما قال[3] ابن قتيبة، فإنّه أنكر أن ٢٢٣

١ . لغة قليلة.

٢ . إقبال الأعمال: ٣١٤؛ مصباح المتهجّد: ٣٠٨؛ وسائل الشيعة: ١٨٣/٨، ح ١٠٣٧١.

٣ . في المصدر: قاله.

يكون العرض الأسلاف، وزعم أنّ عرض الرجل نفسه، واحتجّ بحديث النبيّ صلى الله عليه وآله في صفة أهل الجنّة «لا يَتَغَوَّطُونَ وَلا يَبُولُونَ، إنَّمَا هُوَ عَرَقٌ يَجْرِي مِنْ أَعْرَاضِهِمْ مِثْلُ الْمِسْكِ»[١]، قال: معناه: من أبدانهم. واحتجّ بقول أبي الدرداء: «أقرض [من] عرضك ليوم فقرك»[٢]، قال: معناه: أقرض من نفسك بأن لا تذكر من ذكرك. واحتجّ بحديث أبي ضمضم: «اللهُمَّ إنِّي [قَدْ] تَصَدَّقْتُ بِعِرْضِي عَلَى عِبَادِكَ»[٣]. قال: معناه: بنفسي وأحللت من يغتابني. قال: فلو كان العرض الأسلاف لما جاز أن يحلّ من سبّ الموتى، لأنّ ذلك إليهم لا إليه. قال ابن الأنباريّ: والذي ذكره واضح الخطأ، ألا ترى مسكيناً الدارمي يقول:

ربّ مهزولٍ سمينٍ عِرضُهُ وسمينُ الجسمِ مهزولُ الحَسَب[٤]

فلو كان كما قال لكان معنى قول مسكين مستحيلاً، لأنّه لا يقال: ربّ مهزول سمين جسمه، لأنّه مناقضه. وقول النبيّ عليه السلام: «من أعراضهم» قال الأمويّ: أي مغابنهم، وهي المواضع التي تعرق وكذلك حديث أبي الدرداء معناه: من عابك بذكر أسلافك فلا تجاره. وكذلك حديث أبي ضمضم: أحللت من ذكرني وذكر أسلافي، لأنّ ذكر الأسلاف بالعيب يرجع إليه. وفي كلام عمر للحطيئة: «فاندفعت تغنى بأعراض المسلمين»[٥]،»[٦]. في كلام طويل، والصحيح ما قاله أبو العبّاس ثعلب.

فيقول صلى الله عليه وآله: من حبس لسانه عن أعراض المسلمين فلم يضع فيهم ولم ينحت[٧] أثلابهم[٨]

---

١. راجع: غريب الحديث لابن سلام: ١/١٥٤؛ أدب الكاتب: ٢٧.

٢. مصنّف ابن أبي شيبة: ٧/١١٢، ح٣٤٥٩٦؛ كنز العمّال: ٣/٣١٢، ح٨٧٢٨.

٣. مصنّف عبد الرزّاق: ٩/٧٧، ح١٦٤٠٨؛ كنز العمّال: ٣/١٥٢، ح٧٠١١.

٤. راجع: خزانة الأدب: ٣/٧٠.

٥. النهاية: ٣/٢٠٩؛ وراجع: المنتظم: ٥/٣٠٩؛ العقد الفريد: ٥/٢٨٠.

٦. راجع: الزاهر في معاني كلمات الناس: ٢/٦٢ـ٦٣؛ كشف المشكل: ٢/٧ـ٨.

٧. لم يطعن.

٨. كذا في خ، ولعلّ الصواب: مثالبهم.

أي يقرضهم، بقولك: قرضت منه، إذا ذكرته بسوء، فمن ترك الناس ولم يذكر مثالبهم غفر الله تعالى زلّته يوم القيامة ورحمه.

وروي عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال لمّا عرج بي إلى السماء: «رأيت قوماً أَظْفَارهم مِنْ نُحَاسٍ، يَخْمُشُونَ وُجُوهَهُمْ وَلُحُومَهُمْ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ، وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ»[١].

وقال عليه السلام: «مَنْ حَمَى مُؤْمِناً مِنْ مُنَافِقٍ يَعِيبُهُ، بَعَثَ اللهُ تَعَالَى مَلَكاً يَحْمِي لَحْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ، وَمَنْ بَغَى مُسلِماً بِشَيْءٍ يُرِيدُ عيبَهُ، حَبَسَهُ اللهُ عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ، حَتَّى يَخْرُجَ مِمَّا قَالَ»[٢].

وقال عليه السلام: «مَنْ ذَبَّ عَنْ لَحْمِ أَخِيهِ فِي الْغَيْبِ كَانَ حَقّاً عَلَى اللهِ أَنْ يُعْتِقَهُ مِن نَارِ جَهَنَّمَ»[٣].

٢٢٤

وفائدة الحديث ❊الأمر بحبس اللسان عن الوقوع في الناس وإعلام أنّ جزاء ذلك المغفرة . وراوي الحديث أبو جعفر.

قوله صلى الله عليه وآله: مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ وَالِدَةٍ وَوَلَدِهَا فَرَّقَ اللهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَحِبَّتِهِ يَومَ القِيامَةِ

بناء هذا الكلام على التراحم والتعاطف والرقّة، وهو أنّه عليه السلام ينهى أن يفرّق بين والدة وولدها، وذلك لأنّ بطنها كان وعاؤه وثديها سقاه وكبدها كان مقسم رزقه، وهي التي انفصل منها بعضها، فسمّي ذلك البعض ولداً فهو هي، يمشي على الأرض كما قال:

وإنّما أولادُنا بينَنَا ... أَكْبَادُنَا تَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ[٤]

---

١ . مسند أحمد: ٢٢٤/٣، ح ١٣٣٦٤؛ سنن أبي داود: ٢٦٩/٤، ح ٤٨٧٨؛ كنز العمّال: ٢٣٥/٣، ح ٨٠٢٩.

٢ . مسند أحمد: ٤٤١/٣، ح ١٥٦٨٧؛ سنن أبي داود: ٢٧٠/٤، ح ٤٨٨٣؛ الصمت وآداب اللسان: ١٥١، ح ٢٤٨؛ كنز العمّال: ١٦٨/٣، ٧٢٢٢.

٣ . مسند الطيالسي: ٢٢٧، ح ١٦٣٢؛ مسند أحمد: ٤٦١/٦، ح ٢٧٦٥٠.

٤ . قاله حطّان المعلي، راجع: العقد الفريد: ٢٥٧/٢؛ الأمالي في لغة العرب: ١٩٢/٢؛ ديوان الحماسة: ١٠٢/١.

ولمّا كان كذلك نهى صلى الله عليه وآله أن يفرّق بين الوالدة وولدها الطفل في البيع والشرى وغير ذلك من الوجوه، لما في ذلك من القطع.

ويروى في الحديث: «مَلْعُونٌ مَنْ فَرَّقَ»[١].

وعن أمير المؤمنين ـ صلوات الله عليه ـ قال: «أَمَرَنِي رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله أَنْ أَبِيعَ غُلَامَيْنِ [أَخَوَيْنِ]، فَبِعْتُهُمَا، وَفَرَّقْتُ بَيْنَهُمَا، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وآله فَقَالَ: أَدْرِكْهُمَا فَارْتَجِعْهُمَا، وَلَا تَبِعْهُمَا إِلَّا جَمِيعاً»[٢].

وروي أنّ أبا أيّوب رضي الله عنه مرّ بصبيان من السبيّ يبكون وقد فرّق بينهم وبين أمّهاتهم، فردّهم أبو أيّوب إلى أمّهاتهم، وقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ وَالِدَةٍ وَوَلَدِهَا فَرَّقَ اللهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَحِبَّتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[٣].

وفائدة الحديث النهي عن التفريق بين الأمّهات والأولاد لما في ذلك من القطع والإيحاش[٤]. وراوي الحديث أبو أيّوب الأنصاريّ.

قوله صلى الله عليه وآله: مَنْ شَابَ شَيْبَةً فِي الْإِسْلَامِ كانَتْ لَهُ نُوراً يَوْمَ الْقِيَامَةِ

الشيب والمشيب: بياض الشعر، والشيبة: القليل من البياض.

فيقول صلى الله عليه وآله: من ابيضّ شعره في الإسلام والطاعة والتمسّك بأوامر الله تعالى ونواهيه كان البياض له نوراً يوم القيامة.

وعن النبيّ صلى الله عليه وآله: «يقول الله عزّ وجلّ: وَعِزَّتِي وَجَلالِي، وَفَاقَةِ خَلْقِي إِلَيَّ، إِنِّي لَأَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِي وَأَمَتِي يَشِيبَانِ فِي الإِسْلامِ أَنْ أُعَذِّبَهُمَا. ثمّ بكى رسول الله صلى الله عليه وآله فقلنا: مَا يُبْكِيكَ يا

---

١. الدعاء للطبراني: ٥٨٢، ح ٢١١٤؛ سنن الدارقطني: ٦٦/٣، ح ٢٥٣؛ سنن البيهقي: ١٢٨/٩، ح ١٨١٠١.

٢. مسند أحمد: ٩٧/١، ح ٧٦٠؛ سنن البيهقي: ١٢٧/٩، ح ١٨٠٩٦؛ كنز العمّال: ٦٨/٤، ح ١٠٠٠٧.

٣. سنن الدارمي: ٢٩٩/٢، ح ٢٤٧٩.

٤. الإيحاش: خلاف الإيناس.

رسولَ اللهِ؟ قَالَ: أبكي مِمَّنْ يَسْتَحْيِي اللهُ مِنْهُ وَلا يَسْتَحْيِي مِنَ اللهِ»[١].

وعن أنس عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: «أَوْحَى اللهُ تَعالى إِلَيَّ أَنَّ الشَّيْبَ عَلَى عَبْدِي نُورٌ مِنْ نُورِي، وَأَنَا أَكْرَمُ مِنْ أَنْ أَحْرِقَ نُورِي بِنَارِي»[٢]. *فنظم بعض المتأخّرين هذا المعنى وقال:

٢٢٥

رجــائي في الخــلاصِ أزداد	لما بدا نور المشيب على عذاري
لأنّ الله ـ جلّ وعز ـ أوحى	إلى المختار والرسل الخيار
خلقت الشيب من نور المصفّى	ولست بمحرق نوري بناري[٣]

وذلك نهى صلى الله عليه وآله عن نَتْف الشيب، وقال: «مَا شَابَ رَجُلٌ مِنْ أَهلِ الْإِسْلَامِ شَيْبَةً إِلَّا كَتَبَ اللهُ لَهُ بِهَا حَسَنَةً، وَمَحا عَنْهُ [بِهَا] سَيِّئَةً، وَرَفَعَ بِهَا دَرَجَةً»[٤].

وعن عطاء قال: «لَمَّا رَأَى إِبْرَاهِيمُ عليه السلام الشَّيْبَ قَالَ: مَرْحَباً بِالْحِلْمِ وَالْعِلْمِ، الحمدُ للهِ الذي أَخْرَجَني مِنَ الشباب سالماً»[٥].

ورأى بعضهم شيخاً توفّي بالبصرة في المنام فقال: ما فعل بك ربّك؟ فقال: وقفني بين يديه فقال: حلفت ثمانين ألف يمين كاذبة أمّا إنّي لو لا أنّك شيخ لعذّبتك[٦].

ورأى بعضهم بعض الأكابر في المنام فقال: ما فعل بك ربّك؟ قال: وقفني فقال: يا شيخ! السوء فعلتَ، وفعلت، قال: فقلت: يا سيّدي ومولاي! ما هكذا حُدّثت عنك، قال الله تعالى: وما حُدّثت عنّي؟ فقلت: حدّثني فلان، قال: حدّثني فلان، قال: حدّثتني عائشة عن

---

١. المجالسة وجواهر العلم: ٥٧٢ـ٥٧٣، ح٣٤١١؛ حلية الأولياء: ٣٨٧/٢؛ جامع الأحاديث: ٢٦٦/٤، ح١١٥٢٦.

٢. الفردوس: ٢٣٠/٥، ح٨٠٣٩؛ كنز العمّال: ٢٨٤/١٥، ح٤٢٦٨١؛ وراجع: الكامل في ضعفاء الرجال: ١١٠/٣.

٣. لم أقف عليه.

٤. مسند أحمد: ٢٠٧/٢، ح٦٩٣٧؛ صحيح ابن حِبّان: ٢٥٣/٧، ح٢٩٨٥؛ جامع الأحاديث: ٢٦٩/٨، ح٢٥٩٦٤.

٥. العمر والشيب: ٦٨، ح٥٧.

٦. راجع: المنامات: ١٤٩، ح٣٣٩.

النبيّ صلى الله عليه وآله عن جبرئيل عنك يا ربّ العزّة، إنّك قلت: إنّي لأستحيي من عبدي وأمَتي إذا شابا في الإسلام أن أنصب لهما ميزاناً أو أرفع لهما ديواناً. فقال تعالى: صدق فلان، صدق فلان، صدقت عائشة، صدق رسولي محمّد، صدق جبرئيل، وأنا أصدق الصادقين، أنا قلت ذلك وقد عفوت عنك.[١] أو كما قال.

وفائدة الحديث إعلام أنّ الشيب نور المسلم يوم القيامة أنّه أقرب إلى العفو. وراوي الحديث أبو هريرة.

قوله صلى الله عليه وآله: مَنْ يَسَّرَ على مُعْسِرٍ يَسَّرَ الله عَلَيهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ

الإعسار: الإضاقة، وقد أعسر إعساراً.

فيقول صلى الله عليه وآله: من سهّل الأمر على معسر في دين أو قرض أو لازم سهّل الله تعالى عليه في الدنيا والآخرة .

وقد حثّ الله تعالى على ذلك بقوله تعالى: «وَإِنْ كانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إلى مَيْسَرَةٍ» [٢]، وذلك لما فيه من الفضل العظيم والمنّ الجسيم، فإنّ الفقر كاد أن يكون كفراً، فالميسّر له المسهّل الأخذ بالأهون الأرفق عليه إمّا لحطّ عن رأس المال أو هبة منه أو تقسيط وتجزئته في الأداء يعرض أن يسهّل الله تعالى عليه مشاقّ الدنيا والآخرة، وكذلك أنّ ما يتعاطاه الإنسان مع عباده خيراً كان أو شرّاً فكأنّه يتعاطاه *مع الله تعالى. ٢٢٦

وفائدة الحديث الحثّ على الإمهال والإنظار لذوي الإضاقة والإعسار. وراوي الحديث أبو هريرة.

قوله صلى الله عليه وآله: مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِراً أَوْ وَضَعَ لَهُ أَظَلَّهُ اللهُ تَحْتَ

---

١ . راجع: المنتظم: ١١/ ٣٢٠ـ٣٢١.

٢ . البقرة: ٢٨٠ .

ظِلِّ عَرْشِهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إلَّا ظِلُّهُ

الإنظار: التأخير والإمهال، وقد أنظرته والاسم النَظِرة. قال الله تعالى: «فَنَظِرَةٌ إلى مَيْسَرَةٍ»[١]، واستنظره: استمهله، وتنظّره أي انتظره في مهلة. و«الوضع» هاهنا الحطّ من رأس المال وقد يقال للخسران الوضيعة .

يقول صلى الله عليه وآله: من أمهل الغريم الفقير أو حطّ له من رأس المال تخفيفاً عنه أظلّه الله تعالى في صعيد القيامة تحت عرشه ووقاه من الصهرة[٢].

وقال النبيّ صلى الله عليه وآله: «من أنظر مديوناً فله بكلّ يوم عند الله وزن أحُد ما لم يطلبه»[٣].

وقال عليه السلام: «مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِراً كَانَ لَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ صَدَقَةٌ»[٤].

وفائدة الحديث الحثّ على الإحسان في المعاملة والترغيب في المساهلة والمجاملة والتأخير للحريف والحطّ طلباً للتخفيف. وراوي الحديث أبو هريرة.

قوله صلى الله عليه وآله: مَنْ كَانَ ذَا لِسَانَيْنِ فِي الدُّنْيَا جُعِلَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِسَانَانِ مِنْ نَارٍ

ذكر اللسانين في الحديث كناية عن النفاق والخداع وهو أن يخاطب هذا بلسان وذاك بآخر، لا يتحرّج من الكذب بل يوافق كلّ أحد .

---

١ . البقرة: ٢٨٠ .

٢ . كذا في خ، والصهْر: الحارّ وإذابة الشحم والإحراق.

٣ . عنه صلى الله عليه وآله: «مَنْ أَقْرَضَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ كَانَ لَهُ بِكُلِّ دِرْهَمٍ أَقْرَضَهُ وَزْنَ جَبَلِ أُحُدٍ وَجِبَالِ رَضْوَى وَطُورِ سَيْنَاءَ حَسَنَاتٌ»، راجع: ثواب الأعمال: ٢٨٨؛ الأعلام: ٤٢١؛ وسائل الشيعة: ١٨/٣٣١، ح٢٣٧٨٧؛ وأيضاً عنه صلى الله عليه وآله: «مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِراً كَانَ لَهُ عَلَى اللهِ عزّ وجلّ فِي كُلِّ يَوْمٍ ثَوَابُ صَدَقَةٍ بِمِثْلِ مَالِهِ حَتَّى يَسْتَوْفِيَهُ»؛ راجع: من لا يحضره الفقيه: ٢/٥٩، ح١٧٠١؛ وراجع: مسند أحمد: ٥/٣٥١، ح٢٣٠٢٠.

٤ . نقلت مصدره آنفاً.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «كثرةُ الوفاقِ نفاقٌ»[1].

فيقول صلى الله عليه وآله: من كان منافقاً في دار الدنيا يخاطب هؤلاء بشيء وأولئك بضدّه، جعل الله له يوم القيامة لسانين من نار عقوبةً على خداعه ونفاقه.

ويجوز أن يكون إشارةً إلى نفاق الكفر، ويجوز أن يكون المراد به السعي بالفساد بين المسلمين والتضريب فيما بينهم، وإنّما جعل له لسانان من نار عقوبةً في الآلة التي كان يسعى بها ويستعملها في ذلك، ومضاعفة الآلة تشديد وتنكيل وتشكيل ومبالغة في العذاب.

وفائدة الحديث التحذير من النفاق والسعي في الشقاق. وراوي الحديث أنس بن مالك.

قوله صلى الله عليه وآله: مَنْ نَظَرَ فِي كِتَابِ أَخِيهِ بِغَيْرِ إِذْنِهِ فَكَأَنَّمَا يَنْظُرُ فِي النَّارِ

٢٢٧

«الكتاب» في هذا الحديث يعني به الدَرْج الذي فيه ذكر النفع والضرّ، وليس بالدفتر المكسور على ضمّ العلوم، وإنّما نهى عن النظر في كتاب غيره لأنّ *الإنسان ربّما كانت له أحوال لا يريد أن يطّلع عليها ومفاقر لا يستحسن أن تعلم وأمور يحبّ أن تكتم. والنظر في النار كناية عن استيجاب نار جهنّم والمعاقبة بها. يقال: السيف ينظر إلى رقبته أي هو قريب أن يقع فيها؛ ويجوز أن يكون المعنى: أنّ ذلك الكتاب المنظور فيه هو مسبّب النار، فكأنّه نار فسمّي مسبّب النار، وهو كثير، قال الله تعالى: «إِنَّما يَأْكُلُونَ في بُطُونِهِمْ ناراً»[2]، أي أكل مال اليتيم سبب النار فجعله ناراً.

وفائدة الحديث النهي عن النظر في كتاب لم يأذن صاحبه في النظر فيه وإعلام أنّه إذا فعل ذلك نظر إلى النار. وراوي الحديث ابن عبّاس.

---

١. الإعجاز والإيجاز: ٢٩؛ غرر الحكم: ٤٥٩؛ المناقب للخوارزمي: ٣٧٦.

٢. النساء: ١٠.

قولهﷺ: مَنْ كَانَ آمِراً بِمعْرُوفٍ فَلْيَكُنْ أَمْرُهُ ذَلِكَ بِمعْرُوفٍ

مضمون هذا الحديث أنّ الآمر بالمعروف ينبغي أن يكون عارفاً بوجوه ما يأمر به، فيُخشّن في موضع الخشونة ويُليّن في موضع اللين ويَلطُف في موضع اللطف ويعنف في موضع العنف، وما أكثر ما يؤثر فيه اللطف أكثر من تأثير الخشونة والعناد. وقد رأيت من آمر بمعروف فكان أمره ذلك أكثر من منكر المأمور بكثير، فانقلبت المسألة واحتاج الآمر إلى ألف آمر وناهٍ. و«المعروف» الحسن من الفعل والقول، وقد تقدّم القول فيه.

وفائدة الحديث الحثّ على مراقبة الشروط في الأمر بالمعروف والأخذ بالأحسن والائتام بالقرآن حيث يقول: «فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشى» [١].

ومن شجون الحديث أنّ بعض الوعّاظ دخل على هارون الرشيد فقال له: إنّي مغلّظ لك في الكلام فهل أنت محتمل له؟ فقال: لا، إنّ الله تعالى بعث من هو خير منك إلى من هو شرّ منّي فقال: «فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيّناً»» [٢]. وراوي الحديث أبو برزة.

قولهﷺ: مَنْ أَخْلَصَ للهِ أَرْبَعِينَ صَبَاحاً ظَهَرَتْ يَنَابِيعُ الْحِكْمَةِ مِنْ قَلْبِهِ عَلَى لِسَانِه

«الإخلاص»: تصفية النفس من شوب الرياء والسمعة.

يقولﷺ: من صفى نفسه لله تعالى فواظب على طاعته وانقطع إليه من علائق الدنيا أربعين صباحاً أنطقه الله تعالى بالخير والحكمة. و«الصباح» ليس بالصبح، إنّما هو في مقابلة المساء وهو عند اختلاط ضوء الصبح ببقايا الظلام، وهو وقت عزيز يبادر الناس فيه إلى ذكر الله تعالى ويقومون *إلى الطاعات وقراءة القرآن والأوراد والأدعية، ثمّ هو وقت ٢٢٨

---

١ . طه: ٤٤.

٢ . راجع: العقد الفريد: ١٢٣/٣؛ نثر الدرّ: ٦٦/٣؛ مختصر تاريخ مدينة دمشق: ١١٥/٨؛ والآية في طه: ٤٤.

اختلاف ملائكة الليل والنهار جائين وذاهبين وموعيين[١] على أدعية المؤمنين؛ فيقولﷺ: من أخلص لله تعالى أربعين صباحاً فصفّى قلبه له وطهّر طاعته من الأشواب نيّر[٢] الله قلبه بالحكمة، فحكم وأحكم وصلح وأصلح وانتفع ونفع وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر.

وفائدة الحديث الأمر بإخلاص العمل والعقيدة لله تعالى، وإعلام أنّ المخلص بصدد أن يؤتي الحكمة «وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً»[٣]. وراوي الحديث ابن عبّاس.

قولهﷺ: مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جارَهُ

وروي: «فَلَا يُؤْذِي جَارَهُ»[٤].

هذا الحديث وارد مورد التخصيص على إكرام الجيران ومراعاتهم ومظافرتهم على ما يعرض لهم ومساعدتهم بما في اليد، والمدافعة عنهم والمبادرة إلى قضاء حوائجهم، وكأنّه عليه السلام جعل إكرام الجيران شرطاً لتتمّة الإيمان؛ ولعمري أنّ الجوار نسب ثان وأخوّة مستأنفة، وربّما تستنفع بجيرانك ما لا تستنفع بإخوانك.

وروي عن النبيّﷺ أنّه قال: «مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ، حَتَّى قُلْتُ إِنَّهُ لَيُوَرِّثَهُ»[٥].

وفائدة الحديث الإيصاء بالجيران والأمر بإكرامهم.

وهذا الحديث وما بعده حديث واحد.

---

١. حافظين.

٢. في خ: نقر.

٣. البقرة: ٢٦٩.

٤. الكافي: ٦٦٧/٢؛ وراجع: مصنّف ابن أبي شيبة: ٢٢٠/٥، ح٢٥٤١٨؛ مسند أحمد: ٢٦٧/٢، ح٧٦١٥.

٥. سنن أبي داود: ٣٣٨/٤، ح٥١٥١؛ وراجع: مصنّف عبد الرزّاق: ٦/١١، ح١٩٧٤٥؛ مسند أحمد: ٨٥/٢، ح٥٥٧٧؛ في أكثر المصادر: «حتّى ظننت».

قوله صلى الله عليه وآله: مَنْ كانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْراً أَوْ لِيَصمت

هذا الحديث مثل الذي قبله في جعل النطق بالخير والصموت من تتمّة الإيمان وشرطه، وهذه نصيحة منه صلى الله عليه وآله لأمّته وأمر لهم بقول الخير أو الصموت، ولعمري أنّ من كلامه معدود عليه من فعله ومكتوب في صحيفته وهو مسؤول عنه غداً في ذلك المشهد المشهود واليوم المورود لحقيق أن يزن كلامه وزناً أو يخزن لسانه خزناً، فإن نطق قال الصواب وإن صمت أمن الجواب وأراح واستراح؛ وقد تقدّم ذَرْو[1] من الكلام في النطق والصمت.

وفائدة الحديث الحثّ على ذكر الخير إن استطاع أو الصمت إن لم يقدر على الخير. وراوي الحديث أبو هريرة. وفي أوّل الحديث: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ»[2].

قوله صلى الله عليه وآله: مَنْ أَسْلَمَ عَلَى يَدَيهِ رَجُلٌ وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ

٢٢٩

يبيّن صلى الله عليه وآله في هذا الحديث عزّ الإسلام، ❊ويقدّر قدره ويعظّم أمره، ويقول: من دعا كافراً أو ضالّاً أو مشكّكاً إلى الإسلام، وهداه ووقفه على الدلائل الموصلة إلى العلم وحسم عنه موادّ الشبهة القاطعة له عن الحقّ فقد أحرز لنفسه استحقاق الثواب وسُكنى الجنّة، وبالعكس من ذلك من أضلّ غيره بشبهة له أو دعوة باطل نصبها خدَعَه بها عن الحقّ.

وفائدة الحديث الحثّ على الدعاء إلى الإسلام ووعد الجنّة الدائمة عليه. وراوي الحديث عقبة بن عامر.

قوله صلى الله عليه وآله: مَنْ نَصَرَ أَخَاهُ بِظَهْرِ الغَيْبِ نَصَرَهُ اللهُ فِي الدُّنيَا

١ . طرف.

٢ . مصنّف عبد الرزّاق: ٧/١١، ح١٩٧٤٦؛ مسند الشهاب: ٢٨٦/١.

وَالآخِرَةِ

النصرة بظهر الغيب هي الذبّ عن الغائب وردّ من يقع في فَروَته[1] ومنع الظالم عنه والأخذ على يديه وهي أجلّ موقعاً من نصرة الحضور والمشاهدة، وذلك أنّها تحتمل الرياء والسمعة وغير ذلك من الأغراض، وهي على ظهر الغيب تدلّ على جُشوبة الجانب والمناصحة في الله تعالى والمحافظة والمحاماة.

فيقول صلّى الله عليه وآله: من نصر أخاه وذبّ عنه وهو غايب تولّى الله تعالى نصرته في الدنيا فحفظه فيها من آفاتها وعاهاتها، وفي الآخرة من ضيق الحساب وشرّ المآب.

وفائدة الحديث الحثّ على نصرة الغائب والذبّ عنه والمناصحة له. وراوي الحديث أنس بن مالك.

قوله صلّى الله عليه وآله: مَنْ فَرَّجَ عَنْ أَخِيهِ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنيَا فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَومِ القِيَامَةِ وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ وَمَنْ سَتَرَ عَلَى أَخِيهِ سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ

دعا صلّى الله عليه وآله بهذا الكلام إلى مكارم الأخلاق، فقال عليه السلام: من فرّج عن أخيه كربةً فانيةً منقضيةً من كرب هذه الدار فرّج الله عزّ وجلّ عنه كربةً من كُرَب الدار الباقية التي يعظم مسّها ويكبر وقعها ويطمّ[2] أمرها ويخاف دوامها؛ ومن عناه أمر أخيه المسلم وإطلاب طلبته وتوخّي محبّته كان الله تعالى ليمثل ما هو لأخيه أي جزاه بمثل فعله، وطوبى لمن كان الله في حاجته؛ ومن ستر على أخيه شيئاً من معائره ومثالبه حتّى لا يقف عليه بنو آدم فيعيّروه به كان جزاء ذلك أن ستر الله تعالى عليه عيوبه وذنوبه وأطلق الألسنة ❊بذكره وشكره، وجعل ٢٣٠

١ . لبس معروف.

٢ . يكثر حتّى يعظم أو يعمّ.

له فيما بين الناس ذكراً جميلاً وصيتاً حسناً.

ثمّ ختم كلامه عليه السلام بقوله: «وَاللهُ تَعَالى فِي عَوْنِ الْعَبْدِ»، يقول: إنّ الله تعالى ما دام العبد حميد السريرة حسن البصيرة في باب أخيه فيما له وعليه، فإنّه يُعينه ولا يكله إلى نفسه وإلى غيره.

وفائدة الحديث الأمر بموازرة الأخ المؤمن وتفريج كُربه والانتداب إلى حوائجه والستر على عوراته والمظافرة له. وراوي الحديث أبو هريرة.

قوله صلى الله عليه وآله: مَنْ بَنَى للهِ مَسْجِداً، وَلَوْ مِثْلَ مِفْحَصِ قَطَاةٍ، بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ

أصل الفحص البحث، يقال: فَحَصَت القطاةُ الأرض إذا أثارها برجليها لتبيض فيها، وذلك الموضع أُفحُوص ومَفْحص، وفَحَصَ المطر التراب إذا قلبه؛ ومفحص القطاة مَثَل القلّة، يقال: ليس لفلان في هذه البلدة مفحص قطاةٍ أي قليل ناقة. وقال أبو سليمان الخطّابيّ: المفحص مجثم القطاة وإنّما قيل له مفحص لأنّه لا يجثم فيه حتّى يفحصه.[1]

يقول صلى الله عليه وآله: من استحدث مسجداً يعبد الله تعالى فيه ويذكر ويقرأ القرآن وإن كان صغير الذرع والمساحة بنى الله تعالى له بيتاً في الجنّة، وذلك أنّه لا يصلّي فيه الإنسان إلّا وللباني فيه نصيب في ثواب صلاته . وذكر المفحص مثل، وهو كناية عن الضيق والصغر.

وفائدة الحديث إعلام ما في بناء المساجد من الثواب. وراوي الحديث أبو ذرّ.

قوله صلى الله عليه وآله: مَنْ طَلَبَ عِلْماً فَأَدْرَكَهُ كَتَبَ اللهُ لَهُ كِفْلانِ مِنَ الأجْرِ، وَمَنْ طَلَبَ عِلْماً فَلَمْ يُدْرِكْهُ، كَتَبَ لَهُ كِفْلٌ مِنَ الأجْرِ

«الكفل»: الحظّ والنصيب. قيل: وأصله كساء يحويه الراكب على سنام البعير لئلّا يسقط،

---

١ . راجع: الصحاح: ١٠٤٨/٣.

وقد اكتفل الراكب بالكساء إذا أداره حول السنام. وقيل: الكفل: الضِعف، وفسّر عليه قوله تعالى: «يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ»[١]، وقيل: معناه: نصيبان وجزءان.[٢]

فيقول صلى الله عليه وآله: من طلب علماً من العلوم المحتاج إليها في الديانة وأحرزه وحصّله أعطاه الله تعالى نصيبين من الأجر: أحدهما: الاشتغال، والآخر: الاستعمال، لأنّه إذا حصّله استعمله وعلّمه، فكان كالسراج المستضاء به المقتبس منه؛ ومن طلب علماً فلم يدركه ❊لقصور [٢٣١] فطنته وخمود ذهنه وخمول قريحته، فله أجر الاشتغال، ولا أجر له للتحصيل، لأنّه لم يحرزه.

وفائدة الحديث الأمر بالتعلّم والحثّ على طلب العلوم المحدثة دون العلوم المستغنى عنها التي تجرّ إلى الضلال والوبال. وراوي الحديث وَاثِلَة بن الأَسْقَع.

قوله صلى الله عليه وآله: مَنْ سَمَّعَ النَّاسَ بِعَمَلِهِ سَمَّعَ اللهُ بِهِ سَامِعَ خَلْقِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَحَقَّرَهُ وَصَغَّرَهُ

وروي: «أسامع خلقه».[٣]

التسميع: التبذيل والشهرة، وسمّع به: شهره، والتسميع أيضاً التشنيع، والتسميع أيضاً الرفع من الخمول ونشْر الذكر، والتسميع أيضاً إسماع الصوت، يقال: سمّعه الصوت وأسمعه، والسمعة: ما يفعله الإنسان لتتناقله الألسنة فيسمع.

فيقول صلى الله عليه وآله: من رأى بعمله وكان غرضه أن يتسامع به الناس ويتناقلوه شهره الله تعالى في عرصة القيامة وفضحه، وأعلم أهل المحشر حاله وعاقبه بذلك، وصغّر قدره وحقّر مكانه وحقيقه. «سَمَّعَ النَّاسَ بِعَمَلِهِ» أي أسمعهم عمله وأذكرهم تبجّجاً[٤] به وتكبّراً بفعله،

---

١. راجع: جامع البيان: ٢٧/١٤٠و١٤١؛ والآية في الحديد: ٢٨.

٢. راجع: مفاتيح الغيب: ٢٩/٤٧٥.

٣. راجع: غريب الحديث لابن سلام: ٢/٢٢٥؛ الفائق: ٢/١٩٦.

٤. افتخاراً.

فيقول ﷺ: من فعل ذلك سمّع الله ﷻ خلقه فعله ذلك، وسامع خلقه هم الذين يسمعون منهم، وأصله سمّعه الله خلقه، والتاء[١] مؤكّدة مقوية، ومن رواه: «سامعُ[٢] خلقه» كان وصفاً لله تعالى؛ والمعنى: سمّع الله الذي هو يسمع وينطق به خلقه. ومن روي: «أسامع خلقه» فهو جمع أسمع [وأسمع] جمع سَمعٍ والسمع حاسّة السمع والاستماع، وهو مصدر في الأصل سمّي به لوقوع الفعل من تلك الحاسّة ولذلك يقع على الجمع، قال الله تعالى: «خَتَمَ اللهُ عَلى قُلُوبِهِمْ وَعَلى سَمْعِهِم»[٣]، ولم يقل على أسماعهم. والمعنى على هذه الرواية: أسمع الله بحاله أسماع خلقه.

واعلم أيّها الأخ الصالح! إنّ العبادة سرّ بينك وبين ربّك، والسرّ بين العبد ومولاه لا ينبغي أن يطّلع غيرهما عليه بقصد العبد، وليت شعري! ماذا يريد المرائي بفعله، فإن كان يريد أن يذكر فإنّ كتمان العبادة أشهر لها في المقالة وأظهر بين الناس وأحمد لها، وما يريده في الإشاعة والسمعة فهو بعينه في الكتمان إلّا أنّه قد أخطأ الطريق؛ وكان الصدر الأوّل أجهد في العبادة والخشوع لا يسمع لهم صوت ولا يوجد لهم جَرَسٌ إن كان إلّا همهمةً وهَمْساً في أفواههم.

وروي عن النبيّ ﷺ: كان يصلّي *ولجوفه أزيز كأزيز المرجل[٤]، وكان يخفي قيامه حتّى عن أزواجه أمّهات المؤمنين، ينسلّ من الفراش انسلالاً ويقبل على العبادة.[٥]

٢٣٢

وعن النبيّ ﷺ: «تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ خُشُوعِ النِّفَاقِ ، قِيلَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: أَنْ تَرَى الْجَسَدَ خَاشِعاً وَالْقَلْبَ لَيْسَ بِخَاشِعٍ»[٦].

وروي: «أَنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! مَا أَفْطَرْتُ مُنْذُ أَرْبَعِ سِنِينَ، فقَالَ عليه السلام: مَا صُمْتَ

١. كذا في خ.
٢. فيه خ: سامع، والصواب ما أثبتّه في المتن، لأنّ «سامع» اسم فاعل، لا جمع أسمع.
٣. البقرة: ٧.
٤. راجع: السنن الكبرى للنسائي: ١/١٩٥، ح٥٤٤؛ التمهيد: ٢٢/١٣٤.
٥. راجع: مسند الحميدي: ١/٩٣، ح١٧٧، سنن أبي داود: ١/١٨٩، ح٧١١.
٦. راجع: مصنّف ابن أبي شيبة: ٧/٢٤٣، ح٣٥٧١١؛ شعب الإيمان: ٥/٣٦٣، ح٦٩٦٦ و٦٩٦٧؛ جامع الأحاديث: ١٧/١٠٥، ح٩٣٤١.

وَلَا أُفْطِرتَ»[١]، أي شِنْتَ عملك بذكره.

وروي أنّ أعرابيّاً دخل المسجد وتصفّح وجوه الناس يطلب من يودّعه شيئاً فرأى إنساناً يصلّي صلاةً حسنةً، [فقال:] فقد ظفرت بصاحبي فلمّا فرغ من صلاته قال له: يا عبد الله! إنّي رأيت صلاتك حسنةً وأنا أريد أن أودّعك شيئاً، فقال: وأنا مع ذلك صائم، فقال الأعرابيّ:

صَلَّى فَأَعْجَبَنِي وَصَامَ فَرَابَنِي نَحِّ الْقَلُوصَ عَنْ الْمُصَلِّي الصَّائِمِ[٢]

وفائدة الحديث الحثّ على إخلاص العمل وإخفائه ليكون عن الرياء أبعد وصاحبه به أسعد. وراوي الحديث عبد الله بن عمر.

قوله صلّى الله عليه وآله: مَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ فَما لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ

يشير صلّى الله عليه وآله بهذا الحديث إلى سيرة قوم جعلوا الصلاة والصيام والعلم حبالةً يصطادون بها أموال الناس ويحتجبون بها الدنيا، تراهم يظهرون الخشوع والتماوت[٣] والخضوع والتخافت، فإذا تمكّنوا من الوثبة فأيّ أشدّ صراعٍ وأيّ تغالب خداعٍ، يجعلون الفقه شبكةً يحتالون تحتها بالفتاوى فيلقون من يلقون في المهاوي ويغيرون بالدين على أموال المساكين ويستحلّونها بتزاويق يزوّقونها على آرائهم ويحطّون في أهوائهم، ويستفتون فيها أنفسهم ويتسامحون فيها، يعيشون منافقين ويموتون سارقين ـ أعاذنا الله من ظاهر مقتول وباطن مدخول ـ. وبعد ففي أمثال ذلك استهزاء بالديانة واستخفاف بالإسلام.

وقوله عليه السلام: «فَما لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ» إنّما لم يكن له فيها نصيب لأنّه لم يعمل لها،

---

١. الزهد لابن المبارك: ١/٥٠، ح١٥٣؛ كنز العمّال: ٨/٢٣٧، ح٢٣٩٠٣.

٢. راجع: البيان والتبيين: ٣٧١؛ أدب الدنيا والدين: ١٠٥.

٣. تماوت الرجل: إذا إظهر من نفسه التخاوت والتضاعف من العبادة والزهد والصوم؛ ي خ: والتماوث.

وإنّما عمل للدنيا.

وفائدة الحديث التحذير من النفاق والتوسّل بعمل الآخرة من العلم بالعبادة إلى حطام الدنيا. وراوي الحديث أبيّ بن كعب.

قولهﷺ: مَنْ أُوْلِىَ مَعْرُوفاً فَلَمْ يَجِدْ لَهُ جَزَاءً إِلَّا الثَّنَاءَ فَقَدْ شَكَرَهُ وَمَنْ كَتَمَهُ فَقَدْ كَفَرَهُ

٢٣٣

قد تقدّم الكلام في معنى المعروف *وهو هاهنا الخير الواصل إليك من غيرك على الوجه الجميل الذي لا تنكره، فيقولﷺ: من أعطي معروفاً فعجز عن جزائه لقلّة ذات يده وقصوره عن الوصول إلى ذلك فأثنى عليه بلسانه وشكره وذكره فقد قام بشكره مقام الجزاء الواقع في مقابلة النعمة؛ ومن كتمه فلم يشكره فقد كفر النعمة.

وفائدة الحديث الحثّ على شكر النعمة الواصلة وجزائها بذكرها والتحدّث بها، والتحذير من كتمان النعمة وكفرها. وراوي الحديث جابر بن عبد الله.

قولهﷺ: مَنْ أُوْلِىَ مَعْرُوفاً فَلْيُكَافِئْ بِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَلْيَذْكُرْهُ فَإِنْ ذَكَرَهُ فَقَدْ شَكَرَهُ

هذا الحديث مثل الذي قبله، وقولهعليه السلام: «فليكافئ المولى به»، فحذف المفعول، وما أكثر ما يحذف، لأنّه فضلة في الكلام يتمّ من دونه؛ فيقولﷺ: من أعطاه غيره خيراً فقدر أن يكافئه فلا يكن أقلّ رغبة في الكرم وأدون همّةً في الإحسان منه، وليكافئه بأحسن من معروفه أو مثله، فإن لم يجد ما يكافئه به فليذكره بخيره مثنياً عليه شكراً له، فإنّه إذا فعل ذلك فقد قام بشكره وتبرّأ من عهدة معروفه بذكره.

وفائدة الحديث الحثّ على مكافأة المعروف بمثله مع الجِدَة، وعلى الشكر والذكر مع العجز. وراوية الحديث عائشة.

قولهﷺ : مَنْ أُوْلَى رَجُلاً مِنْ بَنِي عَبْدالمطّلبِ مَعْرُوفاً فِي الدُّنيَا فَلَمْ يَقْدِرْ أَنْ يُكافِئَهُ كَافَأْتُهُ عَنْهُ يَومَ القِيَامَةِ

هذا الكلام وارد مورد التعظيم للقرابة ومحافظة الحرمة للحمة[١] والمراقبة للعروق المتواشجة والأنساب المتمازجة. ثمّ فيه تشريف بني عبد المطّلب.

فيقولﷺ : من اختصّ رجلاً من بني عبد المطّلب ـ وهو جدّ رسول اللهﷺ واسمه شيبة، وإنّما قيل له عبد المطّلب لأنّه ولد بالمدينة فلمّا تزعزع خرج عمّه المطّلب فحمله ليأتي به إلى مكّة فيقيمه مقام نفسه لأنّه كبر وضعف، فلمّا رآه أهل مكّة أعجبهم جهره، فكانوا يقولون: من هذا؟ من هذا؟ فقيل: من عبد المطّلب فكرّمته ـ فيقولﷺ : [٢] [و]من أكرم رجلاً من بني أبي فإنّما يكرمه لمكاني ولقرابتي وأنشاج[٣] نسبي ٢٣٤ *فإن عجز عن مكافأته ومقابلته فأنا القائم بمكافأته ومجازاته يوم القيامة أحوج ما يكون إلى المعونة لثقل المؤونة وإلى الشفاعة لكثرة الشناعة. وإذا كانت منزلة المطّلبيّ كذلك فكيف يكون منزلة من تردّد في أصلاب بنيه وأرحام بناته، وكان فِلْذَة كبده[٤] وأحد ولديه، وخاصّةً في زماننا هذا فإنّهم مدفعون عن حقّهم من الخمس الذي لهم وهم منزّهون عن الصدقات وأدناس الناس، فالإحسان إليهم ذاهب كلّ مذهب [و]واقع كلّ موقع.

وفائدة الحديث الحثّ على مراعاة ذوي لحمته ومراقبة أسرته ومحافظة عترته الطاهرين عليهم سلام ربّ العالمين. وراوي الحديث عثمان بن عفّان.

قولهﷺ : مَنْ رَأَى عَوْرَةً فَسَتَرَهَا كَانَ كَمَنْ أَحْيَا مَؤُودَةً

---

١ . قرابة النسب.

٢ . والصواب أنّ «فيقولﷺ» زائدة .

٣ . في الأصل هي مجاري الماء وواحدها نَشَج.

٤ . الفِلذة: القطعة، وفلذة الكبد: الولد، وجمعه: فلذ وأفلاذ.

مِنْ قَبْرِهَا

«العورة» أصلها سوءة الإنسان، وهي مشتقّة من العار الذي يتذمّم الإنسان من انكشافه، ويكنّى عن النساء بالعورة، والعَوراء: الكلمة القبيحة، ومنه العَوَر في العين، والعَوار والعورة: الخرق في الثوب وغيره، وقوله تعالى: «إِنَّ بُيُوتَنَا عَوِرَةٌ»[1]، أي متخرّقة يمكن دخلوها واقتحامها؛ والعورة في الحديث يجوز أن تحمل على شياعها وعمومها في كلّ ما ينبغي أن يستر ويكتم، والأظهر أنّها كناية عن المرأة الضائعة التي لا كادّ لها ولا كاسب، فهي لحم على وَضَم[2] وفقعة على لقم[3].

فيقول ﷺ: من آواها إلى كنف حياطه وسترها بفضل محافظته إمّا بكفاية أو تزويج أو حماية كان كمن أحيى مؤودةً فاستخرجها من قبرها.

وقوله ﷺ: «من قبرها» يتعلّق بفعل مقدّر، لأنّه لا يتعلّق بـ«أحيا»؛ ووجه تشبيه[4] الضائعة بالمؤودة فإنّ الضياع مثل الوأد لأنّها سواء عليها ضاعت أو زيدت، والوأد: دفن الحيّ في التراب وكانت كِنْدَة تَئِدُ البنات .

وفائدة الحديث الحثّ على ستر العورة الضائعة التي لا حافظ لها، وإعلام أنّ لمن سترها ثواب من استخرج المؤودة من قبرها. وراوي الحديث عقبة بن عامر.

قوله ﷺ: مَنْ انقَطَعَ إِلَى اللهِ كَفَاهُ اللهُ كُلَّ مَؤونَةٍ وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَنْ انقَطَعَ إِلَى الدُّنْيَا وَكَلَهُ اللهُ إِلَيهَا

٢٣٥

الانقطاع إلى الله تعالى هو قطع العلائق عن غيره والاعتماد *عليه والاستمساك به

١ . الأحزاب: ١٣.

٢ . كلّ شيء يجعل عليه اللحم من خشب أو غيره يوقى به من الأرض.

٣ . الفقع: نوع من الكمأة، واللقم: الطريق الواضح.

٤ . في خ: التشبيه.

والاعتصام بحبله.

فيقول ﷺ: من اعتمد على الله تعالى معرضاً عن غيره مولّياً عمّن سواه مستعيناً به مستمدّاً من فضله تولّى الله تعالى أمره وكفاه ما يخافه ويستشعر منه ووسع عليه رزقه من حيث لا يقدر ولا يظنّ أو من حيث لا يحتسب في حسابه وهو ـ عزّ وعلا ـ أولى بالقدرة على ذلك؛ وبالعكس من ذلك من اعتمد على الدنيا الغرّارة الغدّارة الفانية تركه الله إليها، فبقي ضائعاً لا ناصر له ولا معين؛ وقد تقدّم الكلام في المؤونة.

وفائدة الحديث الحثّ على قطع أسباب العباد والإقبال على الله الجواد، فإنّه الكافي الوافي الذي يبذل المعونة ويكفي المؤونة، والوهّاب الذي يعطي بلا حساب. وراوي الحديث عمران بن حصين.

قوله ﷺ: مَنْ طَلَبَ مَحَامِدَ النَّاسِ بِمَعَاصِي اللهِ عَادَ حَامِدُهَ مِنَ النَّاسِ ذَامّاً

«المحمدة» ـ بكسر الميم الثانية ـ: الخلّة التي يثنى عليه[1] الإنسان لكونها فيه، هذا إذا أفردتها بالذكر، فإن ذكرتها مع المذمّة فتحت الميم مراقبةً للازدواج؛ و«المعصية»: الخروج عن الطاعة والانقياد، يقال: عصاه يعصِيه عَصْياً ومعصيةً فهو عَصِيّ وعاصٍ وذاك معصيّ.

فيقول ﷺ: من تحمّد إلى الناس بما لا يرضاه الله تعالى وتدرّع بمعصيته إلى رضاهم جعل الله تعالى المتقرّب إليه بمعصية الله ذامّاً له ماقتاً فعله. واعلم أيّها الأخ الصالح! أنّ المرتكب للمعصية مذموم عند جميع الناس حتّى لو كانت المعصية برضا المتقرّب بها إليه وبأمره لكان أوّل ماقت له، وإن كان ذلك له لا عليه؛ هذا مقرّر في الجبلّة، وبالعكس من ذلك إذا راقب الإنسان جانب الله تعالى حمده الناس حتّى لو ضرّ ذلك إنساناً لكان يحمده في نفسه.

---

١. في خ: على.

وفائدة الحديث النهي عن طلب رضى الناس بمعصية الله تعالى، وإعلام أنّها صفقة خاسرة. وراوية الحديث عائشة.

قوله صلى الله عليه وآله: مَنْ التَمَسَ رِضَا اللهِ بِسَخَطِ النَّاسِ رَضَى اللهُ عَنْهُ وَأَرْضَى عَنْهُ النَّاسَ وَمَنْ التَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللهِ سَخَطَ اللهُ عَلَيهِ وَأَسْخَطَ عَلَيهِ النَّاسَ

هذا الحديث قريب المعنى ممّا قبله؛ يقول صلى الله عليه وآله: من تجرّد طالباً لرضى الله تعالى وإن كان في ذلك كراهة الناس رضى الله تعالى عنه وحمل الناس على أن يرضوا عنه، وبالعكس ❊من ذلك رضى الناس وتوخّي مرادهم بما فيه سخط الخالق انتقض عليه غرضه الذي حام حوله، فسخط الله تعالى عليه، لتعرّضه له وحمل الناس على أن يسخطوا عليه.

٢٣٦

يحثّ بهذا الكلام على إحراز مراضي الله تعالى وقلّة الالتفات إلى الناس والاعتذار بهم والاكترات بمكانهم، وأن لا يأخذ الرجل المسلم في ذات الله لومة لائم، ويحذّر من سخط الله أن أهمل جانبه وحطّ في هوى غيره واكتسب كراهته.

وفائدة الحديث الأمر بالاستمساك بعصمة الله والاعتصام به والتوكّل عليه والإكباب[١] على تحصيل رضاه والإضراب عن الناس. وراوية الحديث عائشة.

قوله صلى الله عليه وآله: مَنْ مَاتَ عَلَى خَيرِ عَمَلِهِ فَارْجُوا لَهُ خَيراً وَمَنْ مَاتَ عَلَى سَيّئَ عَمَلِهِ فَخَافُوا عَلَيهِ وَلاتَيْأَسُوا

لمّا كان الاعتماد على خاتمة الإنسان وما يودّع به الدنيا فإن كان خيراً دلّ على أنّه استأنف عملاً صالحاً وندم على ما فرّط فيه، وإن كان سيّئاً دلّ على أنّه مخذول قد حرم نفسه الخير وجلب إليها ما يستضرّ به وكانت عاقبة أمره. اعتبر صلى الله عليه وآله فقال: من مات على

١ . الإقبال.

العمل الصالح فتوقّعوا له الخير في المصير والعاقبة. وفي بعض الروايات: «فَارْجُوا لَهُ خَيراً وَلا تَيْأَسُوا»[١]، وهذا مثل قوله عليه السلام: «وَالْمُخْلِصُونَ عَلَى خَطَرٍ عَظِيمٍ»[٢]. ثمّ قال عليه السلام: «وَمَنْ مَاتَ عَلَى سَيِّئِ عَمَلِهِ» أي على عملٍ لا يرتضيه الله تعالى فخافوا عليه من فعله، ولا تيأسوا لعلّ الله تعالى يغفر له فهو الغفّار للذنوب الستّار للعيوب.

وهذا الحديث يقتضي أن يكون الإنسان من الخوف من الله تعالى والرجاء له، فإنّه إذا كان كذلك كان أقرب إلى أن يؤمن خوفه ويحقّق رجاءه[٣].

وفائدة الحديث الأمر بالخوف والرجاء وأن يكون الإنسان مترجّحاً بينهما. وراوي الحديث خالد بن أبي عمران وأبو عبد الرحمن الجَبْلِيّ.

قوله صلّى الله عليه وآله: مَنْ أَذْنَبَ فِي الدُّنْيَا ذَنْباً فَعُوقِبَ بِهِ فَاللهُ أَعْدَلُ مِنْ أَنْ يُثَنِّيَ عُقُوبَتَهُ عَلَى عَبْدِهِ وَمَنْ أَذْنَبَ ذَنْباً فَسَتَرَهُ اللهُ عَلَيهِ وَعَفَا عَنْهُ فِي الدُّنيَا فَاللهُ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ يَعُودَ فِي شَيْءٍ قَدْ عَفَا عَنهُ

يقول صلّى الله عليه وآله: من ارتكب محظوراً في دار الدنيا فعوقب، إمّا بآلام وأسقام يسلّطها الله تعالى عليه تمحيصاً له وتخليصاً ويجعلها عقوبةً مستعجلةً، وإمّا بحدّ ٢٣٧ *يحدّ به على موجب الشريعة وتكون تلك العقوبة كفاء ذنبه لم يقتض كرم الله تعالى أن يثنّيَ عقوبته عليه في الدار الآخرة؛ وجاء بهذا المعنى في الأخبار المأثورة، وأنّها ربّما كانت كفّارات لذنوب سالفة، ولا يبعد أن يكون ذلك أغنى لتعجيل العقوبة بالأسقام والآلام من حكم عناية الله تعالى بالعبد حتّى توافي يوم القيامة بصحيفة نقيّة لا كبيرة فيها، ولا يفتضح على رؤوس الأشهاد في يوم المعاد؛

١. لم أقف عليه.

٢. راجع: شعب الإيمان: ٣٤٥/٥، ح٦٨٦٨؛ فيه نقل عن ذي النون المصريّ وراجع: نثر الدرّ: ٤٧٨/١.

٣. في خ: رجاء.

ولا مَدفَع لأن تكون بعض الآلام عقوبة على بعض المكلّفين يعجّلها الله تعالى في الدنيا وإن لم يقترن بها الإهانة ولم تكن في دار الجزاء، ونحن نرى كثيراً ممّن أذنب واجترح كبيرةً من الكبائر لا يخرج من الدنيا حتّى يقاسى[1] بعض الأمراض الصعبة والأسقام الخبيثة أو سقطةً أو عثرةً على قدر الذنب.

روى عبد الله بن مغفّل، قال: «بينا نحن مع رسول الله صلى الله عليه وآله وَهُوَ يُبَايِعُ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، وَإِنِّي رافعٌ أَغْصَانَهَا عَنْ رَأْسِهِ، إذْ دَخَلَ رَجُلٌ وَوَجْهُهُ يَسِيلُ دَماً، فَقَالَ: يَا رسول اللهِ! هَلَكْتُ، قَالَ: وَمَا أَهْلَكَكَ؟ قَالَ: خَرَجْتُ مِنْ مَنْزِلِي فَإذَا أَنَا بِامْرَأَةٍ فَاتَّبَعْتُهَا بَصَرِي فَأَصَابَ وَجْهِي الْجِدَارَ فَأَصَابَنِي مَا تَرَى، فَقَالَ النبيُّ صلى الله عليه وآله: إنَّ اللهَ إذَا أَرَادَ بِعَبْدٍ خَيْراً عَجَّلَ [لَهُ] عُقُوبَةَ ذَنْبِهِ [فِي الدُّنْيَا]، وَإِذَا أَرَادَ بِهِ شَرّاً أَمْسَكَ عَلَيْهِ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُوَافِيَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ عِيرٌ»[2].

ولا شكّ أنّ الحدّ نوع من العقوبة أيضاً يشتمل على الإضرار والإهانة، وقد عجّل به في الدنيا تأديباً ودفعاً لارتكاب ما أوجبه واقتصاصاً من المقدم على المحظور، والله تعالى هو العالم بحقيقة ذلك والعلم عنده.

وقوله عليه السلام: «وَمَنْ أَذْنَبَ ذَنْباً فَسَتَرَهُ اللهُ عَلَيهِ وَعَفَا عَنْهُ»، معناه: أنّ الله تعالى أكرم إذا عفا عن عبده لم يرجع فيه فيعيد العقوبة فيما غفره له وعفا عنه.

وفائدة الحديث إعلام أنّ الله تعالى لا يعاقب العبد عقوبتين على ذنب واحد ولا يعود فيما عفا عنه. وراوي الحديث أمير المؤمنين عليه السلام.

قوله صلى الله عليه وآله: مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَرَعٌ يَصُدُّهُ عَنْ مَعْصِيَةِ اللهِ إذَا خَلا لَمْ يَعْبَأ اللهُ بِشَيْءٍ مِنْ عَمَلِهِ

الغرض من هذا الحديث ـ والله أعلم ـ أنّ العبد إذا لم يكن متورّعاً ذاكراً لله تعالى في

١ . كابد وعالج.

٢ . مسند أحمد: ٨٧/٤، ح ١٦٨٥٢؛ صحيح ابن حِبّان: ١٧١/٧، ح ٢٩١١؛ كنز العمّال: ٣٠٣/٣، ح ٨٦٦٤.

٢٣٨ كلّما يأتي ويذر مراقباً له مراصداً لأمره ونهيه لم يأت ما يأتيه *بنيّة صادقة وطويّة صحيحة، فلا يقع في باب العبادة موقع قبول، ولم يعبأ الله به ولم يبال بمكانه، لأنّه لم يقع على الوجه المشروع، فإن كان متورّعاً مترجّحاً بين الخوف والرجاء كان عمله بمحلّ القبول، وإن وقعت له فيما بين ذلك خطيئة كان أقرب إلى المغفرة وأدنى إلى الرحمة وأولى بالعفو والستر.

وفائدة الحديث أنّ عمل الفاسق لا يعبأ به كما قال تعالى: «إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ المُتَّقِينَ»[١].

وراوي الحديث أنس بن مالك.

قوله صلّى الله عليه وآله: مَنْ أَحْسَنَ صَلاتَهُ حِينَ يَرَاهُ النَّاسُ ثمّ أَسَاءَهَا حِينَ يَخْلُو فَتِلكَ اسْتِهَانَةٌ اسْتَهَانَ بِهَا رَبَّهَ

يقول صلّى الله عليه وآله: إن كانت الصلاة خاصّةً[٢] لله تعالى من دون غيره فينبغي أن يتأنّق فيها[٣] وتؤتي على المشروع من الركوع والسجود والرُكود[٤] والفرائض والنوافل والآداب متقرّباً بها إلى الله تعالى، فإذا شابها شوب الرياء وروقب بها بنو آدم ليقولوا أنّه خاشع خاضع مقيم للصلاة على حدّها فليست خالصةً لله تعالى، بل هي لبني آدم، إذ الغرض إحمادهم لأنّه إنّما تثبّت فيها إذا اطّلع عليه، وتجوّز فيها[٥] ولا يأتي بحدودها إذا خلا وتفرّد، فكأنّها استهانة بالله تعالى، إذ كانت مراقبه حرمته دون حرمة بني[٦].

وفائدة الحديث النهي عن المراءاة في الصلاة والتحذير منها، وإعلام أنّ ذلك من

---

١. المائدة: ٢٧.

٢. كذا في خ، ولعلّ الصواب: خالصةً.

٣. أتقنها وجوّدها.

٤. كذا في خ.

٥. تجوّز في الصلاة: ترخّص وخفّف.

٦. كذا في خ.

الاستهانة بحرمة الله تعالى. وراوي الحديث عبد الله.[١]

قوله ﷺ: مَنْ حَاوَلَ أَمْراً بِمَعصِيَةٍ كَانَ أَفْوَتُ لَهُ لِمَا رَجَا وَأَقْرَبَ لِمَجِيء مَا اتَّقَى

يقول ﷺ: من تذرّع[٢] إلى أمر يحاوله ومقصود يزاوله وغرض يطلبه بمعصية من معاصي الله تعالى ظانّاً بأنّه بتلك المعصية يصل إلى غرضه كان ذلك أشدّ آفاته للمرجوّ وأشدّ لتقريب ما يتّقيه؛ وأصل الباب في المبالغة بأفعل أن يجيء من الفعل الثلاثيّ وقد جاء قليلاً على الزائد من الثلاثيّ على حذف الزوائد كقوله[٣]:

يقولون لي: اصرِمْ يرجع العقلُ كُلُّه وَصَرْمُ حبيبِ النفسِ أذهبُ للعقل[٤]

أي أشدّ ذهاباً، فحذف الزوائد لدلالة الكلام عليه.

وفائدة الحديث النهي عن محاولة الأمور بمعصية الله تعالى وإعلام أنّ ذلك ممّا يفيت الغرض ويحلّ المحذور. وراوي الحديث أبو هريرة.

٢٣٩

قوله ﷺ: مَنْ لَمْ تَنْهَهُ صَلاتُهُ عَنِ الفَحْشَاءِ وَالمنْكَرِ لَمْ يَزْدَد بِهَا مِنَ اللهِ إلَّا بُعْداً

«الفحشاء»: ما عظم قبحه، فعلاً كان أو قولاً، وكذلك الفاحشة والفحش، وقد فحش الشيء: صار فاحشاً، وقد وصف البخل المتجاوز القبح بالفحش. قال طرفة:

---

١. هو عبد الله بن مسعود، راجع: فتح الباري: ٣٥٨/٢؛ مجمع الزوائد: ٢٢١/١٠.

٢. توسّل.

٣. قاله الحسين بن مطير، وهو شاعر إسلاميّ أدرك بني أميّة وبني عبّاس، فصيح متقدّم في الرجز والقصيد؛ راجع: الأغاني: ٢١/١٦؛ تاريخ مدينة دمشق: ٣٣٠/١٤.

٤. الأمالي في لغة العرب: ١٥٦/١؛ مصارع العشّاق: ٢٤٦/١؛ ديوان الحماسة: ٧٦/٢.

أَرَى المَوْتَ يَعْتامُ الكِرَامَ وَيَصْطَفِي عَـقِيلَةَ مـالِ الفـاحِشِ المُـتَشَدِّدِ[١]

و«المنكر»: ما يستقبحه العقل السليم، وأصله من «نكرته» إذا ورد عليك ما لم يتصوّره قلبك، وكذلك المنكر، وبالعكس منه المعروف والعرف كأنّ القلب يعرفه ويقبله.

فيقول صلى الله عليه وآله: من لم تكن صلاته طريقاً إلى الامتناع عن القبيح لم تقرّبه تلك الصلاة من الله تعالى، وذلك لأنّ الواجبات الشرعيّة في الواجبات العقليّة ومقرّبة إليها، فإذا رأينا العبادة ولا تكون لطفاً فيها فلا يبعد أن تكون مدخولةً ليست واقعةً على وجوهها المشروعة، فلا يزداد صاحب الصلاة التي لا تنهى عن الفحشاء والمنكر إلّا بعداً، إمّا لأنّه مراء بها أو غير آتٍ بها على الوجه، فحينئذٍ لا تكون صلاةً، فأمّا إذا كانت صلاته على الوجه المأمور صرفته عن جميع القبائح ومن يطؤ كلّ يوم خمس مرّات مصلّاه يناجي الله تعال؛ تردعه نجواه هذه عن القبائح وتحمله على الاستنكاف من ارتكابها.

وقوله عليه السلام: «لم يزدد» يجوز أن يكون متعدّياً كقوله عزّ وجلّ: «وَمـا تَـغيضُ الْأَرْحـامُ وَمـا تَزْدادُ»[٢]، أي تنقص وتزيد، فيكون «بعداً» مفعولاً، ويجوز أن يكون غير متعدّ فيكون مميّزاً.

وفائدة الحديث الأمر بالإخلاص وإعلام أنّ العمل ما لم يكن مخلصاً لم ينفع. وراوي الحديث ابن عبّاس.

قوله صلى الله عليه وآله: مَنْ كَانَتْ لَهُ سَرِيرَةٌ صَالِحَةٌ أَوْ سَيِّئَةٌ نَشَرَ اللهُ عَلَيهِ مِنهَا رِدَاءً يُعْرَفُ بِهِ

«السريرة» الخلّة يسرّها الإنسان في نفسه خيراً كانت أو شرّاً.

يقول صلى الله عليه وآله: من أسرّ شيئاً خيراً كان أو شرّاً، ظهرت علامات ذلك عليه بحيث يعلم

١. راجع: جمهرة أشعار العرب: ١٣١؛ تهذيب اللغة: ١١٢/٤؛ ديوان طرفة بن العبد: ٧.

٢. الرعد: ٨.

المتفرّس بمكانه.

ومثله قول أمير المؤمنين عليه السلام: «مَا أَضْمَرَ أَحَدٌ شَيْئاً إِلَّا ظَهَرَ فِي صَفَحَاتِ وَجْهِهِ وَفَلَتَاتِ لِسَانِهِ»[١].

وقول زهير:

وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ امْرِئٍ مِنْ خَلِيقَةٍ وَإِن خَالَهَا تُخْفَى عَنِ النَّاسِ تُعْلَمِ[٢]

وروي عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «إِنَّ اللهَ عزّ وجلّ إِذَا رَضِيَ عَنِ الْعَبْدِ أَثْنَى عَلَيْهِ سَبْعَةَ أَضْعَافٍ مِنَ الْخَيْرِ لَمْ يَعْمَلْهُ، وَإِذَا سَخِطَ عَلَيهِ أَثْنَى عَلَيْهِ سَبْعَةَ أَضْعَافٍ مِنَ الشَّرِّ لَمْ يَعْمَلْهُ»[٣].

٢٤٠

وقال صلى الله عليه وآله: «إِذَا أَحَبَّ اللهُ تعالى *عَبْداً نَادَى: يا جِبْرِيلَ! إِنِّي قَدْ أَحْبَبْتُ فُلَاناً فَأَحِبَّهُ، قَالَ: فَيُنَادِي فِي أهلِ السَّمَاءِ ثُمَّ يَنْزِلُ [لَهُ] الْمَحَبَّةُ إِلَى الْأَرْضِ، وَذَلِكَ قَوْلُ اللهِ تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً»[٤]، وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْداً نَادَى جِبْرِيلَ: قَدْ أَبْغَضْتُ فُلَاناً، فَيُنَادِي فِي أهلِ السَّمَاءِ ثُمَّ يَنْزِلُ [لَهُ] الْبَغْضَاءُ فِي الْأَرْضِ».[٥]

وقال صلى الله عليه وآله: «مَا مِنْ عَبْدٍ إِلَّا وَلَهُ صِيتٌ فِي السَّمَاءِ، فَإِذَا كَانَ صِيتُهُ فِي السَّمَاءِ حَسَناً رفع[٦] فِي الأَرْضِ، وَإِن كَانَ صِيتُهُ فِي السَّمَاءِ سَيِّئاً وُضِعَ فِي الأَرْضِ»[٧].

---

١ . نهج البلاغة: ٤٧٢؛ بحار الأنوار: ٢٠٤/٧٢، ح ١١؛ وراجع: الإعجاز والإيجاز: ٣٠؛ نهاية الأرب: ٢٦٨/٣١.

٢ . ديوانه: ٦؛ وراجع: جمهرة أشعار العرب: ٩٥؛ عيار الشعر: ٨٣؛ محاضرات الأدباء: ٣٣٩/١.

٣ . مسند الحارث(زوائد الهيثمي): ٩٨٩/٢، ح ١١٠٥؛ شرح مشكل الآثار: ٣٦١/٢؛ حلية الأولياء: ٣٧٠/١.

٤ . مريم: ٩٦.

٥ . سنن الترمذي: ٣١٧/٥، ح ٣١٦١؛ تفسير السمرقندي: ٣٨٨/٢؛ كنز العمّال: ٥/٢، ح ٢٩١٢.

٦ . في المصادر: وضع.

٧ . مسند الشاميّين: ٨٩/٤، ح ٢٨١٠؛ المعجم الأوسط: ٢٥٧/٥، ح ٥٢٤٨؛ كنز العمّال: ٣٢٧/١٥، ح ٤٣٠٣٨.

وقال عليه السلام: «لَو أنَّ رَجُلاً دَخَلَ بَيْتاً في جَوفِ بَيتٍ حَتّى يَدخلَ سَبعينَ بَيتاً عَلى كُلّ بَابٍ بيت قفلٌ من حديدٍ ثمّ عمل عملاً ألبسهُ اللهُ رداءَ عملِهِ حتّى يتحدّثَ بِهِ النَّاسُ»[1].

وكم قد رأينا مثل ذلك، ستر الله علينا عيوبنا ونقي جيوبنا بفضله ورحمته.

وفائدة الحديث إعلام أنّ ما يضمره الإنسان من خير أو شرّ سيظهر ويعلم، ولو تبوّق[2] صاحبه في كتمانه. وراوي الحديث عثمان بن عفّان.

قوله صلّى الله عليه وآله: مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ فَرَأى خَيْراً مِنْهَا فَلْيُكَفِّرَ عَنْ يَمِينِهِ ثمّ لَيَفْعَل الذي هُوَ خَيرٌ مِنْهُ

تحقيق قوله عليه السلام: «حلف على يمين» تقديره: على ذي يمين، أي على أمر يتصوّر اليمين فيه، فحذف المضاف وأضاف المضاف إليه مقامه، وهو غاية في الفصاحة.

ومعنى الحديث: أنّه إذا حلف على شيء ثمّ بدا له إن عرض له خير منه وأولى بالفعل فعليه أن يكفّر عن يمينه ويفعل ما هو خير وأولى؛ وتفرض هذه الصورة فيمن حلف أن يفعل بعض المباحات ثمّ فتل رأيه[3] إلى بعض الواجبات أو المندوبات أو حلف على فعل مندوب فرأى غيره من الواجبات أو المندوبات أولى وأحقّ وأجزل للثواب، فعليه أن يكفّر عن اليمين ويفعل الأولى الذي هو أدخل في القربة وأجزل للمثوبة؛ والحالف على الشيء إذا فتل رأيه عنه وعزم على تركه فقد دخل في حيّز الحنث، فلا تكون كفّارته مقدّمةً على الحنث.

وفائدة الحديث الحثّ على تعظيم أمر اليمين وإجلال اسم الله تعالى والتكفير عن اليمين إذا انفتل عن المحلوف عليه إلى غيره. وراوي الحديث أبو هريرة.

---

١. نوادر الأصول في أحاديث الرسول: ٨٣/٤؛ الفردوس بمأثور الخطاب: ٥٩/٢، ح٢٣٣٣؛ كنز العمّال: ١٤/٣، ح٥٢٨٩.

٢. تكذّب.

٣. فتل رأيه: صَرَفه ولواه.

وروي عن أمّ سلمة ـ رضي الله عنها ـ: أَنَّهَا حَلَفَتْ فِي غُلامٍ لَهَا اسْتَعْتَقَهَا، فَقَالَتْ: لا أَعْتَقَهَا *اللهُ مِنَ النَّارِ إنْ أَعْتَقَتْهُ أَبَداً، ثُمَّ مَكَثَتْ مَا شَاءَ اللهُ، فَقَالَتْ: سُبْحَانَ اللهِ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وذكرت الحديث.[1]

٢٤١

وأهل الحجاز يرون الكفّارة قبل الحنث ولهم بهذا الحديث مستمسك، وأهل العراق لا يجوّزون الكفّارة إلّا بعد الحنث، وفي مذهب أهل البيت عليهم السلام أنّه إذا رأى خيراً ممّا حلف عليه لم يحتج إلى الكفّارة وكان له أن يفعل الذي هو خير[2] وعندهم يكون هذا الحديث سنّة منسوخة بسنّة.

قوله صلى الله عليه وآله: مَنِ ابتُلِي مِنْ هَذِهِ البَنَاتِ بِشَيءٍ فَأَحْسَنَ إلَيهِنَّ كُنَّ لَهُ سِتْراً مِنَ النَّارِ

اختلفوا في تاء بنت وأخت أهي للتأنيث أم للعَلَم؟ فقال بعضهم: هي للتأنيث لأنّها لا توجد إلّا للتأنيث، ألا تراك إذا ذكّرت قلت: ابن وأخ، فتزول التاء. ومن قال إنّها ليست للتأنيث قال: من شرط ما قبل التأنيث أن يكون متحرّكاً كقائمة وقاعدة إلّا أن تكون ألفاً كقناة وفتاة.

وقال الشيخ أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفّار الفارسيّ رحمه الله[3] يقول: إنّ التاء علم للتأنيث، وذلك أنّ هذه الصيغة فيها علامة التأنيث لأنّ أصلها بنو وأخو بدلالة جمعها أبناء وآخاء، فلمّا عُدلا من فعل إلى فعل وفُعل وأبدلت لاماهما تاءً فصارتا بنت وأخت، صارت الصيغة علماً لتأنيثها، ألا ترى أنّها إذا فارقت هذا الموضع رُفضت هذه الصيغة البتّة، فيقول

١. المعجم الكبير: ٣٠٧/٢٣، ح ٦٩٤؛ مسند الشهاب: ٣٠٨/١، ح ٥١٤.

٢. راجع: الكافي: ٤٤٣/٧، كتاب الأيمان، باب من حلف على يمين فرأى خيراً منها.

٣. أحد الأئمّة في علم العربيّة، ولد سنة ٢٨٨ وتوفّي ٣٨٨؛ راجع: هدية العارفين: ٢٧٢/١؛ الأعلام: ١٧٩/٢؛ معجم المؤلّفين: ٢٠٠/٣.

في النسبة إليهما: بنويّ وأخويّ كما أنّك إذا أضفت إلى ما فيه علامة التأنيث، وقول يونس: بنتي وأختي مردود عند سيبويه.[١]

وبناء هذا الحديث على أنّ أمر البنات صعب ومحافظتهنّ عسيرة وأنّهنّ عورات؛ فيقول صلى الله عليه وآله: من ابتلي بالبنات فأحسن إليهنّ في التربية والتأديب والتزويج من الأكفاء والتمتيع بالكفاية جعلهنّ الله تعالى ستراً بينه وبين نار جهنّم أي يصير الإحسان إليهنّ ستراً، وهذا أيضاً من باب حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه.

وفي بعض الآثار: البنون نعم والبنات محن، والله تعالى يطالب بالشكر على النعم ويثيب على الصبر بالمحن.[٢] ولذلك قال عليه السلام: «دفن البنات من المكرمات»، وقد تقدّم الكلام فيه.

وروي في سبب هذا الحديث أنّ عائشة قال: إنّ امرأةً دخلت ومعها بنتان لها، تسأل فلم تجد عندي غير تمرةٍ فأعطيتُها *إيّاها، فقسمتها بين ابنتيها فلم تأكل منها ثمّ قامت فخرجت فدخل النبيّ صلى الله عليه وآله فأخبرته، فقال: «من ابتلي من هذه البنات بشيء»[٣] الحديث.

٢٤٢

وعن النبيّ صلى الله عليه وآله: «حُرِّمَت الجَنَّةُ عَلَى كُلِّ آدَمِيٍّ وجنّيٍّ أَنْ يَدْخُلَهَا قَبْلِي، غَيْرَ أَنِّي أَنْظُرُ عَنْ يَمِينِي وَشِمالي، فَإِذَا امْرَأَةٌ تُبَادِرُنِي [إِلَى] بَابِ الجَنَّةِ، فَأَقُولُ: يا ربِّ! امرأةٌ تُبَادِرُنِي بابَ الجنّةِ؟ فَيُقَالُ [لِي]: إِنَّ هَذِهِ امْرَأَةٌ كَانَتْ في الدنيا حسنةً جميلةً شابّةً، عليها أيتام فقامت عليهم، فها هي تبادرك باب الجنّة».[٤] أو كما روي.

---

١. راجع: الخصائص: ٢٠١/١.

٢. في المصادر: «والبنات حسنات»، راجع: الكافي: ٧/٦، ح١٢؛ وسائل الشيعة: ٣٦٧/٢١؛ وراجع: معارج الوصول إلى معرفة آل الرسول عليهم السلام: ١٣٦؛ الآداب الشرعيّة: ٤٠٨/١.

٣. مسند أحمد: ٨٧/٦، ح٢٤٦١٦؛ مسند عبد بن حميد: ٤٢٩، ح١٤٧٣؛ مسند الشهاب: ٣١١/١، ح٥٢٣.

٤. راجع: تاريخ جرجان: ٢٢٤؛ إحياء علوم الدين: ٥٩/٢؛ كنز العمّال: ١٩١/١٦، ح٤٥٤٢٩، نقل عن مكارم الأخلاق للخرائطي.

وفائدة الحديث إعلام أنّ الإحسان إلى البنات وحفظهنّ لا يفتضحن ستر من النار.
وراوية الحديث عائشة.

قوله صلى الله عليه وآله: مَنْ قَتَلَ عُصْفُوراً عَبَثاً جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَهُ صُرَاخٌ حَوْلَ الْعَرْشِ يَقُولُ: رَبِّ سَلْ هَذَا فِيمَ قَتَلَنِي مِنْ غَيْرِ مَنْفَعَةٍ؟!

العبث من فعل العالم: ما ليس فيه غرض مثله، وقيل: هو ما خلط به لعب من قولك: عبثُ الأقِط، والعبثيّة: الأقِط يُفرَّغ رطبه[1] على يابسه.

يقول صلى الله عليه وآله ناهياً عن العبث رادّاً عن اللعب ضارباً المثل بالعصفور الذي يقتله العابث من غير غرض صحيح: إنّ العصفور المقتول باطلاً يجيء يوم القيامة ويصرخ حول العرش متظلّماً يسأل ربّه أن يسأل قاتله لِمَ قتله من غير جلب منفعة ولا دفع مضرّة؛ وهو مثل ضربه بالعصفور، وإذا كان ظلم العصفور في صغر جسمه وحقارته لا يترك ولا يهمل بل يستوفى عوض ما أصابه من الألم فكيف بما فوقه من بني آدم وغيرهم، وإذا كان الله تعالى قد مكّن المؤلم من الآلام[2] فلا بدّ أن يكون هو المستوفي لعوضه منه. وكلام العصفور يجوز أن يكون على طريق المثل وتقريب الحال، ويكون المعنى: أنّ الله تعالى لا شكّ مستوف عوض ألم القتل من القاتل فكأنّه يتظلّم[3] حول العرش ويُنصفه، ويجوز أن يكون على حقيقته وينطقه الله تعالى فيتظلّم حول العرش ويكون ذكر ذلك لطفاً لمن يسمعه، وفيه أنّ الصيد لغير غرض قبيح وكذلك صيد اللهو واللعب.

وفي الحديث دلالة على [أنّ] جميع الحيوانات من الوحوش والطيور تُنشَر وفيه إثبات

---

١. كذا في المعاجم اللغويّة، وفي خ: رطب.

٢. في البحار: من الإيلام.

٣. كذا في البحارم وفي خ: «ينظلم» و«فينظلم» في الموضعين.

الأعواض.

وفائدة الحديث تعظيم أمر الظلم وإعلام أنّ الله تعالى لا يهمله ولو كان بالعصفور.

٢٤٣ وراوي* الحديث أنس بن مالك.

قوله ﷺ: مَنْ يَسْأَلُ[1] النَّاسَ أَمْوَالَهُمْ تَكَثُّراً فَإِنَّمَا هِيَ جَمْرَ فَلْيَسْتَقِلَّ مِنْهُ أَوْ لِيَسْتَكْثِرْ

وروي: «فإنّما يسأل جمراً»[2]. [يقول]ﷺ: من ألحف[3] على الناس بالسؤال أموالهم من غير فاقة مدقعة أو ضرورة مفظعة[4] لتُكثر ماله ويتّسع ذات يده وعنده بُلغة يمكنه العيش بها، كان ما يأخذه جمراً من جمر جهنّم؛ فإن شاء فليستقلّ وإلّا فليستكثر.

وهذا إعلام أنّه إذا لم يكن به حاجةً يضطرّه إلى السؤال فسأل أموال الناس تكثّراً كان ما يأخذه حراماً موجباً للنار[5] عليه ولذلك كان جمراً. والسؤال آخر كسب الرجل.[6]

وقوله عليه السلام: «فَلْيَسْتَقِلَّ مِنْهُ»، الهاء في «منه»، ضمير السؤال الذي يدلّ عليه «سأل».

وفائدة الحديث النهي عن السؤال ما لم يكن ضرورةً، وإيعاد النار على ذلك. وراوي الحديث أبو هريرة.

قوله ﷺ: مَنْ سَأَلَ عَنْ ظَهْرِ غِنًى فَصُدَاعٌ فِي الرَّأْسِ وَدَاءٌ

١. في ص: سأل.

٢. مسند أحمد: ٢/٢٣١، ح٧١٦٣؛ صحيح مسلم: ٢/٧٢٠، ح١٠٤١.

٣. ألحّ.

٤. شديدة شنيعة.

٥. في خ: النار.

٦. قاله قيس بن عاصم المنقري لبنيه لمّا حضرته الوفادة؛ راجع: البيان والتبيين: ٢٥٢؛ الأدب المفرد: ١٣٢، ح٣٦١؛ شعب الإيمان: ٧/٤٦٤، ح١١٠٠٨؛ وراجع: مجمع الأمثال: ٢/٢٨٣.

فِي الْبَطْنِ

هذا الحديث كالذي قبله في ذمّ السائل من غير حاجة، فيقول ﷺ: إنّ سؤال الغنيّ وطلبه المالَ إلى ماله صُداع في رأسه، أي أنّه يتعنّى[1] في جمعه ويريق ماء وجهه لتحصيله، فهو أذىً في الرأس وعرق في الجبين وإذا أكله صار داءً في بطنه لم يتهنّأه[2]، وهذا مثل المال الحرام لأنّه يقال لآكل الحرام أنّه يتعب في جمعه ويحوش[3] نار جهنّم إلى بطنه أي أنّه يستحق به نار جهنّم كأنّه يأكلها.

ويجوز أن يكون قوله عليه السلام: «وَدَاءٌ فِي الْبَطْنِ» إشارة إلى الدار الآخرة وما يجازي به آكل الحرام كما قال تعالى: «إِنَّما يَأْكُلُونَ في بُطُونِهِمْ ناراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعيراً» [4].

والمعنى: أنّه شرٌّ يتعب الرجل في تحصيله، لأنّه يتأدّى به إلى النار.

وفائدة الحديث النهي عن السؤال من غير حاجة وإعلام أنّه يوجب نار جهنّم. وراوي الحديث زياد بن الحارث الصدائي، قال: كان سأل النبيّ ﷺ رجل عن الصدقة، فقال ذلك.[5]

قوله ﷺ: مَنْ مَشَى إِلَى طَعَامٍ لَمْ يُدَعْ إِلَيهِ فَقَدْ دَخَلَ سَارِقاً وَخَرَجَ مُغيراً

هذا أدب يؤدّب رسول الله ﷺ به الناس ويعلّم أنّ من دخل على طعام قوم من غير أن يدعوه إليه أو يرضوا دخوله فهو كالسارق الذي يهجم على متاع القوم وكالمغير الذي ينهب أموال ❊الناس ويستحلّها، وذلك لأنّه عن غير إذن ولعلّهم له كارهون ولظلّه مستثقلون ٢٤٤

١ . يتعب.

٢ . تهنّى بالطعام: طالب له.

٣ . يجمع ويسوق.

٤ . النساء: ١٠.

٥ . مسند الحارث: ٦٢٧/٢؛ مسند الشهاب: ٣١٣/١، ح٥٢٦.

وربّما يضيق عنهم، فإذا دخل عليهم الجشع الحريص الطامع البطين فأتى على ما عندهم كان أشدّ عليهم وأبغض إليهم؛ ويدلّ ذلك على صغر النفس وقلّة المروءة وضعف الفتوّة وسقوط الهمّة ودناءة المطعم فضلاً عن الدخول في المحظور واستيجاب الدم والعقوبة، وما أبعد ما بين من يرضى ذلك لنفسه وبين الحادي الذي كان يحدو[1] ببعض الأكابر فجعل ينشد هذا الرجز الذي أوّله:

أَبْلَجُ بينَ حاجبيْهِ نورُهُ إذا تغدَّى رُفِعَتْ سُتُورُهُ[2]

فأسقط هذا البيت منه ولم ينشده، فقيل له في ذلك، فقال: خشيت أن يظنّ المحدوية أنّي أعرّض بالطعام.

وفائدة الحديث النهي عن الجشع في الطعام والمبادرة إلى طعام لم يُعرِق له جبينه ولم يكدح فيه يمينه. وراوي الحديث ابن عمر.

قوله صلى الله عليه وآله: مَنْ كَانَ وُصْلَةٌ لأَخِيهِ المُسلِمِ إلَى ذِي سُلْطَانٍ فِي مَنْهَجِ بِرٍّ أَو تَيْسِيرِ عَسيرٍ أَعَانَهُ اللهُ عَلَى إِجَازَةِ الصّرَاطِ يَومَ تُدْحَضُ فِيهِ الأَقْدَامُ

الوصلة: السبب بين الشيئين المتّصل أحدهما بصاحبه، والسلطان هاهنا: القوّة والملك وقد تقدّم الكلام فيه، والنهج والمنهج والمنهاج: الطريق الواضح، وقد أنهج الطريق أي استبان وظهر، ونهجت الطريق: أبينتُه، ونهجت الطريق: أسلكته؛ و«البرّ» يشمل جميع أنواع الخير، و«الدحض»: زليل الرجل يقال: دحضت رجله تدحض دحضاً أي زلّت، ودحضت حجّته أي بطلت؛ من ذلك يقول صلى الله عليه وآله: من آسى أخاه بجاهه وعاونه بحرمته فكان وصلةً بينه وبين من يشتقّ اتّصاله به وسعد نظرته إليه من ذلّ ملك أو ولاية فيشفع له إليه في خير يستنفع

---

١. يتبع.

٢. العقد الفريد: ٦/١٩٩؛ محاضرات الأدباء: ١/٧٢٩ـ٧٣٠.

به أو أمر يسهّله عليه، أعانه الله تعالى على إجازة نفسه على الصراط يوم تزلّ فيه الأقدام أي أقدام المارّة عليه.

وروي[١]: إنّ الصراط معروض على جهنّم أحدّ من السيف وأدقّ من الشعر؛ فمنهم من يمرّ عليه كالبرق الخاطف ومنهم من يمرّ عليه كالطائر يطير ومنهم من هو كالفرس ومنهم الماشي على رجليه ومنهم من يزحف عليه ببطنه، والملائكة يقولون: ربّ سلّم ربّ سلّم، ومن كان منهم من أهل النار يُخطتف ❊إلى النار بكلاليب.[٢] نعوذ بالله من النار.

٢٤٥

وقوله عليه السلام: «يَومَ تُدْحَضُ فِيهِ» الضمير فيه للصراط أي في وروده والمرور عليه، فحذف المضاف وليس لليوم.

وعن الصادق عليه السلام: «كَفَّارَةُ عَمَلِ السُّلْطَانِ الْإِحْسَانُ إِلَى الْإِخْوَانِ»[٣].

وفائدة الحديث الحثّ على التعاون والتناصر وبذل الجاه والحرمة لأخيك المؤمن ووعد الإعاذة من النار عليه. وراوية الحديث عائشة.

قوله صلى الله عليه وآله: مَنْ لَعَبَ بِالنَّرْدِشيرِ فَكَأَنّما صَبَغَ يَدَهُ فِي لَحْمِ خِنْزِيرٍ وَدَمِهِ

وروي: «غمس يده»[٤]. كانت العرب تسمّى هذه اللعبة بأقطاعها النردشير، واختصروه

---

١. راجع: شرح الإيمان والإسلام: ١٣٣؛ مقالات الإسلاميّين: ٤٧٢؛ شعب الإيمان: ٣٣١/١؛ وراجع: مسند أحمد: ١١٠/٦، ح٢٤٨٣٧؛ الزهد لابن السريّ: ١٩٩٧/١، ح٣٢٠؛ تفسير السمرقندي: ٣٨٣/٢؛ جامع الأحاديث: ١٩٣/٩، ح٢٧٩٧٥.

٢. كلاليب، جمع الكَلّاب والكُلّاب، والكلّاب: صاحب الكلاب المعدّة للصيد، والكُلّاب: حديدة معوّجة الرأس ينشل بها الشيء أو يعلّق، وهذا أنسب بالمتن.

٣. قاله عليه السلام لعليّ بن يقطين؛ راجع: تحف العقول: ٤١٠؛ كشف الغمّة: ٢٠٥/٢؛ بحار الأنوار: ٢٤٧/١٠، ح١٤؛ وراجع أيضاً إلى: من لا يحضره الفقيه: ١٧٦/٣، ح٣٦٦٦.

٤. مصنّف ابن أبي شيبة: ٢٨٦/٥، ح٢٦١٤٢؛ مسند أحمد: ٣٦١/٥، ح٢٣١٠٦.

فيما بعد فسمّوه «النرد».

فيقول صلى الله عليه وآله: اللاعب بالنردشير كآكل لحم الخنزير، يعني أنّه عليه السلام كما أنّ أكل لحم الخنزير حرام فكذلك اللعب بالنرد أيضاً حرام فمن هتك هذه الحرمة كان كهاتك تلك، لأنّهما جميعاً محرّمان.

وصبغ اليد وغمسها كناية عن مدّ اليد، وربّما يعرض الطعام على الإنسان فيقول: أنا لا أصبغ يديّ بذلك، ولا أغمس يديّ فيه؛ وذكر لحم الخنزير ليكون أشنع له وإلّا فالمحرّمات كثيرة.

وقد ورد في الشرع النصّ على تحريم النرد.[1]

وروي أنّ أمير المؤمنين عليه السلام مَرَّ بِقَوْمٍ يَلْعَبُونَ بِالشِّطْرَنْجِ، فَقَالَ: «ما هذِهِ التَّماثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَها عاكِفُون»[2].

وعند أهل البيت عليهم السلام كلاهما محرّم إلّا أنّ أمر النرد أصعب . وفي باب التحريم أذهب.

وفائدة الحديث النهي عن النرد وجميع اللعب التي لا فائدة فيها. وراوي الحديث بُرَيدة الأسلميّ.

قوله صلى الله عليه وآله: مَنْ نَزَلَ عَلَى قَوْمٍ فَلا يَصُومَنَّ تَطَوُّعاً إلَّا بِإذْنِهِمْ

التطوّع في الأصل: تكلّف الطاعة، وهو في العرف ما تبرّع به المكلّف ولم يفرض عليه؛ فيقول صلى الله عليه وآله: من ضاف قوماً فليس له أن يتطوّع [الصوم] إلّا بإذنهم؛ وكأنّه مراقبة جانب المنزول عليهم، فإنّهم ربّما احتشدوا[3] وتكلّفوا بما يفسد عليهم إن صام ضيفهم، فعليه أن لا

١ . راجع: الكافي: ٤٣٥/٦، باب النرد والشطرنج؛ وسائل الشيعة: ٣٢٤/١٧، باب ١٠٤؛ وراجع: المصنّف لابن أبي شيبة: ١٩٠/٦ـ١٩٢.

٢ . الورع لابن حنبل: ٩٢؛ شعب الإيمان: ٢٤١/٥، ح٦٥١٨؛ كنز العمال: ٩٨/١٥، ح٤٠٦٨٥؛ وراجع: الخلاف للشيخ الطوسي: ٣٠٣/٦؛ والآية في الأنبياء: ٥٢.

٣ . احتشد في الضيافة: اجتهد وبذل وسعه.

يصوم إلّا بإذنهم ورضاهم .

ثمّ إنّ صومَ التطوّع الأفضلُ فيه أن لا يَعلم به، وفيه أنّ مساعدة القوم على التحرّم بطعامهم[1] أفرح لهم وأطيبة لقلوبهم، فهم أعظم الثواب.

وفائدة الحديث إعلام أنّ الضيف ليس له أن يصوم تطوّعاً إلّا بإذنهم. وراوية الحديث عائشة.

٢٤٦

*قوله صلى الله عليه وآله : مَنِ انْتَهَرَ صَاحِبَ بِدْعَةٍ مَلأَ اللهُ قَلْبَهُ أَمْناً وَإِيمَاناً وَمَنْ أَهَانَ صَاحِبَ بِدْعَةٍ آمَنَهُ اللهُ يَومَ الفَزَعِ الأَكْبَرِ

«النهر» والانتهار: الزجر بقوّة، و«البدعة»: الحدث في الدين بعد إكماله واستجداد أمر لم يكن ولم يستنّ صاحبه بحكم الشريعة فيه، وبَدّعه: نسبه إلى البدعة.

فيقول صلى الله عليه وآله : من زجر صاحب بدعة عن بدعته وشهره بها يرتدع الناس عنه وعن الاستماع إلى بدعته ملأ الله قلبه أمناً أي آمنه الله ممّا يخاف ويحذر، و«إيماناً» أي شرح صدره وشفى قلبه بإيمانه؛ ومن أهان صاحب بدعة واستخفّ به أعطاه الله الأمان يوم الفزع الأكبر وهو يوم القيامة.

وإنّما كبّر أمر البدعة لأنّه ما من كلمة إلّا ويستمع إليها قوم، وربّما علق بقلوبهم وعشّش في صدورهم وفرّخ في أدمغتهم، وقد قيل: «مَن يَسْمَع يَخَل».[2] وهذه الأهواء والبدع كلّها كذلك أنبتت في الناس، كأنّ الواحد منهم يريد أن يترأّس على قوم ويستتبعهم ويأمرهم فيهم وينهى، فيجعل بدعةً ابتدعها وابدةً[3] [و]اخترعها وسيلةً إلى ذلك، فيقبلونها فيأخذها الخلف عن السلف فتصير سنّة في البنين والأعقاب فيَهلك ويُهلك؛ وإلّا فالدين واحد والملّة

١. تحزّم في الأمر: قبله بلا حزم والوثاقة.

٢. قاله الأصمعيّ، راجع: الأمثال لابن سلام: ٥٤؛ جمهرة الأمثال: ٢٦٣/٢؛ مجمع الأمثال: ٣٠٠/٢.

٣. كذا في خ، ولعلّ الصحيح: آلةً أو مقالةً.

واحدة، أعاذنا الله تعالى من الأهواء واختلاف الآراء، فمن نهى صاحب بدعة كان كالحاسم لمادّة الضلال والقاطع لأصل الوبال.

وفائدة الحديث الأمر بزجر المبتدع والإغلاظ له والاستهانة. وراوي الحديث ابن عمر.

قوله صلى الله عليه وآله: مَنْ أَصْبَحَ مُعَافىً فِي بَدَنِهِ آمِناً فِي سربِهِ عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا

الحديث وارد مورد تعظيم أمر العافية والأمن والكفاية، وأنّ من متّع بذلك فكأنّما الدنيا في حكمه، وذلك لأنّ الدنيا لو كانت تحت يده حقيقةً لما انتفع إلّا بمثل ذلك.

و«السِرب» قال الأصمعيّ: فلان أمن في سربه، أي [في] نفسه، وفلان واسع السرب أي رَخيّ البال. وروي بفتح السين، والمعنى في مسلكه، يقال: خلّ سربه أي طريقه، قاله المبرّد.[1] وكلا معنين حسن.

يقول صلى الله عليه وآله: من عوفي في بدنه من الأمراض والأسقام وأصبح في مسقط رأسه ومحلّ إيناسه مُرفّهاً آمناً مسلّماً ساكناً عنده ❊ما يتعلّل به بياض يومه لأنّ غده ليس في حسابه ولا يستيقن أن يكون من عمره، فكأنّما الدنيا بأسرها له.

٢٤٧

وفائدة الحديث تعظيم أمر الصحّة والسلامة والأمن والبُلغة[2]. وراوي الحديث أبو الدرداء

قوله صلى الله عليه وآله: مَنْ وُلِيَ شَيْئاً مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ فَأَرادَ اللهُ بِهِ خَيْراً جَعَلَ مَعَهُ وَزيراً صَالِحاً فَإِنْ نَسيَ ذَكَرَهُ وَإِنْ ذَكَرَ أَعانَهُ

يقول: من يقلّد أمراً من أمور المسلمين وابتلي بمراعاة أمورهم والمحافظة على أحوالهم فأراد الله تعالى به خيراً قيّض له وزيراً خيّراً يتحمّل أثقاله ويراعى أحواله فإن نسي أرشده وسدّده وإن ذكر رفده وعضده، فيكون رداءً له وعوناً وظهيراً ومشيراً، ومدار أمر الملك على

١. راجع: أدب الكاتب: ٢٥٠؛ تهذيب اللغة: ٢٨٧/١٢ـ٢٨٨؛ المحكم والمحيط الأعظم: ٤٨٤/٨ـ٤٨٥.

٢. ما يُتبلّغ به من العيش.

الوزير ليفرغه إلى النظر في مكاسر الأمور ومصارف الشؤون وفحصه عن الظاهر والمكنون، والملك مكفي موقر على ما يختصّ به محمول عنه جميع ذلك.

وفائدة الحديث إعلام أنّ الوالي إذا كان له وزير صالح يردّه عن الشرّ ويعينه على الخير كان ممّن سبقت له عناية الله ﷻ. وراوية الحديث عائشة.

قوله ﷺ: مَنْ عَامَلَ النَّاسَ فَلَمْ يَظْلِمْهُمْ وَحَدَّثَهُمْ فَلَمْ يَكْذِبْهُمْ وَوَعَدَهُمْ فَلَمْ يُخْلِفْهُمْ، فَهُوَ مِمَّنْ كَمَلَتْ مُرُوءَتُهُ وَظَهَرَتْ عَدَالَتُهُ وَوَجَبَتْ أُخُوَّتُهُ وَحَرُمَتْ غِيبَتُهُ

هذا الحديث يشتمل على حسن المعاملة والمعايشة، فيقول ﷺ: من إذا عامل الناس لم يطمع في أموالهم ولم يبخسهم حقوقهم ولم يحتجن[1] ما هو لهم وإذا حدّثهم لم يَشِ[2] وجه كلامه بكذب يمقت هو فيه نفسه فضلاً عن مقت الله تعالى إيّاه، وإذا وعدهم وفى بوعده ولم يخالف؛ فهو ممّن تمّت فيه المروءة والكرم وظهرت عدالته وصدقه وحقّت أخوّته في الله تعالى ويحرم أن يغتاب، لأنّه ليس في جنبته ما يغتاب عليه.

يثني ﷺ على العدل والإنصاف وصدق الحديث والوفاء بالوعد، ويدعو إلى هذه الأخلاق الجميلة بثنائه على صاحبها، وتثبت له المروءة والعدالة ووجوب المؤاخاة وحرمة الغيبة.

و«العدل»: المساواة بين الشيئين، فكأنّه إذا عدل على الخصمين فقد سوّى بينهما في النصفة، وكذلك «الإنصاف» مشتقّ من النصف الذي هو شطر الشيء كأنّه جعل نصف المخاصم ❊فيه لنفسه والنصف لخصمه على السواء، ولم يستأثر بزيادة، يقال للإنصاف النِصف والنَصَفَة، وقد عدل عليهم يعدِل عَدْلاً ومعدلةً ويروى: «بِالعَدْلِ قامَتِ السَّماواتُ وَالأَرْضُ»[3]، وعدُل يعدُل عَدَالةً صار عدلاً مرضيّاً في الشهادات مقنعاً.

[٢٤٨]

١. احتجن المال: ضمّه إلى نفسه واحتواه.

٢. وشى الثوب: حسّنه بالألوان ونمنمه ونقشه، ووشى الكلام، يشي، وشياً: كذب فيه.

٣. راجع: نوادر الأصول في أحاديث الرسول: ١٢٥/٢؛ المفردات: ٣٢٥؛ عوالي اللئالي: ١٠٢/٤.

وفائدة الحديث إعلام أنّ من كان منصفاً صادقاً في حديثه ووعده كان كامل المروءة ظاهر العدالة واجب المؤاخاة محرّم الغيبة. وراوي الحديث عليّ بن موسى الرضا عن أبيه عن آبائه عليهم السلام عن النبيّ صلى الله عليه وآله.[1]

قوله صلى الله عليه وآله: مَنْ حَفَظَ مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ

اللَحيان: مبيت اللحية من جانبي الوجه، الواحد لحي والجمع ألْح والكثير لِحي ولُحِيٌّ على فعول «ما بين لحييه» إشارة إلى اللسان؛ و«ما بين رجليه» إشارة إلى الفرج.

فيقول صلى الله عليه وآله: من حفظ لسانه عن الكذب والغيبة وملاحاة الرجال والشتيمة والثلب[2] والوقيعة والنثّ[3] والنميمة، وفرجه عن ارتكاب الجرائم، استوجب دخول الجنّة؛ وإنّما خصّ عليه السلام هذين العضوين من بين سائر الأعضاء لأنّ أكثر القبائح ومعظم الفضائح يتعلّق بهما.

وقد قيل: اللسان [سبع] صغير الجِرم كبير الجُرم.[4]

وفي الحديث: «مَنْ وُقِيَ شَرَّ لَقْلَقِهِ وَقَبْقَبِهِ وَذَبْذَبِهِ فَقَدْ وُقِيَ الشرَّ كُلَّهُ، فَاللَّقْلَقُ: اللِّسَانُ، وَالْقَبْقَبُ: الْبَطْنُ، وَالذَّبْذَبُ: الْفَرْجُ».[5]

وقال صلى الله عليه وآله: «وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ فِي نَارِ جَهَنَّمَ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِم».[6] و«الحصائد»: ما يقال في الناس باللسان ويقطع عليهم، تشبيهاً بما يجزّ من الزرع والحصد.

وفائدة الحديث إعلام أنّ أكثر الشرّ في هذين العضوين، فمن حفظهما دخل الجنّة. وراوي

---

١. راجع: مسند الشهاب: ٣٢٢/١، ح٥٤٣؛ وراجع: الخصال: ٢٠٨/١؛ بحار الأنوار: ١/٦٧، ح١.

٢. العيب.

٣. نشر الحديث الذي كتمانه أحقّ به.

٤. ربيع الأبرار: ٢١٥/٥؛ المستطرف: ٩٨/١.

٥. راجع: البيان والتبيين: ٨١؛ جمهرة اللغة: ١٧٤/١؛ المجالسة وجواهر العلم: ١٥١، ح ٨٨٠؛ شعب الإيمان: ٣٦١/٤، ح٥٤٠٩؛ الفردوس: ٦٣٢/٣، ح٥٩٧٨؛ وراجع: بحار الأنوار: ٣٥١/٦٣، ح٧.

٦. الكافي: ١١٥/٢، ح١٤؛ وراجع: مسند الطيالسي: ٧٦، ح٥٦٠؛ مصنّف ابن أبي شيبة: ٣٢٠/٥، ح٢٦٤٩٨.

الحديث أبو موسى.

قولهﷺ : مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ

وروي: «من تعمّد عليّ كذباً»[١]، «التعمّد» في العرف خلاف السهو والنسيان وهو من العمد [و]القصد. و«التبوّء» : النزول، يقال: بوّأته منزل كذا، فيتبوّأه أي نزله، والتبوّأ اختيار المباءة وهو المنزل، والتبوّأ: اتّخاذ المسكن، ومنه الباءة للنكاح ووزنها فَعَلَة .

وروي «أنّه عليه السلام كان يتبوّأ لبوله كما يتبوّأ لمنزله»[٢]، وأصله من البواء الذي هو المثل، والمعنى مشاكلة أجزاء المكان؛ ومعنى «ليتبوّأ» أي لينزل أو ليختر أو ليتّخذه بواءً، والبواء: اللزوم، ومنه بؤت بكذا *أي التزمتُه، والأصل واحد.

٢٤٩

وروي: «أنّ رجلاً جاء إلى قوم فقال: إنّ النبيّﷺ أمرني أن أحكم فيكم برأيي، وكان هذا الرجل في الجاهليّة خطب منهم امرأةً فلم يزوّجوه، فذهب حتّى نزل على أهل الدار، فبعث القوم إلى النبيّﷺ يعلّمونه بذلك، فقال: كَذَبَ عَدُوُّ اللهِ، ثمَّ أَرْسَلَ رَجُلاً، فَقَالَ: إنْ وَجَدْتَهُ حَيّاً فَاضْرِبْ عُنُقَهُ، وَمَا أَرَاكَ تَجِدُهُ، وَإِنْ وَجَدْتَهُ مَيِّتاً فَأَحْرِقْهُ فانطلَقَ الرجلُ فَوَجَدَهُ قَدْ لَدَغَ فَمَاتَ، فَقالَ عليه السلام : مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ».[٣]

وراوي الحديث عبد الله.

---

١ . صحيح البخاري: ٥٢/١، ح١٠٨؛ مسند الشهاب: ٣٢٤/١، ح٥٤٨.

٢ . الطبقات الكبرى: ٣٨٣/١؛ المعجم الأوسط: ٢٥٣/٣، ح ٣٠٦٤؛ كنز العمّال: ٢٠/٧، ح ١٧٨٨٠.

٣ . مسند الروياني: ٧٥/١، ح ٣٤؛ وراجع: شرح مشكل الآثار: ٣٥٣/١؛ ناسخ الحديث ومنسوخه: ٤١٤، ح ٥٥٠.



الباب الثالث

قوله صلى الله عليه وآله: حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ

يقال حفّ القوم حول زيد إذا أطافوا به واستداروا، وحففته بشيء أي أدرته عليه، يقال: حففت الهَودَج[1] بالثياب ويقال: حفّفتُ ـ مشدّداً ـ، وقيل: إنّه مشتقّ من حفافي الشيء أي جانبيه والجمع أحِفّة . وقال تعالى: «وَتَرَى الْمَلائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ» [2]، وقال تعالى: «وَحَفَفْناهُما بِنَخْلٍ» [3]، أي جعلنا النخل محدقةً بهما.

يقول صلى الله عليه وآله: المكاره مطيفة محدقة بالجنّة وهي الطاعات، والشهوات محدقة مستديرة بالنار وهي المعاصي؛ وهذا مثل يعني عليه السلام أنّك لا يمكنك نيل الجنة إلّا باحتمال مشاقّ ومكاره وهي فعل الطاعات والامتناع عن المقبّحات، ولا التفصّي عن النار إلّا بترك الشهوات وهي المعاصي التي تتعلّق الشهوة بها؛ فكأنّ الجنة محفوفة بمكاره يحتاج أن يقطعها بتكلّفها؛ والنار محفوفة بملاذّ وشهوات يحتاج أن يتركها.

وهذا كما قال عليه السلام: «[ألا] إنَّ عَمَلَ أهلِ الْجَنَّةِ حُزْنٌ بِرَبْوَةٍ، أَلا إنَّ عَمَلَ أهلِ النَّارِ سَهْلٌ

---

١ . الهَوْدَج: محمل له قبّة تستر بالثياب يركب فيه النساء.

٢ . الزمر: ٧٥ .

٣ . الكهف: ٣٢.

بِشَهْوَةٍ»[١].

وروي: «أَنَّ اللهَ تعالى لَمَّا خَلَقَ الْجَنَّةَ، وَخَلَقَ مَا فِيهَا مِنَ النَّعِيمِ وَالْكَرَامَةِ، قَالَتْ: يَا رَبِّ! لِمَ خَلَقْتَنِي؟ قَالَ تعالى: لأُسْكِنَكِ خَلْقاً مِنْ خَلْقِي، قَالَتْ: رَبِّ إذاً لا يَدعُنِي أَحَدٌ، [إذاً يَدْخُلُنِي كُلُّ أَحَدٍ]، قَالَ تعالى: كَلّا، فَإِنِّي أَجْعَلُ سَبِيلَكِ فِي الْمَكَارِهِ؛ وَلَمّا خَلَقَ النَّارَ وَخَلَقَ مَا فِيهَا مِنَ الْهَوَانِ وَالْعَذَابِ، قَالَتْ: يَا رَبِّ لِمَ خَلَقْتَنِي؟ قَالَ: لأُسْكِنَكِ خَلْقاً مِنْ خَلْقِي، قَالَتْ: إذاً لا يَقْرَبُنِي أَحَدٌ، قَالَ: كَلّا، فَإِنِّي أَجْعَلُ سَبِيلَكِ فِي الشَّهَوَاتِ»[٢].

٢٥٠

وَرُوِيَ: «أَنَّ اللهَ تَعَالَى لَمَّا خَلَقَ الْجَنَّةَ قَالَ لِجَبْرَئِيلَ عليه السلام: انْظُرْ إِلَيْهَا فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهَا * قَالَ: يَا رَبِّ لَا يَتْرُكُهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا، فَلَمَّا حَفَّهَا بِالْمَكَارِهِ قَالَ: انْظُرْ إِلَيْهَا، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهَا، [قَالَ: يَا رَبِّ أَخْشَى أَنْ لَا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ وَلَمَّا خَلَقَ النَّارَ قَالَ لَهُ: انْظُرْ إِلَيْهَا فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهَا][٣] قال: يَا رَبِّ لَا يَدْخُلُهَا أَحَدٌ، فَلَمَّا حَفَّهَا بِالشَّهَوَاتِ، قَالَ: انْظُرْ إِلَيْهَا فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهَا قَالَ: يَا رَبِّ أَخْشَى أَنْ يَدْخُلَهَا كُلُّ أَحَدٍ»[٤]. أو كما روي.

وفائدة الحديث إعلام أنّ الأعمال المفضية إلى الجنّة مكروهة قرن الله بها الكراهة، وبالعكس [منها] الأعمال الموصلة إلى النار قرن بها الشهوة، ليجاهد الإنسان نفسه فيتحمّل تلك ويجتنب هذه. وراوي الحديث أنس بن مالك.

قوله صلى الله عليه وآله: وَجَبَتْ مَحَبَّةُ اللهِ عَلَى مَنْ أُغْضِبَ فَحَلُمَ

أصل الوجوب: الثبوت، ثمّ يتنوّع في الاصطلاح، ومحبّة الله تعالى قد تقدّم الكلام فيها،

١. كذا في خ وفي بعض المصادر؛ وفي بعضها: سهل بسهوة، راجع: مسند أحمد: ٣٢٧/١، ح٣٠١٧؛ كنز العمّال: ٥٦/١٦، ح٤٤١٥٩؛ وراجع: مسند الشهاب: ١٩٩/٢، ح ١١٨٠؛ شعب الإيمان: ١٤٧/٧، ح٩٧٩٦؛ كنز العمّال: ٣٧٢/١٥، ح٤٣٥٠٢.
٢. الزهد لابن المبارك: ٣٢٥/١ـ٣٢٦، ح٩٢٦.
٣. الزيادة في البحار.
٤. لم أقف على مصدره.

وأنّ معناها الرضى، ويجوز أن يكون الوجوب في الحديث على أصله أي ثبتت محبّة الله تعالى على من أغضب فحلم، ويجوز أن يكون على تقدير وجبت محبّة الله نازلةً على من أغضب فحلم، فحذف ما يتعلّق به الحرف[١]، ولو حملته على معنى سقط أي سقطت ووقعت محبة الله على من أغضب فحلم، كان وجهاً؛ كلّ ذلك ليستغني عن أن يجعل «على» بدلاً من اللام.

فيقول صلى الله عليه وآله: حبّ الله تعالى للذي يغضب فيحلم واجب، لأنّه يصير بغير طبع الإنسانيّة تكلّفاً وتصنّعاً، وذلك أنّ الحلم من صفات الله تعالى، فإذا تزيّا العبد به وغلب على جبلّته كان ممّن يحبّه الله تعالى ويرضى أفعاله وأقواله .

و«الحلم»: كفّ النفس عن بطشها، و«الغضب»: فوران دم القلب إرادة الانتقام.

وفائدة الحديث الإخبار عن رضا الله تعالى عن الحليم. وراوية الحديث عائشة.

قوله صلى الله عليه وآله : بُعِثْتُ بِجَوَامِعَ الْكَلِمِ وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ

جوامع الكلم هي الكلم الجامعة الوجيزة اللفظ المشتملة على المعاني الكثيرة والمقتبسات الجمّة، وكذلك كان صلى الله عليه وآله يتكلّم بالكلمة الفذّة[٢] النافعة الفاتحة أبواباً من العلم.

ولذلك قال أمير المؤمنين عليه السلام: «عَلَّمَنِي أَلْفَ بَابٍ يَفْتَحُ كُلُّ بَابٍ أَلْفَ بَابٍ»[٣].

وفي كلام عمر بن عبد العزيز: «عَجِبْتُ لِمَنْ لاحَنَ الناسَ كَيْفَ لا يَعْرِفُ جَوَامِعَ الكَلِمِ»[٤] أي كيف لا ينقّح كلامه من الفضول فيوجزه .

وقد فُسّرت جوامع الكلم بالقرآن الكريم يعني أنّ الله تعالى جمع بلفظه في الألفاظ اليسيرة منه المعاني الكثيرة.[٥]

---

١ . أي حرف «على».

٢ . الشاذّة.

٣ . بصائر الدرجات: ٣٢٣؛ أماليّ الصدوق: ٧٣٧، ح ١٠٠٤؛ وراجع: كنز العمّال: ١٣/ ٥٠، ح ٣٦٣٧٢.

٤ . غريب الحديث لابن سلام: ٢/ ٢٣٢؛ تهذيب اللغة: ١/ ٢٥٧؛ الفائق: ٣/ ٣٠٩.

٥ . راجع: غريب الحديث لابن الجوزي: ١/ ١٧١؛ تهذيب اللغة: ١/ ٢٥٧؛ شعب الإيمان: ٢/ ١٦٠، ح ١٤٣٧؛ شرح السنّة: ١٣/ ٢٨٠؛ النهاية: ١/ ٢٩٥.

٢٥١

والمعنى: بعثتُ بالقرآن أي والقرآن في *صحبتي، وعلى الوجه الأوّل يكون التقدير: بعثتُ بإيراد جوامع الكلم.

و«نصرتُ بالرعب»، معناه: أنّ الله تعالى قذف الرعب في قلوب الكفّار فلا يسمعون بذكره إلّا جُبنت قلوبهم من دون المحاربة وكانت مخافته تفعل في قلوبهم ما لا يفعله حزّ[١] السيف.

وسئل أمير المؤمنين عليه السلام: بمَ غلبتَ الأقران؟ قال: كنت إذا قابلت قرني قدّرتُ أنّي أقتله وقدّر هو مثل ذلك، فكانت نفسي ونفسه عليه.[٢] أو كما قال.

وفائدة الحديث إعلام أنّه علم من جهة الله تعالى بتأييد خاصّ إيراد الكلام المختصر المفيد الجامع للمعاني وأنزل عليه القرآن. وراوي الحديث أبو هريرة.

قوله صلى الله عليه وآله: نُصِرْتُ بِالصَّبَا وَأُهلِكَتْ عَادُ بِالدَّبُورِ

النصر والنصرة: المعونة، و«الصبا» هي الريح التي تضرب قفا المصلّي، وبإزائها «الدبور» والشمال التي تضرب يمين المصلّي، وبإزائها «الجنوب».

وقالوا: مَهَبّ الصبا المستوي أن تهبّ من مطلع الشمس إذا استوى الليل والنهار؛ قالوا: ونيّحَتُها الدبور يقول: صَبَت تصبو صَبَوّاً، وزعموا أنّ الدبور تزعج السحاب وتُشخِصه في الهواء ثمّ تسوقه فإذا علا كشفت عنه واستنقلته الصبا فوزّعته[٣] بعضه على بعض حتّى تصير كسفاً واحداً، والجنوب تحلق روادفه به وتمدّه من المدد، والشمال تمزّق السحاب والصبائيّة[٤] النُكَيباء وهي التي بين الصبا والشمال.[٥]

---

١. الحزّ: القطع.

٢. نقل مضموناً، راجع: نهج البلاغة: ٥٣١، حكمة ٣١٨؛ مناقب آل أبي طالب عليهم السلام: ١١٦/٢؛ محاضرات الأدباء: ١٥١/٢.

٣. في المصدر: فردّت؛ وفي تاج العروس: ٤٠٩/٣٨: فوزّعت.

٤. في المصدر: الصابية.

٥. قاله الجوهري في الصحاح: ٢٣٩٨/٦.

والذي في الحديث إشارة إلى نصرة الله تعالى رسوله بالصبا لمّا أرسلها على الأحزاب فكانت عوناً للرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عليهم.

وعن عبد الله بن عمر[١] قال: «الرياح ثمانية: أربع منها رحمة وأربع عذاب، فأمّا الرحمة فالناشرات والمبشّرات والمرسلات والذاريات، وأمّا العذاب: فالعقيم والصرصر وهما في البرّ والعاصف والقاصف في البحر»[٢].

وروي: أنّه فتح على عاد من الريح التي أهلكتهم مثل حلقة الخاتم.[٣]

وعن مجاهد: ما بعث الله عَزَّوَجَلَّ ريحاً إلّا بمكيال إلّا قوم عاد فإنّها عتت على الخزنة فلم يدر ما مقدارها.[٤]

وفي الحديث: إنّ الله تعالى خلق في الجنوب ريحاً وأنّ من دونها باباً مغلقاً ولو فتح ذلك الباب لأذرت ما بين السماء والأرض وهي الأزْيَب وهي عندكم الجنوب.[٥]

وعن العوامّ بن حوشب أنّه قال: يخرج الريح الجنوب من الجنّة فتمرّ على جهنّم فغمّها منه وبركتها من الجنّة، [٢٥٢] *وتخرج الشمال من جهنّم فتمرّ على الجنّة فروحها من الجنّة وشررها من النار. قلت: وقد سمعت أنّ السموم لا تكون إلّا الشمال تهبّ على الرمال المضطربة والأرضين المتوهّجة[٦] فيكتسي للطافتها ورقّتها منها زيادةَ الحرارة، فتهبّ ناراً ملتهبةً فيقتل وتَسْودّ الجلود.[٧]

---

١. كذا في المصادر، وفي خ: عمرو.

٢. تفسير السمرقندي: ٣٢٤/٣؛ النكت والعيون(تفسير الماوردي): ٣١٩/٤؛ تفسير ابن كثير: ٤٣٨/٣.

٣. راجع: تفسير مقاتل: ٢٢٦/٣؛ سنن الترمذي: ٣٩١/٥، ح٣٢٧٣؛ العظمة: ١٣٣٣/٤.

٤. راجع: تاريخ الطبري: ١٣٨/١؛ تفسير الطبري: ٢٢٢/٨؛ تفسير الثعلبي: ٢٥٠/٤.

٥. راجع: تفسير الصنعاني: ٣٤٦/٢ـ٣٤٧؛ مسند الحميدي: ٧١/١، ح١٢٩؛ وراجع: تفسير أبي حمزة الثمالي: ٣٠٤؛ بحار الأنوار: ٣٤٦/١١.

٦. المتوقّدة.

٧. لم أقف عليه.

وقال كعب: لَوْ حَبَسَ اللهُ تعالى الرِّيحَ عَنِ الأرضِ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ لأَنْتَنَ مَا بَيْنَ السَّماءِ وَالأَرْضِ.[١]

وقال النبيّ صلى الله عليه وآله: إذا رأى الريح قد هاجت، يقول: «اللهُمَّ اجْعَلْهَا رِيَاحاً، وَلَا تَجْعَلْهَا رِيحاً».[٢]

وأكثر ما في القرآن من الرياح للخير والريح بالعكس من ذلك. وقيل: الريح الهواء المتحرّك.[٣]

وفائدة الحديث إخبار[٤] بأنّ الله تعالى نصره في الأحزاب بريح الصبا تكبّهم على وجوههم وتثير السافياء[٥] في أعينهم فيعجزون عن مقاومة أصحاب النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ورضي عنهم. وراوي الحديث [سعيد بن] جُبير عن ابن عبّاس.

قوله صلى الله عليه وآله: يُعْجِبُ رَبَّكَ مِنَ الشَّابِّ لَيْسَتْ لَهُ صَبْوَةٌ

العجب والتعجّب قيل: حالة تعرض للإنسان إذا جهل سبب الشيء، وقال بعضهم: ما لا يعرف سببه، ولذلك قيل: لا يصحّ على الله تعالى التعجّب لأنّه عالم بجميع المعلومات فلا يخفى عليه شيء. وقيل: العجب تجدّد علم أو ظنّ بحصول خارج عن المتوقّع؛ وأيّاً ما كان فالله تعالى منزّه عن الوصف به، ولكنّ الكلام في هذا الحديث على المعنى، وهو أنّه تعظّم ذلك وتكثّر عنده تعالى . وفي الحديث: «عَجِبَ رَبُّكُمْ مِنْ قَوْمٍ يُقَادُونَ إِلَى الْجَنَّةِ فِي السَّلاسِلِ»[٦]

---

١ . الزهد لابن حنبل: ٢٤٤؛ حلية الأولياء: ٣٧٨/٥؛ المجالسة وجواهر العلم: ٤٥١، ح٢٦٥٢.

٢ . مسند الشافعي: ٨١؛ مسند أبي يعلى: ٣٤١/٤، ح٢٤٥٦؛ المعجم الكبير: ٢١٣/١١، ح١١٥٣٣؛ كنز العمّال: ٣٠/٧، ح١٨٠٣٣.

٣ . راجع: المفردات: ٢٠٦؛ نزهة الأعين النواظر: ٣١٦.

٤ . في بحار الأنوار: الإنباء.

٥ . الغبار.

٦ . مسند أحمد: ٣٠٢/٢، ح٨٠٠٠؛ سنن أبي داود: ٥٦/٣، ح٢٦٧٧.

أي يبعث إليهم الرسول حتّى يُرغبهم في الإسلام والطاعة ويحملهم على ذلك.

وفيه: «عَجِبَ رَبُّكُم من أَلِّكُم وقُنُوْطِكُم»[١]، والألّ: رفع الصوت.

و«الصبوة»: الميل إلى جهل الفتوّة، يقال: صبا فلان يَصبو صَبْوةً وصُبُوّاً وقد أصبَته، وتصابى: إذا تكلّف ذلك.

يقول صلى الله عليه وآله: يعظّم الشابّ المتعفّف المتحرّج عند الله تعالى، وذلك بما ركّب فيه من الشهوات المتقاضية له بالفواحش والأشياء المنكرة ومظافرة قوّة الشباب معها، فإذا كَبَحها[٢] الفتى بلجام التقوى وفكّر فيها يجرّ ذلك من البلوى وانسلخ عمّا خُلق فيه وجُبل عليه؛ كان عند الله تعالى عظيم المحلّ كبير القدر عالي الرتبة رفيع المنزلة، بحيث لو جاز عليه أن يتعجّب لتعجّب منه.

وفائدة الحديث الأمر بالتقوى والتعفّف وظلف النفس عن القبائح[٣] وإعلام أنّه إذا فعل ذلك عظم عند الله ـ عزّ وعلا ـ ❊حتّى يبلغ درجةً ما يتعجّب منه. وراوي الحديث عُقْبَة بن عامر. ٢٥٣

قوله صلى الله عليه وآله: كَمَا تَكُونُونَ يُوَلّي عَلَيْكُمْ

يقول صلى الله عليه وآله: إنّه يقيض[٤] لكلّ قوم من الأمراء والولاة على قدر أفعالهم، فإن كانوا أخياراً وُلّي عليهم الأخيار توفيقاً من الله تعالى، وبالضدّ من ذلك، وقال تعالى: «وَكَذٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظّٰالِمِينَ بَعْضاً بِما كانُوا يَكْسِبُونَ»[٥].

---

١. غريب الحديث لابن سلام: ٢٦٩/٢؛ تأويل مختلف الحديث: ٢١١؛ الفائق: ٥٢/١.

٢. كبحتُ الدابّة باللجام: جذبته به ليقف.

٣. ظلف نفسه عن الشيء: كفّ عنه.

٤. يعوض عوضاً.

٥. الأنعام: ١٢٩.

وفائدة الحديث الإخبار بأنّ الله تعالى يوفّق للصالحين الصالحين وللظالمين أمثالهم، وفيه الأمر بتحرّي الأفعال الصالحة وتجنّب القبيح والمكروه. وراوي الحديث أبو بكرة.

قوله صلى الله عليه وآله: يُبْعَثُ النَّاسُ يَومَ القِيَامَةِ عَلَى نِيَّاتِهِمْ

بيّن صلى الله عليه وآله أنّ الاعتبار في الأفعال بالنيّات، وهي الإرادات التي تقع بها الأفعال على الوجوه، ولا معتبر بصور الأفعال مجرّدةً عن تلك الإرادات الموقعة على الوجوه، وأنّه لا بدّ في الأفعال من إخلاص يرفعها، فهو صلى الله عليه وآله يحثّ على إخلاص الفعل وتطهيره من شوب الرياء والسمعة .

وقد جاء في الحديث: «والمخلصون على خطر عظيم»[١]، فإذا كان مع الإخلاص على خطر، فكيف الحال للمخلِط ، اللّهمّ اغفر لنا وارحمنا ولا تحمل علينا ميزان العدل، فأنت الربّ الذي لا يخاف إلّا عدله. وقد تقدّم الكلام في النيّة.

وفائدة الحديث الحثّ على الإخلاص والعمل المصاص[٢] وتجنّب الرياء والنفاق. وراوي الحديث أبو هريرة.

قوله صلى الله عليه وآله: يُبْعَثُ [شَاهِدُ] الزُّورِ يَومَ القِيَامَةِ مُولعاً لِسَانَهُ فِي النَّارِ

وروي: «مولغاً لسانه»[٣]، هذا أيضاً من باب اختصاص العقوبة بالعضو الجاني، فيقول صلى الله عليه وآله: يحشر الله تعالى شاهد الزور يوم القيامة وهو يدخل لسانه في النار جزاءً على

---

١ . قاله ذو النون المصريّ، راجع: تفسير السلمي: ٣٥٥/١؛ شعب الإيمان: ٣٤٥/٥، ح٦٨٦٨؛ وراجع: نثر الدرّ: ٤٧٨/١.

٢ . الخالص.

٣ . راجع: مسند الشهاب: ٣٣٧/١، ح٥٧٩.

شهادته المبطلة للحقوق الجالبة للعقوق.

و«الإيلاغ»: الإدخال، يقال: ولغ الكلب في الإناء يلَغ وأولغه صاحبه يولغه إذا أدخل رأسه فيه . و«الزور»: الكذب، لأنّه مال عن جهته، والإزْوِرار: الانقباض، وبئر زَوراء: مائلة الحفر.

وتمام الحديث: «مُولِغاً لِسَانَهُ فِي النَّارِ، كَمَا يُولِغُ الْكَلْبُ لِسَانَهُ فِي الْقَدَرِ»[١].

وفائدة الحديث [تحذير] شاهد الزور وإعلام أنّه يوم القيامة يؤمر بإيلاغ لسانه في النار جزاءً بما اكتسب ومقابلةً لما احتقب. وراوي الحديث عليّ بن موسى الرضا عن أبيه عن آبائه عليهم السلام عن النبيّ صلى الله عليه وآله.

٢٥٤ *قوله صلى الله عليه وآله: رَحَمَ اللهُ امْرَءاً أَصْلَحَ مِنْ لِسَانِهِ

لمّا كانت اللغة العربيّة مرقاةً إلى جميع العلوم وكان كتاب الله عزّ وجلّ منزّلاً بها، وكان حديث النبيّ صلى الله عليه وآله مؤلّفاً منها، لم يكن للمسلمين بدّ من الشروع فيها، وإذا شرع فيها غير العربيّ الذي يتكلّم بالطبع الذي تطبّع عليه فيما بين القوم الذين لا يلحنون فلا بدّ له من التنوّق[٢] فيها، وتعلّم النحو ليجتّبه اللحن والخطأ ويقوّم كلامه، وكأنّه عليه السلام قال ذلك لمّا دخلت الأعاجم في الإسلام، فكانوا يتكلّمون بالعربيّة لا على وجهها ثمّ كثرت مخالطتهم للأحداث والصبيان فكانوا يرتضخون[٣] منهم اللحن فأشفق النبيّ عليه السلام وعلى لغتهم فقال ذلك.[٤]

وكذلك أشفق على اللغة أمير المؤمنين عليه السلام فقال لأبي الأسود الدئيليّ: ضع لهم نحواً يعملون عليه، فقال: كيف أصنع؟ فهداه إلى الرفع والنصب والجرّ، أو كما قال وفعل. وقد

---

١ . مسند الشهاب: ٣٣٧/١، ح ٥٧٩.

٢ . تنوّق: تذنّق، عمله بالاتقان والحكمة.

٣ . يرتضخ لكنةً عجميّةً: إذا نشأ مع العجم يسيراً ثمّ صار مع العرب.

٤ . راجع: أماليّ الطوسيّ: ٣٩٨، ح ٨٨٧؛ مسند الشهاب: ٣٣٨/١، ح ٥٨٠؛ شعب الإيمان: ٢٥٧/٢، ح ١٦٧٨.

روي من وجوه أنّ أبا الأسود فتق علم النحو من عند أمير المؤمنين ـ صلوات الله عليه وآله ـ ثمّ بنوا عليه على مرّ السنين والأعوام فزادوا وشرحوا .[1]

وروي:«أنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ مَرَّ بِقَوْمٍ يَرْمُونَ [نَبْلاً] فَعَابَهُمْ، فَقَالُوا: إِنَّا قَوْمٌ مُتَعَلِّمِينَ، فَقَالَ لَحْنُكُمْ أَشَدُّ عَلَيَّ مِنْ سُوءِ رَمْيِكُمْ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله يَقُولُ: رَحِمَ اللهُ امْرَءاً أَصْلَحَ مِنْ لِسَانِهِ»[2].

وكانت العرب العَاربة يتكلّمون بطباعهم وجبلّتهم فلا يلحنون أصلاً ولا يعرفونه قطعاً، حتّى أنّ ذا الرمّة سمع إنساناً يذكر غيره ويقول: عليه لعنةَ الله ـ بفتح التاء ـ فظنّ أنّه ثنّى اللعنة فقال: عليه لعنة الله، فقال: لعنتا الله، فقال: ما رضيت له الواحدة حتّى شفّعتها بأخرى فكأنّه ظنّ أنّ اللحن غير ممكن.[3]

وقال عبد الملك بن مروان: تعلّموا العربيّة فإنّها المروءة الظاهرة، وأنّها من كلام الله وكلام ملائكته وكلام النبيّين عليهم السلام .[4]

وقال أيضاً: استصلحوا من لسانكم فإنّكم تجدون في النوائب من يُعيّركم ثيابه ودوابّه ولا تجدون من يعيّركم لسانه.[5]

وعن أبي عمرو قال: قال حماد الراوية: أنفقتُ على الأدب أربعة ألف دينار وعلى الحديث أربعة ألف دينار، فليت ما أنفقته على الحديث أنفقته على الأدب، فإنّ النصارى كفروا في حرف أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام «أنا ولّدتك وأنت نبيّ» فصحّفته وقرأوا : «أنا

---

١ . راجع: المنتظم: ٩٧/٦؛ سبب وضع علم العربيّة: ٣٤؛ كنز العمّال: ١٢٥/١٠، ح٢٩٤٥٦.

٢ . مسند الشهاب: ٣٣٨/١، ح ٥٨٠؛ شعب الإيمان: ٢٥٧/٢، ح١٦٧٨؛ كنز العمّال: ١١٠/١٠، ح ٢٩٣٤٤.

٣ . راجع: نثر الدرّ: ١٧٧/٥.

٤ . الفقرة الأوّل من هذا الخبر نقل عن عمر بن الخطّاب، راجع: أخبار النحويّين: ٣٢؛ شعب الإيمان: ٢٥٧/٢، ح ١٦٧٥ و١٦٧٦.

٥ . لم أقف عليه.

٢٥٥ ولدتك *وأنت بُنيّ».[١]

وذكر عند عمر بن هبيرة الفصاحة وكان أمير البصرة فقال: ما يستوي رجلان دينهما واحد ومروءتها واحدة غير أنّ أحدهما يلحن والآخر لا يلحن إلّا كان الذي لا يلحن أفضلهما في الدنيا والآخرة، فقيل: فضله في الدنيا لفصاحته، فكيف صار خيراً منه في الآخرة؟ قال: لأنّه يقرأ كتاب الله تعالى على ما أنزل والذي يلحن يزيد فيه وينقص. فقالوا: صدق الأمير.[٢]

وفائدة الحديث الأمر بإصلاح اللسان وتقويمه بتعلّم النحو والتصريف. وراوي الحديث عمر بن الخطّاب.

قوله صلى الله عليه وآله: رَحَمَ اللهُ عَبْداً قَالَ خَيراً فَغَنِمَ أَوْ سَكَتَ فَسَلِمَ

مدح صلى الله عليه وآله الناطق بالخير الغانم بثوابه، والساكت إن لم يقدر على كلام الخير وهذا مثل الحديث الآخر: «إملاء الخير خير من السكوت والسكوت خير من إملاء الشرّ»[٣]. وهذا ثناء على من ينطق بالصدق والعدل والصواب والخير، أو يسكت فلا يتكلّم بما سيؤخذ عليه.

وقد قال عليه السلام: «الْبَلَاءُ مُوَكَّلٌ بِالْمَنْطِقِ»[٤].

وفائدة الحديث الأمر بكلام الخير أو السكوت. وراوي الحديث الحسن البصريّ عمّن رواه عن النبيّ صلى الله عليه وآله.

---

١. راجع: تهذيب اللغة: ١٢٦/١٤؛ معجم الأدباء: ٤٥/١؛ تدريب الراوي: ٦٨/٢.

٢. راجع: روضة العقلاء: ٢٢٠؛ شعب الإيمان: ٤٣٠/٢، ح٢٣٠٢؛ تاريخ مدينة دمشق: ٣٨٠/٤٥.

٣. راجع: أماليّ الطوسيّ: ٥٣٥؛ بحار الأنوار: ٨٤/٧٤؛ وراجع: المستدرك على الصحيحين: ٣٨٧/٣، ح٥٤٦٦؛ كنز العمّال: ١٩/٩، ح٢٤٨٤٦.

٤. من لا يحضره الفقيه: ٣٧٩/٤، ح٥٧٩٧؛ وأيضاً: مسند الشهاب: ١٦١/١، ح٢٢٧.

قوله صلى الله عليه وآله: رَحِمَ اللهُ الْمُتَخَلِّلِينَ مِنْ أُمَّتِي فِي الْوُضُوءِ وَالطَّعَامِ

«الخلال»: العود الذي يستخرج به ما يدخل في خلل الأسنان، وقد تخلّل الرجل إذا استعمل الخلال، وتخلّل القوم إذا دخل في خلالهم؛ والتخلّل في الوضوء قيل: هو إيصال الماء إلى أصول اللحية، وقيل: هو إيصال الماء إلى [ما] بين الأصابع في وضوء الصلاة بالأصابع يشبّكها، وهو أقرب إلى الصواب؛ فيترحّم[1] صلى الله عليه وآله على من فعل ذلك إيفاءً للوضوء وإبقاءً على طيب النكهة، فإنّ الخلالة ربّما تغيّر ريح الفم وربّما تكون سبباً لتآكل الأسنان وأولى ما يتخلّل به الأسنان خشب الخلاف، ونهى عن التخلّل بالآس[2] والرمّان والقصب والريحان.

وفائدة الحديث الأمر بإيصال الماء في الوضوء إلى فرج الأصابع والتخلّل بعد الطعام.

وراوي الحديث أبو أيّوب [الأنصاريّ] رضي الله عنه.

قوله صلى الله عليه وآله: أَبَى اللهُ أَنْ يَرْزُقَ عَبْدَهُ الْمُؤْمِنَ إِلَّا مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُ

٢٥٦

روي في سبب هذا الحديث عن[3] مالك بن أنس بن أبي عامر *الأصبحيّ عن جعفر بن محمّد الصادق عن أبيه عن جدّه عليهم السلام قال: «اجْتَمَعَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ، فَتَمَارَوْا فِي شَيْءٍ، فَقَالَ لَهُمْ أمير المؤمنين ـ صلوات الله عليه ـ: انْطَلِقُوا بِنا إِلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله [فَلَمَّا وَقَفُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله] قَالُوا: جِئْنا يا رَسُولَ اللهِ نَسْأَلُكَ عَنْ شَيْءٍ، فَقَالَ عليه السلام: إِنْ شِئْتُمْ فَاسْأَلُوا، وَإِنْ شِئْتُمْ خَبَّرْتُكُمْ بِمَا جِئْتُمْ لَهُ، فَقَالَ [لَهُمْ]: جِئْتُمُونِي تَسْأَلُونِي عَنِ الرِّزْقِ وَمِنْ أَيْنَ يَأْتِي؟ وَكَيْفَ يَأْتِي؟ أَبَى اللهُ أَنْ يَرْزُقَ عَبْدَهُ الْمُؤْمِنَ إِلَّا مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُ»[4].

---

١. في بحار الأنوار: فترحّم.

٢. جنس نباتات من فصيلة الآسيّات، ورقها دائم الخضرة، زهرها أبيض، و... .

٣. زاد في خ: أنس بن، ولعلّ كان صحيح العبارة: مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر.

٤. معجم ابن الأعرابي: ٤٨٢/٢؛ مسند الشهاب: ٣٤١/١، ح٥٨٥؛ كنز العمّال: ١٤٠/١٦ـ١٤١، ح٤٤١٧٣.

يقول صلى الله عليه وآله : لا يرزق الله تعالى عبده المتوكّل عليه إلّا من حيث لا يعلم، وهذا ممّا تُغني المشاهدة فيه عن الإطناب في ذكره، فإنّ أسباب الرزق عجيبة، وقد يوصل الله تعالى إلى عباده على وجه يخفى عليهم، كما قال تعالى: «وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ»[١]، وقد وعدهم بذلك حيث يقول ـ جلّ وعلا ـ: «وَما مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلّا عَلَى اللهِ رِزْقُها»[٢]، وهو أحقّ من وفى بعهده الكريم.

وفائدة الحديث إعلام أنّه تعالى لا يرزق عبده المتوكّل إلّا من حيث لا يعلم، والنهي عن الإكباب على الدنيا خوف الرزق فإنّه سيصل على وجه لا يعلم المرزوق به. وراوي الحديث جعفر بن محمّد الصادق عن آبائه عليهم السلام.

قوله صلى الله عليه وآله : كَادَ الْفَقْرُ أَنْ يَكُونَ كُفْراً وَكَادَ الْحَسَدُ أَنْ يَغْلِبَ الْقَدَرَ

«كاد» و«عسى» كلاهما من أفعال المقاربة، وكاد [مشبّه بعسى وعسى مشبّه] بلعلّ[٣] فلذلك لا تنصرف، لأنّه مشبّه بحرف والحرف لا يتصرّف، و«كاد» أشدّ مقاربة من «عسى» وإنّما لم يأت من «عسى» الفعل المضارع، لأنّ فيه معنى الطمع والطمع لا يصحّ إلّا في المستقبل، فلو بني منه المضارع لصلح للحال والاستقبال معاً، والطمع لا يصحّ في الحال، فلذلك اقتصر فيه على الماضي، و«عسى» ترفع الاسم وتنصب الخبر، إلّا أنّ خبره لا يكون إلّا فعلاً مضارعاً يدخله «أن»، وكذلك «كاد» يرفع الاسم وينصب الخبر، ومن شرط[٤] كاد أن لا يدخل على خبره «أن»، كقولك: كاد زيد، وقال تعالى: «وَإِنْ يَكادُ الَّذِينَ كَفَرُوا

---

١. الطلاق: ٣.

٢. هود: ٦.

٣. كذا في البحار وفي خ: وكاد مشبّهة بلعلّ.

٤. في البحار: شروط.

لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصارِهِمْ»[١]، «وكادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَداً»[٢]، وهذا إذا كان للحال، وإن كان للاستقبال شبّه بعسى فأدخل على خبره «أن»، كما قال: «قد كاد من طول البلى أن يمصحا»[٣]. فهذا ما علّقناه على شيخنا أبي الحسن النحويّ رحمه الله.

٢٥٧

ومعنى الحديث ـ والله أعلم ـ: أنّه إشارة *إلى أنّ الفقير يسفّ[٤] إلى المآكل الدنيّة والمطاعم الوبيّة[٥]، وإذا وجد أولاده يتضوّرون[٦] من الجوع والعرى ورأى نفسه لا تقدر على تقويم أودهم[٧] وإصلاح حالهم والتنفيس عنهم، كان بالحريّ أن يسرق ويخون ويغصب وينهب ويستحلّ أموال الناس ويقطع الطريق ويقتل المسلم أو يخدم بعض الظلمة، فيأكل ممّا يغصبه ويظلمه؛ وهذا كلّه من أفعال من لا يحاسب نفسه ولا يؤمن بيوم الحساب، فهو قريب أن يكون كافراً بحتاً.

وفي الأثر: «عجبت لمن له عيال وليس له مال، كيف لا يخرج على الناس بالسيف»[٨].

وقوله عليه السلام: «كَادَ الْحَسَدُ أَنْ يَغْلِبَ الْقَدَرَ»، المعنى أنّ للحسد تأثيراً قويّاً في النظر في إزالة النعمة عن المحسود أو التمنّي لذلك، فإنّه ربّما يحمله حسده على قتل المحسود وإهلاك ماله وإبطال معاشه، فكأنّه سعى في غلبة المقدور، لأنّ الله تعالى قد قدّر للمحسود الخير والنعمة وهو يسعى في إزالة ذلك عنه.

وقيل: الحسد منصف، لأنّه يبدأ بصاحبه.

---

١. القلم: ٥١.

٢. الجنّ: ١٩.

٣. قاله رؤبة، راجع: كتاب سيبويه: ١٦٠/٣؛ أدب الكاتب: ٣٢٣؛ خزانة الأدب: ٣٥٠/٩.

٤. يتتبّع ويدنو ويقارب.

٥. كثيرة الوباء.

٦. التضوّر: التلوّي والصياح من وجع الضرب أو الجوع.

٧. الأود: العوج والكدّ والتعب.

٨. لم أقف على مصدره.

وقيل: الحسود لا يسود.[١]

وقيل: الحسد يأكل الجسد.[٢]

وقال الشاعر:

اصْبِرْ على حسدِ الحَسودِ فــإنَّ صَــبرَكَ قــاتِلهْ
يَــكفيكَ مِــنْهُ بِــأَنَّهُ حَــيٌّ تَمــوتُ مَــفَاصِلُهْ
كــالنارِ تــأكُلُ نــفسها إن لم تجِـدْ مـا تـأكُلُـهْ[٣]

و«كاد» يعطي أنّه قرب الفعل ولم يكن، ويفيد في الحديث شدّة تأثير الفقر والحسد وإن لم يكونا يغلبان القدر، ويقال: إنّ «كاد» إذا وجب[٤] به الفعل دلّ على الامتناع والنفي، وإذا نفى دلّ على الوقوع.

وقال شاعرهم:

أنحـويَّ هَـذَا الدهـر مَـا هِـيَ لَفـظَةٌ آتَتْ بِــلِسَانَيْ[٥] جُــرْهُمٍ وَثمُــودِ
إذَا نُـفِيتْ – والله أعْـلَمُ – أُوجِـبَتْ وَإنْ أُوجِـبَتْ قَـامَتْ مَقَامَ جُـحُودِ[٦]

وهو كما قال ﷺ: «كادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَداً»[٧]، والمعنى أنّهم لم يكونوا، وقال تعالى: «وَما كادُوا يَفْعَلُونَ»[٨]، وقد ذبحوا.

وفائدة الحديث إعلام أنّ الفقر من أصعب الأشياء ومكابرته من أهول الأمور، وأنّ

---

١. قاله ذو النون المصريّ؛ راجع: البصائر والذخائر: ١٧١/٤؛ تفسير الثعلبي: ٦٣/٣؛ التمثيل والمحاضرة: ٩٢.
٢. قاله حذيفة بن اليمان؛ راجع: الإمتاع والمؤانسة: ٣١٤؛ البصائر والذخائر: ٢٣٧/٤؛ نثر الدرّ: ٧٨/٢.
٣. قاله عبد الله بن المعتزّ؛ راجع: العقد الفريد: ١٦٢/٢؛ نهاية الأرب: ٩٥/٣؛ وراجع ديوانه: ٧٨٠.
٤. في البحار: أوجب.
٥. في المصادر: جرت في لساني.
٦. قاله أبو العلاء المصريّ؛ راجع: زاد المسير: ٤٤/١؛ مغني اللبيب: ٨٦٨؛ فيض القدير: ٥٤١/٤.
٧. الجنّ: ١٩.
٨. البقرة: ٧١.

الحسد أمره شديد، والحديث متضمّن للنهي عنه. وراوي الحديث أنس بن مالك.

قوله صلى الله عليه وآله: خصَّ البَلاءُ بِمَنْ عَرَفَ النَّاسُ وَعَاشَ فِيهِمْ مَنْ لَمْ يَعْرِفْهُمْ

هذا إشارة إلى أنّ الإنسان إذا خالط الناس وداخلهم لزمه من المؤن[١] ما لا يلزمه إذا تقاعس عنهم وتباعد عن مباسطتهم ورضي بالخمول والتنزّه، فإنّه إذا فعل ذلك ربح مساعدتهم والدخول في أشغالهم وشكاية الشاكين وزيارتهم وعيادة مرضاهم وإدانتهم والخوض [٢٥٨] فيما يخوضون فيه.

وقال الباقر أو غيره من أهل البيت عليهم السلام: «اجتهد أن تعرف الناس ولا يعرفوك»[٢].

وفي كلام بعض خلفاء بني العبّاس، وقد سأل أصحابه: أيّ الناس أطيب عيشاً؟ قالوا: أمير المؤمنين. قال: ما فعلتم شيئاً، ثمّ قالوا: الوزير، قال: لا، ولكنّ من لم نعرفه ولا يعرفنا[٣].

وقد قيل: كثرة المعارف معجزة وذلك أنّه إذا كُثرت معارفُه عجز عن أداء حقوقهم، فإمّا أن يقوم بها فيجحف بنفسه وماله وإمّا أن يتغافل عنها فيمقت؛ فالأولى أن يعتزل ويقبل على ما خلق له حتّى إذا أدركه الوعد الموعود فرح واستأنس به، ولم يلق نفسه إلى الرجوع إلى الدنيا الدنيّة.

وفائدة الحديث الحثّ على العزلة واختيار الخمول والتواضع والإقبال على العبادة. وراوي الحديث جعفر بن محمّد الصادق عن أبيه عن آبائه عن النبيّ ـ صلّى الله عليه وعليهم ـ.

قوله صلى الله عليه وآله: يُطْبَعُ المؤْمِنُ عَلَى كُلِّ خُلُقٍ لَيسَ الخيَانَةَ

---

١. جمع المؤونة.

٢. لم أقف على مصدره.

٣. راجع: تاريخ بغداد: ١٦٩/٧؛ المنتظم: ١٨٢/١١؛ تاريخ الخلفاء: ٣٥٣.

وَالكِذْبَ

«الخيانة»: مخالفة الحقّ بنقض العهد في السرّ، ونقيضه الأمانة، و«الكذب» أن يكون المخبر بخلاف ما المخبَر عنه عليه؛ وليس الغرض بذلك أنّ المؤمن لا يقدر على ذلك ولا يمكن أن يخون أو يكذب، بل المعنى أنّه لا يختار المؤمن هذين الخلقين الرذلين، ولا يطبع عليهما ولا يتّخذهما عادةً وديدناً، و«ليس» هاهنا من أدوات الاستثناء، تقول: جاء القوم ليس زيداً، كأنّك قلت: إلّا زيداً.

وروى عبد الله بن جراد قال: «قلت: يا رسول الله! المؤمن يزني؟ قال عليه السلام: قد يكون ذلك، قال: قلت: يا رسول الله! المؤمن يكذب؟ قال: لا، قال الله تعالى: «إِنَّما يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآياتِ اللهِ وَأُولئِكَ هُمُ الْكاذِبُونَ»».[1]

وقال بعضهم: «لو لم أترك الكذب تأثّماً لتركته تكرّماً»[2].

وفي كلام بعض الأكابر: قد ترأّس في العرب الصغير والفقير والمؤوف ولا يترأّس الكاذب.[3] والكذب من مهانة النفس.

وقيل لبعض العلويّين: كذبت، فقال: والله لو كنت غلام من أنا ابنه لما كذبت.[4]

وفائدة الحديث تهويل أمر الكذب والخيانة. وراوي الحديث عبد الله بن عمر بن الخطّاب.

قوله صلّى الله عليه وآله: تَبْنُونَ مَا لا تَسْكُنُونَ وَتَجْمَعُونَ مَا لا تَأكُلُونَ

١. الدعوات: ١١٨، ح٢٧٥؛ بحار الأنوار: ٢٦٣/٦٩، ح٤٧؛ وراجع: تفسير الثعلبي: ٤٤/٦؛ تفسير البغوي: ٨٥/٣ـ٨٦؛ والآية في النحل: ١٠٥.

٢. البصائر والذخائر: ٣٥/١؛ نثر الدرّ: ١٢٠/٤؛ شرح نهج البلاغة: ٢١٨/٦؛ نهاية الأرب: ٣٣١/٣.

٣. لم أقف عليه.

٤. لم أقف عليه.

وَتَأْمُلُونَ مَا لا تُدْرِكُونَ

هذا الكلام لعمري صفة أهل الدنيا وما هم فيه من الشحّ المطاع والإخلاد إلى الدنيا الغرّارة والسكون إلى ظلّ الأمانيّ الكاذبة، وإلّا فالذي يموت غداً ويسكن لحداً ما أغناه عن الطاق[١] *والرواق وتشييد القصور وتنجيد[٢] الدور حتّى إذا أزعجه عنها مكدّر اللذّات ومنغّص[٣] الشهوات تبحبح[٤] فيها أعداؤه وزحزح عنها أبناؤه؛ والذي تتغيّر أحواله فيُقتسم عن تغميض عينيه[٥] أموالُه حريّ أن لا يُشقي نفسه بما يعود غداً بضيره[٦] ويصير لغيره ولعلّه يسعد فيما فيه يشقى فارغ البال عمّا لقي والذي لا يستيقن أنّ النفس مستأنف له قَمَنٌ[٧] أن يقصّر أمله إلّا أنّ الغرور قد شملنا والإدبار قد عمّنا والشقاوة قد أحاطت بنا.

٢٥٩

وروي أنّ أبا الدرداء رضي الله عنه قال لأهل الشام: «اسْمَعُوا مِنْ أَخٍ لَكُمْ نَاصِحٌ حتّى متى تَجْمَعُونَ مَا لَا تَأْكُلُونَ، وَتُؤَمِّلُونَ مَا لَا تُدْرِكُونَ، وَتَبْنُونَ مَا لَا تَسْكُنُونَ، فقد كانَ مَن قبلَكُم بَنَوا شَدِيداً وَأَمَّلُوا بَعِيداً وَجَمَعُوا كَثِيراً ، فَأَصْبَحَ جَمْعُهُمْ بُوراً، وَأَمَلُهُمْ غُرُوراً، وَبُيُوتُهُمْ قُبُوراً؛ ألا أنَّ عاداً ملأت ما بين عمّان إلى صنعاء أموالاً وأولاداً، من يشتري منّي ما تركت عاد بدرهمين؟!»[٨].

وفائدة الحديث التحذير من إشادة الأبنية وعقد الأندية والجمع والمنع وإطالة الأمل

---

١ . ما عطف من الأبنية.

٢ . تزيين.

٣ . مكدّر.

٤ . توسّطم تمكّن في المقام والحلول.

٥ . غمّض عينه: أطبق جفنيها.

٦ . بضرّته.

٧ . خليق وجدير.

٨ . مصنّف ابن أبي شيبة: ١١٠/٧، ح ٣٤٥٨١؛ قصر الأمل: ١٧٠، ح ٢٦١؛ حلية الأولياء: ٢١٧/١ـ٢١٨؛ شعب الإيمان: ٣٩٨/٧، ح ١٠٧٤٠؛ تاريخ مدينة دمشق: ١٣٣/٤٧.

وإساءة العمل، والإشارة إلى عاقبة ذلك ومصيره. وراوي الحديث الحكم بن عمير.

قوله ﷺ: كَمْ مِنْ مُسْتَقْبِلٍ يَوْماً لا يَسْتَكْمِلُهُ وَمُنْتَظِرٍ غَداً لا يَبْلُغُهُ

هذا الحديث قريب المعنى من الذي قبله، يقول ﷺ؛ «الاستقبال»: التوجّه نحو القبل، وهذه من أفصح الكنايات عن الداخل في اليوم.

يقول ﷺ: ما أكثر من استقبل يومه دخل في شروقه ولم يستغرق بياضه فإن قُبِض دون ذلك، وكذلك ما أكثر من أمل وبلوغ عمل فكان مبيته سواء لحده.

وهذا إنذار منه ﷺ وتحذير من الدنيا وأحوالها والسكون إليها مع كثرة أهوالها.

وفائدة الحديث إعلام أنّ الدنيا دار نقلة ومحلّ قُلعة وتجوّز الهقل الركون إليها والتعمّد عليها. وراوي الحديث عبد الله بن عمر، قال: «وَعَظَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا مَنِ الْمَوْتُ غَايَتُهُ! وَيَا مَنِ الْقَبْرُ مَنْزِلُهُ! وَيَا مَنِ الْكَفَنُ سِتْرُهُ، وَيَا مَنِ التُّرَابُ وِسَادُهُ! يَا مَنِ الدُّودُ جِيرَانُهُ! يَا مَنِ الْمُنْكَرُ وَالنَّكِيرُ زُوَّارُهُ! يَا مِنِ الْمُوَدِّعُ[1] غَداً عُرْسَهُ! كَمْ مِنْ مُسْتَقْبِلٍ يَوْماً لا يَسْتَكْمِلُهُ، وَمُنْتَظِرٍ غَداً لا يَبْلُغُهُ، لَوْ نَظَرْتُمْ إِلَى الأَجَلِ وَمَسِيرِهِ لأَبْغَضْتُمُ الأَمَلَ وَغُرُورَهُ»[2].

٢٦٠ قوله ﷺ: عَجِبْتُ لِغَافِلٍ وَلا يُغْفَلُ عَنْهُ وَعَجِبْتُ * لِمُؤَمِّلِ الدُّنيَا وَالمَوتُ يَطْلُبُهُ وَعَجِبْتُ لِضَاحِكٍ مِلْءَ فِيهُ وَلا يَدْرِي أَأَرضَى اللهُ أَمْ أَسْخَطَهُ

«الغفلة»: سهو يعتري الإنسان من قلّة التحفّظ، و«الضحك»: انبساط الوجه وانفتاح الفم من السرور، يقال: ضحِك يضحَك ضَحكاً وضِحكاً أربع لغات، والضحك قيل إنّه من قبيل

١ . في المصادر: يا أيّها المودّع.

٢ . مسند الشهاب: ١/٣٤٥، ح٥٩٣؛ الفردوس: ٣/٣٠٤، ح٤٩١٣ و٥/٢٩٩، ح٨٢٤٣.

الاعتقاد وقيل: إنّه لا يضحك من الحيوان إلّا الإنسان والقرد، وقد تقدّم ذكر ذلك.

يقول صلى الله عليه وآله: عجبت لمن يغفل عن أموره الأخرويّة من يُسهّل القبر والحساب والنشور والسؤال في عرصة القيامة والوقوف بين كفّتي الميزان وتطاير الكتب والجواز على الصراط والترجّح بين رجاء الرحمة ومخافة العذاب، وكلّ ذلك بين يدي العبد والله تعالى غير غافل عنه وكلّ ما يشرع فيه فهو يعينه عزّ وعلا ؛ وعجبت من أمّل الدنيا وحبس نفسه على حبّها وقصر أوقاته القصيرة العزيزة على طلبها، عنها ينافح[1] وعليها يكادح، والموت يراصده صباحاً ومساءً، وعجبت لمن يستغرب ضحكاً وهو لا يعلم أيرضى الله تعالى ضحكه هذا أم يسخطه.

وقوله عليه السلام: «ملءَ فيه» نصب بصفة مصدر محذوف، والتقدير: لضاحك ضحكاً ملءَ فيه.

وفائدة الحديث النهي عن الغفلة والاغترار والضحك، وكلّ ذلك ممّا يفتّر العبد ويباعده عن الخير. وراوي الحديث عبد الله بن مسعود.

قوله صلى الله عليه وآله: يَا عَجَباً كُلَّ العَجَبِ لِلْمُصَدِّقِ بِدَارِ الخُلُودِ وَهُوَ يَسْعَى لِدَارِ الغُرُورِ

هذا في كلام له صلى الله عليه وآله: «يَا عَجَباً كُلَّ الْعَجَبِ لِلشَّاكِّ فِي قُدْرَةِ اللهِ تعالى وَهُوَ يَرَى خَلْقَهُ، يَا عَجَباً [كُلَّ الْعَجَبِ] للمرء يكذّب[2] بِالنَّشْأَةِ الأُخْرَى وَهُوَ يَرَى الأولَى، وَيَا عَجَباً كُلَّ الْعَجَبِ لِلْمُكَذِّبِ بِنُشُورِ الْمَوْتِ وَهُوَ يَمُوتُ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ وَيَحْيَى، وَيَا عَجَباً [كُلَّ الْعَجَبِ] لِلْمُصَدِّقِ بِدَارِ الْخُلُودِ وَهُوَ يَسْعَى لِدَارِ الْغُرُورِ، وَيَا عَجَباً كُلَّ الْعَجَبِ لِلْمُخْتَالِ الْفَخُورِ وَإِنَّمَا خُلِقَ مِنْ نُطْفَةٍ، ثُمَّ يَعُودُ جِيفَةً وَهُوَ بَيْنَ ذَلِكَ لا يَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِهِ»[3].

---

١. يخاصمه.

٢. في المصدر: العجب للمكذّب.

٣. مسند الشهاب: ٣٤٧/١، ح ٥٩٥.

العجب والتعجّب: حالة تعرض للإنسان عند جهله بسبب الشيء. وقيل: العجب ما لا يعرف سببه ولا يوصف الله تعالى بذلك لأنّه عالم لذاته.

وقوله عليه السلام: «عجباً» الألف فيه بدل من الياء لأنّهم كثير ما يقرّبون من الكسرة إلى الفتحة طلباً للخفّة؛ كأنّه ينادي عجب نفسه ويستحضره لما يرى ويستبدع؛ وهذا على التشبيه والتمثيل وإلّا فالعجب لا ينادي، وهذا كقول القائل: «وهل *جزع إن قلت: وا بأباهما»[1]، أي بأبي هما مفديان بأبي، وإن كانت داخلةً على نكرة أي عجبت غاية العجب. ويجوز أن يكون «كلّ العجب» بدلاً من «عجبي»، ويجوز أن يكون حالاً من «عجبي»، ويجوز أن يكون المنادى محذوفاً أي يقوم عجبت عجباً ومثل هذا كثير، ويجوز أن يكون صفة مصدر تدلّ عليه الكلام، كأنّه عليه السلام قال: أعجب عجباً كلّ العجب ثمّ حذف فقال: أعجب كلّ العجب، ويجوز أن يكون الألف للنُدبة.

[٢٦١]

يقول صلى الله عليه وآله: أي أقضي العجب لإنسان يصدّق بالآخرة ويعتقد صحّتها ويؤمن بها وأنّها لا بدّ كائنة خالدة، وهو مع علمه به واعتقاده لم يكدّ نفسه سعياً في دار الغرور التي هي الدنيا الخدّاعة المكّارة الغرّارة، وهو على ثقة أنّها زائلة وعلى يقين أنّه خارج منها إلى المنزل الأبديّ الذي لا يفارق.

وفائدة الحديث الحثّ على التنبّه وترك السعي للدنيا الفانية. وراوي الحديث عبد الله بن مِسْوَر[2] الهاشميّ.

قوله صلى الله عليه وآله: عَجَباً لِلْمُؤمِنِ فَوَاللهِ لا يَقْضِي اللهُ لِلْمُؤمِنِ قَضَاءً إِلَّا كَانَ خَيْراً لَهُ

ويروى: «عجباً له»، قوله عليه السلام: «عجباً» مصدر فعل محذوف أي عجبت، عجباً.

---

١. راجع: الجمل في النحو: ١٠٦؛ شرح صحيح البخاري: ٤٥١/١؛ شرح ديوان الحماسة: ٣٣٣/١.

٢. كذا في المصدر، وفي خ: مسعود؛ هو عبد الله بن مِسْور بن عون بن جعفر بن أبي طالب، أبو جعفر الهاشميّ، راجع: لسان الميزان: ٣٦٠/٣.

يتعجّب صلى الله عليه وآله لأمر المؤمن وصنع الله تعالى به واختياره له، ويقول: إنّه عزّ وجلّ لا يقضي له قضاءً إلّا كان له خيرة، فإن أمرضه كان حطّةً لذنوبه، وإن أصحّه كان تمكيناً له من الطاعات، وإن أماته كان مقطعةً لاقترافه المعصية وتقريباً له إلى الرحمة، وإن أفقره كان مجدرةً للرحمة، وإن أعاشه كان إقداراً له على الخير ومحسمة[1] لارتكاب الكبائر، وإن أغناه كان إعانة له على الطاعات؛ وكذلك جميع ما صدر من أفعاله الحكميّة «لا يُسْئَلُ عَمّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ»[2].

وروي أنّ رجلاً من أهل الكوفة سقط من سطح داره فانكسرت رِجلاه وأقعد فجعل يقول: لعلّه خيرة، فقالت له زوجته: فأيّ خيرة في زمانتك، فلمّا استنفر عبيد الله بن زياد أهل الكوفة لقتال أبي عبد الله الحسين بن عليّ عليهما السلام قال لزوجته: كيف ترين الخيرة؟![3]

وفائدة الحديث أنّ قضاء الله تعالى خيراً أو كان شرّاً في الصورة يعود على العبد المؤمن بالخير لرحمته وشفقته على خلقه. وراوي الحديث أنس بن مالك.

قوله صلى الله عليه وآله : اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَلا يَزْدَادُ النَّاسُ عَلَى الدُّنْيَا إلَّا حِرْصاً وَلا يَزْدَادُ مِنْهُمْ إلَّا بُعْداً

٢٦٢

«الساعة» أصلها جزء من أجزاء الزمان وهي * في الحديث القيامة، قال تعالى : «وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ ما لَبِثُوا غَيْرَ ساعَةٍ»[4]، فجمع المعنيين، ووجه تشبيهها بالساعة إمّا سرعة الحساب أو لمستفاد قوله ـ عزّ وعلا ـ: «كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ ما يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إلّا ساعَةً مِنْ نَهارٍ»[5]. و«زاد» يتعدّي ولا يتعدّي، تقول: زاد الشيء وزدته أنا، وكذلك ازداد

١. منقطعة ومانعة

٢. الأنبياء: ٢٣.

٣. لم أقف على مصدره.

٤. الروم: ٥٥.

٥. الأحقاف: ٣٥.

يتعدّي ولا يتعدّي، تقول: ازداد الشيء وازددتُه، قال تعالى: «وَازدَادُوا تِسْعاً»[١]، وقال ـ عزّ وعلا ـ: «وَما تَغيضُ الْأَرْحامُ وَما تَزْدادُ»[٢]، لا بدّ من تعدّيه لمقابلته الغيض وهو النقص، يقال: نقصته نقصاً فنقص نقصاناً. وقوله عليه السلام: «إلّا حرصاً» يكون مفعولاً ويجوز أن يكون تمييزاً.

يقول صلى الله عليه وآله: قد أظلّت[٣] القيامة وحان وقتها وأزف هجومها والناس في طلب الدنيا، لا ينقص دنوّها من حرصهم عليها وتهالكهم على حطامها مع تجافيها عنهم وفرارها منهم، وذلك لأنّ كلّ من على بسيط الأرض راغب فيها غير راغب عنها مستزيد لها ولو جمع ملكها ومِلكها، إلّا من عصمه الله بفضله وهداه برحمته وعرّفه عاقبة أمره ووفّقه للرشد والصلاح.

وفائدة الحديث ذمّ الحرص والانقطاع إلى الدنيا، وإعلام أنّ الدنيا لا تدرك على مراد الحريص.

وراوي الحديث عبد الله بن مسعود.

قوله صلى الله عليه وآله: يَهْرَمُ ابْنُ آدَمَ وَيَشِبُّ مِنْهُ اثْنَتَانِ: الْحِرْصُ عَلَى الْمالِ وَالْحِرْصُ عَلَى الْعُمُرِ

الهَرَم: كبر السنّ، والحرص: فرط الشره وفحش الطلب، والعُمُر: بقاء الإنسان معمور الجسد، وقد يخفّف ويقال: عمر.

يقول صلى الله عليه وآله: إنّ ابن آدم مادام في قيد الحياة فإنّه لا يفارقه الإفراط في حبّ المال والعمر، لأنّهما جميعاً غير مملوكين، فهاتان الخلّتان منه أبداً في رَوْق الشباب[٤] وإن تداعا جسمه وأَلَتَ[٥] بنيته وضعفت قوّته.

---

١. الكهف: ٢٥.

٢. الرعد: ٨.

٣. دنَتْ.

٤. روق الشباب: ذوّله ورونقه.

٥. ألَتَ: نقص.

وفائدة الحديث إعلام أنّ ابن آدم لا ينتهي حرصه على المال والعمر، ونهيه عن ذلك لأنّه لم يخلق ليجمع المال ولا يسأل إكلاء العمر[1]. وراوي الحديث أنس بن مالك.

قوله صلى الله عليه وآله: جُبِلَتِ الْقُلُوبُ عَلَى حُبِّ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهَا وَبُغْضِ مَنْ أَسَاءَ إِلَيْهَا

أصل «الجبل» الخَلْق والإحداث، وأصل «ج ب ل»: الكثافة، يقال: فلان ذو جِبْلة ـ بالكسر ـ إذا كان غليظاً، ومال جُبل أي كثير، وامرأة مِجْبال أي غليظة [الخَلْق]، وشيء جَبِل ※أي غليظ، والجُبْلة: السنام[2].

٢٦٣

ومعنى الحديث: أنّ الله تعالى سخّر القلوب لحبّ المحسن وبغض المسيء من غير أن يختار ذلك، بل على طريق المبادهة. و«الحبّ»: استيناس النفس إلى المرغوب فيه، وهو ضدّ البغض فإنّه نفار النفس عن المرغوب عنه.

وفائدة الحديث الحثّ على الإحسان والمنع من الإساءة، وإعلام أنّ الإحسان يزرع في الصدور المودّات، والإساءة تزرع فيها البغض والعدوات. وراوي الحديث عبد الله بن مسعود، روى محمّد بن عبد الرحمن القرشيّ قال: «كُنْتُ عِنْدَ الأَعْمَشِ، فَقِيلَ: إنَّ الْحَسَنَ بْنَ عُمَارَةَ وَلِيَ الْمَظَالِمَ، فَقَالَ الأَعْمَشُ: يَا عَجَباً مِنْ ظَالِمٍ وَلِيَ الْمَظَالِمَ، مَا لِلْحَائِكِ مِنَ الْحَائِكِ وَالْمَظَالِمِ؟ فَخَرَجْتُ فَأَتَيْتُ الْحَسَنَ بْنَ عُمَارَةَ، فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: عَلَيَّ بِمِنْدِيلٍ وَأَثْوَابٍ فَوَجَّهَ بِهَا إِلَيْهِ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ بَكَّرْتُ إِلَى الأَعْمَشِ، فَقُلْتُ: أُجْرِي الْحَدِيثَ قَبْلَ أَنْ يَجْتَمِعَ النَّاسُ ـ يَعْنِي حديث الحسنِ بنِ عُمارةِ ـ فَأَجْرَيْتُ ذِكْرَهُ، فَقَالَ: بَخٍ بَخٍ، هَذَا الْحَسَنُ بْنُ عُمَارَةَ زَانَ الْعَمَلَ وَمَا زَانَهُ، فَقُلْتُ: بِالأَمْسِ قُلْتَ مَا قُلْتَ، وَالْيَوْمَ تَقُولُ هَذَا، فَقَالَ: دَعْ هَذَا عَنْكَ، حَدَّثَنِي خَيْثَمَةُ، عَنْ عَبْدِ اللهِ أَنّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله قَالَ: جُبِلَتِ الْقُلُوبُ عَلَى حُبِّ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيهَا، وَبُغْضِ

١. أكلأ العمر: آخره وأبعده.

٢. كذا في المصادر اللغويّة، وفي خ: الشأم.

مَنْ أَسَاءَ إِلَيْهَا»[١].

قوله ﷺ: جَفَّ القَلَمُ بِالشَّقِيّ وَالسَّعِيدِ وَفَرَغَ مِنْ أَرْبَعٍ: مِنَ الخَلْقِ وَالخُلُقِ والأَجَلِ وَالرِّزْقِ

الجفاف: اليبس، وقد جَفّ يجِفّ جَفافاً وجُفُوفاً، والسعادة: المعونة الربّانيّة على درك الخير وتُضادّها الشقاوة، ويقول: سَعَد يومنا ـ بالفتح ـ يسعَد سعوداً، واستسعدتُ بطلعته أي عددته سعْداً، وسعِد الرجل ـ بالكسر ـ فهو سعيد، وسُعِد فهو مسعود، وأسعده الله فهو مسعود، والإسعاد: الإعانة، وكذلك المساعدة؛ وشقي شقاوةً ضدّ سعد سعادةً؛ والخَلْق: الهيأة المدركة للشيء، والخُلُق ـ وقد يسكن ـ: السجيّة المخلوقة عليها؛ والأجل: المدّة المسمّاة، ويكنى به عن الموت لأنّه انتهاء لأجل الحياة؛ و«جفاف القلم» في هذا الحديث كناية عن الفراغ، يقول: كتب في علم الله تعالى وجفّ القلم المكتوب به شقاوة الشقيّ وسعادة السعيد وفُرغ من الأربع المذكورة، ويجوز أن يكون هذه الكناية في اللوح المحفوظ، ويجوز أن يكون كناية عن الحفظ، كما يقول: كلّما تعمله عندي أي علمي محيط بجميع ذلك، والتقدير جفّ القلم بإثبات الشقاوة والسعادة للشقيّ والسعيد.

٢٦٤ *والمعنى: أنّ الله تعالى عالم فيما لم يزل شقاوة الشقيّ وسعادة السعيد، وكذلك الأربع المفروغ منها المعنى فرغ من العلم بها، كأنّه عليه السلام قال: وفرغ من علم أربع، وذكر الفراغ تقريب في اللفظ ومجاز في ذلك لأنّ الفراغ والشغل لا يتصوّران هاهنا.

وفائدة الحديث إثبات علم الله تعالى بكلّ ما سيكون من الأحوال، وأنّه لم يزل كان عالماً بجميع المعلومات. وراوي الحديث عبد الله بن مسعود.

---

١. مسند الشهاب: ٣٥٠/١، ح٥٩٩؛ وراجع: جمهرة الأمثال: ٣٢٣/١، ح٤٧١؛ التدوين في أخبار قزوين: ١٧٢/٤.

قوله صلى الله عليه وآله: فَرَغَ اللهُ إِلَى كُلِّ عَبْدٍ مِنْ خَمْسٍ: مِنْ عَمَلِهِ وَأَجَلِهِ وَأَثَرِهِ وَمَضْجَعِهِ وَرِزْقِهِ، لا يَتَعَدَّاهُنَّ عَبْدٌ

«فرغ الله» أي تقرّر علمه محيطاً بالعبد وأحواله، كمن يفرغ إلى الشيء غير مشغول عنه، فيكون أحوط له، وهذا مجاز، لأنّه تعالى لم يكن مشغولاً فيفرغ؛ ومعنى الفراغ إحاطة العلم، كأنّه إخبار عن أنّه تعالى لا يستفيد علم ما لم يعلم لأنّه عالم بكلّ معلوم، و«من» يتعلّق بفراغ ، و«إلى» تتعلّق بمحذوف، كأنّه فرغ الله عامداً إلى العبد بإعلامه أنّه لم يزل محيطاً بذلك ملقياً إليه علمه بهذه الخمس. وإنّما قال: «الخمس» ولم يقل: الخمسة، لأنّها بمعنى الأحوال، فعلمه ما يحدث منه من الخير والشرّ؛ و«أجله»: موته، يعلم تعالى كيفيّته؛ و«أثره»: ما[1] يسنّه فيبقى بعده، كما قال تعالى: «وَنَكْتُبُ ما قَدَّمُوا وَآثارَهُمْ» [2]؛ و«مضجعه»: قبره؛ و«رزقه»: ما يقوته.

والمعنى: أنّ الله تعالى كان عالماً فيما لم يزل بهذه الأحوال ومصارفها، ولا تكاد يكون بخلاف ما أحاط به علمه، لأنّه يعلم الشيء كما يكون فلا يكون بخلاف ما يعلم. وقوله عليه السلام: «لَا يَتَعَدَّاهُنَّ» أي لا يتعدّي علمهنّ أي علم الله تعالى، فحذف بهنّ.

وفائدة الحديث تنكير الخلق بذلك ليكون ذكر معرفته بذلك لطفاً بهم وداعياً إلى الخير وزاجراً عن الشرّ. وراوي الحديث أبو الدرداء.

قوله صلى الله عليه وآله: جَفَّ القَلَمُ بِمَا أَنْتَ لاقٍ

قد تقدّم الكلام على معنى جفاف القلم، والتقدير قد علم الله تعالى جميع ما أنت لاقيه لم يزل لإحاطته بالأشياء، والتقدير بما أنت لاق له أو لاق إيّاه.

ومضمون هذه الأحاديث الثلاثة كلّها قريب من قريب.

---

١. في خ: وما.

٢. يس: ١٢.

وفائدة الحديث أنّ الله تعالى عالم بجميع ما سيكون وسيجري على العبد. وراوي الحديث أبو هريرة. روى الزهريّ عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنّي شَابٌّ غريب[١]، وَأنا أَخَافُ *الْفِتْنَةَ عَلَى نَفْسِي، فَذَرْنِي أَخْتَصِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله: جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا أَنْتَ لاقٍ، فَاخْتَصِ أَوْ ذَرْ»[٢]، أي أنّ الله تعالى عالم بما سيكون منك «فاختصِ أو ذر» فإنّ الاختصاء[٣] لا يردّ معلوم الله عنك.

٢٦٥

قوله صلى الله عليه وآله: تَجِدُونَ مِنْ شَرّ النَّاسِ ذَا الوَجْهينِ الّذِي يَأتِي هَؤلاءِ بِوَجْهٍ وَهَؤلاءِ بِوَجْهٍ

تقدّم الكلام [في] «تَجِدُونَ مِنْ شَرِّ النَّاسِ ذَا الْوَجْهَيْنِ[٤]».

والمعنى: أنّ المنافق ـ الذي يأتي هؤلاء بكلام وأولئك بكلام يذري على كلّ ريح وغرضه ترويج نفسه وتقضية شغله بكذبٍ يزخرفه وكلام ينمِمُه[٥] لا يأخذه الديانة ولا تعينه الأمانة ـ من شرّ الناس. وهذا كما تقدّم من قوله عليه السلام: «مَنْ كَانَ ذَا لِسَانَيْنِ فِي الدُّنْيَا»[٦].

وفائدة الحديث التحذير من النفاق وأن يكون الإنسان قليل المبالاة بالفساد والتضريب[٧] بين الناس. وراوي الحديث أبو هريرة.

---

١ . في المصدر: أعزب.

٢ . مسند الشهاب: ١/٣٥٣، ح٦٠٣؛ وراجع: صحيح البخاري: ٥/١٩٥٣، ح٤٧٨٨؛ مسند أبي عوانة: ٣/٨٠، ح٤٠٠٧.

٣ . الخصاء، وهو سلّ الخصيتين ونزعهما.

٤ . كذا نصّ الحديث في المصادر، وفي خ: ذا الوجهين من شرّ الناس.

٥ . نمّ الكلام: زيّنه بالكذب.

٦ . تقدّم في ج١، ص ٣٦٧.

٧ . ضرّب بين القوم: أغرى بعضهم ببعض.

قوله صلى الله عليه وآله: يَذْهَبُ الصَّالِحُونَ أَسْلافاً الأَوَّلُ فَالأَوَّلُ حَتَّى لا يَبْقَى إِلَّا حُثَالَةٌ كَحُثَالَةِ التَمْرِ وَالشَّعِيرِ لا يُبَالِي اللهُ بِهِمْ

«الحثالة»: الرذال من كلّ شيء، ومثله الحفالة والحشارة؛ وفي حديث آخر: «أعوذ بك أن أبقى في حَثْل من الناس»[1].

والمعنى: أنّ الصالحين يموتون فيصيرون أسلافاً شيئاً فشيئاً حتّى لا يبقى إلّا الشرار وهم الذين تقوم القيامة عليهم و«أسلافاً» نصب حال وإذا نصبت «الأوّل فالأوّل» كان بدلاً من «أسلافاً» وإذا رفعته كان بدلاً من «الصالحين».

و«المبالاة»: الاكتراث، ولا أباليه أي لا أكترث له، يقال: ما باليته وما باليت بالةً، والأصل باليةً كعافية فحذفت الياء تخفيفاً، كما قالوا في فعله: لم أُبَل ـ تخفيفاً ـ وبعضهم يقول: لم أُبَله. ورووا لي في مسند الشهاب القضاعيّ: «لا يأبى الله بهم» والوجه فيه: أنّه لا يأبه الله بهم، يقال: ما أبهتُ له وما وَبَهْتُ وما أَبِهت وما بِهت وما بُهت وما بأهت وما بهأت أي لم أحفله.[2] وفي الحديث: «رُبَّ ذِي طِمْرَيْنِ، لا يُؤْبَهُ لَهُ»[3]، تقول: أَبَهَ له يأبه أبهاً وكان الأبّهة من هذا فأبدل من الهاء ألفاً طلباً للتخفيف.

وفائدة الحديث إعلام أنّ الناس إلى التراجع وأنّه لا يزال الأخير شرّاً حتّى لا يبقى من الناس إلّا الرُذال الذين لا يبالي بهم. وراوي الحديث مِرْداس الأسلميّ.

٢٦٦ *قوله صلى الله عليه وآله: يُبْصِرُ أَحَدُكُمُ القَذَى في عَيْنِ أَخِيهِ وَيَدَعُ الجِذْعَ في عَيْنَيْهِ

«القذى»: ما يسقط في العين، وقد قَذِيت عينُه تقذى قذىً: صار فيها، وقذت تقذي قذْياً

---

١. قاله أنس بن مالك، راجع: غريب الحديث لابن قتيبة: ٣٧٠/١، ح٦٨؛ المخصّص: ٢٩٧/١؛ الفائق: ٢٦٠/١.

٢. راجع: ترتيب إصلاح المنطق: ٧؛ إصلاح المنطق: ٢١١ـ٢١٢؛ تهذيب اللغة: ٢٤٢/٦ـ٢٤٣؛ حفل الأمر وبه: عُني وبالى.

٣. مسند ابن أبي شعبة: ٢٧٥/١، ح٤١٤؛ مسند البزار: ٤٠٤/٥، ح٢٠٣٥؛ الفردوس: ٢٦٨/٢، ح٣٢٤٦؛ كنز العمّال: ٦٤/٣، ح٥٩٢٦.

[فهي] قَذِيَة[1]. و«الجذع»: الغصن الكبير من جذوع النخل.

يقول عليه السلام: إنّ الإنسان غير منصف يعمي عن عيب نفسه فلا ينتبه له ولا يلتفت إليه بل يتغافل عنه ويتعامى عن إدراكه وإن كان عظيماً، ويستشفّ أخاه[2] إذا عثر بأدنى هَنَةٍ من هَنَاته أخذ يَشيعَها[3] ويشيّع عليه بها[4] تاركاً سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله في قوله: «طُوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ»[5]، فجعل القذى والجذع مثلاً لعيبه وعيب غيره.

وفائدة الحديث النهي عن التسامح في عيب نفسه والتنفير عن عيوب غيره. وراوي الحديث أبو هريرة.

قوله صلى الله عليه وآله: كَبُرَتْ خِيَانَةً أَنْ تُحَدِّثَ أَخَاكَ حَدِيثاً هُوَ لَكَ بِهِ مُصَدِّقٌ وَأَنْتَ لَهُ كَاذِبٌ

تقدير الكلام: كبرت الخيانة خيانةً، فـ«كبرت» مقدّرة تقدير نعم، و«خيانة» تمييز لفاعل «كبرت»، و«أن تحدّث» تقديره: تحديثك أخاك، وهو بدل من الخيانة المقدّرة.

والمعنى: ما أذهب في الخيانة وأصعب في رفع الأمانة أن تحدّث أخاك بحديث يعتمد فيه على صدقك من حكم إسلامه وسلامة صدره وأنت تكذّبه. وقوله عليه السلام: «وَأَنْتَ لَهُ كَاذِبٌ» في تقدير «أنت كاذبه»،[6] فلمّا قدّم الضمير أكدّه بالسلامة.

وفائدة الحديث تهويل[7] أمر الكذب وإعظام شأنه. وراوي الحديث سفيان بن أسد[8]

---

١. في خ غير واضحة.

٢. يختبره ويفصحه.

٣. يظهرها وينتشرها.

٤. شيّع به: أذاعه.

٥. الكافي: ١٦٩/٨، ح ١٩٠؛ وراجع: مسند البزار: ٣٤٨/١٢، ح٦٢٣٧؛ حلية الأولياء: ٢٠٣/٣؛ كنز العمّال: ٣٦٥/١٥، ح ٤٣٤٤٤.

٦. في خ: كاذبة.

٧. هوّل الأمر تهويلاً: شنّعه وبالغ فيه حتّى جعله هائلاً.

٨. كذا في خ وفي بعض المصادر؛ ولكن في مسند الشهاب وأكثر المصادر: «أسيد».

الحضرميّ.

قولهصلى الله عليه وآله: كَأَنَّ الْحَقَّ فِيهَا عَلَى غَيْرِنَا وَجَبَ وَكَأَنَّ الْمَوْتَ فِيهَا عَلَى غَيْرِنَا كُتِبَ وَكَأَنَّ الّذي يشيّعُ مِنَ الْأَمْوَاتِ سَفْرٌ عَمَّا قَلِيلٍ إِلَيْنَا عَائدون نُبَوِّئُهُمْ أَجْدَاثَهُمْ وَنَأْكُلُ تُرَاثَهُمْ كَأَنَّا مُخَلَّدونَ بَعْدَهُمْ قَدْ نَسِينَا كُلَّ وَاعِظَةٍ وَأَمِنَّا كُلَّ جَائِحَةٍ، طُوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ وَأَنْفَقَ مِنْ مَالٍ اكْتَسَبَهُ مِنْ غَيْرِ مَعْصِيَةٍ وَخَالَطَ أَهْلَ الْفِقْهِ وَالْحِكْمَةِ وَجَانَبَ أَهْلَ الذُّلِّ وَالمَعْصِيَةِ طُوبَى لِمَنْ ذَلَّ فِي نَفْسِهِ وَحَسُنَتْ خَلِيقَتُهُ وَأَنْفَقَ الْفَضْلَ مِنْ مَالِهِ وَأَمْسَكَ الْفَضْلَ مِنْ قَولِهِ وَوَسِعَتْهُ السُّنَّةُ وَلَمْ يَعْدُهَا إِلَى بِدْعَةٍ

٢٦٧

لو كان في الدنيا كلام يأخذ *مجامع القلوب ويلجئ إلى ترك الذنوب وتجنّب العيوب لكان هذا، ولعمري أنّه وعظ يُغني عمّا سواه ويكفي ما عداه، والحقّ هاهنا الصواب في القول والعمل، و«السفْر» جمع سافرٍ مثل راكب ورَكبٍ وصاحب وصحب، وقد سفَر يسفِر سُفوراً إذا خرج إلى سفر، و«عمّا قليل» ما صلة زائدة تؤكّد الكلام، و«الجدَث» والجدَف: القبر، و«التراث»: الإرث والتاء فيه بدل من الواو كـ«تجاهك» في وجاهك، و«الواعظة»: الموعظة كالعافية والعاقبة وهو في معنى المصدر، و«الجائحة»: الشدّة، يقال: جاحتهم جائحة واجتاحَتْهم وجُحْت الشيءَ أجُوحُه إذا استأصلته، و«أهل الذلّ» هم الأذلّاء العصاة ويجوز أن يكون أهل الذلّ من يبتغي أن يذلّ ويهان، و«طوبى» فُعلى من الطيب، وقيل: هي اسم من أسماء الجنّة وقيل: هي شجرة يظلل الجنان كلّها[1]، وطوبى رفع مبتدأ والظرف خبره،

---

١. راجع: النهاية: ٣/١٤١؛ تاج العروس: ٢/١٨٩.

ويعني بقوله عليه السلام: «لمن ذلّ في نفسه» الذي استسلم لربّه وانقاد لحكمه وانكسر قلبه لموقفه بين الخوف[١] والرجاء الذين يقول الله تعالى لهم: «أنا عند المنكسرة قلوبهم»[٢]. و«الخليقة»: الطبيعة والجمع الخلائق، و«السنّة»: الطريقة التي سنّها رسول الله صلى الله عليه وآله ودعا إليها ورغب فيها، و«البدعة»: الحدث في الدين بعد إكماله.

فهذه مواعظ ومكارم علّمها رسول الله صلى الله عليه وآله أمّته في خطبة خطبها عليه السلام فقال مستبطئاً لأمّته ضامّاً لهم إلى نفسه في الموعظة: نحن غافلون غارّون في هذه الدنيا مقدّرون أنّ الحقّ فيها لازم لغيرنا زائل عنّا، وكأنّ الموت في أعناق غيرنا دوننا، وكأنّ الموتى الذين نشيّعهم إلى الأجداث غائبون منتظرو القدوم ندفنهم وننصرف إلى تركاتهم فنخضمها[٣] ونأكلها ونتّسع فيها كما نريد كأنّا باقون بعدهم أبد الآباد بخلاف الآباء والأجداد، نسينا المواعظ البالغة وأمنّا المهلكات الدامغة.

ثمّ دعا بالجنّة لمن شغله عيب نفسه عن عيب غيره، وأنفق من حلال اقتناه من وجهه، وصَاحَبَ أهل العلم ليكفّوه عن القبيح ويدلّوه على الحسن، وجانب العصاة كراهةً لهم وكراهةً أن يرتضخ[٤] من صاحبهم منهم بعض ما هم فيه ولفعلهم، وانكسرت شهواته فدلّ العزّة ربّه[٥] وخالق الخلق بحسن الخلق والسيرة المحمودة، وأعطى ما فضل عن نفسه وأهله الفقراءَ والمستحقّين، ٢٦٨ *وأمسك ما فضل من كلامه فترك الفضول واقتصر على ما لا بدّ منه، ولزم السنّة النبويّة ولم يتعدّها إلى بدعة مستحدثة في الدين.

وفائدة الحديث التقريع[٦] والملامة والوعظ المؤدّي إلى الاستقامة، وتعليم مكارم الأخلاق

١. في خ: الموقف.

٢. البرهان المؤيّد: ٧٧؛ نظم الدرر: ٦٢٧/٢؛ وراجع: الهمّ والحزن: ٥٦، ح ٦١؛ الزهد لابن حنبل: ٧٥.

٣. خضمه، يخضمه: أكله بجميع فحمه أو بأقصى أضراسه.

٤. أصاب ونال منه كارهاً من غير قصد.

٥. كذا في خ.

٦. قَرَّعه: أوجعه باللوم والعتاب.

الجارية على طيب الأعراق. وراوي الحديث أنس بن مالك، قال: «وَعَظَنَا[١] رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه عَلَى نَاقَتِهِ الْجَدْعَاءِ، فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ»[٢] إلى آخر هذا الكلام.

قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه: طُوبَى لِمَنْ طَابَ كَسْبُهُ وَصَلحَتْ سَرِيرَتُهُ وَكَرُمَتْ عَلانِيَتُهُ وَعَزَلَ عَنِ النَّاسِ شَرَّهُ، طوُبَى لِمَنْ عَملَ بِعِلْمِهِ

هذا الكلام مثل الذي تقدّمه في الدعاء إلى الخير والموعظة الحسنة.

و«السريرة» هي السرّ وهو ما انكتم عن الناس والجمع السرائر، و«الكرم»: الأفعال والأخلاق المحمودة الظاهرة.

دعا عليه السلام بطيب العيش أو الجنّة لمن اتّعظ بهذه المواعظ واكتسى[٣] بها فطاب كسبه عن المحارم وصلحت سريرته سالمةً من المآثم وحمدت علانيته وأمن الناس من شرّه.

ثمّ دعا[٤] لمن عمل بعلمه، وذلك أنّ العلم إذا لم يعمل به صار حجّةً على صاحبه.

وفي كلام أمير المؤمنين عليه السلام: «هَتَفَ الْعِلْمُ بِالْعَمَلِ فَإِنْ أَجَابَهُ[٥] وَإِلَّا ارْتَحَلَ»[٦].

وفائدة الحديث الوعظ بما أفصح به كلامه عليه السلام. وراوي الحديث رَكْبُ المصريّ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه: «طُوبَى لِمَنْ تَوَاضَعَ فِي غَيْرِ مَنْقَصَةٍ، وَذَلَّ فِي نَفْسِهِ فِي غَيْرِ مَسْكَنَةٍ، وَأَنْفَقَ مِنْ مَالٍ جَمَعَهُ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةٍ، وَخَالَطَ أَهْلَ الْفِقْهِ وَالْحِكْمَةِ، وَرَحِمَ أَهْلَ الذُّلِّ وَالْمَسْكَنَةِ، طُوبَى لِمَنْ طَابَ كَسْبُهُ، وَصَلُحَتْ سَرِيرَتُهُ، وَكَرُمَتْ عَلانِيَتُهُ، وَعَزَلَ عَنِ النَّاسِ شَرَّهُ، طُوبَى لِمَنْ عَمِلَ بِعِلْمِهِ، وَأَنْفَقَ [الْفَضْلَ] مِنْ مَالِهِ، وَأَمْسَكَ الْفَضْلَ مِنْ قَوْلِهِ»[٧].

---

١. في المصادر: خطبنا.

٢. المجالسة وجواهر العلم: ٢٢٢، ح١٢٨٨؛ نوادر الأصول في أحاديث الرسول: ٢٤١/١؛ البصائر والذخائر: ١٤٣/٨؛ كنز العمّال: ٦٠/١٦، ٤٤١٧٥؛ والجَدْعاء: المجدوبة الأذن.

٣. في خ: وانتسى.

٤. دعا بطيب العيش أو الجنّة.

٥. كذا في المصادر، وفي خ: هتف العلم ... فإن أجاب.

٦. اقتضاء العلم العمل: ٣٦، ح ٤٠؛ المنتظم: ٢٠/١٧؛ وراجع: نهج البلاغة: ٥٣٩؛ الكافي: ٢٤/١، ح٢.

٧. المعجم الكبير: ٧١/٥، ح٤٦١٦؛ مسند الشهاب: ٣٦٠/١، ح٦١٥؛ مجمع الزوائد: ٢٢٩/١٠.

قوله صلى الله عليه وآله: ابْـنَ آدَمِ! عِـنْدَكَ مَـا يَـكْفِيكَ وَأَنْتَ تَـطْلُبُ مَـا يَطْغِيكَ، ابْنَ آدَمِ! لا بِقَلِيلٍ تَقْنَعُ وَلا بِكَثِيرٍ تَشْبَعُ

هذه أيضاً موعظة وعظ بها الناس صلى الله عليه وآله فقال مخاطباً: ابن آدم! عندك القدر الذي ترجي به الأيّام ويكفيك إذا قنعت وأنت تجهد في طلب ما يوقعك في الطغيان والفساد من المال الذي هو مدعاةٌ إلى كلّ شرّ.

ولقد صدق من قال:

يـعلمنَ[١] مُجَـاشع بـن مَـسْعَدَهْ أنّ الشـبابَ والفـراغَ والجِـدَهْ

مفسدَةٌ للدينِ أيُّ مَفْسَدَهْ[٢]

٢٦٩

ثمّ قـال عليه السلام: لا القـليل * يـقنعك ولا الكـثير يـشبعك، لأنّ النـفس مـظلعة[٣] إلى مـا وراء الحاصل توّاقة[٤] إلى ما يتجاوز أمل الآمل.

وفائدة الحديث التحذير من طلب الدنيا والازدياد على ما رزق الله تعالى والتعنيف على ترك القناعة. وراوي الحـديث عبد الله بن عمر، وفي آخره: «إِذَا أَصْبَحْتَ مُعَافًى فِي جَسَدِكَ، آمِنا فِي سِرْبِكَ، عِنْدَكَ قُوتُ يَوْمِكَ، فَعَلَى الدُّنْيَا الْعَفَاءُ»[٥].

قوله صلى الله عليه وآله: طُوبَى لِمَنْ هُدِيَ للإسْلامِ وَكَانَ عَيْشُهُ كِفَافاً وَقَنَعَ

وروي: «وقُنِّعَ به»[٦]، وهذا الحـديث أيضاً آخذ مأخذ ما قبله، يدعو عليه السلام للدين الحنيفيّ الذي هو خير الأديان، وكان وجه معاشه القدر يكفّه عن الإشفاق بما يشين وجه مروءته

---

١. في المصادر: علمت يا.

٢. قاله أبو العتاهية؛ راجع: الأغاني: ٢٢/٤؛ لباب الآداب للثعالبي: ١٧٢؛ معجم الأدباء: ٥٠٧/٤.

٣. ظلع: غمز وعرج في مشيه.

٤. مشتاقة

٥. القناعة: ٤٦، ح١٦؛ مسند الشهاب: ٣٦٢/١، ح٦١٨؛ شعب الإيمان: ٢٩٤/٧، ح١٠٣٦٠.

٦. صحيح ابن حبّان: ٤٨٠/٢، ح٧٠٥؛ المعجم الكبير: ٣٠٥/١٨، ح٧٨٦؛ المستدرك: ١٣٦/٤، ح٧١٤٤؛ مسند الشهاب: ٣٦١/١، ح٦١٧؛ كنز العمّال: ١٥٩/٣، ح٧١٠١.

ويثلم عصمة ديانته، والكفاف من الرزق ما يكفّ عن الناس أي يغني.

وقال عليه السلام في حديث آخر: «اللهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ كَفَافاً»[١].

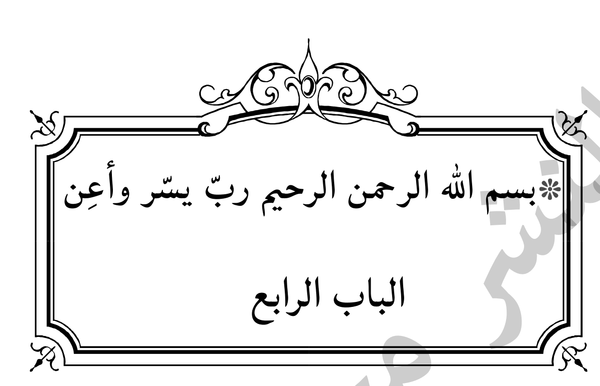
وفائدة الحديث فضل الكفاف والعفاف والقناعة المغنية عن الاستكفاف. وراوي الحديث فَضَالَة بن عُبَيد.[٢]

١. مسند إسحاق: ٢١٩/١، ح ١٧٥؛ صحيح مسلم: ٢٢٨١/٤، ح ١٠٥٥؛ صحيح ابن حبّان: ٢٥٤/١٤، ح ٦٣٤٣.

٢. إلى هنا تمّ الجزء الأوّل من الكتاب، وزاد ناسخه رحمه الله: «هذا آخر ما تضمّنه الجزء الأوّل من كتاب ضوء الشهاب من كلام السيّد الإمام السعيد فضل الله بن عليّ بن عبيد الله الحسنيّ أبي الرضا الراوندي تجاوز الله عنه وغفر له، وتتمّته في الجزء الثاني من الكتاب المذكور أوّله الباب الرابع قوله صلى الله عليه وآله: «اشفعوا توجروا». كتبه العبد الفقير الحقير المحتاج إلى ربّه القدير، الغريق في بحور الآثام المتمسّك بولاء أجداده أهل البيت عليهم السلام أضعف عباد الله جِرماً وأقواهم جُرماً حيدر بن عليّ بن حيدر العلويّ الحسينيّ الآملي ـ أصلح الله شأنه وغفر الله ذنبه. واتّفق الفراغ منه عاشر ذي القعدة سنة اثنين وستّين وسبعمائة مدار اللم بعد الهجرة».

الجُزْءُ الثَّانى





قوله صلى الله عليه وآله: اشْفَعُوا تُؤجَرُوا

أصل الشفع ضمّ الشيء إلى مثله، والشفاعة: انضمامك إلى من هو دون منك ناصراً له أو انضمام من هو أعلى منك إليك ناصراً لك: ويعتبر في هذا[1] الدرجة.

فيقول صلى الله عليه وآله: اشفعوا لإخوانكم الذين دونكم في الرتبة وصلوا أجنحتهم لينالوا بكم إلى مطالبهم وكونوا لهم وُصلاً إلى حاجاتهم تكتسبوا الأجر العظيم والثواب الجسيم.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «الشَّفِيعُ جَنَاحُ الطَّالِبِ»[2] أي يتمشّى أمره به ويحصل غرضه بمكانه.

وروى الحسن: أنّ النبيّ عليه السلام قال: يقول الرجل من أهل الجنّة يوم القيامة: أي ربّ عبدك فلان سقاني شربةً من ماء الدنيا فشفّعني فيه، فيقول: اذهب فأخرجه من النار فيتجسّس[3]

---

١ .كذا في خ، والصحيح: هذه.

٢ . نهج البلاغة: ٤٧٩؛ بحار الأنوار: ٦٢/٧٣؛ وراجع: نثر الدرّ: ١٠٢/٣.

٣ . كذا في المصادر، وفي خ: فيخشن.

النار حتّى يخرجه.[١]

وعن ابن مسعود: «تَشْفَعُ الْمَلائِكَةُ وَالنَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ وَالصَّالِحُونَ وَجَمِيعُ الْمُؤْمِنِينَ، فلا يبقى في النار إلّا أربعة، ثمّ تلا قوله تعالى: «لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ، وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ، وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ، وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ»»[٢].

وقال الحسن: لأن أمشي مع أخ مسلم أقضي حاجته أحبّ إليّ من أن أدرك ليلة القدر في أحد المسجدين.[٣]

وقال النبيّ عليه السلام: من سعى في حاجة أخٍ كان له بكلّ عضو تحرّك منه صدقة.[٤]

وفائدة الحديث الأمر بالشفاعة والترغيب فيها. وراوي الحديث أبو موسى الأشعريّ،

---

١. تفسير الثعلبي: ٧٧/١٠؛ تفسير مجمع البيان: ١٨٨/١٠.

٢. تفسير الثعلبي: ٧٧/١٠؛ تفسير البغوي: ٤١٩/٤؛ لباب التأويل: ١٨٠/٧؛ وراجع: مصنّف ابن أبي شيبة: ٧١٢/٧، ح٣٧٦٣٧؛ الفتن لابن حنبل: ١٦٢؛ المستدرك: ٥٤٢/٤، ح٨٥١٩؛ والآيات في المدّثّر: ٤٣ ـ ٤٦.

٣. راجع: مصنّف عبد الرزّاق: ٢٨١/٥، ح٩٦١٦؛ سنن سعيد بن منصور: ١٩٣/٢، ح٢٤١٠؛ شعب الإيمان: ٤٣/٤، ح٤٢٩٢؛ كنز العمّال: ١٤١/٤، ح١٠٧٤٤؛ نصّه: «أبو هريرة يقول: رِبَاطُ لَيْلَةٍ إِلَى جَانِبِ الْبَحْرِ مِنْ وَرَاءِ عَوْرَةِ الْمُسْلِمِينَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُوافِقَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي أَحَدِ الْمَسْجِدَيْنِ مَسْجِدِ الْكَعْبَةِ أَوْ مَسْجِدِ الرَّسُولِ صلى الله عليه وآله بِالْمَدِينَةِ، وَرِبَاطُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ عِدْلُ السَّنَةِ، وَتَمَامُ الرِّبَاطِ أَرْبَعُونَ لَيْلَةً»؛ وراجع: الكافي: ١٩٧/٢، ح ٤؛ نصّه: «عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام قَالَ: لَأَنْ أَمْشِيَ فِي حَاجَةِ أَخٍ لِي مُسْلِمٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُعْتِقَ أَلْفَ نَسَمَةٍ وَأَحْمِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ عَلَى أَلْفِ فَرَسٍ مُسْرَجَةٍ مُلْجَمَةٍ»؛ وراجع: الفردوس بمأثور الخطاب: ١٧٢/٥ـ١٧٣، ح٧٨٦٥؛ نصّه: «ابن عبّاس: لأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخٍ لِي فِي حَاجَةٍ إلى جانب القرية أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ شَهْراً فِي مَسْجِدِي».

٤. لم أجدها بهذا النصّ، في الكافي: ١٩٨/٢، ح٦: «عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام قَالَ: مَنْ سَعَى فِي حَاجَةِ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ طَلَبَ وَجْهِ اللهِ كَتَبَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ حَسَنَةٍ يَغْفِرُ فِيهَا لِأَقَارِبِهِ وَجِيرَانِهِ وَإِخْوَانِهِ»؛ وفي مسند أبي يعلى: ١٧٥/٥، ح٢٧٨٩: «عن أنس، قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: من مشى إلى حاجة أخيه المسلم كتب الله له بكلّ خطوة يخطوها حسنة إلى أن يرجع».

قال: «كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله إذَا أتاهُ السَّائِلُ أَوْ طُلِبَتْ إلَيْهِ الحَاجَةُ، قَالَ: اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا، وَيَقْضِي اللهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ مَا شَاءَ»[1].

قوله صلى الله عليه وآله: سَافِرُوا تَصِحُّوا وَتَغْنَمُوا

مضمون الحديث إشارة إلى السفر الحلال والصحّة لما في الأسفار من الرياضات البدنيّة التي تعين على الهضم وتحلّل الأخلاط الفاسدة وتنق البدن، والغنيمة لما فيها[2] من التجارات والفوائد التي تحصل بالأسفار، وبعد فالمسافر يرى العجائب من صنع الله تعالى ويخالط الغرباء ويستفيد إلى علمه علماً وإلى حلمه حلماً وتزيد تجارته إلى كثير من الأشياء التي لا تكون في بلده، فإنّ الحكمة الإلهيّة قد اقتضت اختصاص *كلّ بقعة بنوع من الأشياء لا تكاد توجد في غيره إلّا قليلاً، وذلك ليُحوِج بعضهم إلى بعض وليصَب لكلّ معاشاً.

٢٧٣

وقال الشاعر:

تَغَرَّب عَنِ الأوطانِ في طَلَبِ العُلى ... وَسَافِر فَفِي الأسْفَارِ خَمسُ فَوائد

تــفرُّجُ هَــمٍّ وَاكــتِسَابُ مــعيشةٍ ... وعـــلمٌ وآداب وصـــحبةُ مـــاجدٍ

فـإن قـيل في الأسْـفارِ ذُلٌّ ومِحـنَةٌ ... وقَـطعُ الفـيافي وارتـكابُ الشـدائـدِ

فـللموتِ خـيرٌ للـفتى مـن مُـقامِهِ[3] ... بــدارِ هــوانٍ بــينَ واشٍ وحــاسدٍ[4]

وقال غيره:

سأحدثُ في متونِ الأرضِ ضرباً ... وأركبُ في العُــلى غــبر اللــيالي

---

١. صحيح مسلم: ٥٢٠/٢، ح١٣٦٥؛ مسند الشهاب: ٣٦٣/١، ح٦١٩.

٢. أي لما في الأسفار.

٣. في المصادر: فموت الفتى خير له من حياته(أو مقامه).

٤. ينسب إلى الشافعيّ، راجع: السلوك في طبقات العلماء والملوك: ١٥٣/١؛ غذاء الألباب شرح منظومة الآداب: ٣٥٠/٢؛ وراجع: ديوان إمام علي عليه السلام: ٧٢؛ والفيافي: جمع الفيفاء وهو المفازة والصحراء الملساء؛ وواش: نمّام.

فـإمّا والثرى وبَسَطتُ عُذراً وإمّـا والثريّـا والمـعالي[١]

وقال آخر:

سأُعملُ نَصَّ العِيس[٢] حتى يَكُفَّني غِنَى المالِ يوماً أو غنَى الحدَثانِ

فَللموتُ خيرٌ من حياةٍ يُرى لها على المرءِ بالإقْلال وسَمُ هَوانِ

متى يَتَكَلَّمُ يُلغ حُسْن كَلامِهِ وَإنْ لَمْ يقلْ قَالوا عَدِيمُ بَيانِ

كأنَّ الغنَى في أهله بُورك الغنَى بغير لسانٍ ناطق بلسانِ[٣]

وفائدة الحديث الحثّ على السفر وإعلام ما فيه من الفائدة. وراوي الحديث ابن عمر.

قولهﷺ : يَسِّرُوا وَلا تُعَسِّرُوا وَسَكِّنُوا وَلا تُنَفِّرُوا

«التيسير»: التسهيل، وبخلافه التعسير، والاسم منهما اليسر والعسر، ويسّره الله للخير أي وفّقه.

يأمر أمّته عليه السلام بالتيسير والتسهيل في الأمور دون التعصيب والتعسير، وكذلك يأمرهم بما يسكّن القلوب ولا يُنفّرها.

وقال النبيّﷺ: «بُعِثْتُ بِالْسَّهْلَةِ السَّمْحَةِ، وَمَا بُعِثْتُ بِالرَّهْبانِيَّةِ الصَّعْبَةِ»[٤].

وقال الله تعالى: «وَما جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ»[٥].

وقال تعالى: «يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ»[٦].

---

١. أنشده عبد الله بن سعيد بن عبد الملك بن مروان، توفّي سنة ١٩٠؛ راجع: دميّة القصر: ١١٩٦/٢؛ الوافي بالوفيات: ١٠٢/١٧ـ١٠٣.

٢. كذا في المصادر، وفي خ: العيش.

٣. أنشده محمّد بن حازم الباهليّ، راجع: ديوانه: ٨٣؛ وراجع: البيان والتبيين: ١٣٠؛ العقد الفريد: ٣٢٦/٢؛ زهر الآداب: ٢٩٣/٢؛ ولترجمة الشاعر راجع: الأعلام: ٧٥/٦؛ تاريخ بغداد: ٢٩٤/٢؛ إكمال الكمال: ٢٨٢/٢.

٤. الكسب: ١٢١؛ المعجم الكبير: ١٧٠/٨، ح ٧٧١٥؛ وراجع: المبسوط للسرخسي: ٢٨٦/٢٠.

٥. الحجّ: ٧٨.

٦. البقرة: ١٨٥.

وقال تعالى في صفة نبيّه صلى الله عليه وآله: «وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ» [١].

وروي عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: «لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْمُنَفِّرِينَ ثَلاثاً. قيل: مَنْ هُمْ؟ يَا رَسولَ اللهِ! قال: الَّذِينَ يُقَنِّطُونَ الْعِبَادَ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ» [٢].

وروى زيد بن أسلم قال: «كَانَ فِي الأمَمِ السَّالِفَةِ رَجُلٌ يَجْتَهِدُ فِي الْعِبَادَةِ، وَيُشَدِّدُ عَلَى نَفْسِهِ، وَيُقَنِّطُ النَّاسَ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ تَعَالَى، ثُمَّ مَاتَ، فَقَالَ: يا رَبِّ! مَالِيَ عِنْدَكَ؟ قَالَ: النَّارُ، قَالَ: يَا رَبِّ! فَأَيْنَ عِبَادَتِي وَاجْتِهَادِي؟ فَقيلَ لَهُ: كُنْتَ تُقَنِّطُ النَّاسَ مِنْ رَحْمَتِي [فِي الدُّنْيَا]، فَأَنَا أُقَنِّطُكَ الْيَوْمَ» [٣].

٢٧٤

وعن البراء بن عازب: أنّ رجلاً سأله عن رجل حمل عليّ كتيبة ثمّ ألق بيده *إلى التهلكة، فقال: لا، ولكنّ التهلكة أن يذنب الرجل، ثمّ يقول: لا توبة لي، فيلق نفسه إلى التهلكة. [٤]

وقال ابن مسعود: «مَنْ أَذْنَبَ ذَنْباً فَعَلِمَ أَنَّ اللهَ تَعالى قَدِ اطَّلَعَ عَلَيْهِ غُفِرَ لَهُ وَإِنْ لَمْ يَسْتَغْفِرْ» [٥].

ودع ذلك كلّه، أليس الله تعالى يقول: «يا عِبادِيَ الَّذينَ أَسْرَفُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ» [٦]، فمع قوله عزّ وعلا ذلك ما الذي يقتضي التنفير وإقناط الناس من الرحمة؟! ولكن لا ينبغي للعبد أن يسند ظهره إليها ويتوكّل عليها ويتعطّل عن العبادة فإنّها غير واجبة عليه بل هي تفضّل، فإن لم يفعل فما يصنع به.

وفائدة الحديث الأمر بمكارم الأخلاق وطريق النبوّة.

---

١ . آل عمران: ١٥٩.

٢ . الفردوس: ٤٦٨/٣، ح ٥٤٥١؛ تنزيه الشريعة: ٣١٤/٢، ح ١١٣.

٣ . مصنّف عبد الرزّاق: ٢٨٨/١١، ح ٢٠٥٦١؛ حلية الأولياء: ٢٢٢/٣؛ شعب الإيمان: ٢١/٢، ح ١٠٥٢.

٤ . غريب الحديث للخطابي: ٥٣٦/١؛ المستدرك: ٣٠٢/٢، ح ٣٠٨٩؛ شعب الإيمان: ٤٠٨/٥، ح ٧٠٩٤.

٥ . المعجم الأوسط: ٣٧٤/٤، ح ٤٤٧٢؛ مجمع الزوائد: ٢١١/١٠؛ كنز العمّال: ٩٢/٤، ح ١٠٢٤٥.

٦ . الزمر: ٥١.

وروي أنّ أعرابيّاً تعلّق بأستار[١] وجعل يقول في دعائه: اللهُمَّ ارْحَمْنِي وَمُحَمَّداً وَلا تَرْحَمْ مَعَنَا أَحَداً، فَقَالَ عليه السلام: لَقَدْ تَحَجَّرْتَ وَاسِعاً، فَبَالَ الأعْرَابِيُّ إِلَى نَاحِيَّةِ المسجِدِ وَبَالَ فِيهِ فَهَمَّ عُمَرُ بنُ الخَطَّاب بِضَرْبِهِ، فَقَالَ عليه السلام: يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا وَعَلِّمُوهُ.[٢] وراوي الحديث أنس بن مالك.

قوله صلى الله عليه وآله: قَارِبُوا وَسَدِّدُوا

«المقاربة»: القصد في الأمور من غير إفراط ولا تفريط، فمعنى «قاربوا» أي لا تغلوا، و«سدّدوا» أي اقصدوا السداد والصواب، وهو كما روي في الأثر، كلا طرفي الأمور مذموم يعني الإفراط والتقصير.

قال الله تعالى في هذا المعنى: «وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْها كُلَّ الْبَسْطِ»[٣].

وقال النبيّ عليه السلام: «خَيْرُ الأمُورِ أَوْسَطُهَا»[٤].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «يَهْلِكُ فِيَّ رَجُلَانِ: مُحِبٌّ غَالٍ، وَمُبْغِضٌ قَالٍ»[٥]، وخير الناس فيّ حالاً النمط الأوسط[٦]. قال أبو عبيد: النمط هو الطريقة، يقال: ألزم هذا النمط.[٧]

ومعنى هذا الحديث الأمر بالقصد في الأمور ويدخل في ذلك ترك العصبيّة والغلوّ

---

١. كذا في خ.

٢. راجع: مسند الحميدي: ٤١٩/٢، ح٩٣٨؛ مسند أحمد: ٢٣٩/٢، ح٧٢٥٤؛ سنن الترمذي: ٢٧٥/١، ح١٤٧.

٣. الإسراء: ٢٩.

٤. الأمثال في الحديث النبويّ: ٤٢٣؛ أدب الدنيا والدين: ٢٤.

٥. نهج البلاغة: ٤٨٩، حكمة١١٧؛ بحار الأنوار: ٣٠٧/٣٤.

٦. نهج البلاغة: ١٨٤، في خطبة١٢٧: «سَيَهْلِكُ فِيَّ صِنْفَانِ مُحِبٌّ مُفْرِطٌ يَذْهَبُ بِهِ الْحُبُّ إِلَى غَيْرِ الْحَقِّ وَمُبْغِضٌ مُفْرِطٌ يَذْهَبُ بِهِ الْبُغْضُ إِلَى غَيْرِ الْحَقِّ وَخَيْرُ النَّاسِ فِيَّ حَالاً النَّمَطُ الْأَوْسَطُ»؛ وراجع: بحار الأنوار: ٣٧٣/٣٣، ح٦٠٤.

٧. راجع: غريب الحديث لابن سلام: ٤٨٢/٣ـ٤٨٣؛ تهذيب اللغة: ٢٥٤/١٣.

ومجاوزة الحدّ في الأمور الدينيّة والدنيويّة.

وفائدة الحديث إعلام الأمّة أنّ التقصير والغلوّ كلاهما مذمومان. وراوي الحديث أبو هريرة. قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله: «قَارِبُوا وَسَدِّدُوا، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَنْ يُنَجِّيَهُ الْعَمَلُ. فَقِيلَ: وَلا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: وَلا أنا إِلّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ [مِنْهُ] بِرَحْمَةٍ»[١].

قوله صلى الله عليه وآله: زُرْ غِبّاً تَزْدَدْ حُبّاً

يقال: غَبّ الرجل: إذا جاء زائراً بعد أيّام، وأغبّنا العطاء إذا وصل غبّاً والغِبّ: أن ترد الإبل [الماء] *يوماً و[تدعه] يوماً، واللحم الغابّ: البائت، ويقال: اللحم المنتن أيضاً غابّ، وغَبّ الأمر: صار إلى أخره. ٢٧٥

وقال الحسن في هذا الحديث: الغبّ في الزيارة أن يزور كلّ أسبوع.[٢]

يقول عليه السلام: زر في الأسابيع حتّى لا يملّ ولا يضجر منك، وإنّما قال ذلك لأنّ الإنسان ملول وربّما احتاج إلى أن يتفرّد في كسر بيته ليثقّل، لا يريد أن يطّلع غيره فيحضره من يصير كلّاً عليه فيجلس على كظمه فينشفّ[٣] روحه وينغص عليه[٤] حياته.

وروي أنّه لمّا قال النبيّ عليه السلام ذلك لأبي هريرة قالت عائشة:

أكثرتَ في زَورةٍ فملّك	ودمت في ذاك فاستقلّك
لو كنتَ ممّن يزور غبّاً	آثر في قلبه محلّك

---

١ . مسند أحمد: ٣١٩/٢، ح٨٢٣٣؛ مسند الشهاب: ٣٦٥/١، ح٦٢٦؛ الآداب للبيهقي: ١٧٤/٣؛ كنز العمّال: ١٦/١٣، ح٥٣١٤.

٢ . راجع: النهاية: ٣٣٦/٣؛ لسان العرب: ٦٥٦/١.

٣ . كذا في خ، ولكن لا يوجد في اللغة استعمالها في باب الانفعال، ولعلّ الصواب: فيشفّ؛ والمعنى: ضمّره وأرقّه.

٤ . نغص عليه: كدّر.

فقال عليه السلام: يا عائشة ما مللناه ولا قلّلناه ولكن أدّبناه[١]

وقال الشاعر:

عـــليكَ بـــإقلالِ الزِّيـــارةِ إنَّها ... تـكونُ إذا دامَتْ إلى الهـجرِ مـسلَكَا
ألم تَـــرَ أنَّ الغَـــيثَ يَـــسْأمُ دَائـــباً ... ويُـسأَلُ بـالأيدِي إذا هـوَ أمـسَكَا[٢]

وقال آخر:

اقـلِلْ زِيَـارَتَكَ الصـديقَ ... وَأَنْتَ كَـالثَّوْبِ اسْـتَجَدَّهْ
وأمـلّ شـيءٍ لِامـرِئ ... أَنْ لا يَـزَالَ يَـرَاكَ عِـنْدَهْ[٣]

وقال آخر:

رَأَيْتُ النّـاسَ مـن أَلْقِ ... إلَيْهِـمْ[٤] نَـفْسَهُ هَـانا
فـزُرْ غـبّاً تـزدْ حُـبّاً ... ولَو جُـرِّعْتَ أَحْـزانَـا[٥]

وقال آخر:

وَطُـولُ مُـقَامِ الْمَـرْءِ فِي الْحَـيِّ مُخْـلِقٌ ... لِدِيـــبَاجَتَيْهِ فَـــاغْتَرِبْ يَـــتَجَدَّدِ[٦]
فَـإِنِّي رَأَيْتُ الشَّـمْسَ زِيـدَتْ مَحَـبَّةً ... إِلَى النَّـاسِ أَنْ لَيْـسَتْ عَـلَيْهِمْ سَرْمَدِ[٧]

---

١. لم أقف عليه، ولكن نظمه ورد في تاج العروس: ٣٠/٤١٩.

٢. نسب إلى ابن دريد وغيره؛ راجع: روضة العقلاء: ١١٧؛ جمهرة الأمثال: ١/٥٠٥؛ ديوان المعاني: ٢/٢٣٩؛ شعب الإيمان: ٦/٣٢٧، ح ٨٣٦٥.

٣. أنشده يونس بن حبيب؛ راجع: المجالسة وجواهر العلم: ٥٢٢، ح ٣٠٧٤؛ الأمثال في الحديث النبويّ: ٤٩، ح ١٥؛ شعب الإيمان: ٦/٣٢٧، ح ٨٣٦٤؛ المقاصد الحسنة: ٣٧٧.

٤. في المصادر: عليهم.

٥. أنشدتها عُلَيّة بنت المهديّ؛ راجع: أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم: ٢٦؛ خريدة القصر وجريدة العصر: ٤/٢٨٣؛ ديوانها: ٧٧.

٦. في المصادر: تتجدّد.

٧. أنشده أبو تمام؛ راجع: المحاسن والأضداد: ١٠٩؛ البيان والتبيين: ٣٠٧؛ العقد الفريد: ٢/٣٢١؛ ديوانه: ٣٢٧.

وقوله عليه السلام: «تزدد حبّاً» يجوز أن يكون تمييزاً ويجوز أن يكون مفعولاً به لأنّ «ازداد» يتعدّي إلى المفعول به.

وفائدة الحديث الحثّ على القصد في الزيارة ورفع الأذى والتثقيل عن المسلمين. وراوي الحديث أبو هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ زُرْ غِبّاً تَزْدَدْ حُبّاً»[1].

قوله صلى الله عليه وآله: قَيِّدْهَا وَتَوَكَّلْ

يستنبط من هذا الحديث أنّ الإنسان ينبغي أن لا يسترسل في أموره تبخيتاً بل يجب عليه أن يثبّتها تثبيتاً، فإنّ الحزم سوء الظنّ، والصواب أن يظنّ الإنسان شرّ الأمرين حتّى يُحكم أمره.

وفائدة الحديث الحثّ على التثبّت في الأمور وتحرّي الصواب. وراوي الحديث عمرو بن العاص[2]، قال: قلت: «يَا رَسولَ اللهِ! أُقَيِّدُ رَاحِلَتِي وَأَتَوَكَّلُ [عَلَى اللهِ] أَوْ أُرْسِلُهَا وَأَتَوَكَّلُ؟ فَقَالَ صلى الله عليه وآله: قَيِّدْهَا وَتَوَكَّلْ»[3]، فصار مثلاً نبويّاً.

قوله صلى الله عليه وآله: ابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ

يقال: عال عياله، إذا قاتهم ومأنهم وأنفق ❊عليهم وراعاهم وخفض جناح حللهم. 276

يقول صلى الله عليه وآله: إذا أدّبت أحداً أو أمرت بمعروف أو نهيت عن منكر فابدأ بمن تعول، أي بمن هو في حكمك وتحت ملكيّتك[4] ثمّ بجيرانك ثمّ الأقرب فالأقرب، ولا يبعد أن يندرج تحت ذلك الخير؛ فيقول صلى الله عليه وآله: ليصل خيرك إلى عيالك أوّلاً ثمّ الذين يلونهم ثمّ الأقرب فالأقرب،

---

١. مسند الطيالسي: ٣٣٠، ح ٢٥٣٥؛ مسند الشهاب: ٣٦٦/١، ح ٦٢٩؛ كنز العمّال: ٧٧/٩، ح ٢٥٥٩٠.

٢. في المصادر: عمرو بن أميّة.

٣. المستدرك: ٧٢٢/٣، ح ٦٦١٦؛ مسند الشهاب: ٣٦٨/١، ح ٦٣٣.

٤. في خ: ملكتك.

لئلّا تكون مضيّعاً؛ كما قال الشاعر:

كـتاركةٍ بـيضها بـالعَرَاء ... ومُـلبِسة بَـيض أخـرى جـناحا[١]

ويقال: إنّ النعامة تفعل ذلك لقلّة حسّها.

وقال العديل بن الفرخ:

كَـمُرْضِعَةٍ أَوْلاَدَ أُخْـرَى وَضَـيَّعَتْ ... بَنِي بَطْنِهَا هَـذَا الضَّـلاَلُ عَنِ الرَشَدِ[٢]

وفائدة الحديث الأمر بتخصيص العيال والأولاد بالأدب والخير أوّلاً ثمّ من بعدهم. وراوي الحديث أبو هريرة.

قولهﷺ: اخْبُرْ تَقْلِهْ وَثِقْ بِالنَّاسِ رُوَيْداً

يقول: خَبَرتُ الرجل إذا بلوتُه أخبره خُبراً ـ بالضمّ ـ وخِبْرةً ـ بالكسر ـ إذا بلوته واختبرته أيضاً. وقليتُ الرجل أقليه قِلى وقَلاءً ومَقْلِيةً، وطيّئ تقول: أقلاه أي أبغضته. وروي أنّهما لغتان قَلَى يقلي وقلى يقلي فتداخلتا وكذلك قالوا في زَكِن يزكُن؛ وتقلّى أي تبغّض، قال:

أَسِيئِي بِنَا أَوْ أَحْسِنِي لا مَلُومَةٌ ... لَدَيْـنَا وَلا مَـقْلِيَّةٌ إنْ تَـقَلَّتِ[٣]

يقولﷺ: أخبر الرجل تبغضه، يعني أنّه ليس أحد من الناس يوافيك صافياً كما تريد بل يبدئ اختباره غشّاً ودخلاً فترى الرجل وتظنّه الصدّيق الصدوق والمناصح المخلص، فإذا جرّبته وفحصت عنه أخلف عند السبك[٤] ولم يتلوّن على المِحَكّ[٥]؛ و«رويداً» يجوز أن يكون

---

١ . قاله ابن هرمة، راجع: الحيوان: ١٩٩/١؛ البخلاء: ١٣٨/٢؛ غريب الحديث لابن قتيبة: ١٠/٢؛ الأغاني: ٥٥/٩.

٢ . راجع: روضة العقلاء: ٢٥٥؛ شرح ديوان الحماسة: ٢٣٧/١؛ التذكرة الحمدونيّة: ٧٩/٧؛ ديوان الحماسة: ٣٠٧/١.

٣ . قاله كثير عزة، راجع: العقد الفريد: ١٣٥/٣؛ الأغاني: ٣٨/٩؛ ديوانه: ٣٤.

٤ . سبك فلاناً: علمه وهذّبه.

٥ . ما يحكّ به من حجر وغيره.

مصدراً ويجوز أن يكون حالاً إذا قلت ـ مثلاً ـ: كل رويداً، جاز أن يكون «رويداً» حالاً من الضمير في «كل» وجاز أن يكون مصدراً من غير اللفظ أي كلاً رويداً. يقال: أرود إذا تمهّل، وكأنّه مصغّر إذا حذف الزوائد.

وقال عمر بن الخطّاب: «احْتَرِسُوا مِنَ النَّاسِ بِسُوءِ الظَّنِّ»[١].

وقرئ على حجر: «إن كان الغدر للناس طباعاً فالثقة بكلّ أحد عجز».[٢]

وقال أبو منصور الأزهري[٣] في هذا الحديث: يعني أنّ من جرّبهم رماهم بالمقت لخبث سرائرهم وقلّة إنصافهم وفرط استئثارهم، ولفظه الأمر ومعناه الخبر.[٤]

وقال الشاعر:

مَنْ حَمِدَ النَّاسَ وَلَمْ يَبْلُهُمْ ... ثُمَّ بَلاهُمْ ذَمَّ مَنْ يَحْمَدُ[٥]

وقال أبو عمرو الزاهد: ـ غلام ثعلب ـ في كتابه الذي سمّاه الياقوتة: قال المأمون: لو كنت أنا لقلت: اقله تخبر.[٦]

٢٧٧

ونظمه ❊أبو العتاهية فقال:

أبـل مـن شـئت تـقله ... عـن قـليل لفـعله

وتـبدّله هـجرةً ... بـعد ودّ ووصـله

---

١. في المصادر عن رسول الله صلى الله عليه وآله؛ راجع: مداراة الناس: ٩٨، ح١١٣؛ المعجم الأوسط: ١/١٨٩، ح٥٩٨؛ جامع الأحاديث: ١٠/٣٠، ح٢٩١٤٥.

٢. راجع: فتوح الشام: ٢/١٣٤؛ نثر الدرّ: ٧/٣٨؛ نهاية الإرب في فنون الأدب: ١٥/١٧٩.

٣. الإمام المشهور في اللغة، كان فقيهاً شافعيّ المذهب؛ راجع: وفيات الأعيان: ٤/٣٣٤؛ الوافي بالوفيات: ١/١٠٨؛ سير أعلام النبلاء: ١٦/٣٤١؛ هدية العارفين: ٢/٤٩.

٤. لم أقف ليه؛ راجع: فيض القدير: ١/٢٠٧

٥. أنشده إبراهيم بن عبد الملك؛ العزلة والانفراد: ٩٩، ح٩١؛ العزلة: ٧؛ شرح نهج البلاغة: ١٠/٢٩.

٦. راجع: العزلة: ٥٤؛ شرح نهج البلاغة: ٢٠/٤٠؛ الكشكول: ٢/٤٥.

ضاع معروف واضع الـ عـرف في [غـير] أهـله[١]

وفائدة الحديث إعلام أنّ الاختبار يكشف عن الأخلاق السيّئة، فينبغي أن لا يعتمد الإنسان من لم يختبره. وراوي الحديث أبو الدرداء.

قوله صلى الله عليه وآله: قَيِّدُوا الْعِلْمَ بِالْكِتَابِ

أصل «كتب»: الجمع، تقول: كتبتُ البغلة إذا ضممت بين شُفريها بحلقة، وكتبت الكتائب: جمعتها؛ والكَتْب: جمع الحروف بعضها إلى بعض، تقول: كتبت أكتُب كَتْباً وكتاباً، والمكتوب أيضاً يقال له الكتاب وتسمية بالمصدر.

وهذه نصيحة منه صلى الله عليه وآله في حفظ العلم بالكتابة، فإنّ الإنسان ضعيفٌ نسّاءٌ لا يبقى على قلبه الضعيف كثير شيء، والاعتماد على المكتوب وهو كالخزانة للعالم يرجع إليه ومحفوظة كالصُرّة[٢] ينفق منها، ولو لا الكتاب لبطلت الحسبانات ولسقطت أخبار الأمم ولاختلّت الشريعة، ولذلك منّ الله تعالى على خلقه فقال: «عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ»[٣]، وحلف به وقال ـ عزّ من قائل ـ: «ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ»[٤].

وفائدة الحديث الحثّ على تدريس العلم في الكتب وتجليده فيها، وقد قال الخليل بن أحمد الفراهيدي: «ما كتب قرّ وما حفظ فرّ»[٥]. وراوي الحديث أنس بن مالك.

قوله صلى الله عليه وآله: أَقِلَّ مِنَ الدَّيْنِ تَعِشْ حُرّاً وَأَقِلَّ مِنَ الذُّنُوبِ يَهُنْ عَلَيْكَ الْمَوْتُ وَانْظُرْ فِي أَيِّ نِصَابٍ تَضَعُ وَلَدَكَ فَإِنَّ الْعِرْقَ

١. راجع: فصل المقال في شرح كتاب الأمثال: ٣٩١ـ٣٩٢، ح ١٦٩

٢. ما يجمع فيه الشيء ويشدّ.

٣. العلق: ٤ـ٥.

٤. القلم: ١.

٥. راجع: زهر الآداب: ١٤٠؛ التمثيل والمحاضرة: ٣٧.

دَسَّاسٌ

النِصاب والمنصب: الأصل، والدسّ: إدخال الشيء في الشيء مع إكراه، ودسست الشيء في التراب أخفيته فيه، والدسيس: إخفاء المكر، والدساسة: حيّة تخفي نفسها في التراب، ودسستُ البعير: هنأت مَسَاعره أي آباطه بالقطران؛ وفي المثل : «ليس الهناء بالدسّ»[١] أي ينبغي أن يطلى[٢] سائر بدنه.

وهذا الحديث يحتوي على موعظة عظيمة؛ فيقول صلى الله عليه وآله: أقلّ عن الدين الذي هو همّ بالليل ومذلّة بالنهار[٣] تعش حرّاً لا سبيل لأحد عليك فيجاذبك ويطالبك وينغّص العيش عليك، لتبقى حرّاً لم تملكك المساوي؛ وليس ذكر الإقلال أمراً بالاستدانة القريبة بل هو نهي عنها ما استطعت، وكذلك قوله عليه السلام : «وَأَقِلَّ مِنَ الذُّنُوبِ» حتّى لا يصعب عليك أمر الموت؛ نهى عن جميع الذنوب، وإنّما قال *ذلك لأنّ الذي احتقب الأوزار وأسلف الآصار[٤] لا يريد أن يموت، فيقدم عليها، بل يريد أن يتأخّر ليعتذر من عيوبه ويستغفر من ذنوبه؛ وبخلاف ذلك المؤمن الخفيف الحاذِ[٥] النقيّ العرض الطاهر الكتاب فإنّه ينتظر الموت ولا يصعب عليه أمره.

٢٧٨

ثمّ نصح بالتثبّت في الاستيلاد فقال: «وَانْظُرْ فِي أَيِ نِصَابٍ» وأصل «تضع الولد»، أي النطفة التي يخلق منها الولد، وعلّل ذلك فقال: «فَإِنَّ الْعِرْقَ دَسَّاسٌ»، يعني: أنّ العرق السيّئ يخفي المساوي في نفسه، وذكر العرق مجاز واتّساع وإشارة إلى النزوع، والولد إذا حصل من

---

١ . كذا في المصادر، وفي خ: بالدين؛ راجع: تهذيب اللغة: ١٩٨/١٢؛ جمهرة الأمثال: ١٨٨/٢، ح ١٥١٠؛ نثر الدرّ: ١٦٠/٦.

٢ . يدهنه بما يستره.

٣ . عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «إيّاكم والدين فإنّه همّ بالليل ومذلّة بالنهار»، راجع: شعب الإيمان: ٤٠٤/٤، ح ٥٥٥٤؛ الفردوس: ٣٨٤/١، ح ١٥٤٤؛ كنز العمّال: ٩٦/٦، ح ١٥٤٨٣.

٤ . العهود.

٥ . أي خفيف الحال والمؤونة؛ أو قليل المال والولد والأهل.

نطفتي الأب والأمّ ويربّي في رحمها فإنّه لا بدّ أن يرتضخ[١] بعض ما فيها ويأخذ نصيباً منها بحقّ التكوّن من مائها والارتكاض[٢] في الرحم والولادة، فأمر عليه السلام بالاستنخاب[٣] لئلّا ينزع عرق سيّئ منه إلى والدته فيبطن الشرّ ويخفي السوء؛ وأتى ببناء المبالغة فقال: «دسّاس» إخبار منه عليه السلام أنّ هذا الأمر صحيح والنزوع شديد.

وفائدة الحديث الأمر بإحراز النفس من رقّ الدين والتعفّف من الذنوب والتخيّر للاستيلاد حتّى لا يُنزع في الولد عرق سيّئ إلى والدته. وراوي الحديث عبد الله بن عمر، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يوصّي رجلاً ويقول له ذلك.[٤]

قوله صلى الله عليه وآله: كُنْ وَرِعاً تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ وَكُنْ قَنِعاً تَكنْ أَشْكَرَ النَّاسِ واحبب للنّاسِ مَا تحبُّ لِنَفْسِكَ تَكُن مُؤْمِناً وَأَحْسِنْ جِوارَ مَنْ جَاوَرَكَ تَكُنْ مُسْلِماً

الورع: التقيّ، يقال: ورِع يرِع ـ بالكسر فيهما ـ ورِعاً ورَعِةً، ويقال: سيّئ الرِعَة أي قليل الورع، وتورّع من ذلك أي تحرّج، وورّعته: كففته، والقنع: القانع ـ بالكسر ـ، يقول: قنِع ـ بالكسر ـ يقنَع قناعةً وربّما يقال قنوعاً فهو قانع وقَنِع. و«الشكر»: ذكر الصنيعة.

يقول صلى الله عليه وآله: تورّع عن المحارم تكن من أعبد الناس، وفيه إشارة إلى أنّ التعفّف عن القبائح أفضل من فعل الحسن، وذلك أنّ الانكفاف عن القبيح واجب وفعل الحسن الذي ليس بواجب ولا مباح نقل ويقال: الواجب أكثر ثواباً من فعل الندب.

ثمّ يقول: «وَكُنْ قَنِعاً تَكنْ أَشْكَرَ النَّاسِ»، ويشير به عليه السلام إلى أنّ القناعة بما يرزق الله

---

١ . يختلط.

٢ . الاضطراب والتحرّك.

٣ . الاختيار.

٤ . معجم ابن الأعرابي: ٤٤٧/٢؛ مسند الشهاب: ٣٧٠/١، ح٦٣٨.

٢٧٩

شكر له، وذلك لأنّ الشكر هو اعترافك بنعمة المنعم قاصداً بذلك *تعظيمه. ثمّ قال عليه السلام: أرد الناس تمنّ لهم ما تريد وتتمنّى لنفسك، فإنّ من شرط الإيمان أن تجري أخاك المؤمن مجرى نفسك. ثمّ قال عليه السلام: وأحسن جوار جارك، فإنّ ذلك من شيم الإسلام، والإسلام أعمّ من الإيمان.

وفائدة الحديث الحثّ على هذه الأفعال التي هي مكارم الأخلاق. وراوي الحديث أبو هريرة.

قوله صلى الله عليه وآله: أباهَرٍّ! أَحْسِنْ جِوارَ مَنْ جَاوَرَكَ تَكُنْ مُسْلِماً وَأَحْسِنْ مُصَاحَبَةَ مَنْ صَاحَبَكَ تَكُنْ مُؤْمِناً واعْمَلْ بِفَرائِضِ اللهِ تَكُن عَابِداً وارْضِ بِقِسْمِ اللهِ تَكُنْ زَاهِداً

يُعلم عليه السلام أنّ حسن الجوار من أخلاق الإسلام، وإنّ إحسان الصحبة ودَمَاثَه[1] الأخلاق وصدق المعاملة من أعمال المؤمن، وأنّ العامل بفرائض المفترضة عليه يطلق عليه اسم العبادة[2]، وأنّ الراضي بما قسم الله تعالى زاهد.

وحسن الجوار أن يحزن له ويفرح ويبادر إلى شغله ويكفّ عنه ظلم الظالم بقدر الطاقة.

وقال بعض الحكماء: ليس الجوار كفّ الأذى ولكنّه الصبر على الأذى.[3]

وحسن الصحبة أن يطيّب الأخلاق لصاحبه ولا يقبّح له وجهاً ولا ترفع له صوتاً ولا يتساهل في نفعه وضرّه.

---

١ . سهولة الخُلَق.

٢ . كذا في خ، ولعلّ الصواب: العابد.

٣ . قاله الجنيد، راجع: قوت القلوب: ٣٧٨/٢؛ نثر الدرّ: ١٢٣/٤؛ وراجع: محاضرات الأدباء: ٣٢٧/١؛ وأيضاً عن أمير المؤمنين عليه السلام، راجع: تحف العقول: ٤٠٩؛ بحار الأنوار: ٣٢٠/٧٥، ح١٣؛ كنز العمّال: ٢٠٤/١٦، ح٤٤٢٢٦.

والعمل بفرائض الله أن يأتي الصلوات المكتوبة والصوم المكتوب والحجّ والزكاة إن كان له مال.

والزهد أن يرضي بما قسم الله فلا يغمط نعمته ولا يستقلّ فضله.

وفائدة الحديث تعليم مكارم الأخلاق. وراوي الحديث أبو هريرة.

قوله صلى الله عليه وآله: إزْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبُّكَ اللهُ وَازْهَدْ فِيما فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبُّكَ النَّاسُ

يقول صلى الله عليه وآله: ازهد في الدنيا الدنيّة تكن مطيعاً لله تعالى، لأنّه صغّرها وحقّرها حيث شبّهها باللعب واللهو ونهاك عن التلبّس بها، فإذا أطعت الله تعالى أحبّك. ثمّ قال عليه السلام: وازهد فيما في أيدي الناس يحبّوك إذا لم تزراهم[١] شيئاً، فإنّ البخل مغرّز؛ ولذلك قالوا: وجه أخي الحاجة مملول[٢].

وفائدة الحديث الأمر بالزهد في الدنيا وحسم الأطماع عن بني آدم. وراوي الحديث سهل بن سعد الساعديّ.

قوله صلى الله عليه وآله: كُنْ فِي الدُّنيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أو كَأَنَّكَ عَابِرُ سَبِيلٍ وَعُدَّ نَفْسَكَ فِي أَصْحَابِ الْقُبُورِ

٢٨٠

لمّا كانت الدنيا دار مجاز وعبور إلى الآخرة والآخرة دار قرار ومقام، أمر العبد *المؤمن أن يكون فيها كالغريب المجتاز الذي لا يحدّث نفسه في منزل نزله ومرحلة حلّ فيها بأن يبني فيها داراً أو يتّخذ فيها مستطراً[٣] بل يكفيه فيها مبيت ليله فحسب، فلا عابراً لسبيلٍ الذي

---

١. تتهاون بهم.

٢. «من عفّ خفّ على الصديق لقاؤه وأخو الحوائج وجهه مملول»؛ راجع: تفسير القشيري: ٤٤٠/١؛ التذكرة الحمدونيّة: ١٥٦/٨؛ المستطرف: ١١٧/٢؛ شعب الإيمان: ٢٧٦/٣، ح٣٥٣٥.

٣. كذا في خ.

يبني في المرحلة مقاماً ولا الغريب المجتاز .

ثمّ قال: «وَعُدَّ نَفْسَكَ فِي أَصْحَابِ الْقُبُورِ»، يعني أنّ العاقبة إلى الموت والقبر، وما هو آت قريب، ولذلك قال تعالى لنبيّه صلى الله عليه وآله: «إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتونَ»[1]، وفي قوله عليه السلام: «غريب أو عابر سبيل» إشارة إلى أنّه مأمور بالتوجّه إلى الجنّة، فهو في الدنيا ما يلزمه الاجتهاد لبلوغها.

وفائدة الحديث تبريد الدنيا على القلوب والأمر بالزهد فيها، وإعلام أنّه لا بدّ من الموت. وراوي الحديث عبد الله بن عمر بن الخطّاب. قال: أخذ النبيّ صلى الله عليه وآله بيدي وقال ذلك.[2] وروي: أخذ بمنكبي.[3] وروي: أخذ ببعض جسدي.

قوله صلى الله عليه وآله: دَعْ مَا يُرِيبُكَ إِلَى مَا لا يُرِيبُكَ

الريب: الشكّ، ورابني الأمر يريبني أي شكّكني، و«أراب» لغة هذيل، قال شاعرهم: «كأنّني أربته بريب»[4]؛ وأراب الرجل: صار ذا ريبة وأنشد:

أَخُوكَ الَّذِي إِنْ رِبْتَهُ قَالَ: إِنَّمَا ... أَرَبْتَ وَإِنْ عَاتَبْتَهُ لَانَ جَانِبُهُ[5]

يقول صلى الله عليه وآله: تجاوز من الأمور ما تشكّ فيه إلى ما أنت قاطع على صحّته.

وروي أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: «الأُمُورُ ثَلاثَةٌ: أَمْرٌ بَيِّنٌ رُشْدُهُ فَاتَّبِعوهُ، وَأَمْرٌ بَيِّنٌ غَيُّهُ فَاجْتَنِبوهُ،

---

١ . الزمر: ٣٠.

٢ . راجع: مصنّف ابن أبي شيبة: ٧٥/٧، ح ٣٤٣٠٤؛ مسند الروياني: ٤١٢/٢، ح١٤١٧؛ فيهما: «بيدي» و«ببعض جسدي»؛ وراجع: مسند الشهاب: ٣٧٣/١، ح ٦٤٤ ، فيه: «بيدي».

٣ . صحيح البخاري: ٢٣٥٨/٥، ح٦٠٥٣؛ شعب الإيمان: ٢٦٢/٧، ح١٠٢٤٥ و١٠٢٤٦.

٤ . أنشده خالد بن زهير الهذليّ، راجع: جمهرة اللغة: ٣٣٢/١ى تاج العروس: ٥٤٨/٢.

٥ . البيت منسوب إلى المتلمّس أو إلى بشّار برد؛ راجع: تهذيب اللغة: ١٨٢/١٥؛ لسان العرب: ٤٤٣/١؛ تاج العروس: ٥٤٨/٢؛ وراجع: ديوان بشّار: ١٩٦ ، أنشده في بحر طويل.

وَأَمْرٌ مُخْتَلِفٌ فِيهِ فَرُدَّوهُ إِلَى اللهِ عَجَلَّ»[١].

وقيل: التوقّف فرض من لا فرض له.

وفائدة الحديث النهي عن الشروع في الأمر على غرر من غير قطع عليه ووثوق به والأمر بتركه إلى المقطوع بصحّته. وراوي الحديث عبد الله بن عمر.

قوله صلى الله عليه وآله: انْصُر أَخَاكَ ظَالِماً أَوْ مَظْلُوماً[٢]

هذا الحديث يتضمّن الأمر بالمواساة والمظاهرة؛ فيقول صلى الله عليه وآله: لا تدبر على أخيك ظالماً أو مظلوماً، فإن كان مظلوماً فانتصر له، وإن كان ظالماً فكفّه عن الظلم إمّا بالنصيحة أو بالإمساك على يده.

هذا التفسير ورد في الحديث؛ وهو: قيل: يا رسول الله! ننصر مظلوماً فكيف ننصر ظالماً؟ قال: بمنعه عن الظلم.[٣]

وفائدة الحديث الأمر بالمعاضدة والمساعدة والمناصحة. وراوي الحديث أنس بن مالك.

قوله صلى الله عليه وآله: ارْحَمْ مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكَ مَنْ فِي السَّمَاءِ

٢٨١

*مضمون الحديث الرحمة والتلطّف والشفقة والرأفة. يقول: ارحم الناس حتّى يرحمك الله، إنّما قال: «[من] في السماء» للازدواج وهو باب من البلاغة، وإذا حقّقت فالمعنى: أنّ أمر الله تعالى فوق أمورنا ويد قدرته فوق أيدينا، ثمّ إنّ السماء محلّ الملائكة ومتصرّف الحافّين والصافّين والمسبّحين ومستقرّ العرش والكرسيّ والحجب وقبلة الدعاء واعتباراً بالفوقيّة، وإلّا قرّبنا ـ جلّ وعلا ـ في السماء كما هو في الأرض وبالعكس تعالى وتقدّس .

---

١ . الزهد لابن حنبل: ٢٩٦؛ المعجم الكبير: ٣١٨/١٠، ح ١٠٧٧٤؛ كنز العمّال: ٣٦١/١٥، ح ٤٣٤٠٣؛ وراجع: أماليّ الصدوق: ٣٨٢، ح ٤٨٦؛ بحار الأنوار: ٢٥٨/٢، ح ١.

٢ . في خ: ومظلوماً.

٣ . راجع: مسند أحمد: ٢٠١/٣، ح ١٣١٠١؛ مسند عبد بن حميد: ٤١١، ح ١٤٠١؛ مسند الحارث: ٧٦٢/٢، ح ٧٦٢.

وقال ـ عزّ وعلا ـ: «وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ»[١].

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تَرَاحَمُوا، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ كُلُّنَا رَحِيمٌ! قَالَ عليه السلام: إِنَّهُ لَيْسَ رَحْمَةُ أَحَدِكُمْ خَاصَّتَهُ وَلَكِنْ رَحْمَةُ الْعَامَّةِ»[٢].

وروى هيثم بن مالك الطائيّ قال: يقف العبد بين يدي الله تعالى يوم القيامة فيقول: اللّهمّ ارحمني، فيقول: هل رحمت لي شيئاً من خلقي فأرحمك فيردّها عليك؟ فيقول: هات شيئاً من خلقي رحمته من أجلي فأرحمك ولو عصفوراً، حتّى أن كان أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلف هذه الأمّة يشترون العصافير فيعتقونها.[٣]

وروي: أنّ رجلاً كان من عادته أن يشتري الطيور فيعتقها، فلمّا حمل ليدفن اجتمعت الطير عليه يصحن ممّا لا يحصى عدده إلّا الله تعالى، فلمّا قُبر سمعوا صوتاً: إلى متى تصحن؟! فقد وهبته لَكُنَّ؛ وهذا ممّا يسمع بأذن القلب.[٤]

وروي سلمان الفارسيّ رضي الله عنه: إنّ للهِ تعالى مِائَةُ رَحْمَةٍ، كُلُّ رَحْمَةٍ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، أنزلَ مِنْها رَحْمَةً وَاحِدَةً إِلَى الدنيا فَبِها يَتعاطفونَ وَيَتراحمونَ، وأخّرَ تسعةَ وتسعينَ رحمةً إلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَاللهُ قَابِضٌ تِلْكَ الرَّحْمَةَ، فَمُكَمِّلُهَا لِأَوْلِيَائِهِ مِائَةً»[٥].

وقوله عليه السلام: «في السماء» قد تقدّم القول فيه، ويجوز أن يكون المعنى: علمه تعالى وتقدّس فحذف المضاف، وقد فسّره بعضهم بأنّ المعنى: ارحم من دونك يرحمك من فوقك في الرتبة

---

١. الزخرف: ٨٤.

٢. مسند عبد بن حميد: ٤٢٤، ح١٤٥٤؛ المستدرك: ١٨٥/٤، ح٧٣١٠؛ شعب الإيمان: ٤٧٨/٧، ح١١٠٥٩؛ كنز العمّال: ٥٠/٩، ح٢٥٢٦٨.

٣. روي عن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وآله، راجع: مسند الروياني: ٤٠٨/٢ـ٤٠٩، ح١٤١١؛ تاريخ مدينة دمشق: ٢٦/٢٥؛ كنز العمّال: ٩٤/١٦ـ٩٥، ح٤٤٢٦٣.

٤. لم أقف على مصدره.

٥. الزهد لابن مبارك: ٣١٢/١، ح٨٩٤؛ مصنّف ابن أبي شيبة: ٦٠/٧، ح٣٤٢٠٦؛ صحيح مسلم: ٢١٠٩/٤، ح٢٧٥٣.

والمنزلة، وهو الله تعالى.

وفائدة الحديث الحثّ على الرحمة وإعلام أنّ الرحمة بها يتوصّل إلى رحمة الله تعالى. وراوي الحديث أبو عبيدة عن أبيه.

قوله صلى الله عليه وآله: اسمَحْ يُسْمَحْ لَكَ

هذا مثل الحديث الذي قبله، يقول صلى الله عليه وآله: افتح يديك وقلبك بالخير تُعامل بمثل معاملتك، واذخُر في دار الدنيا خيراً تستغيث به في عرصة القيامة.

٢٨٢

وفائدة الحديث الأمر بالجود والمسامحة للناس، وإعلام *أنّه إذا فعل ذلك قوبل بمثل فعله. وراوي الحديث عبد الله بن عبّاس.

قوله صلى الله عليه وآله: أَسْبِغْ الْوُضُوءَ يَزِدْ فِي عُمُرِكَ وَسَلِّمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتِكَ يَكْثُرْ خَيْرُ بَيْتِكَ

الوَضوء: الماء الذي يتوضّأ به، والوُضوء: المصدر، ومنهم من يقول للماء والمصدر الوضوء ـ بالفتح ـ على كلّ حال؛ والإسباغ: أن يوفّيه حقّه ولا يتسامح فيه ولا يُنقّص بل يغسل أعضاء الوضوء غسلاً بليغاً، ويخلّل لحيته وأصابعه، ويمسح ما يمسح باحتراز وتنوّق[1] ولا يتجوّز فيه. ويعلم أنّه أمر من أمر الله تعالى لا يمكنه إقامته المكتوبة عليه إلّا به فيحتاط فيه؛ ويجوز أن يكون الإسباغ توفير الماء على أعضاء الوضوء مع الإمكان؛ وعد من فعل ذلك بطول العمر، وذلك بيد الله تعالى يزيد وينقص؛ وبيّن هاهنا أنّه هل يختلف ما يعلم، لا والله لا يختلف بل يحيط علمه تعالى بأنّه سيفعل ذلك ويكون عمره كذا وكذا، وعلمه تعالى يمنع المعلوم ولا يمنع المعلوم علمه، لا تأثير للعلم في المعلوم، وهذا شوطٌ بطينٌ[2] والله أعلم به،

١. إتقان وتجويد.

٢. الشوط: يطلق على الجزء من كلّ عمل؛ والبطين: البعيد والواسع.

وغير هذا الموطن أولى به.

وعن أنس بن مالك قال: خدمت رسول الله ﷺ وأنا ابن ثمانيّ سنين وكان أوّل ما علّمني أن قال: يا أنس! أحسن وضوءك لصلاتك يحبّك حفظتك ويزد في عمرك.[1]

وعن عبد الله بن سمرة الأنصاريّ قال: «خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَنَحْنُ فِي مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ الْبَارِحَةَ عَجَباً، رَأَيْتُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي قَدْ بُسِطَ عَلَيْهِ عَذَابُ الْقَبْرِ، فَجَاءَهُ وُضُوءُهُ، فَاسْتَنْقَذَهُ»[2].

وقال عليه السلام: «الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ»[3].

وقال عليه السلام: «مَا تَوَضَّأَ عَبْدٌ فَأَسْبَغَ وُضُوءَهُ إِلّا غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الصَّلاةِ الأُخْرَى»[4].

وقال عليه السلام: سلّم على أقاربك وأولادك يكثر خير بيتك، وذلك أنّ التسليم عليهم والتعهّد لهم والتفحّص عن أحوالهم ومواساتهم ومعاضدتهم صلة[5] الرحم، وهي طاعة عظيمة تبارك الله عزّ وجلّ على من أتى بها.

وفائدة الحديث إعلام أنّ إسباغ الوضوء مَحراة[6] لطول العمر، وتعهّد أهل بيت المرء مُجددة

---

١. راجع: تفسير الثعلبي: ٣٢/٤؛ وراجع: المعجم الأوسط: ١٦٣/٣، ح٢٨٠٨؛ وراجع: مسند أبي يعلى: ١٩٧/٧، ح٤١٧٣.

٢. تاريخ واسط: ١٦٩؛ الأحاديث الطوال: ٢٨١، ح٣٩؛ تفسير الثعلبي: ٣٢/٤؛ كنز العمّال: ٣٩٠/١٥، ح٤٣٥٩٢؛ وراجع: أماليّ الصدوق: ٣٠١، ح٤٢؛ بحار الأنوار: ٢٩٠/٧، ح١.

٣. مصنّف ابن أبي شيبة: ١٤/١، ح٣٧و٣٨؛ مسند أحمد: ٣٤٢/٥، ح٢٢٩٥٣؛ صحيح مسلم: ٢٠٣/١، ح٢٢٣.

٤. مسند ابن المبارك: ٢١، ح٣٧؛ مصنّف عبد الرزّاق: ٤٥/١، ح١٤١؛ شعب الإيمان: ١٠/٣، ح٢٧٢٨؛ كنز العمّال: ١٢٣/٧، ح١٨٩٩٠.

٥. في خ: وصلة.

٦. مخلقة ومجدرة.

بالغنى[١]. وراوي الحديث أنس بن مالك، وتمامه: أنّه قال عليه السلام بعد هذا الكلام لأنس بن مالك: «وَسَلِّمْ عَلَى مِنْ لَقِيَكَ مِنْ أُمَّتِي تَكْثُرْ حَسَنَاتُكَ، وَلا تَنَمْ إلّا وَأَنْتَ طَاهِرٌ فَإنَّكَ إنْ مُتَّ مُتَّ *شَهِيداً، وَصَلِّ صَلاةَ الضُّحَى فَإنَّهَا صَلاةُ الأَوَّابِينَ مِنْ قَبْلِكَ، وَصَلِّ صَلاةَ اللَّيْلِ[٢] وَالنَّهَارِ يَحْفَظْكَ الْحَفَظَةُ، وَوَقِّرِ [الْكَبِيرَ]، وَارْحَمِ الصَّغِيرَ، تَلْقَنِي غَداً»[٣].

٢٨٣

قوله صلى الله عليه وآله: اسْتَعْفِفْ عَنِ السُّؤَالِ مَا اسْتَطَعْتَ

هذه موعظة بليغة وعظ بها النبيّ صلى الله عليه وآله الناس وإن توجّهت إلى بعضهم، فيقول عليه السلام: تعفّف عن سؤال الناس والاستعانة بهم، وذلك لأنّ المال معشوقهم والمعشوق لا يحتمل الشركة، وحسبك دليلاً على أنّ البخل غالب على الناس قول خالقهم ـ عزّ وعلا ـ: «وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ»[٤]، فهل بعد ذلك من مطمع في أحدهم؟! ولو قيل: إنّه الجواد[٥] الذي لا يليق شيئاً، [قلنا:] هذا في حال الاختيار والسعة فأمّا عند الاضطرار فالضرورات تبيح المحظورات.

وفائدة الحديث النهي عن السؤال ما أمكن الامتناع منه. وراوي الحديث عبد الله بن مسعود.

قوله صلى الله عليه وآله: قُلِ الْحَقَّ وَإنْ كَانَ مُرّاً

هذا أمر منه صلى الله عليه وآله بقول الحقّ من غير مداهنة ولا مراقبة، يقول عليه السلام: لا تمتنع عن قول

---

١. جددتُ بالخير: حظيتُ به.

٢. كذا في المصدر، وفي خ: وصلّ صلاة الليل.

٣. مسند الشهاب: ٣٧٧/١، ح٦٤٩؛ شعب الإيمان: ٤٢٨/٦، ح٨٧٦٤؛ كنز العمّال: ٣٨٣/١٥، ح٤٣٥٧١؛ وراجع: مسند أبي يعلى: ٢٧٣/٧، ح٤٢٩٣.

٤. النساء: ١٢٨.

٥. في خ غير واضحة.

الحقّ ولا تأخذك فيه لومة لائم وإن كان السامع يكرهه، فكنى عن كراهة السامع بالمرارة مجازاً واتّساعاً؛ ولا يبعد أن يكون المعنى: وإن كان قول الحقّ مرّاً على قائله والمتكلّم به.

وفائدة الحديث الأمر بقول الحقّ في جميع المواطن من غير مراقبة جانب ما لم يضرّ القائل وغيره. وراوي الحديث أبو ذرّ الغفّاري رضي الله عنه.

قوله صلى الله عليه وآله: اتَّقِ اللهَ حَيْثُ كُنْتَ وَأَتْبِعْ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ

هذا أمر بالتقوى في كلّ حال من الأحوال ومراقبة جانب الله تعالى في السرّاء والضرّاء، واتّباع السيّئة الحسنة لتضمحلّ إذا أتبعت بها، كما قال الله تعالى: «إِنَّ الْحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ»[١]، فإنّ الله تعالى إذا أذنب العبد ذنباً ثمّ راجع نفسه وأتى بحسنة عدّ ذلك الرجوع منه إلى الخير توبةً وعفواً عن ذنبه، ويُحسن[٢] الخلق وجميل المعاملة ولين الحديث وطلاقة الوجه وتطيّب المعايشة.

وقال عليه السلام: «أَوَّلُ مَا يُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ الْخُلُقُ الْحَسَنِ»[٣].

وفائدة الحديث تعليم مكارم الأخلاق الشرعيّة والنفسيّة. وراوي الحديث أبو ذرّ رضي الله عنه.

قوله صلى الله عليه وآله: بُلُّوا أَرْحَامَكُمْ *وَلَوْ بِالسَّلامِ

٢٨٤

«البلّ»: التندية[٤]، وهو هاهنا كناية عن الإحسان، قال أبو عبيد: بللتُ رحمي أبُلُّها بَلّاً

١ . هود: ١١٤.

٢ . كذا في خ، ولعلّ الصواب: «وبحسن» أي وهذا أمر بحسن ... ؛ بناء على العطف على «التقوى».

٣ . المصنّف لابن أبي شيبة: ٢١٢/٥، ح٢٥٣٣٧؛ المعجم الكبير: ٢٥٣/٢٤، ح٦٤٧؛ كنز العمّال: ٦٥/٣، ح ٥١٦٠.

٤ . أن يورد رجل إبلاً الماء ثمّ يردّه إلى المرعى ساعةً ثمّ يعيده إلى الماء.

وبِلالاً: إذا وصلتها ونَدّيتها بالصلة،[١] وهم يقولون: القطيعة يبس[٢]. قال:

فــلا تُــوبِسُوا بَــيْنِي وبَــيْنَكُمُ الثَّرَى فــإنّ الَّذِي بــينِي وبَــيْنَكُمُ مُــثْرِ[ي][٣]

والأرحام: القرابات، والواحد رحِم ورُحم. وقيل: إنّ أصل الرحم من رحم المرأة، لأنّ ذوي القرابات خارجون من رحم واحدة؛ وأرحامكم أي أولي أرحامكم.

يقول صلى الله عليه وآله: ندّوا إلى قرابتكم لخير يصل إليهم منكم. وقوله عليه السلام: «وَلَوْ بِالسَّلَامِ»، يعني ولو لم يكن إلّا سلاماً وتحيّةً.

وحثّ عليه السلام على ذلك بقوله أيضاً: «صِلَةُ الرَّحِمِ تَزِيدُ فِي الْعُمُرِ»[٤].

وروي عنه عليه السلام: «لمّا خَلَقَ اللهُ تَعَالى الرَّحِمَ قَالَ: أَنَا الرَّحْمَنُ وَأَنْتَ الرَّحِمُ، شَقَقْتُ اسْمَكَ مِن اسْمِي فَمَنْ وَصَلَكَ وَصَلْتُهُ وَمَنْ قَطَعَكَ قَطَعْتُهُ»[٥].

وليس معنى الأمر بالتسليم فحسب، بل معناه الأمر بالإحسان إليهم والمواساة لهم والتعطّف عليهم والحفاوة[٦] بهم والدنوّ منهم والكفّ عنهم. وذكر السلام إشارة إلى أن لا يستنكف الإنسان من الإحسان إليهم وإن كان قليلاً، فهو مثل.

وعن جعفر بن محمّد عن أبيه عليهما السلام قال: لمّا ابتلع يونس الحوت حرقت به البحار السبع في أسرع من طرفة العين، فمرّت الحوت بقارون ومعه ملك موكّل بعذابه فلمّا سمع قارون تسبيح يونس عليه السلام بالعبرانيّة قال للملك الموكّل بعذابه: من هذا؟ فأوحى الله تعالى إليه أن أعلمه أنّه يونس بن متّى نبيّ الله عليه السلام فأعلمه فقال قارون للملك: ائذن لي أن أكلّمه، فأوحى

---

١. راجع: غريب الحديث لابن سلام: ١/٣٤٧؛ تهذيب اللغة: ١٥/٣٤٥.

٢. راجع: غريب الحديث لابن الجوزي: ١/٨٦، فيه: «للقطيعة».

٣. قاله جرير، راجع: طبقات فحول الشعراء: ١٨٣؛ جمهرة الأمثال: ٢/٤٠٦؛ مقاييس اللغة: ١/٣٧٤.

٤. راجع: الخصال: ٥٠٥؛ النوادر للمؤلّف: ٨٣؛ بحار الأنوار: ٧١/١٠٣، ح٦١؛ وراجع: المعجم الأوسط: ١/٢٨٩، ح٩٤٣؛ مسند الشهاب: ١/٩٣، ح١٠٠.

٥. معاني الأخبار: ٣٠٢؛ بحار الأنوار: ٢٣/٢٦٥، ح١١.

٦. العناية في أمرهم.

الله إليه أن أئذن له، فقال له قارون: يا يونس! ما فعل ابن أخي هارون بن عمران؟ قال: مات، قال: فما فعل ابن أخي موسى بن عمران؟ قال: مات، قال: ما فعلت بنت أخي كلثوم بنت عمران؟ قال: ماتت، قال: فبكى قارون وقال: وانقطاع[1] رحماه، فأوحى الله إلى الملك الموكّل بعذابه: ارفع عن قارون العذاب أيّام الدنيا بذكره لرحمه وبكائه عليها.[2]

وفائدة الحديث الأمر بصلة الرحم. وراوي الحديث سويد بن عامر الأنصاريّ.

قوله صلى الله عليه وآله: تَهادَوا تَزْدادُوا حُبّاً وهاجِروا تُوَرِّثُوا أبْناءَكُمْ مَجْداً وأقِيلُوا الكِرامَ عَثَراتِهِمْ

الهديّة: التحفة تهديها إلى غيرك، والجمع الهدايا، والمِهدى: الطبق الذي يهدى عليه، والمِهداء: الكثير الإهداء، والتهادي: ٭أن تهدي إلى صاحبك ويهدي صاحبك إليك؛ والمهاجرة: الهجرة وهي مفارقة دار الكفر إلى دار الإيمان، وأصل الهجر الترك؛ والمجد: السعة في الكرم، وقد مجد يمجُد مجداً ومَجَادةً، وهو من قولهم: مَجَدَتِ الإبل: إذا حصلت في مرعى واسع، وقد أمجدها الراعي، وفي كلامهم: «في كلّ شجرة نار واستمجد المرْخ والعَفَار»[3]. وإقالة العثرة: التجاوز عنها، وأصلها من إقالة البيع وهو فسخه، يقول: استقلت البيع فأقالينه، وقِلْتُه البيع لُغيّة[4]، وإقالة العثرة كأنّها فسخ سخط تنشأ للمقيل من عثرة المستقيل؛ وأصل إقالة البيع من التقيّل وهو الإتباع والنزوع بالشبه، والمعنى أنّه عاد الملك إلى المتقابلين إلى ما

٢٨٥

---

١. كذا في خ.

٢. راجع: تفسير العياشي: ٢/١٣٦ـ١٣٧، ح٤٦؛ بحار الأنوار: ١٤/٣٩٩ـ٤٠٠، ح١٣؛ وراجع: تفسير أبي حمزة الثمالي: ٢٤٦؛ وراجع: تفسير السمعاني: ٤/٤١٥.

٣. يضرب مثلاً في تفضيل الرجال بعضهم على بعض، أي لكلّ واحد من هؤلاء فضل إلّا أنّ فلاناً أفضل؛ راجع: جمهرة الأمثال: ٢/٩٢؛ مجمع الأمثال: ٢/٧٤؛ وراجع: الحيوان: ٤/٤٦٦.

٤. أي لغة قليلة.

كان قبل المعاقدة، وتكون إقالة العثرة على هذا أنّه صار المقيل إلى ما كان عليه قبل.

يقول صلى الله عليه وآله: تهادوا ليستأنس بعضكم ببعض ويستقرّ في قلوبكم محبّة بعضكم لبعض، وذلك لأنّ القلوب مجبولة على حبّ المحسن وبالعكس، والتهادي نوع من حسن الخلق، به يتألّف القلوب ويحصل التعاضد المطلوب وكان النبيّ عليه السلام يقبل الهديّة ويعوّض عنها لئلّا يكون لأحد عليه يد.

واستدلّ سلمان الفارسيّ ـ رحمة الله عليه ـ على نبوّته بأن قبل الهديّة وأكل منها، وصرف الصدقة إلى أصحابه المهاجرين ولم يمسّها، وذلك لأنّ الصدقة أوساخ[1] الناس لا تصلح له ولا لأهل بيته الطاهرين، وكان بعض أساقفة النصارى قد دلّه على ذلك.[2]

والأولى في الهديّة أن يعاض عنها، واستدلّ على ذلك بأنّ أعرابيّاً أهدى إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فأثابه عليها فلم يرض به، فقال عليه السلام: «لقد هممتُ ألَّا أَتَّهِبُ إلَّا مِنْ قُرَشِيٍّ، أَوْ دَوْسِيٍّ، أَوْ ثَقَفِيٍّ»[3].

وقيل: إنّ الهدايا على ثلاثة أوجه: فهي لمن دونك برّ وثواب، ولمن فوقك رغبة وطلاب، ولمن هو مثلك تودّد واقتراب.

وروي أنّ أمّ حكيم الخزاعيّة قالت: يا رسول الله! أتكره الهديّة؟ فقال: «مَا أَقْبَحَ الهديَّة، وَلَوْ أُهْدِيَ إِلَيَّ ذِرَاعٍ لَقَبِلْتُ، وَلَوْ دُعِيتُ إِلَى كُرَاعٍ لأَجَبْتُ»[4].

وروي: أنّ كُراعاً موضع. والمعنى: إنّي لو دعيت إلى هذا الموضع لتجشّمت المسافة طلباً

---

١. جمع الوسخ، وهو ما يعلو الأشياء من الدرن وقلّة التعهّد بالماء.

٢. راجع: الطبقات الكبرى: ٤/٧٦ـ٧٧؛ مسند أحمد: ٥/٤٤٢ـ٤٤٣؛ المعجم الكبير: ٦/٢٤٤، ح ٦١١٠؛ المستدرك: ٣/٦٩٦، ح ٦٥٤٣.

٣. مصنّف عبد الرزّاق: ٩/١٠٥، ح ١٦٥٢١؛ مسند أحمد: ١/٢٩٥، ح ٢٦٨٧؛ كنز العمّال: ٥/٣٢٦، ح ١٤٤٨٠.

٤. المعجم الكبير: ٢٥/١٦٢، ح ٣٩٢؛ معرفة الصحابة: ٦/٣٤٨٥، ح ٧٩٠٤؛ شعب الإيمان: ٦/٤٨٠، ح ٨٩٧٩؛ كنز العمّال: ٦/٤٦، ح ١٥٠٩٥؛ وراجع: مسند أحمد: ٢/٤٢٤، ح ٩٤٨١.

لرضا المضيف، كأنّه عليه السلام حضره رجلان من ثقيف ودوس فاستمالهما بذلك.

وقال عليه السلام: «مَنْ شَفَعَ لِأَحَدٍ شَفَاعَةً، فَأَهْدَى لَهُ هَدِيَّةً فَقَبِلَهَا، فَقَدْ أَتَى [بَاباً] عَظِيماً مِنَ الرِّبَا»[1].

وروي في الحديث: من أهديت إليه الهديّة وجلساؤه عنده فهم فيه شركاء.[2]

وروي: «الهدايا مشتركة»[3].

٢٨٦

ونظمه الصاحب الجليل أبو القاسم إسماعيل بن عبّاد بن عبّاس *الطالقانيّ رحمه الله[4] فقال:

رويت في السنّة المشهورة البركة	إنّ الهديّة في الإخوان مشتركة[5]

وروي: أنّ عبد الله بن عبّاس أهديت إليه هدايا وفيها ثياب سقلاطونيّة فروى بعض جلسائه هذا الحديث، فقال ذاك فيما يؤكل لا في الثياب السقلاطونيّة.[6]

وسألت عائشة رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت: «إنَّ لِي جَارَتَيْنِ، فَإِلَى أَيِّهِمَا أُهْدِي؟ قَالَ: إِلَى أَقْرَبِهِمَا مِنْكِ بَاباً»[7].

وقال عليه السلام: «الْهَدِيَّةُ رِزْقُ اللهِ، فَمَنْ أُهْدِيَ إِلَيهِ شَيْءٌ فَلْيَقْبَلْهُ، وَلْيُعْطِ خَيْراً مِنْهُ»[8].

ثمّ أمر بالهجرة وذلك زمان الهجرة قائمة، والنبيّ صلى الله عليه وآله بالمدينة ؛ وتورثوا أبنائكم مجداً، لأنّه صارت الهجرة فخراً في الأعقاب؛ ولعمري، أنّها لفخر، وقد اعتمروا بتقدّم الهجرة وتأخّرها؛

---

١. مسند أحمد: ٢٦١/٥، ح ٢٢٣٠٥؛ المعجم الكبير: ٢٣٨/٨، ح٧٩٢٨؛ كنز العمّال: ٤٥/٦، ح ١٥٠٧٠.

٢. راجع: سنن البيهقي: ٨٣/٦، ح١١٨١٦ و١١٨١٧.

٣. رسائل الثعالبي: ٤٧؛ وراجع: الإعجاز والإيجاز: ٢٢؛ محاضرات الأدباء: ٤٩٦/١.

٤. الوزير الكبير لمؤيّد الدولة بن ركن الدولة، ولد سنة ٣٢٦ق؛ راجع: سير أعلام النبلاء: ٥١١/١٦ـ٥١٢؛ أعيان الشيعة: ٣٢٦/٣ـ٣٢٨؛ في خ: التالاني.

٥. يتيمة الدهر: ٢٣٠/٣؛ التمثيل والمحاضرة: ٩٥.

٦. لم أقف عليه.

٧. مصنّف عبد الرزّاق: ٨١/٨، ح ١٤٤٠١؛ مسند أحمد: ١٧٥/٦، ح ٢٥٤٦٢.

٨. مسند ابن المبارك: ١٧٣، ح ٢٣٣؛ مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا: ١٠٩، ح٣٥٨؛ كنز العمّال: ٤٤/٦، ح ١٥٠٩١.

وقال الله تعالى: «وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهاجِرِينَ وَالْأَنْصارِ» [١]، وحمله بعضهم على أنّ معناه تزوّج الرجل في الأجانب ليستفيد إلى قبيله قبيلةً أخرى ويشدّ أزره بمصاهرتهم.

وفي كلام لعمر بن الخطّاب: «اغتربوا لا تضْوُوا» [٢].

وقال الشاعر:

إن طلبتَ الإنجابَ فانكح غريباً وإلى الأقربين لا تتوسّل

فأشفُّ الثمارِ طيباً وحسناً ثَمرُ غصنُهُ غريبٌ مُوَصّلْ [٣]

ثمّ أمر بإقالة الكرام عثراتهم، والكرم عبارة عن الأفعال المحمودة والسجايا الطاهرة، فيقول صلى الله عليه وآله: إذا عثر كريم عثرةً أو زلّ زلّةً فلا تحملوه على ميزان العدل وتجاوزوا عنه حرمةً له وإبقاءً عليه ومراعاةً لجانبه وتحفيّاً به لكرمه وفضله.

وفائدة الحديث الأمر بالتهادي والتواصل والمهاجرة وإقالة العثرة. وراويته عائشة.

قوله صلى الله عليه وآله: تَهَادَوْا فإنَّ الْهَدِيَّةَ تُذْهِبُ وَحَرَ الصَّدْرِ

وحر الصدر: غشّه ووساوسه وبلابله، والوحرة في الأصل: دُوَيبّة كالعَظاءة تلزق بالأرض، فشبّهت العداوة بها لشبهها بالقلب، يقال: وَحِرَ صدره ووَغِرَ. وقال النضر: الوحر: أشدّ الغضب، وقال غيره: الوحر: الحقد والغيظ. [٤]

يأمر عليه السلام بالتهادي والتحفّي فإنّه لا يبقى معهما غلّ في الصدر.

---

١. التوبة: ١٠٠.

٢. غريب الحديث لابن قتيبة: ٧٣٧/٣؛ غريب الحديث للحربي: ٣٧٩/٢؛ النهاية: ١٠٦/٣؛ لم أجد نقله عن عمر؛ معناه: أنكحوا في الغرائب، فإنّ ولد الغريبة أنجب وأقويم وأولاد القرائب أضعف وأضوى.

٣. أنشده الباخرزيّ وهو أديب من أهل باخرز ناحية من نواحي نيسابور، توفيّ سنة ٤٦٧؛ راجع: إلى ترجمته في: ذيل تاريخ بغداد: ١٩٢/٣، ح٧٥٦؛ خريدة القصر وجريدة العصر: ٩٤/٢؛ وفيات الأعيان: ٣٨٧/٣؛ والبيتان يوجد في: البدر المنير: ٥٠٠/٧؛ ديوانه: ٥١.

٤. راجع: لسان العرب: ٢٨١/٥؛ تاج العروس: ٥٨٧/٧.

وفائدة الحديث الأمر بالتواصل والنهي عن التهاجر. وراوي الحديث أبو هريرة.

قوله صلى الله عليه وآله: تَهَادَوْا تَحَابُّوا

هذا الحديث مثل الذي قبله، يقول صلى الله عليه وآله: تباذلوا في الهدايا والتحف والألطاف فإنّه يورث الحبّ والمودّة وتدعوا إلى التواصل والترافد.

٢٨٧ وفائدة الحديث الأمر بالهديّة تحرّياً بالموادّ *الحبّ . وراوي الحديث عبد الله بن عمرو بن العاص.

قوله صلى الله عليه وآله: تَهَادَوْا بَيْنَكُمْ فإِنَّ الهَدِيَّةَ تَذْهَبُ بالسَّخِيمَةِ

السخيمة: الضغينة الموجدة في النفس.

يقول صلى الله عليه وآله: تهادوا فيما بينكم وليسترسل بعضكم إلى بعض في الإلطاف والإهداء، فإنّ ذلك ممّا يسلّ الضغائن ويذهب الحسائك[1].

وفائدة الحديث الأمر بالمهداة[2] والملاطفة والمباسطة. وراوي الحديث مكحول الدمشقيّ الكابليّ.

قوله صلى الله عليه وآله: تَهَادَوا فَإِنَّهُ يُضَعِّفُ الحُبَّ وَيُذْهِبُ بِغَوائِلِ الصَّدْرِ

قالوا: إنّ أصل «غول»: الذهاب بالشيء، وقوله تعالى: «لَا فِيهَا غَولٌ»[3] أي إذهاب عقل، والغول: الخيانة وكذلك الغائلة، يقال: غاله فاغتاله إذا ذهب به. وفي عهدة المماليك: «لا داء

١. جمع الحسيكة، وهي العداوة وما يضمّ في القلب من خشونة.

٢. كذا في خ، ولعلّ الصواب: بالمهاداة

٣. الصافّات: ٤٧.

ولا غائلة». قال النضر: الغائلة أن يكون مسروقاً ويستعمل في الإهلاك[١]، لأنّه إذهاب، ومنه الغُول وهو جميع ما يتغوّل الإنسان ويهلكه، ومنه الغِيلان للسَعالي[٢]، ويستعمل الغائلة في العداوة.

فيقول صلى الله عليه وآله: تهادوا فيما بينكم ليضعّف التهادي الحبّ في قلوبكم ويسلّ حسائك الصدور الكامنة فيها.

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يقبل الهديّة ثمّ قال صلى الله عليه وآله: «هَدَايَا الأمَرَاءِ غُلُولٌ»[٣]، وذلك لأنّه يُهدى إليه خوفاً واستمالةً فهو بالرُشوة أشبه، يعني أنّ الأمراء خَوَنةٌ[٤] في قبول تلك الهدايا.

وكان عمر بن عبد العزيز يقول: كان لرسول الله صلى الله عليه وآله هديّة وللأمراء بعده رشوة.[٥] فأمّا إذا خلا من التصنّع والاستمالة والخوف فهو حلال.

وفائدة الحديث الحثّ على التهادي لتنتج منه المودّات. وراوية الحديث أمّ حكيم الخزاعيّة.

قوله صلى الله عليه وآله: تَهَادَوا فَإنَّ الهدِيَّةَ تُذْهِبُ بِالضَّغَائِنِ

الضِغْن: الحقد، وكذلك الضغينة، وقد ضَغِن عليه ـ بالكسر ـ ضَغَناً، وتضاغن القوم واضطغنوا: إذا انطووا على الأحقاد.

يقول صلى الله عليه وآله: تسامحوا فيما بينكم بالهدايا، فإنّها تسلّ الضغائن والسخائم.

وفائدة الحديث الحثّ على التهادي كالأحاديث التي تقدّمت. وراوية الحديث عائشة.

---

١. راجع: غريب الحديث لابن الجوزي: ١٦٧/٢؛ النهاية: ٣٩٧/٣؛ لسان العرب: ٥٠٩/١١.

٢. الغيلان جمع الغول، والسعالي جمع السِعلى.

٣. غريب الحديث لابن سلام: ٣١٣/١؛ المعجم الأوسط: ١٦٨/٥، ح٤٩٦٩؛ كنز العمّال: ٤٥/٧، ح١٥٠٨٣.

٤. جمع الخائنة.

٥. صحيح البخاري: ٩١٦/٢؛ البصائر والذخائر: ٤٨/٨؛ حلية الأولياء: ٢٩٤/٥.

قوله صلى الله عليه وآله: اطلبوا الخَيْرَ عِنْدَ حِسَانِ الوُجُوهِ

الأولى أن يقال: إنّ مراده صلى الله عليه وآله بالحسن هاهنا ليس اعتدال محاسن الصورة وتناسب ❊الأعضاء بل المراد الوجوه الحسنة المحمودة التي لا غضاضة على من تعرّض لها ولا إشفاق يُحكم لمن تناولها ولا منقصة تلزم السالك لطريقها، فهي محمودة لا اعتراض على من بغاها ولا مذلّة في طلبها.

٢٨٨

وقيل: إنّه عليه السلام أراد به ذوي الوجوه في الناس وذوي الأقدار. ومثله قوله عليه السلام: «نَضَّرَ اللهُ عَبْداً سَمِعَ مَقَالَتِي»[١]، ليس هذا من الحسن الوجوه.

وروي عن الزهريّ أنّه قال: «والله ما عنى رسول الله صلى الله عليه وآله الصَبَاحة، ولكن عنى الذليل عند الحاجة».

وأنشد:

دَلَّ عَلى مَعروفِهِ وَجْهُهُ ... بُورِكَ هَذا هَادِياً مِنْ دَلِيلْ[٢]

ومثله:

يدلّ معروفُه حُسنَ وجهِهِ ... وما زال حسنُ الوجه إحدى الدَلائل[٣]

قال: ومثله حديثه الآخر: «مَنْ كَثُرَ[تْ] صَلاتُهُ بِاللَّيْلِ حَسُنَ وَجْهُهُ بِالنَّهَارِ»[٤]. يعني جاهه وقدره.

وقد روي الوجه الأوّل عن عائشة[٥]، ولو أراد مريدٌ أن يحمله على حسن الصورة وجمال

---

١. الكافي: ٤٠٣/١؛ أماليّ الصدوق: ٤٣٢، ح٥٦٩؛ وراجع: مسند أحمد: ٢٢٥/٣، ح١٣٣٧٤؛ سنن ابن ماجه: ٨٦/١، ح٢٣٦.

٢. قضاء الحوائج: ٥٩؛ الحماسة المغربيّة: ١٦٢/١؛ ديوان الحماسة: ٢٧٨/٢؛ ديوان الخنساء: ٩٥.

٣. راجع: المقاصد الحسنة: ١٤٩؛ فيض القدير: ٥٤٠/١؛ كشف الخفاء: ١٥٣/١.

٤. سنن ابن ماجه: ٤٢٢/١، ح١٣٣٣؛ مسند الشهاب: ٢٥٥/١، ح٤١٣؛ كنز العمّال: ٣٢٣/٧، ح٢١٣٩٤.

٥. مسند أبي يعلى: ١٩٩/٨، ح٤٧٥٩؛ شعب الإيمان: ٢٧٨/٣، ح٣٥٤١؛ كنز العمّال: ٢٢٠/٦، ح١٦٧٩٥.

الهيأة لأمكنه، وذلك لا شكّ أنّ الحسن مزيّة من المزايا يختصّ الله تعالى به من يشاء من عباده. فيقول عليه السلام على هذا الوجه: اطلبوا الخير من الوجوه الحسنة، أي ذوي الوجوه المختصّة بمزيّة الحسن. والأولى الوجه الأوّل، والله أعلم.

ويجوز أن يكون هذا الحسن هو نور الوجه لا اعتدال المحاسن وتناصفها[١].

وفائدة الحديث الأمر بالطلب من الوجوه المرضيّة البعيدة من الدناءة والإسفاف، أو قصد الوجوه التي عليها نور وجمال وبهاء. وراوي الحديث عبد الله بن عمر بن الخطّاب.

قوله صلّى الله عليه وآله: بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلا حَرَجَ

هذا أمر منه عليه السلام بإبلاغ الكتاب العزيز الذي أنزله الله عليه وروايته وتحفّظه وتلاوته. وقوله عليه السلام: «ولو آيةً» مثل، يعني عليه السلام: إن لم تقدروا على الكثير منه فبلّغوا القليل وما قدّرتم عليه.

والآية في الأصل: العلامة، ووزنها فَعَلَة أَوَيَة. وقال سيبويه[٢]: موضع العين من الآية «واو» لأنّ ما عينه «واو» ولامه «ياء» أكثر ممّا عينه ولامه «ياء»، فالأوّل شوَيْت والثاني حييتُ. قال: والنسبة إلى الآية أووِيٌّ. وقال الفرّاء: هي فاعلة وذهبت منه اللام، ولو جاءت على التمام لكانت آيِيَةً، ولكنّها خفّفت والجمع آيٌ وآيايٌ وآيات.

وأنشد أبو زيد:

لم يُبْقِ هذا الدَّهْرُ مِن آيائِهِ إلَّا أَثـافِيهِ و أَرْمِـدائِـه[٣]

وقوله عليه السلام: «وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلاَ حَرَجَ»، أي لا حرج *عليكم ولا ضيق في [٢٨٩]

---

١. التناصف: استواء محاسن الأعضاء.

٢. راجع: الصحاح: ٢٢٧٥/٦؛ مقاييس اللغة: ١٦٨/١.

٣. أدب الكاتب: ٤٧٥؛ تهذيب اللغة: ٨٤/١٥؛ المخصص: ٥٢/٥.

أن تحدّثوا عنهم بما يوافق العقل ولا يثلم الدين من الآيات التي كانت فيهم والعجائب التي كانت تتمّ في عهدهم وعنادهم للأنبياء وزهد زهّادهم، فأمّا ما فيه فساد فلا يجوز روايته.

وروي أنّ النبيّ عليه السلام نهى بعض أصحابه عن تتبّع كتبهم فقال له: «أَتَتَهَوَّكُونَ أَنْتُمْ كَمَا تَهَوَّكَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى»[1]. والتهوّك: التحيّر، والهَوَك: الحُمق وهو أهْوَكُ.

وفائدة الحديث الأمر برواية القرآن والرخصة في التحديث عن بني إسرائيل وذكر أحوالهم. وراوي الحديث عبد الله بن عمر.

قوله صلى الله عليه وآله : اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللهِ

«الفِراسةِ ـ بكسر الفاء ـ اسم من قولك: تفرّستُ فيه خيراً وهو يتفرّس أي ينظر متثبّتاً، ورجل فارس النظر، والفَروسيّة ـ بفتح الفاء ـ على الخيل. وفي الحديث: «عَلِّمُوا أَوْلادَكُمْ العَوْمَ وَالفَرَاسَةَ»»[2].

ومعنى الحديث : أنّ المؤمن متفرّس في الأشياء بما نوّر الله تعالى به قلبه، فواقف على الحقائق ومدرك ما خفي عن غيره.

ومعنى الحديث: أنّ المؤمن مستبصر عالم درّاك متفرّس في الأمور غير غافل عنها.

وفائدة الحديث إعلام أنّ المؤمن عالم بالأمور متفرّس فيها مستضيء بما نوّر الله به خاطره، كأنّه محدّث بما سيكون من الأحوال لا مستدلّاً له عليها. وراوي الحديث أبو أُمامة البَاهِليّ.

قوله صلى الله عليه وآله : اتَّقُوا الحَرَامَ فِي البُنْيانِ فإنَّهُ أساسُ الخَرَابِ

«الحرام» هو ما أعلم فاعله أنّه ليس له فعله ودُلّ على ذلك، وقال بعضهم: الحرام الممنوع

١ . الدعوات للراوندي: ١٧٠، ح ٤٧٥؛ معاني الأخبار: ٢٨٢؛ بحار الأنوار: ٩٩/٢٠، ح ٥٤ و ١٧٩/٣٠، ح ٣٩؛ وراجع: غريب الحديث لابن سلام: ٢٨/٣؛ شعب الإيمان: ٢٠٠/١، ح ١٧٦؛ الفائق: ١١٦/٤.

٢ . النهاية: ٤٢٨/٣؛ وراجع: تهذيب اللغة: ٢٨٢/١٢؛ الفائق: ١١٤/٣.

منه، إمّا بتسخير إلهيّ أو بمنع بشريّ؛ و«البنيان»: الحائط وهو واحد، وقال بعضهم: هو جمع وواحده «بنيانة» كتمر وتمرة؛ والأساس والأسّ: القاعدة التي يبنى عليها، وجمع الأساس أسسٌ، وجمع الأسّ إساس، وقد أسّست البناء: جعلت له أُسّاً؛ والخراب: ضدّ العمارة.

يقول صلى الله عليه وآله: من غصب إنساناً حجراً فجعله في بناء له أوشك أن يصير ذلك الحجر داعية الخراب بمكان ذلك الاغتصاب؛ وهذا مثل ضربه لأمّته لئلّا يتهاونوا بأحوال الناس، ويجوز أن يكون ذلك إشارة إلى إنفاق المال الحرام في البناء.

وروي: أنّ بعض الناس جعل يقلّب حجراً لبعض حكماء يونان فهجم عليه الحكيم فلامه فاعتذر الرجل إليه وقال: لم أعلم أنّه لك *قال: فهب إنّك لم تعلم أنّه لي، ألم تعلم أنّه ليس لك؟![1] ٢٩٠

وأنت إذا كشفت عن عين البصيرة القناع ونَحَّيْتَ عنها الغطاء[2] ونظرت في دور هؤلاء المستحلّين الذين يجمعون من هنا وثمّ ولا يبالون، ويبنون بها جمعوا الأبنية، كيف يتعطّل مساكنهم وتضمحلّ آثارهم وتبقى خاليةً طامسةً تأوي إليها الثعالب وتنسج في أفنيتها العناكب ثمّ تصير أطلالاً جاثمةً[3] ودِمَناً بائدةً لابدةً[4] كأن لم تغن بالأمس، كم قد رأينا ذلك فما اعتبرنا، وشاهدنا فما استبصرنا، نبّهنا الله عزّ وجلّ من سِنَة[5] الغفلة، فما أغفلنا في الأمس من كتبة هذا الموضع من كتابنا هذا فهو ربّ تلك الدار التي بناها ذلك المسكين أبو عبد الله الفضل بن محمّد بن الفضل بن محمود ـ سامحه الله ـ بقاشان وأنفق فيها الذخائر وأجلى عن[6]

---

١ . لم أقف على مصدره.

٢ . أزلته وأبعدته عنها.

٣ . الأطلال: جمع الطَلَل وهو ما شخص من آثار الدار؛ والجاثمة: الذي لا يبرح بيته.

٤ . الدمن: جمع الدمنة وهي آثار الناس وآثار الدار؛ والبائدة: الهالكة؛ واللابدة: اللاصقة بالأرض.

٥ . النعاس من غير نوم.

٦ . خرج.

قرارها خلقاً من المساكين فهدم دورهم وجعلها يزعم داراً لنفسه، فأخرج فحازها[١] مائة ألف دينار فشيّدها وصوّرها ونقّشها وزبرجها وبسط في صحنها البستان نازلاً عن القرار فارتفعت أشجاره مساويةً لصحنها واتّخذ فيها السرور[٢] الذي لم يسمع بمثله، وفرشه بالآجُرّ المدهون الملوّن قائماً ونائماً، يزري على الفُسَافِسُ[٣] ويغضّن من كلّ منافس، وأجرى فيه الماء إلى البستان الذي اخترعه في قرار صحنها وهي فوق السَرَب الصُفَّة[٤] التي سمّر بها السامرون وصمدها[٥] الغرباء والزائرون، وانتشر ذكرها في الدنيا من عجيب بنائها وكثرة تزاويقها[٦] وسترها بالأستار وحجبها عن الأبصار؛ فترى الآن تلك الآجرّ مقطوعةً وبكلّ الأستار مرفوعة والصُفّة منهدمة عن السرب خاسفةً به، آية من الآيات وعبرة من العبر ــ أعاذنا الله من الخذلان ــ وبعد ذلك بيعت من المساكين من أصحابها وغيرهم ونقل بعض اليهود آجرّها إلى داره ونُقلت أبوابها، فسارت في الدنيا.

وفائدة الحديث النهي عن الحرام والتلبّس به والدنوّ منه. وراوي الحديث عبد الله بن عمر.

قوله ﷺ: أَكْرِمُوا أَوْلادَكُمْ وأَحْسِنُوا آدَابَهُمْ

«الكرم» في بني آدم: الأفعال المحمودة، و«الأدب» كناية عمّا تدعو إلى المحامد، وأصل «أدب»: الدعاء، والمأدبة: المدعاة وهي أن تتّخذ طعاماً فيدعو إليه الناس، والآدِب: الداعي.

يقول ﷺ: أعزّوا أولادكم وتأنّفوا تأديبهم حتّى لا يبقوا عاجزين※مساكين ضعفاء لا

٢٩١

١. في خ: فهازها.

٢. جمع السرير.

٣. البقّ وهو جمع البقّة وهي البعوضة.

٤. السَرَب: بيت تحت الأرض؛ والصفّة: البهو الواسع العالي السقف.

٥. قصدها.

٦. سقوفها.

يعرفون لرزقهم وجهاً وربّما أقدموا على ما يتكفّون به في دنياهم ويعاقبون به في آخرتهم.

ومعنى الحديث: الأمر بالقيام بمصالح الأولاد وتحسين آدابهم، من إرشادهم وتأديبهم وتعليمهم القرآن والفرائض وحملهم على مكارم الأخلاق، حتّى ينشأوا عليها ويتدرّبوا على التخلّق بها، فتصير لهم خلقاً؛ ونهاهم عن القبائح والأخلاق الذميمة ومجالسة الأشرار ومخالطة الأوباش؛ ولا يعني عليه السلام بالإكرام تؤثير ملابسهم وتنبيق[1] مطاعمهم.

وفائدة الحديث الأمر بإعزاز الأولاد وتعليمهم الأخلاق الحسنة. وراوي الحديث أنس بن مالك.

قوله صلى الله عليه وآله: قُولُوا خَيْراً تَغْنَمُوا، وَاسْكُتُوا عَنْ شَرٍّ تَسْلَمُوا

الغنيمة: ما يفوز به الإنسان قارّاً وادعاً.

يقول صلى الله عليه وآله: إنّ من علم أنّ قوله يكتب عليه خيراً كان أو شرّاً لحريّ أن لا يقول إلّا ما ينفعه ولا يتفوّه بما يخاف مَغَبّته[2]؛ فيقول عليه السلام: قولوا الخير لئلّا يستضرّوا بعاقبته وتصيبوا الغنيمة فيما تقولون.

ثمّ قال عليه السلام: «وَاسْكُتُوا عَنْ شَرٍّ» أي أتركوه وأمسكوا عنه لتعمّكم العافية وتحفّكم السلامة؛ وهذا كقوله عليه السلام: «الْبَلاءُ مُوَكَّلٌ بِالْقَوْلِ»[3]. و«سكت عنه» أي تجاوزه و«عن» هاهنا تفيد التجاوز، وإنّما نكّر «الشرّ» ليكون أعمّ وأشيع ولأنواع الشرّ أجمع.

وفائدة الحديث الأمر بقول الخير تحرّياً للظفر بالغنيمة والخير، والنهي عن قول الشرّ طلباً للسلامة. وراوي الحديث عبادة بن الصامت.

---

١. ترتيب.

٢. عاقبته.

٣. مسند ابن الجعد: ٢٩٠، ح١٩٦٣؛ شعب الإيمان: ٢٤٤/٤، ح٤٩٤٨؛ كنز العمّال: ٢٢٠/٣، ح٧٨٤٤.

قوله صلى الله عليه وآله: تَخَيَّرُوا لِنُطَفِكُمْ

هذا الحديث كما تقدّم من قوله عليه السلام: «انْظُرُوا فِي أَيِّ نِصَابٍ تَضَعُ وَلَدَكَ»[1]، فيقول صلى الله عليه وآله: اختاروا الأزواج وهنّ مواقع النطف، والنطفة: الماء القليل، وربّما يعبّر به عن الكثير، والنطفة في الحديث عبارة عن الماء الذي يخلق منه ابن آدم، وهو الزرع الذي يتكوّن منه الجنين بتقدير ربّ العالمين، فيأمر باستسرار[2] المضاجع واستكرام أمّهات الأولاد سواء كنّ حرائر أو إماء، وذلك لأنّ عروق الأمّهات تسري في الأولاد، ولذلك نهي عن استرضاع الحمقاء والفاجرة،[3] وإذا كان للرضاع تأثير فالولادة أدخل في هذا الباب.

٢٩٢

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «إذا اعتلجت بكم الخواطر إلى البعال *وتافت نفوسكم إلى الزوج والوصال فاختاروا لنطفكم الأغراس وتجنّبوا العرق الدساس»[4].

ولذلك قال تعالى حاكياً عن أهل مريم عليها السلام: «وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيّاً»[5]، وذلك نفي فساد الفرع قياساً على نفي فساد الأصل.

وفائدة الحديث الأمر باختيار الأزواج ومواضع النطفة الأمشاج طلباً لطهارة إعراق الولد وأن لا يكنّ فواجر أو لغير رشدة. وراوية الحديث عائشة.

قوله صلى الله عليه وآله: أَكْثِرُوا من ذِكْرِ هَادِمِ اللَّذَّاتِ

«هادم الذّات» هو الموت، فتارةً يعبّر عنه بذلك وأخرى بمنغّص الشهوات.[6] وذكر «من»

---

١ . تقدّم في ج٢، ص٤٥٠ .

٢ . استتار.

٣ . راجع: المعجم الصغير: ١/١٠٠، ح١٣٧؛ الفردوس: ٥/٤١، ح٧٣٩٨.

٤ . لم أقف على مصدره.

٥ . مريم: ٢٨.

٦ . راجع: العقد الفريد: ٣/٢٦٧؛ شرح نهج البلاغة: ٧/٤٨.

في الحديث تبيينٌ وتحقيقٌ، ومعناه: أنّه يأمر صلى الله عليه وآله بإكثار ذكر الموت، وذلك أنّ الإنسان إذا كان الموت منه على ذكر كان أبعد من مجاذبة أهداب[١] الشهوات ومطالبة أنواع اللذّات والرغبة في الدنيا التي تباعد عن الخشوع وترغب في ارتكاب المحارم وترك مراقبة جانب الله تعالى.

ومثله قوله عليه السلام: أكثروا ذكر الموت، فإنّكم إن ذكرتموه في غنىً كدّره عليكم وإن ذكرتموه في ضيق وسّعه عليكم.[٢]

وفائدة الحديث الأمر بإكثار ذكر الموت الذي يهدم اللذّات الجالبة للتباعد من الله تعالى.

وراوي الحديث أبو هريرة.

قوله صلى الله عليه وآله: رَوِّحُوا القُلُوبَ سَاعَةً بِسَاعَةٍ

الروح: الفرج، قال الله تعالى: «وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللهِ»[٣]، أي من فرجه، والراحة كذلك، تقول: روّحتُه وأرحتُه، وفي الحديث أنّه قال صلى الله عليه وآله لبلال مؤذّنه: «أَرِحْنَا بِهَا يَا بِلَالُ»[٤]، أي أذّن لنصلّي ونفرغ قلوبنا من الأشغال بأمر الساعة، والساعة: الوقت الحاضر.

يقول صلى الله عليه وآله: لا تلجّوا على أنفسكم بالعبادة فتحطموها وتكسروها، وهذا كقوله عليه السلام: «إنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ فَأَوْغِلْ فِيهِ بِرِفْقٍ»[٥] الحديث. فيقول: فرّجوا عن القلوب بساعة شهوة أو فراغ، فإنّها تكلّ عن العمل الذريع. وقوله عليه السلام: «ساعةً» ظرف لقوله عليه السلام: «روّحوا»، الباء في «بساعة» للآلة أي روّحوها بساعة راحة عن الكلال وترفيه[٦] من حمل الأثقال، ولو قال عليه السلام

---

١. الأكتاف: جمع الهدَب.

٢. راجع: العاقبة في ذكر الموت: ٨٧؛ التذكرة الحمدونيّة: ٣٨/١؛ كنز العمّال: ٢٣٣/١٥، ح٤٢١٢٣.

٣. يوسف: ٨٧.

٤. شرح مشكل الآثار: ١٦٧/١٤، ح٥٥٤٩؛ المعجم الكبير: ٢٧٦/٦، ح٦٢١٥؛ كنز العمّال: ١١٩/٧، ح١٨٩٤٦.

٥. مسند أحمد: ١٩٨/٣، ح١٣٠٧٤؛ مسند الشهاب: ١٨٤/٢، ح١١٤٧؛ كنز العمّال: ٢٠/٣، ح٥٣٧٨.

٦. توسيع وتخفيف.

: ساعةً، وقطع لكان الكلام لعمري مفيداً، إلّا أنّه بيّن وحقّق وأكّد بقوله عليه السلام : «بساعة»؛ ويجوز أن يكون قوله عليه السلام : «ساعةً بساعة» في موضع الحال والتقدير: روّحوا القلوب متعاقباً ساعة كلالها وجَمامها[1]؛ ويجوز أن يكون التقدير: مستبدلين ساعة الكلال *بساعة الجَمام.

٢٩٣

وكان النبيّ عليه السلام يمزح في الأحانين وقال عليه السلام : «أنا أمزح ولا أقول إلّا حقّاً»[2]، لقوله عليه السلام لأنس: «يا ذا الأذنين»[3]، ولكلّ واحد أذنان ويجوز أن يكون ذلك حقيقة، كأنّه يعني به إمكان الإدراك لمكان أنّ له أذنين.

وعيّب أمير المؤمنين عليه السلام بكثرة الدعابة وكان السلف الصالح ـ رحمهم الله ـ يمزحون.

وفائدة [الحديث] الأمر بالتفريع عن القلوب التي أكّدتها العبادات بساعة فراغ وراحة ولذّة حلال.

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام : «إنَّ لِلْقُلُوبِ شَهْوَةً وَإِقْبَالاً وَإِدْبَاراً فَأْتُوهَا مِنْ قِبَلِ شَهْوَتِهَا وَإِقْبَالِهَا فَإِنَّ الْقَلْبَ إذَا أُكْرِهَ عَمِي»[4]. وراوي الحديث أنس بن مالك.

قوله صلى الله عليه وآله : اعْتَمُّوا تَزْدَادُوا حِلْماً

اعتمّ الرجل إذا اعتمّ العِمامة، وكذلك تعمّم وعمّم الرجل إذا سُوّد، وهو في معنى قوله عليه السلام : «الْعَمَائِمُ تِيجَانُ الْعَرَبِ»[5].

ومعنى الحديث: أنّه قد تُعُورف من حال أولي المروءات أهل الحلم والعلم والمشايخ التعمّم، بخلاف الطَغَام[6] والجهلة فإنّ القلانس لباسهم والمشادّ وأمثال ذلك.

---

١. راحتها.

٢. الفائق: ٣١٩/٣؛ شرح نهج البلاغة: ٢٠١/٦.

٣. مسند أحمد: ١١٧/٣، ح١٢١٨٥؛ سنن أبي داود: ٣٠١/٤، ح٥٠٠٢.

٤. نهج البلاغة: ٥٠٣، حكمة١٩٣؛ بحار الأنوار: ٦١/٦٧، ح٤١.

٥. الكافي: ٤٦١/٦؛ وراجع: أمثال الحديث: ١٥٢، ح١١٧.

٦. أرذال الناس وأوغادهم.

فيقولﷺ: تعمّموا إمّا حلماً أو تحلّماً، وتشبّهوا بالمشايخ وأهل المروءة.

وقالﷺ: «خَيْرُ شَبَابِكُمْ مَنْ تَشَبَّهَ بِكُهُولِكُمْ»[١].

و«حلماً» يجوز أن يكون نصباً مفعولاً، ويجوز أن يكون تمييزاً.

وفائدة الحديث الأمر بالاعتمام تشبّهاً بالأكابر، فإنّ التخلّق قد يصير خلقاً. وراوي الحديث ابن المليح عن أبيه عن النبيّﷺ.

قولهﷺ: اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ

التيسير: التهيئة والتوفيق، قال الله تعالى: «فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرى»[٢]، أي سنوفّقه.

يقولﷺ: اجتهدوا في الطاعة، فقد يسّر الله تعالى كلّاً لما خلق له وهو الطاعة، من كلّفه الله تعالى فقد أزاح علّته ووفّقه وأعانه، ولم يقتصروا على ذلك، فقد بعث الله رسولاً يهديه وكتاباً يدلّه على الخير.

وروى أبو عبد الله البخاري: «أنّ النبيّﷺ كَانَ فِي جَنَازَةٍ، فَأَخَذَ عُوداً فَجَعَلَ يَنْكُتُ فِي الْأَرْضِ، فَقَالَ: مَا مِنْكُمْ [مِنْ أَحَدٍ] إلَّا [وَقَدْ] كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ، أَو الْجَنَّةِ، قَالُوا: أَلَا نَتَّكِلُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِما خُلِقَ لَهُ»[٣].

ولا شكّ أنّ علم الله تعالى محيط بما تصير إليه عاقبة كلّ أمر. و«الكتابة» كناية عن العلم، ويجوز أن يكون مثبتاً في اللوح المحفوظ، وحمله بعض الناس على أنّ ❊معناه: اعلموا ما شئتم وكلّ يصير إلى ما خلق له من الجنة والنار، وهذا كما ترى. ٢٩٤

وفائدة الحديث إعلام أنّ الله تعالى يسّر ووفّق كلّاً لما خلقه وهو طاعته. وراوي الحديث مُصعب بن سعد عن أبيه عن النبيّﷺ.

١. معاني الأخبار للصدوق: ٤٠١؛ وراجع: مسند أبي يعلى: ١٣/٤٦٧، ح٧٤٨٣؛ المعجم الأوسط: ٦/٩٤، ح٥٩٠٤.

٢. الليل: ٧.

٣. صحيح البخاري: ٤/١٨٩١، ح٤٦٦٦؛ وراجع: سنن الترمذي: ٤/٤٤٥، ح٢١٣٦.

قوله صلى الله عليه وآله: تَزَوَّجُوا الْوَدُودَ الْوَلُودَ فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الْأَنْبِيَاءَ

يقول: وددته أوَدّه ودّاً أي أحببته، والوُدّ: المحبّة، والمَودّة والوَدود: المحبّ، يستوي فيه المذكّر والمؤنّث ولم يقولوا: ودودة، لأنّ الهاء إنّما تدخل على فعول إذا كان بمعنى مفعول، كقولك: ناقة ركوبة وشاة حلوبة، فأمّا إذا كان بمعنى فاعل فلا يلحقه الهاء. وقيل: إنّ العلّة في ذلك أنّ الصفات الموضوعة للمبالغة نقلت عن بابها لتدلّ على المعنى الذي تخصّصت به، وأسقطت الهاء من قولهم امرأة صبور وقناة معطار وبالعكس من ذلك ألحقت بالمذكّر كرجل نسّابة وعلّامة ليدلّ على تحقيق المبالغة في البابين، وامتناع الهاء من فعول بمعنى فاعل أصل مطّرد لم يشذّ منه إلّا قولهم: عدوّة لله وإنّما ألحقوا بها هاهنا نظراً إلى صديق وصديقة لأنّهم يحملون النقيض على النقيض كما يحملون النظير على النظير. وابن جنّي رحمه الله يشبّه فعولاً ببناء المصدر الذي هو فعول وقد جاء فعول كقبول وولوع ويقول: إنّما لم يلحق به الهاء لشبه المصدر في كلام طويل ذكره. والودود صفة المبالغة، وكذلك الولود من ولدت تلد ولاداً وولادةً.

يقول صلى الله عليه وآله: تزوّجوا المتودّدة الولّادة كأنّي مفاخر يوم القيامة بكثرتكم الأنبياء.

وروي في حديث آخر أنّه قال عليه السلام: وأرجو أن تكونوا نصف أهل الموقف؛ أو كما قال.[1]

وإنّما اختصّ الودود الولود بالذكر لأنّها إذا كانت متودّدةً متحبّبةً إلى زوجها صدفها ذلك عن الطماح[2] إلى غيره، وإذا كانت ولوداً كانت سبباً لكثرة الأولاد والزيادة في أمّته.

وروى معقل بن يسار قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله فَقَالَ: إِنِّي أَصَبْتُ امْرَأَةً ذَاتَ حَسَبٍ وَجَمَالٍ إِلّا أَنَّهَا لَا تَلِدُ، أَفَأَتَزَوَّجُهَا؟ قَالَ: لَا، ثُمَّ أَتَاهُ الثَّانِيَةَ، فَنَهَاهُ، ثُمَّ أَتَاهُ الثَّالِثَةَ، فَقَالَ: تَزَوَّجُوا الْوَدُودَ الوَلُودَ»[3]. الحديث.

---

١ . «لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنّة»؛ راجع: مسند الطيالسي: ٤٣، ح ٣٢٤؛ مسند ابن أبي شيبة: ٢٠٣/١، ح ٢٩٩؛ مسند أحمد: ٣٨٦/١، ح ٣٦٦١.

٢ . الطامح من النساء: التي تبغض زوجها وتنظر إلى غيره.

٣ . سنن أبي داود: ٢٢٠/٢، ح ٢٠٥٠؛ صحيح ابن حبّان: ٣٦٣/٩، ح٤٠٥٦؛ المستدرك: ١٧٦/٢، ح ٢٦٨٥.

وقـال عليه السلام: «أَيُّما امْـرَأَةٍ لَمْ تَـسْتَغْنِ عَـنْ زَوْجِـهَا[١]، وَلَمْ تَـشْكُرْ لَهُ، لَمْ يَـنْظُرِ اللهُ إِلَيْهَـا يَـوْمَ الْقِيَامَةِ»[٢].

٢٩٥ وقال عمر بن الخطّاب: مَا أَفَادَ رَجُلٌ فَائِدَةً بَعْدَ إيمانٍ باللهِ تَعالى *خَيْراً مِن امْرَأَةٍ حَسَنَةِ الخُلُقِ وَدُودٍ وَلُودٍ .[٣]

وذكر نساء عند الأحنف فقال بعض من عنده: أفضلهنّ العزيزة في قومها الذليلة في نفسها الحصان لجيبها الماجنة لرجلها.[٤]

وقال الشاعر:

صَـنَاعٌ بـإشْفَاها حَـصَانٌ بـشَكْرِهَا جَـوَادٌ بـقُوتِ البَطْنِ و العِرْقُ زَاخِرُ[٥]

وعن ابن عمر قال: أروه عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «أنّ للمرأة في حملها ووضعها إلى فصالها من الأجر كالمرابط في سبيل الله، فإن هلكت ما بين ذلك فلها أجر شهيد»[٦].

وقالت عائشة: لا تؤدّي امرأة حقّ زوجها حتّى لو سألها نفسها وهي على قتب لم تمنعه.[٧]

---

١ . في خ: لم تستغن بزوجها.

٢ . مصنّف عبد الرزّاق: ٤٨٦/٧، ح ١٣٩٩٠؛ كنز العمّال: ٢٣٥/١٦، ح ٤٥٨٦٧؛ وراجع: الكافي: ٥٤٣/٥؛ من لا يحضره الفقيه: ٥٧٤/٣، ح ٤٩٦١.

٣ . مسند ابن الجعد: ١٦٦، ح ١٠٧٧؛ مصنّف ابن أبي شيبة: ٥٥٩/٣، ح ١٧١٤٢؛ شعب الإيمان: ٤١٦/٦، ح ٨٧٢٤؛ كنز العمّال: ٢٠٦/١٦، ح ٤٥٦١٢.

٤ . راجع: غريب الحديث لابن قتيبة: ٢٧٤/٢؛ العقد الفريد: ١١٦/٦؛ البصائر والذخائر: ١٩٣/٨ـ١٩٤.

٥ . راجع: إصلاح المنطق: ١٣١؛ غريب الحديث لابن قتيبة: ٥٨٣/٢؛ تهذيب اللغة: ٢٤٥/١١؛ المخصص: ١٦٤/١؛ والشَكر: الفَرْج.

٦ . العيال: ٥٦٨/٢، ح ٣٨٧؛ حلية الأولياء: ٢٩٨/٤؛ الفردوس: ٢٠٨/١، ح ٧٩٢؛ تلخيص الحبير: ١٥٣/٢.

٧ . غريب الحديث لابن سلام: ٣٣٠/٤؛ نثر الدرّ: ١٦/٤؛ وراجع: مصنّف عبد الرزّاق: ٣٠١/١١، ح ٢٠٥٩٦.

قالوا: وكانت امرأة إذا حضر نفاسها أجلست على قتب زعموا أنّه أسلس لولادها. قال معمر: فمن ذلك جائني الحديث: ولو على قتب.[1]

وفائدة الحديث الحثّ على الزوج والتأهّل بالمتودّدة النثور[2] الزائدة في عدد الأمّة وسواد الإسلام. وراوي الحديث أنس بن مالك.

قوله صلى الله عليه وآله: تَسَحَّرُوا فَإِنَّ [فِي] السَّحُورِ بَرَكَةٌ

السحر: قُبيل الصبح، وهو عند اختلاط ظلمة آخر الليل بضياء أوّل النهار، والسُحْرَة: السَحَر الأعلى، وأَسْحَرْنا: سرنا في السحر أو صرنا فيه، والتسحّر: الأكل في السحر، والسَحُور: ما يؤكل فيه. والبركة: اشتمال الخير الربّانيّ.

وإنّما جعل صلى الله عليه وآله فيه البركة لأنّ الصائم إذا استعان به على صيامه كان أقدر عليه وأغلب على العبادة وأقرأ للقرآن وأقوم بالذكر والتسبيح، ثمّ إنّه أقام في ذلك الوقت ونظر في آفاق السماء فرأى النجوم متدلّيةً للغروب كأنّها قناديل دنا إطفاؤها وبإزائها طوالع من المشرق لم يرها حين انطرح[3] للنوم فرأى طالعاً يُشرق وغارباً يُخفِق[4]، وإن كان من له بالليل أنس وله علامات رآها متبدّلة متغيّرةً، ألجأه ذلك إلى التهليل والتسبيح، وهو وقت عروج ملائكة الليل ونزول ملائكة النهار، فما أجدره بأن تبارك له ويغفر، فأيّ بركة فوق ذلك.

وبعد فـي هذا الحديث إعلام بالفسحة في الأكل بعد النوم، لأنّ أهل الكتاب لا يستحلّون ذلك، وكان الأمر في أوّل الإسلام على ذلك، فنسخه الله تعالى ورخّص في الطعام والشراب إلى ما قبل الصبح بقوله ـ عزّ وعلا ـ: «وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ

---

١ . غريب الحديث لابن سلام: ٣٣٠/٤؛ وراجع: الفائق: ١٥٨/٣.

٢ . كثيرة الولد.

٣ . كذا في خ.

٤ . أخفقت النجوم: مالت للمغيب.

الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ» [١].

٢٩٦ وروى العِرباض بن سارية أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله دَعَانِي إِلَى *السَّحُورِ فِي شَهرِ رَمَضَانَ، فَقَالَ: هَلُمَّ إِلَى الْغَدَاءِ الْمُبَارَكِ. [٢]

وإنّما جعله صلى الله عليه وآله غداءً لأنّ الصائم يتقوّى به على صيامه كما يتقوّى بالغداء فكأنّه قد تغدّى.

وفي الحديث: «تَسَحَّرُوا، صَلَوَاتُ اللهِ عَلَى الْمُتَسَحِّرِين» [٣].

وفائدة الحديث الأمر بالسحور والترغيب في التسحّر. وراوي الحديث عبد الله بن مسعود.

قوله صلى الله عليه وآله: اتّقوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقّ تَمْرَةٍ

أصل «اتّقي» اوتقى فقلبت الواو تاءً لقرب ما بينهما، لأنّ التاء تنشأ من أصول الثنايا والواو من الشفة فأدغمت في التاء فصار «اتّقى»، ثمّ توهّمت التاء من نفس الكلمة لكثرة الاستعمال، فقال: اتقى يتقي بالتخفيف ثمّ لما يجدوا له مثالاً قالوا: تقى [٤] يتقي. قال الشاعر:

جَلَاهَا الصَيْقَلُونَ فَأَخْلَصُوهَا خِفَافاً كُلُّهَا يَتْقِي بِأَثْرِ [٥]

والتقوى هو التوقّي من المعاصي، وأصله الوقوف على ما تقدّم، والتُقاة [جمع] وجمعها تُقىً

١ . البقرة: ١٨٧.

٢ . مسند أحمد: ١٢٦/٤، ح١٧١٨٣؛ سنن أبي داود: ٣٠٣/٢، ح٢٣٤٤؛ المعجم الكبير: ٢٥١/١٨.

٣ . راجع: مسند الحارث: ٤١٤/١، ح٣٢٣؛ كنز العمّال: ٢٤١/٨، ح٢٣٩٧٤؛ المقنعة للمفيد: ٣١٦؛ تهذيب الأحكام: ١٩٨/٤، ح٥٦٦؛ وراجع: مسند ابن الجعد: ٤٨٧، ح٣٣٩١.

٤ . كذا ي المصادر اللغويّة، وفي خ: اتقى.

٥ . أنشده عيسى بن عمر الثقفيّ، راجع: إصلاح المنطق: ٢٣؛ تهذيب اللغة: ٢٠٠/٩؛ نهاية الأرب في فنون الأدب: ١٧٥/٦.

مثل طُلاة وطلىً للعُنُق .

وقوله تعالى: «وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ»[١]، أي جزاء تقواهم. وقوله تعالى: «لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ»[٢]، أي تعتقدون بقبول أوامره ونواهيه وقايةً وحرزاً بينكم وبين النار.

ومن هذا قولهم: «اتّقاه بحقّه»[٣]، إذا استقبله به، فكأنّه جعل توفية حقّه واقيةً له من المطالبة.

وفي كلام أمير المؤمنين عليه‌السلام : «إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللهِ صلى‌الله‌عليه‌وآله »[٤]، أي جعلناه وقايةً لنا من العدوّ.

فيقول صلى‌الله‌عليه‌وآله : اتّقوا النار واحترزوا منها، ولو كان ما يحترزون به في القلّة قدر «شقّ التمرة» أي نصفها؛ وهو حثّ على أن لا يمتنع الإنسان من الخير لقلّة قدره عنده، فإنّه ما أكبره عند الله تعالى أن قَبَله، والخير وإن قلّ فليس بقليل؛ وكذلك الشرّ فإنّ القليل منه ليس بقليل وهذا مثل ضربه عليه‌السلام .

وروى عديّ بن حاتم عن النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله أنّه ذكر النار فتعوّذ منها وأشاح بوجهه مرّتين أو ثلاثاً، ثمّ قال: اتّقوا النار ولو بشقّ تمرة، ثمّ تحرّوا بكلمة طيّبة[٥] وقال عليه‌السلام : «مُهُورُ [حُورِ] الْعِينِ قَبْضَاتُ التَّمْرِ وَفِلَقُ الْخُبْزِ»[٦].

وقال عليه‌السلام : «من انتهر سائلاً نهرته الملائكة يوم القيامة»[٧].

---

١ . محمّد: ١٧.

٢ . البقرة: ٢١.

٣ . إصلاح المنطق: ٢٤.

٤ . نهج البلاغة: ٥٢٠؛ بحار الأنوار: ١٩١/١٩، ح ٤٤؛ وراجع: غريب الحديث لابن سلام: ٤٧٩/٣؛ مسند ابن الجعد: ٣٧٢، ح ٢٥٦١؛ مسند أحمد: ١٥٦/١، ح١٣٤٦.

٥ . في المصادر: «فإن لم تجدوا فبكلمة طيّبة»، راجع: الزهد لابن المبارك: ٢٢٧/١، ح٦٤٦؛ مسند أحمد: ٢٥٨/٤، ح١٨٢٩٧.

٦ . مسند البزار: ٣١٩/١٥، ح٨٨٥٨؛ محاضرات الأدباء: ٤٦٦/٢؛ تفسير القرطبي: ١٥٣/١٦.

٧ . لباب الحديث للسيوطي: ٣٥؛ وراجع: مستدرك الوسائل: ٢٠٥/٧، ح٨٠٤٣.

وسئل إبليس عن غمّه بالصدقة فقال: كأنّي أقطع بنصفين.[١]

وعن زيد بن ثابت: إذا ردّ أحدكم على السائل فليقل يرزقك الله وإيّانا فإنّ الله تعالى يرزق البرّ والفاجر.[٢]

وفائدة الحديث الحثّ على الصدقة، وإعلام أنّها وقايةً من النار. وراوية الحديث عائشة.

٢٩٧ قوله صلى الله عليه وآله: اتَّقُوا الشُّحَّ فإنَّهُ أهْلَكَ مَنْ كانَ قَبْلَكُمْ

الشحّ: البخل مع الحرص، وقد شحِحت تشَحّ وشحَحت تشُحّ، والشحيح والشَحَاح: البخيل الحريص على الدنيا.

يقول صلى الله عليه وآله: اجتنبوا الشحّ، فإنّه أهلك الأمم الأوّلين، لأنّهم كانوا يحرصون على الدنيا وجمعها ويشاحّون عليها ويتسالبونها.

وقال النبيّ عليه السلام: «مَنْ أَدَّى زكَاةَ مالهِ وَقَرَى ضَيْفَهُ وَبَذَلَ فِي نَائِبَتِهِ وُقِيَ شُحَّ نَفْسِهِ»[٣].

وفائدة الحديث النهي عن البخل والحرص والأخلاق الشأنئة[٤]. وراوي الحديث عبد الله بن عمرو بن العاص.

قوله صلى الله عليه وآله: اسْتَغْنُوا عَنِ النَّاسِ وَلَوْ بِشَوْصِ السِّوَاكِ

الشَوص: الغسل والتنظيف، يقال: شاص فاه بالسواك أي نظفه وغسله، وقريب منه الموص، قال ابن الأعرابيّ: «الشوص: الدلك، والموص: التنقية»[٥]، والمصدر في قوله عليه السلام:

---

١. لم أقف على مصدره.

٢. لم أقف على مصدره.

٣. الآحاد والمثاني: ١٨١/٤، ح ٢١٦١؛ الإمتاع والمؤانسة: ٣٦١؛ المعجم الكبير: ١٨٨/٤، ح ٤٠٩٧؛ كنز العمّال: ١٨١/٣، ح ٧٣٩٤.

٤. المبغضة.

٥. راجع: تفسير غريب ما في الصحيحين: ٧٦؛ غريب الحديث لابن الجوزي: ٥٦٧/١؛ لسان العرب: ٥٠/٧.

الشوص: السواك، مضاف إلى الفاعل، والتقدير: استغنوا عن الناس ولو بقدر أن تشوص أفواهكم مساويكهم. والسواك هو المسواك، وجمعه سوكٌ ككتاب وكتب قاله أبو زيد.[١] وقد سوّكت فيَّ، وإذا قلت: استكت وتسوّكت استغنيتَ عن ذكر الفم. ويقال أيضاً: ساك فاه، وجمع المسواك: مساويك.

ومن شجون الحديث أنّ بعض خدم الرشيد دخل عليه وبيد الداخل مساويك عدة، فقال الرشيد: ما هذا؟ قال: محاسنك ـ تحرّزاً عن مساويك ـ.[٢]

وهذا كما دخل بعض الناس دار موسى الهادي وهو يحمل حزمة من الخيزران فقال موسى لبعض جلسائه: ما ذاك الذي يحمله ذلك الرجل؟ قال: عروق الرمح، ولم يقل: «الخيزران»، لأنّ اسم أمّه كان «خيزران»؛[٣] وفي هذا اللفظتين أدب حسن.

ويقول عليه السلام: استغنوا عن الناس واستعفوا عن سؤالهم وإن كان في أقلّ شيء، وذكر السواك مثل ضربه للقلّة.

وقيل لابن عائشة: ما الشوص؟ فقال: أما رأيت الرجل يستاك فيبقى بين أسنانه شطبة من سواك لا ينتفع.[٤]

وروي: «ولو بقصمة السواك»[٥].

وفائدة الحديث الحثّ على التصوّن والتعفّف، والنهي عن التبدّل والتلفّف. وراوي الحديث عبد الله بن عبّاس.

---

١. راجع: الصحاح: ٤/١٥٩٣.

٢. راجع: شرح نهج البلاغة: ٥/٣٠؛ الطرق الحكميّة: ٦١.

٣. راجع: رسائل الثعالبي: ٨١؛ الأذكياء: ٤٧؛ أخبار الظراف والمتماجين: ٨٢، ح ١٣٥.

٤. لم أقف على مصدره.

٥. غريب الحديث لابن سلام: ١/٣٠٥؛ تهذيب اللغة: ٨/٢٩٧؛ غريب الحديث لابن الجوزي: ٢/٢٥٠.

قوله صلى الله عليه وآله: أَعْرُوا النسَاءَ يَلْزَمْنَ الْحِجَالَ

الحَجَلة ـ بفتح الجيم ـ بيت يزيّن للنساء بالثياب والأسرّة والأستار، والجمع حِجَال، مثل رَقَبَة ورِقاب، والمراد بالحجال هاهنا البيوت وإن لم تكن منجّدة[١].

٢٩٨ فيقول صلى الله عليه وآله: أعروا النساء، ❊أي لا تتأنّقوا في كسوتهنّ فيأثرن للبروز، هذا معنى كلامه، لا أنّه عليه السلام ينهاهم أن يكسوهنّ ما يستر عوراتهنّ، ولا شكّ أنّ المرأة إذا لم يكن لها الثياب الفاخرة والزيّ المعجب كانت لبيت زوجها ألزم وبمصالحها أقوم، ومن الريبة أبعد وبطاعة زوجها أسعد، وعن المعاصي أقعد؛ وبالعكس من ذلك إذا التبست الملوّنات والمعصفرات وألبست الحلل والحليّ كانت في التبرّج أرغب ومن الريب أقرب وللخروج إلى الحمّامات والنياحات أطلب.

وكان لعقيل بن عُلَّفة بنات فقيل: ألّا تزوّجهنّ؟ فقال: لا أجيعهنّ فلا يأشرن وأعرتهنّ فلا يظهرن[٢].

وروي عن النبيّ عليه السلام أنّه قال لعائشة: «مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي في أمرِ النِّسَاءِ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ يُحَرِّمُ طَلاقَهُنَّ»[٣].

وقال عليه السلام: ليس شيء أبغض إلى الله من الطلاق.[٤]

وقال الحسن: كان رسول الله صلى الله عليه وآله طلّق حفصة طليقةً فأتاه جبرئيل فقال: إنّ الله يأمرك

---

١. نجّد البيت: زيّنه بستور وفُرُش.

٢. راجع: الحيوان: ١٧١/١؛ المحاسن والأضداد: ١٨٠؛ الأمالي في لغة العرب: ١٠٧/٣؛ المزهر في علوم اللغة والأدب: ١٢٤/١.

٣. من لا يحضره الفقيه: ٥٢/١، ح١٠٨؛ عوالي اللئالي: ٢٥٤/١، ح١٢؛ مستدرك الوسائل: ٢٥٠/١٤، ح١٦٦٢٢؛ وراجع: العيال: ٦٧٠/٢، ح٤٨٣؛ تفسير السمرقندي: ٣٤٨/١.

٤. راجع: مصنّف عبد الرزّاق: ٢٩٠/٦، ح١١٣٣١؛ سنن أبي داود: ٢٥٥/٢، ح٢١٧٨؛ سنن ابن ماجه: ٦٥٠/١، ح٢٠١٨؛ وراجع: الكافي: ٥٤/٦، ح٢و٣.

أن تراجعها فإنّها صوّامة قوّامة.[١]

وقال عمر بن الخطّاب: لقد طلّقت امرأةً ما لها ذنب، فأستغفر الله وأتوب إليه.[٢]

وقال عليه السلام: «ألا إنَّ المَرأةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلْعٍ، وَإِنَّكَ إِنْ أردتَ إِقَامَةَ الضِّلْعِ تَكْسِرْهَا، فَدَارِهَا تَعِشْ بِهَا؛ ثلاث مرّات»[٣].

وفائدة الحديث الأمر بالتورّع عن كسوة النساء وإطلابهنّ[٤] ما طلبن من الثياب تحرّياً للزومهنّ البيوت. وراوي الحديث مَسْلَمة بن مَخْلَد.

قوله صلى الله عليه وآله: اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْراً فَإِنَّهُنَّ عَوَانٍ عِنْدَكُمْ

الاستيصاء: قبول الوصيّة، وعوان: جمع عانية وهي الأسيرة، والعُنُوّ: الذلّ والاستكانة، وقد عَنا يَعْنو وأعناه غيره، وسمّي الأسير عانياً لأنّه يقيم في الأسِرين على إسار وذلّ. وقد عنيتُ فلاناً أي حبستُه تَعْنِيةً.

يقول صلى الله عليه وآله: اقبلوا الوصيّة بالنساء خيراً، و«خيراً» في الحديث نصب مفعول به، كأنّه قال عليه السلام: اقبلوا الخير في الوصيّة بهنّ إذا أظهرت الوصيّة في اللفظ فقلت: اقبلوا، ويجوز أن يكون حالاً عمّا يدلّ عليه لفظ «استوصوا»، ويجوز أن يكون مصدراً على تقدير استيصاء خير الوصيّة خيراً كان «خيراً» إمّا حالاً أو بدلاً، وإنّما جعلهنّ عواني لمكان أنّهنّ في حكم الأزواج لا اختيار لهنّ معهم * في أحوالهم وأموالهم، فكأنّهنّ في الإسار.

٢٩٩

والمعنى: وسّعوا عليهنّ بالمعروف، ولا تمتهنوهنّ فيما الرجال به أولى رحمةً لهنّ وشفقةً

---

١. راجع: مسند الحارث: ٩١٤/٢، ح ١٠٠٠؛ المعجم الكبير: ٣٦٥/١٨، ح ٩٣٤؛ المستدرك: ١٧/٤، ح ٦٧٥٤.

٢. لم أقف على مصدره.

٣. مسند أحمد: ٨/٥، ح ٢٠١٠٥؛ مسند الحارث: ٥٥٠/١، ح ٤٩٦؛ مسند الروياني: ٧٦/٢، ح ٨٥١؛ المستدرك: ١٩٢/٤، ح ٧٣٣٣؛ كنز العمّال: ١٥٦/١٦، ح ٤٤٩٥٧.

٤. إنجازهنّ وقضائهنّ.

عليهنّ.

وفائدة الحديث الوصيّة بالنساء والإعلام بضعفهنّ. وراوي الحديث أمير المؤمنين عليه السلام، قال: خطب النبيّ صلى الله عليه وآله يوم النحر بمنىً في حجّة الوداع فكان فيها ذلك.[1]

قوله صلى الله عليه وآله: حَصِّنُوا أَمْوالَكُمْ بِالزَّكَاةِ وَدَاوُوا مَرْضَاكُمْ بِالصَّدَقَةِ وأَعِدُّوا لِلْبَلاءِ الدُّعَاءَ

«الزكاة» وزنها فعلة من زكا يزكو إذا زاد ونمى، وسمّيت الزكاة زكاةً لأنّ المال يزكو عليها. و«البلاء»: الغمّ والمحنة، لِبلي الجسم عنهما.

يقول صلى الله عليه وآله: تحصين المال أن يخرج منه حقّ الله تعالى لا بأن تحكم الحدود وتنصب الحُرّاس دونه. ويجوز أن يكون المعنى: حصّنوها أي اجعلوها في الزكاة وأنفقوها على الفقراء، فإنّها بذلك تُحصّن وتحصل بحيث لا يأكله السوس ولا تناله اللصوص؛ وكذلك مداواة المرضى بأن يخرج عنهم الصدقات والمبرّات في رضا ربّ العالمين، فإنّه هو الشافي كما أنّه هو المبتلي. ثمّ قال: «وأَعِدُّوا لِلْبَلَاءِ الدُّعَاءَ»، فإنّ الله تعالى يحبّ دعاء العبد وانقطاعه إليه واستعانته به، كما قال ـ عزّ من قائل ـ: «ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ»[2]، فوعد الاستجابة عند الدعاء، فإذا فرغ العبد إليه مخلصاً كشف ضرّه وفرج عن غمّه وأتاح ملتمسه[3].

وقال لقمان: عوّد لسانك اللّهمّ اغفر لي فإنّ لله ساعات لا يردّ فيهنّ سائلاً.[4]

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «أَحَبُّ الْكَلامِ إِلَى اللهِ تَعالى أَنْ يَقُولَ ـ وَهُوَ سَاجِدٌ ـ: اللّهمّ

١. مسند الشهاب: ٤٠١/١، ح ٦٩٠.

٢. غافر: ٦٠.

٣. قدّر ملتمسه له.

٤. راجع: حسن الظنّ بالله: ١١١م ح ١١٩؛ نوادر الأصول: ٢٩٩٤/٢؛ شعب الإيمان: ٥٦/٢، ح ١١٦١؛ جامع العلوم والحكم: ٣٩٤.

ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي»[١].

وقال ابن مسعود: إنّ آدم عليه السلام جمع الدعاء في ثلاث كلمات: اللّهمّ إنّك تعلم سريرتي فاقبل معذرتي وتعلم حاجتي فأعطني مسألتي وتعلم ما في نفسي فاغفر لي.[٢]

وقال الداراني: إنّي أسأل الله منذ أربعين سنةً حاجةً فما قضاها ولا آيست منها ولا تركت الدعاء فيها.[٣]

وفي الحديث: إنّ الدعاء والبلاء يتعالجان ما بين السماء والأرض إلى أن تقوم الساعة.[٤]

وعن ابن عبّاس: المسألة أن ترفع يديك حذو منكبيك أو نحوهما، والاستغفار أن تشير بأصبع واحدة، والابتهال أن تمدّ يديك جميعاً.[٥]

واسألوا ببطون أكفّكم لا تسألوا بظهورها.[٦]

وفائدة الحديث الأمر بالزكاة وإعلام أنّه تحصين للمال وحفظ له، وبالصدقة وإعلام أنّه هو الدواء الناجع والعلاج الدافع، وبالدعاء دفعاً ❊للآفات وطرداً للبليّات. وراوي الحديث ابن مسعود. ٣٠٠

---

١. بحار الأنوار: ٢١٧/٨٣، ح٣٣؛ وراجع: جزء إملاء النسائي: ٣٣؛ الدعاء للطبراني: ١٩٥، ح٦٠٨؛ محاضرات الأدباء: ٤٨٩/٢؛ كنز العمّال: ٢٨٦/٢، ح٥٠٤٨.

٢. راجع: أخبار مكّة للأرزقي: ٤٤/١؛ الحاوي الكبير: ١٥٥/٤؛ جامع الأحاديث: ٩٦/١١ـ٩٧، ح٣٢٢٠٦؛ وراجع: مصباح المتهجّد: ٣٥٤؛ الصحيفة السجّاديّة(الأبطحي): ٥٧٦؛ جمال الأسبوع: ٢٣٦؛ بحار الأنوار: ٦/٨٧.

٣. لم أقف على مصدره.

٤. الدعاء للطبراني: ٣١، ح٣٣؛ نهاية الأرب: ٢٧٦/٥.

٥. راجع: سنن أبي داود: ٧٩/٢، ح١٤٨٩؛ الدعوات الكبير: ١٤١/١، ح١٨٧؛ كنز العمّال: ٣٧/٢، ح٣٢٤٢.

٦. راجع: مصنّف ابن أبي شيبة: ٥٢/٦، ح٢٩٤٠٥؛ سنن أبي داود: ٧٨/٢، ح١٤٨٥و١٤٨٦؛ كنز العمّال: ٣٦/٢، ح٣٢٣٠.

قوله صلى الله عليه وآله: اغْتَنِمُوا الدُّعَاءَ عِنْدَ الرِّقَّةِ فَإِنَّهَا رَحْمَةٌ

الرقّة هاهنا: الضعف عند الإخلاص وهي التي يعبّر عنها بانكسار القلب الذي ورد ذكره في الحديث عن الله تعالى: «أنا عند المنكسرة قلوبهم»[١].

يقول صلى الله عليه وآله: إذا رقّت قلوبكم عند ذكر الله تعالى وخلصت عن شوائب الأمور الدنياويّة فاغتنموا الدعاء، فإنّ الدعاء المخلص مستجاب، وتلك الرقّة رحمة يبيحها الله تعالى للعبد إمّا بإخطار عظمته بباله أو أمور ما بعد الموت.

وفائدة الحديث الأمر باغتنام الدعاء عند الرقّة، فإنّها ساعة الرحمة والإجابة. وراوي الحديث زيد بن أسلم، قال: «قَرَأَ أَبِي عِنْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله فَرَقُّوا، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله ذلك».[٢]

قوله صلى الله عليه وآله: أَلِظُّوا بِيَا ذَا الْجَلالِ وَالْإِكْرَامِ

الإلظاظ: اللزوم، ويقال: الإلظاظ: الإلحاح، قال بشر:

أَلظَّ بهِنَّ يَحْــدُوهُنَّ حَــتَّى تَبيَّنَتِ الحِيالُ من الوِسَاقِ

وقال أبو عبيد: الإلظاظ لزوم الشيء والمثابرة عليه[٣]

ويقال: رجل ملظّ أي ملحّ وملظاظ[٤] أي مِلحاح. والجلالة: عظم القدر والجلال ـ بغير هاء ـ: التناهي في ذلك، ولا يقال في غير الله تعالى، والجليل: العظيم القدر، ووصف الله تعالى بذلك لفرط عظمته. والإكرام من الله تعالى له: إيصاله النفع إلى العبد من غير لحاق غضاضة أو عتب، ولا يصحّ ذلك في الحقيقة إلّا من الله تعالى .

١ . قوت القلوب: ٩٩/٢؛ حلية الأولياء: ٣٢/٤؛ وراجع: الدعوات للراوندي: ١٢٠، ح٢٨٢.

٢ . مسند الشهاب: ٤٠٢/١، ح٦٩٢.

٣ . راجع: الصحاح: ١١٧٩/٣.

٤ . كذا في المصادر اللغويّة، وفي خ: ملظظ.

وروي أنّ هذه الكلمة هي اسم الله الأعظم أعني يا حيّ يا قيّوم يا ذا الجلال والإكرام.[١]

يقولﷺ: ألزموا هذه الكلمة وألحّوا بها وأكثروا من ذكرها، فإنّها أقرب إلى الإجابة.

وفائدة الحديث الأمر بلزوم هذه الكلمة من الدعاء والمثابرة عليها والاستعانة بها. وراوي الحديث ربيعة[٢] بن عامر، وهو صحابيّ.

قولهﷺ: الْتَمِسُوا الرِّزْقَ فِي خَبَايَا الأَرضِ

الخبأ: الستر وقد خبأت الشيء أخبؤه خَبْأً والخَبْء والخبيء: المخبوء، وكذلك الخبيئة والهاء للتخصيص وتجمع خبايا وأصله خبائئ ـ بهمزتين ـ فقلبت الثانية ياءً للكسرة فيها واستثقلت للجمعيّة والعلّة فقلبت ألفاً وقلبت الأولى ياءً، لأنّها خفيت بين الألفين فصارت «خبايا».

٣٠١

وهذا الكلام إشارة منه* عليه السلام إلى الحرث والزرع، وذلك لتضاعف ما يخبأه في الأرض من الحبّ أضعافاً مضاعفةً.

وقال الزهريّ: قال لي عروة بن الزبير: فإنّ العرب كانت يتمثّل بهذا البيت:

تَبّعْ خبايا الأَرض وادْعُ مَلِيكَها لَعَلَّكَ يَوْماً أَن تُجابَ و تُرْزَقا[٣]

ولعمري أنّ الإزدراع والاحتراث من أبرك المساعي وأربع[٤] التجارات والمعاملات، ثمّ إنّ المعاملة فيه مع الله تعالى الواسع خزائن جوده الذي يعطي بلا حساب، بخلاف معاملة بني آدم الذين يأخذون بالنقير والقطمير وبأدنى حيف عليهم تصير المعاملة شبهةً وحراماً، وفيه مع الخير الذي يجرّه إلى نفسه ثواب لقوله عليه السلام: من زرع زرعاً أو غرس غرساً فما أكل منه

١. راجع: مسند أحمد: ٢٤٥/٣، ح١٣٥٩٥؛ سنن أبي داود: ٧٩/٢، ح١٤٩٥؛ المستدرك: ٦٨٣/١، ح١٨٥٦.

٢. كذا في مسند الشهاب: وسائر المصادر، وفي خ: شعبة؛ راجع: تهذيب الكمال: ١١٩/٩، ح١٨٧٨.

٣. راجع: ثمار القلوب: ٥٠٩؛ النهاية: ٣/٢.

٤. أنفع.

طير أو بهيمة إلّا كان له صدقة.[١]

وفائدة الحديث الحثّ على الزراعة والحراثة. وراوية الحديث عائشة.

قوله صلى الله عليه وآله: تَفَرَّغُوا مِنْ هُمُومِ الدُّنْيَا مَا اسْتَطَعْتُمْ

الهمّ: الحزن، وأهمّني الأمر: أقلقني، ويقال: همّك[٢] ما أهمّك، وهمّه المرض: أذابه.

يقول صلى الله عليه وآله: لا تشغلوا أنفسكم لعلائق الدنيا التي لا تنفعكم ولا تورثكم إلّا المقاساة والمعاداة والأخذ في سبيل الشيطان والإنحاط[٣] في هواة إلّا بقدر ما لا بدّ لكم منها وما يكون لكم بلاغاً وزاداً إلى الآخرة، أي ما أمكنكم أن تبخلوا منها ومن أمورها فافعلوا، فإنّها مدعاة إلى البطالة ومحراة بالجهالة.

وفائدة الحديث الأمر باجتناب الدنيا والاهتمام بأمرها. وراوي الحديث أبو الدرداء.

قوله صلى الله عليه وآله: كَيلوا طَعَامَكُمْ يُبَارَكْ لَكُمْ فِيهِ

هذا إشارة إلى الأمر بالتقدير والتحقيق في الطعام دون المجازفة، فإنّ من أنفق طعامه كيلاً أحاط علمه بما أنفق وما يفي، فإذا أنفقه على علم أمسك عند الحاجة إلى الإمساك بخلاف من ينفقه جزافاً فيتفقّده فأذابه وقد فني، فهذا وجه البركة في ذلك؛ ويجوز أن يكون الله تعالى إذا قدّر العبد ولم يبذر يبارك الله في طعامه. والبركة قد تقدّم أنّها النموّ والزيادة، وكم قد رأينا قليلاً مباركاً فيه متمتّعاً وكثيراً بالعكس منه.

وفائدة الحديث الأمر بالإنفاق على تقدير وترتيب. وراوي الحديث أبو أيّوب الأنصاريّ رضي الله عنه.

---

١. راجع: الخراج: ٨٩، ح ٢٦٠؛ مسند أحمد: ٣٦٢/٦، ح٢٧٠٨٨؛ المعجم الكبير: ١٩٩/٤، ح ٤١٣٤.

٢. كذا في المصادر، وفي خ: أهمّك.

٣. كذا في خ، ولعلّ الصواب: الانحطاط.

قوله ﷺ: اطْلُبُوا الْخَيْرَ عِنْدَ الرُّحَمَاءِ مِنْ أُمَّتِي تَعِيشُوا فِي أَكْنَافِهِمْ*

٣٠٢

الخير كلّ مرغوب فيه وتكنّى به عن المال كما قال تعالى: «إنْ تَرَكَ خَيْراً» [١]، وعن العقل والعلم وعن كلّ ما يرغب فيه؛ والكَنَف: الجانب.

يقول ﷺ: إذا طلبتم خيراً من أمور الدنيا فاستعينوا بالرحماء المشفقين الأرقّاء القلوب؛ والرحمة في بني آدم الرقّة والإحسان وفي باب صفات الله تعالى الإحسان مجرّداً عن الرقّة.

يقول ﷺ: ارغبوا إلى الرحماء والأسخياء والأجواد، ولا ترغبوا إلى القاسية قلوبهم الذين لا يرحمون ولا يرقّ قلوبهم. ثمّ قال ﷺ: تعيشوا في أكنافهم أي يحسن معاشكم ويمكنكم التعيّش في جَنَباتهم والالتماس من عوائدهم والاقتباس من فوائدهم.

وفائدة الحديث الأمر بطلب الخير والرِفْد [٢] من أولي الرقّة والرحمة والشفقة، وإعلام أنّهم يبذلون ويعينون. وراوي الحديث أبو سعيد؛ وروى: «اطْلُبُوا الْفَضْلَ عِنْدَ الرُّحَمَاءِ مِنْ عِبَادِي تَعِيشُوا فِي أَكْنَافِهِمْ فَإِنَّ فِيهِمْ رَحْمَتِي، وَلا تَطْلُبُوهَا مِنَ الْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ فَإِنَّ فِيهِمْ سَخَطِي»، يعني أنّ الله تعالى يقوله، يقول القضاعيّ: وهذا الحديث غريب تفرّد به عبد الغفّار بن الحسن بن دينار. [٣]

قوله ﷺ: اطْلُبُوا الْخَيْرَ دَهْرَكُمْ وَتَعَرَّضُوا لنَفَحَاتِ رَحْمَةِ اللهِ فَإِنَّ للهِ تَعالى نَفَحَاتٌ مِنْ رَحْمَتِهِ يُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ

النفحة: الدفعة، والقطعة من الشيء دون معظمه، ونَفَح العِرْق ينفَح: إذا نزل منه الدم،

١. البقرة: ١٨٠.

٢. العطاء والصلة.

٣. راجع: مسند الشهاب: ٤٠٦/١، ح ٧٠٠.

ونفحه بالسيف: تناوله من بعيد، ونفحه بشيء: أعطاه، ولفلان نفحات من المعروف.

يقول عليه السلام: اشغلوا أنفسكم طول دهركم بطلب الخير والمرغوب فيه، واجتنبوا الشرّ والمرغوب عنه، وتعرّضوا رحمة[1] الله تعالى بأفعال الخير من الواجبات والمندوبات، وتجنّب المعاصي فإنّ لله تعالى دفعاً من الخير والرحمة يصيب بها من يشاء من عباده استحقاقاً لا مجازفةً.

وفائدة الحديث الأمر بطلب الخير والرحمة من الله تعالى والتعرّض لعطائه، وإعلام أنّ له رحمة يختصّ بها عباده على حسب مشيئته فيهم واستحقاقهم. وراوي الحديث أنس بن مالك، وتمامه: «وَاسْأَلُوا اللهَ أَنْ يَسْتُرَ عَوْرَاتِكُمْ وَيُؤَمِّنَ رَوْعَاتِكُمْ»[2].

قوله صلى الله عليه وآله: أَجْمِعُوا وَضُوءَكُمْ جَمَعَ اللهُ شَمْلَكُمْ

٣٠٣ الوَضوء: اسم للماء الذي يتوضّأ به، والوُضوء المصدر، ومنهم *من يفتح الواو في المعنيين؛ والشمل: حاصل حال المرء المشتمل عليه، يقال: جمع الله شملك أي ما تفرّق وتشعّب[3] منه، وفرّق شمله أي ما اجتمع من أمره وحاله.

يقول صلى الله عليه وآله: إذا غسلتم أيديكم عن[4] طعام فأجمعوا ذلك الماء، خلافاً للمجوس فإنّهم لا يفعلون ذلك ويزعمون أنّ ذلك يؤدّي إلى العَرْبَدَة[5] والخلاف بين القوم.

وروي عنه عليه السلام: «امْلَئُوا الطُّسُوسَ وَخَالِفُوا الْمَجُوسَ»[6]، يعني أنّ ذلك أجمع للشمل وأدلّ على الموافقة، ثمّ هو خلاف للمجوس، و«جَمَعَ اللهُ شَمْلَكُمْ» دعاء. والوَضوء من الوضاءة

١. في خ: الرحمة.

٢. نوادر الأصول: ٢/ ٢٩٣؛ المعجم الكبير: ١/ ٢٥٠، ح ٧٢٠؛ مسند الشهاب: ١/ ٤٠٧، ح ٧٠١.

٣. في البحار: تشتّت.

٤. في البحار: من.

٥. سوء الخلق.

٦. راجع: شعب الإيمان: ٥/ ٧١، ح ٥٨٢٠؛ تاريخ مدينة دمشق: ٥/ ٣٥٢؛ كنز العمّال: ٩/ ١٤٢، ح ٢٦٢٤٠.

والنقاء والتغسّل، ويسمّى التغسّل وُضوءاً وإن لم يكن للصلاة.

وفائدة الحديث الأمر بجمع الماء الذي تغسل به الأيدي في الطست. وراوي الحديث أبو هريرة، وتمامه: «لا تَرْفَعُوا الطَّسْتَ حَتَّى يَطِفَّ، اجْمَعُوا وُضُوءَكُمْ جَمَعَ اللهُ شَمْلَكُمْ»[1]. ويطِفّ أي يكاد يمتلئ، وطِفاف المكّوك وطفِّه وطففه: ما ملأ أصباره، وهذا إناء طفّان.[2]

قوله صلى الله عليه وآله: نَوِّرُوا بِالْفَجْرِ فَإِنَّهُ أَعْظَمُ لِلأَجْرِ

التنوير: وقت إسفار الصبح، وهو من النور، وقد نوّر الصبح تنويراً، ويقال: نار الشيء وأنار ونوّر واستنار بمعنى.

يقول صلى الله عليه وآله: ضوئوا صلاة الفجر، فإنّه أعظم أجراً، والباء في «بالفجر» للتعدية أي أضيئوها وصلّوها عند بياض الصبح الصادق، والغرض بذلك أن لا تصلّي صلاة الفجر وبقايا الظلمة شاملة، والمصلّي مترجّح بين العلم بطلوع الفجر وتجويز أنّه بعد لم يطلع حتّى يقطع بتنوير الصبح وإضائه، فيصلّي على بصيرة وعلم؛ وليس الغرض بذلك تأخير الفجر أي إلى آخر وقتها، فإنّه قد ورد تفضيل أوّل الوقت على آخره؛ قال عليه السلام: «أَوَّلُ الْوَقْتِ رِضْوَانُ اللهِ وَآخِرُهُ عَفْوُ اللهِ»[3]، ودرجة الرضوان فوق العفو.

وفائدة الحديث الأمر بالتحقّق والتثبّت في الإتيان بصلاة الصبح والتربّص بها حتّى يضيء الصبح الثاني. وراوي الحديث رافع بن خديج.

قوله صلى الله عليه وآله: تَمَسَّحُوا بِالْأَرْضِ فَإِنَّهَا بِكُمْ بَرَّةٌ

ظاهر هذا الحديث ينبئ أن يكون المعنى عليه السلام[4] يقول: امسحوا بأيديكم وأرجلكم وجميع

---

١. مسند الشهاب: ٤٠٨/١، ح ٧٠٢؛ شعب الإيمان: ٧١/٥، ح ٥٨١٩؛ الفردوس: ٣١/٥، ح ٧٣٦١.

٢. إذا بلغ الكيل طفافه؛ راجع: الصحاح: ١٣٩٥/٤.

٣. من لا يحضره الفقيه: ٢١٧/١، ح ٦٥١؛ وراجع: سنن الدارقطني: ٢٤٩/١، ح ٢١؛ سنن البيهقي: ٤٣٥/١، ح ١٨٩٢؛ كنز العمّال: ١٧٠/٧، ح ١٩٥٧٧.

٤. كذا في خ، والظاهر فيها سقطة.

بدنكم ولا تتجافوا عن مسّها ترفّعاً عنها واستنكافاً منها، فإنّكم منها خلقتم وإليها تعودون.

٣٠٤ وقوله عليه السلام: «فإنّها بكم برّة» أي تطعمكم حَبّها وثمارها وتسقيكم *أنهارها وتحملكم على ظهرها أحياء وفي بطنها أمواتاً.

وقيل: إنّ المعنى التيمّم بالتراب عند عدم الماء.

وقال آخرون: إنّ المراد بالتمسّح وضع الجبهة على الأرض نفسها في حال السجود، ولا شكّ أنّ ذلك أفضل وآخذ في التواضع وأقرب إلى التذلّل والخضوع، وعند أهل البيت عليهم السلام أنّه لا يجزئ السجود في الصلاة إلّا على الأرض أو ما أنبتته الأرض ممّا لا يؤكل ولا يلبس.

وفائدة الحديث الأمر بإسدال[1] النفس وإيصالها إلى حرّ الأرض الطاهرة في جميع الأحوال أو في حال التيمّم أو في حال السجود في الصلاة. وراوي الحديث سلمان الفارسي رضي الله عنه.

قوله صلى الله عليه وآله: دَعُوا النَّاسَ يَرْزُقُ اللهُ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ

هذا الحديث رواه طاوس عن ابن عبّاس وتمامه: «لا بيع حاضر لباد، دعوا الناس يرزق الله بعضهم من بعض. فسأله عن معناه فقال: لا يكون له سمساراً»[2].

والحاضر: ساكن الحضر، والبادي: ساكن البدو، والحِضارة: الإقامة بالحضر بالكسر عن أبي زيد وبفتح الحاء عن الأصمعي[3]؛ ورجل حَضِر: لا يصلح للسفر، والمحتضر: الذي يأتي

---

١. إرسال وإرخاء.

٢. في المصادر الحديثيّة روايتان: إحداهما عن ابن عبّاس ونصّه: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لَا تَلَقَّوُا الرُّكْبَانَ ولا يبيع حَاضِرٌ لِبَادٍ. قال: فقلت لابن عَبَّاسٍ: ما قَوْلُهُ: لَا يَبِيعُ حَاضِرٌ لِبَادٍ؟ قال: لَا يَكُونُ له سِمْسَاراً»؛ راجع: صحيح البخاري: ٧٥٧/٢، ح ٢٠٥٠؛ وأخريهما: عن جابر ونصّه: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لاَ يَبِيعُ حَاضِرٌ لِبَادٍ، دَعُوا الناس يَرْزُقُ الله بَعْضَهُمْ من بَعْضٍ»؛ راجع: مسند أحمد: ٣٠٧/٣، ح ١٤٣٣٠؛ صحيح مسلم: ١١٥٧/٣، ح ١٥٢٢.

٣. راجع: الصحاح: ٦٣٣/٢.

الحضر، وقد حضَر يحضُر؛ والبِداوة: الإقامة بالبادية يفتح ويكسر أيضاً والفتح لأبي زيد[١]؛ والنسبة إليه بداويّ؛ وقوله عليه‌السلام: «من بدا جفا»[٢] أي من نزل البادية جفا جفاءَ الأعراب وقد بدا يبدو.

ومعنى الحديث: لا تبيعنّ الحاضر العارف بالأسعار البادي الغارّ، فإنّه إذا لم يعرف السعر ربّما استرخص منه فباعه رخيصاً بطيب قلب منه، وليس كذلك إذا أعانه الحضريّ العارف فيُعلمه البيع وحيل الحضر؛ وهذا استحباب منه صلى‌الله‌عليه‌وآله للرخص وسعة الأسعار.

وفائدة الحديث النهي [عن] تعليم الحاضر البادي المبايعات وأسعارها القائمة ليبيع رخيصاً. وراوي الحديث جابر بن عبد الله الأنصاريّ رضي‌الله‌عنه.

قوله صلى‌الله‌عليه‌وآله: اسْتَعِينُوا عَلَى أُمُورِكُمْ بِالْكِتْمَانِ [لَهَا]

يقول صلى‌الله‌عليه‌وآله: كتمان الأمور عن الناس مَحْرَاة لتمامها ونجازها. وتمام الحديث: «فَإِنَّ كُلَّ ذِي نِعْمَةٍ مَحْسُودٌ»[٣]. والحسد في بني آدم طباع، فالأولى كتمان الأمر ما لم يتمّ ويستحكم ويربّ، فإنّ الأمر الخشيب[٤] يسهل فسخه ويقرب نسخه، فقال عليه‌السلام: استعينوا على إتمام أموركم بالكتمان لها عن أعين الحسدة، ❊فإنّ صاحب النعمة لا يخلو من الحسّاد، والحسّاد مترصّدون للإفساد، فشرط أنّ من يريد أن يتمّ له أمر أن يكتمه عن ملاحظ الحسدة حتّى يسلم له. ٣٠٥

وفائدة الحديث الأمر بكتمان الأمور التي لها قدر حتّى لا يسعى فيها بالفساد دون تمامها، وإعلام أنّه لا يخلو ذو نعمة من حاسد يحسده. وراوي الحديث معاذ بن جبل رضي‌الله‌عنه.

---

١. راجع: الصحاح: ٢٢٧٨/٦.

٢. مسند أحمد: ٣٧١/٢، ح٨٨٢٣؛ مسند أبي يعلى: ٢١٥/٣، ح١٦٥٤.

٣. قوت القلوب: ٣٣٨/٢؛ مسند الشهاب: ٤١١/١، ح٧٠٧.

٤. في الأصل: السيف الذي لم يحكم عمله؛ وقيل: هو الذي لم يحكم عمله.

قوله صلى الله عليه وآله: اسْتَعِينُوا عَلَى إِنْجَاحِ الْحَوَائِجِ بِالْكِتْمَانِ لَهَا

النُجح والنَجاح: الظفر بالحاجة، وأنجح: صار نُجح، وهو منجح من قوم مناجِح ومناجيح، وقد نجحت حاجتك وأنجحتها لك.

يقول صلى الله عليه وآله: استعينوا على أن تنجح حوائجكم بالكتمان لها.

وقد روي في هذا الحديث أيضاً: «إِنَّ كُلِّ ذِي نِعْمَةٍ مَحْسُودٌ»[1].

وأصل الحاجة: الفقر، يقال: حاج فلان يحوج واحتاج، وجمع حاجة: حَاجٌ وحاجات وحِوَج ـ بكسر الحاء ـ، وحوائج على غير قياس كأنّها جمع حائجة، والحَوْجاء: الحاجة، ويقال لكلّما يفتقر إليه الحاجة.

وهذا الحديث كالذي قبله.

وفائدة الحديث الأمر بكتمان الأمور عن الأعين النواظر حتّى لا يفسدوا فيها. وراوي الحديث أيضاً معاذ.

قوله صلى الله عليه وآله: التَمِسُوا الجارَ قَبْلَ شِرَى الدَّارِ والرَّفِيقَ قَبْلَ الطَّرِيقِ

الجار: من يجاورك أي يقرب مسكنه من مسكنك، ويجمع جيراناً وجيرةً، وقد تجاور القوم واجتوروا وإنّما صحّت[2] الواو في «اجتوروا» لأنّه في معنى ما صحّت فيه الواو ولم يمكن قلبها وهو تجاوروا، وكذلك اعتوروا في معنى تعاوروا أي تداولوا. الرفيق: صاحبك الذي يرفق بك، والرُفْقَة: الجماعة يترافقون في السفر، والرِفق: ضدّ العنف، وقد رفقت به ـ بفتح الراء ـ أرفق.

يقول صلى الله عليه وآله: إذا التمست داراً تسكنها وتأوي إليها فلا تشترها تبخيتاً حتّى تعلم من

---

١ . مسند الروياني: ٤٢٧/٢، ح١٤٤٩؛ المعجم الكبير: ٩٤/٢٠، ح١٨٣؛ مسند الشهاب: ٤١٢/١، ح٧٠٨.

٢ . كذا في المصادر اللغويّة، وفي خ: فتحت؛ راجع: الصحاح: ٦١٧/٢؛ الأصول في النحو: ٣١٨/٣.

تجاورك فيها، فإنّ جار السوء من إحدى غصص الدنيا يراقبك ويترصّد أحوالك، فإن كنت معسراً حقّرك واستصغرك واستهزأ بك وربّما استسخرك، وإن كنت موسراً حسدك ووشى بك[١] وإن أحسنت إليه غمطك وكفر نعمتك ويجحد محاسنك ويفشي مساويك وإن لم يجد نصبها عليك؛ فنعوذ بالله من جار السوء. وكذلك إن طلبت سلوك ❊طريق فاطلب رفيقاً يزينك ولا يشينك، تثق به ويثق بك؛ فإنّ الواحد الفذّ[٢] تسرع إليه الآفات ويكون من العوارض على خطر من عدوّ يقصده أو سبع يفترسه أو هامّة تلسعه؛ فينبغي لمن يشتري داراً أن يتحرّى في الجوار ولا يقدم على شيء يكره مغبّته ويخالف محبّته جزافاً من غير تثبّت، ولمن سلك سبيلاً أن يرافق رفيقاً يعاونه في سبيله ويعاضده على جميع الأحوال ويكفّ عنه ويساعده.

٣٠٦

وأمر الجوار صعب؛ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من آذى جاره فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله، ومن حارب جاره فقد حاربني ومن حاربني فقد حارب الله»[٣].

وقال عليه السلام: «خير الجيران عند الله خيرهم مجاورةً»[٤].

وقال عليه السلام: الجيران ثلاثة: فمنهم من له ثلاث حقوق ومنهم من له حقّان ومنهم من له حقّ واحد؛ فأمّا صاحب الحقوق الثلاثة فالمسلم الجار ذو الرحم، له حقّ الإسلام وحقّ الجوار وحقّ الرحم؛ وأمّا صاحب الاثنين فالمسلم الجوار، له حقّ الإسلام وحقّ الجوار؛ وأمّا صاحب الحقّ الواحد فالمشرك الجار، له حقّ الجوار وإن كان مشركاً.[٥]

---

١. نمّ بك.

٢. الفرد.

٣. تفسير الثعلبي: ٣٠٥/٣؛ الترغيب والترهيب: ٢٤١/٣؛ كنز العمّال: ٢٥/٩، ح٢٤٩٢٧.

٤. في المصادر: «خَيْرُ الْجِيرَانِ عِنْدَ اللهِ خَيْرُهُمْ لِجَارِهِ»؛ راجع: مسند أحمد: ١٦٧/٢، ح٦٥٦٦؛ سنن الترمذي: ٣٣٣/٤، ح١٩٤٤.

٥. تفسير ابن زمنين: ٣٦٩/١؛ تفسير الثعلبي: ٣٠٥/٣؛ حلية الأولياء: ٢٠٧/٥؛ كنز العمّال: ٢٢/٩ـ٢٣، ح٢٤٨٩١؛ وراجع: مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا: ١٠٥، ح٣٤١؛ مسند الشاميين: ٣٥٦/٣، ح٢٤٥٨؛ كنز العمّال: ٢٦/٩، ح٢٤٩٣٥.

وجاء في الحديث: ما زال جبرئيل يوصيني بالجار حتّى قلت لعلّه يورّثه[١]، أو كما قال عليه السلام.

وفائدة الحديث الأمر باختيار الجار الصالح في السكنى والرفيق الشفيق في السفر. وراوي الحديث رافع بن خديج.

قوله صلى الله عليه وآله: تَدَاوَوْا فَإِنَّ الَّذِي أَنْزَلَ الدَّاءَ أَنْزَلَ الدَّوَاءَ

لفظ الإنزال هاهنا يفيد رفعة الفاعل لا الإنزال من فوق إلى أسفل، كما قال تعالى: «وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ»[٢]، أي كان تكوين ذلك وخلقه وإيجاده برفعة وقوّة، والعلوّ بالرفعة والقدرة أولى، والعبارة بذكر الإنزال هاهنا أحسن وتعظيم قدرة الله تعالى أشبه وبعلوّه أليق وعلى الاحترام والتوقير أدلّ والذكر أجلّ. والداء: المرض، وأصله دوئ مثل «دَوعٌ» على فعل، وقد داء يدَاء داءً إذا مرض مثل خاف يخاف وشاء يشاء، وقد دِئت يا رجل وأَدَأْتَ، وأدأت أنا يتعدّي ولا يتعدّي، والدواء: ما يتعالج به وربّما يكسر واوه[٣] فيقال: دِواء وهو بمصدر داويته أشبه، والدوى ـ مقصوراً ـ أيضاً: المرض، وقد دوِي يدوَى دَوَى، يقول منه هو يدوى ويداوي. ومن الأوّل يدئ به *مثل يقيم وهو الأقوى. فالداء من دوئ والدواء من دَوِي. ٣٠٧

يقول صلى الله عليه وآله: تعالجوا ولا تكلّوا فإنّ الله الذي أمرض قد خلق الأدوية المتعالج بها بلطيف صنعه وجعل بعض الحشائش والخشب والصموغ والأحجار أسباباً للشفاء من العلل والأدواء فهي تدلّ على عظيم قدرته وواسع رحمته.

---

١. مصنّف ابن أبي شيبة: ٢٣٠/٥، ح ٢٥٤٢٠؛ مسند أحمد: ٤٥٨/٢، ح ٩٩١٢؛ مسند أبي يعلى: ٦٥/٨، ح ٤٥٩٠.

٢. الحديد: ٢٥.

٣. كذا في خ، وفي البحار: فاؤه.

وهذا الحديث يدلّ على خطاء من ادّعى الاتّكال في الأمراض ولم يتعالج؛ ووصف عليه السلام الشُبْرُم بأنّه حارّ بارّ فارّ[١] فلو لا أنّ التعالج بالأدوية صحيح لما وصف الشبرم بذلك.

وفائدة الحديث الحثّ على معالجة الأمراض بالأدوية. وراوي الحديث أبو هريرة.

قوله صلى الله عليه وآله: أحثُوا فِي وُجُوهِ الْمَدَّاحِينَ التُّرَابَ

حثى يحثو ويحثي حَثواً وحَثْياً وتحثاء، وأرض حثواء: فيه تراب ليّن. والحَثَاء: دقاق التبن.

يقول صلى الله عليه وآله: لا تقبلوا المدح في وجوهكم، وحثي التراب عبارة عن ردّ المدح وذلك أنّ المادح يتصنّع ويلزّق كلاماً بكلام، ويكسوا الممدوح ما ليس فيه ويتكذّب له لينال منه منفوعاً؛ أي لا تغترّوا بكلامهم فإنّ كلّاً منكم أعرف بنفسه من المادح له.

وما أضرّ إطراء[٢] المطرين وتزكية المزكّين بالإنسان، ولذلك قال أمير المؤمنين عليه السلام للذي زكّاه في وجهه نفاقاً: «أَنَا دُونَ مَا تَقُولُ وَفَوْقَ مَا فِي نَفْسِك»[٣].

وسمع بعض الأكابر رجلاً يمدح غيره في وجهه فقال: مه! فقد أهلكته.

فإن قيل: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يمدح بالشعر فكان يسمعه ويصل الشاعر فالجواب أنّه لعمري صحيح، ولكن مدحه كان كلّه صدقاً يثاب الشاعر عليه، ومن أين يكون الممدوح مثله، ليت شعري! جامعاً لكلّ ما يمدح به زائداً مناقبه على الأوصاف ومع ذلك فقد قال: «لا تفضّلوني على يونس بن متّى»[٤].

وروي عنه عليه السلام أنّه قال لرجل مدح غيره بحضرته عليه السلام: «وَيْلَكَ قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ

---

١ . في أكثر المصادر: حارّ جارّ، راجع: مصنّف ابن أبي شيبة: ٥/٣٣، ح٢٣٤٣٥؛ سنن ابن ماجه: ٢/١١٤٥، ح٣٤٦١؛ النهاية: ١/٢٥٩؛ وراجع: غريب الحديث لابن الجوزي: ٢/٥١٠؛ الآداب الشرعيّة: ٢/٣٩٧؛ وراجع: السرائر: ٣/١٤٠.

٢ . الإطراء: مجاوزة الحدّ في المدح والكذب فيه.

٣ . نهج البلاغة: ٤٨٢، كلمة ٨٣.

٤ . راجع: تأويل مختلف الحديث: ١/١٦٦؛ أماليّ ابن سمعون: ١/٢٦٩؛ النهاية في غريب الأثر: ٢/١٢١.

مِرَاراً، فَإِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ مَادِحاً صَاحِبَهُ لا مَحَالَةَ فَلْيَقُلْ أَحْسِبُ فُلاناً، وَاللهُ حَسِيبُهُ، وَلا أُزَكِّي عَلَى اللهِ أَحَداً»[١].

فأمّا مدح الرجل المؤمن بما فيه فجائز والثواب عليه حلال.

وروي أنّ رجلاً كان يثني على عثمان بن عفّان فجعل المقداد رضي الله عنه يحثوا على وجهه التراب فقال له عثمان: ما شأنك؟ فقال: أمّا أنا فلا أدع شيئاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله يقول:

٣٠٨ *احْثُوا فِي وُجُوهِ الْمَدَّاحِينَ التُّرَابَ .[٢]

وقوله عليه السلام: «المدّاحين» بناء المبالغة، والمبالغ لا بدّ أن يتزيّد.

ومدح رجل الزهريّ فأعطاه قميصه فقيل له: تعطي على كلام الشيطان؟ فقال: إنّما أبتغي الخير وأتّقي الشرّ.[٣]

وقال أبو عثمان الجاحظ: إنّما أراد عليه السلام مدّاح السلع والتاجرين لا مدّاح الشعراء، لأنّه منهيّ أن يمدح الرجل سلعته عند البيع ويذمّه عند الشرى.

وقال صلى الله عليه وآله: «إِيّاكُمْ وَالمدْحَ، فَإِنَّهُ الذِّبْحُ»[٤].

وفائدة الحديث الأمر بالامتناع من سماع المدح المفرط المتزيّد فيه. وراوي الحديث المقداد بن الأسود رضي الله عنه.

قوله صلى الله عليه وآله: أَحْسِنُوا إذا وُلِّيتُمْ واعْفُوا عَمّا مَلَكْتُمْ

يقول صلى الله عليه وآله: إذا ولّيتم ولاية فأحسنوا إلى الرعيّة بدفع الظلم والعسف عنهم وإرشادهم

---

١ . مسند أحمد: ٤١/٥، ح٢٠٤٣٨؛ مسند ابن الجعد: ١٩١، ح١٢٥٨؛ صحيح البخاري: ٩٤٦/٢، ح٢٥١٩.

٢ . المعجم الكبير: ٢٣٩/٢٠، ح٥٦٥؛ مسند الشهاب: ٤١٣/١، ح٧١١.

٣ . راجع: عيون الأخبار: ٢٨/٣؛ المجالسة وجواهر العلم: ١٨٢، ح١٠٣٧؛ حلية الأولياء: ٣٧١/٣؛ تاريخ مدينة دمشق: ٣٨٠/٥٥.

٤ . راجع: تهذيب الآثار: ٨٣/١، ح١٣٦؛ مسند الشهاب: ٩٤/٢، ح٩٥٣؛ الفردوس: ٣٨٤/١، ح١٥٤٣.

إلى مصالحهم وردّهم عن مفاسدهم والرفق بهم والمداراة لهم واستمالة قلوبهم، وإذا ملكتم فاعفوا عن زلّاتهم وارفقوا بهم ولا تؤاخذوهم بكلّ صغير وكبير، وأحسنوا آدابهم وهذّبوهم رحمةً بهم وشفقةً عليهم.

وقوله عليه السلام: «عمّا ملكتم» إنّما عبّر عنهم بـ«ما» لأنّه أوّل درجات المعلوم، فإذا علمت أنّه من العقلاء جعلت العبارة عنه بـ«من» هذا هو الأكثر، وربّما تستعمل «ما» في موضع «من» قال تعالى: «وَالسَّماءِ وَما بَناها وَالْأَرْضِ وَما طَحاها»[1]، هذا إذا لم تجعل «ما» في الكلمتين مصدريّةً. وقد قال: أحسن العفو ما كان عن قدرة وأحسن الجود ما كان عن عسرة.

وفائدة الحديث الأمر بإحسان الولاية والعفو عمّا ملكت الأيمان. وراوي الحديث أبو سعيد رضي الله عنه.

قوله صلى الله عليه وآله: أطعِمُوا طَعامَكمُ الأتْقِياءَ وأوْلُوا مَعْرُوفَكُمُ المؤْمِنِينَ

التقيّ المتّقي: المتحرّز من معاصي الله ـ عزّ وعلا ـ، والتاء فيه متوهّمة من نفس الكلمة فبقيت في تصاريفها على ما تقدّم القول فيه، والجمع الأتقياء. والإيلاء هاهنا: الإعطاء، والمعروف أصله ما عرف حسنه عرفاً وشرعاً، وكذلك العرف وبالعكس منه المنكر والنكر، ويقال لما تعطيه غيرك على سبيل المبرّة عرف ومعروف.

يقول صلى الله عليه وآله: إذا أطعمتم طعامكم فاختصّوا به المتّقين المؤمنين المتورّعين عن جميع القبائح، وإذا أعطيتم فأعطوا المؤمنين العارفين لله ورسوله ليقع إحسانكم موقعه ومعروفكم في محلّه، ولا تضيّعوا الصنيعة عند من لا *يستحقّها. ٣٠٩

وقد قال بعض الحكماء: الصنيعة إلى غير أهلها كالسراج في الشمس أي أنّه لا يشكرها فلا تبيّن أثره.

---

١. الشمس: ٥ ـ ٦.

وقال الشاعر:

وَمَنْ يَصْنَعُ الْمَعْرُوفَ مِنْ غَيرِ أهلِهِ يُـلاقَ الذي لاقَى مُجِـيرُ أمّ عَـامِرِ [١]

يروى: أنّ رجلاً ربّى جِرْوَ ضبع فلمّا كبر أكل أولاده فتمثّل به.

وفائدة الحديث الأمر باختصاص الأتقياء بالطعام وبذل المعروف للمؤمنين. وراوي الحديث أبو سعيد الخدريّ رضي الله عنه.

قوله صلى الله عليه وآله: اسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ طَمَعٍ يَهْدِي إِلَى طَبْعٍ

الاستعاذة والتعوّذ والعوذ والمعاذ كلّها الالتجاء، ومعاذة الله ومعاذ الله: وجه الله، ومعاذ الله وجه نصبه [٢] مثل نصب سبحان الله على المصدر. والطمع: انجلاب النفس إلى منتهاها، وقد طمع يطمع طمعاً وطماعةً وطماعيةً فهو طمع، والطبع: الدنس.

يقول صلى الله عليه وآله: تعوّذوا بالله من شرّ طبع تبدوا محاسنه ويخفى مقابحه، ويطبع من تلبس به وقد يؤدّي إلى عواقب مرّة إمّا بغيبة لا تستطيع النفس تجرّعها وإمّا ندامة لا يستقلّ تحمّلها، وربّما أدّت إلى الهلاك؛ ولذلك قال: الطمع يُدقّ الرقبة [٣].

وقال الشاعر:

لا خَـيرَ في طَـمَعٍ يَهْدِي إلى طَـبَعٍ وَغُـفَّةٌ مِـنْ قِـوَامِ العَـيْشِ تَـكْفِينِي [٤]

وقيل: إنّ الخضر عليه السلام إنّما قال لموسى عليه السلام: «هذا فِراقُ بَيْني وَبَيْنِكَ» [٥]، لأنّه سمع منه ذكر

---

١. راجع: المحاسن والمساوئ: ١٢٨؛ جمهرة الأمثال: ٥٢٥/١؛ المزهر في علوم اللغة والأدب: ٣٨٢/١.

٢. في خ: وجه ونصبه.

٣. راج: التمثيل والمحاضرة: ٩١؛ مجمع الأمثال: ٤٤٢/١.

٤. قاله عروة بن أذينة؛ راجع: أماليّ سيّد المرتضى: ١٧٢/١؛ الزاهر في معاني كلمات الناس: ٣٣٥/١؛ الأغاني: ٣٣٣/١٨؛ ديوانه: ١٠٦.

٥. الكهف: ٧٨.

الطمع حيث قال: «لَوْ شِئْتَ لاَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً»[1].[2]

وقيل في معنى قوله تعالى: «إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً»[3]، أنّه عنى بالرجس البخل والطمع.[4]

وقيل: العقاب عزيز فإذا طمع في جيفة علقت به الحبالة.[5]

وفائدة الحديث النهي عن الطمع الذي يورث الدناءة والخساسة وإراقة ماء الوجه. وراوي الحديث معاذ بن جبل رضي الله عنه.

قوله صلى الله عليه وآله: أَجْمِلُوا فِي طَلَبِ الدُّنْيَا فَإِنَّ كُلّاً مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ مِنْهَا

يقول صلى الله عليه وآله: إذا طلبتم الدنيا فأحسنوا الطلب لها ولا تنالوها من غير حلّها ولا تناجزوا[6] عليها ولا تحملوا على أنفسكم في طلبها ما يهدم قواعد المروءة من المقاساة والروحات والربحات لأجلها وتضييق المطاعم والمشارب ليتّقي ويكثر، فإنّ كلّاً منكم مهيّؤ للقدر الذي رزقه الله تعالى وسبق في علمه الأزليّ أنّه يصل إليه طلقاً حلالاً صفواً عفواً.

وما أحسن ما قال الشاعر:

مـاذا يُكَلِّفُكَ الرَّوْحـاتِ والدُّلَجَـا ... البَرَّ طَـوْراً وطَـوْراً تَـرْكَبُ اللُّـجَجَا

*كـم مـن فَـتًى قَـصُرَتْ في الرِّزقِ خُـطْوَتُهُ ... أَلْفَيْـتَهُ بِـسِهامِ الرِّزْقِ قـد فَـلَجَا[7]

٣١٠

١ . الكهف: ٧٧.

٢ . راجع: تفسير السلمي: ٤١٦/١؛ الرسالة القشيريّة: ١٩٨.

٣ . الأحزاب: ٣٣.

٤ . راجع: تفسير السلمي: ١٤٥/٢؛ الرسالة القشيريّة: ١٩٨.

٥ . راجع: الرسالة القشيريّة: ١٩٨؛ شرح نهج البلاغة: ٢٠٠/١١.

٦ . تبارزوا وتقاتلوا.

٧ . قاله أبو جعفر محمّد بن بشير الحميري البصري؛ راجع: الشعر والشعراء: ٨٦٢/٢؛ المحمدون من الشعراء: ١٦١/١، ح ١٣٠؛ ديوان الحماسة: ٣٣/٢.

وفائدة الحديث الأمر بالقناعة وطلب الدنيا من أحسن وجوهها، وإعلام أنّ الأرزاق مقدّرة مقسومة معلومة ممّا لم يزل للقديم تعالى فلا يصل إلى أحد إلّا ما علمه ـ عزّ وعلا ـ. وراوي الحديث أبو حميد الساعديّ.

قوله صلى الله عليه وآله: اصْلِحُوا دُنْياكمْ واعْمَلوا لِآخِرَتِكمْ

يقول صلى الله عليه وآله: رفحوا مالكم وأصلحوا معاشكم، فإنّكم لا تتمكّنون من التعيّش في الدنيا إلّا بذلك ولا تقدرون على العبادة إلّا به، فأصلحوا أمور الدنيا حتّى تتفرّغوا لأمر الآخرة، ولذلك أعقبه قوله: «اعملوا لآخرتكم» ولا يمكن عمل الآخرة إلّا بالفراغ، ولا فراغ إلّا ببلغة من الدنيا، ولذلك قيل: الدنيا مزرعة الآخرة. وقال الله تعالى: «وَلا تَنْسَ نَصيبَكَ مِنَ الدُّنْيا»[1]، ومن شجون الحديث أنّه قيل: إنّ النصيب من الدنيا هو القبر.

وروي أنّ عمر بن الخطّاب رأى قوماً قد تفرّدوا في المسجد فقال: من أنتم؟ قالوا: نحن المتوكّلون. فقال: بل أنتم متأكّلون والمتوكّل من طرح حبّاً في أرض وتوكّل على الله.[2]

وفائدة الحديث الحثّ على استصلاح المعاش من دون إهمال عمل الآخرة. وراوي الحديث أبو هريرة.

قوله صلى الله عليه وآله: أَفْشُوا السَّلامَ تَسْلَمُوا

يقول صلى الله عليه وآله: لا تبخلوا بالسلام فإنّه تحيّة الإسلام، وأنت إذا سلّمت على قوم تجتاز عليهم برّأك ذلك من الكبر والنخوة وبرّأهم من الغيبة لك وتمزيق فروتك وإضمار الخصومة لك، لأنّه لا شكّ أن يمقتوك وينسبوك إلى سوء العشرة، فإذا سلّمت عليهم تخلّصت من ذلك كلّه

---

١. القصص: ٧٧.

٢. راجع: ربيع الأبرار: ٣٠٢/٤؛ وراجع: نوادر الأصول: ٤٠٥/١؛ شعب الإيمان: ٨١/٢، ح١٢١٥؛ جامع الأحاديث: ٣٤١/١٤، ح٣٧٤٨.

ونسبوك إلى الكرم وأمنت من غائلتهم وسلمت من شرّهم. والسلام من السلامة، فإذا قلت: سلام عليكم فكأنّك تقول: سلّمكم الله من شرّي، وقولك: «سلام» رفع مبتدأ، وإنّما ارتضي المبتدأ هاهنا نكرة لأنّه في معنى ما لا يكون إلّا نكرةً وهو الفعل، لأنّه شائع التنكير ولا يتعرّف بتّةً فأقيمت النكرة مقام المنكر ليكون دليلاً عليه. هذا معنى كلام أبي الفتح عثمان بن جنّيّ رحمه الله قرأتُه بخطّ أبي أحمد عبد السلام بن الحسين بن محمّد بن عبد الله البصريّ رحمه الله قال: أملأه علينا.

وفائدة الحديث الأمر بإفشاء السلام اتّباعاً لحكم الإسلام. وراوي الحديث البراء بن عازب.

قوله صلى الله عليه وآله: أَفْشُوا السَّلامَ وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ وَصِلُوا الْأَرْحَامَ وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلامٍ

٣١١

معنى إفشاء السلام أن يسلّم كلّ مسلم على صاحبه ولا ينتظر حتّى يسلّم صاحبه عليه، فإنّ الفضل للمسلم المبتدي بالسلام، ومعنى إطعام الطعام أن يقدّم ما وجد إلى ما وجد من المسلمين، وصلة الأرحام أن يؤثّر ذا الرحم الفقير على الغريب الغنيّ ويواصله ويوادّه ويجالسه ويحسن إليه ويختصّه بمعروفه، وصلاة الليل عبادة الصدّيقين.

وقد ورد في الكلام المأثور عن الله ـ عزّ وعلا وتقدّست أسماؤه ـ: «كَذِبَ مَنْ زَعَمَ أنّه يحبّني، فَإذَا جَنَّهُ اللَّيْلُ نَامَ عَنِّي، أَلَيْسَ كُلُّ حَبِيبٍ يُحِبُّ خَلْوَةَ حَبِيبِهِ؟»[1].

وقال عليه السلام: «رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا الْعَبْدُ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ الأخير خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَوْلا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لَفَرَضْتُهُمَا عَلَيْهِمْ»[2].

---

١. راجع: أماليّ الصدوق: ٤٣٩، ح٥٧٧؛ بحار الأنوار: ٣٢٩/١٣، ح٧؛ وراجع: المجالسة وجواهر العلم: ٢٨، ح١٣٢؛ ربيع الأبرار: ٢٦٧/٢، ح١٣٥.

٢. الزهد لابن المبارك: ٤٥٦/١، ح١٢٨٩؛ التهجّد وقيام الليل: ٣٥٥، ح٢٩٤؛ تفسير الثعلبي: ١٣١/٣؛ وراجع: تفسير مجمع البيان: ٣٦٨/٢؛ وراجع: الفردوس: ٤٥٥/٣، ح٥٤٠٤؛ كنز العمّال: ٣٢٦/٧، ح٢١٤٣٥.

وكان النبيّ صلى الله عليه وآله صلّى بالليل حتّى انتفخت قدماه فأوحى الله تعالى إليه : «طه، مَا أَنْزَلنَا عَلَيكَ القرآنَ لِتَشْقَىٰ»[١].

ورؤي الخليل بن أحمد رضي الله عنه في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: طاحت العبادات وسقطت الإشارات ولم ينفعنا إلّا ركعات صلّيناها في جوف الليل.[٢]

ثمّ قال عليه السلام : إذا فعلتم ذلك دخلتم الجنّة بسلام أي بسلامة، والسلام والسلامة كلاهما قد ورد في اللغة.

وفائدة الحديث الحثّ على هذه الأفعال الرضيّة والعبادات السنيّة وإعلام أنّ جزاءها الجنّة. وراوي الحديث عبد الله بن سلام، قال: لَمّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله الْمَدِينَةَ انْجَفَلَ النَّاسُ إلَيْهِ، فَكُنْتُ فِيمَنْ أَتَاهُ، فَلَمَّا رَأَيْتُ وَجْهَهُ عَرَفْتُ أَنَّهُ ليسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ ذلك.[٣]

قوله صلى الله عليه وآله : احفظونِي فِي عِتْرَتِي

وفي نسخة: «فإنّهم وديعتي»، عترة الرجل أولاده وأولاد أولاده ونسله ورهطه الأدنون، والعترة أيضاً قلادة تجمع من المسك والأفاوية.

يقول صلى الله عليه وآله : احفظوا لي وأولادي لأجلي ولمكاني .

وقد روي عنه عليه السلام : أكرموا أولادي صالحهم لله وطالحهم لي.[٤]

وقوله عليه السلام : «احفظوني في عترتي» من أفصح الكلام. يقول: حفظت زيداً في عمرو أي حفظته في حفظ عمرو، أي إنّي لمّا حفظته كنت أحفظ عمراً وكان هو الغرض في ذلك،

---

١ . راجع: صحيح مسلم: ٢١٧١/٤، ح٢٨١٩؛ سنن الترمذي: ٢٦٨/٢، ح٤١٢؛ راجع: شعب الإيمان: ١٨٦/٢، ح١٤٩٧؛ تفسير الثعلبي: ٢٣٧/٦؛ والآيتان في طه: ١ـ٢.

٢ . لم أقف عليه.

٣ . سنن ابن ماجه: ٤٢٣/١، ح١٣٣٤؛ مسند الشهاب: ٤١٨/١، ح٧١٩.

٤ . راجع: جامع الأخبار: ١٤٠؛ مستدرك الوسائل: ٣٧٦/١٢.

ومن الواجب المتعيّن موالاتهم وحبّهم، وكيف لا يكون كذلك ومودّتهم هي التي جعلها الله تعالى أجراً لجميع ما يعني صلى الله عليه وآله فيه وكانوا على شفا حفرة من النار *فأنقذهم حيث يقول ـ جلّ وعلا ـ: «قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى»[1].

٣١٢

وقال صلى الله عليه وآله: إنّي تارك فيكم الثقلين أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله وعترتي، وإنّهما لن يفترقا حتّى يرد[ا] عليّ الحوض.[2]

وفائدة الحديث الحثّ على موالاة أهل البيت عليهم السلام والوصيّة بحفظهم لمكانه وإعلام أنّهم عليهم السلام ودائعه التي استودعها أمّته. وراوي الحديث أنس بن مالك.

قوله صلى الله عليه وآله: احْفَظُونِي فِي أَصْحَابِي فَإِنَّهُمْ خِيَارُ أُمَّتِي

قد تقدّم الكلام في معنى قوله: «احفظوني»، والأصحاب جمع صحب مثل فرخ وأفراخ، وصحب جمع صاحب مثل ركب وراكب ويجمع الأصحاب أصاحيب ويجمع الصاحب صحبةً، مثل فَارهٍ وفُرُهةٍ وصحاباً مثل جائع وجياع وصحباناً مثل شباب وشبان، ويجوز أن يكون صحبة اسم مصدر سمّي به؛ والخيار اسم من الاختيار، والأمّة الجماعة يجمعهم أمر من الأمور إمّا دين أو زمان أو مكان أو شغل؛ وأمّة النبيّ عليه السلام من آمن به وصدّقه، وأصحابه هم الذين صحبوه وخدموه وفدوه بأموالهم وأنفسهم وفارقوا أقربيهم في نصرته وعادوا أهليهم في إقامة دعوته ولو لا أولئك لم يقم للدين عمود ولا أخضرّ للإسلام عود ـ رضي الله عنهم وأرضاهم وأحسن منقلبهم ومثواهم ـ.

وقد دعا عليه السلام الأمّة بقوله هذا إلى حبّهم وذكرهم بالجميل.

وقال عليه السلام: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»[3].

---

١. الشورى: ٢٣.

٢. راجع: كمال الدين: ٢٣٨، ح٥٦؛ وراجع: سنن الترمذي: ٦٦٣/٥، ح٣٧٨٨.

٣. مصنّف ابن أبي شيبة: ٤٠٤/٦، ح٣٢٤٠٨؛ مسند أحمد: ٣٧٨/١، ح ٣٥٩٤.

وقال عليه السلام: «أَصْحَابِي كَالنُّجُومِ، بِأَيِّهِم اقْتَدَيْتُمُ اهْتَدَيْتُم»[١].

وأنا أوصيك أيّها القارئ لكتابي هذا أن لا تذكر الأصحاب الراشدين ـ رضي الله عنهم ـ إلّا بخير ما تقدر عليه من الثناء ومراعاةً لحقوقهم وحذراً من عقوقهم ونظراً إلى الرسول صلى الله عليه وآله الذين هم خدمه وأصحابه وأخلّاؤه وأحبّاؤه، وإن سمعت خلافاً بينهم فاسكت عنه فإنّه لا يضرّك.

وقد روي عنه عليه السلام: «إيّاكُمْ و ما شَجَرَ بينَ أَصْحَابِي»[٢] وكذلك أزواجه أمّهات المؤمنين ـ رضي الله عنهنّ ـ فإنّهنّ أصحب صاحب.

وفائدة الحديث الحثّ على حبّ الصحابة وإعلام أنّهم خير الأمّة. وراوي الحديث المطّلب[٣] بن عمر.

قوله صلى الله عليه وآله: اسْتَشِيرُوا ذَوِي الْعُقُولِ تَرْشُدُوا، وَلا تَعْصُوهُمْ فَتَنْدَمُوا

يقول صلى الله عليه وآله: استعينوا في أموركم بالألباب الجليّة التي لم يكدها التردّد ولم يكدّرها الترجّح، ولا تعصوهم *فإنّ عصيانهم يوجب الندامة؛ وإنّما أمر عليه السلام بالمشورة لأنّ رأي الإنسان مدخول بالأهواء التي تزلّ عن الجادّة ويصدّ عن الاهتداء إلى المحجّة وتدعوا إلى ما يقرب من المحبّة، فإذا شاور غيره كان رأيه بعيداً عن ذلك سالماً من هواه ومحبّته غير مشغول بأفكاره فارغاً عن إراداته قارّاً عن حركاته فيضيء له الحقّ من شاكلة الصواب فيشير به عليه، ولو استبدّ برأيه لقاده أهواه إلى ضدّ الصواب.

٣١٣

وفائدة الحديث الأمر بمشاورة العقلاء والأخذ بإرشادهم وإعلام أنّه إذا لم يمتثل ما يشير

١. نوادر الأصول: ٦٢/٣؛ الأوائل للعسكري: ٢١٩.

٢. راجع: النهاية في غريب الأثر: ٤٤٦/٢؛ وراجع: الإيضاح لابن شاذان: ٥٠٧.

٣. المطّلب بن عبد الله.

العقلاء به ندم. وراوي الحديث أبو هريرة.

قوله صلى الله عليه وآله: تُوبُوا إِلَى رَبِّكُمْ قَبْلَ أَنْ تَمُوتُوا وَبَادِرُوا بِالأَعْمَالِ الزَّاكِيَةِ قَبْلَ أَنْ تُشْغَلُوا وَصِلُوا الَّذِى بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ بِكَثْرَةِ ذِكْرِكُمْ إِيّاهُ

الأعمال الزاكية هي الطاهرة، قال تعالى: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاها» [1]، أي طهّرها وأنماها، وأصل «زكو» النموّ والزيادة.

يقول صلى الله عليه وآله: اقلعوا عن ذنوبكم وبادروا الموت بالتوبة، فإنّه من كلّ حيّ قريب وسابقوا الشغل بالعمل الزاكي الصالح فإنّه ربّما يدهمكم في دار الدنيا ما يشغلكم عنه فإنّها كثيرة المحن والآفات سريعة الفتن والعاهات، واعمروا وصلة ما بينكم وبينه ـ جلّ وعلا ـ بالذكر.

ويجوز أن يكون المعنى: وصلوا فرقة ما بينكم وبينه بكثرة الذكر فإنّكم إذا ذكرتموه ارتفعت تلك الفرقة وصارت وصلةً، كما قال تعالى: «أَنَا جَلِيسُ مَنْ ذَكَرَنِي» [2]. وعلى الوجه الأوّل يكون ما بينكم وبينه كناية عن عبوديّتنا وربوبيّته ـ عزّ وعلا ـ.

وفائدة الحديث [الحثّ] على التوبة ومبادرة الموت بها والعمل الصالح وتقديمه على الشغل الصادّ عنه والأمر بالذكر. وراوي الحديث جابر بن عبد الله الأنصاريّ، قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله في يوم الجمعة فقال ذلك. [3]

---

١ . الشمس: ٩.

٢ . الكافي: ٤٩٦/٢، ح٤؛ من لا يحضره الفقيه: ٢٩/١، ح٥٨؛ وراجع: المصنّف لابن أبي شيبة: ١٠٨/١، ح١٢٢٤؛ شعب الإيمان: ٤٥١/١، ح٦٨٠.

٣ . راجع: مسند الشهاب: ٤٢٠/١، ح٧٢٣.

قوله صلى الله عليه وآله: تَجَافُوا عَنْ عُقُوبَةِ ذوي المُرُوءَةِ مَا لَمْ يَكُنْ حَدّاً

التجافي: النبوّ والتباعد والارتفاع.

يقول صلى الله عليه وآله: سامحوا ذوي المروءات واحترموهم حتّى في العقوبات ما لم تكن العقوبة حدّاً من حدود الله تعالى يعطل واجباً يهمّك. وهو إعلام بحسن المعايشة وسهولة المعاملة والتجاوز والتجافي والإعراض عن بعض الأمور إذا أوجبت الصورة ذلك وكان الحريف ذا مروءة وسخاء، فإنّ الله تعالى سخيّ يحبّ *السخيّ إلّا أن يتعطّل حدّ أو يبطل واجب، فحينئذٍ لا بدّ من إقامته وللإمام أن يزيد وينقص في التعزير وهو دون الحدّ وله أن يترك ذلك على ما يرى. [٣١٤]

وقيل: ذوو المروءات من لم تظهر منهم ريبة وهو حسن. وهذا الجنس من الناس يحافظون على أنفسهم ويرابون بها عن الدنايا والريب وإذا أهينوا بالتعزير كان هدماً لمروءتهم وخدشاً في وجه فتوّتهم.

ولا تنس حديث جبلة بن الأيهم الغسّاني مع عمر بن الخطّاب وخروجه إلى الروم وارتداده عن عار لطمة.[١]

وقال عمر لبعض عمّاله: عليك بالسويّة بين الرعيّة ولا ترفع المزيّة.[٢]

وروي: «ما لم يكن» بالياء المنقوطة من تحت باثنتين وحينئذٍ يكون ما بدلاً من العقوبة والفعل الذي لم يكن لها، وعلى الوجه الأوّل يكون ما مصدريّة دالّة على المدّة.

وفائدة الحديث الأمر[٣] باحترام ذوي المروءة ومسامحتهم فيما دون الحدّ. وراوي الحديث أبو بكر، وهو قليل الحديث جدّاً.

---

١. راجع: الطبقات الكبرى: ١/٢٦٥؛ النكت والعيون: ٣/١٣٦؛ تفسير الثعلبي: ٩/٣٦٤ـ٣٦٥.

٢. لم أقف عليه.

٣. في خ: الأمور.

قوله صلى الله عليه وآله: تَجَافَوا عَنْ ذَنْبِ السَّخِيِّ فَإِنَّ اللهَ آخِذٌ بِيَدِ السَّخِيِّ كُلَّمَا عَثَرَ

ويروى: «بيده»[١]، هذا الحديث قريب من الذي قبله. يقول صلى الله عليه وآله: ساموا السخيّ وارتفعوا عن عقوبته واغفروا ما زلّ منه وبدر، فإنّ الله تعالى ناصره والأولى بمن الله ناصره أن يتجاوز عن ذنبه ولا يؤاخذ ببديهة[٢] بادرته.

وروي أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله أتي بسبعة من الأسارى فقال لأمير المؤمنين عليه السلام: قم فاضرب أعناقهم، فهبط جبرئيل كطرفة العين، فقال: يا محمّد! أضرب رقاب هؤلاء الستّة ولا تضرب عنق هذا، فقال عليه السلام يا جبرئيل! ما بال هذا من بينهم؟ قال: لأنّه حسن الخلق سخيّ على الطعام سمح الكفّ، فعفا عنه.[٣]

وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام لا تقتل السامريّ فإنّه سخيّ.[٤]

وقال حذيفة بن اليمان: ربّ رجل فاجر في دينه سمح في معيشته دخل بسماحته الجنّة.[٥]

وقال عليه السلام: يقول إبليس: الناس ثلاثة: صنف قد فرغت منهم وهم الفاسقون، وصنف أرجوهم وهم البخلاء يموتون على بخلهم، وصنف قتلوني وكسروا ظهري وهم الأسخياء يموتون على سخاوتهم فيدخلون الجنّة.[٦]

وفائدة الحديث الإمساك عن معالجة السخيّ ومؤاخذته بالصغائر وما يوجب التأديب، وإعلام أنّ الله ناصره. وراوي الحديث عبد الله بن عبّاس.

---

١. راجع: مسند الشهاب: ٤٢٣/١، ح٧٢٦.

٢. فجأة.

٣. راجع: أماليّ الصدوق: ١٠٦، ح ٤؛ بحار الأنوار: ٧٤/٤١ـ٧٥، ح ٤.

٤. الكافي: ٤١/٤، ح١٣؛ وراجع: نثر الدرّ: ٩٨/٧؛ إحياء علوم الدين: ٢٤٦/٣.

٥. بحر الفوائد: ٢٩٣؛ إحياء علوم الدين: ٢٤٧/٣؛ التذكرة الحمدونيّة: ٣٠٠/٢.

٦. لم أقف عليه.

٣١٥

قوله صلى الله عليه وآله: عُودُوا الْمَرِيضَ وَاتَّبِعُوا الْجَنَائِزَ تُذَكِّرْكُمُ الآخِرَةَ

يقول صلى الله عليه وآله: تفقّدوا مرضى المسلمين يشكروا الله على ما ربط عندكم من السلامة وينبّهكم مرضهم من الغفلة، واتّبعوا جنائزهم يخطر ببالكم أنّكم محمولون غداً أو بعد غد عليها؛ فتكونوا على حذر من أحوال المعاد وتكون الآخرة منكم على ذكر، وتبرد الدنيا وزينتها وشهواتها على قلوبكم. والجنازة ـ بكسر الجيم ـ: ما يحمل الميّت عليه وإلّا فهو نعش وسرير، وقرأت في بعض الكتب أنّ الجنازة بالفتح هو الميّت.

وروي عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «تَمَامُ عِيَادَةِ الْمَرِيضِ أَنْ يَضَعَ أَحَدُكُمْ يَدَهُ عَلَى جَبْهَتِهِ أَوْ عَلَى يَدِهِ، فَيَسْأَلُهُ كَيْفَ هُوَ، وَتَمَامُ تَحِيَّاتِكُمْ بَيْنَكُمُ الْمُصَافَحَةُ»[١].

وعن يحيى بن أبي كثير: «ثلاث لا يعاد منهنّ: الدمل ووجع الضرس والرمد»[٢].

وقال عليه السلام: «عائدُ المريضِ يَخوضُ فِي رَحْمَةِ اللهِ وَإِذَا جَلَسَ عِنْدَهُ غَمَرَتْهُ الرَّحْمَةُ»[٣].

وكان عليه السلام إذا عاد مريضاً مسح بيده على وجهه: «أَذْهِبْ الْبَأْسَ رَبَّ النَّاسِ، وَاشْفِ أَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَماً»[٤].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: ما من رجل يعود مريضاً مصبّحاً إلّا خرج له سبعون ألف

---

١. أماليّ الطوسي: ٦٣٩؛ بحار: ٢٢٣/٧٨، ح٢٧؛ ومسند أحمد: ٢٥٩/٥، ح٢٢٢٩٠؛ سنن الترمذي: ٧٦/٥، ح٢٧٣١.

٢. راجع: معدن الجواهر: ٣٣؛ بحار الأنوار: ٢٢٤/٧٨، ح٣٠؛ والمعجم الأوسط: ٥٥/١، ح١٥٢؛ شعب الإيمان: ٥٣٥/٦، ح٩١٨٨.

٣. راجع: أماليّ الطوسي: ١٨٢؛ بحار الأنوار: ٣٨٢/٦٦، ح٤٤؛ ومسند أحمد: ١٧٤/٣، ح١٢٨٠٥؛ مصنّف ابن أبي شيبة: ٤٤٤/٢، ح١٠٨٣٩.

٤. مكارم الأخلاق للطبرسي: ٣٩٢؛ بحار الأنوار: ١٧/٩٢؛ ومسند الطيالسي: ٢٠٠، ح١٤٠٤؛ مسند أحمد: ١٢٦/٦، ح٢٤٩٩٠.

ملك يستغفرون له حتّى يمسي وكان له خريفاً في الجنّة.[١]

وقال بعضهم: «اتّباع الجنائز فضيلة والصلاة عليها سنّة ومداواة القلب بها فريضة»[٢].

وقال الحسن: في الميّت ثلاثة قراريط لمن عزّى، وقيراط لمن صلّى، وقيراط لمن واراه.[٣]

وقال عليه السلام: «إِذَا صَلُّوا عَلَى جِنَازَةٍ وَأَثْنَوا خَيْراً، قال الله تعالى: أَجَزْتُ شَهَادَتَهُمْ»[٤].

وروي أنّ ابن مبارك كان في جنازة فقال له بعض المشيّعين: عظني، فقال: دعني حتّى يدفن الميّت فلمّا دفن قال: عظني، قال: على ماذا حمل هذا الميّت؟ قال: على الجنازة، قال: وماذا صنع بها؟ قال: ردّت إلى البلدة، قال: لماذا؟ قال: لا أدري، قال: لتحمل عليها غداً. قال: حسبي.[٥]

وفائدة الحديث الحثّ على عيادة المرضى واتّباع الجنائز تحرّياً ليذكر أمور الآخرة. وراوي الحديث أبو سعيد الخدريّ.

قوله صلى الله عليه وآله: لِيَكُنْ بَلاغُ أَحَدِكُمْ مِنَ الدُّنْيَا زَادَ الرَّاكِبِ

البلاغ: الكفاية، قال: تَزَجَّ من دنياك بالبَلاغ،[٦] وقال تعالى: «إِنَّ فِي هذا لَبَلاغاً لِقَوْمٍ عابِدِينَ»[٧]، والبُلغة ما يتبلّغ به من العيش وأصل «ب ل غ»: الانتهاء إلى المقصد.

٣١٦ يقول صلى الله عليه وآله: ليتكلّف أحدكم ❊من دنياه بقدر كفايته ولا يتكلّف منها ما لا يعنيه فإنّه

---

١. راجع: أماليّ الطوسي: ٦٣٥؛ بحار الأنوار: ٢٢١/٧٨، ح٢٢؛ وراجع: مسند أحمد: ١٢١/١، ح٩٧٦.

٢. قاله حاتم الأصمّ؛ راجع: ربيع الأبرار: ١٣٦/٥، ح٨٠.

٣. راجع: مسند الطيالسي: ١٣٢، ح٩٨٥؛ مسند الحميدي: ٤٤٤/٢، ح١٠٢١؛ مسند أحمد: ٢٣٣/٢، ح٧١٨٨.

٤. راجع: التاريخ الكبير: ١٦٨/٣، ح٥٧٤؛ كنز العمّال: ٢٤٧/١٥، ح٤٢٢٨٣.

٥. لم أقف عليه.

٦. قاله الراجز، راجع: أساس البلاغة: ٢٦٧؛ لسان العرب: ٤١٩/٨؛ وتزجّى بالشيء: اكتفى به.

٧. الأنبياء: ١٠٦.

يضرّه وإن كان يظنّ أنّه ينفعه . وشبّهﷺ من في الدنيا بالراكب الواحد الفذّ[١] الذي غرضه قطع المفازة لا يستحقب[٢] من الطعام ما يثقله ويثبُطُه[٣] عن المسير وإنّما يقتصر على الرغيف والرغيفين وما يبلغه المحلّ.

وفائدة الحديث[٤] [وراوي الحديث] سلمان الفارسيّ رضي الله عنه ، دَخَلَ عَليهِ سعد بن مالك وعبد الله بن مسعود يَعُودَانِهِ، فَبَكَى، فَقَالا لَهُ: مَا يُبْكِيكَ؟ قَالَ: عَهْدٌ عَهِدَهُ إلَيْنا رَسُولُ اللهِﷺ لَمْ يَحْفَظْهُ أَحَدٌ مِنّا، وذكر هذا الحديث.[٥]

قولهﷺ: اغْتَنِمْ خَمْساً قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سُقْمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِك

إنّما قالﷺ «خمساً» على التأنيث لأنّها كناية عن حالات، وقد جاء مثل ذلك في الشعر، قال:

وَمَا حَالَاتُنا إلّا ثَلاثٌ ... شَبَابٌ ثمّ شِيبٌ ثمّ مَوتٌ[٦]

وهذه وصيّة وصّىﷺ أمّته، يقول: اغتنم الشباب الذي هو عون على الطاعات ومظنّة للذّات ومقضاة للأشغال ومطيبة للأحوال قبل أن يهجم الهرم الذي يجعلك جليس بيتك

---

١ . الفرد.

٢ . لا يحتمل.

٣ . يشغله.

٤ . كذا في خ؛ والظاهر فيها سقطة.

٥ . راجع: الطبقات الكبرى: ٩١/٤؛ تهذيب الآثار مسند ابن عبّاس: ٢٦٤/١، ح ٤٤٠؛ المعجم الكبير: ٢٦١/٦، ح ٦١٦٠؛ مسند الشهاب: ٤٢٤/١، ح٧٢٨.

٦ . أنشده أبوبكر بن المؤمل، راجع: الزهد الكبير: ٢٥٤، ح٦٦٨؛ حماسة الظرفاء: ١٠.

وقرين لوّك وليتك[١] ثمّ هو الطريق المهيع[٢] إلى الموت والجادّة العظمى إلى الفوت، تحتاج معه إلى من يعينك على القيام ويدلّك على المرام.

وممّا جرى على لساني من نظمي:

أنتَ إلهـي وأنتَ مُـستنِدي وأنت دُونَ الأنـامِ مُـعتضِدي

أنتَ الذي إن عَـثَرتُ قُـلتُ لَهُ يَا سَيّدي قَدْ عَثَرتُ خُذْ بِيَدي

خـذْ بِـيدي قَـبْلَ أنْ أقـولُ لِمَـنْ أَرَاهُ عِـنْدَ النُّهـوضِ خُـذْ بِـيَدِي[٣]

ومثله قول القائل:

يـا ربِّ لا تـبقني إلى أمَـدٍ أكـونُ فـيهِ ثِـقْلاً عَـلى أحَـدٍ[٤]

ثمّ قال عليه السلام: اغتنم صحّتك التي هي مَحْرَاة من التمكّن من الأعمال وتحمّل الأحمال قبل أن يمحوه السقم الذي يحوجك إلى من يناولك طعاماً ويذبّ عنك ذباباً وإلى من يضجعك ويقيمك ويجلسك ويُنيمُك حيث تفقد القوى والقُدر وتودّع الهوى والأَشَر.

ثمّ قال: واغتنم غناك الذي هو موصلك إلى مناك ودرك إلى هواك ومسهّل عليك الأمور وجالب لك السرور قبل أن يغشاك الفقر الذي هو للنفس مذلّ وللقلب مملّ وللحاجات مقطعة وللشهوات ممنعة.

قال: واغتنم فراغك *الذي هو مكنة أعمالك وفُسحة أحوالك قبل أن يتعقّبه الشغل الذي يربثّك[٥] فيه ويتحيّز في مصارفه ومطاويه. ٣١٧

١. كذا في خ.

٢. المتّسع المبسوط.

٣. راجع ديوان المؤلّف، والبيت الأخير منها لم توجد في ديوانه.

٤. راجع: تاريخ مدينة دمشق: ٢٣٨/٤٨؛ وراجع: وفيات الأعيان: ٢٤٣/٤؛ زهر الأكم في الأمثال والحكم: ٢٥٢.

٥. يمنعك ويحبسك.

ثمّ قال عليه السلام: واغتنم حياتك التي هي الأصل في تصرّفك [و]في تقدّمك وتخلّفك قبل أن يطرئ عليك الموت الذي يُعطلك ويُبطلك ويُلقيك على لوح البِلى ومحطّ الثرى غريباً بين أهلك وولدك قريباً على تناي[1] حضورك ومشهدك رهناً بذنوبك مأخوذاً بعيوبك.

وفائدة الحديث التوصية باستغنام هذه الأحوال قبل انفصالها واخترامها قبل زيالها[2].

وراوي الحديث عمرو بن مَيمون الأَوْديّ.

قوله صلى الله عليه وآله: لِيَأْخُذَ العَبْدُ مِنْ نَفْسِهِ لِنَفسِهِ وَمِنْ دُنْيَاهُ لآخِرَتِهِ وَمِنْ الشَبِيبَةِ قَبْلَ الكبرِ وَمِنَ الحَيَاةِ قَبْلَ المماتِ، فَما بَعْدَ الدُّنيَا مِن دَارٍ إلّا الْجَنَّةُ أَوِ النَّارُ

هذا وعظ منه صلى الله عليه وآله لأمّته. يقول: ليستدن العبد المسلم لنفسه من نفسه، أي ليتعيّن في العبادة ولينفق من مال نفسه في طاعة الله تعالى وليجهدها اليوم فيما يعود نفعه وعائدته غداً عليها، وليدّخر من دنياه ما يقدّم عليه يوم القيامة فيكون له غوثاً على أهوالها وعوناً على أحوالها؛ وليعلم أنّ ما تبعثه إلى الآخرة فهو محفوظ له في آخر رضوان حيث لا يأكله السوس ولا تناله اللصوص، ولذلك قيل: «الدنيا مزرعة الآخرة»؛ لأنّه يكسب الإنسان فيها ما تقرّ به عينه غداً إذا قُدِم عليه.

وعن الصادق عليه السلام يُسنده إلى أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال في قوله تعالى: «وَلا تَنْسَ نَصيبَكَ مِنَ الدُّنْيا»[3]، قال: «لَا تَنْسَ صِحَّتَكَ وَقُوَّتَكَ وَفَرَاغَكَ وَشَبَابَكَ وَنَشَاطَكَ وغناكَ أَنْ تَطْلُبَ بِهَا الْآخِرَة»[4].

---

١. في خ غير واضحة.

٢. فراقها.

٣. القصص: ٧٧.

٤. أماليّ الصدوق: ٢٩٨ـ٢٩٩، ح٣٣٦؛ بحار الأنوار: ١٧٧/٦٨، ح١٨.

ثمّ قال عليه السلام: وليأخذ من الشبيبة قبل الكبر، لأنّ الكبير لا يقدر على ما يريده من الطاعات وماذا يعنى عنه تمنّيه وإرادته[١]، فالله الله أيّها الأخ الصالح! اجهد نفسك وأنت بعدُ في لباس الشبيبة تترفّل[٢] وبظلّها تتظلّل، يهون عليك حرّ الحركات وبرد السكنات وقواك يساعدك على مغراك، فاغتنم طاعة الله تعالى في ليل شبابك قبل أن يهجم عليك المشيب بصبحه فيصدّك عن مآربك ويردّك عن مطالبك، فلا تستطيع إلّا بغيرك ولا تقدر على ما تريد من خيرك.

ثمّ قال عليه السلام: «ومن الحياة قبل الممات»، وهذا أعمّ من الجميع، لأنّ العبد ما دام العبد يتردّد في مخارقة[٣] الروح فبيده الفتوح، يقدر على رضا الله تعالى قولاً وعملاً، فأمّا إذا خلا قالبه من الروح فهو جماد تقبّله الأيدي لا يقدر *على خير ولا شرّ، فمن المتعيّن عليه أن يبادر مماته ويحصّل نجاته، فإنّه لا يدري متى يهجم عليه الموت ومتى يحين له الفوت.

٣١٨

وقال عليه السلام: «فما بعد الدنيا من دار» يعني أنّه لم يرحل من الدنيا بزاد يبلّغه المنزل انقطع به حيث لا يمكنه الاستعاضة، لأنّه لا دار بعد الموت يكتسب فيها صالح، ومن مات فقد قامت قيامته يرى ما له من خير وشرّ، فإن كان مصلحاً فطوبى له، وإن كان مفسداً فلتبكه البواكي.

وفائدة الحديث التحذير من الدنيا الغدّارة والأمر بالطاعة فيها والتشمير[٤] قبل قدوم الفناء والراحلة إلى دار البقاء. وراوي الحديث ابن عائشة عن أبيه في خطبة للنبيّ صلى الله عليه وآله.

قوله صلى الله عليه وآله: كُونُوا فِي الدُّنْيَا أَضْيَافاً وَاتَّخِذُوا الْمَسَاجِدَ بُيُوتاً

---

١. كذا في خ.

٢. تتسوّد وتترأّس.

٣. جمع المخرق، واستعملت في المنافذ المعلومة في البدن.

٤. شمّر للأمر: أراده وتهيّأ له.

وَعَوِّدُوا قُلُوبَكُمُ الرِّقَّةَ وَأَكْثِرُوا التَّفَكُّرَ وَالْبُكَاءَ وَلا تَخْتَلِفَنَّ بِكُمُ الْأَهْوَاءُ

هذا الحديث كالذي قبله في الوعظ، يقول صلى الله عليه وآله: كونوا في الدنيا كالأضياف، فإنّ الضيف يأكل في دار المضيف أكله، ثمّ يحمل ثقله ولا يقيم في دار الضيافة إلّا رثيماً يأكل ما يقدّم إليه ثمّ يخرج .

يقول عليه السلام: أنتم في ضيافة الله تعالى في هذه الدعوة الفانية فكلوا منها ما قدّم إليكم فيها واشتغلوا بما نُدبتم إليه ولا تتوسّعوا، فإنّ الضيف لا يوسع في دار مضيفه .

«وَاتَّخِذُوا الْمَسَاجِدَ بُيُوتاً» أي تفرّغوا من هموم الدنيا وأقبلوا على العبادة في المساجد، وإنّما خصّ المساجد لأنّ العبادة فيها أفضل وحليف المسجد إلى الخير أقرب وفي الطاعة أرغب ومن الله تعالى أرهب.

ثمّ قال عليه السلام: «وَعَوِّدُوا قُلُوبَكُمُ الرِّقَّةَ» أي لا تناسوا ولا تتجاسوا بل تضاعفوا وترفقوا واكسروا قلوبكم عن سَوْرَة الشهوات[1] والتسارع إلى اللذّات.

ثمّ قال عليه السلام: «وَأَكْثِرُوا التَّفَكُّرَ وَالْبُكَاءَ» هو هاهنا أمر بالتفكّر في العاقبة وما يؤول إليه الأمر من الموت والسؤال في القبر والحشر والنشر والوقوف بين يدي الله تعالى في عرصة القيامة وإجازة الصراط، إلى غير ذلك من الأهوال التي هي قدامنا ولا بدّ لنا منها. ثمّ قال: «والبكاء» وذلك أنّه لا أحبّ إلى الله تعالى من[2] عين تبكي من خشية الله.

وقال: «إنّ القطرةَ مِن الدمعِ تطفي بحوراً من النار»[3].

[٣١٩] ثمّ قال: «لَا تَخْتَلِفَنَّ بِكُمُ الْأَهْوَاءُ» عقيب وعظه، يعني عليكم بالعبادة *وقطع العلائق

---

١ . حدّة الشهوات وشدّتها.

٢ . كذا في خ؛ ولعلّ الصواب: «من شيء إلّا ...».

٣ . راجع: الزهد لابن حنبل: ٢٧؛ نوادر الأصول: ٢٠٢/٢؛ شعب الإيمان: ٤٩٥/١، ح ٨١٢؛ الفردوس: ٩٧/٤، ح ٦٣٠٤؛ كنز العمّال: ٦٣/٣، ح ٥٩١٠.

الدنيويّة ولزوم التعبّدات وترفيق القلوب وكثرة التفكّر في المال والبكاء على الذنوب ومن خشية الله تعالى، وإيّاكم والضلال في الأهواء الفاسدة والمذاهب المردئة والآراء المهلكة، وعليكم بالدين السويّ والاعتقاد القويّ.

وفائدة الحديث الأمر بإصلاح الأحوال والنهي عن الجدال. وراوي الحديث الحكم بن عمير.

قوله صلى الله عليه وآله: أَكْرِمُوا الشُّهُودَ فَإِنَّ اللهَ يَسْتَخْرِجُ بِهِمُ الْحُقُوقَ وَيَدْفَعُ بِهِمُ الظُّلْمَ

يقول صلى الله عليه وآله: أعزّوا الشهود وبجّلوهم[1] ولا تستهيضوا[2] بهم، فإنّ لهم قدم صدق في الدين، وذلك أنّه يؤمن بمكانهم الإنكار وبزّ[3] الحقوق وسلب الأموال واغتصابها، فالظلم يندفع بهم والجزاف يرفع بمكانهم؛ والشهادة ركن من أركان المعاملات والمعايشات والأحكام الدينيّة، ولو لا الشهادة لتغالب[4] الناس ولتداولوا الدنيا هرجاً ومرجاً ولبطل كثير من الأحكام.

وفائدة الحديث الأمر بإعزاز الشهود واحترامهم والإبناء[5] عن عظم موقعهم. وراوي الحديث عبد الله بن عبّاس.

قوله صلى الله عليه وآله: اتَّقُوا دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهَا تُحْمَلُ عَلَى الْغَمَامِ، يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: وَعِزَّتِي وَجَلالِي لأَنْصُرَنَّكَ [وَلَوْ] بَعْدَ حِينٍ

«الغمام»: الغَيْم الأبيض، سمّيت بذلك لأنّها تَغُمُّ السماء أي تسترها، والواحدة غمامة

---

١ . عظّموهم.

٢ . المستاض: الكسير يبرأ فينكسر عظمه ثانيةً بعد جبر.

٣ . سلب.

٤ . في خ: التغالب.

٥ . كذا في خ.

كسحاب وسحابة، و«الحين»: القطعة من الدهر ويصلح لجميع الأزمان طالت أم قصرت، والحين: يوم القيامة. قال الله تعالى: «وَمَتاعاً إلى حينٍ» [1]، والحين أيضاً يكنّى به عن تصرّم الآجال؛ والحديث يحتمل يوم القيامة وامتداد الزمان كليهما، لأنّ الله تعالى يؤخّر دعوة المظلوم إلى زمان متأخّر عن زمان الظلم وربّما أخّرها إلى يوم القيامة على ما يرى من المصلحة.

يقول صلى الله عليه وآله: اتّقوا دعاء المظلوم، فإنّه كثير الشؤم سريع الإجابة وحيّ الإصابة.

وقوله عليه السلام: «تُحْمَلُ عَلَى الْغَمَامِ» كناية عن سرعة لحاقها شبيهاً بالغمام التي تُطيّرها الرياح ولا بدّ من إجابته عاجلاً وآجلاً كما ترى الله تعالى فإنّه يعلم ما لا نعلم، وربّما تقتضي المصلحة إرجاء عقوبته إلى القيامة أو تأخيرها إلى وقت معلوم، ولو أنصفنا أنفسنا وحكمنا بالمشاهدة لأقررنا بذلك؛ بالله عليك! كم من ظالم رأيته معجب بنفسه مغترّ بماله وخوله دعته نفسه الأمّارة إلى الظلم وحرّضته شياطين الإنس والجنّ عليه، فمدّ يده إلى ما حرّمه *الله تعالى عليه من أموال الناس، فدعوا عليه من سرّ قلوبهم المحترقة وآرائهم المتّفقة، فاختطفته المنايا من سرير نعمته وذلّته خائباً إلى قعر هَوِيَّة رهين عمله وخدين [2] زَلَـله، ولا اعتبار بالإسلام والكفر في هذا الباب فإنّ الكافر أيضاً عبد من عبيد الله، وما أجدر السيّد بالغضب لعبد سواء كان مطيعاً له أو عاصياً والعبد لأخلع لباس العبوديّة.

٣٢٠

وفائدة الحديث تعريف عظم دعوة المظلوم وإعلام سرعة إجابتها عاجلاً وآجلاً. وراوي الحديث خُزَيمة بن ثابت ذو الشهادتين.

قوله صلى الله عليه وآله: ارْحَمُوا ثَلاثَةً: غَنِيُّ قَوْمٍ افْتَقَرَ، وَعَزِيزُ قَوْمٍ ذَلَّ، وَعَالِمٌ يَلْعَبُ بِهِ الحَمْقَى وَالجُهَّالُ

الحمق: قلّة العقل، وقد حمُق حماقةً فهو أحمق، وحمِق حُمقاً فهو حَمِقٌ، و«الحمق»

١. النحل: ٨٠.

٢. الخدين: الحبيب والصاحب.

كالمرضى والهلكى وهو بناء لا يجيء إلّا لمن تجاوزتهم السلامة، ومن حيث الحقيقة فأيّ مرض أمرض وأدهى من الحماقة وقلّة العقل والرواية. «غنيّ» بالرفع وكذلك ما بعده، وهو خبر مبتدأ مقرّر، كأنّه سئل فقيل: من هؤلاء الثلاثة؟ فقال: غنيّ قوم ... إلى آخره.

يقول صلى الله عليه وآله: الغنيّ الذي حاف[1] عليه الزمان وسلبه ما كان يتنعّم به من نعمة ومال فاحتاج إلى التكفّف بعد الكفاف والتطلّب بعد العفاف، والعزيز المحترم الذي ذلّ بعد عزّته وهُضم بعد حرمته ووُطئ بالمناسم[2] والأقدام بعد العزّة والاحترام، والعالم الذي أطال يومه وأطار نومه وسهر والناس نيام ودوّخ مناكب البلدان[3] تحت قدميه وكشف عن الشهوات يديه وتحمل الأعباء في طلب العلم حتّى حصل منه طرفاً وتبوأ منه كنفاً ثمّ لهج به الحمق وأولع به الجهّال يتلاعبون به ويتداولون حرمته بالصغار؛ ثلاثتهم أهل الرحمة والرأفة، لأنّهم ملجؤون إلى ما لا يليق بهم ولا يلايمهم ولم يتعوّدوه، فهم يتجرّعون ممّا يدفعون إليه مرّاً مَقِراً[4] ويلوكون[5] من مطاولة الصبر صبراً وينتظرون من ربّهم الفرج ويدينون المهج.

وفائدة الحديث إعلام صعوبة هذه الأحوال على هؤلاء الثلاثة وأنّهم بصدد أن يرحموا وترقّ لهم القلوب. وراوي الحديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

قوله صلى الله عليه وآله: تَعَشَّوْا وَلَوْ بِكَفٍّ مِنْ حَشَفٍ فَإِنَّ تَرْكَ الْعِشَاءِ مَهْرَمَةٌ

العشاء ـ بكسر العين ـ [و]العَشيّ والعشيّة: من عند غروب الشمس إلى العَتَمَة،

١. جار وظلم.

٢. جمع المَنْسم، وهو للإبل كالظفر للإنسان.

٣. دَوّخ البلدان: قهرها واستولى على أهلها.

٤. مَقِرَ الشيء: صار مرّاً.

٥. يمضغون أهون المضغ.

٣٢١ ❊والعشاءان الأولى والآخرة: هما صلاتا المغرب والعتمة، وعند بعضهم أنّ العشاء من زوال الشمس إلى طلوع الفجر؛ وأنشد:

غَـــدَوْنا غَـــدْوَةً سَـــحَراً بِـــلَيْلٍ عِـشاءً بـعدَ مـا انْـتَصَف النَّهـارُ[١]

والعشاء ـ بالفتح ـ: طعام أوّل الليل وهو خلاف الغداء. و«الحشف»: أردأ التمر، وفي مثل لهم: أحشفاً وسوء كيلة[٢]، ويقال: وسوء كيل، فالليل الجنس والليلة بحالة الليل، ويضربه من يجمع عليه المساءة المضرّة من وجهين. والحشف: الرديء من التمر، وانتصابه بإضمار فعل كأنّه قال: أتجمع حشفاً على سوء كيل.

هذا أمر منه صلى الله عليه وآله بالتعشّي ـ ولو لم يكن إلّا قليلاً تافهاً ـ ليكون ذلك عوناً على عبادة الليل وزيادة قوّة على الطاعة، وإنّما يخاطب صلى الله عليه وآله [به] أصحابه ـ رضي الله عنهم ـ فإنّهم كانوا يخفّفون المطعم ويقنعون باليسير تزهّداً وتقشّفاً[٣] وقلّة رغبة في الرغب، فحثّهم صلى الله عليه وآله على التعشّي تقويةً لهم على العبادة وما هم بصدده من المجاهدة. فأمّا [الطبّ][٤] فإنّهم ينكرون أنّه يضرّ بالنفس، وقد قال بعض الكتّاب ممدوده يورث مقصوره يعني أنّ العشاء يورث العَشى وهو الشَبْكَرَة. و«الهرم»: كبر السنّ، يعني عليه السلام أنّ تركه مدعاة إلى ضعف البدن الذي ينشأ من كبر السنّ، وقد شرح[٥] بعض الطبّ له وجهاً على ما كان يهواه فقال: إنّ النبيّ عليه السلام إنّما قال ذلك نهياً عن طعام الليل، وقال: «تركه مهرمة»، أي أنّه يطول العمر عن تركه حتّى يهرم. والصحيح ما تقدّم وأوّل الكلام يدلّ عليه. ثمّ إنّه كان يشفق على أصحابه ويتعهّدهم بما

---

١. راجع: العين: ١٨٨/٢؛ جمهرة اللغة: ٨٧٢/٢؛ تاج العروس: ٤٥/٣٩.

٢. راجع: إصلاح المنطق: ٣١١؛ غريب الحديث لابن قتيبة: ٧٤/٢؛ جمهرة الأمثال: ١٠١/١؛ مجمع الأمثال: ٢٠٧/١.

٣. ضدّ التنعّم.

٤. الزيادة في البحار.

٥. في البحار: خرج.

يرجع عليهم بالقوّة لمكابدتهم الطاعات البدنيّة وكانوا يؤثرون على أنفسهم ويقنعون بها دون الشبع ويتواصون بذلك.

وفائدة الحديث الأمر بالتعشّي لمن قام الليل. وراوي الحديث أنس بن مالك.

قوله صلى الله عليه وآله: انْظُرُوا إلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلا تنظِروا إلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَنْ لا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ

«أسفل منكم» نصب صفة محذوفة هو ظرف، كقوله تعالى: «وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ» [١]، والتقدير: والركب ثابت مكاناً أسفل منكم. والازدراء الافتعال من زريتُ عليه إذا عتبته، وازدريته: استصغرته واستحقرته.

ويحتمل هذا الحديث وجوهاً من الإعراب أحدها: أن يكون الضمير في «فإنّه» يكون للأمر والشأن، وقوله عليه السلام: «الازدراء» مبتدأ و«أجدر» خبره؛ ويجوز أن يكون الضمير للنظر الدالّ عليه قوله عليه السلام: *«انظروا» وأجدر خبر «أنّ» وأن لا تزدروا يكون بدلاً من الضمير؛ ويجوز أن يكون «أن لا» بمعنى «لئلّا» وهذه اللام تحذف كثيراً كقوله تعالى: «عُتُلٍّ بَعْدَ ذلِكَ زَنيمٍ أنْ كَانَ» [٢]، أي لأن كان، وكقوله تعالى: «أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحاً أَنْ كُنْتُمْ قَوْماً مُسْرِفينَ» [٣]، أي لأن كنتم؛ وهو كثير.

[٣٢٢]

يقول صلى الله عليه وآله: انظروا إلى من فضّلكم الله عليهم في ذات أيديكم فوسّع عليكم وضيّق عليهم، ولا يطمحنّ بصركم إلى [٤] الأغنياء وسعة أموالهم، فإنّكم إذا نظرتم إليهم فوجدتم حالهم ومالهم أكثر ممّا لكم حقّرتم نعمة الله تعالى عليكم، وليست أهلاً للاحتقار، ولعلّ الله

١. الأنفال: ٤٢.

٢. القلم: ١٣ـ ١٤.

٣. الزخرف: ٥.

٤. طمح بصره إلى ... : ارتفع.

تعالى يعلم في ذلك من المصالح ما لا تعلمونه، فإنّ من العباد ما لا يستصلحه إلّا الفقر وبالعكس؛

وفي بعض الحديث: «إنّ من عباد الله من لو أفقره الله لأطغاه وإنّ من عباده من لو أغناه لأطغاه فاقنعوا بما رزقكم الله»[١].

وروي: «اللّهمّ ارزق آل محمّد العفاف والكفاف»[٢].

وقد أخذ هذا المعنى محمود بن الحسن الورّاق فقال:

لَا تَـنْظُرَنَّ إِلَى ذَوِي الـ مَـالِ المـؤثلِ وَالريـاشِ
فـتظلّ مَـوصول النهـا رِ بحَـسرةٍ قَـلقِ الفِـراشِ
وانـظُر إلى مَـنْ كَـانَ مِـثْ لُكَ أو نَـظِيرُكَ فِي المـعَاشِ
تَـقْنَع بِـعيشِكَ كَـيفَ كَـ انَ وَتَـرْض مِـنْهُ بِـانتِعَاشِ[٣]

وأخذه بعض المتأخّرين أيضاً، فقال أحسن:

مَـنْ شَـاءَ عـيشاً[٤] يَـسْتَفِيدُ بِـهِ فِي دِيـنِهِ ثُمَّ فِي دُنـيَاهُ إقـبَالاً
فَـلْيَنْظُرَنَّ إلى مَـنْ فَـوقَهُ أَدَباً وَلْيَـنْظُرَنَّ إلى مَـنْ دُونَـهُ مـالاً[٥]

وفائدة الحديث الأمر بالقناعة والشكر على ما رزق الله وكفّ النفس عن طلب الفضول والنظر إلى أموال الأغنياء، وإعلام أنّ هذا أجدر حرمةً لنعمة الله التي نَبَطَها[٦] عنده اعترافاً بها وشكراً عليها. وراوي الحديث أبو هريرة.

---

١. لم أقف على مصدره.

٢. في شعب الإيمان: ١٧٥/٢، ح١٤٧٥: « ... اللّهم فمن أحبّني فارزقه العفاف والكفاف»؛ وراجع: كنز العمّال: ٢٠٦/٦، ح١٦٦٤٧؛ وفي مسند أحمد: ٤٤٦/٢، ح٩٧٥٢: «اللّهمّ اجعل رزق آل محمّد قوتاً».

٣. راجع: ربيع الأبرار: ٩٢/٥، ح١٢٦؛ فيض القدير: ٦٠/٣.

٤. زاد في بعض المصادر: هنيئاً، وفي بعضها: رخيّاً.

٥. أنشده أبو الفتح البستيّ؛ راجع: يتيمة الدهر: ٣٧٨/٤ـ٣٧٩؛ تاريخ مدينة دمشق: ١٦٦/٤٣.

٦. أظهرها بعد خفائها.

قوله ﷺ: أَمِطِ الأذَى عَنِ طَرِيقِ المسلمينَ تكثُرُ حسَناتِكَ

الميط: التنحيّ، والإماطة: التنحية، وقد يقال: مِطْت غيري وأَمَطْتُه.

وظاهر الحديث واضح، والأولى أن يكون معناه كفّ الأذى والمرّة والمضرّة عن الناس، ويكون ذكر الطريق مثلاً.

وقد قال ﷺ: «الْإِيمَانُ بِضْعَةٌ وَسَبْعُونَ بَاباً، أَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى، وَأَعْلاهَا كَلِمَةُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»[١].

وإنّما قال ﷺ: «تكثر حسناتك» لأنّ ترك القبيح إحدى الطاعتين، والإنسان يستحقّ المدح والثواب بأحدي شيئين: بفعل الحسن وترك القبيح.

يقول ﷺ: تجنّبوا أذى المسلمين وأكفّوهم شرّكم إن لم تولوهم خيركم واتركوهم كفافاً.

وفائدة الحديث الأمر *بتجنّب الأذى وما يكرهه الأخ المسلم. وراوي الحديث أنس بن مالك. [٣٢٣]

قوله ﷺ: أَحْبِبْ حَبِيبَكَ هَوْناً مَا عَسَى أَنْ يَكونَ بَغيضَكَ يَوْماً مَا وَأَبْغِضْ بَغيضَكَ هَوْناً مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ حَبِيبَكَ يَوْماً ما

«الهون»: السكينة والوقار، يقال: فلان يمشي على الأرض هوناً، و«ما» هنا صلة وزيادة زيدت للتأكيد ولتحقيق التنكير، ومثله قوله تعالى: «جُنْدٌ ما هُنالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزابِ»[٢]؛ و«البغيض» ضدّ الحبيب، وقد بغُض بغاضةً وبغّضه الله إلى الخلق، والتقدير: حبّاً هوناً أي ذا

---

١. مصنّف ابن أبي شيبة: ٢١٢/٥، ح٢٥٣٣٩؛ مسند أحمد: ٣٧٩/٢، ح٨٩١٣.

٢. ص: ١١.

هون ورفق.

يقول صلى الله عليه وآله: أحبب حبيبك حبّاً مقارباً فلعلّ الأمر ينعكس عليك فيصير الحبيب بغيضاً وبالعكس، وإذا كنت قد بالغت في أحد الطرفين وانعكست القضيّة عليك رأيت نفسك غير آخذة بقاعدة الحكمة ولا جانحة إلى شقّ الصواب.

وقد نظم هذا المعنى هدبة، فقال:

وَأَحـبِب إذا أَحـبَبتَ حُـبّاً مـقارِباً فَـإِنَّكَ لا تَـدري مَـتى أنتَ نـازِعُ

وَأَبـغِض إذا أَبـغَضتُ بَـغضاً مُـقارِباً فـإنَّكَ لا تَـدري مَـتى أَنتَ راجِـعُ[1]

وفائدة الحديث الأمر بالاقتصاد في الحبّ والبغض. وراوي الحديث ابن عمر.

قوله صلى الله عليه وآله: أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللهِ فَإِنَّهُ رَأْسُ أَمْرِكَ وَعَلَيْكَ بِالْجِهَادِ فَإِنَّهُ رَهْبَانِيَّةُ أُمَّتِي وَلِيَرُدَّكَ عَنِ النَّاسِ مَا تَعْرِفُ مِنْ نَفْسِكَ وَاخْزِنْ لِسَانَكَ إلَّا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّكَ بِذَلِكَ تَغْلِبُ الشَّيْطَانَ

«الرهبانيّة» والرهب مصدر الراهب من النصارى، وهي غلوّ في العبادة من الرهبة، وقد رهِب يرهَب رهبانيّةً ورَهَباً ورَهْباً أي خاف عليك. والخبر وارد مورد الوصيّة.

يقول صلى الله عليه وآله: أوصيك بأوجب الأمور عليك وهو تقوى الله تعالى، وأن تكون في جميع أحوالك مراقباً لأمر الله تعالى ونهيه، فإنّك بعينه، وجعلها رأس الأمر لأنّها أصل الطاعات وأوّلها. ثمّ ثنّى بالجهاد الذي هو عمود الدين ولو لا مجاهدة أولئك الأحرار الذين كانوا في خدمة النبيّ صلى الله عليه وآله لم يستقم أمر الإسلام.

وقال عليه السلام: «كَتَبَ اللهُ الْجِهَادَ عَلَى الرِّجَالِ، فَإِنْ أَصَابُوا أُجِرُوا، وَإِنْ مَاتُوا وَقَعَ أَجْرُهُمْ عَلَى اللهِ وَإِنِ اسْتُشْهِدُوا، كَانُوا أَحْيَاءً مَرْزوقِينَ»[2].

---

١. راجع: العقد الفريد: ١٣٣/٢؛ روضة العقلاء: ٩٦ـ٩٧؛ الأغاني: ٣٦٩/١٢؛ الحماسة البصريّة: ٦٧/٢.

٢. حديث المصيصي لوين: ١١٤، ح ١١٢؛ المعجم الكبير: ٤١٠/١١، ح ١٢١٦٣؛ كنز العمّال: ٢٥٧/١٦، ح ٢٦٠٤٢.

وعن جابر بن عبد الله: «قَالَ رَجُلٌ يَوْمَ أُحُدٍ للنبيّ صلى الله عليه وآله: إنْ قُتِلْتُ فَأَيْنَ أَنَا؟ قَالَ: فِي الْجَنَّةِ، فَأَلْقَى تَمَرَاتٍ كُنَّ فِي يَدِهِ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ»[١].

وقال عليه السلام: «الشَّهِيدُ لَا يَجِدُ مَسَّ الْقَتْلِ إِلَّا كَمَا يَجِدُ أَحَدُكُمُ الْقَرْصَةَ يُقْرَصُهَا»[٢].

٣٢٤

وقال عليه السلام: «لَا تَجْتَمِعُ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللهِ وَدُخَانُ جَهَنَّمَ فِي مَنْخَرِ *عَبْدٍ أَبَداً»[٣].

يقول صلى الله عليه وآله: إنّ الجهاد هو ترهّب أمّتي، لا ما كان النصارى تتكلّفه من الرهبانيّة وهي لزوم صوامعهم وترك أكل اللحم والتفرّد من الناس والاحتضار وطرح السلاسل في الأعناق إلى أمثال ذلك؛ أي الجهاد في ديني بإزاء الرهبانيّة في دينهم، فهو رهبانيّة الإسلام.

ثمّ قال: وليردّك عن تمزيق فراء الناس ما تعرفه من عيوب نفسك، فإنّه لو راجع عبد نفسه ونظر في معايبه وما هو ملطّخ به من المثالب[٤] لَسكت عن الناس إلّا أن يتواقح.[٥]

ثمّ قال عليه السلام: «وَاخْزِنْ لِسَانَكَ إِلَّا مِنْ خَيْرٍ» إن كنت لا بدّ قائلاً فلا تقل إلّا الخير حتّى يكون غداً في ميزانك، ولا يتهاون بما تقول فإنّ المتهاون بمعصية الله فهو هالك.

ثمّ قال عليه السلام: فإنّك بذلك تغلب الشيطان أي بقول الخير وعصمة اللسان عمّا لا يعنيك.

وفائدة الحديث الوصيّة بالتقوى والجهاد والاشتغال بعيب النفس والإغضاء[٦] عن عيب الآخرين وكفّ اللسان عن أعراض الناس وإعلام أنّ الشيطان يقهر بذلك. وراوي الحديث أبو ذرّ الغفاريّ رضي الله عنه.

---

١. مسند أحمد: ٣/٣٠٨، ح١٤٣٥٣؛ صحيح البخاري: ٤/١٤٨٧، ح٣٨٢٠؛ مسند الحميدي: ٢/٥٢٦، ح١٢٤٩.

٢. سنن النسائي: ٣/٢٥، ح٤٣٦٩؛ حلية الأولياء: ٨/٢٦٤ـ٢٦٥؛ كنز العمّال: ٤/١٧١، ح١١١٠٢.

٣. الجهاد لابن المبارك: ٤٣، ح٣٠؛ مصنّف ابن أبي شيبة: ٤/٢٠٨، ح١٩٣٦٤؛ مسند أحمد: ٢/٥٠٥، ح١٠٥٦٧.

٤. ملطّخ: ملوّث؛ والمثالب: العيوب، الواحدة مثْلبة.

٥. تظاهر بالوقاحة.

٦. إدناء الجفون.

قوله ﷺ: إِقْرَإِ الْقُرْآنَ مَا نَهَاكَ، فَإِذَا لَمْ يَنْهَكَ فَلَسْتَ تَقْرَأُهُ

يقول ﷺ: اقرأ القرآن آخذاً بأوامره ونواهيه مرتسماً لما فيه، فإن فعلت ذلك فأنت قارئ للقرآن، وإلّا فأنت لاغ وعملك كلا عمل، ومثل القرآن مثل كتاب يكتبه ملك إلى رعيّته يأمرهم فيه وينهاهم ويرغّبهم ويرهّبهم فعليهم أن يقرأوه ويتدبّروه ويأخذوا به، لا أن يكرّروا قرائته فحسب، فإن لم تكن قراءة القرآن للعلم به والأخذ بما فيه فكأنّه لم يقرأه من حيث أنّ فائدة القراءة العلم ثمّ العمل.

و«ما» في قوله ﷺ: «ما نهاك» مصدريّة في موضع الظرف، لأنّ التقدير مدّة نهيه إيّاك هذا؛ وفي قراءة القرآن ثواب عظيم وخير جسيم، والأصل العمل بما فيه.

وفائدة الحديث الأمر باتّباع أوامر القرآن ونواهيه دون الاقتصار على قرائته فحسب.
وراوي الحديث عبد الله بن عمر وتمامه: «مَنْ لَمْ يَنْفَعْهُ عِلْمُهُ ضَرَّهُ جَهْلُهُ، اقْرَأِ الْقُرْآنَ ...»[1].

قوله ﷺ: أَدِّ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنِ ائْتَمَنَكَ وَلا تَخُنْ مَنْ خَانَك

ائتمنه على ذلك، أي أمنه عليه، والأمان والأمانة مصدران في الأصل وقد سمّيا لمعنى حالة الأمن ولما يؤمن عليه الإنسان.

فيقول ﷺ: أدّ الأمانة إلى من ائتمنك عليها آخذاً بقول الله ﷻ: «إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَماناتِ إِلى أَهْلِها»[2]، ثمّ قال: «وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ» أي إن خانك خائن فلا تشاركه في خيانته فتكون مثله.

٣٢٥ ويرد على هذا *الحديث ما قد رخّص فيه من أخذ المغصوب قدر ما أخذه الغاصب منه إذا قدر على ماله، والحديث لا يناقض ذلك، لأنّه إذا أخذ مثل ماله عليه فقد أخذ حقّه، والآخذ حقّ نفسه ليس بخائن.

---

١. حلية الأولياء: ١٧٧/٥؛ مسند الشهاب: ٤٣٢/١، ح ٧٤١؛ كنز العمّال: ٨٣/١٠، ح ٢٩٠٠٤.
٢. النساء: ٥٨.

وفائدة الحديث الأمر بأداء الأمانة والنهي عن الخيانة. وراوي الحديث أبو هريرة وأنس جميعاً.

قوله صلى الله عليه وآله: أَعْطُوا الْأَجِيرَ أَجْرَهُ قَبْلَ أَنْ يَجِفَّ عَرَقُهُ

هذا مثل في إعطاء الأجير أجره والمبادرة إليه. يقول: إذا استأجرتم أجيراً في عمل يعمله وكدّ يتحمّله فأعطوه ما تشارطتم عليه عقيب فراغه من حرّ العمل، وجفاف العرق مثل للمسارعة إلى إيصال الأجرة إليه.

وفائدة الحديث النهي عن المطل. وراوي الحديث ابن عمر.

قوله صلى الله عليه وآله: احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ، تَعَرَّفْ إِلَى اللهِ فِي الرَّخَاءِ يَعرِفْكَ[1] فِي الشِّدَّةِ، وَاعْلَمْ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ وَأَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَك، وَاعْلَمْ أَنَّ الْخَلائِقَ لَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يُعْطُوكَ شَيْئاً لَمْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يُعْطِيكَ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيهِ أَوْ يَصْرِفُوا عَنكَ شَيْئاً أَرَادَ اللهُ أَنْ يُصيبَكَ بِهِ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَى ذَلِكَ، فإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً، وَاعْلَمْ أَنَّ الْقَلَمَ قَدْ جَرَى بِمَا هُوَ كَائِنٌ[2]

هذه من أمّهات وصاياه صلى الله عليه وآله؛ يقول عليه السلام: احفظ جانب الله تعالى ولا تُضيّعه حتّى يحفظك

---

١. كذا في المصادر، وفي خ: تعرفك.

٢. راجع: المعجم الكبير: ١٢٣/١١، ح١١٢٤٣؛ مسند الشهاب: ٤٣٤/١، ح٧٤٥؛ كنز العمّال: ٨١/١، ح٦٣٠؛ وراجع: من لا يحضره الفقيه: ٤١٢/٤ـ٤١٣، ح ٥٩٠٠؛ أماليّ الطوسي: ٥٣٦؛ بحار الأنوار: ١٣٦/٧٤، ح٤٨.

في السرّاء والضرّاء، واحفظ أمره حتّى يكون[١] على مرصاد أمرك.

وقوله عليه السلام: «تَجِدْهُ أَمَامَكَ» مثل لمعونتك ومغوثتك كمن يكون أمام الإنسان يحفظه من شرّ يتوجّه إليه حتّى لا ينزل به؛ وهذا كما ورد في الدعاء: «تُدْلِجُ بَيْنَ يَدَيَ الْمُدْلِجِ مِنْ خَلْقِكَ»[٢] أي يكون إدلاج الله تعالى لعبده والاستعداد لمعاونته قبل أن يدلج العبد ويستعدّ لعبادته؛ ويجوز أن يكون على حذف المضاف أي تجد معونته ونصره أمامك.

ثمّ قال: «تَعَرَّفْ إِلَى اللهِ فِي الرَّخَاءِ» من أفصح الكلام. يقول: تقرّب إلى الله تعالى بالطاعات والأعمال الحسنة في وقت أمانك ورخاء عيشك ليعينك عند اشتداد الأمر عليك، والتعرّف إلى الله تعالى مثل أيضاً للتقرّب إليه بالطاعات، وأصل التعرّف أن تعقد بينك وبين ما تحتاج إليه معرفةً تتحرّم بمكانها عنده.

«وَاعْلَمْ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ»، يعني أنّه ما علم الله تعالى سيصيبك فهو لا شكّ يصيبك *وبالعكس منه ما أخطأك، لا أنّ علم الله تعالى هو المؤثّر في إصابة ذلك لأنّ العلم بالشيء لا يجعل الشيء على ما هو به، بل يحيط به ويشمل عاقبته، كقولك علمت أنّ زيداً في الدار، إنّما علمت ذلك وأحطت به ولم تجعله في الدار. [٣٢٦]

وقوله عليه السلام: «وَاعْلَمْ أَنَّ الْخَلاَئِقَ لَوِ اجْتَمَعُوا» إلى آخره هو لعمري كذلك، فإنّ الله تعالى إذا أراد أمراً أو أراد دفع أمر لم يمكن أحداً أن يغالبه في ذلك، لأنّه أقدر القادرين وأغلب الغالبين؛ «فإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ» فإنّ جميع مطالبك بيده، «وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ» فهو القادر على قضاء مآربك ودفع البلاء عنك، «وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ». يقول: لا يستعجل الله فيما تستنصره فيه فإنّه عالم بالمصالح، وإن أخّر مرادك فلصواب يعلمه ويخفى عليك، فاستعن في ذلك بالصبر، ولا تضيقنّ ذرعاً بكرب[٣] يصيبك في دار الدنيا لا شكّ يتعقّبه

١. في خ: تكون.

٢. عن أبي جعفر عليه السلام؛ راجع: الكافي: ٥٣٨/٢، ح١٢؛ بحار الأنوار: ١٨٧/٨٤، ح٥.

٣. ضاق به ذرعاً: تألّم أو ضجر منه أو شقّ عليه وعجز عنه.

الفرج، فإنّ وضع الأمور الدنيويّة على ذلك لا يبقى على حالة [١] واحدة خلقها الله تعالى بحكمته كذلك، فالكرب يتلوه الفرج والعسر يعقّبه اليسر. قال تعالى: «إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً» [٢].

ثمّ قال عليه السلام: «وَاعْلَمْ أَنَّ الْقَلَمَ قَدْ جَرَى بِمَا هُوَ كَائِنٌ» إلى يوم القيامة، هو كناية عن علم الله تعالى بجميع المعلومات، ويجوز أن يكون حقيقةً في اللوح المحفوظ والقلم.

وفائدة الحديث الوعظ بهذه الخصال التي ذكرها عليه السلام. وراوي الحديث عبد الله بن عبّاس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يَا غُلامُ! احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ» [٣] إلى آخره.

قوله صلى الله عليه وآله: عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وَأَحْبِبْ مَنْ أَحْبَبْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ، وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِهِ

«ما شئت» «ما» مصدريّة والتقدير: عش مدّة مشيّتك.

يقول صلى الله عليه وآله: عش مقدار ما تتمنّاه وتشاؤه، فالعاقبة لا شكّ الموت، لأنّ هذه الدنيا دار قلعة تنقلع [٤] أهلُها عنها؛ وأحبب من شئت فلا بدّ من فراقه، وذلك لسرعة انقلاب أحوال الدنيا وهجوم الحوادث فيها.

وقال الشاعر:

وكُلُّ أخٍ مُفَارِقُهُ أخُوهُ ... لَعَمْرُ أَبِيكَ إِلّا الْفَرْقَدَانِ [٥]

وأصدق منه قول لبيد:

---

١. في خ: حال.

٢. الانشراح: ٦.

٣. تقدّم مصدره سابقاً.

٤. كذا في خ، ولعلّ الصواب: ينقلع أو تقلع.

٥. قاله عمرو بن معديكرب الزبيدي؛ راجع: جمهرة أشعار العرب: ١٣؛ كتاب سيبويه: ٢/٣٣٤؛ ديوان المتنبي: ١/٣٣٤.

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ ما خَلَا اللهَ بَاطِلُ وكُـلُّ نَـعِيمٍ لَا مُحَـالَةَ زَائِـلُ
وَكُلُّ أُنَاسٍ سوْفَ تَدخُلُ بَيْنَهُمْ دُوَيْهِيـة تَـصفَرُّ مِـنها الأَنَـامِلُ[١]

واعمل ما شئت من الخير والشرّ فالجزاء على الرصد. كما قال تعالى: «فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ»[٢].

٣٢٧

وفائدة الحديث التحذير من الدنيا الخدّاعة الغرّارة وإعلام أنّها لا تدوم وأنّه*لا بدّ فيها من انقطاع الحياة؛ وإعلام أنّ كلّ مودّة منقطعة فيها وكلّ عمل مجزيّ به. وراوي الحديث سهل بن سعد الساعديّ، قال: «جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! عِشْ مَا شِئْتَ» إلى آخره[٣]. قال القضاعيّ: وروي في آخره: «يَا مُحَمَّدُ! شَرَفُ الْمُؤْمِنِ قِيَامُهُ بِاللَّيْلِ، وَعِزُّهُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ»[٤].

قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: اصْنَعِ الْمَعْرُوفَ إِلَى مَنْ هُوَ أَهْلُهُ وَإِلَى مَنْ لَيْسَ أَهْلَهُ فَإِنْ أَصَبتَ أَهلَهُ فَهُو أَهلُهُ، فَإِن لَم تُصِب أَهلَهُ فَأَنت مِنْ أَهلِهِ

هذا أمر باصطناع المعروف من غير تميز على ما يقتضيه فتوى الكرم ودين المروءة. فيقول عليه السلام: لا يخلو اصطناعك من أحد وجهين: إمّا أن يكون إلى من هو أهله فقد وصل إلى مستحقّه واختصّ بمستوجبه، وإمّا أن لا يكون من أهل الصنيعة فاحتسبها عند الله تعالى، فإنّ نيّتك في ذلك كانت متوجّهة إليه وهو يجازي على النيّة، ثمّ إنّك أهل لأن تحسن

---

١. الشعر والشعراء: ٥٤؛ الزهرة ١٤٨؛ وراجع: الزاهر في معاني كلمات الناس: ٣٠١/٢؛ العقد الفريد: ١٧١/٤و ٢٣٨/٥.
٢. الزلزلة: ٧ ـ ٨.
٣. المعجم الأوسط: ٣٠٦/٤، ح٤٢٧٨؛ المستدرك: ٣٦٠/٤، ح ٧٩٢١.
٤. مسند الشهاب: ٤٣٥/١، ح٧٤٦.

فإن التبس عليك الوجه فأنت على ثوابك.

وفائدة الحديث الأمر باصطناع المعروف والخير إلى كلّ أحد من غير تمييز وإثبات الأهليّة للمصطنع وإن كان المصطنع إليه غير أهل. وراوي الحديث جعفر بن محمّد الصادق عن أبيه عن جدّه عليهم السلام.

قوله صلى الله عليه وآله: اشْتَدِّي أزْمَةُ! تَنْفَرِجي

أصل «أزم»: العضّ يقال: أَزَمَه أي عضّه وأزَمَ عنه أي أمسك عنه، والأزمة: الشدّة، لأنّها كأنّها تأزم وتعضّ، والأزمة: القحط أيضاً ويقال: أزمهم القحط وأزمتهم السنة أي استأصلتهم، والمأزم: المضيق، وأزَم عليهم الدهر يأزِم أُزوماً: اشتدّ وتراجع خيره.

يقول صلى الله عليه وآله: واشتدّي ـ يا شدّة! ـ حتّى تنفرجي وتتصدّعي.

والمعنى: أنّه ما من شدّة إلّا ويتبعها فرج.

وفي كلامهم: الشدّة إذا جلّت تجلّت وإذا توالت تولّت.[1]

وقال:

إن يَكُنْ نَالَكَ الزَّمَانُ بِبَلْوَى ... عجز الصَّبر دُونَها حِينَ حَلَّت

وأتَتْ بَعْدَها نَوائبَ شَتَّى ... كَرهت دُونَها الحَيَاةُ ومَلَّت

فتَصَبَّر لَهَا وَلَا تَأس مِنْهَا ... فَالرَّزايا إذا تَوالَت تَولّت[2]

وقال آخر:

اصْبِر عَلى مَضَضِ الزَّمَانِ ... وإنْ رَمَى بِكَ فِي اللُجَجِ

فَلَعَلَّ طَرْفَكَ لَا يَعُودُ ... إلَيكَ إلّا بِالفَرَجِ[3]

---

١. راجع: لسان العرب: ١٦/١٢؛ تاج العروس: ٢١٣/٣١ـ٢١٤.

٢. راجع: تفسير الثعلبي: ٢٣٦/١٠؛ شعب الإيمان: ٢٢٥/٧، ح١٠٠٩٨؛ تاريخ مدينة دمشق: ٢٢٧/٦٤.

٣. راجع: الفرج بعد الشدّة: ٤٦٥/٢؛ شعب الإيمان: ٢٧٥/٥، ح٦٦٤٦.

وقال آخر:

وَكَمْ مِنْ ضِيقَةٍ كدَّتْ[١] بِغَمٍّ فَكَانَ عَقِيبُها فَرجَ مفاجى
فَأضيقَ مَا يَكونُ المرءُ يَوماً وَأدْنَى مَا يَكُونُ إلى انفِراج[٢]

وفائدة الحديث إعلام أنّ الشدّة متبوعة متعقّبة بالفرج والبلاء مقرون بالخلاص.

*وراوي الحديث أمير المؤمنين عليه السلام.

٣٢٨

قوله صلى الله عليه وآله: أَنْفِقْ يَا بلالُ! وَلا تَخش مِنْ ذِي الْعَرْشِ إقْلالاً

يأمر صلى الله عليه وآله بلالاً بحسن الظنّ بالله تعالى، فيقول: أنفق فإنّ خزائن الله لا تنفد، ومددَ أنعامه لا ينقطع، ولا تخش أن يضيّق عليك المعاش ما دمت حسن الظنّ به وبكرمه؛ وإنّما خصّ العرش بالذكر لأنّه أعظم مخلوقاته، وكيف لا يكون ذلك وكرسيّه يسع السماوات والأرض فضلاً عن العرش.

وفائدة الحديث الأمر بحسن الظنّ واستدرار[٣] الرزق من الله تعالى بالإنفاق في وجوه البرّ والخير. وراوي الحديث عبد الله بن مسعود، قال: «دَخَلَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله عَلَى بِلالٍ وَعِنْدَهُ صُبَرٌ مِنْ تَمْرٍ، فَقَالَ: مَا هَذَا يَا بِلالُ؟ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! لَكَ وَلِضِيفَانِكَ، قَالَ: أَمَا تَخْشَى أَنْ يَفُورَ لَهَا بُخَارٌ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ، أَنْفِقْ يَا بِلالُ وَلا تَخْشَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ إِقْلالاً»[٤].

وروي في حديث أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله دعا بلالاً بتمر فجعل يجيء به بقبصة قبصة ـ بالصاد المهملة ـ وهو الأخذ بأطراف الأصابع، فقال صلى الله عليه وآله ذلك.[٥]

١ . كذا في المصدر، وفي خ: وكدت.

٢ . في الفرج بعد الشدّة: ٢/٤٤٦ : «... فأضيق ما يكون الأمر أدنى وأقرب ما يكون إلى انفراج».

٣ . كثرة.

٤ . مسند الحارث: ٢/٨٧٥، ح ٩٤١؛ المعجم الكبير: ١/٣٤٠، ح ١٠٢٠.

٥ . راجع: غريب الحديث لابن قتيبة: ١/٤١٢؛ نثر الدرّ: ١/١٥١؛ الفائق: ٣/١٥٤؛ غريب الحديث لابن الجوزي: ٢/٢١٦؛ وفي المصادر: «قبصاً قبصاً».

قوله ﷺ: بَشِّرِ الْمَشَّائِينَ فِي ظُلَمِ اللَّيْلِ إِلَى الْمَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

يبشّر ﷺ المصلّين بالليل القائمين من النوم اللذيذ إلى مناجاة الله تعالى بالنور التامّ يوم القيامة، وخصّ المساجد بالذكر لأنّ في ذلك عزّاً للإسلام.

ثمّ لفضل الصلاة في المساجد فقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام: «صَلَاةٌ فِي الْمَسْجِدِ الْأَعْظَمِ مِائَةُ صَلَاةٍ وَصَلَاةٌ فِي مَسْجِدِ الْقَبِيلَةِ خَمْسٌ وَعِشْرُونَ صَلَاةٍ»[١].

وروي عن الصادق عليه السلام: «مَنْ مَشَى إِلَى الْمَسْجِدِ لَمْ يَضَعْ رِجْلاً عَلَى رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا سَبَّحَتْ لَهُ إِلَى الْأَرَضِينَ السَّابِعَةِ»[٢].

وعن النبيّ عليه السلام: «مَنْ كَانَ الْقُرْآنُ حَدِيثَهُ وَالْمَسْجِدُ بَيْتَهُ بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ»[٣].

وفائدة الحديث الحثّ على صلاة الليل والصلاة في المسجد. وراوي الحديث بُرَيْدة بن الحُصَيب الأسلميّ رضي الله عنه.

قوله ﷺ: عَلَيْكَ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ

تمام هذا الحديث: «تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِجَمَالِهَا وَمَالِهَا وَدِينِهَا وَحَسَبِهَا، فَعَلَيْكَ بِذَاتِ الدِّينِ، تَرِبَتْ يَدَاكَ»[٤].

يقول ﷺ: لا ترغب في شيء من هذا الأربع إلّا في الدين، فإنّ الجمال سحابة صيف عن قليل تقشع[٥]، والمال عن حوادث الزمان يتشتّت ويتصدّع، والحسب بالفساد، فعليك بذات

---

١. تهذيب الأحكام: ٢٥٣/٣، ح٦٩٨؛ وسائل الشيعة: ٢٩٠/٥، ح٦٥٧٣.

٢. تهذيب الأحكام: ٢٥٥/٣، ح٧٠٦؛ وسائل الشيعة: ٢٠٠/٥، ح٦٣٢٦.

٣. دعائم الإسلام: ١٤٨/١؛ أماليّ الصدوق: ٥٩١، ح٨١٩؛ وسائل الشيعة: ١٩٨/٥، ح٦٣٢١.

٤. مصنّف عبد الرزّاق: ٣٠٤/١١، ح٢٠٦٠٥؛ حلية الأولياء: ٢٩٠/٧؛ وراجع: مسند أحمد: ٤٢٨/٢، ح٩٥١٧.

٥. تكشف وتفرّق.

الدين فإنّها الضالّة المنشودة والبغية المفقودة. وقوله عليه السلام: «تربت يداك» دعاء عليه بالفقر، وليس الغرض *فيه حقيقة الدعاء، بل هي كلمة جارية على ألسنتهم كقولهم: «قاتله الله» و«لا أباً لك»، ويستعمل هذه الكلمة في غير الذمّ.

٣٢٩

وفائدة الحديث الحثّ على اختيار المتديّنة. وراوي الحديث طَلْق بن حبيب، رواه مختصراً.[١]

قوله صلى الله عليه وآله: عَلَيْكُمْ مِنَ الأَعْمَالِ بِمَا تُطِيقُونَ فَإِنَّ اللهَ لا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا

يقول صلى الله عليه وآله: عليكم بالتزام ما تطيقون من الأعمال ولا تظنّوا أنّ الله تعالى يملّ كثرة عبادتكم ولكن تملّون أنتم وتكرهون الطاعة وتحبّونها وتبغضونها إلى أنفسكم، كما قال عليه السلام في موضع آخر: «وَ لَا تُبَغِّضْ إِلَى نَفْسِكَ عِبَادَةَ الله تعالى فَإِنَّ الْمُنْبَتَّ لَا أَرْضاً قَطَعَ وَلَا ظَهْراً أَبْقَى»[٢].

وقد ذكر: «لاَ يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا» أقوال ثلاثة: الأوّل: أن يكون المعنى أنّه نفى الملل عن الله تعالى، فقال: إنّ الله تعالى لا يملّ دعائكم وعبادتكم أبداً، فعلّق ملالةً بما لا يكون وهو ملل بني آدم، فإنّ الحرص فيهم فاشٍ والكذب غالب. والثاني: أنّ معنى «لا يملّ»: ولا يملّكم ولا يطرحكم حتّى يتركوا العبادة له، فسمّى الفعلين جميعاً مللاً، وهذا كثير ويكون المعنى على أن الإطراح يُنتج من الملال، وهو قريب المعنى منه. والثالث: أنّ الله لا يقطع مادّة الفضل عنكم حتّى تملّوا سؤاله، ويكون تسمية فعل الله تعالى مللاً للازدواج وهو كثير في كلامهم، قال

١. مسند الشهاب: ١/٤٤٢، ح٧٥٧.

٢. الكافي: ٢/٨٧، ح٦؛ وراجع: الزهد لابن المبارك: ١/٤١٥، ح١١٧٨؛ مسند الشهاب: ٢/١٨٤، ح١١٤٧.

تعالى: «وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ» [١]، «اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِم» [٢]، «فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ» [٣]، أي جازوه على اعتدائه؛

وكما قال الشاعر:

أَلَا لَا يَجْهَلَنْ أَحَدٌ عَلَيْنَا   فَنَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَا [٤]

أي فنجازيه على الجهل.

واختار ابن الأنباريّ الوجه الثالث، والوجه الثاني أحبّ إليّ، ولا خصومة في الشهوات على أنّه قريب المعنى من الثالث.

وفائدة الحديث الأمر بملازمة الطاعة ومقاساتها على قدر الطاقة وإعلام أنّ العباد لو أرادوا إملال الله تعالى لما استطاعوا. وراوي الحديث أبو هريرة. وتمامه: «وَإِنَّ أَحَبَّ الأَعْمَالِ إِلَى اللهِ أَدْوَمُهَا وَإِنَّ قَلَّ». [٥]

قوله ﷺ: إِذَا وَزَنْتُمْ فَأَرْجِحُوا

هذا أمر بتوفية الموزون وتوفيره وقصد أن يكون زائداً حتّى يكون الوزن على شرط براءة الذمّة.

وقال تعالى: «وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ» [٦].

---

١. الأنفال: ٣٠.

٢. البقرة: ١٥.

٣. البقرة: ١٩٤.

٤. قاله عمرو بن كلثوم؛ راجع: جمهرة أشعار العرب: ٦٠؛ العقد الفريد: ٧٢/٥؛ المزهر في علوم اللغة والأدب: ٢٧٠/١.

٥. مسند الشهاب: ٤٤٢/١، ح٧٥٨؛ كنز العمّال: ٢٢/٣، ح٥٤٠١.

٦. المطفّفين: ١ـ ٣.

وروي أنّ النبيّ عليه السلام كان يشتري بمنى شيئاً فقال للوزّان: ارجح[1]، ولم يكن ذلك منه عليه السلام استزادةً وفضل حرص وطمعاً في الزيادة بل كان يؤدّبه بأدب النبوّة.

٣٣٠

وفائدة الحديث الأمر بتوفية حقوق المسلمين وتوفيرها عليهم وتعظيم حقوق الناس. وراوي الحديث جابر بن عبد الله [الأنصاريّ].

قوله صلى الله عليه وآله: إِذَا أَتَاكُمْ كَرِيمُ قَوْمٍ فَأَكْرِمُوهُ

الإكرام هاهنا بمعنى التعظيم والتبجيل والإعزاز.

وروي[2] أنّ عديّ بن حاتم الطائيّ دخل النبيّ صلى الله عليه وآله فألقى إليه وسادةً وجلس على الأرض وقال: أشهد أنّك لا تبغي علوّاً في الأرض ولا فساداً، وأسلم ـ وكان عديّ أحد رؤساء العرب وهو ابن حاتم الجواد المعروف ـ ثمّ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إِذَا أَتَاكُمْ كَرِيمُ قَوْمٍ فَأَكْرِمُوهُ»، وكان عديّ من كرام الناس وكان ينشر الحبّ للطير فكان يقال له: مطعم طير السماء.

وروي عنه أنّه قال: مَا دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله قَطُّ إِلَّا تَوَسَّعَ لِي أَوْ تَحَرَّكَ لِي، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ ذَاتَ يَوْمٍ وَهُوَ فِي بَيْتٍ مَمْلُوءٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَلَمَّا رَآنِي وَسَّعَ لِي حَتَّى جَلَسْتُ إِلَى جَانِبِهِ.[3]

وروي: «كريمة قوم»[4]. وكريمة كروّاية وعلّامة ونسّابة.

والمعنى: أنّه لأمر ما يكون كريم قومه لخصال حميدة تكون فيه فينبغي أن يكرم فإنّ في ذلك استمالةً لقومه وترغيباً فيما المكرم بصدده.

---

١. راجع: مصنّف عبد الرزّاق: ٦٨/٨، ح ١٤٣٤١؛ سنن النسائي: ٣٥/٤، ح ٦١٨٤؛ المعجم الكبير: ٨٩/٧، ح ٦٤٦٦.

٢. راجع: تاريخ مدينة دمشق: ٧٧/٤٠؛ كنز العمّال: ٢٢٦/٩، ح ٢٥٧٦٥.

٣. معجم أبي يعلى: ٢٠١، ح ٢٣٧؛ المعجم الكبير: ٨٥/١٧، ح ١٩٦؛ شعب الإيمان: ٤٦٧/٦، ح ٨٩٣١.

٤. راجع: غريب الحديث للخطابي: ٢٦٨/١؛ الفائق: ٤٠٠/٣.

وفائدة الحديث الأمر بتوقير الأكابر والوجوه من الناس. وراوي الحديث عبد الله بن عمر وعديّ بن حاتم الطائيّ.

قولهﷺ : إذا جَاءَ كُمُ الزَّائِرُ فَأَكْرِمُ

وهذا الحديث كالذي قبله وهو أمر بإكرام من يزورك، فإنّه إنّما يزور إمّا لمساس حاجة أو تجديد عهد أو بلّ[١] رحم أو لاختيار طاعة، وأيّاً ما فعل ذلك فهو بعرض الإكرام، وربّما يكون الزائر سائلاً، وكانوا في القديم يسمّون سوّالاً فحسنت العبارة عنهم وسمّوا زوّاراً.

وفائدة الحديث الأمر بإكرام من يزورك ويقصدك، فلمكان أنّه اختارك مقصداً لنفسه من بين الخلق، لا تَجْبَهه[٢] ولا تغلظ عليه الكلام، ولا تُبَلِّم عليه[٣] بل آسه[٤] ولاطفه. وراوي الحديث أنس بن مالك.

قولهﷺ : إذَا غَضِبْتَ فَاسْكُتْ

«الغضب»: اهتياج الإنسان للانتقام، والغضب: الشديد الحمرة، فقال: إحمرّ غضبه؛ ولا يبعد أن يكون منه، لأنّ الإنسان إذا غضب درّت[٥] أوداجه واحمرّت وَجنتاه[٦]. وقال النبيّﷺ: «اتَّقُوا الْغَضَبَ فَإِنَّهُ جَمْرَةٌ تُوقَدُ فِي قَلْبِ ابْنِ آدَمَ، أَلَمْ تَرَوْا إِلَى انْتِفَاخِ أَوْدَاجِهِ وَحُمْرَةِ عَيْنَيْهِ»[٧].

---

١. إعطاء.

٢. لا تردّ عن حاجته.

٣. لا تُقبّح أمره.

٤. أعطاه؛ أصله: «أوس».

٥. درّت العروق: امتلأت دماً.

٦. الوجْنة: ما ارتفع من الخدّين.

٧. مصنّف عبد الرزّاق: ١٨٨/١١، ح٢٠٢٨٩؛ مسند أحمد: ٦١/٣، ح١١٦٠٤؛ وأيضاً عن الصادقعليه السلام، راجع: الكافي: ٣٠٤/٢ـ٣٠٥، ح١٢؛ بحار الأنوار: ٢٦٥/٦، ح١٤٩.

وإذا وصف الله تعالى به فالمعنى به الانتقام وحده ويعتبر فيه الدرجة، لأنّك تغضب على من دونك.

٣٣١ يقول ﷺ: إذا غضبت فاحبس عليك لسانك ولا تتكلّم، وذلك لأنّ *الغضب يغيّر رأيك عليك فتتكلّم بالخطأ وتظنّه صواباً، فحقّك أن تسكت حتّى لا يبدر منك في تلك الحالة ما إذا استفقت ندمت عليه ونظرت في أعقابه عاضّاً على إصبعك.

وفائدة الحديث الأمر للغضبان بالسكوت. وراوي الحديث ابن عبّاس رحمه الله.

قوله ﷺ: إِذَا أَحَبَّ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُعْلِمْهُ

يقول ﷺ: إذا أحبّ الرجل المؤمن الديّن أخاه المؤمن لدينه وأمانته فليعلمه ذلك ليفرح بمكانه ويستند إلى محبّته ويكثر به، فيكون ذلك تقوّياً لهما وتظاهراً وتسانداً على عدوّهما، ومزجرة لمن يريد أن يخاصم أحدهما.

وروي عنه ﷺ أنّه قال: «إِذَا آخَى أَحَدُكُمْ رَجُلاً فَلْيَسْأَلْهُ عَنِ اسْمِهِ وَاسْمِ أَبِيهِ وَقَبِيلَتِهِ وَمَنْزِلِهِ فَإِنَّهُ مِنْ أوجَبِ الْحَقِّ فِي[1] الْإِخَاءِ [وَ] إِلَّا فَهِيَ مَوَدَّةٌ حَمْقَاء»[2].

والحثّ على ضروب حبّ الشهوة كحبّ الرجل المرأة، وحبّ الشفقة كحبّ الرجل ولده ووالده، وحبّ الفضل كحبّ العالم العالمَ، وحبّ الإسلام كحبّ الرجل المسلم أخاه المسلم، وحبّ المنفعة كحبّ الرجل ماله؛ وأمّا محبّة العبد لله تعالى وطلب التقرّب إليه وتحصيل مراضيه، ومحبّة الله تعالى العبد فهو إنعامه عليه.

وفائدة الحديث الأمر بإعلام أخيك المسلم أنّك تحبّه، وذلك بما تفعله من أفعالك المرضيّة

---

١ . في المصادر: وصافي.

٢ . مصادقة الإخوان: ٧٢؛ كنز الفوائد: ٣٦؛ بحار الأنوار: ١٦٦/٧١، ح٣٠؛ في المصادر: «... من واجب الحقّ وصافي الإخاء ...»؛ وراجع: مصنّف ابن أبي شيبة: ٣٣٥/٥، ح٢٦٦٤٢؛ مسند عبد بن حميد: ١٦١، ح٤٣٥؛ كنز: ١٢/٩، ح٢٤٧٤٣.

له من برّه وهدايته والتحنّن عليه والنظر له لا بمجرّد القول. وراوي الحديث ابن عمر.

قوله ﷺ: إذا بُويع لِلخَلِيفَتَينِ فاقتُلُوا الآخرَ مِنهُما

«الخلف» من ينوب عن غيره، ومنه الخليفة لأنّه ينوب عمّن ورائه، وقد خلَف يخلُف خِلافةً، والخِلّيْفي: الخلافة.

وفي كلام عمر: «لو لا الخلّيفى لأذنت»[1].

وقيل: الخليفة: السلطان الأعظم.[2]

ومعنى الحديث: أنّه إذا بويع لخليفة مستصلح للخلافة يرضاه الله تعالى للخلق وشرع في شغله آمراً ناهياً سادّاً خلل الدين فخرج عليه غيره فبايعه جماعة، فاقتلوا الثاني لأنّه باغ، وقال الله تعالى: «فَإِنْ بَغَتْ إِحْداهُما عَلَى الْأُخْرى فَقاتِلُوا الَّتي تَبْغي حَتَّى تَفيءَ إلى أَمْرِ اللهِ»[3].

وفائدة الحديث الأمر بقتل الباغي الخارج على الخليفة المحقّ. وراوي الحديث أبو هريرة.

قوله ﷺ: إذَا تَمَنَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَنْظُرْ مَا يَتَمَنَّى فَإِنَّهُ لا يَدْرِي مَا كُتِبَ لَهُ مِنْ أُمْنِيَّتِهِ

التمنّي: تقدير الشيء في النفس وتصوير حصوله. وقال أهل الكلام: هو قول القائل: ليت في نفع أو دفع ضرر.

---

١. راجع: جمهرة اللغة: ٦١٦/١٠؛ المخصص: ٣٢٣/١؛ المفردات: ١٥٧؛ وفي بعض المصادر: «لو أطفت الأذان مع الخلّيفي لأذنت»؛ راجع: مصنّف ابن أبي شيبة: ٢٠٣/١، ح٢٣٣٤؛ جامع الأحاديث: ١٨٦/١٤، ح٢٧٩٩.

٢. الصحاح: ١٣٥٦/٤؛ لسان العرب: ٨٤/٩.

٣. الحجرات: ٩.

وقال بعضهم: التمنّي حديث النفس بما يكون وما لا يكون.[١] ويكنّى بالتمنّي عن الكذب. قال عثمان بن عفّان: ما تمنّيت *منذ أسلمت.[٢]

٣٣٢

والتمنّي أيضاً القراءة، قال الله تعالى: «إلّا إذا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطانُ في أُمْنِيَّتِهِ»[٣]، أي [في] قرائته.

يقول صلى الله عليه وآله: إذا تمنّى أحدكم شيئاً فليتمنّ الممكن الصالح المؤدّي إلى الصلاح والصلاح القريب من رضا الله تعالى، لا يتمنّي الباطل الذي ربّما يأثم فيه، لأنّه على الجملة فعل، سواء كان من أفعال القلب أو أفعال اللسان، فإن كان خيراً أثيب عليه وإن كان شرّاً عوقب له. فيقول: لا تتمنّ إلّا الصلاح، ولا تتمنّ الباطل الذي علم الله تعالى أنّه لا يكون، فإنّ تمنّيته[٤] لا يجدي عليك.

و«مَا كُتِبَ لَهُ مِنْ أُمْنِيَّتِهِ» أي ما يعلم الله تعالى أنّه يصل إليه، و«ما» في قوله عليه السلام: «ما كتب له» يجوز أن يكون استفهاماً، ويجوز أن يكون بمعنى «الذي»، والأوّل أقوى، ومحلّه رفع وقع الفعل على جملة، و«الأمنيّة» أفعولة من التمنّي، والجمع الأمانيّ.

وفائدة الحديث الأمر بتمنّي الخير الممكن دون ما لا يناله. وراوي الحديث أبو هريرة.

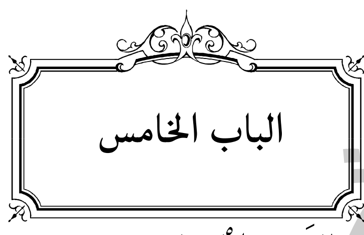
---

١. قاله أبو العبّاس أحمد بن يحيى؛ راجع: تهذيب اللغة: ٣٨٣/١٥؛ لسان العرب: ٢٩٤/١٥؛ تاج العروس: ٥٦٢/٣٩.

٢. راجع: المعرفة والتاريخ: ٢٨٢/٢؛ المعجم الكبير: ٨٥/١، ح ١٢٤؛ مجمع الزوائد: ٨٦/٩.

٣. الحجّ: ٥٢.

٤. كذا في خ.



الباب الخامس

قوله ﷺ: مَا عَالَ مَنِ اقْتَصَدَ

العَيْلَةُ[1] والعالة: الفاقة، وقد عال يعيل عيْلةً وعُيولاً. قال الله تعالى: «وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنيكُمُ اللهُ»[2].

وقال الراجز: «من عال منّا بعدها فلا اجتبر»[3].

و«الاقتصاد»: لزوم القصد وهو استقامة الطريق، والقصد هو ما بين الإسراف والتقصير، والقصد: العدل، وكلّ ذلك من وادٍ واحد.

وقال الله تعالى: «فَمِنْهُمْ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سابِقٌ بِالْخَيْراتِ»[4]، فجعل المقتصد من نمط الأوسط.

يقول ﷺ: ما افتقر من لزم القصد فلم يسرف ولم يقتر، فقال: «وَالَّذينَ إذا أَنْفَقُوا لَمْ

---

١. في خ: العيل.

٢. التوبة: ٢٨.

٣. « ... ولا سقى الماء ولا رعى الشجر»؛ والراجز هو عمرو بن مكثوم كما في: لسان العرب: ١١٥/٤؛ راجع: جمهرة الأمثال: ٢٦٠/٢؛ مجمع الأمثال: ٣١٢/٢؛ تاج العروس: ٣٥٠/١٠.

٤. فاطر: ٣٢.

يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكانَ بَيْنَ ذلِكَ قَواماً»[١]، وقال تعالى في ذلك: «وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إلى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْها كُلَّ الْبَسْطِ»[٢]، وقال في معنى التوسّط: «وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخافِتْ بِها وَابْتَغِ بَيْنَ ذلِكَ سَبيلاً»[٣].

وقيل لبعض من يسرف في الخير: لا كرم في الإسراف، فيقال: لا إسراف في الكرم.

وقيل: الإسراف النفقة في معصية الله، والاقتار منع الحقوق في ذات الله تعالى.[٤] وهو قول ابن عبّاس.

وقال عون بن عبد الله: «ليس المسرف من يأكل ماله إنّما المسرف من يأكل مال غيره»[٥].

وقال غيره: «لو أنفق جميع ماله في الحقّ ما كان إسرافاً ولو أنفق مدّاً في باطل كان تبذيراً»[٦].

وفائدة الحديث الحثّ على الطريق القصد الذي هو منهج من الإسراف والتقصير، وذلك أنّ *كلا طرفيه مذموم والواسطة محمودة. ٣٣٣

وقد أحسن الشاعر: «كلا طرفي كلّ الأمور ذميم»[٧] ويعني بالطرفين الإفراط والتفريط. وراوي الحديث عبد الله بن مسعود.

---

١. الفرقان: ٦٧.

٢. الإسراء: ٢٩.

٣. الإسراء: ١١٠.

٤. راجع: تفسير ابن زمنين: ٢٦٧/٣؛ تفسير الثعلبي: ١٤٧/٧؛ الدرّ المنثور: ٢٧٥/٦.

٥. راجع: تفسير الطبري: ٣٨/١٩، ح٢٠١١٧؛ تفسير الثعلبي: ١٤٧/٧.

٦. قاله مجاهد، راجع: تفسير الطبري: ٧٤/١٥، ح١٦٧٩١؛ أحكام القرآن للجصاص: ٢١/١٥؛ نثر الدرّ: ٣٧٦/٤.

٧. أنشده أبو سليمان الخطّابيّ؛ راجع: العزلة: ٩٨؛ يتيمة الدهر: ٣٨٥/٤؛ النهاية في غريب الأثر: ٣٨٢/٣؛ في المصادر: «كلا طرفي قصد الأمور ذميم».

قوله ﷺ: مَا أَعَزَّ اللهُ بِجَهْلٍ قَطُّ وَلا أَذَلَّ بِحِلْمٍ قَطُّ

أصل «العزّ» الامتناع من الظلم، والله تعالى عزيز لا يغلب، والعَزاز: الأرض الصلبة، وتعزّز اللحم أي اشتدّ؛ وبخلافه الذلّ. و«الجهل» أصله اعتقاد الشيء على خلاف ما هو به، وبخلافه العلم، ويكنّي به عن الفعل المذموم الذي لم يتأنّق فيه[1] فاعله.

ومنه قول عمرو بن كلثوم:

أَلَا لَا يَجْــهَلَنْ أَحَــدٌ عَــلَيْنَا فَـنَجْهَلَ فَـوْقَ جَـهْلِ الْجَـاهِلِينَا[2]

يقول ﷺ: ما أعزّ الله تعالى أحداً بالجهل أي بوضعه الشيء في غير موضعه، وبالعكس من ذلك ما أذلّ عبداً بحلمه وتثبّته ومراقبة الجوانب والنظر في العواقب؛ ولذلك قال: «ما عزّ ظالم ولو طلع من جبينه القمر»[3]. وبمقابلته عليه السلام الجهل[4] بالحلم دون العلم ومزاوجته به يعلم أنّه أراد عليه السلام بالجهل هاهنا وضع الشيء في غير موضعه لا الجهل الذي يكنّى به عن ارتفاع العلم.

وفائدة الحديث إعلام أنّ الله تعالى يعزّ العبد بالحلم والاحتمال والتواضع والسكينة والوقار والتثبّت، ويذلّ بالجهل والتسرّع إلى الأمور من غير رويّة فيها والنظر في مطاويها.

وراوي الحديث عبد الله بن مسعود.

قوله ﷺ: مَا نُزِعَتِ الرَّحْمَةُ إلّا مِنْ شَقِيٍّ

«الرحمة» هـهنا الرقّة والرأفة [و]التعطّف، فإذا أضيفت إلى الله تعالى فهي الإحسان

١. لم يعمله بالإتقان والحكمة.

٢. قاله عمرو بن كلثوم؛ راجع: جمهرة أشعار العرب: ٦٠؛ العقد الفريد: ٧٢/٥؛ المزهر في علوم اللغة والأدب: ٢٧٠/١.

٣. قاله المنتصر بالله(المتوفّى ٢٤٨ق) أحد خلفاء العبّاسيّة؛ راجع: البصائر والذخائر: ١٦٠/٥؛ نثر الدرّ: ٩١/٣؛ الإعجاز والإيجاز: ٨٥؛ التمثيل والمحاضرة: ٣٢.

٤. كذا ما أثبتّه في النصّ، وفي خ: يجهل.

والإنعام؛ و«الشقاوة»: التعب في الأصل؛ وطلب بعض العرب منّي شيئاً فقمت لآتيه به فقال: تشق، وهو من فصيح الكلام. وقوله تعالى: «طه ما أَنْزَلْنا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقى» [1]، ومعناه يؤول إلى التعب وتكليف النفس فوق ما تطيق؛ والمشاقاة: المعاناة في الأمور من ذلك، فكان الشقيّ المجهود بسوء اختياره.

يقول صلى الله عليه وآله: لا تنزل عن الرحمة والرقّة إلّا شقيّ خائب خاسر، وكان صلى الله عليه وآله من أرحم الناس وأشفقهم.

وروي [2] أنّ عيينة بن حصن الفزاريّ رأى النبيّ صلى الله عليه وآله يقبّل الحسن والحسين عليهما السلام فقال: إنّ لي عشرة ذكوراً ما قبّلت واحداً منهم قطّ. فقال صلى الله عليه وآله: إنّما هي الرحمة نزعها الله عنك وأنّ الرحمة لا تنزع إلّا من شقيّ [3].

وعن عليّ عليه السلام: «قُبْلَةُ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ شَهْوَةٌ وَقُبْلَةُ الْوَالِدِ عِبادَةٌ وَقُبْلَةُ الْأَخِ أخاهُ دِينٌ وَقُبْلَةُ الْوَلَدِ رَحْمَةٌ» [4].

٣٣٤ وفائدة الحديث الأمر بالرحمة والرقّة *والشفقة والرأفة والتعطّف والتحنّن. وراوي الحديث أبو هريرة.

قوله صلى الله عليه وآله: مَا شَقَ عَبْدٌ بِمَشُورَةٍ قَطُّ وَلا سَعِدَ بِاستِغْنَاءٍ بِرَأي

«المشورة» وزنها مفعلة من «شور» كالمعونة والمغوثة والمضوفة، والمشاورة: مفاوضة

---

١ . طه: ١ ـ ٢.

٢ . قال صلى الله عليه وآله في هذه الواقعة: «إنّ من لا يرحم لا يرحم»؛ راجع: مسند أحمد: ٢٢٨/٢، ح ٧١٢١؛ صحيح مسلم: ١٨٠٨/٤، ح ٢٣١٨؛ وراجع: إعراب القرآن(للنحاس): ١٩٩٧/٤.

٣ . راجع: مسند أحمد: ٣٠١/٢، ح ٧٩٨٨؛ سنن أبي داود: ٢٨٦/٤، ح ٤٩٤٢.

٤ . مكارم الأخلاق للطبرسي: ٢٢٠؛ بحار الأنوار: ٩٣/١٠١، ح ٢٤؛ وراجع: نثر الدرّ: ٢١٩/١؛ محاضرات الأدباء: ١٣٢/٢.

لاستخراج الرأي الصائب، ولا يبعد أن يكون أصله من شُرْتُ العسل من الخليّة، والمَشاور: خشبات مع العاسل يستخرج بها العسل، الواحد مَشْوَر؛ والمَشار: الخليّة.

وكان الأصمعيّ ينكر على من روى قول عديّ بن زيد العباديّ:

فِي سَمَاعٍ يَـأْذَنُ الشَّـيْخُ لَهُ وحَدِيثٍ مِثْلِ مَاذِيٍّ مُشَارِ

فيقول: هو ماذيّ مشار بالإضافة إلى المستشار.[١] ويقال مشُورة ــ بضمّ الشين ــ ومشْوَرة ــ بسكون الشين وفتح الواو ــ والأوّل أفصح وأعلى.

فيقول صلى الله عليه وآله: ما شقي المستشير في أمره بالعقلاء، وبالعكس من ذلك ما سعد من استغنى برأيه، ولذلك علّة صحيحة وبرهان قاطع، وذلك أنّ الآراء المختلفة والعقول المتعاونة إذا أنعمت النظر في أمر من الأمور كانت أعرف بها وأشدّ استشفافاً لها؛ ثمّ إنّ الإنسان إذا عرض له أمر تنزع نفسه إليه وتحثّه دواعيه إليه. فاستشار غيره فيه فقد استعان بعقول سليمة من الدواعي والصوارف،[٢] لا غرض لها فيه، فبأدنى فكرة يصرفها إليه، يلوح له الصواب، بخلاف صاحب الواقعة الذي تغطّي شوائب الحرص على وجه عقله فيعمى عن معايبه ويصمّ عن مثالبه.

ولقد قال عليه السلام: «حُبُّكَ الشَّيْءَ يُعْمِي وَيُصِمُّ»[٣].

ولذلك أمر الله تعالى بالمشاورة فقال: «وَشاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ»[٤]. وقال الحسن البصريّ: لم يأمر الله تعالى نبيّه عليه السلام بالمشورة لحاجته إليها ولكنّه أحبّ أن يكون سنّةً بعده.[٥]

---

١. راجع: تهذيب اللغة: ٢٧٧/١١؛ مقاييس اللغة: ٧٦/١ـ٧٧.

٢. زاد في خ: والصوارف.

٣. مسند أحمد: ١٩٤/٥، ح ٢١٧٤٠؛ سنن أبي داود: ٣٣٤/٤، ح ٥١٣٠؛ وراجع: من لا يحضره الفقيه: ٣٨٠/٤، ح ٥٨١٤.

٤. آل عمران: ١٥٩.

٥. راجع: أحكام القرآن للشافعي: ١١٩/٢ـ١٢٠؛ تفسير الطبري: ١٥٢/٤؛ تفسير ابن أبي حاتم: ٨٠١/٣، ح ٤٤١٦؛ السنن الكبرى؛ ١٠٩/١٠.

وقال سفيان: إنّما أمر بذلك لضعف عقول أهل آخر الزمان.[١]

وقال عليه السلام: «مَنْ أَشَارَ عَلَى أَخِيهِ بِأَمْرٍ يَعْلَمُ أَنَّ الرُّشْدَ فِي غَيْرِهِ فَقَدْ خَانَهُ»[٢].

وقال عمر: الرجال ثلاثة: فمنهم العفيف المسلم، ومنهم الهيّن الذي لا يعرف الأمور إذا أقبلت فيوردها مواردها ويصدرها مصادرها، ومنهم من إذا نزل به أمر استشار ذا الرأي والمشورة، فإن أشار عليه نزل عند رأيه.[٣]

وقال رَوْح بن زِنْباع: «إن استشارني رجل فلم أشر عليه بالرأي لم آمن أن أسلب عقلي»[٤].

وفائدة الحديث الحثّ على المشاورة والاستعانة بالآراء الخارجة والاستغاثة بالعقول السليمة والنهي عن الاستبداد بالرأي النفسيّ. وراوي الحديث سهل بن سعد الساعديّ، وقرأ بعد الحديث: «وَشاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ»[٥]، «وَأَمْرُهُمْ شُورى بَيْنَهُمْ»[٦].

٣٣٥ قوله صلى الله عليه وآله: مَا خَابَ مَنِ اسْتَخَارَ *وَلا نَدَمَ مَنِ اسْتَشَارَ

الاستخارة: طلب الخير، يقال: استخار الله العبد فخار له، ومنه صلاة الاستخارة؛ وهذا الحديث كالذي قبله، يقول: ما خاب عبد استخار في أمره فنظر فيه، فتحرّى الخير وتجنّب الشرّ؛ ولا ندم عبد استشار فيما عرض له من الشغل فإن أشير عليه بخير وصواب فذلك وإن

١. راجع: تفسير الطبري: ١٥٣/٤؛ إمتاع الأسماع: ٢٨٠/٢.

٢. سنن أبي داود: ٣٢١/٣، ح٣٦٥٧؛ المستدرك: ١٨٤/١، ح٣٥٠؛ كنز العمّال: ٨٤/١٠، ح٢٩٠١٧ و١٦٦/٣، ح٧١٩٢.

٣. راجع: مصنّف ابن أبي شيبة: ٥٥٩/٣، ح١٧١٤٧؛ شعب الإيمان: ٧٥/٦، ح٧٥٣٧؛ كنز العمّال: ١١١/١٦، ح٤٤٣٧٣.

٤. لم أقف على مصدره.

٥. آل عمران: ١٥٩؛ راجع: مسند الشهاب: ٦/٢، ح٧٧٣.

٦. الشورى: ٣٨.

كان بالعكس فاللائمة راجعة إلى المشير ويكون هو قد أعذر.

وفائدة الحديث الحثّ على الاستخارة والتحرّي للخير في الأمور والاستعانة على المشاورة. وراوي الحديث أنس بن مالك.

قوله ﷺ: مَا آمَنَ بِالْقُرْآنِ مَنِ اسْتَحَلَّ مَحَارِمَهُ

يشير ﷺ إلى أنّ المؤمن بالشيء نازل تحت حكمه متوقّع مراسم إشارته لا يستحلّ له خلافاً ولا يستبيح له شفافاً، فالمؤمن بالقرآن المصدّق بأنّه وحي الله تعالى الذي بيّن فيه الحلال والحرام والقضايا والأحكام، لا يستحلّ ما أفتى بتحريمه ولا يجوّز الإقدام على ما حدّد فيه وحصر عليه، فمن فعل ذلك واستهان بمحارمه كان كمن لم يؤمن به ولم يتصدّق بنزوله من عند الله تعالى.

وفائدة الحديث الحثّ على التزام أحكام القرآن من تحليل حلاله وتحريم حرامه. وراوي الحديث صهيب.

قوله ﷺ: مَا رُزِقَ الْعَبْدُ رِزْقاً أَوْسَعُ عَلَيهِ مِنَ الصَّبْرِ

أصل الرزق: العطاء وهو ما لك تنتفع به ولم يكن لغيرك المنع منه، والرَزَقات: أطماع الجند، الواحدة رَزْقَة. وارتزق الجندُ أي طلبوا أرزاقهم، وقد رزقه الله تعالى يرزقه رزقاً؛ وأصل الصبر: إمساك معه صعوبة.

يقول ﷺ: ما أعطى الله تعالى عبداً إعطاءً أوسع وأنفع وأجدى وأمنع وأردّ وأمتع من الصبر فإنّه إن كان في ضيق وسّعه عليه وإن كان مبتلاً سلّاه وإن كان محزوناً فرّج عنه، فبان بهذا سعة نطاق الصبر وعموم فائدته وحسن عائدته.

وقد مدح الله تعالى الصابرين فقال: «إِنَّما يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسابٍ»[1].

١. الزمر: ١٠.

وقال تعالى: «وَالَّذينَ صَبَرُوا ابْتِغاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ» [١]، الآية.

وقال تعالى: «وَبَشِّرِ الصَّابِرينَ» [٢].

والصبر نوعان: صبر على مشقّة وصبر على محرّم، وفي كليهما فضل عظيم وثواب جسيم، ومجال الصبر واسع والتمسّك به نافع.

وقال الشاعر:

وَلَو شِئْتُ أَنْ أَبْكِي دَماً لَبَكَيْتُهُ ... عَلَيْهِ وَلَكِنْ سَاحَةُ الصَّبْرِ أَوْسَعُ [٣]

وفائدة الحديث تعظيم شأن الصبر وإجلال قدره وإعلام أنّ الاعتداد به والتمسّك بعروته من أجلّ النعيم. وراوي الحديث أبو سعيد الخدريّ.

٣٣٦ قوله صلى الله عليه وآله: مَا خَالَطَتِ الصَّدَقَةُ مَالاً إلّا أَهْلَكَتْهُ

«الصدقة» هاهنا عبارة عن الزكاة الواجبة في المال، وقد يكون الصدقة غير الزكاة من التطوّع به لوجه الله.

يقول صلى الله عليه وآله: إنّ الصدقة حقّ الله تعالى في مالك فرضة للفقراء والمساكين، فكما أنّ نصيبك حقّ لك فكذلك الصدقة نصيب الله تعالى، فالواجب المبادرة إلى إخراج الواجب من مالك، حتّى لا يصير مالك مال شبهة خالطه الحرام؛ وقد قال عليه السلام: «حصّنوا أموالكم بالزكاة» [٤]؛ فإنّه إذا خالطت الصدقة المال أوشك أن يسري إليه الضياع ويقلّ به الانتفاع، إمّا بمتغلّب يبتزّه [٥] أو آفة تتطرّق إليه أو بأن ترفع منه البركة والنماء، وذلك لارتفاع التحصين عنه، فإذا

---

١ . الرعد: ٢٢.

٢ . البقرة: ١٥٥.

٣ . قاله إسحاق الخزيميّ، راجع: ديوان المعاني: ١٧٥/٢؛ لباب الآداب: ١٥٥.

٤ . الكافي: ٦١/٤، ح٥؛ من لا يحضره الفقيه: ٤/٢، ح١٥٧٦؛ وراجع: المعجم الأوسط: ٢٧٤/٢، ح١٩٦٣؛ كنز العمّال: ١٢٦/٦، ح١٥٧٥٩.

٥ . يستلبه قهراً.

أو آفة تتطرّق إليه أو بأن ترفع منه البركة والنماء، وذلك لارتفاع التحصين عنه، فإذا كان لله تعالى في مالك شركة فلا تجعله أخشن الشركاء نصيباً.

وفائدة الحديث الحثّ على الصدقة وإعلام أنّ المال على شرف الهلاك ما لم يخرج منه حقّ الله تعالى. وراوية الحديث عائشة.

قوله ﷺ: مَا نَقَصَ مَالٌ مِنْ صَدَقَةٍ، وَلا عَفَا رَجُلٌ عَنْ مَظْلَمَةٍ إلّا زَادَهُ اللهُ عِزّاً

يقول ﷺ: إنّ الصدقة وإن كانت تتراءى في صورة المغرم فهي في أوفى مغنم نظراً إلى البركة الناشئة منها والنماء الحاصل بسببها، خلاف ما قاله الماجن: «بيني وبينك الميزان»[1]؛ فإنّه ينظر بضُعف نحيزته إلى الصورة وتغاني البغية المحمودة والعاقبة المسعودة، وكم قد رأينا أموالاً جمّةً وأعراضاً كثيرةً لم يخرج حقّ الله تعالى منها ولا روعي جانب الله فيها عادت هباءً منثوراً وأهلها بوراً، وبالعكس من ذلك كم رأينا قليلاً أخرج حقّ الله تعالى منه فزكا ونمى وبقي في الأعقاب وتناقلته الأيدي الصالحة.

ثمّ قال عليه السلام: «وَلاَ عَفَا رَجُلٌ عَنْ مَظْلَمَةٍ إلّا زَادَهُ اللهُ عِزّاً»، والمظلمة ـ بكسر اللام ـ والظلامة والظليمة: ما أخذ منك ظلماً، وقد يظلمني فلان أي أخذ مالي، وتظلّمتُه أي اشتكيت من ظلمه.

يقول: من أحلّ أخاه عن مظلمته زاده الله تعالى بذلك عزّاً في الدنيا والآخرة، ومواضع ذلك معلومة، فقد قيل: «المغبون لا محمود ولا مأجور»[2] والمظلمة تقع على كلّ ظلم وإن لم يكن اغتصاب مال، والعفو في الدنيا يورث العفو في الآخرة.

---

١ . نثر الدرّ: ١٦١/٢؛ المفردات: ٤٤.

٢ . راجع: مسند أبي يعلى: ١٥٣/١٢، ح٦٧٨٣؛ المعجم الكبير: ٨٣/٣، ح٢٧٣٢؛ كنز العمّال: ١٠/٤، ح٩٢٨٧؛ وراجع: الكافي: ٤٩٦/٤، ح٣؛ الاستبصار: ٢٦٧/٢، ح٩٤٧.

وقال عليه السلام: «اعْفُ عَمَّنْ ظَلَمَكَ»[١].

وعن الحسن البصريّ: ينادي منادٍ يوم القيامة: ولا يقم إلّا من كان له على الله تعالى أجر، فلا يقوم إلّا من عفا في الدنيا ثمّ قرأ: «فَمَنْ عَفا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ»[٢]. ٣٣٧

«ومن استغفر لظالمه فقد هزم الشيطان»[٣].

وعن أبي صالح الحنفيّ قال: جاء رجل إلى النبيّ صلى الله عليه وآله يشكو مظلمةً فقال عليه السلام: إنّ المظلومين هم المفلحون يوم القيامة، قال: فدعا الرجل إلى مظلمته فأبى أن يأخذها.[٤]

وكفاك حثّاً على مكارم الأخلاق قوله تعالى: «خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجاهِلِينَ»[٥].

وفائدة الحديث الحثّ على الصدقة على من يستحقّه والعفو عن الظالم، فلا المال ينقص عن الصدقة ولا العفو عن الظالم يألو عزّاً. وراوية الحديث أمّ سلمة.

قوله صلى الله عليه وآله: مَا تَرَكْتُ بَعْدِى فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ

أصل الفتنة: الامتحان، تقول: فتنت الذهب بالنار، وقد صدق صلى الله عليه وآله وهو الصادق المصدّق

---

١. عن علي عليه السلام؛ راجع: دعائم الإسلام: ٤٨٧/٢، ح١٧٤١؛ بحار الأنوار: ٧١/٧٥، ح٣٤؛ وعن رسول الله صلى الله عليه وآله، راجع: مسند أحمد: ١٥٨/٤، ح١٧٤٨٨؛ شعب الإيمان: ٢٢٢/٦، ح٧٩٥٧؛ كنز العمّال: ١٣٥/٢، ح٤٠٨٩.

٢. الشورى: ٤٠؛ راجع: تفسير مجاهد: ٥٧٦/٢ـ٥٧٧؛ نوادر الأصول: ٥٦/٢؛ حلية الأولياء: ٢٠٤/٩.

٣. عن الحجّاج بن فراضة، قال: بلغنا في بعض الكتب، راجع: الزهد لابن المبارك: ٢٣٤/١، ح٦٦٩؛ حلية الأولياء: ١٠٩/٣.

٤. راجع: إحياء علوم الدين: ١٨٢/٣؛ المغني عن حمل الأسفار: ٨٥٦/٢، ح٣١٤٦؛ كنز العمّال: ٢٠٢/٣، ح٧٦٣٣.

٥. الأعراف: ١٩٩.

أنّه لا فتنة أصعب منهنّ، فإنّ من نظر إليهنّ افتتن، ومن تبعهنّ افتتن، ومن أحبّهنّ افتتن، ومن عرفهنّ افتتن، ومن تزوّج شيئاً منهنّ افتتن، فكلّهنّ فتنة.

وفي كلام لعبد الله بن المبارك معناه: ليس على ما يذهبون إليه من فتنة الشهوة ولكنّه لما يدخلن على الأزواج من القطيعات[١] في القرابات وما يبتلى به الرجل من أجل النساء.

وقال معاذ: إذا رأيت المرأة وقد حميت فقبّلها لتطفأ حميّتها.[٢]

وفي كلام أمير المؤمنين عليه السلام يأمر بمداراة النساء: إنّ المرأة خلقت من ضلع عوجاء فإن أردت أن تقومها كسرتها وإن استمتعت بها استمتعت بها وفيها عوج.[٣]

وقال بعض الحكماء: المرأة حيّة تسعى ما دامت حيّةً تسعى.

وذلك لضيق أخلاقهنّ ونقصان عقولهنّ وسرعة ملالهنّ وتنوّع أهوائهنّ وحمل أزواجهنّ على ما لا يحلّ ولا يجمل إلّا من عصمه الله، وتلك أعزّ من الغراب الأعصم والكبريت الأحمر.

وذكر أمير المؤمنين عليه السلام أخلاق النساء وتعسّرهنّ وتلوّنهنّ ثمّ تمثّل:

فَإِنْ تَسْأَلُونِي بِالنِّساءِ فَإِنَّنِي ... عَلِيمٌ بِأَدْوَاءِ النِّسَاءِ طَبِيبُ
يُرِدْنَ ثَرَاءَ المَالِ حيثُ وَجَدنَهُ ... وشَرْخُ الشَّبابِ عِندهُنَّ عَجِيبُ[٤]

قال المبرّد: شرخ الشباب: نضارته وقوّته.[٥]

وفائدة الحديث التحذير من طاعة النساء فيما لا يسوغه الشرع وإعلام أنّ أمورهنّ تجري على الفتنة . وراوي الحديث أسامة بن زيد.

١ . جمع القطيعة وهي ترك البرّ والإحسان إلى الأهل والأقارب.

٢ . لم أقف عليه.

٣ . عن النبيّ صلى الله عليه وآله، راجع: الكافي: ٣/٥؛ وراجع: صحيح البخاري: ١٩٨٧/٥، ح ٤٨٨٩؛ مسند البزار: ٣٨٩/٩، ح ٣٩٧٠؛ كنز العمّال: ١٥٦/١٦، ح ٤٤٩٥٦.

٤ . أنشده علقمة بن عبدة؛ راجع: البيان والتبيين: ٥٣٩؛ العقد الفريد: ١١١/٦؛ الأغاني: ٣٢٥/٢٠؛ شرح ديوان الحماسة: ١٩٦/١؛ ديوانه: ١.

٥ . النهاية في غريب الأثر: ٤٥٧/٢.

قوله صلى الله عليه وآله: مَا أَصَرَّ مَنِ اسْتَغْفَرَ وَلَو عَادَ فِي اليَومِ سَبْعِينَ مَرَّةً

٣٣٨

يقال: أصرّ على الذنب إذا أقام عليه متشدّداً غير عازم على الإقلاع عنه، وأصله من «الصرّ» الذي هو الشدّ، ومنه *الصَرَّة، والاستغفار: طلب المغفرة.

يقول صلى الله عليه وآله: ليس بمصرّ من استغفر من ذنوبه ولو عاد إلى الذنب سبعين مرّةً في يوم واحد، وهذا إيذان منه عليه السلام بأنّ باب التوبة مفتوح لا يغلق إلّا إذا رفع التكليف، فما دام التكليف باقياً فباب التوبة مفتوح، والله تعالى يقبل التوبة كما قال عزّ من قائل: «وَهُوَ الَّذي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبادِهِ وَيَعْفُوا عَنِ السَّيِّئاتِ» [١]، وقال تعالى: «غافِرِ الذَّنْبِ وَقابِلِ التَّوْبِ» [٢]، وقال: «هُوَ التَّوّابُ الرَّحيمُ» [٣].

والمعنى: أنّ الله تعالى كريم كلّما أقبل العبد عليه بالتوبة وقرع باب فضله بالأوبة [٤] رجع عليه بعاطفة الرحمة فقبل توبته إذا كانت صادرةً عن حقيقة صدق.

وقال عليه السلام: «مَنْ قَالَ: أَسْتَغْفِرُ اللهَ الَّذِي لا إِلَهَ إِلّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ ثَلَاثاً غَفَرَ لَهُ ذُنوبَهُ، وَإِنْ كَانَ فَارّاً مِنَ الزَّحْفِ» [٥].

وكان يقال: «استغفروا الله، فَإِنَّ اللهَ لَمْ يُعَلِّمُكُمُ الاسْتِغْفَارَ إِلّا وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَغْفِرَ لَكُمْ» [٦].

---

١. الشورى: ٢٥.

٢. غافر: ٣.

٣. البقرة: ٣٧.

٤. الرجوع، التوبة.

٥. الزهد لابن المبارك: ٤٠٠/١، ح١١٣٥؛ المستدرك: ١٢٨/٢، ح٢٥٥٠؛ حلية الأولياء: ١٨٠/٥؛ كنز العمّال: ٢٤٤/١، ح٢١٠٧.

٦. راجع: الفوائد لتمام الرازي: ١٢٠/٢، ح١٣١٢؛ تاريخ بغداد: ٢٠٦/١٤، ح٧٤٩٣؛ الدرّ المنثور: ٢٩٠/٨؛ وراجع: الدعوات للراوندي: ٣١، ح٦٤؛ بحار الأنوار: ٢٨٣/٩٠، ح٣٠.

وروي أنّ رجلاً جاء إلى النبيّ عليه السلام فقال: «يَا رَسُولَ اللهِ، علّمني عَمَلاً يدخلني الْجَنَّةَ وينجيني من النار، قَالَ: لا تَسْأَلِ النَّاسَ شَيْئاً، وَلَكَ الْجَنَّةُ، [قَالَ: يا رسول الله! زِدْنِي، قَالَ: لا تَغْضَبْ، وَلَكَ الْجَنَّةُ،] قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، زِدْنِي، قَالَ: اسْتَغْفِرِ اللهَ فِي الْيَوْمِ سَبْعِينَ مَرَّةً قَبْلَ أَنْ تَغِيبَ الشَّمْسُ، يَغْفِرْ لَكَ ذَنْبَ سَبْعِينَ عَاماً، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَيْسَ لِي ذَنْبُ سَبْعِينَ عَاماً، قَالَ: فَلأُمِّكَ، قَالَ: لَيْسَ لأمِّي، قَالَ: لأَبِيكَ، قَالَ: لَيْسَ لأَبِي، قَالَ: لأَهْلِكَ، قَالَ: لَيْسَ لأَهْلِي[1]، قَالَ: فَلِجِيرَانِكَ»[2].

وعن ابن جريج قال: «قال رجل في مجلس عطاء: أستغفر الله ربّي، قال عطاء: إن عقلت ما قلت ألّا كنت عند الله كذّاباً»[3]؛ وهذا مأخوذ من كلام أمير المؤمنين عليه السلام حين سمع قائلاً بحضرته يقول: أستغفر اللّهم، وقد تقدّم هذا الحديث فيما مضى[4].

وفائدة الحديث الحثّ على الاستغفار بشرطه وإعلام أنّ الله تعالى يقبل التوبة على كلّ حال إذا كانت نصوحاً. وراوي الحديث أبو بكر.

قوله صلى الله عليه وآله: مَا أَحْسَنَ عَبْدُ الصَّدَقَةَ إِلَّا أَحْسَنَ اللهُ الْخِلافَةَ عَلَى تَرَكَتِهِ

أصل «التركة» ما يتركه الرجل إرثاً لورثته، وهذا إشارة منه صلى الله عليه وآله إلى أنّ العبد إنّما يبخل في الحقوق الواجبة عليه إبقاءً على ماله وما سيصير تركةً ومالاً للورثة، فيقول عليه السلام: «مَا أَحْسَنَ عَبْدُ الصَّدَقَةَ» أي أخرجها على حسب ما تجب عليه «إِلَّا أَحْسَنَ اللهُ الْخِلَافَةَ» على ماله الذي هو تركة بالقوّة، وهذا تسمية الشيء بما سيؤول إليه، كقوله تعالى: «إِنِّي أَراني

---

١ . كذا في المصادر، وفي خ: ليس لي أهل.

٢ . تاريخ أصبهان: ١/١٥٤، ح ١٢١؛ مجمع الزوائد: ١٠/٢٠٩؛ الإصابة: ٤/٣٠٢، ح ٥١١٨.

٣ . لم أقف على مصدره.

٤ . تقدّم في ص ٩٥ .

٣٣٩ ﴿أَعْصِرُ خَمْراً﴾[1]، و﴿إِنَّكَ مَيِّت﴾[2] وهو كقوله عليه السلام: «مَا نَقَصَ مَالٌ مِنْ صَدَقَةٍ»[3] يعني أنّ الله تعالى إذا تصدّق العبد بالواجب من ماله أنماه وزاد فيه وحفظه، فحسن الخلافة عبارة عن ذلك.

وفائدة الحديث الترغيب في الصدقة ووعد حسن الخلافة على المال المتصدّق منه. وراوي الحديث الزهريّ.

قوله صلى الله عليه وآله: مَا رَأَيْتُ مِثْلَ النَّارِ نَامَ هَارِبُهَا وَلا مِثْلَ الجَنَّةِ نَامَ طَالِبُهَا

هذا تعظيم أمر النار والجنّة، فيقول: ما رأيت مثل النار وهولها وعظم أمرها والعاقل يعلم أنّها توقد للمكلّفين الذين قصّروا فيما أوجب عليهم ثمّ يغفل عن أمرها ويستهين بشأنها عمل من لا يصدّق بها، وبالعكس من ذلك الجنّة مع ما فيها من الراحة والدعة والكرامة واللذّة ينام طالبها فيركن إلى الطمأنينة ويغفل عمّا يؤدّي إليها من الطاعات التي طريق إليها.

وفي حديث آخر: إنّ الملائكة يقفون على أهل المجلس من مجالس الدنيا فإذا لم يذكروا الجنّة والنار قالوا: قد تركوا العظيمتين.[4]

وذكر النوم كناية عن الغفلة، لأنّ النوم غفلة تلحق الحيّ فتسهيه عن أحواله ويغفله

---

١. يوسف: ٣٦.

٢. الزمر: ٣٠.

٣. المعجم الأوسط: ٣٧٤/٢، ح ٢٢٧٠؛ مسند الشهاب: ١١/٢، ح ٧٨٣؛ كنز العمّال: ١٦١/٦، ح ١٦١٣٥؛ وراجع: من لا يحضره الفقيه: ٣٨١/٤، ح ٥٨٢٧؛ النوادر للمؤلّف: ٨٤؛ بحار الأنوار: ١٣١/٩٣، ح ٦٢.

٤. راجع: حلية الأولياء: ٣٢٨/٢ و ٨٨/٥؛ التخويف من النار: ٣٣؛ وراجع: الجعفريّات: ٤٢؛ مستدرك الوسائل: ٦٥/٥، ح ٥٣٧٠؛ وراجع: الخصال: ٤٠، ح ٢٥.

عنها، فضرب النوم مثلاً للغفلة عن ذلك.

وفائدة الحديث إعظام أمر الجنّة والنار وإعلام أنّ الأكثرين عنها غافلون وبغيرها مشتغلون. وراوي الحديث أبو هريرة.

قوله ﷺ: مَا كَانَ الرِّفْقُ فِي شَيْءٍ قطّ إلّا زَانَهُ وَمَا كَانَ الْخُرْقُ فِي شَيْءٍ قطّ إلّا شَانَهُ

«الرفق» في الأمر: التثبّت فيه وحسن التأنّي له، وهو ضدّ العنف وقد رَفَق به يرفُق. وحكى أبو زيد سعد بن أوس الأنصاريّ: أرفقته أي رفقت به ويقال: ترفّقت فيه أيضاً.[١] و«قطّ» عبارة عن الزمان الماضي كما أنّ «أبداً» للاستقبال، وقد يقال: قُطُّ مثل مُدُّ وأصلها من القَطّ[٢] القطع. و«الخرق» ضدّ الرفق، وقد خرِق يخرَق خَرَقاً، والخُرْق الاسم منه، والأخرَق خلاف الرفق.

يقول ﷺ: ما دخل الرفق في أمر إلّا حسنه وزانه وشرّفه، ولا الخُرق والعجلة في شيء إلّا عابه وشانه وهجّنه وأهلكه.

وفائدة الحديث إطراء[٣] الرفق والتثبّت ومدحه، وذمّ الخرق والعجلة ومقته. وراوي الحديث أنس بن مالك.

قوله ﷺ: مَا اسْتَرْذَلَ اللهُ عَبْداً إلّا حَظَرَ عَنْهُ العِلمَ وَالأَدَبَ

الرذل: الدون الخسيس الرديء من كلّ شيء وهو مثل النذل، وقد رذُل رَذَالةً ورُذُولةً فهو

١. راجع: الصحاح: ١٤٨٢/٤.

٢. كذا في خ، والظاهر أنّها زائدة.

٣. أطرى فلاناً: أحسن الثناء عليه وبالغ في مدحه.

٣٤٠ رَذْل ورُذال أي رديء، وجمع الرذْل رُذُول *وأرذال ورُذَلاء، وأرذلت فلاناً ورذلته أيضاً فهو مرذول.

و«الحظر»: المنع والحجر، تقول: حظرت عليه؛ والاسترذال: عدّه رذلاء أي لم يعدّ الله عبداً رذلاً أو وجده رذلاً إلّا حظر عليه العلم والأدب.

وقوله عليه السلام تقديره حظر عليه زاوياً[1] عنه العلم، فاختصر وحذف وهو من فصيح الكلام. ويجوز أن يكون الحظر بمعنى الحبس والصدّ، فلذلك قال: «عنه».

و«الأدب»: أدب النفس، يقال: أدُبَ فهو أديب وأدّبته، وأدب الدرس[2] أيضاً يحتمل، ومعناه: حبس عنه التوفيق، وذلك أنّه علم تعالى أنّه لا ينفعه فتوفيقه وهو على هذه الحالة عبث جلّ الله عنه.

وفائدة الحديث: أنّ الله تعالى لا يوفق للعلم إلّا من استصلحه لذلك وكان أهلاً له، وكان استرذاله منعه ذلك وحرّمه عليه، وفيه تعظيم أمر العلماء وإعلام أنّهم المختصّون بالمزايا التي حرّمها غيرهم، وأنّه لا اعتبار بالدنيا وحطامها. وفائدة الحديث تعظيم أمر العلم والعلماء وتشريفهم على من سواهم، وأنّ الله تعالى لا يمكّن منه إلّا من أهله واستصلحه لذلك. وراوي الحديث أبو هريرة.

قوله صلى الله عليه وآله: مَا أَنْزَلَ اللهُ مِنْ دَاءٍ إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً

الشفاء: البرء من الداء، وقد شَفاه الله يشفيه شِفاءً فهو مصدر سمعيّ كما ترى، واستشفيت بكذا أي طلبت الشفاء، واستشفيت به وتشفّيت من غيظي وأشفاه الله عسلاً أي جعله يشفيه.

يقول صلى الله عليه وآله: كما أنّ الداء من الله تعالى فكذلك الشفاء منه، بخلاف ما يقوله الطبيعيّون من

---

١ . مانعاً.

٢ . عطف على «أدب النفس».

أنّ الداء من الأغذية والشفاء من الأدوية.

ولئن قيل: إنّ الله تعالى قد أجرى العادة بأنّه يستضرّ بعض الناس ببعض الأغذية وفي بعض الأحوال فلعمري أنّه لصحيح، ولكنّه من فعل الله تعالى وإن كان تناول تلك الطعام السبب في ذلك.

وسئل طبيب العرب الحارث بن كلدة عن إدخال الطعام على الطعام فقال: هو الذي أهلك البريّة وأهلك السباع في البريّة.[1]

فجعل إدخال الطعام على الطعام الذي لم ينضج في المعدة ولم ينزل منها داءً مهلكاً، وهذا على عادة أكثريّة أجراها الله تعالى وقد ينخرم بأصحاب المعدة الناريّة الملتهبة التي يهضم[2] ما ألقي فيها، وكلّه متعلّق بقدرة الله جلّت عظمته.

وروي في سبب هذا الحديث: «أنّ رَجُلاً جَرِحَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله فَقَالَ: ادْعُوا لَهُ الطَّبِيبَ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! وَهَلْ يُغْنِي الطَّبِيبُ مِنْ *شَيْءٍ؟ قَالَ عليه السلام: نَعَمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ مِنْ دَاءٍ إلّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً»[3].

٣٤١

وفائدة الحديث الحثّ على التداوي والتشفّي بالمعالجة ومراجعة الطبّ وأهل العلم بذلك والممارسة. وراوي الحديث هِلال بن يِساف.

قوله صلى الله عليه وآله: مَا زَانَ اللهُ عَبْداً بِزِينَةٍ أَفْضَلُ مِنْ عِفَافٍ فِي دِينِهِ وَفَرْجِهِ

العفّة: حالة توجب للإنسان غلبة الشهوة وقهرها، وكان أصلها من العُفافة والعُفّة وهي بقيّة اللبن في الضرع، فكأنّ العفيف قنع بذلك ومثله، ثمّ استعمل في كفّ النفس عمّا لا يحلّ،

---

١. راجع: البصائر والذخائر: ٤٩/٥؛ المستطرف: ٥٦٨/٢؛ وراجع: العقد الفريد: ٣٨٧/٦ـ٣٨٨.

٢. في البحار: تهضم.

٣. مصنّف ابن أبي شيبة: ٣١/٥، ح ٢٣٤١٤؛ مسند الشهاب: ١٧/٢، ح٧٩٦.

وقد عَفّ يعِفّ عَفّاً وعِفّةً وعِفافةً فهو عفٌّ وعفيف، والعفاف كأنّه اسم من العفّة، واستعفّ عن المسألة أي عفّ عنها، وتعفّف: تكلّف ذلك.

يقول صلى الله عليه وآله: ما تزيّن العبد بزينة بأزين من العفاف في الأمور الدينيّة وهو أن يتمسّك بأوامر الله تعالى ونواهيه فيفعل ما أمر الله تعالى به وينتهي عمّا نهاه الله تعالى عنه، وفي فرجه فلا يتجاوز المرخّص إلى المحظور عليه، وأمّا إضافة الزينة إلى الله تعالى فلأنّ الخالق والبارئ هو، والأشياء تردّ إلى الأصول، فهذا أدب نبوي؛ ثمّ هو تعالى المغرّز للغرائز والموفّق لأنواع التوفيق، ومن حيث نصب الأدلّة وأمر بالعفّة وحثّ عليها ووعد عليها الثواب الكثير وأوعد من تخطّأها، فكذلك أضيفت الزينة بها إليه ـ عزّ وعلا ـ.

وفائدة الحديث التنويه بذكر العفاف وظَلْف[1] النفس وكفّها عن المحارم وإقناعها بالقليل الحلال. وراوي الحديث محمّد بن عليّ الباقر عن آبائه عليهم السلام عن النبيّ صلى الله عليه وآله.

قوله صلى الله عليه وآله: مَا عَظُمَت نِعمَةُ اللهِ عَلَى عَبْدٍ إلاّ عَظُمَتْ مُؤونَةُ النّاسِ عَلَيهِ

المؤونة: ثقل الأمر يحتمله، ووزنه فعولة من «مأن» وقال الفرّاء: هي مفعلة من الأين وهو التعب وهي تهمز ولا تهمز، ومأنته أمأنه[2] مأناً: احتملت مؤونته، ومُنته أمُونه على ترك الهمز، وأظنّني ذكرته بأشرح من ذلك فيما سبق.[3]

يقول صلى الله عليه وآله: لا تعظم نعم الله على عبد في ماله أو جاهه أو نطقه أو قوته أو قيامه بالأمور إلّا لزمه احتمال أثقال عباد الله تعالى، وعليه الصبر لذلك ليكون قد قضى حقّ تلك النعم، ويلزمه شكر الله ـ عزّ وعلا ـ على أنّه أحوج غيره إليه ولم يُحوِجه إلى غيره؛ وفيه حثّ

---

١. منع.

٢. في الصحاح: أمْؤنه.

٣. راجع ج ١، ص ٣٥٦.

٣٤٢

لأصحاب النعم على المُؤن[١] التي تلزمهم في نعمهم التي أعطوها من القيام بمصالح الناس ومواساتهم بأموالهم والنهوض بأعبائهم[٢] *وإطعام المساكين وإيواء الإخوان وإعطاء الجيران إلى غير ذلك من أبواب الخير.

وفائدة الحديث الحثّ على تحمّل الأثقال شكراً لنعم الله تعالى. وراوي الحديث معاذ بن جبل.

قوله ﷺ: مَا سَتَرَ اللهُ عَلَى عَبْدٍ فِي الدُّنْيَا ذَنْباً فَيُعَيِّرُهُ بِهِ يَومَ القِيَامَةِ

يقول ﷺ: ستر الله القبائح على عباده في دار الدنيا دليلٌ قاطعٌ على أنّ الله تعالى يستتمّ النعمة عليهم ويستكمل الصنيعة لديهم، فلا يعيّرهم بها يوم القيامة، وذلك لسعة رحمته ووفور رأفته؛ وتقدير اللفظ: «فهو يعيّره» وإنّما لم ينتصب لأنّه ليس بجواب ولا جزاء للنفي بل هو عطف على جملة متقدّمة.

وفائدة الحديث إعلام أنّ الله تعالى إذا ستر على عبده العاجز في الدنيا ذنباً فلم يفضحه على رؤوس الخلائق ولم يَشهَره بذنبه كان ذلك منه دليلاً على أنّه لا يهتك ستره في ذلك المشهد المشهود واليوم الموعود. وراوي الحديث أبو موسى الأشعريّ.

قوله ﷺ: مَا أَكْرَمَ شَابٌّ شَيْخاً لِسِنِّهِ إلّا قَيَّضَ اللهُ لَهُ عِنْدِ سِنِّهِ مَنْ يُكْرِمُهُ

السنّ: واحد أسنان الفم، وقد يعبّر به عن العمر وذلك لتدرّجه على نسبة أحوال الأسنان، ولذلك قالوا: «لا آتيك سنّ الحِسْل»،[٣] [أي] أبداً وذلك لأنّ الحسل لا تسقط له

---

١. جمع المؤونة.

٢. بأهمالهم وأثقالاهم جمع العبء.

٣. مثل في التأبيد، لأنّ الضبّ لا تسقط له سنّ؛ راجع: أدب الكاتب: ١٢٨؛ مقاييس اللغة: ٥٧/٢؛ مجمع الأمثال: ٢٢٦/٢.

سنّ أبداً. والتقييض: الإباحة والمجيء بالشيء.

وهذا الكلام منه صلى الله عليه وآله حثّ على إكرام المشايخ وتعظيمهم وتبجيلهم وتفخيم أمرهم والتواضع لهم والتخفّف في حاجاتهم والتوقير لهم. فيقول صلى الله عليه وآله: لا يكرم شابّ شيخاً لمكان سنّه إلّا ويُتيح[1] الله تعالى عند طعنه في السنّ[2] وضعفه عن النهوض بالأعمال من يكفيه حرّ السعي وتوقيره[3] ويعظّمه جزاءً لما سلف منه؛ وهذا في الدار الدنيا، وأمّا في الدار الآخرة فالله تعالى أعلم ما الذي يبينه[4] ويعطيه على ذلك.

وهذا الكلام مقصور على مشايخ المسلمين دون غيرهم بدليل الحال. وقد روي عن النبيّ عليه السلام: «اقْتُلُوا شُيُوخَ المُشْرِكِينَ»[5]، فلو كان مجرّد الشيخوخة موجباً للإكرام لكان ذلك قائماً فيما عدا المسلمين.

وفائدة الحديث الأمر بإكرام المشايخ وتوقيرهم واحترامهم وتقديمهم واحتشامهم. وراوي الحديث أنس بن مالك.

٣٤٣ قوله صلى الله عليه وآله: مَا امتَلأتْ دَارٌ حَبْرَةً إلّا امتلأتْ عَبْرَةً وَمَا كَانَتْ فَرحة إلّا تبعتها *ترحةً

الحَبر والحُبور: السرور الذي يظهر تزيينه وتحسينه، والتحبير: التحسين، يقال: هذا شعر محبّر، وكان يقال لطفيل الغنويّ محبّر لحسن شعره،[6] أو الذي يظهر أثره على الحِبر، والحبر

---

١. هيّأ وقدّر.

٢. طعن في السنّ: صار شيخاً.

٣. كذا في خ، ولعلّ الصواب: ويتوقّره.

٤. كذا في خ.

٥. مسند أحمد: ١٢/٥، ح٢٠١٥٧؛ سنن أبي داود: ٥٤/٣، ح ٢٦٧٠؛ سنن الترمذي: ١٤٥/٤، ح١٥٨٣.

٦. راجع: أدب الكتاب: ١٠٣/٢؛ تهذيب اللغة: ٢٢/٥؛ مقاييس اللغة: ١٢٧/٢.

[و]السِبر: الجمال والبهاء. وقيل: اللون والهيأة وقد حبرته؛ وقال تعالى: «فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ»[١]، أي يسرّون وينعمون. والعَبرة: الدمع، وقال امرئ القيس:

وَإِنَّ شِفَائِي عَبْرَةٌ مُهَرَاقَةٌ فَهَلْ عِنْدَ رَسْمٍ دَارِسٍ مِنْ مُعَوَّلِ؟[٢]

يقال: عبِر الرجل يعبر عَبَراً فهو عابر والمرأة أيضاً عابر بلا هاءٍ، قال الحارث بن وعلة:

يَقُولُ لِي النَّهْدِيُّ هلْ أَنْتَ مُرْدِفِي وكَيفَ رِدافُ الفَرّ أُمُّكَ عابِرُ[٣]

وكأنّه سمّي عبرةً لعبوره الحدّ من قولك: عبرت النهر إذا تجاوزته؛ وعبرت عينه واستعبرت: دَمَعت؛ والفَرَح: البَطَر لعاجل لذّة، قال الله تعالى: «إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ»[٤]، وقد أفرحته أي سررته وفرحته كذلك، وفرِح فَرَحاً، و«الفَرحة» المرّة منه؛ والتَرَح: ضدّ الفرح، وقد تَرِح يترح تَرَحاً، وقد ترّحته ترحياً: أحزنته، و«الترحة»: المرّة منه كذلك.

يشير منه بذلك إلى تغيّر أحوال الدنيا وتبدّلها، وأنّ سرورها كظلّ زائل وضوء آفلٍ، وأنّه لا فرحة إلّا محبوسة على الترحة ولا خير إلّا معقّب بالشرّ ولا سرّاء إلّا على مدرجة الضرّاء، لأنّها دار زوال ومنزل انتقال؛ فعليك أيّها العاقل ألّا تغترّ بنعيمها ولا تبتئس بأسائها، فكلٌّ كأن لم يكن؛ ولذلك قيل: الزمان عثور[٥]، وهي تنادي على نفسها بلسان الحال، فتقول: لا أغرّنّكم كما غررت آبائكم وأسلافكم، فلقد استدرجتهم بالتسويف من الربيع إلى الخريف حتّى أحللتهم القبور غير مستعدّين لها ولا متأهّبين لضيقها، فبالله عليك أيّها الأخ وإيّاي أنصح قبلك أن تعتبر بهذه الرحا الطحون التي لا يتوقّع انتقالها ولا يرفع أثقالها.

---

١. الروم: ١٥.

٢. جمهرة أشعار العرب: ٧٩؛ كتاب سيبويه: ١٤٢/٢؛ خزانة الأدب: ٢١٢/٣؛ ديوانه: ١.

٣. المفضليّات: ١٦٦؛ جمهرة الأمثال: ١٧٥/١؛ ديوان المتنبي: ٨٣/٤؛ وراجع: الصحاح: ٧٣٣/٢.

٤. القصص: ٧٦.

٥. القائل هو الفضل بن ربيع؛ راجع: نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة: ٣٦٧/٢؛ زهر الآداب: ٤٤٦/١؛ وفيات الأعيان: ٣٨/٤.

وروي: أنّ المأمون لمّا احتضر تمثّل بقول الشاعر:

يــا دارَ كُــلِّ تَــشَتُّتٍ وَزَوَالِ فالآنَ يا دُنْيا، عَرَفْتُكِ فاذهَبي[١]

وروي أنّ ذلك الملك الجبّار عضد الدولة[٢] لمّا احتضر سمع يقرأ قوله تعالى: «ما أَغْنى عَنّي مالِيَهْ، هَلَكَ عَنّي سُلْطانِيَهْ»[٣]، وتنتسب إليه قطعة قافية معروفة أوّلها: «تمتّع من الدنيا فإنّك لا تبقى»؛[٤] والصحيح أنّها لغيره.

وروي أنّ بعض الخلفاء كانت العلّة قد اشتدّت به وانتهى أمره فاقترح أن يحمل إلى الشطّ تبرّماً بالعلّة عسى أن يتفرّج ساعةً فنظر إلى المدّادين يمدّدون المراكب من البصرة ❊إلى بغداد فتمنّى حالهم، وقال: يا ليتني كنت مدّاداً في البربند.[٥] [٣٤٤]

وفائدة الحديث إعلام أنّ كلّ نعيم في الدنيا زائل، وما من دار يحبر أهلها إلّا ويستسعرون[٦] عقيب الحبرة ولا يفرحون إلّا ويتعقّبون عنها الترحة. وراوي الحديث يحيى بن أبي كثير قال عليه السلام: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا امْتَلأَتْ»[٧] الحديث.

قوله صلى الله عليه وآله: مَا استَرعَى اللهُ عبداً رَعِيَّةً فَلَمْ يَحُطْهَا بِنَصيحَةٍ إلّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الجَنَّةَ

الرعيّة: العامّة ومن يلزم الراعي سياستهم وحفظهم، والاسترعاء: طلب الرعي، وحَطتُه

١. أنشده أبو العتاهية، راجع: ديوانه: ١٥١.

٢. المعتضد بالله أبو العبّاس أحمد بن الموفق بن المتوكّل.

٣. الحاقّة: ٢٨ ـ ٢٩.

٤. راجع: الكامل في التاريخ: ٤١١/٦؛ سير أعلام النبلاء: ٤٧٦/١٣ـ٤٧٧؛ تاريخ الإسلام: ٦٧/٢١.

٥. لم أقف عليه.

٦. كذا في خ، ولعلّ الصواب: ويستعرون.

٧. الزهد لابن المبارك: ٨٩/١، ح٢٦٣؛ مسند الشهاب: ٢١/٢، ح٨٠٣؛ كنز العمّال: ١٦٢/٣، ح٧١٤٥.

أحوطه حَوْطاً وحِياطةً أي كلأته وحفظته وراقبته، والنصيحة: الاسم من نصحته نصحاً ونصاحةً، ونصحت له أنصح، وهي لغة التنزيل.

يعظّم صلى الله عليه وآله أمر الرعيّة الذين اعتمادهم على الوالي فإن صلح صلحوا وفازوا وإن فسد فسدوا وهلكوا؛ فيقول عليه السلام: لا ينصب الله عبداً راعياً على رعيّةٍ فيهملها ويتركها سدىً وهملاً ولا يناصحها، فيختار لهم ما يختار لنفسه وينزّههم عمّا ينزّه عنه نفسه، إلّا حرّم الله عليه الجنّة ولم يجعل له فيها نصيباً وإنّ عرضها كعرض السماوات والأرض؛ وبالضدّ من ذلك إذا أحاطها وناصحها وتدبّر أمورها وجعل شغلهم على بال.

وفائدة الحديث تعظيم أمر مراعاة الرعيّة والمحافظة عليها وملاحظتها بعين الاحترام ومُكانفتها[1] بالنصح. وراوي الحديث عبد الرحمن بن سَمُرة.

قوله صلى الله عليه وآله: مَا مِن عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللهُ رَعِيَّةً يَمُوتُ يوم يَمُوتُ غَاشّاً لِرَعِيَّتِهِ إلّا حَرَّمَ اللهُ عَليهِ الْجَنَّةَ

هذا الحديث كالذي قبله ومضمونه تعظيم شأن الرعيّة وإيعاد الإمام الذي يغشّها ولا يماسحها ويخونها ولا يماسحها[2].

وفائدة الحديث التشديد على الأمراء في مراعاة رعاياهم وإغاثة ملهوفهم وإعانة مضعوفهم والإحسان إلى محسنهم والتجاوز عن مسيئهم ما لم يكن فيه تعطيل حدّ من حدود الله تعالى، ويندرج تحت ذلك الولاة والحكّام وكلّ من يتعلّق به أمر غيره حتّى الزوج والمولى، كما قال عليه السلام: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»[3]. وراوي الحديث معقل بن يسار، روى الحسن أنّ عبيد الله بن زياد ـ لعنه الله ـ عاد معقل بن يسار في مرضه الذي

---

١. معاونتها.

٢. في خ: ولا يماصحها؛ ماسح: لاينه في القول غشّاً.

٣. مسند أحمد: ٥/٢، ح ٤٤٩٥؛ صحيح البخاري: ٣٠٤/١، ح ٨٥٣.

قبض فيه فقال له معقل: «إِنِّي مُحَدِّثُكَ بِحَدِيثٍ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَوْ عَلِمْتُ أَنِّي حَيٌّ مَا حَدَّثْتُكَ، سَمِعْتُهُ يَقُولُ: مَا مِنْ عَبْدٍ ... »[١] الحديث.

٣٤٥ قوله ﷺ: مَا مِنْ رَجُلٍ مِنَ *المُسْلِمِينَ أَعْظَمُ أَجْراً مِنْ وَزِيرٍ صَالِحٍ مَعَ إِمَامٍ يُطِيعُهُ وَيَأْمُرُهُ بِذَاتِ اللهِ تَعَالَى

قوله عليه السلام: «بذات الله تعالى» ليس ممّا يقوله أهل الكلام، الذات والنفس والعين عبارة عن الشيء نفسه في شيء، وتلك كلمة اصطلحوا عليها تجوّزاً من غير أن يكون لها أصل في العربيّة وذلك لأنّ «ذو» في كلامهم على ضربين:

ضرب يتوصّل به إلى الوصف بأسماء الأجناس ويضاف إلى المظهر دون المضمر ولذلك خطأوا قول القائل: «إنّما يعرف ذا الفضل من الناس ذووه»[٢]، وهو يثنّى ويجمع وتقول في المؤنّث «ذات كذا» وفي التثنية «ذواتا» وفي الجمع «ذوات»؛

والضرب الآخر «ذو» بمعنى «الذي»، وهي لغة طائيّة ولا يوصف بها إلّا المعارف دون النكرات بل هي وصف محذوف، والتقدير: ويأمره بالإمرة ذات رضا الله تعالى وبالكلمة ذات إرادة الله تعالى، وهو من أحسن الحذوف لأنّ الحذف الأوّل هو حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه لقوله تعالى: «وَدانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلالُها»[٣]، أي وجنّةً دانيةً، والحذف الثاني حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه وكلاهما كثير متسائغ[٤]، وهذه الكلمة قد جاءت كثيرةً، قال الله تعالى: «وَأَصْلِحُوا ذاتَ بَيْنِكُمْ»[٥]، وفسّر بحقيقة وصلكم، وتحقيقها ما تقدّم

١. مسند ابن الجعد: ٤٥٨، ح ٣١٤٠؛ المعجم الكبير: ٢٠٧/٢٠، ح ٤٧٤؛ مسند الشهاب: ٢٢٢/٢، ح ٨٠٥.

٢. لباب الآداب للثعالبي: ١٧٣؛ طبقات الشافعيّة الكبرى: ٧٨/١٠.

٣. الإنسان: ١٤.

٤. كذا في خ، ولعلّ الصواب: شايع.

٥. الأنفال: ١.

والله أعلم بمراده؛ وهذا الموضع لا يحتمل أكثر من هذا وإلّا فالكلام في «ذو» و«ذات» طويل وعريض وكتب النحو أولى به ممّا نحن بصدده، وإنّما نشير إلى لمحة دالّة.

فيقول صلى الله عليه وآله: ما من رجل من أهل الإسلام أفضل وأكثر ثواباً من وزير صالح يرتّب أمر ذي سلطان عادل قد اعتمد عليه وجرّبه وتبرّك بهدايته فالسلطان يعتمد على استصوابه، وهو يتحرّي فيما يقدّمه إليه رضا الله تعالى. وإنّما قال عليه السلام ذلك لأنّ الإمام العادل يجري حكمه على عامّة المسلمين، فصلاحهم مربوط بصلاحه، وإذا كان له وزير يعتمد عليه وهو يراعي جانب الله تعالى فلا يحسن له قبيحاً ولا يقبّح له حسناً ولا يحقق باطلاً ولا يبطل حقّاً بل يتكلّم إعانةً للحقّ وقمعاً للباطل كان شريكه في كلّ خير يفعله، ولا يكاد يعلم قدر ثوابه إلّا الله تعالى، فكذلك حال الوزير الذي يظافره ويظاهره.

وفائدة الحديث إعلام عظم أجر الوزير الصالح إذا ناصح الإمام العادل وقدّم إلى رأيه الصلاح والفلاح. وراوية الحديث عائشة.

قوله صلى الله عليه وآله: مَا مِنْ مُؤمِنٍ إلّا وَلَهُ ذَنْبٌ يُصِيبُهُ الفَيْنَةُ بَعْدَ الفَيْنَةِ لا يُفارقُهُ حَتَّى يُفَارِق الدُّنيَا

٣٤٦

*الذنب: الجرم، وكأنّه من ذنبه إذا أصاب ذنبه فكأنّ للجرم ذنباً تسوق إصابته إلى مرتكبه الكراهة، ولذلك سمّي «تبعةً» لما يتبّعه من سوء العاقبة؛ و«الفينة» الساعة، وتجمع فينات، و«الفَيْنَةُ بَعْدَ الفَيْنَةِ» أي الحين بعد الحين.

قال الشاعر:

لَكَ البَيْتُ إلّا فينةً تحسنينها … إذا حانَ مِن ضيفٍ عَلى نزولِ[1]

ويقال: أرى فلاناً في الفينة وفي الفرط وفي الندْرة والنَدرى، وعن عُفر يقول: لقيته عن عُفر أي بعد خمسة عشر يوماً فصاعداً، ويعني بالعفر الليالي البيض.[2]

---

١ . راجع: ديوان الحماسة: ٢٥٨/٢؛ وفي المصدر: تحسينها.

٢ . الفائق في غريب الحديث: ٧/٣.

ومعنى الحديث: أنّ المؤمن لا يخلو من زلّة يرتكبها وخطيئة يخطو إليها الحين بعد الحين والساعة بعد الساعة، ويمتدّ له ذلك حتّى يفارق الدنيا، وذلك لأنّه فيما بين الخلق يعاملهم ويبايعهم ويشاريهم فيسمع ما يكره فيقول ما لا يرضى، وربّما ظُلم فيحتمل أو لا يحتمل، ولو تفرّد في لحف جبل أو سواء بادية لم يخل أيضاً من خطرات هي على الجملة أفعال وما كلّ خطرة مرضيّة، هؤلاء الأنبياء المؤيّدون بالعصمة وإن لم تقع منهم الذنوب فإنّهم ربّما يتركون الأولى فيعاتبهم الله تعالى عليه، ومع ذلك فإنّا نجوّز أن يكون في الدنيا من يعصمه الله تعالى فلا يواقع الذنب فيكون قوله عليه السلام: «ما من مؤمن» حكماً أكثريّاً.

وقد روي على هذا الوجه: «مَا مِنْ مُؤمنٍ إلّا وَلَهُ ذَنْبٌ قَدِ اعْتَادَهُ الْفَيْنَةَ بَعْدَ الْفَيْنَةِ ثمَّ يتوبُ»[١]، وهو مثل الحديث الآخر: «إنّ المؤمن خلق مفتّناً» أي ممتحناً يمتحن بالذنب ثمّ يتوب ثمّ يعود في الأحايين ثمّ يتوب.[٢]

وفائدة الحديث أنّ المؤمن يقع له في الأحايين الزلّات إلّا المعصومين الذين يعصمهم الله. وراوي الحديث ابن عبّاس، وفي آخره: «إنَّ الْمُؤْمِنَ خُلِقَ نَسَّاءً إِذَا ذُكِّرَ ذَكَرَ»[٣].

قوله صلى الله عليه وآله: مَا طَلَعَتْ شَمْسٌ قِطُّ إِلَّا وبِجَنَبَتَيهَا مَلكانِ يقولانِ: اللّهُمَّ عَجِّلْ لِمُنْفِقٍ خَلَفاً وعَجِّلْ لِمُمْسِكٍ تلفاً

«قطّ»: عبارة عن الزمان المقطوع وهو من لفظ القطع عوضاً، ويقال: قطّ بضمّ القاف وفي خلافه أبداً، لأنّه لا يتبعّض ولا ينقطع، تقول: رأيته زمان كذا ولا تقول: رأيته أبداً كذا،

---

١. راجع: الانتصار في الردّ على المعتزله: ٧٠٦/٣؛ وراجع: مسند عبد بن حميد: ٢٢٥، ح ٦٧٤؛ شعب الإيمان: ٤١٩/٥، ح ٧١٢٤؛ الفائق: ١٥٠/٣.

٢. راجع: الانتصار في الردّ على المعتزله: ٧٠٧/٣؛ النهاية في غريب الأثر: ٤١٠/٣؛ وراجع: المعجم الكبير: ٢٨٢/١٠، ح ١٠٦٦٦.

٣. مسند عبد بن حميد: ٢٢٥، ح ٦٧٤؛ المعجم الأوسط: ٨٩/٦، ح ٥٨٨٤؛ مسند الشهاب: ٢٤/٢، ح ٨٠٩.

ويجمع آباداً تقريباً ومبالغةً وإلّا فما لا ينتهى لا يثنّى ولا يجمع؛ و«جنبتا الشيء» ـ بفتح النون ـ: جانباه، يقال: سار بجنبتيه وجنابيه وجانبتيه[١]، ورأيت بعض المتأخّرين ينكر فتح النون في الجَنبة ويقول: هي ساكنة وذلك وهم منه، فإنّ السماع هي فتح النون في الكلمة ولا أعرف الجنبة إلّا القطعة ※من جنب جلد البعير والنبت الذي يخضر في آخر القَيْظ[٢] من غير ماء مطر، بلى يقال: جلس فلان جنبةً أي ناحيةً معتزلاً عن الناس، واللغة سماع، وليس بقياس. و«الخلف»: ما يقوم مقام الشيء فيخلفه، و«التلف»: الهلاك، وقد تلِف يتلَف وأتلفته. ٣٤٧

يقول صلى الله عليه وآله: ما طلعت شمس نهار إلّا وملكان بببدائها يدعوان للمنفق في سبيل الخير وعلى الممسك المتربّص البخيل.

وروى عبد الله بن ضمرة عن كعب قال: «مَا مِنْ صَبَاحٍ إلّا وَمَلَكَانِ يُنَادِيَانِ: يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ! هَلُمَّ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ! أَقْصِرْ، وَمَلَكَانِ يُنَادِيَانِ: [اللهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقاً خَلَفاً، وَأَعْطِ مُمْسِكاً تَلَفاً، وَمَلَكَانِ يُنَادِيَانِ]، يَقُولانِ: سُبْحَانَ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ، وَمَلَكَانِ مُوَكَّلانِ بِالصُّورِ، [يَنْتَظِرَانِ] مَتَى يُؤْمَرَانِ فَيَنْفُخَانِ»[٣].

وفائدة الحديث مدح السخاء وذمّ البخل وإعلام أنّ الملائكة تدعوا للسخيّ وعلى البخيل. وراوي الحديث أبو الدرداء رضي الله عنه.

قوله صلى الله عليه وآله: مَا ذِئْبَانِ ضَارِيَانِ فِي زَرِيبَةِ غَنَمٍ بِأَسْرَعَ فِيها مِنَ حُبِّ الشَّرَفِ وَالْمَالِ فِي دِينِ المَرءِ المُسْلِمِ

الضاري: المتعوّد للصيد الحريص المستمرّ عليه الماهر، يقال: ضَرِيَ الكلب للصيد ضَرَاوَةً، وكلب ضارٍ وكلبة ضارية؛ و«الزريبة» والزرْب: الحظيرة تأوي إليها الغنم.

---

١. في المصادر اللغويّة: وجنابتيه.

٢. الصيف.

٣. الزهد لابن المبارك: ٣٧٨/١، ح ١٠٧٠؛ الزهد لابن السري: ٣٣٩/١؛ تاريخ مدينة دمشق: ٨٠/٦٠.

وحكى ابن السكّيت: زِرب ـ بالكسر ـ عن بعضهم، وقد زرَبتُ للغنم أزرُب زَرْباً؛ والشرف: العلوّ والرفعة.

فيقول صلّى الله عليه وآله: ما ذئبان جشعان باتا في زريبة غنم يقتلان ما قتلا ويجرحان ما جرحا بأسرع إفساداً وإهلاكاً من حبّ الشرف والمال في دين الرجل المسلم، وذكر الزريبة لأنّها إذا كانت مجتمعة فيها كان الذئب عليها أقدر ولها أقهر؛ وإنّما قال عليه السلام ذلك لأنّه إذا علّق قلبه بالترفّع وطلب الرئاسة وكثرة المال لم يتفرّغ إلى عبادة الله تعالى، فتنهدم قواعد دينه ويتباعد من الله تعالى ويتعطّل عمّا خلق له، وذلك لأنّ الدين والدنيا على طرفي نقيض.

ولذلك شبّه أمير المؤمنين عليه السلام الدنيا والآخرة بالضرّتين، لأنّ في رضا هذه سخط تلك، فقال عليه السلام: «إنَّ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ عَدُوَّانِ مُتَفَاوِتَانِ وَسَبِيلَانِ مُخْتَلِفَانِ فَمَنْ أَحَبَّ الدُّنْيَا وَتَوَلَّاهَا أَبْغَضَ الْآخِرَةَ وَعَادَاهَا وَهُمَا بِمَنْزِلَةِ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَاشٍ بَيْنَهُمَا كُلَّمَا قَرُبَ مِنْ وَاحِدَةٍ بَعُدَ مِنَ الْآخَرِ وَهُمَا بَعْدُ ضَرَّتَانِ»[١]. وما أنفذه عليه السلام لها.

وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «مَنْ أَصْبَحَ وَأَمْسَى وَهَمُّهُ الدِّينَارُ وَالدِّرْهَمُ تَكَاثُراً؛ حُشِرَ يوم القيامة مَعَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَمَعَ الَّذِينَ قَالُوا: «مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ *وَنَحْيَا»»[٢]. ٣٤٨

وقال عليه السلام: «أيّها الساهر ليله الصائم نهاره الذائب جلده! لا تفرحنّ بما أنت فيه، فإنّ الله عزّ وجلّ لا يقبل عملاً بغير تقوى والتقوى أن تجتنب المحارم»[٣].

وقال يحيى بن معاذ: حبّ الرئاسة سيف إبليس في بني آدم، قطع به العبوديّة، ومن وضع تاج الرئاسة على رأسه فقد خذل مع المخذولين، وحبّ الرئاسة في الزياد يأكل عملهم وفي العبّاد يأكل عبادتهم، وحبّ الرئاسة غصن من أغصان الربوبيّة، من تعلّق بها هلك مع الهالكين، وحبّ الرئاسة في نفوس بني آدم إذا توقّد أحرق صفاء ضمائرهم، وحبّ الرئاسة

١ . نهج البلاغة: ٤٨٦، حكمة ١٠٣؛ بحار الأنوار: ١٢٩/٧٠، ح١٣٣.

٢ . الفردوس: ٣٢٧/٤، ح٦٩٤٩؛ تنزيه الشريعة: ٣١٥/٢، ح١٢٠؛ والآية في الجاثية: ٢٤.

٣ . لم أقف على مصدره.

يخرج الرجل من إخلاص العبادة.[١]

مكتوب في الحكمة: أربعة كَمَنَ في أربعة: السلامة في السكوت والعافية في ترك الرئاسة والشرف في التفرّد والمحبّة في ترك الفضول.

وفي كلام بعض الحكماء: «مَنْ طَلَبَ الرِّئَاسَةَ بِغَيْرِ حَقٍّ حُرِمَ الطَّاعَةَ [لَهُ] بِحَقٍّ»[٢].

وقيل: من طلب الرئاسة طلب الرؤساء رأسه.

وقال النبيّ عليه السلام: من أحبّ أن يقوم له الناس صفوفاً فليتبوّأ مقعده من النار.[٣]

وقال: «رئاسات الرجال بغير علم ولا تقوى إلّا له من الخساسة وكلّ رئاسة من غير علم أذلّ من الجلوس على الكناسة وأشرف منزل وأعزّ عزّ وخير رئاسة ترك الرئاسة»[٤].

وقال آخر:

إنّ التَشاغُلَ بالدَفاترِ والكِتابةِ والدِّراسةِ ... أصْلُ التَّعبّدِ والتَّزهّدِ والرِّئاسةِ والسِّياسةِ[٥]

وقال آخر:

هَلاكُ النَّاسِ مُذْ كَانُوا ... إلى أنْ تَأتِي السَّاعَةْ

بِحُبِّ الأمرِ وَالنَّهي ... وَتَركِ السَّمعِ وَالطَّاعَةْ[٦]

وفائدة الحديث الترغيب عن الدنيا والأمر باجتنابها والانخداع بغرورها والاعتماد على شرورها. وراوي الحديث أبو هريرة.

---

١. لم أقف عليه.

٢. راجع: تحف العقول: ٣٢١؛ بحار الأنوار: ٢٣٥/٧٥، ح٥٧.

٣. راجع: تفسير السمرقندي: ١٥٩/٣؛ غريب الحديث للخطابي: ٣٩٧/١؛ مصنّف ابن أبي شيبة: ٢٣٤/٥، ح٢٥٥٨٢؛ مسند أحمد: ١٠٠/٤، ح١٦٩٦٢؛ وراجع: مكارم الأخلاق للطبرسي: ٤٧١ أماليّ الطوسي: ٥٣٨؛ بحار الأنوار: ٩٠/٧٤، ح٣.

٤. م أقف عليه.

٥. تاريخ بغداد: ٣٢٤/٩؛ تاريخ مدينة دمشق: ٣٩٧/٢٣.

٦. أنشده المنتصر بن بلال، راجع: روضة العقلاء: ٢٧٣؛ محاضرات الأدباء: ٢١٩/١.

قوله صلى الله عليه وآله: مَا عُبِدَ اللهُ بِشَيءٍ أَفْضَل مِنْ فِقْهٍ فِي دِينٍ

الفقه أصله الفهم، وقد فقِه يفقَه صار في العرف اسماً لمعرفة الشرائع، وقد فقُه الرجل: صار فقيهاً، وأفقهه الله وتفقّه: تخصّص به، وفاقهته: باحثته في الفقه.

يقول صلى الله عليه وآله: ما عبد الله بـ[شيء] كالفقه الذي يفصل بين الحلال والحرام وبه تعرف الفرائض والأحكام، ولو لا الفقهاء لتعطّلت الأمور الدينيّة ولارتفع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأنّ في ذلك ما لا يهتدى إليه بالعقل. ولذلك قال عليه السلام: ولفقيه واحد أشدّ على الشيطان من ألف ورع،[1] وذلك لأنّ الورع تحتاج إلى الفقه والفقه في نفسه مستغن عنه، والورع إذا لم يكن *فقيهاً لم يعبأ بعبادته وورعه. ٣٤٩

وفائدة الحديث تعظيم أمر الفقه وحسن عنايته في الدين. وراوي الحديث أبو هريرة.

قوله صلى الله عليه وآله: مَا مِنْ شَيءٍ أُطِيعَ فِيهِ بأَعْجَلِ ثَواباً مِنْ صِلَةِ الرَّحِمِ وَمَا مِنْ عَمَلٍ يَعْصي اللهُ فِيهِ بِأعجَلِ عُقُوبَةً مِنْ بَغْي

البغي في اللغة: التعدّي والظلم وفي العرف: طلب تجاوز القصد، وقد يستعمل البغي بمعنى التكبّر.

يقول صلى الله عليه وآله: ما من طاعة أعجل ثواباً من صلة الرحم وذلك لما فيها من التعاطف والتراحم وإصلاح ذات البين؛ وقد وصّى عليه السلام بالرحم فقال: «بُلُّوا أَرْحَامَكُمْ وَلَوْ بِالسَّلامِ»[2].

وما من معصية أعجل عقوبةً من البغي والتعدّي والظلم، ولذلك قال تعالى: «وَمَنْ عاقَبَ

---

١ . عن أبي جعفر عليه السلام: «متفقّه في الدين أشدّ على الشيطان من عبادة ألف عابد» وعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «فقيه واحد أشدّ على الشيطان من ألف عابد»؛ راجع: بصائر الدرجات: ٢٧؛ بحار الأنوار: ٢١٣/١، ح ١٠؛ وراجع: سنن ابن ماجه: ٨١/١، ح ٢٢٢؛ المعجم الكبير: ٧٨/١١، ح ١١٠٩٩؛ كنز العمّال: ٦٧/١٠، ح ٢٨٧٩٣.

٢ . مسند الشهاب: ٣٧٩/١، ح ٦٥٣.

بِمِثْلِ ما عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللهُ»[1]، والذي اختصّ بنصرة الله لا بدّ أن يعجّل عقوبة الباغي عليه.

وقيل: «البغي مرتعه وخيم»[2].

وفائدة الحديث الأمر بصلة الرحم والترغيب فيها والنهي عن البغي والترغيب منه. وراوي الحديث أبو هريرة.

قوله صلى الله عليه وآله: مَا فَتَحَ رَجُلٌ عَلَى نَفْسِهِ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلَّا فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ

هذا توعّد لمن سأل الناس عن ظهر غنىً تكسّباً من غير احتياج وضرّ مدقع، فأمّا المضطرّ فلا بأس أن يسأل.

وقيل: من طلب القوت ما تعدّى.[3]

وإذا انتهى ضرّ الإنسان وجوعه فإنّه يحلّ له قدر ما يمسك رمقه من الميتة، فكذلك السؤال ينبغي أن يقدّم عليه الإنسان إذا عجز عن جميع الوجوه وكاد الجوع يتلفه فله حينئذٍ أن يسأل ما يسدّ جوعته؛ فأمّا الذي يلحّ ويلحف ويؤذي الناس وغرضه أن يركم بعضه على بعض تكبّراً فإنّ الله تعالى يسلّط عليه فقر النفس، فلا يشبع أبداً ويموت، ويتركه لمن يتمرّغ[4] فيه.

يقول صلى الله عليه وآله: من فتح على نفسه باب مسألة وانتجاع[5] من غير حاجة فإنّه يفتح على

---

١. الحجّ: ٦٠.

٢. راجع: العقد الفريد: ٨٤/٣ و١٣٥/٥؛ جمهرة الأمثال: ٢٨/٢؛ مقاييس اللغة: ٢٧٢/١.

٣. راجع: المستطرف: ٤١٣/٢؛ المقاصد الحسنة: ٤٣٢.

٤. تمرّغ الحيوان: رشّ اللعاب من فَيه.

٥. انتجع فلاناً: أتاه طالباً معروفه.

نفسه باب فقر؛ وهذا من أحسن الكلام وألطفه، ويتضمّن الأمر بالقناعة كما قال عليه السلام: «الْقَنَاعَةُ مَالٌ لَا يَنْفَدُ»[١]؛ وما دام باب رحمة الله تعالى مفتوحاً فليس للعبد أن يسأل غيره.

وقال:

اللهُ يَغضبُ إنْ تَرَكْتَ سُؤالَهُ ... وَبَني آدمُ حِينَ يُسْأَلُ يَغضبُ[٢]

وقال النبيّ صلى الله عليه وآله: «إذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ»[٣].

وقال الشاعر:

تُكَلِّفُنِي إذلالُ نفسِي لِعِزّها ... وَهَانَ عَليها أن أُهانَ لتكرما

تقول: سَلِ المعروفَ يحيى بن أكثم ... فقُلتُ: سَليهِ ربّ يحيى بن أكثما[٤]

وفائدة الحديث التحذير عن السؤال وإراقة ماء الوجه لِتَافِهٍ[٥] يسير يناله السائل من المسؤول، وإعلام أنّه [٣٥٠] إذا شرع فيه حبس الله عنه التوفيق فتفتقر نفسه ويظنّ أنّه سيموت ضرّاً وجوعاً. وراوي الحديث ابن عبّاس، وفي آخر الحديث: «فاستغنوا»[٦].

قوله صلى الله عليه وآله: مَا يَنْتَظِرُ أَحَدُكُمْ مِنَ الدّنيَا إلّا غِنىً مُطْغِياً أَوْ فَقْراً مُنْسِيّاً أَوْ مَرَضاً مُفْسِداً أَوْ هَرَماً مُفَنّداً أَوْ مَوْتاً مُجْهِزاً

الطغيان: تجاوز الحدّ في الشرّ، يقال: طغيتُ طُغياناً وطَغَوْت طغواناً تُطغي وتَطغو، وأطغاه

---

١ . نهج البلاغة: ٤٧٨، حكمة٥٧؛ بحار الأنوار: ٣٤٥/٦٨؛ وراجع: مسند الشهاب: ٧٢/١، ح٦٣.

٢ . العزلة: ٦٧؛ تفسير الثعلبي: ١٠٠/١؛ مرقاة المصابيح: ١٢٣/٥.

٣ . من لا يحضره الفقيه: ٤١٣/٤، ح٥٩٠٠؛ وراجع: مسند عبد بن حميد: ٢١٤، ح٦٣٦؛ سنن الترمذي: ٦٦٧/٤، ح٢٥١٦؛ كنز العمّال: ٨١/١، ح٦٣٠.

٤ . أنشده عبد الصمد بن المعذل؛ المجالسة وجواهر العلم: ٢٢٨، ح١٣١٩؛ لباب الآداب: ١٨٤؛ زهر الآداب: ٦٥/٢؛ ديوانه: ١٢٩.

٥ . حقير يسير.

٦ . مسند الشهاب: ٢٨/٢، ح٨١٦.

المال حمله على الطغيان، وقال الله تعالى: «اذْهَبا إلى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغى» [١]، وقال تعالى: «إِنَّا لَمَّا طَغَى الْماءُ حَمَلْناكُمْ فِي الْجارِيَةِ» [٢]، أي هاجت أمواجه، وطغى الدم: تبيّغ، وكلّ متجاوز للحدّ طاغ. و«الفَنَد»: ضعف الرأي من الهرم، وقد أفند الرجل: إذا أُهتِرَ وكثر كلامه، وأفنده الكبر، يقال: هتر الرجل فهو مهترٌ: إذا سقط في كلامه الكثير، ولا يقال: عجوز مفندة لأنّها لم يكن لها في الشباب أيضاً رأي فضعف في الشيخوخة، والتنفيد: نسبة الرأي إلى الضعف. والمجهز: السريع، يقال: أجهزت على الجريح إذا أقبلته.

أشار صلى الله عليه وآله إلى تنغيص الدنيا وخسّتها وتغيّرها وانقلابها بأهلها، فيقول صلى الله عليه وآله: أيّها الراغب في الدنيا وحياتها! ما تنتظر منها!؟ وهل هي إلّا غنىً يتأدّي بك إلى الطغيان والعصيان وسخط الرحمن!؟ قال الله تعالى: «إِنَّ الْإِنْسانَ لَيَطْغى أَنْ رَآهُ اسْتَغْنى» [٣]؛ أو فقراً ينسيك جميع لذّاتها وشهواتها ويلهيك عن العبادة المفروضة عليك وتهجم بك على التروك الواجبة!؟ كما قال عليه السلام: «كَادَ الْفَقْرُ أَنْ يَكُونَ كُفْراً» [٤]؛ أو هرماً يحملك على كثرة الهذيان والمحال إن لم يحتضر؟! وأمهلك الزمان فيصير ما كنت ترغب فيه داءً دويّاً، ولذلك قال عليه السلام: «كَفَى بِالسَّلَامَةِ دَاءً» [٥]؛ أو موتاً يجهز عليك فيسرع إليك ويزعجك من القصر إلى القبر وينغص عليك المسرّات ويفنيك الشهوات، كما قال عليه السلام: «أَكْثِرُوا [مِنْ] ذِكْرِ هَادِمِ اللَّذَّاتِ» [٦]؛ وهذا كلّه ترغيب عن الدار الفانية إلى الدار الباقية وتقبيح صورتها.

وفائدة الحديث إعلام عاقبة الدنيا وأمورها، وتمام الحديث: «أَوِ الدَّجَّالَ، وَالدَّجَّالُ شَرُّ

---

١. طه: ٤٣.

٢. الحاقّة: ١١.

٣. العلق: ٦ ـ ٧.

٤. الكافي: ٣٠٧/٢، ح ٤؛ أماليّ الصدوق: ٣٧١، ح ٤٦٥.

٥. مسند الشهاب: ٣٠٢/٢، ح ١٤٠٩؛ كنز العمّال: ٣٠٨/٣، ح ٦٦٩٢.

٦. عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٧٥/٢، ح ٣٢٥؛ بحار الأنوار: ١٣٢/٦، ح ٢٨؛ وراجع: مسند البزار: ٣٥٢/١٣، ح ٦٩٨٧؛ المستدرك: ٣٥٧/٤، ح ٧٩٠٩.

غَائِبٍ [يُنْتَظَرُ]، أَوِ السَّاعَةَ، وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ»[1]. وراوي الحديث أبو هريرة.

قوله ﷺ: مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ وَصَبٌ وَلا نَصَبٌ وَلا سَقَمٌ وَلا أذى وَلا حَزَنٌ حَتَّى الْهَمُّ يُهِمُّهُ إِلَّا كَفَّرَ اللهُ بِهِ خَطَايَاهُ

الوصب: المرض الازم، وقد وصِب الرجل يوصَب فهو وَصِبٌ، وقد أوصبه[2] الله، والموصّب: الكثير ٣٥١ *الأوجاع، ووصَب الشيء: إذا دام ـ بالفتح ـ يصِب وُصُوباً، وهذا برق واصب، وقال تعالى: «وَلَهُمْ عَذابٌ واصِبٌ»[3]. والنَصَب: التعب، وكذلك النَصْب، كقولك: البَخْل والبَخَل، وقد نصِب ينصَب نَصَباً، وأنصبه غيره. والسُقم: مرض البدن خاصّةً، وقد سقِم يسقَم سَقَماً فهو سقيم، والسُقم الاسم والسَقَم أيضاً مثل حُزن وحَزَن، وكذلك السَقَام. والأذى: الضرر يصيب الإنسان في نفسه أو ماله، وقد أذاه غيره وتأذّى بذلك. والحزن: خشونة النفس لما تتلقّاه من الغمّ، وكذلك الحُزْن، ويقال: حَزَن يحزُن، وحزنته وأحزنته، والأولى لغة قريش والثانية لغة تميم. والهمّ: الحزن الذي يذيب الإنسان، يقول: هممت الشحم إذا أذبته، وأهمّه الشيء: أقلقه وحزنه، والمهمّ: الأمر الشديد.

يقول ﷺ: ما يصيب الإنسان شيء ممّا ذكره عليه السلام إلّا صار كفّارةً لذنوبه وخطاياه، ويعوّضه عنه أعواضاً تُرضيه .

وقال عليه السلام: «حُمَّى يَوْمٍ كَفَّارَةُ سَنَةٍ»[4].

---

١ . كذا في المصادر، وفي خ: «أدهى داءٍ مرّ» ؛ راجع: الزهد لابن المبارك: ٣/١، ح٧؛ سنن الترمذي: ٥٥٢/٤، ح٢٣٠٦؛ مسند الشهاب: ٣١/٢، ح٨٢٣.

٢ . كذا في المصادر اللغويّة، وفي خ: وصبه.

٣ . الصافّات: ٩.

٤ . الدعوات للراوندي: ١٧٠، ح٤٧٦؛ دعائم الإسلام: ٢١٧/١؛ بحار الأنوار: ٢٠٩/٧٨، ح٢٥؛ وراجع: قوت القلوب: ٣٩/٢؛ الفوائد لتمام الرازي: ١٢١/٢، ح١٣١٥.

وفي الحديث: ما من مؤمن يمرض مرضةً إلّا تحاتت ذنوبه كما يتحاتّ الورق من الشجر.[١] أو كما قال عليه السلام.

وهذا إذا صبر العبد ورضى ولم يجزع وعلم أنّ الذي اختاره الله تعالى له خير ممّا يختاره لنفسه، وإنّما يكون له الأعواض من الله تعالى والتكفير إذا كانت هذه الأشياء من قبل الله تعالى، فأمّا إذا كانت من قبل غيره فهو يستوفي ـ عزّ وعلا ـ من المؤلم العوض لمكان تمكينه منه.

وفائدة الحديث إعلام أنّ الله تعالى كريم إذا أمرض العبد أو نزل به أذىً يسلبه صحّته اقتضى كرمه أن يعفو عنه ويكفّر به خطاياه ويعوّضه ما يرضاه. وراوي الحديث أبو سعيد الخدريّ.

قوله صلّى الله عليه وآله: مَا يَزَالُ الْمَسْأَلَةُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَلْقَ اللهَ وَمَا فِي وَجْهِهِ مُزْعَةٌ

المزعة: القطعة من اللحم الصغيرة، وقد تمزّع فلان من الغيظ كأنّه تقطّع وتميّز، ومزّعت المرأة قطنها: إذا زبّدته تقطعها بيديها ثمّ تؤلّفها.

ومعنى الحديث: أنّ العبد لا يزال يسأل الناس ويؤذيهم ويُلحّ عليهم ويتعرّض لهم حتّى يعرق السؤال لحم وجهه ويريق ماؤه ويتجهّمه[٢] الناس حتّى يلق الله تعالى ولا وجه له عنده، لأنّه قد تفانى بسؤال الناس؛ وذكر «المزعة» مثل، كأنّه قال عليه السلام: حتّى يبق ولا وجه له عنده، لأنّ السؤال قد عرق وجهه.

وقال ابن قتيبة: المزعة: الشقّة من اللحم، والجزعة: القطعة من الشحم، ❊يقول العرب: ما ٣٥٢

١ . في المصادر: «إذا رجف قلب المؤمن في سبيل الله تحات خطاياه كما تتحات عذق النخلة»؛ راجع: الجهاد لابن المبارك: ٤٦، ح٣٥؛ المعجم الكبير: ٢٣٥/٦، ح٦٠٨٦؛ كنز العمّال: ١٢٠/٤، ح١٠٤٨٥.

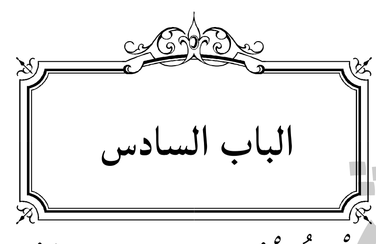
٢ . استقبله بوجه كريه.

له جزعة ولا مزعة.[١]

ومعنى الحديث أنّه يأتي ذليلاً ساقط القدر لا وجه له عند الله تعالى. وهذا في الرجل يسأل من غير حاجة وإنّما يقصد الاستكثار، فأمّا من سأل عن حاجة نالته فالمسألة مباحة له إلّا أن يستغني.

وفائدة الحديث النهي عن السؤال لمن لا ضرورة به حافزة إليه. وراوي الحديث عبد الله بن عمر.

١. راجع: المحيط في اللغة: ٣٩٥/١؛ غريب الحديث للخطابي: ١٤١/١؛ الفائق: ٣٦٣/٣.



الباب السادس

قوله صلى الله عليه وآله: لا يُلْدَغُ المُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ

يعني أنّ المؤمن فطن عرّاف كيّس حازم ينظر بنور الله تعالى، فلا يغفل في الأكثر، إذا أتي بالشرّ من جهة احترز منها ولم يؤت منها ثانياً.

وروى محمّد بن إسحاق في سبب هذا الحديث أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله أسرا بأعزّة الشاعر يوم بدر فقال: يا رسول الله! تصدّق بي على عيالي واعف عنّي عفا الله عنك، فقال صلى الله عليه وآله: على أن لا تعين عليّ بقول ولا فعل، فعاهده على ذلك وحكى عنه فلمّا كان في السنة القابلة أتاه أبو سفيان بن حرب فأخرجه وجعل أبو عزّة يحرّض قريشاً ويقول:

يَا بَني عَبد مناف الكِرامْ	أنتم حماةٌ وأبوكم حامْ
[لا تَعِدُوني نَصرَكمْ بعدَ العامْ]	لا تُسلِمُوني لا يحلُّ إسلامْ[1]

وهذا كلام مسجّع وليس بشعر، فأخذه النبيّ صلى الله عليه وآله ثانياً فقال له: ألم تعاهدني على أن لا تعين عليّ بقول ولا فعل؟ فقال: غلبت يا رسول الله! فتصدّق بي على عيالي واعف عنّي عفا الله عنك، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: إنّ العفو مكرمة لا يعدلها مكرمة، ولكن لا يلدغ المؤمن من جحر

---

١. راجع: المغازي: ١٨٧/١؛ السيرة النبويّة لابن هشام: ٦/٤؛ في المصادر بدل الكرام: الرُزّام، وفي خ بدل إسلام: إسلامي.

مرّتين، لا والله! لا تجلس بمكّة فتسمح لحيتك وتقول: خدعت محمّداً مرّتين، يا عليّ! قم فاضرب عنقه فقام عليّ عليه السلام فضرب عنقه.[١]

وروي أنّه قال في آخر كلامه: فمن للصبيّة؟ فقال عليه السلام: النار.[٢] وذكر أنّه لم يسمع منه كلمة في خشونة هذه. ثمّ ذكر أنّ ولد أبي عزّة لم يسلم أحد منهم وماتوا كافرين وكانت النار لهم كما قال النبيّ صلى الله عليه وآله.

وفائدة الحديث الوصيّة بالتيقّظ والتحرّز والاستدلال بالثاني على الأوّل. وراوي الحديث ابن عمر.

قوله صلى الله عليه وآله: لا يَشْكُرُ اللهَ مَنْ لا يَشْكُرُ النَّاسَ

هذا الكلام مبنيّ على وجوب شكر النعمة سواء كانت من الله تعالى أو من الناس، فمن يغمط نعمة *الآدميّ يوشك أن يكفر نعمة الله تعالى. ٣٥٣

وفي كلام لعمر بن بحر الجاحظ: إنّ هذا المعنى موجود في الفطرة قائم في العقل، وذلك أنّ من كفر نعمة الخلق كان لنعم الله أكفر، لأنّ الخلق ينعم بعضهم على بعض بالكلفة والمشقّة ومجاهدة النفس والله تعالى يعطي بلا كلفة، فلهذه العلّة جمع بين الشكر له والشكر لذوي النعم من الخلق؛ ووجه آخر وهو أنّ شكر النعمة متعارف من الحيوانات فضلاً عن العقلاء، حتّى أنّ السباع لتبصبص[٣] لمطعمها وخاصّةً الكلاب بذلك القدر من الإلهام الذي جعله الله لها، ونعمة ابن آدم ظاهرة بين المنعم والمنعم عليه، ونعم الله تعالى يعرف بالفكر والدليل، فإذا قعد عن نعمة الآدميّ الظاهرة كان أقعد عن النعم المستدلّ عليها المستخرج وجهها بالفكر والنظر.

---

١. سيرة ابن إسحاق: ٣/٣٠١ـ٣٠٢، ح٥٠٣؛ المغازي للواقدي: ١/١٨٦ـ١٨٧؛ المنتظم: ٣/١٧٣ـ١٧٤؛ وراجع: الخرائج والجرائح: ١/١٤٩، ح٢٣٩.

٢. مصنّف عبد الرزّاق: ٥/٢٠٥، ح٩٣٩٠ و٥/٣٥٦، ح٩٧٣١؛ السيرة النبويّة: ٣/١٩٤.

٣. حرّك ذنبه.

وفائدة الحديث إيجاب شكر النعمة الصادرة من الآدميّين وإعلام أنّ من يتقاعد عن شكرهم يتقاعد عن شكر الله تعالى. وراوي الحديث أبو هريرة والأشعث بن قيس.

قوله صلى الله عليه وآله: لا يَرُدُّ الْقَضَاءَ إلَّا الدُّعَاءُ وَلا يَزِيدُ فِي الْعُمُرِ إلَّا الْبِرُّ

البرّ هاهنا: الطاعة وأعمال الخير والإحسان.

يقول صلى الله عليه وآله: الدعاء يردّ القضاء النازل، والبرّ يزيد في العمر.

وروي: إنَّ الْبَلاءَ وَالدُّعَاءَ يَتَعالجانِ ما بَيْنَ السَّماءِ وَالأَرْضِ إلَى يَوْمِ الْقِيامَةِ.[1]

ووجه ذلك: أنّ الله تعالى يقضي على بعض العباد قضاء سوء مرضاً أو موتاً أو غير ذلك، ويقضي أيضاً أنّه إن دعا الله تعالى واستدفع بدعائه منعه ذلك، فهو ينساق من قضاء إلى قضاء؛ وكذلك حديث زيادة العمر، يكون الله تعالى قد كتب لبعض عباده عمراً، وقد سبق أيضاً في سابق علمه أنّه إن تصدّق أو فعل بعض الطاعات زاد في عمره؛ وأصل هذا أنّ علم الله تعالى لا يجعل الشيء على وجه، بل يعلمه كما هو، فكأنّ الله تعالى يعلم أنّه إن لم يتصدّق توفّاه وإن تصدّق وفّاه، وكلاهما علم الله تعالى وقد تقدّم مشروحاً.

وفائدة الحديث الحثّ على الدعاء واستدفاع البلاء، وعلى البرّ زيادةً لطلب العمر، فإنّ ذلك كلّه بيد الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد. وراوي الحديث ثَوْبان مولى رسول الله صلى الله عليه وآله.

قوله صلى الله عليه وآله: لا حَلِيمَ إلَّا ذُو عَثْرَةٍ[2] وَلا حَكِيمَ إلَّا ذُو تَجْرِبَةٍ

يقول صلى الله عليه وآله: ما من حليم إلّا وتحين *له عثرة، وذلك لضعف الآدميّ وسخافة قواه وتغيّره ٣٥٤

---

١ . مسند البزار: ٤٠٠/١٤، ح ٨١٤٩؛ مجموع الفتاوى: ١٩١/٢٥؛ مجمع الزوائد: ٢٠٩/٧؛ وراجع: المعجم الأوسط: ٦٦/٣، ح ٢٤٩٨؛ غريب الحديث للخطابي: ١٤٥/٢؛ مسند الشهاب: ٤٨/٢، ح ٨٥٩.

٢ . كذا في الشرح، وفي خ: عشرة.

وهي نحيزته[١] ووهن جبلّته؛ فيقول: إنّ الآدميّ وإن كان حليماً قد أدّب نفسه بأدب الله تعالى فبَرع واستمع إلى أوامره فسمع، فإنّ نفسه الأمّارة ربّما تنزع به إلى الطبيعة البشريّة فتعثر وإن كانت تفيء بعد ذلك، وذلك لأنّ النفس نوّاقة إلى ضدّ الحكم متعاضية جزاء السفيه بمثل سفهه، فإذا تركت ذلك فبالجهد والجدّ ومكابدة الطاعة، والمطبوع أقرب إلى الكون من المكدود والمجهود، ويكون من باب قولهم: «لكلِّ جَوادٍ كَبْوَةٌ ولكُلِّ صارِمٍ نَبْوَةٌ»[٢].

ويجوز أن تكون «العثرة» المرّة الواحدة من العثور الذي هو الاطّلاع والعلم، فيكون المعنى: لا حليم إلّا ذو اطّلاع.

وقد ذكر أبو سليمان الخطّابيّ فيه وجهاً أنا ذاكره بلفظه، قال: إنّ الحليم لا يوصف بالحلم حتّى يركب الأمور فيجرّبها فيعثر مرّةً بعد أخرى ويستبين[٣] مواضع الخطأ فيجتنبها، وهكذا لا حكيم إلّا ذو تجربة.

قال: والعامّة تذهب إلى أنّ الحليم لا يسلم من أن توجد منه عثرة، ولا يجوز أن يوصف الحكيم بكثرة العثرات والزقات[٤] والتهافت [في] الزلّات[٥] لأنّه بالسخف أولى وإلى السفه أقرب.[٦] انتهى كلامه.

وهذا الذي قاله الخطّابيّ وجهٌ إلّا أنّه كان يتمشّى له على الإطلاق، ولو قال عليه السلام: لا حليم إلّا ذو عثرات فلمّا قلّل منه العثار، وذكر العثرة التي هي دليل على المرّة الواحدة فكان أدلّ على الوجه الذي قدّمناه، ولو حملناه على الجنس لكان يؤدّي ما قال، والخطّابيّ كبير.

---

١. طبيعته.

٢. راجع: جمهرة اللغة: ٩٧٣/٢؛ العقد الفريد: ٢٥/٣؛ مجمع الأمثال: ١٨٧/٢.

٣. في خ: ويستنير.

٤. في خ: الزقات.

٥. في خ: والزلّات.

٦. غريب الحديث للخطابي: ٦١٨/١.

وقوله عليه السلام: «وَلَا حَكِيمَ إِلَّا ذُو تَجرِبَةٍ»، يعني أنّ الحكيم لا يزال له تجارب فيما يقدّم عليه، فلا يقتحم الأمر بغتةً من غير فكر من عواقبه ونظر في مَغَبَّته.

وفائدة الحديث إعلام أنّ الحكيم قد يعثر ولا تخلو من ذلك، أو يكون مطّلعاً على الأمور، أو يكون قد تأدّب وجرّب، والحكيم لا يخلو من التجربة في أمره. وراوي الحديث أبو سعيد الخدريّ.

قوله صلى الله عليه وآله: لا فَقْرَ أَشَدُّ مِنَ الْجَهْلِ وَلا مَالَ أَعْوَدُ مِنَ الْعَقْلِ وَلا وَحْدَةَ أَوْحَشُ مِنَ الْعُجْبِ وَلا مُظَاهَرَةَ أَوْثَقُ مِنَ الْمُشَاوَرَةِ وَلا عَقْلَ كَالتَّدْبِيرِ وَلا حَسَبَ كَحُسْنِ الْخُلُقِ وَلا وَرَعَ كَالْكَفِّ عَنْ مَحَارِمِ اللهِ وَلا عِبَادَةَ كَالتَّفَكُّرِ وَلا إِيمَانَ كَالْحَيَاءِ وَالصَّبْرُ

محصول هذه الكلمات ترجع إلى أنّ الجهل فقر، والعقل غنى، والعجب وحدة، والمشاورة مظاهرة، والتدبير عقل، وحسن الخلق حسب، والكفّ ورع، والتفكّر *عبادة، والحياء والصبر إيمان؛ وإنّما صار الجهل أشدّ الفقر، لأنّ الفقر فقدان المال والجهل فقدان العلم الذي هو نور القلوب في شفاء الصدور، فمن فقده فهو في أشدّ الفقر، وصار العقل أعود من المال، لأنّ المال غادٍ ورائح[1]، فيصبح الإنسان فقيراً ويمسي غنيّاً وبالعكس، وليس العقل كذلك فإنّه الصاحب المأمون والمال الذي لا يغصب. ثمّ إنّ المال يكتسب بالعقل ولا يكتسب العقل بالمال، وجعل عليه السلام العقل مالاً لأنّه سببه الذي يحصل به؛ والعقل هو الفارق بين الإنسان والبهيمة، وبه يكتسب النعيم الأبديّ والخير السرمديّ، وبه يتغلّب على الحيوانات كلّها.

وصار العجب وحدةً، لأنّه يجرّ تنافر الناس عن صاحبه، فيبقى وحيداً تشريداً غريباً حزيناً، لا يألف ولا يؤلف، ولا يأنس بأحد ولا يؤنس به؛ و«العجب» الاسم من أعجب بنفسه إذا أعجبته نفسه وراقبه إعجاباً، وليس في الدنيا أضرّ من النظر إلى النفس؛

٣٥٥

١. الرائح: المطر أو السحاب الذي يجيء رواحاً أي عند العشيّ.

وهذا كلام لبعض المذكّرين: إنّ إبليس نظر إلى نفسه فقال: أنا خير منه، فلعنه، وفرعون نظر إلى ملكه فقال: أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي، فغرقه فيها، وقارون نظر إلى ماله وقال: إنّما أوتيته على علم عندي، فأهلكه مع ماله، قال تعالى: «فَخَسَفْنا بِهِ وَبِدارِهِ الْأَرْضَ»[١]، والملائكة نظروا إلى تسبيحهم وتقديسهم فقالوا: ونحن نسبّح بحمدك ونقدّس لك فابتلاهم بالسجدة، وكذلك موسى عليه السلام قال: «إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلّا نَفْسي وَأَخي»[٢]، فابتلاه بأن تاه في الأرض أربعين سنةً، أي إن كنت تملك نفسك فأخرجها من التيْهِ، وهذا كلّه تكبير.

وقيل لبزرجمهر: أي مركب أكثر عثاراً؟ قال: العجب، لأنّ صاحبه لا يملك زماماً ولا يحذو إماماً ولا يبصر إماماً[٣].

وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام: قل للعالم: لا يعجبك علمك فإن أعجبك فقل: إلى متى أجلك؟ وقل للقويّ: لا يعجبك قوّتك، فإن أعجبتك فامنع ملك الموت إذا جاءك، وقل للغنيّ: لا يعجبك غناك فإنّ أهل الدنيا يردون فرادى.[٤]

وقال مطرّف بن عبد الله: «لأنْ أَبِيتَ نَائِماً وَأُصْبِحَ نَادِماً، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَبِيتَ قَائِماً، وَأُصْبِحَ مُعْجَباً»[٥].

وقال الحسن: «لَوْ كَانَ كَلامُ ابْنِ آدَمَ كُلُّهُ صِدْقاً وَعَمَلُهُ حَسَناً لكانَ يُجَنَّ، قيلَ: وَكَيْفَ يُجَنُّ؟ قَالَ: يُعْجَبُ بِنَفْسِهِ»[٦].

وقال الفضيل: إن قدرتَ أن لا تكون محدّثاً ولا قارئاً فافعل فهو أسلم، لأنّك إن قالوا: ما

---

١. القصص: ٨١.

٢. المائدة: ٢٥.

٣. لم أقف على مصدره.

٤. لم أقف على مصدره.

٥. الزهد لابن حنبل: ٢٤١؛ المجالسة وجواهر العلم: ٣٦٨، ح ٢١٦١؛ حلية الأولياء: ٢/ ٢٠٠؛ الزواجر: ١/ ١٣٧.

٦. شعب الإيمان: ٥/ ٤٥٤، ح ٧٢٥٧؛ الفقيه والمتفقّه: ٢/ ٥٨.

٣٥٦

أحفظك وأبلغك وأحسن صوتك، أهلكك العجب؛ *وإن قالوا: لست بحافظ ولا بليغ ولا حسن الصوت شقّ عليك.[١]

وقال يحيى بن معاذ: ذنب افتقر به خير من طاعة افتخر بها.[٢]

وقال عليه السلام: ربّ حسنة تعملها الرجل لا يكون له سبب أضرّ عليه منها، وربّ سيّئة يعملها الرجل لا يكون له حسنة أنفع منها. قيل: لأنّ الحسنة مذمومة والسيّئة محمودة ولكنّ ما دام العبد في الحسنة مع رؤية الحسنة فهو في ميدان الدلال والافتخار، وما دام العبد في السيّئة مع رؤية السيّئة فهو في ميدان الإنكار والافتقار، والافتقار أولى به من الافتخار.[٣] انتهى كلامه.

وصارت المشاورة أوثق المظاهرات، لأنّ العقول السليمة من الأهواء إذا اجتمعت على استخراج الصواب كانت أقدر عليه وأقرب منه من عقل ينازعه الهوى ويجاذبه الغرض، والمشاورة تزداد نوراً على نور وقوّةً على قوّة ورشداً إلى رشد، وإذا اجتمعت الأنوار وتظاهرت كان أمكن من جلاء الظلمة وإيضاح الشبهة وكشف الغمّة.

وصار التدبير عقلاً، لأنّ التدبير هو إحاطة العلم في أدبار الأمور أو النظر فيها، وكذلك الناظر في العواقب قلّما يزلّ.

وصار حسن الخلق حسباً، لمكان أنّ الحسب يستعمل في الفعال الحسن، وهو مشتقّ من الحساب، أي يحسبون ذلك في المآثر، ويستعمل في عدد القرابة وكثرتهم وتواشجهم في الأنساب، فحسن الخلق يدعو إلى نسبة كلّ جميل إليه فيصير حسباً ويكثر أنصار من له خلق حسن، فيصيرون له قرابة وذوي نسب من حيث يعنّون عنائهم.

وصار الكفّ ورعاً، لأنّ كفّ الإنسان نفسه عن الفضول والمعاصي يوجب الثواب كما

---

١. راجع: حلية الأولياء: ٩١/٨؛ سير أعلام النبلاء: ٤٣٣/٨.

٢. صفة الصفوة: ٩١/٤؛ وراجع: الحكم العطائية: ٢٨٥؛ مرقاة المصابيح: ٢٢٩/١؛ فيض القدير: ٢٦٤/٢.

٣. راجع: حلية الأولياء: ٢٤٢/٣؛ صفة الصفوة: ١٦٤/٢.

يوجبه فعل الطاعات واكتساب المبرّات.

وصار التفكّر عبادةً بل من أفضل العبادة، لأنّه الطريق إلى الباري ـ جلّت عظمته ـ وأيّ عاقبة أفضل من التي تؤدّي إلى معرفة الحقّ ولذلك قال عليه السلام: «تفكّر ساعة خير من عبادة سنة»[1].

وروي أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله انتهى إلى أصحابه وهم سكوت لا يتكلّمون، فقال: ما لكم لا تتكلّمون؟ فقالوا: نتفكّر في خلق الله، فقال عليه السلام:

فَكَذَلِكَ فَافْعَلُوا، تَفَكَّرُوا فِي خَلْقِ اللهِ، وَلا تَتَفَكَّرُوا فِيهِ، فَإِنَّ بهذا الْمَغْرِبِ أَرْضاً بَيْضَاءَ، وَبَيَاضُهَا نُورُهَا مَسِيرَةَ الشَّمْسِ أَرْبَعِينَ يَوْماً، بِهَا خَلْقٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ لَمْ يَعْصُوا اللهَ طَرْفَةَ عَيْنٍ. قالوا: [يَا نَبِيَّ اللهِ، مِنْ وَلَدِ آدَمَ هُمْ؟ قَالَ: مَا يَدْرُونَ خُلِقَ آدَمُ، أَوْ لَمْ يُخْلَقْ. قِيلَ: يَا نَبِيَّ اللهِ] فَأَيْنَ الشيطانُ عَنْهُمْ؟ قَالَ: مَا يَدْرُونَ خُلِقَ الشيطانُ أَمْ لَمْ يُخْلَقْ.[2]

وقال عليه السلام: «تَفَكَّرُوا فِي آلَاءِ اللهِ وَلَا تَتَفَكَّرُوا فِي اللهِ»[3].

٣٥٧ وصار الحياء والصبر إيماناً، لأنّ *الحياء يردع عن كلّ قبيح، كما قال عليه السلام: «الحياءُ خيرٌ كُلُّهُ»[4] لا يأتي إلّا بخير، والصبر سواء كان على الطاعة أو عن المعصية فهو من أعوان الإيمان وجنود الإيقان.

وفائدة الحديث إعلام ما فيه الخصال التي عدّها من الخير. وراوي الحديث أمير المؤمنين عليه السلام.

١. تفسير السمرقندي: ٢٩٩/١؛ مرقاة المفاتيح: ٣٤٢/١.

٢. العظمة: ١٤٤٢/٤؛ تاريخ مدينة دمشق: ٣٤٥/١٧؛ تفسير ابن كثير: ٣٨٦/٤.

٣. العظمة: ٢١٠/١؛ المعجم الأوسط: ٢٥٠/٦، ح٦٣١٩؛ شعب الإيمان: ١٣٦/١، ح١٢٠؛ كنز العمّال: ٤٧/٣، ح٥٧٠٧.

٤. مسند الطيالسي: ١١٤، ح٨٥٤؛ مصنّف ابن أبي شيبة: ٢١٣/٥، ح٢٥٣٤٣؛ وراجع: من لا يحضره الفقيه: ٣٧٩/٤، ح٥٨٠٠.

قوله ﷺ: لا يُتْمَ بَعْدَ حُلمٍ

اليُتم: فقد الصبيّ قبل البلوغ والده، يتِم يَيْتِم يُتْماً، هذا في الناس، فأمّا في البهائم فمن فقد[١] الأمّ وذلك لأنّ الأب في البهائم لا يعرف وإنّما تعرف الأمّ. و«الحلم» كناية عن زمان البلوغ، وقيل: سمّي حلماً لكون صاحبه جديراً بالحلم، وقد حَلَم في نومه واحتَلَم، والحُلْم: ما يراه النائم، يقال: حَلَمت كذا وبكذا.

يقول ﷺ: حدّ اليتم ومنتهاه البلوغ وإيناس الرشد، فإذا بلغ سلّم ماله إليه إن كان ضابطاً وجرت أمور البالغين عليه وانكفت يد الوليّ عنه وعن ماله.

وفائدة الحديث تحديد اليُتم وأنّ منتهاه البلوغ. وراوي الحديث محمّد بن المنكدر[٢] عن أبيه.

قوله ﷺ: لا عَقْدَ فِي الإسْلامِ

كانوا في الجاهليّة يتحالفون على أن يتعانوا ويتظافروا ولا يتخاذلوا وأن يكونوا يداً واحدةً على من سواهم، كما عملت الرِباب وهم خمس قبائل[٣] تحالفوا فغمسوا أيديهم في رُبّ فسمّوا رباباً وهم: ضبّة وثور وعُكْل وتَيْم وعَدِيّ، وقيل: سمّوا بذلك لأنّهم تربّبوا أي لأنّهم اجتمعوا فتحالفوا، فلمّا جمع بينهم الإسلام استغنوا بذلك عمّا سواه، كما قال عليه السلام: «المسلمونَ يدُ وَاحِدَةُ عَلى مَنْ سواهُمْ»[٤]، فكفاهم الإسلام ذلك، لأنّه يؤدّي إلى التعصّب والتحزّب، ولا يؤمن مع ذلك من تفاقم الأمر[٥] وانشقاق العصا[٦] وتشتيت الكلمة.

---

١. في خ: قبل.

٢. كذا في المصادر، وفي خ: المكندر.

٣. راجع: العقد الفريد: ٣٠٢/٣؛ الصحاح: ١٣٢/١.

٤. مسند أحمد: ٢١٥/٢، ح٧٠١٢؛ مسند الشهاب: ١٣٣/١، ح١٦٩.

٥. تفاقم الأمر: عظم ولم يجر على استواء.

٦. انشقّت عصاهم: تفرّق أمرهم.

وقال أبو سليمان الخطّابيّ: العقد التحالف، وكان الرجل في الجاهليّة يحالف الرجل ويؤاخيه ويعاهده في الخير والشرّ، على أنّه كبعض ولده إلى الميراث، والقرآن ناطق به، قال الله تعالى: «وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُم» [١]، ثمّ نسخ بقوله تعالى: «وَأُولُوا الْأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلى بِبَعْضٍ» [٢]،[٣] فيقول النبيّ صلى الله عليه وآله: «إنَّ اللهَ تعالى أَعْطَى كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ» [٤].

وفائدة الحديث إعلام أنّ عقود الجاهليّة كانوا يتعاقدونها منسوخة بالإسلام. وراوي الحديث أنس بن مالك، ورواه قيس بن عاصم: «لَا حَلِفَ فِي الإِسْلامِ، وَمَا كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَتَمَسَّكُوا بِهِ» [٥].

قوله صلى الله عليه وآله: لا صَرورَةَ فِي الإِسْلامِ

يقال: رجل صرورة للذي لم يحجّ، وكذلك رجل صارورة وصَرُوريّ وامرأة صرورة كذلك، والذي في الحديث ❊هو الذي لا يأتي النساء كأنّه أصرّ على تركهنّ؛ قال النابغة: ٣٥٨

لَوْ أَنَّها عَرَضَت لأَشْمَطَ راهِبٍ   عَبَدَ الإله صَرورَةٍ مُتَعَبِّدِ
لَرَنا لبهجتها وَحُسْنِ حَدِيثِها   وَلَخالَهُ رَشَداً وَإن لَمْ يَرْشُدِ [٦]

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام: «هو في هذا الحديث المتبتّل الذي ترك النكاح، يقول: لا ينبغي لأحد أن يقول: لا أتزوّج، لأنّه ليس هذا من أخلاق المؤمنين» [٧]. انتهى كلامه.

---

١ . النساء: ٣٣.

٢ . الأنفال: ٧٥.

٣ . راجع: تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٢٧/١؛ مصنّف عبد الرزّاق: ٣٠٥/١٠، ح١٩١٩٧.

٤ . مسند الطيالسي: ١٥٤، ح١١٢٧؛ مصنّف عبد الرزّاق: ١٤٨/٤، ح٧٢٧٧.

٥ . مسند الشهاب: ٤٠/٢، ح٨٤١؛ وراجع: مسند الطيالسي: ١٤٦، ح١٠٨٤؛ مسند الحميدي: ٥٠٧/٢، ح١٢٠٦؛ كنز العمّال: ٣٠٢/١٦، ح٤٤٦٤.

٦ . زهر الآداب: ٢٨/١؛ الحماسة المغربيّة: ١٠٨٨/٢؛ ديوانه: ٢٥.

٧ . غريب الحديث لابن سلام: ٩٧/٣.

ولذلك قال عليه السلام: تزوّجوا تكثروا فإنّي مباه بكم الأنبياء يوم القيامة.[١]

وحكى لي بعض اليمانين قال: نحن إذا توجّهنا إلى بعض البلاد وكان في الرفقة[٢] من لم يدخل تلك البلدة قطّ كلّفناه أن يخدم الرفقة بطعام أو مأكول، ويسمّى ما نكلّفه الصرورة.

وقد فسّر هذا الحديث على وجهين: أحدهما: أنّه الذي لم يحجّ على معنى أنّه ينبغي أن يحجّ كلّ مسلم يستطيع الحجّ ولا ينبغي يبقى أحد منهم حتّى يكون صرورةً، والآخر: ترك النكاح على طريقة الرهبان. وقال عليه السلام: «تناكحوا تكثروا فإنّي أباهي بكم الأمم حتّى بالسقط»[٣].

وقيل: اشتقاقه من الصَرّ الجمع، فالذي لا يتزوّج يصرّ ماؤه في ظهره ويجمعه ويبقيه، والذي لا يحجّ يصرّ على ماله فلا ينفقه في طريق الحجّ.[٤]

وفائدة الحديث النهي عن التبتّل والحثّ على التأهّل. وراوي الحديث ابن عبّاس رضي الله عنه.

قوله صلى الله عليه وآله: لا هِجْرَةَ بَعْدَ الفَتْحِ

الهجر: المفارقة وهو ضدّ الوصل، وقد هجَر يهجُر هَجْراً وهجراناً، والاسم الهجرة، والهجرتان: هجرة إلى الحبشة والأخرى إلى المدينة، فأمّا الأولى فهي هجرة عنه عليه السلام، لأنّهم كانوا يخافون أذى المشركين ومعرّتهم فهاجروا النبيّ عليه السلام إلى الحبشة، لأنّهم كانوا يتعرّضون

---

١ . في المبسوط للسرخسي: ١٩٣/٤: «تناكحوا تناسلوا تكثروا، فإنّي مباه بكم الأمم يوم القيامة»، وراجع: تخريج الأحاديث والآثار: ٤٣٩/٢؛ كنز العمّال: ٣٥٠/١٥، ح ٤٣٣٠٤؛ وفي مسند أحمد: ٢٤٥/٣، ح ١٣٥٩٤: «تزوّجوا الودود الولود إنّي مكاثر بكم الأنبياء يوم القيامة»؛ وراجع: المعجم الأوسط: ٢٠٧/٥، ح ٥٠٩٩؛ كنز العمّال: ١٢٨/١٦، ح ٤٤٥٩٩.

٢ . الجماعة تُرافقهم في سفرك.

٣ . راجع: مختصر المزني: ١٦٣؛ الأمّ: ١٤٤/٥؛ معرفة السنن والآثار: ٢٢٠/٥، ح ٤٠٥٠؛ وراجع: الكافي: ٣٣٤/٥.

٤ . راجع: الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي: ١٨٧، ح ٣٧٣.

لهم بالبلاء؛ والأخرى التي إلى المدينة فهي هجرة إليه وهي صلاةٌ ومكرمةٌ، والهجرة هي المفارقة [من] دار الكفر إلى دار الإيمان، وهي المذكورة في قوله ـ عزّ وعلا ـ: «فَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِياءَ حَتَّى يُهاجِرُوا فِي سَبيلِ اللهِ»[1]؛ وأصل الهجرة عند العرب: خروج البدويّ من البادية إلى المُدُن، يقول: هاجر البدويّ: إذا حضر القرى وأقام بها؛ والتي في الحديث الإشارة إلى هجرة المدينة.

وروي: «أَنَّ رجالاً مِنْ قُرَيْشٍ أَرَادُوا أَنْ يُهاجِرُوا إِلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله فَمَنَعَهُمْ آبَاؤُهُمْ عن ذلكَ، فَذَكَرُوا ذَلِكَ للنبيّ عليه السلام، فَقَالَ صلى الله عليه وآله: لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ إِنَّمَا هُوَ [الْحَشْرُ، وَ] النِّيَّةُ، وَالْجِهَادُ»[2].

وروي أنّه عليه السلام قال ذلك في مسلمي مكّة بعد ما فتحت لأنّها قد صارت دار إسلام فلا هجرة منها بعد *فتحها[3] وهو حسن. [٣٥٩]

وروي عنه عليه السلام أنّه قال: «لا تنقطعُ الهجرةُ مَا دامَ نُقَاتِلُ. وقال عليه السلام: الْهِجْرَةُ هِجْرَتَانِ: إِحديهُمَا أَنْ تَهْجُرَ السَّيِّئَاتِ، وَالْأُخْرَى أَنْ تُهَاجِرَ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ، وَلَا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ مَا تُقُبِّلَتِ التَّوْبَةُ»[4].

وفائدة الحديث إعلام أنّه لا هجرة من مكّة بعد ما صارت دار إسلام. وراوي الحديث ابن عبّاس، والحديث: «لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ، وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا»[5].

وعن أبي سعيد الخدريّ قال: «لَمَّا نَزَلَتْ: «إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ» قَرَأَهَا عليه السلام حَتَّى

١. النساء: ٨٩.

٢. سنن سعيد بن منصور: ٢/١٧٠، ح٢٣٥٣؛ معجم الصحابة: ٢/٣١٦، ح٨٥٦.

٣. راجع: صحيح مسلم: ٣/١٤٨٧، ح١٣٥٣؛ مصنّف عبد الرزّاق: ٥/٣٠٩، ح٩٧١٣.

٤. راجع: مسند أحمد: ١/١٩٢، ح١٦٧١؛ التاريخ الكبير: ٦/١٤٠، ح١٩٥٥.

٥. مصنّف ابن أبي شيبة: ٧/٤٠٧، ح٣٦٩٣٠؛ مسند أحمد: ١/٢٢٦، ح١٩٩١؛ مسند الشهاب: ٢/٤١، ح٨٤٤.

خَتَمَهَا، ثُمَّ قَالَ: إنِّي وَأَصْحَابِي خَيْرٌ [وَالنَّاسُ خَيْرٌ]، لا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ»[١].

قوله صلّى الله عليه وآله: لا إيمَانَ لِمَنْ لا أَمَانَةَ لَهُ وَلا دِينَ لِمَنْ لا عَهْدَ لَهُ

الإيمان: التصديق، وقد تقدّم الكلام فيه، والأمانة: ما ائتمنت عليه ويعبّر عن كون الإنسان أميناً معتمداً، والدين: الطاعة، وكذلك سمّي الإسلام ديناً؛ والعهد: الموثّق، وقال الله تعالى: «وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً»[٢]، ويقع العهد على الأمان واليمين والموثّق والوصيّة والذمّة.

فجعل صلّى الله عليه وآله الأمانة تكملةً للإيمان والوفاء بالعهد تماماً للدين، ولعمري أنّه لكذلك، لأنّه لا إيمان خالص كامل للخائن، ولا دين تامّ للناكث، وذلك أنّ خُلق الإيمان أن يكون صافياً من الشوائب خالصاً من المعايب، فكلّما كان فيه ممّا ليس من خُلق الإيمان فهو ممّا يثلَم الإيمان[٣] وإن لم يكن يرفعه رأساً.

وقد عظّم الله تعالى أمر الأمانة فقال: «إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً»[٤].

وقال النبيّ عليه السلام: «أوّلُ مَا تَفقدونَ مِن دينِكم الأمَانةُ»[٥].

وفائدة الحديث تعظيم أمر الأمانة والعهد، وإعلام أنّ المراعاة عليها من كمال خصال

---

١. مسند الطيالسي: ١٣٠، ح٩٦٧؛ المستدرك: ٢٨٢/٢، ح٣٠١٧؛ كنز العمّال: ٢٣٧/٢، ح٤٧٢٩؛ وفي بعض المصادر بدل «خير» «حيّز»، راجع: مسند أحمد: ١٨٧/٥، ح١٦٧١؛ مسند الشهاب: ٤٢/٢، ح٨٤٥؛ والآية في النصر: ١.

٢. الإسراء: ٣٤.

٣. يحدث فيه خللاً.

٤. الأحزاب: ٧٢.

٥. مصنّف عبد الرزّاق: ٣٦٣/٣، ح٥٩٨١؛ مصنّف ابن أبي شيبة: ١٤٠/٧، ح٣٤٨٠٨؛ مسند الشهاب: ١٥٥/١، ح٢١٦؛ كنز العمّال: ٢٤٢/١٤، ح٣٩٦٢٨.

الإيمان. وراوي الحديث أنس بن مالك.

قوله صلى الله عليه وآله: لا رُقْيَةَ إلَّا مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُمَةٍ

«عين» مصدر، عانه أيا أصابه بعينه إذا نظر إليه نظر معجب حاسد يستعظم، و«الحُمة»: السمّ يقال: حمة العقرب ويعني بها سمّها وضرّها ولا يعني بها شوكتها، وأصل الحمة «حمو» أو «حمي»، والهاء عوض فيها عن الساقط.

وبهذا الكلام يشير صلى الله عليه وآله إلى ما كانت نساء العرب يدّعينه من تأخيذ[1] الرجال عن الأزواج وكانت لهنّ رُقى تضحك الثكلان، ولو وسع نطاق كتابنا هذا لذكرت بعضها ليقضي العجب من قوم كانوا يعتقدون صحّتها، ويشكر الله تعالى على التوفيق، وكانت لهنّ خرزات يصبن الماء *عليها ويسقينه من العشق إلى هذيانات كثيرة؛ فقال صلى الله عليه وآله: «لا رقية»، أي لا يصحّ تأثير الرقية إلّا في العين التي تعين الشيء أي تصيبه، وأصل ذلك أنّها يستحسنه فيغيّره الله تعالى عند ذلك، لما للناظر إليه فيه من اللطف أو لغيره من المعتبرين إذا رآه غبّ اللطافة والطراوة والإعجاب بخلاف ما رآه فيستدلّ بذلك على أنّه لا بقاء لما في الدنيا وأنّ نعيمها زائل؛ فأمّا ما يذكر من أنّ العاين ينظر إلى الشيء فيتّصل به شعاع هو المؤثّر فيه، فلا يلتفت إليه؛ لأنّا نعلم قطعاً أنّ الشعاع اللطيف لا يعمل في الحديد والحجر وغير ذلك بل ذلك كلّه من فعل الله تعالى على سبيل اللطف والإعلام بأنّ نعيم الدنيا إلى انقراض، والرقية التي فيها اسم الله تعالى واسم رسول الله صلى الله عليه وآله أو آية من كتاب الله تعالى تشفيه وذلك[2] من السموم التي يستضرّ بها الإنسان من لسع الهوامّ، وهذا غير مدفوع. وما سوى ذلك فمخاريق يجلبون بها أموال الناس، وليس قوله عليه السلام: «لَا رُقْيَةَ إلَّا مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُمَةٍ» قطعاً لأن تكون رقية الحقّ ناجعةً في غير ذلك من الأدواء فقد يجوز أن يشفي الله تعال؛ باسمه المبارك وكتابه

٣٦٠

---

١ . أن تحتال المرأة بحيل في منع زوجها عن جماع غيرها وذلك نوع من السحر.

٢ . كذا في خ، وفي البحار: وكذلك.

العزيز. بل المعنى أنّ الرقية لها تأثير قويّ في الحمة والعين، وليس فيه أنّه لا تأثير لها في غير ذلك؛ فقد اختصّ بذلك لقولهعليه السلام: «لا مَهْدِيَّ إلّا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ»[١]، و«لَا سَيْفَ إلَّا ذُو الْفَقَارِ وَلَا فَتَى إلَّا عَلِيّ»[٢].

وروي عن النبيّعليه السلام أنّه قال للشفاء: «علِّمي حَفْصَةَ رُقْيَةَ النَّمْلَةِ»[٣]؛ وهي قروح تخرج بالجنب وغيره.

وكانعليه السلام يعوّذ بعض أهله ويمسح بيده اليمنى ويقول: «اللهُمَّ رَبَّ النَّاسِ، أَذْهِبْ الْبَأسَ وَاشْفِ وَأَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إلَّا شِفَاؤُكَ، [شِفَاءً] لَا يُغَادِرُ سَقَماً»[٤].

وروي: «أَنَّ رَجُلاً جَاءَ إِلَى النَّبِيِّصلى الله عليه وآله فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! مَا لَقِيتُ مِنْ عَقْرَبٍ لَدَغَتْنِي الْبَارِحَةَ، قَالَ: أَمَا إِنَّكَ لَوْ قُلْتَ حِينَ أَمْسَيْتَ أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ لَمْ تَضُرَّكَ»[٥].

وعن ابن عبّاس قال: «كَانَ رَسُولُ اللهِصلى الله عليه وآله يُعَلِّمُنَا مِنَ الأَوْجَاعِ كُلِّهَا أن نقولُ: بِسْمِ اللهِ الْأَكْبَرِ أَعُوذُ بِاللهِ الْعَظِيمِ مِنْ شَرِّ عِرْقٍ نَعَّارٍ وَمِنْ شَرِّ حرق النَّارِ»[٦].

وفائدة الحديث إعلام أنّ الرقية في غير العين والحمة لا تنجع. وراوي الحديث جابر.

---

١. المستدرك: ٤/٤٨٨، ح٨٣٦٣؛ حلية الأولياء: ٥/٢٥٧.

٢. الكافي: ٨/١١٠، ح٩٠؛ خصال الصدوق: ٥٥٠؛ وراجع: المنمق في أخبار قريش: ٤١١؛ نثر الدرّ: ٦/٢٨٤.

٣. راجع: غريب الحديث لابن سلام: ١/٨٣ـ٨٤؛ غريب الحديث لابن قتيبة: ٢/٦٢٠؛ أماليّ ابن سمعون: ٢/٢١٩؛ الفائق: ٤/٢٦.

٤. صحيح البخاري: ٥/٢١٦٨، ح٥٤١١؛ سنن ابن ماجه: ٢/١١٦٣، ح٣٥٢٠.

٥. صحيح مسلم: ٤/٢٠٨١، ح٢٧٠٩؛ سنن النسائي: ٦/١٥٢، ح١٠٤٢٣.

٦. مصنّف ابن أبي شيبة: ٥/٤٧، ح٢٣٥٧٩؛ سنن ابن ماجه: ٢/١١٦٥، ح٣٥٢٦؛ حلية الأولياء: ١٠/٣٧٩؛ في أكثر المصادر إلّا الأخير: «حرّ النار».

قوله صلى الله عليه وآله: لا هِجْرَةَ فَوْقَ ثَلاثٍ

٣٦١

هذا مثل قوله عليه السلام: «لَا يَحِلُّ لِامرئ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ * ثَلَاثٍ»[١]. وقوله عليه السلام: «لا هجرة فوق ثلاث» لفظه لفظ الخبر ومعناه النهي.

يقول صلى الله عليه وآله: لا تهاجروا أكثر من ثلاث ليال، إنّما ذكر الليالي[٢] لأنّها قبل الأيّام، وما من يوم إلّا وليلتها قبله[٣]، وهذا لفرط شفقته عليه السلام أمر أن لا يزيد المهاجرة والمصارمة على ثلاثة أيّام مخافة أن يفضي إلى ما هو أصعب من المهاجرة من المشاققة والمكافحة.

وروت عائشة عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: «لا يصلحُ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ إلّا أَنْ يَكُونَ مِمَّنْ لا يُؤْمَنُ بَوَائِقُهُ»[٤]. هذا في المؤمن الصالح، فأمّا الطالح الفاسق فإنّه تجب مهاجرته.

وعن الحسن: «هِجْرَانُ الأَحْمَقِ قُرْبَةٌ إِلَى اللهِ تَعَالى»[٥].

وفائدة الحديث الأمر بحسن المخالقة وطيب العشرة وترك الخلاف والجدال. وراوي الحديث أبو هريرة.

قوله صلى الله عليه وآله: لا كَبِيرَةَ مَعَ اسْتِغْفَارٍ وَلا صَغِيرَةَ مَعَ إِصْرَارٍ

الإصرار: الدوام والإقامة على الشيء، وذكر أنّه من صَرّ أي شدّ كأنّه يسدّ نفسه فيه، و«هي منّي صرّي» من الإصرار أي عزيمة.

---

١. خصال الصدوق: ١٨٣، ح ٢٥٠؛ بحار الأنوار: ١٨٨/٧٢، ح ٩؛ وراجع: مسند الطيالسي: ٣٩، ح ٣٠٦؛ مسند أحمد: ٢٢٥/٣، ح ١٣٣٧٩؛ وفي أكثر المصادر: «لا يحلّ لمسلم»، وأيضاً في أكثرها: «ثلاث ليال».

٢. في الحديث لم ترد لفظة «ليال» وفي أحاديث آخر وردت، راجع: مسند أحمد: ٢٢٥/٣، ح ١٣٣٧٨.

٣. عن ابن عبّاس قال: «ما من يوم إلّا وليلته قبله»؛ راجع: المجالسة وجواهر العلم: ٩١، ح ٥٤٠.

٤. راجع: العزلة: ٢٢؛ طبقات الشافعيّة الكبرى: ٣١٩/٦؛ كنز العمّال: ٢١/٩، ح ٢٤٨٧١.

٥. معجم ابن الأعرابي: ١٤٣/٣؛ العزلة: ٢٣.

وكلّ ما عصى الله تعالى به فهو كبيرة وليس الاعتبار بصغر الذنب وكبره، بل الاعتبار بالمعصى وهو ربّ العالمين. وإذا قيل: صغيرة وكبيرة فبالإضافة، وعند المعتزلة: الصغيرة ما ينقص عقابها عن استحقاق الثواب الثابت لصاحبها وبالعكس منها الكبيرة، والاستحقاقان يتضادّان عندهم.

فيقول ﷺ: الكبيرة لا تبقى مع الاستغفار، والصغيرة لا يزول مع الإصرار، وصغائر الذنوب إذا أصرّ عليها الإنسان صارت من أكبر الكبائر، ولقد أحسن من قال:

لا تحقرنَّ صغيرةً إنَّ الجبالَ مِنَ الحِصَا[1]

فينبغي للإنسان إذا حصل منه ذنب أن يبادر إلى الاستغفار والاستعفاء ويندم على ما فرط منه، فإنّ الندم توبة.

وفائدة الحديث الأمر بالاستغفار والنهي عن الإصرار. وراوي الحديث ابن عبّاس.

قوله ﷺ: لا هَمَّ إلّا هَمُّ الدّينِ وَلا وَجَعَ إلّا وَجَعُ العِينِ

هذا تفخيم شأن همّ الدين ووجع العين، ولا يبقى كون غيرهما همّاً ووجعاً، بل هذا تخصيص لهما، ولعمري أنّ شأنهما أصعب، فإنّ همّ الدين ممّا يعقب المذلّة والانكسار وكذلك وجع العين لضعفها ولطافتها؛ وهذا قريب من قوله عليه السلام: «لَا رُقْيَةَ إلّا مِنْ حُمَةٍ أَوْ عَيْنٍ»[2] في معنى التخصيص.

وفائدة الحديث إعلام أنّ أمرهما صعب. وراوي الحديث جابر بن عبد الله.

٣٦٢ *قوله ﷺ: لا فَاقَةَ لِعَبْدٍ يَقرأ القُرآنَ وَلا غِنَى لَهُ بَعدَهُ

الفاقة: الفقر والحاجة، وافتاق الرجل: افتقر، ولا يقال: فاق، و«الغنى» هو الاستغناء،

---

١ . أنشده ابن المعتز؛ راجع: ديوانه: ٤٥؛ وراجع: تفسير الثعلبي: ١٤٢/١؛ شعب الإيمان: ٤٦٥/٥، ح ٧٣٠١؛ محاضرات الأدباء: ٤١١/٢.

٢ . تقدّم شرحه آنفاً.

ويقال لليسار الغنيّ من حيث الاستغناء.

ويفسّر هذا الحديث على وجهين:

أحدهما: أنّ حامل القرآن مستغن به ولا فاقة به إلى غيره من الكتب والعلوم، لأنّ فيه ما يحتاج إليه، وكذلك «لا غنى له بعده»، أي ما وراء القرآن غنىً، بل الغنى أجمع هو، وذلك لما فيه من ذكر الحلال والحرام والأحكام والقصص والأمثال إلى غير ذلك ممّا يحتاج إليه.

ويكون هذا الحديث على معنى الحديث الآخر: «مَنْ لَمْ يَتغَنَّ بِالْقُرْآنِ فَلَيْسَ مِنَّا»[1]، أي من لم يستغن بالقرآن.

وفي الحديث أنّه عليه‌السلام لام بعض أصحابه وقد وجده يحدّث عن التوراة، فقال: «أَتَتَهَوَّكُونَ أَنْتُمْ كَمَا تَهَوَّكَتِ الْيَهُودُ والنَّصَارَى»[2] أمتحيّرون.[3] والهَوَك: الحمق، ورجل أهوك وقد هوِك يهوَك، والتهوّك: السقوط في الردى[4].

والمعنى: أنّه عليه‌السلام يأمرهم بالاستغناء بالقرآن عن غيره.

والوجه الآخر: أن يكون بمعنى نفي الفاقة في الآخرة وأنّه لا غنى له في الآخرة بغير التمسّك في الدنيا بأحكام القرآن ؛ وكلّ ذلك جيّد.

وفائدة الحديث إعلام أنّ القرآن مستغنىً به عن غيره. وراوي الحديث أبو بشر الحلبيّ عن الحسن.

قوله صلى‌الله‌عليه‌وآله : لا يَنْتَطِحُ فِيهَا عَنْزَانِ

هذا مثل لا يجادل فيها اثنان، وذكر العَنز تصغير للأمر وتحقير للشأن؛ وهذا من جملة ما

---

١ . مسند أبي يعلى: ١٩٥/٨، ح ٤٧٥٥؛ سنن ابن ماجه: ٤٢٤/١، ح ١٣٣٧؛ كنز العمّال: ٣٠٣/١، ح ٢٧٨٩.

٢ . غريب الحديث لابن سلام: ٢٨/٣؛ نثر الدرّ: ١٤٥/١؛ شعب الإيمان: ٢٠٠/١، ح ١٧٦؛ كنز العمّال: ١١٣/١، ح ١٠١٠؛ وراجع: الدعوات: ١٧٠، ح ٤٧٥.

٣ . في غريب الحديث لابن سلام: ٢٩/٣: «قال أبو عبيد: يقول: أمتحيّرون أنتم في الإسلام لا تعرفون دينكم حتّى تأخذوه من اليهود والنصارى».

٤ . الهلاك.

أرسله النبيّ صلى الله عليه وآله مثلاً، منها قوله عليه السلام: «لا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ»[1] و«لا يَنْتَطِحُ فِيهَا عَنْزَانِ»[2] و«كلّ الصيد في جوف الفرأ»[3] و«هُدْنَة على دَخَن»[4].

وروى في سبب هذا الحديث الشعبيّ عن ابن عبّاس قال: «هَجَتِ امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي خَطْمَةَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله بِهِجَاءٍ لَهَا، فَبَلَغَ [ذَلِكَ] النَّبِيَّ عليه السلام وَاشْتَدَّ عَلَيْهِ [ذَلِكَ]، فَقَالَ: مَنْ لِي بِهَا؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهَا: أنا يَا رَسُولَ اللهِ، وَكَانَتْ تَمَّارَةٌ تَبِيعُ التَّمْرَ، قَالَ: فَأَتَاهَا فَقَالَ لَهَا: [هَلْ] عِنْدَكِ تَمْرٌ؟ قَالَتْ نَعَمْ، فَأَرَتْهُ تَمْراً، فَقَالَ: أَرَدْتُ أَجْوَدَ مِنْ هَذَا، قَالَ: فَدَخَلَتِ التُّرْبَةَ، وَدَخَلَ خَلْفَهَا، فَنَظَرَ يَمِيناً وَشِمَالاً، فَلَمْ يَرَ إِلّا خِوَاناً، قَالَ: فَعَلا بِهِ رَأْسَهَا حَتَّى دَمَغَهَا بِهِ، ثُمَّ أَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! قَدْ كَفَيْتُكَهَا[5]، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله: أَمَا إِنَّهُ لا يَنْتَطِحُ فِيهَا عَنْزَانِ»[6].

وروى العسكريّ في كتاب إصلاح التصحيف: أنّ عصماء بنت مروان اليهوديّ كانت تحت عليّ، قال النبيّ صلى الله عليه وآله [٣٦٣] * فبعث عليه عمير بن عديّ وأمره بقتلها فصار إليها فقتلها، ثمّ قال: يا رسول الله! إنّي أخاف اليهود، فقال عليه السلام: لا يَنْتَطِحُ فِيهَا عَنْزَانِ.[7] أي لا شوكة لهم فيجادلونا في ذلك، وهذا إخبار بالغيب منه صلى الله عليه وآله.

وفائدة الحديث إخبار صحابته ـ رضوان الله عليهم ـ أنّه لا يصيبهم في قبلها غائلة. وراوي الحديث ابن عبّاس.

١. الأمثال في الحديث النبويّ: ٤٣، ح٩؛ جمهرة الأمثال: ٣٨٦/٢، مثل ١٨٨٠.

٢. جمهرة الأمثال: ٤٠٣/٢، مثل ١٩١٠.

٣. أمثال الحديث: ١١٩، ح٨٢؛ جمهرة الأمثال: ١٦٢/٢، مثل ١٤٥٠.

٤. غريب الحديث لابن سلام: ٢٦٢/٢؛ مجمع الأمثال: ٣٨٢/٢.

٥. كذا في المصادر، وفي خ: لقيتها.

٦. مسند الشهاب: ٤٦/٢، ح٨٥٦ و٨٥٧؛ تاريخ بغداد: ٩٩/١٣، ح٧٠٨٦؛ ذخيرة الحفاظ: ٢٥٧٧/٥.

٧. الطبقات الكبرى: ٢٧/٢؛ أماليّ ابن سمعون: ٢٣/٢؛ مسند الشهاب: ٤٨/٢، ح٨٥٨.

قوله صلى الله عليه وآله: لا يُغْني حَذَرٌ مِنْ قَدَرٍ

القدر: ما سبق به القضاء وكتبه الله في اللوح المحفوظ.

يقول صلى الله عليه وآله: لا يمكن العبد أن يفرّ ممّا يريد الله أن يقع به ممّا قدّره عليه من خير أو شرّ، ولعمري أنّه لكذلك، وكيف يحذر العبد ويفرّ ممّا يريد الله تعالى أن يبتليه به من مرض أو شللٍ[1] أو موت أو غير ذلك ممّا هو من أفعاله ـ جلّت قدرته ـ، بلى يصحّ أن يدعو فيدفعه الله عزّ وجلّ عنه على ما تقدّم.

وفائدة الحديث إعلام أنّ الحذر لا يغني ممّا قدّره الله تعالى. وراوية الحديث عائشة، وتمامه: «وَالدُّعَاءُ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ وَمِمَّا لَمْ يَنْزِلْ، وَإِنَّ الْبَلاءَ يَنْزِلُ فَيَتَلَقَّاهُ الدُّعَاءُ، فَيَعْتَلِجَانِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»[2].

قوله صلى الله عليه وآله: لا يَفتِكُ مُؤْمِنٌ

هذا مثل قوله صلى الله عليه وآله: «الْإِيمَانُ قَيَّدَ الْفَتْكَ»، وقد فسّر في أوّل الكتاب[3] وذلك لأنّه خيانة، والمؤمن لا يخون.

وفائدة الحديث إعلام أنّ الفتك حرام على المؤمن. وراوي الحديث معاوية بن أبي سفيان.

قوله صلى الله عليه وآله: لا يُفْلِحُ قَوْمٌ تَمْلِكُهُمُ امْرَأَةٌ

الفلاح: الفوز والظفر، وقد أفلح يفلح إفلاحاً؛ وإنّما قال عليه السلام ذلك لأنّ أمر النساء إلى وهن وقوّتهنّ إلى ضعف، ومزوالة المرأة تحتاج إلى ضبط قويّ وأيد متين، ولم يخلق الله تعالى

---

١. فساد في اليد.

٢. المعجم الأوسط: ٦٦/٣، ح٢٤٩٨؛ المستدرك: ٦٦٩/١، ح١٨١٣؛ مسند الشهاب: ٤٨/٢، ح٨٥٩.

٣. راجع: ج١، ص١٤٣.

النساء للملك والولايات والحروب والمعاقدات، والملك ربّما يقتضي ذلك كلّه.

وروي أنّ ذلك إشارة إلى حرب الجمل وأمّ المؤمنين عائشة وإخبار بالغيب وأنّهم سيهزمون،[1] والصحيح في ذلك أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله لمّا بلغه موت كسرى قال: من استخلفوا بعده؟ قالوا: ابنته بوران. فقال عليه السلام: «لن يفلح قوم تملكهم امرأة»[2].

وفائدة الحديث إعلام أنّ المرأة لا تصلح أن يكون مرجوعاً إليها في أمور السياسة لوهنها وضعفها. وراوي الحديث الحسن عن أبي بكر.

قوله صلى الله عليه وآله: لا يَنْبَغِي لِمُؤْمِنٍ أَنْ يُذِلَّ نَفْسَهُ

قوله عليه السلام: «[لا]ينبغي» مطاوع بغى، ومعناه: طلبه فانطلب، ويجيء على وجهين: أحدهما: ما سخّره الله تعالى كقولك: الماء ينبغي أن يبلّ الثوب، والنار ينبغي أن تحرقه. والثاني: أن يكون على معنى الأهليّة، *نحو فلان ينبغي أن يحسن لكرمه، فقوله تعالى: «وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ»[3]، من الوجه الأوّل، ومعناه: لا يسهل ولا يتيسّر، لأنّ لسانه عليه السلام لم يكن يطوع به. وقوله تعالى: «وَهَبْ لِي مُلْكاً لا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي»[4] كذلك، فمعنى هذا الحديث إذا حمل على العموم يفيد أنّ المؤمن عزيز لمكان إيمانه، فلا ينبغي ولا يجوز أن يدخل عليه ما يصير وصمةً وعيباً[5]، مثل أن يسفّ إلى الدنايا من السؤال وغير ذلك ممّا يرجع عليه بالذلّ، بل ينبغي أن يعزّ نفسه كما أعزّه الله تعالى.

٣٦٤

وقد روي في الحديث: «إنّهم قالوا: يَا رَسُولَ اللهِ! كَيْفَ يُذِلُّ نَفْسَهُ؟ قَالَ: يَتَعَرَّضُ [مِنَ

---

١. راجع: فتح الباري: ٥٦/١٣.

٢. راجع: المعارف لابن قتيبة: ٦٦٦؛ محاضرات الأدباء: ٢٣٠/١؛ تاريخ الإسلام: ٦٦٣/٢؛ وراجع: مسند أحمد: ٤٣/٥، ح ٢٠٤٥٥؛ المستدرك: ٥٧٠/٤، ح ٨٥٩٩؛ فتح الباري: ٥٦/١٣.

٣. يس: ٦٩.

٤. ص: ٣٥.

٥. في خ: وعياً.

الْبَلاءِ] لِمَا لا يُطِيقُ»[١].

ولعمري أنّه لكذلك، يأمر مثلاً بالمعروف وينهى عن المنكر، وما كلّ أحد يمكنه القيام بأعباء[٢] ذلك.

وسئل مالك بن أنس عن ذلك فقال: من ظننت أنّه لا يطيعك أو خشيت أن يأتيك منه ما تكره فدعه ومن لم يحسن ذلك منه فمره بالمعروف وانهه عن المنكر واخف ذلك، فإنّه أجدر أن يقلّ منك ولا ترى منه إلّا خيراً.[٣]

ألا ترى أنّ الله تعالى قال لنبيّه موسى وهارون عليهما السلام في عدوّه فرعون: «فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشى»[٤]، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لهما شروط، فمتى حصلت وجبا، وإلّا فلا؛ والمرتبة الأولى أن تقدر على تغيير المنكر بيدك فعليك به، والثانية أن لا تقدر على ذلك ولكن تقدر على أن تُعظ فعظه باللسان. والثالثة: أن لا تقدر على فعل اليد واللسان فأنكر بالقلب ولا حرج عليك.

وفائدة الحديث إعلام أنّ المؤمن عزيز فلا ينبغي أن يجرّ إلى نفسه الذلّ. وراوي الحديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه.

قوله صلى الله عليه وآله: لا يَنْبَغِي لِلصِّدِّيقِ أَنْ يَكُونَ لَعَّاناً

الصدّيق: الكثير الصدق، وقيل: هو من لم يكذب قطّ، وقيل: هو من لا يتأتّى منه الكذب للتعوّده الصدق، وقيل: هو من صدق بقوله واعتقاده وحقّق صدقه بفعله؛ وأنا أقول: إنّ

---

١. راجع: مصنّف عبد الرزّاق: ٣٤٨/١١، ح٢٠٧٢١؛ مسند أحمد: ٤٠٥/٥، ح٢٣٤٩١؛ سنن ابن ماجه: ١٣٣٢/٢، ح٤٠١٦؛ مسند الشهاب: ٥٢/٢، ح٨٦٧.

٢. الأحمال والأثقال.

٣. لم أقف على مصدره.

٤. طه: ٤٤.

الصدّيق هو المؤمن المصدّق لله ولرسوله. و«اللعن» من الله تعالى هو الطرد والإبعاد على سبيل السخط، ومن العبد الدعاء على الإنسان بذلك.

فيقولﷺ: لا ينبغي للمؤمن المصدّق أن يعود لسانه اللعنة فيلعن كلّما يؤذيه وكلّما يجد في قلبه منه، بل ينبغي أن يعوده الخير والذكر، فإنّ اللعن أمر صعب، والإنسان قَلق الوضين[1] ربّما يلعن نفسه وربّما يلعن البهائم والطيور لغفلته وسوء بصيرته.

٣٦٥

وقالعليه السلام: «لَا يَكُونُ اللَّعَّانُونَ ❊عند اللهِ شُفَعَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ»[2].

وروي: «إنَّ رَجُلاً نَازَعَتْهُ الرِّيحُ رِدَاءَهُ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّﷺ فَلَعَنَهَا، فَقَالَعليه السلام: لَا تَلْعَنْهَا، فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ، وَإِنَّهُ مَنْ يَلْعَنُ شَيْئاً لَيْسَ لَهُ بِأَهْلٍ رَجَعَتِ اللَّعْنَةُ عَلَيْهِ»[3].

وعن بعض الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ قال: «كُنْتُ رَدِيفَ النَّبِيِّعليه السلام فَعَثَرَتْ دَابَّتُهُ، فَقُلْتُ: تَعِسَ الشَّيْطَانُ، فَقَالَ: لَا تَقُلْ تَعِسَ الشَّيْطَانُ، فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ ذَلِكَ تَعَاظَمَ حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ الْبَيْتِ يَقُولُ بِقُوَّتِي، وَلَكِنْ قُلْ: بِسْمِ اللهِ، فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ ذَلِكَ تَصَاغَرَ حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ الذُّبَابِ»[4].

وقالعليه السلام: «لَا تَلَاعَنُوا بِلَعْنَةِ اللهِ وَلَا بِغَضَبِ اللهِ وَلَا بِالنَّارِ»[5].

وروي: «أَنَّ رَجُلاً لَعَنَ بُرْغُوثاً عند النبيّﷺ فَقَالَ: لا تَلْعَنْهُ، فَإِنَّهُ أَيْقَظَ نَبِيّاً مِنَ الأَنْبِيَاءِ لِلصَّلاةِ»[6].

---

١ . الوضين: حزام عريض يشدّ به الرحل على البعير، ويقال للرجل المضطرب في أموره: إنّك لقلق الوضين.

٢ . صحيح مسلم: ٢٠٠٦/٤، ح٢٥٩٨؛ سنن أبي داود: ٢٧٧/٤، ح٤٩٠٧؛ المستدرك: ١١١/١، ح١٤٩.

٣ . سنن أبي داود: ٢٧٨/٤، ح٤٩٠٨؛ المعجم الصغير: ١٦١/٢، ح٩٥٧؛ كنز العمّال: ٣٣٧/٣، ح٨٩١٠.

٤ . مصنّف عبد الرزّاق: ٤٢٤/١١، ح٢٠٨٩٩؛ مسند أحمد: ٥٩/٥، ح٢٠٦١٠؛ سنن أبي داود: ٢٩٦/٤، ح٤٩٨٢.

٥ . مسند أحمد: ١٥/٥، ح٢٠١٨٧؛ سنن أبي داود: ٢٧٧/٤، ح٤٩٠٦.

٦ . مسند الشاميّين: ١٥/٤، ح٢٥٩٨؛ شعب الإيمان: ٣٠٠/٤ـ٣٠١، ح٥١٧٩؛ جامع الأحاديث: ٣٠٤/١١، ح٣٣٦٤٦.

وروي عن أبي الدرداء رضي الله عنه: «أنّهُ كَانَ مُضْطَجِعاً بَيْنَ أَصْحَابِهِ، وَثَوْبُهُ عَلَى وَجْهِهِ إذْ مَرَّ بِهِمْ قُسٌّ فَأَعْجَبَهُمْ سِمَنُهُ، فَقَالُوا: اللهُمَّ الْعَنْهُ، مَا أَعْظَمَهُ وَأَسْمَنَهُ، فَكَشَفَ الثَّوْبَ عَلى وَجْهِهِ، فَقَالَ: مَنْ الَّذِي لَعَنْتُمْ آنِفاً؟ فَقَالُوا: قُسّاً مَرَّ بِنَا، فَقَالَ: لا تَلْعَنُوا أَحَداً، فَإِنَّهُ لا يَنْبَغِي لِلَّعَّانِ أَنْ يَكُونَ عِنْدَ اللهِ [يَوْمَ الْقِيَامَةِ] صِدِّيقاً»[1].

وقال عليه السلام: «لَعْنُ الْمُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ»[2].

وفائدة الحديث النهي عن اللعنة، وأن يعوّد الإنسان لسانه لعن كلّ من يتأذّى به، فأمّا المؤمن فهو معرض لرحمة الله فكيف يلعن، ليت شعري، ولعلّ اللعنة تراجع على من يلعنه. وراوي الحديث أبو هريرة.

قوله صلى الله عليه وآله: لا يَنْبَغِي لِذِي الْوَجْهَيْنِ أَنْ يَكُونَ أَمِيناً عِنْدَ اللهِ تَعَالى

ذو الوجهين وذو اللسانين: كناية عن المنافق الذي يأتي هؤلاء فيقول بوجه ويأتي أولئك فيقول بوجه ولا يثبت على طريقة ولا يقول عن حقيقة، غرضه ترويج شغله من غير فكر في رضا الله تعالى وسخطه.

يقول صلى الله عليه وآله: من كان كذلك لم يكن عند الله أميناً بل يكون خائناً، وهذا كقوله عليه السلام: «مَنْ كَانَ ذَا لِسَانَيْنِ فِي الدُّنْيَا جُعِلَ لَهُ [يَوْمَ الْقِيَامَةِ] لِسَانَانِ مِنْ نَارٍ»[3].

ومعنى الحديث: ذو الوجهين ليست له أهليّة أن يكون عند الله تعالى أميناً.

قال: وكان سعيد بن أبي عُروبة يقول: لأن يكون لي نصف لسان ونصف وجه ــ على

---

١. الزهد لابن المبارك: ٢٣٨/١، ح٦٨٢؛ تاريخ مدينة دمشق: ١٨٧/٤٧.

٢. مصنّف عبد الرزّاق: ٤٨٢/٨، ح١٥٩٨٤؛ مسند أحمد: ٣٣/٤، ح١٦٤٣٢.

٣. قد تقدّم شرحه في ج١، ص٣٦٧؛ وراجع: الزهد لابن أبي عاصم: ١٠٩، ح٢١٤؛ مسند البزار: ٢١٩/١٣ــ٢٢٠، ح٦٦٩٩؛ مسند الشهاب: ٢٨٤/١، ح٣٢٢.

فيهما من قبيح المنظر وسوء المخبر فيهما ـ أحبّ إليه من أن أكون ذا وجهين وذا لسانين مختلفين.[1]

وقال لقمان لابنه: «يا بنيّ كن كالأب لليتيم وكالزوج للأرملة ولا تجف الغريب ولا تجالس السفيه ولا تخالط ذا الوجهين بتّةً».[2]

وقال الشاعر:

وَدَع اغتِيابَكَ لِلصَّديقِ فِإنَّهُ ... عَارَ عَلَيكَ يَعُودُ بِالمكرُوهِ

فَلَقَدْ رَويت كَما رَوَينا: أنَّ ذَا ... الوَجْهَين عِنْدَ اللهِ غَيرُ وَجيه[3]

٣٦٦

*وقال عليه السلام: «إنّ من شرّ الناس ذا الوجهين يأتي هؤلاء بشرّ وهؤلاء بشرّ»[4]، ويدخل في هؤلاء من يطلب الدنيا بعمل الآخرة.

وأنشد:

عدوٌّ راحَ في ثوبِ الصديقِ ... شريكٌ في الصبوحِ وفي الغُبوقِ

لهُ وجهان ظاهرهُ وصالٌ ... وباطنُه التمسّكُ بالعقوقِ

يسُرّكَ مُقبلاً ويسُوء سِرّاً ... كذاكَ يكونُ الوجهِ الصفيقِ[5]

وفائدة الحديث النهي عن النفاق وذمّ من يكون ذا وجهين. وراوي الحديث أبو هريرة.

قوله صلى الله عليه وآله: لا يَصْلُحُ المَلَقُ إلَّا لِلْوَالِدَيْنِ وَالإمَامِ العَادِلِ

المَلَق: الودّ واللطف الشديد والخشوع والتواضع، وقد ملِق يملَق مَلَقاً، والملق الذي يرى

---

١. البيان والتبيين: ٢٨٩؛ غرر الخصائص الواضحة: ٢١؛ وراجع:كنز الفوائد: ٢٨٨.

٢. البيان والتبيين: ٢٨٩.

٣. لم أقف على مصدره.

٤. في المصادر: «... بوجه وهؤلاء بوجه»، راجع: مسند أحمد: ٣٠٧/٢، ح٨٠٥٥؛ صحيح البخاري: ٢٦٢٦/٦، ح٦٧٥٧.

٥. قاله دعبل في أبي سعيد المخرومي، ديوانه: ١٠٨؛ وراجع: الأغاني: ١٨٦/٢٠؛ ثمار القلوب: ٢٦٧؛ تاريخ مدينة دمشق: ٢٧٣/١٧.

من المودّة فوق ما في قلبه.

يقول صلى الله عليه وآله: لا يصلح التواضع المفرط إلّا للوالدين، لأنّ لهما حقّ التربية وحقّ التعليم للخير والسعي في ذلك إلى غير ذلك من الحقوق أو للإمام العادل الذي له الأبوّة الدينيّة، ولذلك قرن ذكرهما بذكره فقال: «وَقَضى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلّا إِيَّاهُ وَبِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً» [١]، وقرن طاعة الإمام العادل بذكره وذكر رسوله فقال: «أَطيعُوا اللهَ وَأَطيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُم» [٢]، ففرض بذلك طاعة الإمام العادل كما فرض طاعته وطاعة رسوله عليه السلام.

وفائدة الحديث: أنّ الخضوع وغاية التواضع لا يصلحان إلّا للوالدين أو الإمام العادل.

وراوي الحديث الزهريّ، قال: قال رسول الله عليه السلام، وذكر الحديث. [٣]

قوله صلى الله عليه وآله: لا يَصْلُحُ الصَّنِيعَةُ إِلَّا عِنْدَ ذِي حَسَبٍ أَوْ دِينٍ كَمَا لا تَصْلُحُ الرِّيَاضَةُ إِلَّا فِي النَّجِيبِ

الصنيعة: المعروف تصطنعه إلى غيرك، وينبغي أن تتحرّى الجهة التي تضعها فيها حتّى لا تكون عابثاً. والحسب: ما يدخل الحساب إذا عدّت المناقب والمآثر، فكأنّ الحسب هو المحسوب كما أنّ العدد هو المعدود والنقض هو المنقوض، والحسب: الفعال الحسن للرجل وآبائه. وفي الحديث: «كرمُ الرَجُلِ دِينُه وحَسَبُه خلقُهُ» [٤]. وربّما يسمّى عدد ذوي القرابة حسباً.

يقول صلى الله عليه وآله: من حقّ الصنيعة أن يختار لها من تُوضع عنده مِن حسب أو دين ولا يُصنع بإيداعها غير أهلها.

وقال الشاعر:

---

١. الإسراء: ٢٣.

٢. النساء: ٥٩.

٣. راجع: مسند الشهاب: ٢/ ٥٤، ح ٨٧٠.

٤. مسند أحمد: ٢/ ٣٦٥، ح ٨٧٥٩؛ صحيح ابن حبّان: ٢/ ٢٣٣، ح ٤٨٣؛ مسند الشهاب: ١/ ١٤٣، ح ١٩٠.

إنّ الصـنيعةَ لا تـكونُ صَـنيعَةً حَتّى يصيبَ بِها سبيلُ المصنعِ
فـإذا أردتَ صَـنيعةً فـتوجّهاً للهِ أو لِذَوي القَـرابَـةِ أو دعِ[1]

والنجيب من الإبل: الكريم؛ والرياضة: التهذيب والتأديب.

٣٦٧ يقول عليه السلام: لا تصلح الصنيعة إلّا لذي أصل طاهر تحمله الأبوّة والفتوّة على *الشكر وتجنّب الغَمْط[2]، أو لذي دين يحمله على الشكر لها، وإذا لم يكن كذلك كان وضعاً للشيء في غير موضعه وظلماً على الصنيعة، وكما أنّ الرياضة لا يقبلها إلّا النجيب من الإبل، فكذلك أنّ الصنيعة لا تصلح إلّا لذي حسب أو لذي دين وتقوى.

وفائدة الحديث الأمر بوضع المعروف موضعه والنهي عن تصنّعه. وراوية الحديث عائشة.

قوله صلى الله عليه وآله: لا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ

يقول صلى الله عليه وآله: ليس لك أن تطيع مخلوقاً كائناً من كان فيما هو معصية لله تعالى.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وآله رجلاً من الأنصار على سريّة وأمرهم أن يطيعوه فلمّا خرج وجد عليهم في شيء فقال: أوليس قد أمركم رسول الله صلى الله عليه وآله أن تطيعوني؟ قالوا: بلى، قال: فأجمعوا حَطباً ثمّ دعا بنار فأضرمها، ثمّ قال: عزمت عليكم لتدخلنّها، قال: فهمّ القوم أن يدخلوها، فقال لهم شابّ: لا تعجلوا حتّى نأتي رسول الله صلى الله عليه وآله فذكروا ذلك له، فقال عليه السلام: لو دخلتموها ما خرجتم منها أبداً، إنّما الطاعة بالمعروف ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.[3]

---

١. قاله الهذيل الأشجعي، راجع: روضة العقلاء: ٢٥٤؛ معجم الشعراء: ١٤٣.

٢. احتقار النعمة وكفرانها.

٣. راجع: دعائم الإسلام: ١/٣٥٠؛ جامع أحاديث الشيعة: ٣١٢/١٧؛ وراجع: مسند ابن المبارك: ١٦٣، ح ٢٦٤؛ مسند ابن الجعد: ١٤٠، ح ٨٩٤؛ مسند أحمد: ٩٤/١، ح ٧٢٤.

قال أبو بكر محمّد بن إسحاق بن خزيمة: هذا الأمير هو عبد الله بن مجزر المدلجيّ وكانت فيه دعابة فلمّا همّ القوم بالدخول قال: اجلسوا فإنّما كنت ألعب.[١]

وفائدة الحديث إعلام أنّه ليس لمخلوق أن يعصي الله ليرضى مخلوقاً، فإن فعل فما أخسر صفقته. وراوي الحديث عمران بن الحصين.

قوله صلى الله عليه وآله: لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَبْدٌ لا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوائِقَهُ

فُسّروا «البوائق» بالظلم والغَشْم،[٢] وأصل البائقة: الداهية أيضاً، وانباقت عليهم وانباحت أي نزلت.

وفي الحديث: من كرامة المؤمن على الله أنّه لم يضرب له أجلاً معيّناً فإذا همّ ببائقة توفّاه.[٣] أو كما قال عليه السلام.

فيقول صلى الله عليه وآله: لا يدخل الجنّة من يؤذي جاره ويظلمه ويغشمه ويتعرّض له بالمكاره، وذلك أنّ حقّ الجوار صعب؛ ولذلك قال عليه السلام: «مَا زَالَ جَبْرَئِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى قلتُ لعلَّهُ يُوَرِّثُهُ».[٤]

---

١. راجع: المغازي للواقدي: ٣٧٤/٢؛ السيرة النبويّة: ٥٣/٦؛ في المصادر: «بعث رسول الله علقمة بن مُجَزِّر المدلجيّ، وهو أمّر عبد الله بن حذافة السهميّ على الجيش، وهو أمر الجيش بالدخول في النار؛ راجع: صحيح ابن حبّان: ٤٢١/١٠، ح٤٥٥٨.

٢. فسّره قتادة، راجع: صحاح اللغة: ١٤٥٢/٤.

٣. في عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٤٠/٢، ح٩٠: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يَا عَلِيُّ! مِنْ كَرَامَةِ الْمُؤْمِنِ عَلَى اللهِ أَنَّهُ لَمْ يَجْعَلْ لِأَجَلِهِ وَقْتاً حَتَّى يَهُمَّ بِبَائِقَةٍ فَإِذَا هَمَّ بِبَائِقَةٍ قَبَضَهُ إِلَيْهِ، قَالَ: وَقَالَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ عليه السلام: تَجَنَّبُوا الْبَوَائِقَ يُمَدَّ لَكُمْ فِي الْأَعْمَارِ»؛ وراجع: بحار الأنوار: ١٩/٦٥، ح٢٨؛ وراجع: الفردوس: ٣٣٣/٥، ح٨٣٥١.

٤. أماليّ الصدوق: ٥١٤؛ أماليّ الطوسي: ٥٢٠، ح١١٤٥؛ بحار الأنوار: ٩٤/٧١، ح٢٢؛ وراجع: مسند الحميدي: ٢٧٠/٢، ح٥٩٣؛ مسند أحمد: ٨٥/٢، ح٥٥٧٧.

وفائدة [الحديث] تعظيم حقّ الجوار والترهيب من أذى الجار. وراوي الحديث أنس بن مالك.

قوله صلى الله عليه وآله: لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَّاتٌ

قتّات أي نمّام، وقد قَتَّ الحديث يقُتّ، وحديث مقتوت أي كذب، والقتّات أيضاً بايع القتّ، ودهن مقتّت[١]: مطيّب.

يقول صلى الله عليه وآله: لا يدخل الجنّة نقّال، ينقل الحديث من هنا إلى ثمّ ليضرب بين الناس ❊ويغري بعضهم على بعض ويفسد بينهم ما دام مصرّاً على ذلك أو مستحلّاً له، فإن تاب والتوبة من ذلك صعبة وذلك لأنّه ينتهي أثر النميمة إلى ما لا يطيق عذابه وإن حملته على الكذب فإنّه ينتهي إلى حيث لا يُهتدى هو إليه فيقرّ بالكذب ويستغفر من الذنب، فلعلّ الله تعالى يغفر له، وما أغناه عن فعل يحتاج فيه إلى كلّ ذلك.

٣٦٨

وفائدة الحديث النهي عن تقتّت الحديث إذا بلغته على وجه النميمة والنقل الذي يؤدّي إلى إفساد ذات البين. وراوي الحديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه.

قوله صلى الله عليه وآله: لا يَحِلُّ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِماً

الروع والترويع: الإفزاع، يقال: رُعته وروّعته فارتاع وتروّع.

يقول صلى الله عليه وآله: لا يحلّ لمسلم أن يخوّف مسلماً هزلاً ولعباً وحقيقةً. قال: المسلم أعزّ عند الله تعالى من أن يُتلهّى به أو يقصد بالتخويف، وكم قد رأينا ممّن مات بتخويف غيره إيّاه أو سقم. وفائدة الحديث النهي عن إفزاع المسلم. وراوي الحديث أبو هريرة.

---

١. في خ: مقتّ.

قوله صلى الله عليه وآله: لا يَحِلُّ لامْرِئ أَنْ يَهجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاثٍ

قد تقدّم القول على هذا[١] ومعناه: لا يحلّ للمسلم أن يهاجر أخاه ويقاطعه أكثر من ثلاث ليال يعني ثلاثة أيّام بلياليهنّ، وقد تقدّم القول فيه، ويعني عليه السلام بذلك التهاجر الذي يقع فيما بين العشرة لاستزادة أو تقصير، دون ما يقع في الديانات فإنّ البتدع ينبغي أن يهجر إلى يوم القيامة إلّا أن يتوب ويرجع.

وفي الحديث: «تُفْتَحُ أَبْوَابُ السَّماءِ كُلَّ اثْنَيْنِ وَخَمِيسٍ، فَيَغْفِرُ اللهُ لِكُلِّ عَبْدٍ لا يُشْرِكُ بِاللهِ شيئاً، إلّا المُتَشَاحِنَيْنِ، يقولُ اللهُ تَعالى: دعوهما حَتَّى يَصْطَلِحَا»[٢].

وروى عن أبي العبّاس أحمد بن يحيى ثعلب قال: حضرت أبا عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن حنبل يروي عن أبيه عن ابن عيينة عن الزهريّ عن أنس عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: لا تقاطعوا ولا تهاجروا وكونوا عباد الله إخواناً لا يحلّ لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث. ثمّ قال: اكتب:

فلا تهجرني يا حبيبي ومهجتي ... وخافِ مليك الناس ذا المنّ والستر
فقد جاء لفظ عن رجال أتوا به ... وجاء به سفيان حقّاً عن الزهريّ
وأخبرني عن قوله غير واحد ... رووه بإسناد عن الحسن البصريّ
إذا هجر الإنسان فوق ثلاثة ... أخاه تولّى الله عنه إلى الحشر
فيهلك إلّا أن يراجع ما مضى ... ويجري على الحدّ الذي لم يكن يجري
فيا عاذلي في الحبّ لم تدر ما الهوى ... ولم تدر إذ لم تدر أنّك لا تدري[٣]

وفائدة الحديث النهي عن التهاجر والتقاطع. وراوي الحديث محمّد بن سعد عن أبيه.

---

١. تقدّم في ج٢، ص٥٩٢.

٢. مصنّف عبد الرزّاق: ٣١٤/٤، ح٧٩١٤؛ مسند أحمد: ٢٦٨/٢، ح٧٦٢٧؛ مسند أبي يعلى: ٣٨/١٢، ح٦٦٨٤.

٣. تاريخ مدينة دمشق: ٢٧٥/١١ـ٢٧٦؛ الازدهار في ما عقده الشعراء: ٩ـ١٠.

٣٦٩

قوله ﷺ: لا تَحِلُّ الصَّدَقَةُ لِغَنِيٍّ وَلا لِذِي مِرَّةٍ قَوِيّ

المرّة: القوّة، ورجل مرير[1] أي ذو مرّة.

يقول ﷺ: ليس للغنيّ أن يأخذ الصدقة تكثّراً ولا للقويّ الذي يقدر أن يعمل فيكتسب ببدنه، إنّما تحلّ للعاجز المسكين، والصدقة يجوز أن يكون الزكاة المفروضة في الأموال، ويجوز أن يكون الصدقة المتبرّع بها، وكلّ منهما حرام إلّا على المستحقّ المستوجب لها.

وروي [عن] النبيّ ﷺ: «لَا تَحِلُّ الصَّدَقَةُ [لِغَنِيٍّ] إِلَّا لِخَمْسَةٍ: غَازٍ فِي سَبِيلِ اللهِ، أَوْ لِعَامِلٍ عَلَيْهَا، أَوْ لِغَارِمٍ، أَوْ لِرَجُلٍ اشْتَرَاهَا بِمَالِهِ، أَوْ لِرَجُلٍ لَهُ جَارٌ مِسْكِينٌ فَتُصُدِّقَ عَلَى الْمِسْكِينِ فَأَهْدَى الْمِسْكِينُ لِلْغَنِيِّ»[2].

وروى حُبْشِيّ بن جُنادة قال: «سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ وَاقِفٌ بِعَرَفَةَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ، فَأَتَاهُ أَعْرَابِيٌّ فَأَخَذَ بِطَرَفِ رِدَائِهِ فَسَأَلَهُ إِيَّاهُ فَأَعْطَاهُ فَذَهَبَ بِهِ فَعِنْدَ ذَلِكَ حَرُمَتِ الْمَسْأَلَةُ، فَقَالَ ﷺ: لَا تَحِلُّ الصَّدَقَةُ لِغَنِيٍّ وَلَا لِذِي مِرَّةٍ قَوِيٍّ إِلَّا فِي فَقْرٍ مُدْقِعٍ أَوْ غُرْمٍ مُفْظِعٍ»[3].

وروي أنّ أعرابيّاً سأل رسول الله ﷺ فأعطاه دينارين وهو غنيّ، فقال عليه السلام: أمّا إنّ جمرتين في كفّه خير منهما، فقال عمر: فلم أعطيته يا رسول الله؟ قال عليه السلام: إنّ الله يأبى البخل.[4]

وفائدة الحديث إعلام تحريم الصدقة إلّا على المستحقّ. وراوي الحديث عبد الله بن

---

١. في خ: مِرَرٌ.

٢. مصنّف عبد الرزّاق: ٤/١٠٩، ح٧١٥١؛ مسند أحمد: ٣/٥٦، ح١١٥٥٥؛ سنن أبي داود: ٢/١١٩، ح١٦٣٥؛ المستدرك على الصحيحين: ١/٥٦٦، ح١٤٨٠.

٣. سنن الترمذي: ٣/٤٣، ح٦٥٣؛ المعجم الكبير: ٤/١٤، ح٣٥٠٤؛ كنز العمّال: ٦/٢٦٦، ح١٧١٣٥.

٤. نقل مضموناً، راجع: مسند أحمد: ٣/١٦، ح١١١٣٩؛ مسند أبي يعلى: ٢/٤٩٠، ح١٣٢؛ شعب الإيمان: ٦/٥١٩، ح٩١٢٨ و٩١٣٠؛ كنز العمّال: ٦/٢٦٤، ح١٧١٢٠ و١٧١٢١.

عمر، ورواه أبو هريرة: «بِذِي مِرَّةٍ سَوِيٍّ»[١]، والسويّ الذي لا عيب فيه من خرس أو شلل أو غير ذلك.

قوله صلّى الله عليه وآله: لَنْ يَهْلِكَ النَّاسُ حَتَّى يَعْذِرُوا مِنْ أَنْفُسِهِمْ

ورواية: «يُعذِروا» ذكر أبو عبيد القاسم بن سلام في هذا الحديث، قال: «معناه: حتّى تُكثر ذنوبهم وعيوبهم؛ ولا أدري[٢] أخذ هذا إلّا من العذر، أي يستوجبون العقوبة، فيكون لمن يعذبهم العذر في ذلك، وهو كالحديث الآخر: «لن يهلك على الله إلّا هالك»»[٣].

وقال أبو عبيدة معمّر بن المثنّى: أعذر فلان من نفسه وعذر من نفسه يعذِر: إذا أتى من نفسه. وقال غيره: عذَّر الرجل: إذا كثرت عيوبه وكذلك أعذر.

قلت: ويرجع محصول هذين إلى ما قال أبو عبيد، لأنّ عذره معناه جعله معذوراً فهو يعذر التعاقب، و«أعذر» إذا أقام عذراً، والمذنب يقيم عذر التعاقب؛ ويلوح لي فيه وجه آخر وهو أن يكون معناه: لن يهلكوا حتّى يعذروا فيما يرتكبون من الذنوب، فهم يذنبون ويقيمون لذنوبهم أعذاراً، ذات المعلّل الذي يقيم لجنايته عذراً ويظنّ أنّ عذره المنقول ينجيه من غائلة الجناية؛ وعلى هذا الوجه يكون «من» إمّا للتبعيض كأنّ المعنى: [٣٧٠] * يعذرون بعض جنايات أنفسهم أي يعذرون مرتكبيها، وإمّا زيادة والتقدير: حتّى يعذروا أنفسهم. وبئست الخلّة التي لا عاذر فيها إلّا أنت. قال الشاعر:

فَمَا حَسنٌ أَن يَعْذرَ الْمَرْءُ نَفسَهُ وَلَيْسَ لَهُ من سَائِرِ النَّاسِ عاذرُ[٤]

---

١. مسند الشهاب: ٢/٦١ـ٦٢، ح ٨٨٥؛ مصنّف ابن أبي شيبة: ٢/٤٢٤، ح ١٠٦٦٤.

٢. كذا في المصدر، وفي خ: أرى.

٣. غريب الحديث لابن سلام: ١/١٣١.

٤. قاله مضرس، درر السلوك في سياسة الملوك: ٨٤؛ تسهيل النظر: ١٣٤؛ التذكرة الحمدونيّة: ١/٤٠٠؛ ديوان الحماسة: ٢/٢٠؛ المزهر في علوم اللغة والأدب: ١/١٠٦؛ السحر الحلال: ٥٧.

وإذا رويت: «يُعذروا» فعلى هذا الوجه يكون المعنى: حتّى يقيموا أعذاراً من قبل أنفسهم. وفائدة الحديث إعلام أنّه لا يهلك الناس حتّى يستوجبوا مَركباً أي مسقفاً كأنّه أذنب مرّتين ويكون مُعذِبهم معذوراً، ولا يهلكون حتّى يعذروا أنفسهم ويوجّهوا لذنوبهم وجوهاً ويخرجوا لها معاذير وعللاً، وهذا أحد الذنب فيكون مركباً من حيث أذنب وادّعى أنّه لم يذنب. وراوي الحديث أبو البختريّ عن واحد عن النبيّ عليه السلام.

قوله صلى الله عليه وآله: لا يَسْتَقِيمُ إيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ وَلا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ

الاستقامة: لزوم المنهج القويم.

يقول صلى الله عليه وآله: لا يستقيم إيمان عبد حتّى يستقيم قلبه على التصديق، وذلك لأنّه لو قال ألف سنة: لا إله إلّا الله، لكان لَعقاً على اللسان حتّى يزاوجه[1] الرابطة القلبيّة، ولو صدق بقلبه ولم ينطق بلسانه لكان إيماناً؛ فاستقامة القلب التصديق، واستقامة اللسان أن لا يكذب، فاختلافه على حسب اختلاف الإضافة؛ والذي يدلّ على هذا التأويل قوله عليه السلام: «يُطْبَعُ الْمُؤْمِنُ عَلَى كُلِّ خُلُقٍ لَيْسَ الْخِيَانَةَ وَالْكَذِبَ»[2]، فحكم بأنّ المؤمن المخلص لا يكذب. فيقول صلى الله عليه وآله: لا يستقيم الإيمان حتّى يستقيم القلب بالتصديق حتّى يكون اللسان صدوقاً والإشارة إلى الإخلاص وكمال الدين، وإلّا فالكذب لا يبطل الإيمان بل يشينه.

وفائدة الحديث أنّ المؤمن مصدّق صدوق، وفيه تحذير من النفاق والكذب. وراوي الحديث أنس بن مالك.

---

١. في خ: يراوحه.

٢. مسند الشهاب: ٣٤٤/١، ح ٥٩٠؛ شعب الإيمان: ٢٠٧/٤، ح ٤٨١١؛ كنز العمّال: ١٨٨/٣، ح ٧٤٦٧.

قوله صلى الله عليه وآله: لا يُؤمِنُ عَبدٌ حَتّى يُحِبَّ لأخيهِ مَا يُحِبُّهُ لِنَفْسِهِ

يقول صلى الله عليه وآله: لا يكمل إيمان العبد حتّى يحبّ لإخوانه المؤمنين ما يحبّه لنفسه.

وروي: أنّه لا يبلغ درجة الكمال حتّى لو سمع أنّ مؤمناً شيكت رجله بالمغرب لظنّ أنّه هو المشوك.[١]

ولذلك قال عليه السلام: «الْمُؤْمِنُ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ»[٢].

وقال عليه السلام: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضاً»[٣].

وفائدة الحديث الأمر بإعزاز الأخ المؤمن والنظر له كما ينظر الرجل لنفسه. وراوي الحديث أنس بن مالك، قال: قال النبيّ* صلى الله عليه وآله: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ مِنَ الْخَيْرِ»[٤]. ٣٧١

قوله صلى الله عليه وآله: لا يَبْلُغُ الْعَبْدُ حَقِيقَةَ الإيمَانِ حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ

في هذا الحديث تثبت قضاء الله وقدره، ويعلم أنّ ما قضى الله ـ عزّ وعلا ـ أن يصل إلى العبد فهو واصل، وما منعه فهو ممتنع مخطئ إلّا أن يصدّه الله تعالى عنه أو يصيبه به، فإنّ بيده الحكم كما قال: «يَمْحُوا اللهُ ما يَشاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتابِ»[٥]؛ وهذا يختصّ ما هو من

---

١. لم أقف عليه.

٢. الزهد لابن المبارك: ٢٤١/١، ح٦٩٣؛ مصنّف ابن أبي شيبة: ٨٩/٧، ح٣٤٤١٦؛ مسند أحمد: ٣٤٠/٥، ح٢٢٩٢٨.

٣. الزهد لابن المبارك: ١١٨/١، ح٣٥٠؛ مسند الحميدي: ٣٤٠/٢، ح٧٧٢؛ مسند أحمد: ٤٠٤/٤، ح١٩٦٤٠.

٤. مسند أحمد: ٢٢٠٦/٣، ح١٣١٦٩؛ مسند الشهاب: ٦٣/٢، ح٨٨٨.

٥. الرعد: ٣٩.

فعل القديم ـ تبارك وتعالى ـ.

وفائدة الحديث الأمر بالإيمان بالقدر خيره وشرّه، ولعمري أنّه الحقّ والصدق. وراوي الحديث أبو الدرداء.

قوله ﷺ: لا يَسْتَكْمِلُ الْعَبْدُ الإيمَانَ حَتَّى يَكُونَ فِيهِ ثَلاثُ خِصَالٍ: الإنْفَاقُ مِنَ الإقْتَارِ، وَالإنْصَافُ مِنْ نَفْسِهِ، وَبَذْلُ السَّلامِ

الاستكمال: الاستتمام.

يقول ﷺ: لن يكمل إيمان عبد إلّا باستجماع هذه الخصال، ولا يريد بذلك عليه السلام أنّ الإيمان ناقص فيتمّ بهذه الخصال، بل هذه من الأوصاف اللازمة للإيمان، فكأنّها تتمّة، وإلّا فالإيمان هو التصديق، وما وراء ذلك وإن سمّي كمالاً فهو من الأوصاف التي هي له كالحلية واللباس والزينة؛ واختصّ هذه الثلاث لعظيم مكانها من الدين، أمّا الصدقة فإنّ الإنسان إذا لم تكن ذات يده واسعة فتصدّق بما يحتوي عليه يده وهو محتاج إليه كان أوقع لها وأعلى بمكانها، قال الله تعالى: «وَيُطْعِمُونَ الطَّعامَ عَلى حُبِّهِ»[١]، هذا إذا جعلت الضمير في «على حبّه» للطعام، وهو جهد من مقلّ، لا كمن له قناطير ممّا لا يحتاج إليه فيعطي منها قليلاً تافهاً لا يتأثّر فيه؛ وأمّا الإنصاف من نفسه فهو من أصعب الأشياء، لأنّ الهوى يغطّي على العقل، ولا يكاد المرء ينصف من نفسه إلّا من امتحن الله قلبه بالتقوى فيجاهد نفسه ويرضى صاحبه ويغلب شيطانه؛ وأمّا بذل السلام فلمكان أنّه من فرط التواضع وتأديب النفس وقهرها.

وفائدة الحديث الأمر بهذه الثلاث الخصال المحمودة. وراوي الحديث عمّار بن ياسر رضي الله عنه.

١ . الإنسان: ٨.

قوله صلى الله عليه وآله: لا يَسْتَكْمِلُ أَحَدُكُمْ حَقيقَةَ الإيمانِ حَتَّى يَخْزُنَ لِسَانَهُ

يقول صلى الله عليه وآله: لا يستقيم العبد حقيقة الإيمان حتّى يخزن لسانه عمّا لا يعنيه، ولا يتكلّم إلّا بالخير، ويتصوّن عن الخنا[1] واللغو.

وقال عليه السلام: «قُلْ خَيْراً تَغْنَمْ أَوِ اسْكُتْ تَسْلَمْ»[2].

٣٧٢ وهذه *أيضاً من حليّ المؤمن وزينته، وإلّا فالإيمان كما تقدّم هو التصديق.

وفائدة الحديث التحذير من اللغو والباطل وما نُهي عنه. وراوي الحديث أنس بن مالك.

قوله صلى الله عليه وآله: لا يَرحَمُ اللهُ مَنْ لا يَرحَمُ النَّاسَ

الرحمة من الله تعالى: الإحسان والإفضال والمغفرة، ومن الناس: الرقّة والتعطّف.

يقول صلى الله عليه وآله: لا يرحم الله تعالى القاسي القلب الذي لا يرقّ قلبه ولا يرحم.

فمضمون الحديث الحثّ على الرحمة والتعطّف والرقّة، كما قال عليه السلام: «إنّ الله تعالى يرحم الرحماء من أمّتي»[3]. وقال: «ارْحَمْ تُرْحَمْ»[4]. وقال عليه السلام: «[مَا] نُزِعَتِ[5] الرَّحْمَةُ إلّا مِنْ شَقِيٍّ»[6]. وذلك أنّ الغلظة والقساوة ليست من أخلاق المؤمنين وفيه وعيد للظلمة الذين يعتدون على

---

١ . الفحش في القول.

٢ . الزهد لابن المبارك: ١/١٢٥ـ١٢٦، ح ٣٧٠؛ الصمت وآداب اللسان: ٦٥، ح ٤٥؛ المعجم الكبير: ١٠/١٩٧، ح ١٠٤٤٦.

٣ . في الأحاديث: «إنّما يرحم الله من عباده الرحماء»؛ راجع: مصنّف عبد الرزّاق: ٣/٥٥٢، ح ٦٦٧٠؛ مسند أحمد: ٥/٢٠٤، ح ٢١٨٢٤.

٤ . السنّة لابن أبي عاصم: ١/٣٠٥، ح ٦٩٦؛ البصائر والذخائر: ٨/١٨٢؛ حلية الأولياء: ٣/٣٧٦.

٥ . زاد في حاشية خ : «قلت: كذا وجد، ولعلّه «ما نزعت الرحمة إلّا من شقيّ»، والله أعلم، وكتبه مالكه أبو محمّد».

٦ . مسند إسحاق: ١/٣٠٤، ح ٢٨٣؛ مسند أبي يعلى: ١٢/٧، ح ٦٦٥٢؛ المستدرك: ٤/٢٧٧، ح ٧٦٣٢.

عباد الله وينتهكون حرمتهم ويغصبون حقوقهم.

وفائدة الحديث الأمر بالرحمة والتحذير من القساوة. وراوي الحديث جرير رضي الله عنه .

قوله صلى الله عليه وآله : لا يَشْبعُ المؤمِنُ دُونَ جَارِهِ

هذا إخبار معناه النهي، فكأنّه يقول صلى الله عليه وآله : لا ينبغي للمؤمن أن يشبع وجاره المسكين إلى جنبه غرثان[1] فلا يواسيه ولا يرحمه بل يتفرّد بالمطاعم وكِبد[2] جاره يتلظّى جوعاً وضرّاً. يقول عليه السلام : ليس هذا من أخلاق المؤمنين.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : هيهات أن أبيت شبعان وحولي بطون غرثى. وتمثّل عليه السلام بقول الشاعر:

وحسبُكَ داءً أن تبيتَ ببطنَةٍ وحولَكَ أكبادٌ تَحِنُّ إلى القِدِّ[3]

وفائدة الحديث الأمر بمواساة الجيران ومراعاتهم بالإحسان. وراوي الحديث عمر بن الخطّاب.

قوله صلى الله عليه وآله : لا يَشْبَعُ عَالِمٌ مِنْ عِلْمٍ حَتَّى يَكُونَ مُنتَهَاهُ الجَنَّةَ

هذا كقوله: «كُلُّ صَاحِبِ عِلْمٍ غَرْثَانُ إلَى عِلْمٍ»[4]. فيقول صلى الله عليه وآله : لا يزال العالم يصبو[5] نفسه

---

١ . جائع.

٢ . جهاز عن الجنب الأيمن يفرز الصفراء.

٣ . راجع: نهج البلاغة: ٤١٨؛ بحار الأنوار: ٤٧٤/٣٣؛ وراجع: التذكرة الحمدونيّة: ٩٩/١؛ شرح نهج البلاغة: ١٧١/١٦.

٤ . مسند الشهاب: ١٥٠/١، ح ٢٠٥؛ الفردوس: ٢٦٢/٣، ح ٤٧٧٩.

٥ . يصبو إليه: يميل ويحنّ إليه.

إلى علم، ولا يزال علمه يتقاضاه العمل حتّى ينتهي به قَرَمُه[1] وحبّه للعلوم إلى الجنّة؛ على أنّ نفس العلم والاشتغال به طاعة على حدة، ويريد عليه‌السلام بذلك علوم الدين من المعرفة والفقه وعلوم القرآن والحديث ممّا سبيل إلى الخير دون العلوم التي لا فائدة في تحصيلها من علوم الهندسة والنجوم والسحر وغير ذلك، والعلوم متناصرة متعاونة، وبعضها يقتضي البعض؛ فكذلك لا يشبع العالم من العلم، فيجمع إلى علمه ما لا يعلمه ويعمل به ويعلّمه حتّى يصل بطلب العلم إلى الجنّة.

وفائدة الحديث إعلام أنّ العالم يشتاق نفسه إلى العلوم التي لا يحيط بها. وراوي الحديث أبو سعيد الخدريّ* رضي‌الله‌عنه.

٣٧٣

قوله صلى‌الله‌عليه‌وآله: لا يَزْدَادُ الأَمْرُ إِلَّا شِدَّةً وَلا الدُّنيَا إِلّا إِدْبَاراً وَلا النَّاسُ إِلَّا شُحّاً، وَلاتَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَى شِرَارِ النَّاسِ وَلا مَهْدِيَّ إِلَّا عِيسَى بن مَرْيَمَ

يجوز أن يعني عليه‌السلام بالأمر التكليف والديانة؛ يقول صلى‌الله‌عليه‌وآله: لا يزال التكليف بعدي يشتدّ، وكأنّه إشارة إلى الفتن التي كانت بعده عليه‌السلام وعليها إلى زماننا هذا من التغلّب والمحاربات والمغادرات والتنافس في الدنيا والتناجز[2] في الدنيا وسفك الدماء بغير حقّها، وحقيق من افتتن بالدنيا وأحوالها أن يضيق عنه حرام صلاحه في دينه، لأنّه لا يمكنه مع ذلك التوفّر على العبادة والفراغ للطاعة وطلب العلم والخير.

وقوله عليه‌السلام: «وَلَا الدُّنيَا إلّا إِدْبَاراً» إشارة إلى نقص الثمرات وتراجع الرَيْع[3]، وحقّ للظلمة والمتنافسين في الدنيا أن تُدبر عليهم ويتباعد عنهم ولا تزكو لهم، كما قال الله تعالى: «يَا دُنْيَا

---

١ . القَرَم في الأصل: شدّة شهوة اللحم حتّى لا يصبر عنه.

٢ . التبارز والتقاتل.

٣ . النماء والزيادة.

اخْدُمِي مَنْ خَدَمَنِي، وَأَتْعِبِي مَنْ خَدَمَكِ»[١]، فإدبارها تشتّتها على أصحابها وتنكّرها على أربابها وقلّة ريعها وارتفاع نمائها وبركتها.

وقوله عليه السلام: «وَلَا النَّاسُ إِلَّا شُحّاً» إشارة إلى حرصهم على الدنيا وتكالبهم عليها، وكلّما تأخّر عهدهم وبعد زمانهم عن النبيّ عليه السلام وعن أهل البيت عليهم السلام والصحابة والتابعين ـ رضوان الله عليهم ـ كان أشحّ لهم.

وقوله عليه السلام: «وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَى شِرَارِ النَّاسِ» إخبار[٢] بأنّ الذين تنقطع عليهم الدنيا شرّ الناس.

وقد ورد هذا شائعاً في الحديث كما قال عليه السلام: «الشَّقِيُّ كُلُّ الشَّقِيِّ مَنْ أَدْرَكَتْهُ السَّاعَةُ حَيّاً لَمْ يَمُتْ»[٣].

وقوله عليه السلام: «لَا مَهْدِيَّ إِلَّا عِيسَى بن مَرْيَمَ»، ليس المعنى به المهديّ الذي يقوم آخر الزمان فيملأ الأرض عدلاً، بل المعنى أنّ الهُدى هُدى عيسى بن مريم عليه السلام والطريقة طريقته والعيشة عيشته والقناعة قناعته؛

كما وصفه أمير المؤمنين عليه السلام: «وَلَقَدْ كَانَ يَتَوَسَّدُ الْحَجَرَ، وَيَلْبَسُ الْخَشِنَ، [وَيَأْكُلُ الْجَشِبَ] وَكَانَ إِدَامُهُ الْجُوعَ، وَسِرَاجُهُ بِاللَّيْلِ الْقَمَرَ، وَظِلَالُهُ فِي الشِّتَاءِ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا، وَفَاكِهَتُهُ وَرَيْحَانُهُ مَا تُنْبِتُ الْأَرْضُ لِلْبَهَائِمِ، وَلَمْ تَكُنْ لَهُ زَوْجَةٌ تَفْتِنُهُ وَلَا وَلَدٌ يَحْزُنُهُ وَلَا مَالٌ يَلْفِتُهُ وَلَا طَمَعٌ يُذِلُّهُ، دَابَّتُهُ رِجْلَاهُ وَخَادِمُهُ يَدَاهُ»[٤].

---

١. من لا يحضره الفقيه: ٣٦٣/٤؛ مكارم الأخلاق للطبرسي: ٤٣٩؛ وراجع: قوت القلوب: ٤٠٨/١؛ حلية الأولياء: ١٩٤/٣؛ مسند الشهاب: ٣٢٥/٢، ح ١٤٥٤.

٢. في خ: وإخبار.

٣. مسند الشهاب: ٢٠٧/١، ح ٣١٣؛ الفردوس: ٣٦٥/٢، ح ٣٦٣٠.

٤. نهج البلاغة: ٢٢٧؛ بحار الأنوار: ٢٣٨/١٤، ح ١٦؛ وراجع: ربيع الأبرار: ٣٤٢/٥؛ شرح نهج البلاغة: ١٣٥/٩.

وقال عليه السلام لنوف البِكاليّ: «يَا نَوْفُ! طُوبَى لِلزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا الرَّاغِبِينَ فِي الْآخِرَةِ! أُولَئِكَ قَوْمٌ اتَّخَذُوا الْأَرْضَ بِسَاطاً وَتُرَابَهَا فِرَاشاً وَمَاءَهَا طِيباً وَالْقُرْآنَ *شِعَاراً وَالدُّعَاءَ دِثَاراً، ثُمَّ قَرَضُوا الدُّنْيَا قَرْضاً عَلَى مِنْهَاجِ الْمَسِيحِ»[1]؛ ٣٧٤

وهذا أشبه بالأسلوب الذي شرع فيه صلى الله عليه وآله من ذكر الدنيا وذمّها وإدبار الدنيا والشحّ عليها، فهذا أشبه به من ذكر المهديّ وأنّه عيسى عليه السلام.

وكيف يكون مهديّ آخر الزمان عيسى عليه السلام!؟ وقد ورد عن النبيّ عليه السلام ذكره شائعاً ذائعاً، وروت الخاصّة والعامّة أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: «لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ وَاحِدٌ لَطَوَّلَ اللهُ تَعالى ذَلِكَ الْيَوْمَ حَتَّى يَخْرُجَ رجلٌ مِن أهلِ بَيْتي يَمْلَأُ الأرْضَ قِسْطاً وَعَدْلاً كَمَا مُلِئَتْ جَوْراً وَظُلْماً»[2].

وروى أبو داود في سننه بإسناده عن أمّ سلمة ـ رضي الله عنها ـ أنّها قالت: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الْمَهْدِيُّ مِنْ عِتْرَتِي مِنْ وَلَدِ فَاطِمَةَ عليها السلام»[3].

وروى أبو سعيد الخدريّ عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «الْمَهْدِيُّ أَجْلَى الْجَبْهَةِ أَقْنَى الْأَنْفِ»[4].

وعن أمّ سلمة ـ رضي الله عنها ـ في حديث المهديّ عليه السلام: «وَيَعْمَلُ فِي النَّاسِ [بِ]سُنَّةِ نَبِيِّهِ محمّد صلى الله عليه وآله وَيُلْقِي الْإِسْلَامُ بِجِرَانِهِ إلى الْأَرْضِ فَيَلْبَثُ سَبْعَ سِنِينَ ثُمَّ يُتَوَفَّى وَيُصَلِّي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ»[5].

وكسّر على[6] ذكره والأخبار التي ذكر فيها الشيخ أبو نُعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن

١. نهج البلاغة: ٤٨٦؛ خصال الصدوق: ٣٣٧، ح ٤٠؛ بحار الأنوار: ١٦/٤١، ح ٩؛ وراجع: التواضع والخمول: ٥٢؛ نثر الدرّ: ٢١٢/١؛ شعب الإيمان: ٣٧٢/٧، ح ١٠٦٢٥.

٢. الغيبة للطوسي: ١٨٠، ح ١٣٩؛ بحار الأنوار: ٧٤/٥١، ح ٢٦؛ وراجع: سنن أبي داود: ١٠٦/٤، ح ٤٢٨٢؛ المعجم الأوسط: ٥٥/٢، ح ١٢٣٢؛ كنز العمّال: ١١٩/١٤، ح ٣٨٦٧٦.

٣. سنن أبي داود: ١٠٧/٤، ح ٤٢٨٤.

٤. سنن أبي داود: ١٠٧/٤، ح ٤٢٨٥.

٥. سنن أبي داود: ١٠٧/٤، ح ٤٢٨٦.

٦. كسّر الكتاب على عدّة أبواب: قسّمه وجعله على عدّة أبواب.

إسحاق الأصفهانيّ كتاباً وسمّاه «نعوت المهديّ» رواه لنا أبو عليّ الحسن بن أحمد بن الحسن الحدّاد[1] عنه ـ رحمهما الله وإيّانا ـ ويعرف ذلك كلّه من نظر في علم الحديث، فلا يشكّ في أنّ المهديّ من ولد فاطمة عليها السلام خارج من قول صاحب الشرع، ولو لا خشية الإطالة لأوردت الروايات التي وردت وقول الأئمّة من أهل البيت عليهم السلام فيه، ولكنّ هذا الكتاب ليس بموضوع لذلك. فيقول صلى الله عليه وآله: لا هدى إلّا هديه.

فإن قيل: كيف يجوز أن يقال: لا هدى إلّا هدى عيسى عليه السلام وهدى غيره من الأنبياء عليهم السلام أيضاً على ما يرتضى.

فالجواب: أنّ هذا الكلام تخصيص لعيسى عليه السلام بالزهد والظَلْف[2] والقناعة وتفضيله، كقوله عليه السلام: «لا هَمَّ إلّا هَمُّ الدَّيْنِ، وَلا وَجَعَ إلّا وَجَعُ الْعَيْنِ»[3]، ونحن نعلم أنّ غيرهما همّ ووجع فهو على التخصيص؛ وكقوله عليه السلام: «لا صَلاةَ لِجَارِ الْمَسْجِدِ إلّا فِي الْمَسْجِدِ»[4]، ونحن نعلم أنّه لو صلّى مصلّي في بيت ما عاش وأتى بالأركان والفرائض لقبلت صلاته، ولكنّ المعنى تفضيل الصلاة في المسجد؛ وكذلك قوله عليه السلام: «لا سيف إلّا ذو الفقار ولا فتى إلّا عليّ»[5]، والحديث يشمل على تفضيل عيسى عليه السلام في الزهد وذلك لأنّه لم يكن له أهل ولا ولد ولا مال ولا دار ولا عقار *ولا شيء من الذخائر قطعاً، وهذه خلّة لم يشاركه فيها أحد فلذلك فضّل هداه على هدى الناس.

٣٧٥

وروي أنّه كانت له عليه السلام قصعة ومشط في بسيط الأرض كلّها، فنظر عليه السلام إلى إنسان

---

١. ولد سنة ٤١٩ هـ وتوفّي سنة ٥١٥ هـ، شيخ أصبهان؛ راجع: الأعلام: ١٨١/٢؛ سير أعلام النبلاء: ٤٨٦/١٩.

٢. المنع والكفّ.

٣. المعجم الأوسط: ١٥٤/٦، ح ٦٠٦٤؛ مسند الشهاب: ٤٥/٢، ح ٨٥٤.

٤. مصنّف عبد الرزّاق: ٤٩٧/١، ح ١٩١٥.

٥. نثر الدرّ: ٢٨٤/٦.

يشرب بيديه من النهر، فقال: معي قصعتي ورمى بالقصعة وإلى آخر يسرّح لحيته بأصابعه فرمى بالمشط، وقال: معي مشطي.[١]

وقد فسّر أبو نعيم الحافظ هذا الحديث بنحو ممّا فسّرناه والله الموفّق.[٢]

وروي في الحديث أنّه ينزل عيسى عليه السلام في زمان المهديّ عليه السلام فيدخل وقت الصلاة فيعرّض المهديّ على عيسى عليهما السلام التقدّم للصلاة، فيقول: لا، أنّ ديني منسوخ بك، تتقدّم أنت وأصلّي بصلاتك، فتقدّم المهديّ ويصلّي المسيح عليه السلام خلفه جماعةً.[٣]

وفائدة الحديث الإخبار بشدّة التكليف بعده وارتفاع البركات وشحّ الناس، والأمر باجتناب الدنيا وسلوك طريق المسيح عليه السلام. وراوي الحديث أنس بن مالك.

قوله صلى الله عليه وآله: لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقِلَّ الرِّجَالُ وَتَكثرَ النِّسَاءُ

«الساعة»: الوقت الحاضر، ويجمع ساعاً وساعات، والساعة: القيامة. يقول صلى الله عليه وآله: تكثر النساء عند القيامة كثرةً بيّنةً غالبةً فأمّا زيادتهنّ عدداً على الرجال فلا شكّ فيه، ومن اعتبر ذلك علم، قالوا: ولذلك رخّص للرجل الواحد في الزوج بأربع الحرائر والتسرّي بما شاء من الإماء. وفسّر الحديث على معناه: لا تقوم الساعة حتّى تصير النساء قَهَارِمة[٤] على الرجال، والرجال مرتسمين لمراسمهنّ تابعين لإرادتهنّ فيقلّ الرجال ويذلوا قصير الأزواج أناثاً والزوجات ذكوراً؛ وهذا كما ترى.

وفائدة الحديث الإخبار بأنّ النساء يكثرن عند القيامة فيزيد عددهنّ على عدد

---

١. لم أقف عليه.

٢. لم أقف عليه.

٣. راجع: الملاحم والفتن لابن طاوس: ٣٠١، ح ٤٢٢؛ الصراط المستقيم: ٢٥٧/٢؛ وراجع: الفتن لنعيم بن حمّاد: ٥٥٧/٢.

٤. جمع القهرمان.

الرجال، وذلك أيضاً ممّا يؤدّي إلى الفساد الصعب، فيكون من باب قوله عليه السلام : «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَى شِرَارِ النَّاسِ». وراوي الحديث أبو هريرة.

قوله صلى الله عليه وآله : لا يَسْتُرُ عَبْدٌ عَبْداً فِي الدُّنْيَا إلّا سَتَرَهُ اللهُ تَعالى يَوْمَ القِيَامَةِ

هذا الحديث يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون على ظاهره ويكون المعنى الستر من العُرى، كأنّه يقول صلى الله عليه وآله : لا يستر عبد عبداً فيكسوه ما يواريه من لباس يستر العورة إلّا ألبسه الله تعالى يوم القيامة ثياب الكرامة ولم يتركه في ذلك المشهود المشهور عرياناً.

والوجه الآخر: أن يكون معناه: لا يستر عبد في الدنيا على أخيه فضيحة من فضائح الدنيا أو عيباً من العيوب أو سرّاً من الأسرار التي لا يريد أن ينكشف مراعاةً لرضا الله تعالى إلّا ستر الله عليه *يوم القيامة، ويكون «على» مقدّرة في هذا الوجه فحذف وأصل الفعل وهو كثير شائع ؛ وكلا الوجهين جائز . ٣٧٦

وفائدة الحديث إعلام أنّ الله تعالى يستر العبد أو يستر عليه إذا ستر عبداً مؤمناً أو ستر عليه في الدنيا. وراوي الحديث أبو هريرة.

قوله صلى الله عليه وآله : لا خَيْرَ فِي صُحْبَةِ مَنْ لا يَرَى لَكَ مِنَ الحَقِّ مِثْلَ الّذي تَرَى لَهُ

يقول صلى الله عليه وآله : لا تصاحب من يتكبّر عليك فيرى حقّه عليك فرضاً واجباً ولا ترى لك عليه حقّاً، وإذا صاحبت فصاحب المؤمن الأمين المنصف الذي يزينك ولا يشينك ويراعى جانبك كما يراعى جانب نفسه، فإن لم يكن كذلك ففي تركه خير وفي بعده راحة.

وفي كلام لأمير المؤمنين عليه السلام: «عَلَيْكُمْ بِالْإِخْوَانِ فَإِنَّهُمْ عُدَّةُ الدُّنْيَا وَعُدَّةُ الْآخِرَةِ»[١].

ثمّ يقول فيه: إيّاكم ومؤاخاة الفاجر الأحمق والكذّاب، فإنّ الفاجر يزيّن فجوره لك ولا يعينك على دينك ودخوله وخروجه عار عليك، وأنّ الأحمق لا يشير بخير عليك ويضرّك من حيث يريد أن ينفعك وبُعده عنك خير من قربه منك، وأمّا الكذّاب لا يهنأ معه عيشك وينقل إلى غيرك حديثك كما ينقل حديث غيرك إليك ولا تأمن من وقوع العداوة من قبله بين الناس.[٢]

وفائدة الحديث الأمر باختيار الصاحب المرضيّ ومباعدة صاحب السوء. وراوي الحديث أنس بن مالك.

قوله صلى الله عليه وآله: لا تَذهَبُ حَبِيبَتَا عَبْدٍ فَيصبر ويحتسب إلَّا دَخَلَ الجَنَّةَ

الحبيبتان: العينان الباصرتان، والاحتساب: عدّ الأجر عند الله تعالى، يقال: احتسب فلان ابناً له، إذا اعتدّ به عند الله ـ عزّ وعلا ـ. وقال ابن دريد: احتسبتُ بكذا أجراً عند الله تعالى، والاسم الحِسبة وهي الأجر، والجمع الحِسَب[٣].

يقول صلى الله عليه وآله: لا تذهب عينا عبد مؤمن ثمّ يصبر ويحتسب إلّا دخل الجنّة. و«يحتسب» رفع ولا يجوز فيه النصب، لأنّه ليس بجواب النفي بل هو عطف فعل مثبت على فعل منفيّ.

وقال عليه السلام: «لَنْ يُبْتَلَى عَبْدٌ بِشَيْءٍ أَشَدَّ عَلَيْهِ مِن ذهابِ دينهِ، وَلَنْ يُبْتَلَى عَبْدٌ بِشَيْءٍ بَعْدَ ذهابِ دينِهِ أَشَدَّ عَلَيْهِ مِنْ ذهَابِ بَصَرِهِ، وَلَنْ يُبْتَلَى أحدٌ بِذَهَابِ بَصَرِهِ فيحتسبُ وَيَصْبِرَ إلّا

---

١. مشكاة الأنوار: ٣٢٩؛ مستدرك الوسائل: ٣٢٣/٨، ح٩٥٥٩؛ وراجع: إحياء علوم الدين: ١٦٠/٢؛ تفسير الثعلبي: ١١٦/١٣.

٢. نقله مضموناً، راجع: الكافي: ٣٧٦/٢، ح٦؛ بحار الأنوار: ٢٠٥/٧١، ح٤٣.

٣. راجع: صحاح اللغة: ١١٠/١.

لَقِيَ اللهَ ﷻ يومَ القيامةِ وَلَا ذَنْبَ لَهُ». [1]

وقال ﷺ: «إنّ الله ﷻ يقول: يا ابْنَ آدَمَ! إذَا أَخَذْتُ مِنْكَ كَرِيمَتَيْكَ فَصَبَرْتَ، وَاحْتَسَبْتَ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ الأولَى لَمْ أَرْضَ لَكَ ثَوَاباً دُونَ الْجَنَّةِ». [2]

وفائدة الحديث إعلام أنّ الله تعالى إذا سلب عبداً مؤمناً عينيه أباح له الجنّة. وراوي الحديث أبو هريرة.

٣٧٧ قوله ﷺ: لا يَبْلُغُ الْعَبْدُ أَنْ *يَكُونَ مِنَ الْمُتَّقِينَ حَتَّى يَدَعَ مَا لا بَأْسَ [بِهِ] حَذَراً لِمَا بِهِ البَأْسُ

يقول ﷺ: إنّ العبد لا يثبت اسمه في جريدة المتّقين حتّى يتصوّن ويحترز من بعض المباحات حذراً أن يقع في الشبهات، وما لم يفعل العبد ذلك لم يمكنه تجنّب الحرام، فإنّ من يرتع حَول الحمى يوشك أن يقع فيه؛ وأصل البأس: الشدّة، وقولهم: لا بأس بذلك، أي لا شدّة على من تسرّع فيه.

واختلفوا في هذه المسألة وأنّه هل يكون لتارك المباح في هذا الوجه ثواب أم لا؟

فقال بعضهم: إنّه لا ثواب له في ذلك لأنّ المباح ليس في فعله ولا تركه ثواب؛ والصحيح أنّه إذا تحرّى بذلك التصوّن وأن لا يصير المباح سلّماً وذريعةً في الحرام فهو مثاب بذلك نظراً إلى قصده واعتبار بغيته، ولذلك قيل: من أراد أن يتعطّل ويتبطّل فليلزم الرخص. [3]

---

١. مسند البزار: ١٠/ ٢٨٠ـ٢٨١، ح٤٣٨٨؛ تاريخ بغداد: ١/ ٣٩٤؛ الفردوس: ٤/ ١٢٢، ح٦٣٧٧؛ الترغيب والترهيب: ٤/ ١٥٥، ح٥٢٣٥؛ كنز العمّال: ٣/ ١١٢، ح٦٥٢٦.

٢. الأدب المفرد: ١٨٩، ح٥٣٥؛ المعجم الكبير: ٨/ ١٩١، ح٧٧٨٨؛ الفردوس: ٥/ ٢٣٣، ح٨٠٤٩؛ كنز العمّال: ٣/ ١١٣، حح٦٥٣٥ و٦٥٣٤.

٣. قاله إبراهيم بن شيبان، راجع: طبقات الصوفيّة: ٣٠٤؛ شعب الإيمان: ٢/ ٢٩٨، ح١٨٤٤؛ وراجع: سير أعلام النبلاء: ١٥/ ٣٩٢.

وفائدة الحديث الأمر بالتقوى. وراوي الحديث عطيّة السعديّ.

قوله صلى الله عليه وآله: لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ

لا شكّ أنّ الحقّ ليس بخارج من بين الأمّة التي ذكرها الله تعالى فجعلها خير أمّة. فيقول صلى الله عليه وآله: لا تزال طائفة من أمّتي ملتزمين الحقّ مغتنمين الصدق على كثرة الباطل وفُشُوّ[1] الفساد واتّباع الأهواء والبدع واستيلاء أهل الزيغ، فيحفظهم الله تعالى نصرةً لدينه وحفظاً لشريعته «لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ»[2]؛ و«أمر الله تعالى» في الحديث يعني به القيامة.

وفائدة الحديث الإخبار بدوام طائفة من الأمّة على الحقّ يرسخون عليه أقدامهم لا يزولون عنه ولا يميلون ولا ينحرفون إلى غيره. وراوي الحديث عمر بن الخطّاب.

قوله صلى الله عليه وآله: لا تَزَالُ نَفْسُ الرَّجُلِ مُعَلَّقَةٌ بِدَيْنِهِ حَتَّى يُقْضَى عَنْهُ

هذا الحديث يحتمل وجهين: أحدهما حقيقة والآخر مجاز؛ فالحقيقة أنّ أمر الدين صعب ومزاولته محنة، فلا بدّ من تعلّق القلب به ما دام الرجل في قيد الحياة، ولذلك قال عليه السلام: «الدَّيْنُ شَيْنُ الدِّينِ»[3]، وقال عليه السلام: «الدَّيْنُ هَمٌّ بِاللَّيْلِ وَمَذَلَّةٌ بِالنَّهَارِ»[4]، والمجاز أن يقدّر ذلك

---

١. فشا يفشو فُشُوّاً: انتشر وذاع.

٢. التوبة: ٣٣.

٣. مسند الشهاب: ٥٣/١، ح ٣١؛ الفردوس: ٢٢٧/٢، ح ٣٠٩٩؛ كنز العمّال: ٩٦/٦، ح ١٥٤٧٦.

٤. شعب الإيمان: ٤٠٤/٤، ح ٥٥٥٤؛ الفردوس: ٣٨٤/١، ح ١٥٤٤؛ كنز العمّال: ٩٦/٦، ح ١٥٤٧٩ و ١٥٤٨٣.

بعد الموت، فيقال: إنّه لو أمكنه بعد الموت أن يفكّر في أمر دينه لفكّر ولبقي قلبه معلّقاً حتّى يقضى عنه. ويحتمل أن يقال: إنّ روحه معلّقة بذلك مشغولة به مهمومة بسببه حتّى يقضى عنه؛ وكلاهما حسن.

٣٧٨ فيقولصلى الله عليه وآله: إنّ نفس الرجل مشغولة * بأمر دينه مترجّحة بين أن يقدر على قضائه أو يعجز وذمّته به مرهونة، فهو يخاف تبعة المظلمة إن لم يوفّه والفقر إن جعل طريفه أو تالِدَه[1] في وجه آدابه فقلبه متعلّق به؛ وظاهر اللفظ يقتضي أن يكون هذا التعلّق بعد المهات، لأنّه قالعليه السلام: «حتّى يقضى عنه» ولم يقل حتّى يقضيه.

وفائدة الحديث تعظيم أمر الدِين وصعوبة شغله. وراوي الحديث أبو هريرة.

قولهصلى الله عليه وآله: مَا يَزَالُ العَبْدُ فِي الصَّلاةِ مَا انْتَظَرَ الصَّلاةَ

يقولصلى الله عليه وآله: إنّ العبد إذا تطهّر وراقب الوقت وانتظر الصلاة كتب له صلاة المصلّين ما دام في الانتظار، وذلك أنّ هذا الانتظار عزم على الصلاة، والعزم هو الإرادة والمسابقة على الشيء، فهو وإن لم يكن في نفس الصلاة فإنّه فيما يتعلّق بها ويعدّ من أسبابها، فيكتب له ثوابها لمكان أنّ الإرادة فعل يثاب عليه.

وفائدة الحديث تعظيم أمر الصلاة، وإعلام أنّ في إرادتها الثواب الجزيل. وراوي الحديث أبو هريرة.

قولهصلى الله عليه وآله: لا تُظْهِرْ الشَّمَاتَةَ لأخِيك فَيُعَافِيَهُ اللهُ وَيَبْتَلِيَكَ

الشماتة: الفرح ببليّة العدوّ، ويقال: شمِت به يشمَت شَماتةً، ويقال: بات فلان بليلة الشوامت، أي بليلة تشمِت الشوامت. و«العافية»، دفاع الله تعالى عن العبد ما يكره، وتوضع موضع المصدر، يقال: عافاه الله عافيةً وأعفاه الله بمعنى، وأصل «عفو» الدُرُوس، يقول: عفا

١ . الطريف: الحديث المال، والتالِد: المال القديم الأصليّ الذي ولد عندك.

المنزل وعفته الريح، يتعدّي ولا يتعدّي، والعافية كأنّها من ذلك لأنّها كناية عن ذهاب ما يؤذي والعفو عن الذنب أيضاً يرجع إلى ذلك، كأنّه يدرس الذنب ويمحوه.

فيقول صلى الله عليه وآله: لا تشمت بأخيك المؤمن لضرّ ينزل به وبلاء يحيط به، فإنّ ذلك مجدرة يعافيه الله ويبتليك جزاءً للشماتة ودرجةً للمشموت به، وذلك لأنّ أحوال الدنيا بعرض التغيّر والتبدّل، فلا العافية تدوم ولا الشفاء يبقى، وهي دار بنيت على الزوال، والمنعم فيها مبتلى يخوف السلب، والمبتلى موعود بزوال الكرب، بل يجب على العاقل إذا نظر إلى المبتلى أن يشكر الله تعالى على عافيته ويواسي أخاه المسلم إن قدر على مواساته ويدعو له.

وفي الحديث: من نظر إلى مبتلى فقال: الحمد لله الذي عافاني ممّا ابتلى به غيري، عافاه الله من ذلك البلاء.[1]

وفائدة الحديث النهي عن الشماتة وإنذار بأنّ الشامت جدير بأن ينقلب البلاء عليه بسبب شماتته . *وراوي الحديث واثلة بن الأسقع ـ رحمة الله عليه ـ.

٣٧٩

قوله صلى الله عليه وآله: لا تَسُبُّوا الدَّهْرَ فَإِنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ

الدهر: اسم لمدّة العالم من أوّله إلى آخره، وربّما يستعار للمدّة الطويلة بخلاف الزمان، فإنّه يقع على القليل والكثير، وكان في العرب عُبّاد الأصنام وكان فيهم جماعة من أكابرهم ورؤوسهم يقولون بالدهر وأنزّه قلمي عن تعيينهم، فكانوا ينسبون ما يحدث بهم من أفعال الله تعالى من الأمراض والأسقام والموت إلى الدهر ويسبّونه، ويذكرون ذلك في أشعارهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ»، لمكان ما يحدث فإنّ الذي تسبّونه وتسمّونه الدهر هو الله تعالى، قال الله تعالى حاكياً عنهم: «ما هِيَ إِلّا حَياتُنَا الدُّنْيا نَمُوتُ وَنَحْيا وَما يُهْلِكُنا

---

١ . راجع: الكافي: ٩٧/٢، ح ٢٠؛ أماليّ الصدوق: ٣٣٩ـ٣٤٠، ح ٤٠٢؛ وراجع: مسند الطيالسي: ٤، ح ١٣؛ مصنّف عبد الرزّاق: ٤٤٥/١٠، ح ١٩٦٥٥؛ كنز العمّال: ٦٣/٢، ح ٣٥٠٩ إلى ٣٥١٢.

إلّا الدَّهْرُ»[١].

وفائدة الحديث النهي [عن] نسبة ما يحدث في الدهر من أفعال الله تعالى إلى الدهر . وراوي الحديث أبو قتادة.

قولهصلى الله عليه وآله: لا تَسُبُّوا السُّلْطَانَ فَإنَّهُ فَيْءُ اللهِ فِي أَرْضِهِ

الفيء: الظلّ بعد الزوال، ومعناه: فإنّه كالفيء يستذري[٢] به المظلوم والمضطرّ.

يقولصلى الله عليه وآله: إنّ السلطان يعني الإمام العادل والحاكم المنصف والوالي الديّن بمنزلة الظلّ المستراح إليه، فلا يستحقّ السبّ بل تجب طاعته وتتعيّن تباعته، وقد تقدّم شرح هذا الحديث في حديث آخر بأوفى وأبين من ذلك.

وروي عن النبيّصلى الله عليه وآله: إنّ السلطان عذاب الله أو عقابه فلا تستقبلوا عذاب الله أو عقابه بالسيف ولكن استقبلوه بالدعاء.[٣]

وقال أبو سليمان الخطّابيّ: «يعني استظلّوا بظلّهم ولا تشقوا العصا بالخروج عليهم»[٤].

وقال النبيّصلى الله عليه وآله: «إذَا أَحْسَنَ فَلَهُ الأَجْرُ وَعَلَيْكُمُ الشُّكْرُ، وَإذَا أَسَاءَ فَعَلَيْهِ الإصْرُ وَعَلَيْكُمُ الصَّبْرُ»[٥].

وفائدة الحديث الأمر بطاعة السلطان واحترامه. وراوي الحديث أبو عبيدة بن الجرّاح.

---

١. الجاثية: ٢٤

٢. استظلّ به، التجأ إليه.

٣. لم أجد نقله عن رسول اللهصلى الله عليه وآله، راجع: غريب الحديث لابن قتيبة: ٦٠٨/٢؛ الفائق: ١٩١/١؛ تاريخ مدينة دمشق: ١٧٧/١٢.

٤. غريب الحديث للخطابي: ٧٠٨/١.

٥. غريب الحديث للخطابي: ٧٠٨/١؛ الفائق: ٤٥/١؛ المستطرف: ١٩٨/١؛ وراجع: نوادر الأصول: ١٥٣/٤؛ شعب الإيمان: ١٦/٦، ح٧٣٦٩.

قولهﷺ: لا تَسُبُّوا الْأَمْوَاتَ فَتُؤْذُوا الْأَحْيَاءَ

يقولﷺ: لا تسبّوا الأموات فإنّه يؤذي أقرباءهم، والسبّ: الشتم الوجيع، ولا تطلب أكرم من النبيّﷺ ولا أحلم منه، أليس تأذّى من ذكر أبا لهب عنده بسوء فقالﷺ: «يكفر غير عمّي». وهذا حكم الأرحام المتواشجة والأعراق الممازجة.

وروي في سبب ذلك عكرمة بن أبي جهل المخزوميّ قدم المدينة فجعل الناس يقولون: ٣٨٠ *هذا ابن أبي جهل، فدخل على أمّ سلمة ـ رضي الله عنها ـ فأخبرها بذلك، وأخبرت النبيّﷺ، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: «أيّها الناس! لَا تَسُبُّوا الْأَمْوَاتَ فَتُؤْذُوا الْأَحْيَاءَ»[١].

وفائدة الحديث الأمر بالنهي عن سبّ الأموات، لأنّه شغل كلا شغل، وقد يتأذّى به الأحياء من قرابته. وراوي الحديث المغيرة بن شعبة.

قولهﷺ: لا تَسُبُّوا الْأَمْوَاتَ فَإِنَّهُمْ أَفْضَوْا إِلَى مَا قَدَّمُوا

ذكر أنّ السبّ أصله القطع فاستعير للشتم، وسبّه: أصاب سبّته، وأفضى إليه: وصل إليه بأسره، وأصله يرجع.

فيقولﷺ: ولا تسبّوا الأموات، فإنّهم قد قدموا على ما قدّموا، إن خيراً فخيراً وإن شرّاً فشرّاً، فما يعني السبّ.

وقد روي في حديث أنّه سمععليه السلام إنساناً يذكر ميّتاً بسوء فقال: عدّ عن ذي قبر.[٢]

ويجوز أن يكون ذلك كناية عن الدقّ في أنسابهم فإنّه يتجاوزهم إلى غيرهم، أو يعني بذلك المسلمين فأمّا الكفرة فإنّهم مسبوبون ملعونون. وعلى الجملة فالأولى بالمرء أن يشغله نفسه عن غيره وماذا يصنع بسبّ ميّت فإنّه إن كان مغفوراً له لم يضرّه ذلك وإن كان معاقباً فما يصير إليه شرّ من سبّه. ثمّ إنّ الميّت لا يسمع ذلك فتأذّى به ويكون ذلك شقاءً للشاتم،

---

١. راجع: المغازي للواقدي: ٢٧٧/٢؛ الاستيعاب: ١٠٨٢/٣؛ تاريخ مدينة دمشق: ٦٣/٤١.

٢. جمهرة اللغة: ١٢٨٧/٣؛ شرح صحيح البخاري: ٣٥٤/٣؛ شرح نهج البلاغة: ٣٩/١١.

فهل تبق هاهنا إلّا لغو وعبث ليس فيه غرض المثل.

وفائدة الحديث الأمر بحفظ اللسان والنهي عن شتم الموتى لكونه عبثاً ولما يتعقّب ذلك من المضرّات في الدنيا والعقاب في الآخرة. وراوية الحديث عائشة.

قوله صلى الله عليه وآله: لا يَرُدُّ الرَّجُلُ هَدِيَّةَ أَخِيهِ فَإِنْ وَجَدَ فَلْيُكَافِهِ

يقول صلى الله عليه وآله: لا يردّ الرجل هديّة أخيه المسلم لأنّ ذلك يورث الشحناء في الصدر إن كان من أقرانه والغمّ إن كان دونه، بل إن أراد أن لا يتطوّق بمنّته فليكافه بذلك، والأصل: فليكافئه وهو من قولك: كافأته أي كنت كفؤاً له، فحذف الهمزة تخفيفاً.

أراد صلى الله عليه وآله أن يدوم التواصل والتباذل فيما بين المؤمنين، وقد حثّ عليه بقوله عليه السلام: «تَهَادُوا، تَحَابُّوا»، وقوله، «تَهادوا فَإِنَّ الْهَدِيَّةَ تُذْهِبُ وَحَرَ الصُّدورِ»، وقوله عليه السلام: «تَهَادُوا تَزْدَادُ حُبّاً»[1].

وفائدة الحديث الأمر بقبول الهديّة إصلاحاً لذات البين والكافأة إن لم يرد المنّة على نفسه. وراوي الحديث الحسن البصريّ.

٣٨١

قوله صلى الله عليه وآله: لا تَمْسَحْ يَدَكَ *بِثَوْبِ مَنْ لا تَكْسُوهُ

ظاهر هذا الحديث أنّه عليه السلام يقول: لا تبتذل ثياب من لا تكسوه تمسح يدك بها[2]. وهذا مثل، [أي]: لا تسخّر إنساناً في عمل من غير أجرة تقع في مقابلة ما قاساه من حرّ[3] العمل؛ فأخرجه بهذه العبارة، وهي من أفصح الكنايات، وقد رأيت من يفسّره على أنّ معناه: لا تمسّ ثوب غيرك كما ينظر المستحسن للشيء فإنّه ربّما يظنّ أنّك ترغب فيه، ولعلّه لا تحتمل حاله أن يؤثرك به. وهذا كما ترى.

١. تقدّم شرح هذه الأحاديث في الجزء الأوّل من الكتاب.

٢. كذا في البحار، وفي خ: فيها.

٣. في البحار: حقّ.

وفائدة الحديث النهي عن تسخّر الناس وإيذائهم بالسخار والسخرة. وراوي الحديث أبو بكرة.

قولهﷺ: لا تُرَدّ السَّائِلَ وَلَوْ بِشقّ تَمْرَةٍ

ومعنى الحديث: لا تردّوا الذي أراق ماء وجهه بالسؤال ولو لم يكن إلّا بالقليل النَزْر[١] فإنّه خير من الردّ.

وقد قيل: ماشُ خير من لاش.[٢] وشقّ الشيء: نصفه.

وهذا كما قال عليه السلام لعائشة: «اتَّقِي النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَإِنْ لَمْ يكُنْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ»[٣].

وفي حديث آخر: «لا تَرُدُّوا السَّائِلَ وَلَوْ بِظِلْفٍ مُحْرَقٍ»[٤].

وفائدة الحديث الأمر بالمواساة وأن لا يردّ عنها استحقار بالمبذول. وراوية الحديث عائشة.

قولهﷺ: لا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ وَلا تَتَّبَعُوا عَوْرَاتِهِمْ

الغيبة: ذكر الإنسان بما فيه من عيب وهو غائب، وقد اغتابه يغتابه، والعورة: ما يكره الرجل أن يطّلع عليه ولذلك قيل للسوءة العورة، ويرجع الاشتقاق فيه إلى العار العيب.

فيقولﷺ: لا تذكروا الناس بظهر الغيب بما يرجع عليهم بالعيب، ولا تتّبعوا عوراتهم

---

١ . القليل التافه.

٢ . تهذيب اللغة: ٣٠٠/١١؛ يتيمة الدهر: ٣٣٢/٤؛ محاضرات الأدباء: ٧٥٤/٢؛ تاج العروس: ٣٩٢/١٧.

٣ . راجع: الزهد لابن المبارك: ٢٢٧/١، ح٦٤٤؛ مسند الطيالسي: ١٣٩، ح١٠٣٥؛ مسند أحمد: ٢٥٨/٤، ح١٨٢٩٧.

٤ . مصنّف عبد الرزّاق: ٩٤/١١، ح٢٠٠١٩؛ مسند أحمد: ٤٣٥/٦، ح٢٧٤٩١؛ وراجع: نوادر الراوندي: ٤؛ وسائل الشيعة: ٤١٩/٩، ح١٢٣٧٦.

متفحّصين عنها حتّى تعيبوهم بها وتظهروها للناس إزراءً[١] بهم وطعناً عليهم وقنعةً فيهم.

وفائدة الحديث النهي عن غيبة المسلمين وتتبّع عوراتهم. وراوي الحديث أبو بَرْزَة .

قوله صلى الله عليه وآله : لا تَخْرِقنّ عَلَى أَحَدٍ سِتْراً

هذا الحديث مثل الذي قبله؛ فيقول صلى الله عليه وآله : لا تخرقنّ ستر مسلم اقتداءً بالله تعالى، فإنّه ـ عزّ وعلا ـ عرف ذلك منه قبل معرفتك به، ولم يهتك ستره ولم يشهره على رؤوس الملائكة ستر عليه ولم يطّلع الناس على مساوئه ومقابحه.

وفائدة الحديث النهي عن فضح الناس وخرق الستر عنهم. وراوي الحديث أبو الدرداء، قال: «إنَّ رَجُلاً يُقَالُ لَهُ حَرْمَلَةُ أَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله فَقَالَ لَهُ: الإيمَانُ[٢] هَهُنا ـ وَأَشَارَ بِيَدِهِ إلَى لِسَانِهِ ـ وَالنِّفَاقُ هَهُنا ـ وَأَشَارَ بِيَدِهِ إلَى قَلْبِهِ ـ فَلا أَذْكُرُ اللهَ إلّا قَلِيلاً، فَقَالَ النبيُّ صلى الله عليه وآله : اللهُمَّ اجْعَلْ لَهُ *لِسَاناً ذَاكِراً وَقَلْباً شَاكِراً ... ، وَذَكَرَ حَدِيثاً طَوِيلاً [فِيهِ]: وَلا تَخْرِقَنَّ عَلَى أَحَدٍ سِتْراً»[٣].

٣٨٢

قوله صلى الله عليه وآله : لا تحقّرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئاً

نهى صلى الله عليه وآله أن يحقر الإنسان شيئاً من المعروف فيستصغره.

ولهذا الحديث وجهان: أحدهما: أنّه يقول عليه السلام : لا تحقرنّ معروفاً تولّيه غيرك فيمنعك استصغاره من إعطائه؛ والوجه الآخر: أنّه يقول عليه السلام : لا تستحقر معروفاً تولّاه وإن كان قليلاً فيكون غمطاً[٤] للنعمة وإزراءً بها.

وفائدة الحديث النهي عن استحقارك المعروف معطياً ومعطى. وراوي الحديث أبو جُرَيّ

---

١ . تهاوناً .

٢ . في خ: ألا أنّ .

٣ . المعجم الكبير: ٥/٤، ح ٣٤٧٥؛ مجمع الزوائد: ٤١٠/٩؛ مسند الشهاب: ٨٤/٢، ح ٩٣٤.

٤ . غمط النعمة: حقرها.

الهُجَيْمي، قال: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! إنّا قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ، تُعَلِّمُنا[1] عَمَلاً لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَنْفَعُنا بِهِ، قَالَ عليه السلام: لا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئاً»[2].

قوله صلى الله عليه وآله: لا تُوَاعِدْ أَخَاكَ مَوْعِداً فَتُخْلِفهُ

هذا كقوله عليه السلام: «الْعِدَةُ دَيْنٌ»[3]، وكقول أمير المؤمنين عليه السلام: «الْمَسْؤُولُ حُرٌّ حَتَّى يَعِدَ»[4].

يقول صلى الله عليه وآله: لا تواعد أخاك بما تبسط به أمله ثمّ تهجم به على اليأس البحت، فأقلّ ما في هذا الكذب وأعظم ما فيه الخيانة. وقوله عليه السلام: «أخاك»، معناه: لا تواعد مسلماً ثمّ تخلفه، ويعطي أنّه يجوز مع الكافر إذا أردت خِداعه في أمر من أمور الدين، والأحسن أن لا يكون ذلك أيضاً كذباً محضاً بل بالمعاريض؛ و«واعد» و«وعد» واحد، وقوله عليه السلام: «فتخلفه»، نصب بإضمار «أن» والتقدير: لا يكن منك وعد وإخلاف. وهذا في النهي مثل قوله في النفي:

لم أَلْقَ بعدَهُمُ حيّاً فأُخْبِرَهمْ إلّا يزيدُهمُ حُبّاً إليّ هُمُ[5]

وفائدة الحديث النهي عن إخلاف الوعد الذي يعده الرجل المؤمن. وراوي الحديث ابن عبّاس رضي الله عنه.

قوله صلى الله عليه وآله: لا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمْ [الْمَوْتَ] لِضُرٍّ نَزَلَ بِهِ

نهى صلى الله عليه وآله أن يتمنّى أحد الموت لسوء حال دفع إليه، والضرّ: الهُزال وسوء الحال، وذلك

---

١. كذا في المصدر، وفي خ: فعلّمنا.

٢. معرفة الصحابة: ٢٨٥٧/٥، ح ٦٧٣١؛ وراجع: الطبقات الكبرى: ٤٣/٧؛ مسند أحمد: ٦٣/٥، ح ٢٠٦٥٢؛ مسند الشهاب: ٨٥/٢، ح ٩٣٥.

٣. المعجم الأوسط: ٢٣/٤، ح ٣٥١٤؛ مسند الشهاب: ٤٠/١، ح ٧.

٤. نهج البلاغة: ٥٣٤، ح ٣٣٦؛ العدد القويّة: ٣٧؛ بحار الأنوار: ١١٣/٧٥، ح ٣٤١.

٥. راجع: شرح ديوان الحماسة: ٤٢٧/١؛ زهر الآداب: ٤٣٥/٢؛ ديوان الحماسة: ١٥٣/٢؛ خزانة الأدب: ٢٤٦/٥.

لأنّه إنّما يتمنّى ذلك صعوبة ما يقاسيه، والموت على الجملة أدهى وأمرّ ممّا هو فيه. ثمّ لعلّه لم يرتب أحوال آخرته فكيف يتمنّى الموت على غير أُهْبة[1] له، وما هو مدفوع إليه لعلّ مصلحته فيه، فإنّه إن كان مرضاً فقد أرصد[2] له العوض على الصبر عليه الثواب الدائم، وإن كانت مصيبةً فـ «أُولئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ»[3]، إذا صبروا ولم يجزعوا، وإن كان جوعاً فلمكان رغيفين يسدّ جوعته لا ينبغي أن يتمنّى الموت.

وفائدة الحديث النهي عن تمنّي الموت. وراوي الحديث أنس بن مالك.

٣٨٣ قوله صلّى الله عليه وآله: لا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ * إلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللهِ تَعالى

سوء الظنّ من أعظم الذنوب، وكيف يساء الظنّ ـ ليت شعري ـ بأرحم الراحمين الذي يتعاظمه أمر من الأمور، وإنّما يتصوّر ذلك في الآدميّين المحتاجين الذين ينقص أموالهم بالعطاء ويختلف بهم الأهواء.

وعن النبيّ صلّى الله عليه وآله: «إنَّ مِنْ حُسْنِ الظَّنِّ بِاللهِ حُسْنَ عِبَادَةِ اللهِ»[4].

وعن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللهِ، فَإِنَّ أقواماً أَسَاؤُوا ظنونَهُم بِاللهِ فأَسَاؤوا العملَ للهِ ثُمَّ تَلا هَذِهِ الآيةَ: «وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ» »[5].

وروي أنّ عيسى عليه السلام كان لا يزال متبسّماً منشرح الصدر ويحيى بن زكريّا عليهما السلام كان

---

١. عُدّة.

٢. أعدد.

٣. البقرة: ١٥٧.

٤. مسند أحمد: ٣٩٥/٢، ح ٨٦٩٤؛ كنز العمّال: ٥٨/٣، ح ٥٨٤٨.

٥. راجع: مسند أحمد: ٣٩٠/٣، ح ١٥٢٣٤؛ حسن الظنّ بالله: ١٩، ح ٤؛ فتح القدير: ٥١٣/٤.

يرى باكياً مستشعراً وكانا ابني خاله، فقال يحيى لعيسى عليهما السلام: كأنّك قد آمنت، فقال عيسى عليه السلام: كأنّك قد قنطت، فأوحى الله تعالى إليهما: خيركما أحسنكما ظنّاً بي. أو كما روي.[١]

وفائدة الحديث الأمر بحسن الظنّ بالله تعالى ورجاء المغفرة من غير أن يتّكل على ذلك، فإنّ القنوط من أصعب الذنوب. وراوي الحديث جابر بن عبد الله، قال: «سَمِعْتُ النبيَّ صلى الله عليه وآله يَقُولُ قَبْلَ مَوْتِهِ بِثَلَاثٍ: ألا لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللهِ تعالى»[٢].

قوله صلى الله عليه وآله: لا تَحَاسَدُوا وَلا تَنَاجَشُوا وَلا تَبَاغَضُوا وَلا تَدَابَرُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَاناً

الحسد: تمنّي زوال نعمة غيرك، والتحاسد تفاعل منه، والنجش: أن تُزايد في البيع ليقع غيرك وليس من حاجتك. وقال أبو بكر الأنباريّ فيما روي نهي عن النجش، قال: معناه: لا يمدح أحدكم السلعة ويزد في ثمنها وهو لا يريد شرائها ليسمعه غيره فيزيد، قال: وأصل النجش مدح الشيء وإطراؤه، وقال غيره: النجش تنفير الناس عن الشيء إلى غيره والأصل فيه تنفير الوحش من مكان إلى مكان.[٣] والغرض النبويّ في ذلك أن يسترخص الرجل المسلم السلعة.

ومثل ذلك ما روي من قوله عليه السلام: «لَا يَبِيعَ حَاضِرٌ لِبَادٍ، دَعُوا النَّاسَ يَرْزُقُ اللهُ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ»[٤].

---

١ . راجع: نثر الدرّ: ٥/٧؛ محاضرات الأدباء: ٤٢٢/٢؛ شرح نهج البلاغة: ٢٠٣/٦؛ المستطرف: ٥٠٤/٢.

٢ . مسند أحمد: ٢٩٣/٣، ح١٤١٥٧؛ صحيح مسلم: ٢٢٠٦/٤؛ مسند الشهاب: ٨٦/٢، ح٩٣٨.

٣ . راجع: شرح صحيح البخاري: ٢٧٠/٦؛ تفسير غريب ما في الصحيحين: ٢٨٦؛ تهذيب الأسماء: ٣٣٦/٣.

٤ . مسند الشافعي: ١٧٣؛ مسند أحمد: ٣٠٧/٣، ح ١٤٣٣٠؛ وراجع: الكافي: ١٦٨/٥؛ من لا يحضره الفقيه: ٢٧٣/٣، ح٣٩٨٨.

وروي عبد الله بن أبي أوفى قال: «النَّاجِشُ آكِلُ الرِّبَا»[١].

فيقولﷺ: لا تتحاسدوا ولا تتزايدوا في السوم من غير غرض ولا تتباغضوا فيبغض كلّ من اثنين صاحبه ولا تدابروا ولا تهاجروا ولا تقاطعوا.

وفائدة الحديث الأمر بما هو أجمع للآراء وأجلب للمودّات وينهى عن هذه الخصال المذمومة. وراوي الحديث أبو هريرة.

٣٨٤

قولهﷺ: لا تَكُونُوا عَيَّابِينَ وَلا مَدَّاحِينَ وَلا طَعَّانِينَ *وَلا مُتَماوِتِينَ

العيب والعاب والعَيْبة واحد، وقد عاب المتاع: صار ذا عيب يعاب، وعاب المتاع يتعدّي ولا يتعدّي، والمدح: الثناء الحسن، وقد مدحه وامتدحه؛ وطعنه بالرمح يطعُن ـ بالضمّ ـ، وطعن في الشيء يطعُن أيضاً وطعن فيه بالقول يطعَن ـ بفتح العين ـ طعناً وطعاناً، وطعن في الأرض يطعُن ويطعَن: إذا ذهب فيها؛ والتماوت: تكلّف الموت وهو إظهار الزهد والورع تكلّفاً.

فيقولﷺ: لا يعب بعضكم بعضاً غضّاً منه وطعناً لحرمته، ولا تكونوا مدّاحين يمدح بعضكم بعضاً كذباً وزوراً إبقاءً على غرض ومراقبةً لمقصود ولا يطعن بعضكم في بعض تعصّباً ومداحةً[٢]، ولا تظهروا الزهد من أنفسكم كذباً فإنّ المتزاهد كذّاب، وما يتعلّق بالله تعالى فالكذب فيه أصعب والمتعاطي له أعطب ومن الغضب الإلهيّ أقرب، وشرّ هذه الأربعة التماوت، فإنّ ذلك يكون حيلةً لحطام الدنيا حتّى يرحموه فيعطوه أو يعتمدوه فيستدعوه، وليت شعري ماذا يصنع بالودائع؛ وكيف يتقلّد ما لم يقلده الله تعالى، وهل هو إلّا الجشع

١. غريب الحديث لابن سلام: ٢/١٠؛ مصنّف ابن أبي شيبة: ٤/٤٥١، ح٢٢٠٣٣؛ صحيح البخاري: ٢/٩٥٠، ح٢٥٣٠؛ كنز العمّال: ٤/٣٢، ح٩٥٨٨؛ في المصادر: «الناجش آكل رباً خائن».

٢. كذا في خ، ولعلّ الصواب: حميّةً.

والحرص وطمع الخيانة والخيس[1] بالأمانة أعاذنا الله من ذلك؛ وليت شعري ماذا يصنع الناس إذا كنت زاهداً يعبدونك فلست لذلك بأهل أو يبايعونك فأنت معدن كلّ جهل؛ وهل ورد بذلك أثر عن نبيّ أو صديق؛ فإنّ نبيّنا صلى الله عليه وآله كان أزهد الناس وكان يمزح ولا يقول إلّا حقّاً وكان لا يزال متبسّماً؛ وكان أمير المؤمنين عليه السلام بلغ من حسن الخلق إلى حدّ عابوه بذلك وقالوا: «هو دعب لعب»، وقالوا: هو «تلعابة»[2]، وذلك لطيب أخلاقه وطهارة أعراقه وكذلك أولاده الطاهرون عليهم السلام ؛ وكان إبن عبّاس يمزح ويتجاوز الحدّ، وهو حبر الأمّة وترجمان القرآن.

وروي أنّ عائشة نظرت إلى رجل من القرّاء فرأت ما به من التخافت فقالت: ما هٰذا؟ قالوا: هو رجل من القرّاء فقالت: كان عمر سيّد القرّاء وكان إذا مشى أسرع وإذا ضرب أوجع وإذا قال أسمع.[3] وكذلك سائر الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ.

وقال سعيد بن عبد الرحمن الزبيديّ: يعجبني من القرّاء كلّ سهل طلق مِضْحاك، فأمّا من تلقاه ببشر ويلقاك بعبوس يمنّ عليك بعمله، فلا أكثر الله في المسلمين مثله.[4]

ونظر عمر إلى رجل يمشي مطأطئاً رأسه فقال: ارفع رأسك فليس الإسلام بمريض.[5]

٣٨٥

ورأى ابن عمر رجلاً ساقطاً في طريق مكّة فسأل *عنه فقالوا: هذا رجل إذا سمع الشيء من ذكر الله تعالى خرّ ساقطاً من خشية الله تعالى، فقال ابن عمر: إنّا نخشى الله وما نسقط.[6]

---

١ . النقص والخلف.

٢ . راجع: فضائل الصحابة: ٥٧٦/٢؛ المعرفة والتاريخ: ١٠١.

٣ . راجع: نثر الدرّ: ١٤/٤؛ النهاية: ٣٧٠/٣.

٤ . مداراة الناس: ٦٥؛ روضة العقلاء: ٧٦؛ التدوين في أخبار قزوين: ٣٣١/٣.

٥ . النهاية: ٣٧٠/٣؛ لسان العرب: ٩٤/٢؛ طأطأ الرأس: خفضه.

٦ . شرح صحيح البخاري: ٢٨٢/١٠؛ وراجع: الزهد لابن الحنبل: ١٩٣؛ حلية الأولياء: ٣١٢/١.

وسئل إسرائيل عن القوم الذين يصعقون إذا سمعوا القرآن فقال: ذاك من فعل الخوارج.[١]

وذكر لعائشة أنّ قوماً يسمعون القرآن فيصعقون فقالت: القرآن أكرم من أن يترف[٢] منه قلوب[٣] الرجال، ولكنّ كما قال الله تعالى: «مَثانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إلى ذِكْرِ اللهِ»[٤].[٥]

وذكر لبعض السلف: أنّ جماعةً من القرّاء يصعقون عند قراءة القرآن فيتخبّطون فقال: اجلسوهم على جدار عال واقرؤوا لهم فإن صعقوا فهو حقّ.[٦]

وفائدة الحديث النهي عن هذه الأفعال الذميمة من الوقيعة في الناس والمدح لهم تصنّعاً والطعن فيهم وفي أنسابهم والتزاهد. وراوي الحديث مكحول.

قولهﷺ: لا تُعْجِبُوا بِعَمَلِ عَامِلٍ حَتَّى تَنْظُرُوا بِمَ خُتِمَ[٧] لَهُ

يقال: أعجب فلان بكذا فهو معجب به: إذا استكبر ووجده عجيباً في فنّه، والاسم منه العُجب.

يقولﷺ: لا تستكبروا عمل عامل ولا تتعجّبوا منه حتّى تنظروا إلى خاتمته، فإنّ الإنسان ملول بينا[٨] تراه ناسكاً عاد فاسقاً وبينا يمس صالحاً أصبح طالحاً وبالعكس منه،

---

١. فضائل القرآن لابن سلام: ٣٤٢/١؛ الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية: ١٩٩/٣ـ٢٠٠، ح١٥٣؛ الاعتصام: ٢٧٦/١.

٢. يطغى.

٣. في المصادر: عقول.

٤. الزمر: ٢٣.

٥. راجع: شرح صحيح البخاري: ٢٨٢/١٠؛ وراجع: فضائل القرآن لابن سلام: ٣٤١/١؛ الاعتصام: ٢٧٦/١.

٦. شرح صحيح البخاري: ٢٨٣/١٠؛ وراجع: فضائل القرآن: ٣٤٣/١؛ الإبانة: ٢٠٠/٣، ح ١٥٤؛ الاعتصام: ٢٧٧/١.

٧. في الشهاب وأكثر المصادر: يختم.

٨. بينما.

فلا يعجبكم عمله حتّى تنظروا إلى العمل الذي يخرج عليه من الدنيا، فهو الذي يقع به الاعتبار ويستحقّ به الجنّة أو النار.

ولهذا جاء في الدعاء: «اللهُمَّ اجْعَلْ خَيْرَ عُمْرِي آخرَهُ، وَخَيْرَ أَيَّامِي يَوْمَ أَلْقَاكَ واجعَلْ خَواتِيمَ أعْمَالي رِضْوَانَكَ»[1].

وفائدة الحديث إعلام أنّ الاعتبار بالعمل الذي يختم به لا الذي يتداوله فيقلع عنه. وراوي الحديث أبو أمامة الباهليّ رحمة الله عليه.

قوله ﷺ: لا يُعْجِبَنَّكُمْ إسْلامُ رَجُلٍ حَتَّى تَعْلَمُوا كُنْهَ عَقْلِهِ

كنه الشيء: نهايته، ويقال: أعرفه كنه المعرفة، ويقال: وقت الأمر: كنهه[2] أيضاً، ولم يشتقّ منه فعل، ويقال: هذا أمر لا يكنهه الوصف كلمة مولّدة.[3] والعقل: مجموع [علوم] ضروريّةً إذا أعطاها الله إنساناً سمّي عاقلاً.

يقول ﷺ: لا تتعجّبوا من إسلام رجل وعبادته ونسكه وتقرّبه حتّى تعلموا غاية عقله فإن كان عن عقل وبصيرة ومعرفة فذاك، وإن كان عادةً تعوّدها وسجيّةً ارتضخها[4] من أبويه أو معلّمه أو أهل بلده من غير نظر وفكر وتمييز فلا تعتدّوا به.

٣٨٦ وفائدة الحديث أنّ الإسلام واعتقاد الصانع وصفات جلاله *ما لا يهتدى إليه إلّا بالعقل السليم والنظر القويم، ولا يكاد يحصل بالتبخيت. وراوي الحديث عبد الله بن عمر.

---

١. مصنّف ابن أبي شيبة: ٦٥/٦، ح ٢٩٥١٠؛ المعجم الأوسط: ١٧٢/٩، ح٩٤٤٨؛ جامع الأحاديث: ١٥٤/١٣، ح٥٣٣؛ وراجع: إقبال الأعمال: ٢١٦/٢؛ بحار الأنوار: ٧٤/٨٨.

٢. في خ: الوقت الأمر كنه.

٣. في خ: مؤكدة.

٤. الرضخة: الشيء اليسير تسمعه من الخبر من غير أن تستبينه.

قوله ﷺ: لا تَجْعَلُونِي كَقَدَحِ الرَّاكِبِ

هذه من أفصح الكنايات عن الأمر بذكره ﷺ والاستشفاع به إلى الله تعالى في الحاجات العارضة؛ فيقول ﷺ: استفتحوا بذكري والصلاة عليّ في أوّل كلّ أمر له بال، وتبرّكوا باسمي، واجعلوني شفيعاً إلى الله تعالى في جميع حوائجكم، ولا تؤخّروني كالقدح الذي يعلقه الراكب في آخر رحله فيما يلي ظهره عند الفراغ من كلّ شيء قلّة التفات بذكري والاستغناء عنّي، فإنّي الذي يستنجح[1] الحاجات بذكري ويستجاب الدعوات باسمي.

وذكر «القدح» معروف في كلامهم. قال حسّان:

وَأَنْتَ دَعِيٌّ نِيطَ مِنْ آلِ هَاشِمٍ كما نِيطَ خَلْفَ الرَّاكِبِ القَدَحُ الفَرْدُ[2]

وروي هذا التفسير في الحديث وهو أنّ الإنسان إذا نزل ملأ قدحه وتركه فإن احتاج إليه وإلّا هراقه عند الفراغ من جميع أموره وعلّقه أو كما قال.[3]

وفائدة الحديث الأمر بذكره والافتتاح باسمه والصلاة أوّل كلّ شغل. وراوي الحديث جابر بن عبد الله، قال: فقيل له عليه السلام: «وَمَا قَدَحُ الرَّاكِبِ؟ فَقَالَ ﷺ: إنَّ الرَّجُلَ لَيَرْفَعُ مَتَاعَهُ عَلَى رَاحِلَتِهِ، فَيَبْقَى فِي قَدَحِهِ مَاءٌ، فَيُعِيدُهُ فِي إدَاوَتِهِ، قَالَ: اجْعَلُونِي [فِي] أَوَّلِ الحَدِيثِ وَأَوْسَطِهِ وَآخِرِهِ».[4]

قوله ﷺ: لا يَمْنَعَنَّ أَحَدُكُمْ مَهَابَةَ النَّاسِ أَنْ يَقُومَ بِالحَقِّ إِذَا عَلِمَهُ

يقول ﷺ: ولا يمنعنّ أحدكم إذا علم الحقّ في قول أو فعل أن يقوم به فيقوله ويفصح عنه

---

١ . يتنجّز.

٢ . جمهرة أشعار العرب: ٢٦؛ الأغاني: ١٤٨/٤؛ شرح ديوان الحماسة: ١٥٣/١؛ ديوان حسّان بن ثابت: ٩٧.

٣ . راجع: مصنّف عبد الرزّاق: ٢١٥/٢، ح٣١١٧؛ مسند عبد بن حميد: ٣٤، ح١١٣٢.

٤ . راجع: مسند الشهاب: ٨٩/٢، ح٩٤٤؛ الفردوس: ٥٧/٥ ـ ٥٨، ح٧٤٥٢.

ويفعله مراعاة الناس، ولا [يلوم] أحدكم في ذات الله لومة لائم فإنّ الله تعالى أحقّ أن يراعى جانبه ويلزم أمره ونهيه فيؤمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويقبض على يد الظالم ويظافر[١] مع المظلوم حتّى ينتصف له.

وفائدة الحديث الأمر بإقامة الحقّ من غير مراعاة جانب[٢] الناس إلّا أن يخاف على نفس أو مال. وراوي الحديث أبو سعيد الخدريّ، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله ذلك في خطبة له عليه السلام.[٣]

قوله صلّى الله عليه وآله: لا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ فَإِنَّ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ

قال ذلك صلّى الله عليه وآله لأنّ الشهوات أدعى في الخلوات والحياء أقلّ إذا لم يطّلع عليه آدميّ، ولو أنصف نفسه ونظر فعلم أنّ ربّ الأرباب مطّلع عليه وكذلك ملائكته المقرّبون والكرام [٣٨٧] ※الكاتبون شاهدون عليه مشاهدة لأحواله لكان أزجر له وأردع، ولكنّ أبَتِ الشهوة أن تبصر أو تسمع؛ فيقول عليه السلام: لا يخلونّ رجل بامرأة، فإنّه ما لم يخل بها كان أبعد من وقوع المعصية منه وأقعد عن تقاضي الشهوة.

[و]في كلام لهم: أنّ من العصمة أن لا تجد.[٤] وإذا خلا بها وكلّمته وأجابها واستولى الشيطان عليه مع الشهوة الغالبة وتظاهرا على عقله المانع كان أقرب من وقوع المعصية وحصول الفضيحة.

وعن مسروق قال: قال إبليس: ثلاث أباشرهنّ بنفسي لا أكِلهنّ إلى شيطان: لا يخلو

---

١. كذا في خ، ولكن لم أجد «ظفر» على وزن مظافرة في اللغة؛ ولعلّ الصواب: وتظافر.

٢. في خ: تجانب.

٣. مسند الشهاب: ٨٩/٢، ح ٥٩٤؛ وراجع: مسند أبي يعلى: ٣٥٣/٢، ح ١١٠١؛ مسند الطيالسي: ٢٨٦، ح٢١٥٦؛ مسند أحمد: ١٩/٣، ح ١١١٥٩.

٤. راجع: محاضرات الأدباء: ٥٩٩/١؛ المدخل: ١٩١.

رجل بامرأة إلّا دعا كلّ إرب منها إرباً منه، ولا يكون حكم بين اثنين إلّا كان صغوي[١] مع الظالم حتّى أستنزل الحاكم، ولا يكون بين اثنين شيء إلّا دخلت في مناخرهما؛ فقال الله تعالى: وعزّتي وجلالي لا يفعل ذلك أحد منهم ثمّ يستغفر لي إلّا غفرت له. قال: فرَنّ إبليس رَنّةً قال: ما صنع بي بعد اللعن شيئاً أشدّ من هذا.[٢]

وقال بكر بن خنيس لمّا خلقت المرأة نظر إليها إبليس فقال: أنت سؤلي وموضع سرّي ونصف جندي وسهمي الذي أرمي به فلا أخطئ.[٣]

وإذا خاصمت المرأة زوجها في البيت قام في كلّ زاوية من زوايا البيت شيطان يصفّق ويقول: فرّح الله من فرّحني، حتّى إذا اصطلحا خرجوا عمياناً ينادون ويقولون: أذهب الله نور من أذهب بنورنا[٤].

وقال خالد بن معدان: «إنّ عرش الرحمن يهتزّ عند افتراق الزوجين»[٥] ويقال: «إنّ فرحة إبليس إذا فرّق بين المتحابّين في الله كفرحته حين أخرج آدم من الجنّة»[٦].

وفائدة الحديث النهي عن الخلوة مع النساء فإنّها لا تقضي إلى الصواب. وراوي الحديث عمر بن الخطّاب، قال: كان هذا الكلام في خطبة له صلّى الله عليه وآله.[٧]

قوله صلّى الله عليه وآله: لا تُرْضِيَنَّ أَحَداً بِسَخَطِ اللهِ، وَلا تَحْمَدَنَّ أَحَداً

١ . ميلي.

٢ . لم أقف على مصدره.

٣ . راجع: نوادر الأصول: ٢٢/٣؛ البصائر والذخائر: ١٢٨/١؛ آكام المرجان: ٢٢٧.

٤ . راجع: الفردوس: ٢٣٧/٤، ح ٦٧١٢؛ تنزيه الشريعة: ٢١٧/٢، ح ٦٨.

٥ . لم أقف على مصدره، راجع: تفسير الثعلبي: ٣٣٣/٩؛ الفردوس: ٥١/٢؛ وراجع: مكارم الأخلاق للطبرسي: ١٩٧.

٦ . راجع: مساوئ الأخلاق للخرائطي: ٢٤٢/١؛ اعتلال القلوب: ١٨٤/٢.

٧ . مسند أحمد: ٢٦/١، ح ١٧٧؛ سنن الترمذي: ٤٦٥/٤، ح ٢١٦٥؛ مسند الشهاب: ٩٠/٢، ح ٩٤٦.

عَلَى فَضْلِ اللهِ، وَلا تَذُمَّنَّ أَحَداً عَلَى مَا لَمْ يُؤْتِكَ اللهُ، فَإِنَّ رِزْقَ اللهِ لا يَسُوقُهُ إِلَيْكَ حِرْصُ حَرِيصٍ، وَلا يَرُدُّهُ عَنْكَ كَرَاهِيَّةُ كَارِهٍ

هذه مكارم الأخلاق يعلّمها صلى الله عليه وآله الناس؛

فيقول عليه السلام: لم يبلغ قدر أحد أن يتحرّى رضاه بسخط المنعم الذي منه أصول النعم من الحياة والقدرة والعلم والشهوة والتوفيق ونصب الأدلّة والإمهال إلى غير ذلك من النعم، كما قال: «وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لا تُحْصُوها»[1]، لمكان رضا مخلوق مثلك لا يقدر على موت ولا حياة، تقتله الشَرْقَة[2] وتميته الغصّة، لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرّاً فضلاً *عن غيره، فلا والله لا يرخّص العقل ولا يفتي بجواز ذلك، لكنّ البصائر كَمَهٌ والأسماع صُمّ والقلوب غلف. [٣٨٨]

ثمّ يقول عليه السلام: «وَلا تَحْمَدَنَّ أَحَداً عَلَى فَضْلِ اللهِ» الواصل إليك، فإنّه وإن وصل على يده فهو كالسبب والحمّال الذي يحمل إليك والمنعم هو الله ـ جلّت عظمته ـ.

ثمّ قال عليه السلام: «وَلا تَذُمَّنَّ أَحَداً عَلَى مَا لَمْ يُؤْتِكَ اللهُ» واعلم حقيقةً أنّه هو الذي يعطي إن أعطى ويمنع إن منع والناس أسباب وبيده خزائن السماوات والأرض.

ثمّ قال عليه السلام: «فَإِنَّ رِزْقَ اللهِ لا يَسُوقُهُ إِلَيْكَ حِرْصُ حَرِيصٍ» ولو حرص الخلق كلّهم بأجمعهم على أن يعطوك حبّة من عندهم من غير أن يكون لله تعالى فيها ملك لما قدروا، لأنّ الموجودات بأجمعها له وإن أعطوك فمن ملكه؛ وإن منعوك وأراد أن يصل إليك وصل، وبالعكس لو أرادوا أن يحرّموك وأراد عزّ وعلا أن يرزقك لما قدروا، لأنّ له الخلق والأمر [وإن] حَرَصَ الحريص على إعطائك أو كَرِهَهُ الكارهُ.

وفائدة الحديث الأمر بالتمسّك برضا الله تعالى والنهي عن إيثار أحد عليه وعن الحمد

---

١. النحل: ١٨.

٢. الغصّة.

لغير الله فيما آتاك وعن ذمّه فيما لم يؤتك إعلاماً أنّ الرزق يوصله الرزّاق أراد الخلق ذلك أو كرهوا وهو المانع إن منع. وراوي الحديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

قوله صلى الله عليه وآله: لا تَسْأَلِ الإمَارَةَ، فَإنَّكَ إنْ أُعْطِيتَهَا عَنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ عَلَيْهَا وَإنْ أُعْطِيتَهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وُكِلْتَ إلَيْهَا

يقال: أَمَر الرجل وأمُر الرجل ـ بالضمّ ـ أي صار أميراً وصارت فلانة أميرة، والإمرة والإمارة مصدر.

يقول صلى الله عليه وآله ذلك لعبد الله بن سمرة، ومعنى ذلك: أنّه إذا أولى الحاكم عاملاً من عند نفسه من غير مسألة وطلب للشغل أعانه عليه الحاكم، لأنّه هو الذي اختاره واستعمله واختصّه بالشغل واصطفاه بالعناية واجتباه للجباية، فهو كالعيال له والذي تلزمه ترهبه[1]؛ ويجوز أن يكون تلك المعونة من الله تعالى والتوفيق وذلك لمكان أنّ السلطان العادل قد اختاره فيوفّقه الله تعالى ويعينه؛ وإذا طلب هو الشغل وسأل لنفسه الإمارة وُكل إليها ولم يعن، فإن أحسن لم يحمد.

وقيل: إنّه احتجن[2] أكثر ممّا وفّر وإنّما تصرّف في مالنا وإن أساء عوقب وغرّم ووجّهت الملامة إليه.

فإن قيل: أليس قد سأل يوسف عليه السلام الإمارة فقال: «اجْعَلْني عَلى خَزائِنِ الْأَرْضِ إنِّي حَفيظٌ عَليمٌ»[3].

فالجواب: أنّه عليه السلام كان يعلم ضرورة أنّه منظور إليه بعين الملاحظة مختصّ بالمراعاة والمحافظة، وأنّه قادر عليه مستطيع له مؤيّداً بالعصمة الإلهيّة، فلذلك طلب الشغل علماً أنّه

١. كذا في خ.

٢. احتجن الشيء: إذا ضمّه إليه وجذبه.

٣. يوسف: ٥٥.

٣٨٩ مضطلع به،[١] قادر عليه، مطيق له، متصوّن عن *فضوله، موفّر لمحصوله، مقرّ كلّ درهم في قراره، صابّ له في مصابه.

وروي عن أبي موسى الأشعريّ قال: «أَقْبَلْتُ إِلَى رَسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله أنا وَرَجُلَانِ مِنَ الْأَشْعَرِيِّينَ، أَحَدُهُمَا عَنْ يَمِينِي وَالْآخَرُ عَنْ شِمالي، فَسَأَلَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله الْعَمَلَ وَهُوَ يَسْتَاكُ، فَقَالَ: مَا تَقولُ ، يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ قَيْسٍ! أَوْ يَا أَبَا مُوسَى! قُلْتُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أَطْلَعَانِي عَلَى مَا فِي أَنْفُسِهِمَا، وَمَا شَعَرْتُ أَنَّهُمَا يَطْلُبَانِ الْعَمَلَ، فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى سِوَاكِهِ وَهُوَ تَحْتَ شَفَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: إِنّا لَا نَسْتَعْمِلُ عَلَى عَمَلِنَا مَنْ أَرَادَهُ، وَلَكِنِ اذْهَبْ أَنْتَ يَا أَبَا مُوسَى، أَوْ يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ قَيْسٍ، فَبَعَثَهُ على الْيَمَنِ، ثُمَّ اتَّبَعَهُ مُعَاذُ»[٢]. أو قال: «لا تسأل الإمارة» .

وفائدة الحديث إعلام أنّه من اختاره السلطان للعمل ربّاه وأعانه، ومن طلب الشغل وكله إليه ولم يكترث له، وفيه نهي عن طلب العمل. وراوي الحديث عبد الله بن سمرة.

قوله صلى الله عليه وآله: لا تَقُومُ القِيامَةُ[٣] حَتَّى يَكُونَ الْوَلَدُ غَيْظاً وَالمطَرُ قَيْظاً وَتفيضَ اللئَامُ فَيضاً وتغيضَ الكرامُ غَيضاً وَيجترِئ الصغيرُ عَلى الكبيرِ وَاللئيمُ عَلى الكريمِ

الغيظ: غضب كامن مع عجز بعد غلظة، واغتاظ هو؛ والقيظ: شدّة الحرّ وحرارة الصيف، يقال: قاظ بالمكان وتقيّظ به: إذا أقام به في الصيف؛ وفاض الماء يفيض، والفيض: الماء الكثير ويقال لكلّ كثير فيض تشبيهاً بالماء. وفي كلامهم: غيض من فيض، أي قليل من

---

١ . قويٌّ عليه.

٢ . سنن أبي داود: ١٢٦/٤، ح ٤٣٥٤؛ مسند أبي يعلى: ٢١٣/١٣ـ٢١٤، ح ٧٢٤٠؛ المعجم الكبير: ٤٢/٢٠، ح ٦٥.

٣ . كذا في خ، وفي المصادر: الساعة.

كثير.[١] ويقال: غاض الماء يغيض غيضاً أي قلّ ونَضَب، وغاضه الله يتعدّي ولا يتعدّي ويقال: انغاض وأغاضه الله، والغيض: النقصان أيضاً قال الله تعالى: «وَما تَغيضُ الْأَرْحامُ وَما تَزْدادُ»[٢].

يقول صلى الله عليه وآله: لا تقوم القيامة حتّى يتبدّل الأمور ويتغيّر الأحوال ويصير الولد الذي هو قرّة عين الوالدين غيظهما وحزنهما بأن يغيظهما ويجرّ البلاء إليهما، ويعود المطر ـ الذي هو سبب حياة الأرض ومن فيها ووقته الشتاء ـ قيظاً أي في القيظ فيفسد ولا يصلح، ونصب قيظاً يجوز أن يكون ظرفاً ويجوز أن يكون التقدير: مطر قيظ فحذف المضاف، وأحسن منهما أن يجعل القيظ نفس مطر القيظ، ولك أن تجعل الربيع اسماً لمطر الربيع على الجواز والملابسة.

وقوله عليه السلام: «يفيض اللئام فيضاً» أي يكثروا ويتغلّبوا بالكثرة، «ويغيض الكرام» أي يقلّوا ويذلّوا، وهكذا بقوله عليه السلام: «وأن تنطق الرُوَيْبِضَة *في أمر العامّة»[٣]، وكأنّه الرويبضة في بيته لا يعدّ به. ٣٩٠

وقوله عليه السلام: «وَيجترئ الصغيرُ عَلى الكبيرِ وَاللئيمُ عَلى الكريمِ» أي تتقلّب الأمور وتنعكس، فالصغير لا يحترم الكبير واللئيم لا يعزّ الكريم بل يتفاضل عليه.

وفائدة الحديث الإعلام بما يتقدّم القيامة من الأمور. وراوية الحديث عائشة.

قوله صلى الله عليه وآله: لَنْ يَهْلَكَ امْرُؤٌ بَعْدَ مَشُورَةٍ

المشُورة والمشْورة: الشورى، والمشورة مفعلة.

يقول صلى الله عليه وآله: لن يهلك المستشير، وذلك لأنّ الآراء الكثيرة تعاونه أو الرأي الفارغ الذي لا

---

١ . راجع: الصحاح: ١٠٩٦/٣؛ غريب الحديث للخطابي: ٥٤٨/٢؛ مجمع الأمثال: ٦٠/٢.

٢ . الرعد: ٨.

٣ . راجع: مصنّف عبد الرزّاق: ٣٨٢/١١، ح٢٠٨٠٣؛ مسند أحمد: ٢٩١/٢، ح٧٨٩٩.

يشوبه الهوى، وقد مضى بيانه بأشرح من ذلك عند قوله عليه السلام: «ما هلك امرؤ عن مشورة»[١].

وفائدة الحديث الأمر بالمشورة. وراوي الحديث سعيد بن مسيّب.

قوله صلى الله عليه وآله: لَنْ تَهْلِكَ الرَّعِيَّةُ وَإِنْ كَانَتْ ظَالِمَةً مُسِيئَةً إِذَا كَانَتِ الوُلاةُ هَادِيَةً مَهْدِيَّةً

يقول صلى الله عليه وآله: إنّ الرعيّة لا تهلك وإن كانت ظالمةً مسيئةً إذا كان لهم رئيس راعٍ مراع مطاع مهيب يقبض على يد الظالم ويرشد الضالّ ويحوط أمورهم من جوانبها ويكون لطفاً لهم في فعل الخير واجتناب الشرّ، وبالعكس من ذلك يفسد الرعيّة وإن كانت صالحةً طائعةً إذا كان رئيسهم ظالماً غير مستصلح للرئاسة.

وفائدة الحديث إعلام أنّ الوالي ينبغي أن يكون مطاعاً مهيباً صالحاً مصلحاً حتّى يكون لطفاً فيما بين الخلق. وراوي الحديث ابن عمر.

فصل

قوله صلى الله عليه وآله: إِيَّاكَ وَمَا يَعْتَذِرُ[٢] مِنْهُ

«إيّا» اسم مبهم يتّصل به الضمائر التي يكون للنصب مثل إيّاه وإيّاك وإيّاها وإيّاهنّ، فتخصّص المقصود بالذكر، ولا موضع لهذه الضمائر من الإعراب مثل «الكاف» في «ذلك» و«التاء» في «أنت»، وقد صار مع الضمير كالشيء الواحد. وقال بعضهم: «إيّا» مضافة إلى

١. راجع ج٢، ص٥٤٨.

٢. كذا في المصادر، وفي خ: تعتذر.

الضمير واستدلّ بقولهم: «إذا بلغ الرجل الستّين فإيّاه وإيّا الشوابّ»[١]؛ وللنحويّين في «إيّا» كلام طويل عريض ولسنا في النحو هنا فنبسط؛ وقد تجيء للتحذير كقولك: إيّاك والأسد، قالوا: وهي هاهنا بدل من فعل كأنّك قلت: باعد الأسد، وكان لها تحقيقاً وهو أن يكون التقدير في إيّاك والأسد: إيّاك راصد والأسد، فاختصروا على عادة لهم، وهذا الموضع لا يحتمل أكثر من ذلك.

يقول صلى الله عليه وآله: احذر الأمر الذي يحتاج فيه إلى إقامة المعاذير، فالمعاذير أكثرها باطل؛ ✻وهذا من أفصح الكلام وأجمعه للمعاني فكأنّه صلى الله عليه وآله جمع جميع القبائح فقال: إيّاك وإيّاها. [٣٩١]

وفائدة الحديث النهي عن كلّ قبيح يحتاج فيه الإنسان إلى أن يعتذر منه. وراوي الحديث ابن عمر، قال: «جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله فَقَالَ: يَا رَسولَ اللهِ! حَدِّثْنِي حَدِيثاً وَاجْعَلْهُ مُوجَزاً لَعَلِّي أَعِيهِ، فَقَالَ صلى الله عليه وآله: صَلِّ صَلاةَ مُوَدِّعٍ، كَأَنَّكَ لا تُصَلِّي بَعْدَهَا، وَايْأَسْ مِمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ تَعِشْ غَنِيّاً، وَإِيَّاكَ وَمَا يُعْتَذَرُ[٢] مِنْهُ»[٣].

قوله صلى الله عليه وآله: إِيَّاكُمْ وَالمَدْحَ فإنَّهُ الذَّبْحُ

هذا تحذير من مدح الناس؛ يقول صلى الله عليه وآله: لا تمدحوا الناس في وجوههم فإنّه رياء، ثمّ إنّه يؤدّي بهم إلى أن يعجبوا بأنفسهم، وإنّما قال عليه السلام ذلك لأنّ الشيطان يسوّل إلى كلّ أحد أنّه أكيس الناس وأفضلهم وخيرهم وأزهدهم وإن كان شرّ الناس وهو مسامح في ذلك ويعمل تسويله، فإذا انضمّ إليه مدح غيره فقد سجّل عليه وصار حقيقةً لا يتخالجه الشكّ فيه، فلذلك لا ينبغي أن يمدح الرجل في وجهه فيكون كالإهلاك له والذبح.

---

١. راجع: كتاب سيبويه: ٢٧٩/١؛ الأصول في النحو: ٢٥١/٢؛ تاج العروس: ١٣٢/٣٧.

٢. كذا في المصادر، وفي خ: تعتذر.

٣. المعجم الأوسط: ٣٥٨/٤، ح٤٤٢٧؛ مسند الشهاب: ٩٣/٢، ح٩٥٢؛ كنز العمّال: ٩٩/١٦ـ١٠٠، ح٤٤٣٠٣.

ويحتمل أن يكون المعنى: إيّاكم ومدح الناس! فلا تمدحوهم فتهلكوهم، وإيّاكم أن تمدحوا فتهلكوا، فيكون من باب قوله عليه السلام: «احْثُوا فِي وُجُوهِ الْمَدَّاحِينَ التُّرَابَ»[١]، وذلك أنّه ينبغي أن لا يعبأ بخصال نفسه وإن كانت له خصال، بل يقمعها ويذمّها ويلومها وينسبها إلى التقصير ـ وإن كانت متوفّرة على الخير ـ طرداً للعجب ودحراً للشيطان.

ومدح رجل أمير المؤمنين عليه السلام وكان يتّهمه، فقال: «أَنَا دُونَ مَا تَقُولُ، وَفَوْقَ مَا فِي نَفْسِكَ»[٢].

وقال عليه السلام: أنا أعلم بنفسي منكم والله أعلم بنفسي منّي، اللّهمّ اغفر لي ما لا يعلمون واجعلني خيراً ممّا يظنّون.[٣]

وفائدة الحديث النهي عن المدح أو عن قبوله. وراوي الحديث معاوية بن أبي سفيان.

قوله صلى الله عليه وآله: إِيَّاكِ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ فَإِنَّ لَهَا مِنَ اللهِ طَالِباً

هذا تحذير من الذنوب التي يتهاون الإنسان بها ويقول: إنّها لا قدر لها، ولو أنصف لنظر إلى من يعصيه لا إلى صغر المعصية، ولذلك يقول: كلّ معصية كبيرة، فإذا قلنا صغيرة فإنّه بالإضافة إلى ما هو أكبر منها كالقتل والشتم وإلّا فكلّ ما يُعصى الله به ويقع عليه اسم المعصية له كبيرة؛ وشيء آخر وهو أنّه إذا اجتمعت المحقّرات وتراكمت صارت كبيرةً عظيمةً. وقال الشاعر:

لا تحقرنّ صغيرةً إنَّ الجِبَالَ مِنَ الحِصَا[٤]

٣٩٢ وفائدة الحديث النهي عمّا يظنّه الإنسان *صغيرة ولعلّها عند الله عظيمة. وراوية

١ . مسند الشاميّين: ١٦٥/١، ح٢٧٥؛ المعجم الكبير: ٢٣٩/٢٠، ح٥٦٥ و٥٦٦؛ الفردوس: ١٠٦/١، ح٣٥٥؛ وتقدّم شرحه في ج٢، ص٥٠١.

٢ . راجع: نهج البلاغة: ٤٨٢، ح٨٣؛ بحار الأنوار: ٣٤٤/٣٤، ح١١٦٦؛ وراجع: العزلة: ٨٠؛ محاضرات الأدباء: ٤٥٣/١.

٣ . نهج البلاغة: ٤٨٥، حكمة ١٠٠؛ بحار الأنوار: ٣٤٣/٣٤، ح١١٦٥.

٤ . قاله ابن المعتزّ؛ راجع: شعب الإيمان: ٤٦٥/٥، ح٧٣٠١؛ محاضرات الأدباء: ٤١١/٢؛ ديوانه: ٤٥.

الحديث عائشة، ولها قال عليه السلام.

قوله صلى الله عليه وآله: إِيَّاكَ وَمُشَارَّةَ النَّاسِ فَإِنّها تظهرُ العُرَّةَ وتُدفنُ الغُرّةَ

المشارّة: المخاصمة والمجادلة من الشرّ؛ والعرّة، قالوا: القبيح، والغرّة: الحسن، وقد أصابوا لعمري من حيث مآل المعنى، فأمّا أصل العرّة فهو الجنون، قال امرئ القيس:

وَيَخْضِدُ في الآرِيِّ حَتَّى كَأَنَّمَا بِهِ عُرّةٌ أَو طائِفٌ غيرُ مُعْقِبِ[1]

والمخاصمة بالجنون أشبه، والعرّة أيضاً: البَعْر والسرجين، ومن فسّره بالجرب فقد أخطأ ذلك، الغُرّ والغرّة: الوضأة والجمال، وهو أغرّ والمرأة غرّاء، وغُرّة القوم: خيارهم أيضاً، وكلّ ما له قيمة رفيعة فهو غُرّة، والغرّة: العبد والأمة.

فيقول صلى الله عليه وآله: إيّاكم والمحاضرات، فإنّها تظهر الجنون وتكتم الحسن.

وقال بعضهم: أراد بالعرّة العمل الصالح أي أنّها تظهر المقابح وتكتم المحاسن.

وفائدة الحديث النهي عن المخاصمة والملاجّة[2] فإنّها تؤدّي إلى ما يستوخم عاقبته وتسوّل[3] مغبّته. وراوي الحديث أبو هريرة.

قوله صلى الله عليه وآله: إِيَّاكُمْ وَخَضْرَاءَ الدِّمَن

قد ورد تفسيره في الحديث، «قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ! مَا خَضْرَاءُ الدِّمَنِ؟ قَالَ عليه السلام: الْمَرْأَةُ الْحَسْنَاءُ فِي الْمَنْبَتِ السُّوءِ»[4]. الخضراء: اسم للبقول الرطبة. وقالوا: «لَيْسَ فِي الْخَضْرَاوَاتِ

---

١. راجع: الخيل: ٣٤؛ تهذيب اللغة: ٤٨/٧؛ أساس البلاغة: ١٦٦؛ الفائق: ٣٨٠/١.

٢. التمادي في الخصومة.

٣. في خ: تستويل، والتسويل: تزيين النفس لما تحرص عليه.

٤. غريب الحديث لابن سلام: ٩٩/٣؛ أمثال الحديث: ١٢١؛ مسند الشهاب: ٩٦/٢، ح٩٥٧؛ كنز العمّال: ٢٠٧/١٦، ح٤٥٦١٥.

صَدَقَةٌ»[١]، قالوا: يعني بها الكمُثرى والتفاح[٢].

وفي الحديث: «تجنّبوا من خضرائكم ذوات الريح»[٣]، يعني البصل والثوم والكرّاث، والدمن: جمع دِمْنة وهي ما يدمنه الإبل والغنم بأبعارها وأبوالها أي تلبّده وربّما نبت فيها النبات الحسن فمنظره أنيق ومنبته فاسد، ودمّن الغنم الماء: إذا بعرت فيه، والدِمْن: البعرة، وهذا ماء متدمّن أي متعوّد فيه.

يقول صلى الله عليه وآله: إيّاكم والمرأة الحسناء التي أصلها فاسد فربّما تنزع إلى منبتها، وهو من أحسن التشبيهات وأفصح الكنايات.

وفائدة الحديث النهي عن طلب الحسناء التي منبتها غير صالح أي أبوها وأمّها غير متصوّنين. وراوي الحديث أبو سعيد الخُدريّ.

قوله صلى الله عليه وآله: إِيَّاكُمْ وَالدَّيْنَ فَإِنَّهُ هَمٌّ بِاللَّيْلِ وَمَذِلَّةٌ بِالنَّهَارِ

هذا تحذير من الدين، فأمّا همّ الليل فلمكان أنّه إذا آوى إلى فراشه حدّث نفسه بأحواله فينتصب الدين في مقابلته وينغّص عليه المبيت، وأمّا مذلّة النهار فلأنّ غريمه يتقاضاه ويلحّ عليه، وربّما جرّه إلى الحاكم وحبسه. وهذا من عجيب الأوصاف للدين.

٣٩٣ وفائدة الحديث النهي عن الاستدانة وما وجدت *عنه مندوحةً. وراوي الحديث أنس بن مالك.

قوله صلى الله عليه وآله: إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ

الظنّ ما يحصل عن أمارة، فإذا قويت أدّت إلى العلم، ينهى عليه السلام عن الإخبار بالظنّ والتحديث بالمظنون، ولذلك قال صلى الله عليه وآله: فإنّه أكذب الحديث.

يقول صلى الله عليه وآله: ينبغي للعاقل أن لا يحدّث إلّا بما قد قيله علماً، لا كما يفعله الجاهل يظنّ

١. راجع: مصنّف ابن أبي شيبة: ٣٧٢/٢، ح ١٠٠٤١؛ كنز العمّال: ٢٣٠/٦، ح ١٦٨٧١.

٢. في خ: والنكاح.

٣. تهذيب اللغة: ٥٠/٧؛ النهاية: ٤١/٢؛ وراجع: مسند الحارث: ٢٥٦/١، ح ١٣٣.

ظـنّاً فـيتصوّره يـقيناً ويـبني عـليه ويـنقله، وأمـر الظـنّ صعب، وإذا أردت ذلك فـاحتكم إلى نفسك، كم ظننت ما فحصته بعد الظنّ فوجدته بخلاف ما ظننت.

وروي حديث آخر: «إِذَا ظَنَنْتَ فَلا تُحَقِّقْ»[١].

وفـائدة الحـديث النهـي عن إطلاق الحـديث المظنون، فـإنّه كـالكذب، لأنّه خـال من برد اليقين. وراوي الحديث أبو هريرة.

قوله صلى الله عليه وآله: إِيَّاكُمْ وَدَعْوَةَ الْمَظْلُومِ وَإِنْ كَانَ كَافِراً

هذه شفقة بالغة على عباد الله وإعلام بأنّ العبد بالكفر لا يخرج من العبوديّة .

فـيقول صلى الله عليه وآله: احـذروا دعـوة المظلوم وإن كـان مـن الكـافرين، وذلك لأنّ الظـلم في نـفسه قبيح سواء كـان عـلى المسلم أو الكـافر، وهذا مغرّز في العقول ـ أعني قبح الظلم ـ، والكـافر أيضاً من عباد الله تعالى، فلا يرضى ظلم عبده من حيث المكرم؛ والدليل على أنّ الله تعالى بـالكافر كريم عطوف: إرساله الرسول إليه ودعاؤه إلى الإيمان به وبرسوله حتّى ينال النعيم الأبديّ والخير السرمديّ، فليت شعري أنّى ترضى بأن يظلم وهو حيّ، وانظر في الشاهد إلى مـلك له عـبد عـاص، هـل يـرضى أن يـظلمه غـيره؟! وإذا اسـتعان بـه لا يـعينه وإن كـان عـاصياً؟! ومـا كـلّ كـافر يـنكر الصـانع، ألا تـرى اليـهود والنـصارى والصـابئة وغـيرهم، وقـد وصّى أن لا يؤذوا فقال عليه السلام: «من آذى ذمّيّاً فقد آذاني»[٢].

وفائدة الحديث النهي عن الظلم والحذر من دعاء المظلوم كائناً من كان. وراوي الحديث أنس بن مالك. وتمام الحديث: «فَإِنَّهَا لَيْسَتْ لَهَا حِجَابٌ دُونَ اللهِ تَعَالَى»[٣].

---

١ . المعجم الكبير: ٢٢٨/٣، ح ٣٢٢٧؛ كنز العمّال: ١٣/١٦، ح ٤٣٧٨٩.

٢ . راجع: المغني عن الحفظ والكتاب: ٤٠١؛ شرح نهج البلاغة: ٨٤/١٧؛ وراجع: الصراط المستقيم: ١٣/٣.

٣ . مسند الشهاب: ٩٧/٢، ح ٩٦٠؛ الفردوس: ٣٨١/١، ح ١٥٣٢؛ كنز العمّال: ٢٠١/٣، ح ٧٦١٦.



الباب السابع

قوله صلى الله عليه وآله: إِنَّ مِنْ الْبَيَانِ لَسِحْراً وَإِنَّ مِنْ الشِّعْرِ حِكَماً وَإِنَّ مِنْ الْقَوْلِ عِيَالاً وإنّ مِنْ طَلَبِ العِلْمِ جَهْلاً

السحر: الأخذة، ويقال لكلّ ما لَطُف مأخذه ودَقَّ سحرٌ، ويقال للخداع والتحبيل سحر مثل ما يفعله المُشَعْبِد بخفّة يده، ويقال لصرف القلوب عن الآراء سحر، ولكلّ ❊عجب سحر، وقد سحَره يسحَره سحراً، والساحر: العالم، وسحره بمعنى خدَعه؛ والبيان: الكشف عن الشيء، وما يبيّن به: بيان؛ واختلفوا في معنى هذه الكلمة؛ ٣٩٤

فقال بعضهم: وجهه: أنّه ذمّ التصنّع في الكلام والتصنّع لتحسينه وتزويقه[١] ليروق السامعين قوله، ويستميل به قلوبهم، فيحيل الشيء عن ظاهره ويزيله عن موضعه إرادة التلبيس عليهم، فيصير ذلك بمنزلة السحر الذي نوع منه تخيّل لما لا حقيقة له وتوهيم لما ليس له محصول؛ والسحر مذموم وكذلك المشبّه به.[٢] انتهى كلامه. وهو كما ترى .

وقال أبو سليمان الخطّابيّ: سحر البيان هو أن يصف الشيء بصفتين متناقضتين يصدق

١ . تحسينه وتقويمه.

٢ . راجع: شرح السنّة: ٣٦٣/١٢؛ كشف الأسرار: ١٦٠/٣ـ١٦١؛ مرقاة المصابيح: ٣٢/٩؛ وراجع: الاستذكار: ٥٥٧/٨ ـ ٥٥٨.

فيهما أوهن[١] ذلك.

وما يحكى عن خالد بن صفوان أنّه رؤي على حمار فقيل له: أين أنت عن عتاق الخيل؟ فقال: تلك للطلب والهرب، ولست طالباً ولا هارباً فقيل له: فما تصنع بالحمار؟ قال: أدأب عليه دبيباً وألق عليه حبيباً ويمنعني أن أكون جبّاراً عنيداً، ثمّ ركب يوماً بِرذَوناً[٢] فقيل: أين أنت عن الحمار؟ فقال: هيهات سبق الفرس الحمار إذا أطلقته ولّى وإذا أوقفته أدلى، كثير الروث، بطيّ الغوث، لا يجلب في الآناء ولا ترقأ به الدماء ولا تمهر به النساء.[٣]

ووجه كلامه صلى الله عليه وآله: إنّه يمدح البيان فيقول: إنّ منه ما فيه إبداع الصنعة وتدقيق المعنى حتّى كأنّه السحر، فمن هذا الوجه شبّهه بالسحر لا من جهة أنّه شعبدة وخداع وتخييل، والشيء يعرف بقرينته، فليت شعري كيف يريد ذلك ويعقبه بقوله عليه السلام: «إنّ من الشعر حكماً»؟!

ويؤيّد ما قلناه ما روي أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعائشة: «يا حميرا»[٤].

وهذه كلمة كان يناغيها بها، أنشديني قول يهوديّكم العلاء بن الحضرميّ، فأنشدته صلى الله عليه وآله:

فَحَيِّ ذَوِي الْأَضْغَانِ تَسْبِ قُلُوبَهُمْ ... تَحِيَّتَكَ الأدنى فَقَدْ يُرْقَعُ النَّعْلُ

وَحَسوا[٥] فَإِنْ أسمعوك الكُرْه فَاعْفُ تَكَرُّماً ... وَإِنْ خنّسوا عَنْك الْحَدِيثَ فَلَا تَسْلُ

خنسوا أي قبضوا ويقال: خنس إبهامه، وروي: «فإن دحسوا بالشرّ فاعف»[٦]، والوَحْس:

---

١ . في خ غير واضحة.

٢ . دابّة الحمل الثقيلة.

٣ . راجع: البصائر والذخائر: ١٣٩/٣؛ ثمار القلوب: ٣٧٠، ح٥٦٧؛ محاضرات الأدباء: ٦٦٨/٢؛ التذكرة الحمدونيّة: ٢٥٥/٥.

٤ . راجع: سنن الدارقطني: ٣٨/١، ح٢؛ مجمع الزوائد: ٢٠٢/٩؛ وراجع: من لا يحضره الفقيه: ٣٦٩/٣، ح٣٩٧٢.

٥ . كذا في المصادر، وفي خ: أسمعوك.

٦ . راجع: تهذيب اللغة: ١٦٦/٤؛ غريب الحديث للخطابي: ٢١٢/١؛ الفائق: ٤١٤/١.

الإفساد

فَإِنَّ الَّذِي يُؤْذِيك مِنْهُ سَمَاعُهُ وَإِنَّ الَّذِي قَالُوا وَرَاءَك لَمْ يقلُ

فقال صلى الله عليه وآله: «إنَّ مِنْ الْبَيَانِ لَسِحْراً». وهذا لا يشبه أن يكون ذمّاً، وقد يوصف الكلام البليغ فيقال: إنّه ماء زلال وإنّه سحر حلال، فقد صحّ أنّه عليه السلام يمدح البيان ويشبّهه بالسحر حسناً وتدقيقاً. وقوله عليه السلام: «وَإِنَّ مِنْ الشِّعْرِ حِكَماً» أي حكمةً وكلاماً *ينتفع به، كقوله لبيد: ٣٩٥

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ ما خَلَا اللهَ بَاطِلُ وكُلُّ نَعِيمٍ لَا مَحَالَةَ زَائِلُ

وَكُلُّ أُنَاسٍ سوْفَ تَدخُلُ[1] بَينَهُمْ دُوَيْهِيَةٌ تَصفَرُّ مِنها الأَنَامِلُ[2]

وقال أبو بكر بن دريد: «كلّ كلمة وعظتك أو زجرتك عن قبيح أو دعتك إلى مكرمة فهي حكمة وحكم»[3].

والمعنى: أنّ من الشعر ما ينفعك حكمةً ووعظاً وزجراً، ولعمري أنّه لكذلك، فإنّ من الشعر ما تردع عن كثير من المقبّحات كما قيل في الأدب والسبب والأقوال، والتذمّم ممّا يورث الإسفاف[4]، ومن أمعن فيه وجد دُرره وجواهره.

وقوله عليه السلام: «إنّ من القول عيالاً». وروي: «إنّ من القول عَيَلاً»[5].

وروي عن صعصعة بن صوحان العبديّ أنّه قال: «هو عرضك حديثك وكلامك على من لا يريده وليس من شأنه»[6].

وقال أبو عبيد عن أبي زيد: «علت الضالّة أعيل عيلاً إذا لم تدر أيّ جهة تبغيها، كأنّه لم

---

١. في خ: يدخل.

٢. الجليس الصالح والأنيس الناصح: ١٦؛ ديوان المعاني: ١/١١٨؛ المستطرف: ١/١٦؛ ديوانه: ٧٣.

٣. راجع؛ جمهرة اللغة: ١/٥٦٤؛ صيانة صحيح مسلم: ٢١٣؛ تحفة الأحوذي: ١٠/٣٠٢.

٤. الإسعاف: شدّة النظر وحدّته.

٥. راجع: تهذيب اللغة: ٣/١٢٦؛ غريب الحديث لابن الجوزي: ٢/١٤٠.

٦. راجع: تهذيب اللغة: ٣/١٢٦؛ النهاية: ٣/٣٣١؛ تاج العروس: ٣٠/٨٢.

يهتد لمن يطلب كلامه فعرضه على من لا يريده»[١].

وقال آخر: يقال: عالني الشيء يعيلني: أعجزني، عَيْلاً ومَعِيلاً.[٢]

فهذا ما قاله الأئمّة في هذا الحديث.

والعيال: من يحتاج إلى أن يقوته ويقوم به وهو جمع عَيِّل وهو من «عول»، وقد عُلْتهم أعولهم وعولاً وعيالاً أي قُتُّهم وكفيتهم وأقمت عليهم.

ويلوح فيه وجه آخر، فكأنّه يقول صلى الله عليه وآله: ربّما يتكلّم الإنسان بكلمة يحتاج أن يقوم عليها ويزيّنها ويصدّقها ويحافظ عليها، فتصير كالعيال الذين يلزمه مؤونتهم وكفايتهم والقيام عليهم، ويقوي ذلك قوله عليه السلام: «إنّ من طلب العلم جهلاً»، والله أعلم ورسوله.

وقوله عليه السلام: «من طلب العلم جهلاً»، قيل فيه: إنّه إشارة إلى ما لا يجدي من العلوم كالنجوم والنَيْرُنجات؛ والذي يصحّ عندي من معناه أنّه عليه السلام يريد به أنّ العالم ربّما يحمله علمه على التكبّر والبَذْخ[٣] والشروع فيما لا يعنيه، فكأنّه طلب الجهل حين طلب العلم، لأنّه كان ذريعةً إلى ما شرع فيه من المكروه، ويكون تقديره: أنّ من طلب العلم سبب جهل، فحذف المضاف، وذلك لأنّه قد يصير العلم سبب الجهل في بعض الأوقات.

وقد روي عن وهب بن منبّه أنّه قال: «إنّ للعلم طغياناً كطغيان المال»[٤].

وقيل لزائدة بن قدامة: إنّ الربيع بن لوط ولّي القضاء من جهة السلطان، فبكى، ثمّ قال: ربّما كان علم الرجل وبيانه وبالاً على صاحبه.

وروي أنّ سفيان الثوريّ قال في مرض موته: يا ليتني لم أكن سيّد قومي! كم من باطل قد حقّقنا[ه] وكم من حقّ قد أبطلنا[ه].[٥]

---

١. تهذيب اللغة: ١٢٦/٣؛ النهاية: ٣٣١/٣؛ عمدة القاري: ١٣٥/٢٠.

٢. قاله الأحمر، راجع: الصحاح: ١٧٨٠/٥.

٣. تطاول الرجل في كلامه وافتخاره.

٤. الزهد لابن المبارك: ١٩/١، ح٥٦؛ كتاب العلم: ٢٦، ح١٠٣؛ حلية الأولياء: ٥٥/٤؛ النهاية: ١٢٨/٣.

٥. راجع: المتمنّين: ٧٦ـ٧٧، ح١٢٨؛ تاريخ مدينة دمشق: ١٥١/٢٣؛ تاريخ الإسلام: ١٢٥/٥.

٣٩٦ ❊وقال الفضيل بن عياض: «لو كان عند علمائنا صبر ما تمندل بهم هؤلاء[يعني الملوك]»[١].

وقال القاضي أبو الحسن الجرجانيّ لغلامه:

وَلَوْ أَنَّ أَهْـلَ الْعِـلْمِ صَـانُوهُ صَـانَهُمْ ... وَلَوْ عَـظَّمُوهُ فِي النُّـفُوسِ لَعُـظِّمَا

وَلَكِـنْ أَهَـانُوهُ فَـهَانوا وَدَنَّـسُوا ... مُحَـيَّاهُ بِـالأَطْمَاعِ حَـتَّى تَجُـهِّمَا

وَلَمْ أَبْـتَذِلْ فِي خِـدْمَةِ الْعِـلْمِ مُـهْجَتِي ... لأَخْـدُمَ مَـنْ لاقَـيْتُ لَكِـنْ لأُخْـدَمَا[٢]

وفائدة الحديث إعلام أنّ من البيان ما يكون معجباً كالسحر، وإنّ من الشعر ما يكون حكمةً، وإنّ من القول ما له عليك مؤونةً، وإنّ من طلب العلم ما يؤدّي إلى الجهل. وراوي الحديث صعصعة بن صوحان عن أمير المؤمنين عليه السلام.

قوله صلى الله عليه وآله: إنَّ إمّتي أمّةٌ مَرحُومَةٌ

هذا الحديث يحتمل وجهين من التأويل:

أحدهما: أن يكون المعنى: إنّ أمّتي أمّة ضعيفة، قد سامحهم الله تعالى فوضع عنهم الآصار[٣] التي كانت على الأمم وخفّف عليهم التكليف وكلّفهم دون ما يطيقون؛ والضعيف يقال له مرحوم على تأويل أنّه أهل لأن يرحم.

والوجه الثاني: أنّ الله تعالى سيرحمهم في الآخرة ويغفر لهم ذنوبهم، وهم الذين يختم بهم التكليف.

وفائدة الحديث إعلام أنّ أمّة النبيّ صلى الله عليه وآله ترحم في الدنيا والآخرة. وراوي الحديث أنس بن مالك.

١. راجع: حلية الأولياء: ٩٢/٨؛ أماليّ الشجري: ٥٩/١؛ الطيوريّات: ٣٥٣/٤.

٢. راجع: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: ٣٧١/١م رقم ٨٥٤؛ كتاب الأمالي للجرجاني: ٦٣/١؛ محاضرات الأدباء: ٥٢/١؛ المنتظم: ٣٥/١٥؛ شذرات الذهب: ٥٧/٣؛ في المصادر: البيت الأخير مقدّم على البيت ترتيباً.

٣. جمع الإصر وهو الثقل.

قوله صلّى الله عليه وآله: إنّ حُسْنَ العَهدِ مِنَ الإيمَانِ

العهد: حفظ الشيء على التتابع، وكذلك التعهّد، ويسمّى الميثاق الذي يجب مراعاته عهداً. قال الله تعالى: «وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كانَ مَسْؤُلاً»[1].

يقول صلّى الله عليه وآله: حسن العهد والمحافظة على الصحبة السالفة جزء من أجزاء الإيمان، يعني أنّه من جملة ما يكمل الإيمان به ويتحلّى بمكانه.

وروي أنّ عجوزاً دخلت على رسول الله صلّى الله عليه وآله فجعل يسألها عن أحوالها وأحوال زوجها وأولادها وغنمها وإبلها، فقالت عائشة: يا رسول الله! ألهذه السوداء تحيي وتصنع ما أرى؟ فقال: «إنَّهَا كَانَتْ تَأْتِينَا أيّام خَدِيجَةَ، وَإنَّ حُسْنَ الْعَهْدِ مِنَ الإيمَانِ»[2].

وروي أنّ هذه العجوز كانت ماشطة خديجة عليها السلام.[3]

وفائدة الحديث الأمر بحسن العهد والمحافظة عليه. وراوية الحديث عائشة.

قوله صلّى الله عليه وآله: إنّ حُسْنَ الظنّ مِنْ حُسْنِ العِبَادَةِ

يقول صلّى الله عليه وآله: إنّ حسن الظنّ بالله تعالى من جملة حسن العبادة، وهو كما قال عليه السلام: «لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إلَّا وَهُوَ ﴿٣٩٧﴾ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللهِ تعالى»[4]، وقد تقدّم ذكر حسن الظنّ بأوفى من هذا.

وفائدة الحديث إعلام أنّ حسن الظنّ عبادة من العبادات الحسنة. وراوي الحديث أبو هريرة.

---

١ . الإسراء: ٣٤.

٢ . راجع: المنتخب من كتاب أزواج النبيّ: ٣٤؛ كتاب الأسماء المبهمة: ٤٧/١؛ المقاصد الحسنة: ٣٠٧، ح٤٠٩؛ وراجع: غريب الحديث لابن سلام: ١٣٧/٣؛ معجم ابن الأعرابي: ٢٦٠/٢.

٣ . هي أمّ زفر، راجع: المنتخب من كتاب أزواج النبيّ: ٣٤؛ كتاب الأسماء المبهمة: ٤٧/١.

٤ . مسند أحمد: ٣٣٤/٣، ح ١٤٦٢٠؛ صحيح مسلم: ٢٢٠٦/٤، ح٢٨٧٧؛ مسند الشهاب: ٨٦/٢، ح٩٣٨؛ وراجع: أماليّ الطوسي: ٣٨٠ـ٣٨١، ح ٨١٤.

قوله صلى الله عليه وآله: العُلَماءُ وَرَثَةُ الأنبيَاءِ

العلماء هم الذين يعرفون الله تعالى ويعرفون صفات جلاله وينفون عنه ما يجب نفيه، ثمّ يعرفون الكتاب حلاله وحرامه ومحكمه ومتشابهه ومفصّله ومجمله وخاصّه وعامّه وناسخه ومنسوخه، ويعرفون السنّة وطرق مورِدها والفقه والأحكام.

فيقول صلى الله عليه وآله: ميراث الأنبياء عليهم السلام هو العلم: والعلماء هم ورثوه، فهم ورثة الأنبياء، يبيّنون للناس ما يحتاجون إليه ويأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر.

وفائدة الحديث تشريف أهل العلم وأنّهم ورثة الأنبياء عليهم السلام. وراوي الحديث أبو الدرداء.

قوله صلى الله عليه وآله: إنَّ الدّينَ يُسرٌ

تمام هذا الحديث: «وَلَنْ يُشَادَّ هَذا الدِّينَ أَحَدٌ إلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ»[1].

اليسر: السهولة وهو ضدّ العسر.

يقول صلى الله عليه وآله: إنّ الدين الذي جئتُ به من عند الله سهل عفو ليست فيه صعوبة، كما كان في الأديان التي كانت قبل من التكاليف الشاقّة والأمور الصعبة.

ويحتمل وجهاً آخر وهو: أنّ هذا الدين يؤدّي إلى اليسر والسهولة والراحة يعني الثواب الأبديّ، فأقام المسبّب مقام السبب.

ثمّ يقول عليه السلام: ولن يغالب هذا الدين أحد ولن يمانيه[2] إلّا غلبه الدين، يعني أنّه لو أراد أحد أن يغالب في الطاعة واحتمال المشقّة فيه لغلبه وأعياه، أي أنّه لا يمكنه القيام بجميع ما يمكن من العبادات.

١. صحيح البخاري: ٢٣/١، ح٣٩؛ سنن النسائي: ٥٣٧/٦، ح١١٧٦٥؛ مسند الشهاب: ١٠٤/٢، ح٩٧٦.

٢. يكافأه؛ مانى يماني مماناةً.

وقوله عليه‌السلام: «وَلَنْ يُشَادَّ» يقتضي الوجه الأوّل الذي هو الإخبار عن الدين، بأنّه لم يكلّف الله تعالى شاقّاً صعباً لا يطاق. ثمّ قال: «فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا» أي ابنوا بما هو السداد ووفق الأمر ولا يتجاوز الحدّ، والتسديد: التوفيق.

وفي حديث أبي بكر وقد سأل عن الإزار، فقال: «سدّد وقارب» أي أحكم وسهّل الأمر، ولا تُرْخ إزارك فتفرط في إسباله ولا تقلّصه فتشمّره ولكن بين ذلك.[1]

و«أبشروا» بالباء والشين وكذا قرائته في الأصل، والإبشار هو الاستبشار والفرح الذي يبدو ابتشاره في البشرة، يقول: أبشرته وبشّرته وبشِرته فأبشروا فاستبشروا، أي أبشروا بالمغفرة والخير الذي تقدمون عليه غداً، و«يسّروا»[2] أوفق هنا *من «أبشروا» ومعناه: سهّلوا.

٣٩٨

و«اسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ»؛ فالغدوة: ما بين الصلاة إلى طلوع الشمس، والروح: الرواح[3]. يقول صلى‌الله‌عليه‌وآله: استعينوا بطاعة هذين الوقتين، كما قال تعالى: «فَسُبْحانَ اللهِ حينَ تُمْسُونَ وَحينَ تُصْبِحُونَ»[4]، أي سبّحوه في هذين الوقتين.

وقوله عليه‌السلام: «وشيء من الدُلجة» سير آخر الليل، وهو كناية عن صلاة الليل، يقول: أقيموها.

وفائدة الحديث إعلام أنّ الدين سهل ليس بعسير صعب، والأمر بالطاعة، ولا إفراط ولا تفريط، والاستعانة بالله تعالى والعبادة في الصباح والمساء والسحر. وراوي الحديث أبو هريرة.

---

١. راجع: تهذيب اللغة: ١٩٥/١٢ـ١٠٩٦؛ وراجع: حلية الأولياء: ٣٦١/٤؛ الفردوس: ٣٠٨/٥، ح ٨٢٧٤؛ الفائق: ١٦٨/٢؛ غريب الحديث لابن الجوزي: ٤٧٠/١.

٢. راجع: سنن النسائي: ٥٣٧/٦، ح ١١٧٦٥؛ كنز العمّال: ٢١/٣، ح ٥٣٨٤.

٣. في خ: والرواح.

٤. الروم: ١٧.

قوله صلى الله عليه وآله: إنَّ دينَ اللهِ الحَنيفيَّةُ السَّمحَةُ

الحنيفيّة: الإسلام، والحنيف: المسلم، وأصل الحنف: إقبال أحد القدمين على الأخرى، وسمّي المسلم الحنيف كما سمّي الغراب أعور واللديغ السليم تفاؤلاً بالسلامة، وقيل: معنى الحنيفيّة في الإسلام الميل إليه والإقامة على عقده، والحنيف: الصحيح الميل إلى الإسلام الثابت عليه. وقيل: الحنيفيّة دين إبراهيم عليه السلام، والسمحة: السهلة.

وهذا الحديث مثل الذي قبله. يقول صلى الله عليه وآله: إنّ الدين الحنيفيّ سمح سهل لا صعوبة فيه ولا مشقّة متجاوزة.

وروي عن أبي قلابة إنّ عثمان بن مظعون ـ رحمة الله عليه ـ اتّخذ بيتاً فقعد فيه يتعبّد فجاء رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى أخذ بعِضادتي الباب فقال: يا عثمان! إنّ الله عزّ وجلّ لم يبعثني بالرهبانيّة ـ ثلاث مرّات ـ وإنّ خير الدين الحنيفيّة السمحة.[1]

وفائدة الحديث إعلام أنّ الدين الحنيفيّ سهل المأخذ. وراوي الحديث ابن عمر.

قوله صلى الله عليه وآله: إنَّ أعْجَلَ الطَّاعَةِ ثَوَاباً صِلَةُ الرَّحِمِ

هذا تعظيم أمر صلة الرحم، فيقول صلى الله عليه وآله: إنّ صلة الرحم من أعجل الطاعات ثواباً، وذلك لأنّ الثواب يصل في الآخرة وصلة الرحم تزيد في العمر في قوله عليه السلام، فصلة الرحم[2] ثواب لصلة الرحم وهو في دار الدنيا، فهو ثواب معجّل والله أعلم ورسوله. ويجوز أن يثيبه غير ذلك في الدنيا.

وفائدة الحديث الحثّ على صلة الرحم والإعلام بسرعة وصول ثوابه. وراوي الحديث أبو سلمة عن أبيه.

---

١. الطبقات الكبرى: ٣/٣٩٥؛ شرح صحيح البخاري: ٨/٤٠٥؛ كنز العمّال: ٣/٢٣، ح ٥٤٢٢؛ وعضادتا الباب: الخشبتان المنصوبتان عن يمين الداخل منه وشماله.

٢. كذا في خ، ولعلّ الصواب: فزيادة العمر.

قوله صلى الله عليه وآله: إنَّ الحِكْمَةُ تَزيدُ الشَّريفَ شَرفاً

أصل «حكم»: المنع، ومنه حكمة الدابّة، والحكمة: إتقان الأمر وإصابة الحقّ قولاً وفعلاً؛ والشرف أصله: العلوّ، والشريف: ※العالي حسباً ونسباً ومعاملةً. فيقول صلى الله عليه وآله: إذا كان الشريف حكيماً متقناً لأموره ضابطاً لأحواله كان ذلك أشرف له وأزيد في شرفه. ٣٩٩

وفائدة الحديث إعلام أنّ الحكمة تزيد الشريف في شرفه. وراوي الحديث الحسن بن عليّ عن أبيه أمير المؤمنين عليه السلام.

قوله صلى الله عليه وآله: إنَّ مُحَرّم الحَلالِ كَمُحِلّ الحَرَامِ

يقول صلى الله عليه وآله معظماً لحدود الله التي حدّها مكبّراً تعدّيها: إنّ من حرّم شيئاً أحلّه الله تعالى فعقابه كمثل عقاب من أحلّ ما حرّمه.

وفائدة الحديث الأمر بالانتهاء إلى ما حدّه الله تعالى في التحليل والتحريم، وإعلام أنّ من حرّم الحلال عوقب معاقبة من حلّل الحرام. وراوي الحديث عبد الله بن عمر.

قوله صلى الله عليه وآله: إنَّ أَحْسَابَ أَهْلِ الدُّنْيَا هَذَا الْمَالُ

الحسب: ما يحتسب به إذا عدّت المفاخر، فيقول صلى الله عليه وآله: إنّ أهل الدنيا قد جعلوا حسبهم المال فلا يعتدّون بغيره، وهذا كقوله عليه السلام: «الحسبُ المالُ»[1].

وفائدة الحديث أنّ أهل الدنيا يحسبون الحسب المال فحسب. وراوي الحديث بُريدة الأسلميّ.

قوله صلى الله عليه وآله: إنّ لِصَاحِبِ الْحَقِّ مَقَالاً

يقول صلى الله عليه وآله: من كان له عليك حقّ فله أن يتقاضى ويقول وعليك أن تسمع ولا تضجر،

---

١. تقدّم شرحه في أوائل الكتاب.

فإنّ الحقّ قد أنطقه وأوجب عليك الاحتمال.

وروى البخاريّ مسنداً إلى أبي هريرة: أنّ رجلاً أتى النبيّ صلى الله عليه وآله يتقاضاه فأغلظ له[١]، فهمّ به أصحابه، فقال: «دَعُوهُ، فَإِنَّ لِصَاحِبِ الْحَقِّ مَقَالاً»[٢].

وفي حديث آخر: «إِنَّ لِصَاحِبِ الْحَقِّ يَداً وَلِسَاناً»[٣].

وفائدة الحديث إعلام أنّ صاحب الحقّ له أن ينطق. وراوية الحديث عائشة.

قوله صلى الله عليه وآله: إِنَّ مَكَارِمَ الأَخْلاقِ مِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ الجَنَّةِ

المكارم[٤]: الأفعال الحسنة والأخلاق المحمودة، المكرُمة مفعلة منه، ويقال: مكرم، ولم يجيء على مفعل من غير هاء إلّا حرفان شاذّان: مكرُم ومعُوُن. والفرّاء يقول: هما جمع مكرمة ومعونة،[٥] وليس عنده مفعل من أبنية الأبناء. والخلق: السجيّة، وقد تقدّم الكلام فيه.

فيقول صلى الله عليه وآله: إنّ الأخلاق المحمودة والسجايا المرضيّة من أعمال أهل الجنّة الذين هم أولياء الله عزّ وجلّ، والخلق هنا هو الذي يكتسبه العبد ويدرّج إليه نفسه ويكلّفها التخلّق به، لأنّ ما يكون من أفعال الله تعالى لا يكون العبد به محموداً ولا مذموماً كالسواد والبياض والطول والقصر؛ فمن الأخلاق الحسنة ما يهتدي إليه الإنسان بعقله ومنها ❊ما لا يهتدي إليه إلّا بشارع وهاد، ولذلك قال النبيّ صلى الله عليه وآله: «بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاقِ»[٦]. ٤٠٠

وفائدة الحديث إعلام أنّ الأخلاق الحميدة والتطبّع بها من أعمال أهل الجنّة التي من تكلّفها دخل الجنّة. وراوي الحديث أنس بن مالك، وروي: أَنَّهُ مَرِضَ فَعَادَهُ بَعْضُ إِخْوَانِهِ،

---

١. كذا في المصادر، وفي خ: لهم.

٢. صحيح البخاري: ٨٤٥/٢، ح ٢٢٧١.

٣. راجع: طبقات المحدّثين بأصبهان: ٣٨٦/١؛ الحاوي الكبير: ١٩٩/٧.

٤. في خ: الكرم.

٥. راجع: تهذيب اللغة: ١٣٥/١٠.

٦. مسند الشهاب: ١٩٢/٢، ح ١١٦٥.

فَقَالَ لِجَارِيَتِهِ: يَا جَارِيَةُ! هَلُمِّي لِإِخْوَانِنا شَيْئاً وَلَوْ كِسَراً، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله يَقُولُ؛ وذكر الحديث.[١]

قوله صلى الله عليه وآله: إِنَّ أَحْسَنَ الحَسَنِ الخُلْقُ الحَسَنِ

يقول صلى الله عليه وآله: أحسن الحسن حسن الخلق الحسن، فحذف المضاف، ولعمري أنّه كما يقول صاحب الشرع صلى الله عليه وآله، وذلك لأنّ حسن الخلق إذا لم يشفع بحسن الخلق كان منقوصاً مذموماً، وقد تقدّم الكلام في حسن الخلق.

وفائدة الحديث تفضّل حسن الخلق وإعلام أنّ حسن الخلق زائد على كلّ حسن. وراوي الحديث الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليهما السلام.

قوله صلى الله عليه وآله: إِنَّ مَوْلَى الْقَوْمِ مِنْ أَنْفُسِهِمْ

المولى يشتمل على الصديق والوليّ والأولى والحليف والمعتق والمعتق وابن العمّ، إلى غير ذلك، ومعنى المولى هذا المولى الذي يواليك ويليك في الخدمة والصحبة؛ فيقول صلى الله عليه وآله: مولى القوم معدود من أنفس القوم، فينبغي أن يحترم احترام القوم فيراعي مراعاتهم؛ ويحتمل أن يكون المعنى أنّه ينبغي للمولى أن يسعى في شغل القوم ويجِفّ[٢] حاجاتهم، فإنّه منهم؛ والأوّل هو الوجه.

وروي عنه صلى الله عليه وآله: «إِنَّ مَوْلَى الْقَوْمِ وَحَلِيفَ الْقَوْمِ مِنْهُمْ، وَابْنَ أُخْتِ الْقَوْمِ مِنْهُمْ»[٣].

وروي أنّ رجلاً من فارس يسمّى رشيداً قاتل بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله في بعض غزواته وأنّه ضرب رأس علج وعليه المغفر فقدّها[٤] وقال: خذها وأنا الغلام الفارسيّ مفتخراً بذلك،

---

١ . معجم ابن الأعرابي: ١٣٧/٢؛ المعجم الأوسط: ٣١٣/٦، ح ٦٥٠١؛ مسند الشهاب: ١٠٨/٢، ح ٩٨٥.

٢ . يذهب كلّه.

٣ . سنن الدارمي: ٣١٧/٢، ح٢٥٢٨؛ معرفة الصحابة: ٢٠١٠/٤، ح٥٠٥٣؛ مشكاة المصابيح: ٩١٩/٢.

٤ . شقّها طولاً.

فتبسّم النبيّ صلى الله عليه وآله وقال: أحسنت يا عبد الله! فكنّاه بأبي عبد الله ولم يكن له ولد، فقال له: ما يمنعك أن تقول: إنّ مولى القوم من أنفسهم.[1]

فقال لسلمان الفارسيّ رضي الله عنه: «سَلمانُ مِنّا أهْلَ البَيْتِ»[2] أي هو مولانا فهو منّا.

وفائدة الحديث إعلام أنّ الموالي من جملة القوم، يكون له ما لهم وعليه ما عليهم. وراوي الحديث أبو رافع.

قوله صلى الله عليه وآله: أنَّ أكثرَ أَهلِ الجَنَّةِ البُلهُ

يستعمل البُله في كلامهم على وجوه: فيقال للذي لا عقل له أبله، والأبله: العيش الناعم، ٤٠١ *يقال: عيشٌ أبله وشباب[3] أبله: إذا كان ناعماً، وبُلَهْنِية[4] العيش فُعَلْنِية من ذلك، والأبله: الذي طبع على الخير فهو غافل عن الشرّ لا يعرفه، وهذا هو الذي في الحديث. وقيل: البله هم الذين غلبت عليهم سلامة الصدور وحسن الظنّ بالناس، وقد بلَه يبلَه بلهاً وبلاهةً فهو أبله وامرأة بلْهاء، وتبلّه أيضاً بمعنى بلِه، وتباله: تغافل وتجاهل. قال:

تَباهَلْنَ بالعِرْفان لَمّا عرفنني وقلْنَ: امرُؤ باغ أَكَلَّ وأَوْضَعا[5]

فيقول صلى الله عليه وآله: أكثر أهل الجنّة المسلمون السليمو الصدور الذين يشتغلون بأمورهم ويغفلون عن أمور الناس، ولو حمل البله على البله الذي هو زوال العقل لكان له وجه، وهو أن يعني بذلك المنقوصين والمجانين والأطفال الذين لم يكلّفوا، والوجه الأوّل.

---

١ . راجع: المغازي للواقدي: ٢٣٠/١؛ الاستيعاب: ٤٩٦/٢؛ أسدالغابة: ٢٦٤/٢ـ٢٦٥ و٣/٤٩٠ـ٤٩١.

٢ . عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٧٠/٢، ح٢٨٢؛ بحار الأنوار: ٣٢٦/٢٢، ح٢٨؛ وراجع: السيرة النبويّة: ١٩٢/١؛ المعجم الكبير: ٢١٢/٦، ح٦٠٤٠؛ كنز العمّال: ٣١٦/١١، ح٣٣٣٤٠.

٣ . كذا في المصادر اللغويّة، وفي خ: وشابٌّ.

٤ . سعة.

٥ . قاله عمر بن أبي ربيعة، راجع: الأمالي في لغة العرب: ٥٢/٢؛ الأغاني: ٣٣١/٦؛ ديوان المعاني: ٢٣٠/١؛ زهر الآداب: ٢٤١/١.

وفائدة الحديث إعلام أنّ أكثر أهل الجنّة أصحاب الصدور السليمة الغافلون عن أحوال الدنيا المتيقّظون لأحوال الآخرة. وراوي الحديث أنس بن مالك.

قوله صلى الله عليه وآله: إنَّ أَقَلَّ سَاكِنِي الجنّةِ النِسَاءُ

حكم صلى الله عليه وآله أنّ قليلاً من النساء يدخل الجنّة، وذلك لمكان ما يصدر منهنّ من ارتكاب الفواحش وسرعة الإجابة إلى المنكرات. وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: هنّ ناقصات العقل والدين والحظّ[١]، وقال في موضع آخر: «وَأَمَّا فُلَانَةُ فَأَدْرَكَهَا رَأْيُ النِّسَاءِ»[٢]، ولا شكّ أنّهنّ ضعائف لا يصبرن على طاعة ولا عن معصية إلّا من يعصم الله تعالى منهنّ.

وقال النبيّ صلى الله عليه وآله: «إِنَّكُنَّ تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ»[٣]، أي لا تشكرن الأزواج، والعشير: الزوج.

ولهنّ محنة أخرى وهو ما امتحنّ به من الحيض والاستحاضة والنفاس، وتكليفهنّ من ذلك كلّه شديد وقلّما يراعين الواجب في ذلك، وهذا وأمثاله ممّا جعلهنّ أقلّ أهل الجنّة عدداً.

وفائدة الحديث إعلام أنّ النساء ضعائف مساكين، وهنّ أقلّ أهل الجنّة عدداً. وراوي الحديث عمران بن حصين.

قوله صلى الله عليه وآله: إنَّ المعُونَةَ تَأْتِي العبد مِنَ اللهِ عَلَى قَدْرِ المؤُونَةِ وَإِنَّ الصَّبرَ يَأْتِي العَبْدَ مِنَ اللهِ عَلَى قَدْرِ المصيبَةِ

المعونة: الإعانة وهي مفعلة، وقال الكسائيّ: المعون: المعونة، قال جميل:

---

١ . «إنّ النساء نواقص الإيمان نواقص الحظوظ نواقص العقول»؛ راجع: نهج البلاغة: ١٠٥؛ بحار الأنوار: ١٠٧/٧٨، ح ٢٥.

٢ . نهج البلاغة: ٢١٨؛ بحار الأنوار: ٢٣٤/٢٢.

٣ . مسند الطيالسي: ٥٠، ح ٣٨٤؛ مسند أحمد: ٢٧٦/١، ح ٣٥٦٩؛ مسند الحارث: ٣٩٢/١، ح ٢٩٧.

بُثَيْنَ الْزَمِي «لا» إنّ [لا] لَزِمته عـلى كَـثْرَةِ الوَاشِـينَ أَيّ مَـعُونِ[١]

وقال الفرّاء: هو جمع معونة كتمرة وتمر. وقد تقدّم الكلام[٢] فيها. والمؤونة مفعلة أيضاً من «الأين» وهو التعب والشدّة، وقيل: هو مفعلة من الأون *وهو الخرج والعدل، وكلّ منهما ثقل على حامله، وقد مضى الكلام فيها مشروحاً فلا وجه لإعادته.

٤٠٢

فيقول صلى الله عليه وآله: إنّ الله تعالى لا يبتلي العبد بما عليه لمكانة مؤونة وثقل إلّا ويعينه بقدر ذلك، فإن كانت المحنة عظيمة كانت المعونة بقدرها، وإن كانت دون ذلك فبقدرها؛ وكذلك الصبر ينزل من الله تعالى على العبد في المصيبة والنازلة تنزل به على قدرها فيصبّره، ولو لا تصبير الله تعالى العبد عند النازلة العظيمة تصيبه، وذلك كلّه بيد الله تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ويكنُفُ العبد بكرمه وفضله ويمدّه بما يصلحه.

وفائدة الحديث إعلام أنّ كرم الله تعالى على الرصد للممتحنين فيمدّ المكروبين بالروح والمصابّين بالصبر. وراوي الحديث أبو هريرة.

قوله صلى الله عليه وآله: إنَّ أَبَرَّ البِرِّ أنْ يَصِلَ الرَّجُلُ أَهْلَ وُدِّ أَبيهِ بَعْدَ أنْ يُوَلِّيَ الأبَ[٣]

البرّ: الطاعة، فيقول صلى الله عليه وآله: إنّ أبلغ الطاعة وأوقعها وأقربها إلى القبول صلة الرجل أصدقاء والده بعد وفاته، وذلك لما لهم من السوابق والمنن والحقوق إلى أبيه الذي نقل إلى جوار ربّه، وإنّما جعله عليه السلام من أطوع الطاعة وأبرّ البرّ لأنّه برّ من وجهين: أحدهما: التقرّب إلى الله تعالى في باب والده المتوفّى، وما أعظم البرّ إلى من انقطعت وُصَلاته وزالت أسبابه. والثاني: الاصطناع إلى أصدقاء الأب فتتضاعف الثواب على هذا البرّ لتضاعفه وتكرّر

---

١. راجع: أدب الكاتب: ٤٧٦؛ تهذيب اللغة: ١٠/١٣٤؛ ديوانه: ١١٢.

٢. تقدّم آنفاً في ج٢،ص ٦٦٤.

٣. زيادة لفظة «الأب» من المؤلّف، ولم توجد في المصادر الحديثيّة.

المحمدة عليه المترادفة، والله أعلم ورسوله.

وفائدة الحديث الحثّ على الإحسان إلى مولى الأب بعد توفّيه ومضيّه. وراوي الحديث عبد الله بن عمر.

قوله صلى الله عليه وآله: إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنِ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ

الشيطان فيعالٌ من الشطن إذا تباعد، فكأنّه يتباعد إذا ذكر الله تعالى، وقيل: إنّه فعلان من شاط يشيط إذا احترق غضباً لأنّه يحترق ويغضب إذا أطاع العبد.

فيقول صلى الله عليه وآله: إنّ الشيطان لا يزال يراقب العبد ويوسوس إليه في نومه ويقظته وهو جسمٌ لطيفٌ هوائيٌّ يمكنه أن يصل إلى ذلك، والإنسان غاو[1] غافلٌ عنه فيوصل كلامه ووسواسه إلى باطن أذنه فيصير إلى قلبه، والله تعالى هو العالم بكيفيّة ذلك فأمّا وسواسه فلا شكّ فيه؛ والشّيطان هنا اسم جنسٍ ولا يريد به إبليس فحسب، [و]ذلك لأنّ له أولاداً وأعواناً؛ وذكر جريانه من ابن آدم مجرى الدّم مثلٌ، ولا يعني بذلك أنّه يدخل *عروقه وأوراده وتجاويف أعضائه، بل المعنى أنّه لا يزايله كما يقال: فلانٌ يلازمني ملازمة الظلّ وملازمة الحفيظين وملازمة الروح الجسد وملازمة القرن الشاة إلى غير ذلك.

٤٠٣

وروى البخاريّ بإسناد له أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان معتكفاً فأتته عمّته صفيّة بنت حُيي[2] فمكثت عنده ساعةً، فلمّا أرادت الانصراف خرج النبيّ صلى الله عليه وآله معها فأبصره رجل من الأنصار، فقال له عليه السلام: إِنَّهَا صَفِيَّةُ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الْإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ.[3]

وفي هذا الحديث أنّه يجب على الإنسان الاحتراز ممّا يوقع في التهم. وذكر عن الشافعيّ

---

١. كذا في البحار، وفي خ: غير.

٢. في نصّ النسخة: صفيّة بنت عبد المطلّب، وصحّح في حاشيتها، والصواب كما في المصادر ما أوردتها في المتن، وهي إحدى أزواج الرسول صلى الله عليه وآله.

٣. صحيح البخاري: ٧١٧/٢، ح ١٩٣٤.

أنّه خاف النبيّ صلى الله عليه وآله أن يقع في قلبه شيء من أمره فيكفر، فقال ذلك شفقةً عليه لا على نفسه.[١]

وروي عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: «لَا تَدْخُلُوا عَلَى الْمُغِيبَاتِ ـ اللواتي أزواجهنّ غائبون عنهنّ ـ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ، قَالُوا: وَمِنْكَ يا رسولَ اللهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَلَكِنَّ اللهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ».[٢]

وكلام العرب إشاراتٌ وتلويحاتٌ، والكلام إذا ذهب عنه المجاز والاستعارة زالت طُلاوته[٣] وفارقه رونقه وبقي مغسولاً. وكان سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وآله من أفصح النّاس؛ فقد عرفت أنّ جريان الشيطان من ابن آدم معناه الملازمة لا المداخلة حقيقةً.

وفي كلام بعضهم: احترس من الشيطان فإنّه عدوٌّ مبينٌ يراك ولا تراه ويكيدك وأنت لا تعلم وهو قديمٌ وأنت حديثٌ وأنت سليم الصدر وهو خبيثٌ، فاستعن بالله عليه.[٤]

وفائدة الحديث إعلام أنّ الشيطان يلازمك ويراصدك من حيث لا تعلم، فعليك بالاحتراز منه والتوقّي من مكره وكيده ووسوسته. وراوي الحديث أنس بن مالك.

قوله صلى الله عليه وآله : إنَّ أشكَرَ النَّاسِ للهِ أَشْكَرُهُمْ لِلنَّاسِ

يقول صلى الله عليه وآله: أشكر الناس للناس أشكرهم لله، وذلك لأنّه إذا شكر النَّزْر التافه[٥] الذي يزلّ عن يد عبد كان أشكر لله تعالى على النعم الجسيمة والمنن العظيمة. وقد مضى بأشرح من

---

١ . راجع: شرح صحيح البخاري لابن بطال: ١٧٤/٤ـ١٧٥.

٢ . مسند أحمد: ٣٠٩/٣، ح ١٤٣٦٤؛ سنن الدارمي: ٤١١/٢، ح ٢٧٨٢؛ سنن الترمذي: ٤٧٥/٣، ح ١١٧٢.

٣ . الطَلاوة والطُلاوة: الحسن والقبول والبهجة.

٤ . لم أقف على قائله.

٥ . النزر التافه: القليل الحقير.

ذلك عند قوله عليه السلام: «لا يَشْكُرُ اللهَ مَنْ لا يَشْكُرُ النَّاسَ»[١].

وفائدة الحديث إعلام أنّ الشاكر للناس أشكر الناس لله تعالى. وراوي الحديث الأشعث بن قيس.

قوله صلى الله عليه وآله: إنَّ إعْطَاءَ هَذَا المالِ فِتْنَةٌ وَإمْسَاكَهُ فِتْنَةٌ

الفتنة: الامتحان والاختبار، يقال: فتنت الذهب: إذا أدخلته النار لتعرف جودته من ردأته، ودينار مفتون، ويعبّر *عن البلاء بالفتنة. ٤٠٤

يقول صلى الله عليه وآله: إنّ إعطاء هذا المال فتنة وبلاء، من حيث أنّ الذي يعطي ماله يفتقر ويضطرّ ويقع في بلاء ومحنة وربّما لا يصبر على الفقر، فيتضاعف كدّه ويتزايد جهده؛ وإمساكه أيضاً محنة وعذاب، وذلك لأنّه يحتاج أن يخرج منه حقوق الله تعالى فربّما يتقاعد عن أدائها فيستوجب العقاب فضلاً على اللائمة وتلزمه حقوق الإخوان فيقصّر فيها في [الأداء][٢]؛ فهو بين خصلتين ما فيهما حظّ لمجتاز العقاب من الله تعالى والعقاب من الخلق، وخير الإخوان أن يرجع الإنسان إلى كفاف يحفظ عليه ماء وجهه فلا يحتاج إلى السؤال، ويتفرّغ معه إلى عبادة الله ذي الجلال؛ ولذلك قيل: «خَيرُ الأمُورِ أَوسَاطُهَا».

وفائدة الحديث إعلام أنّ الفقر مذلّة ومحنة والغنى مشغلة وفتنة. وراوي الحديث مُطَرَّف بن عبد الله عن صحابيّ.

قوله صلى الله عليه وآله: إنَّ عذَابَ هذِهِ الأمَّةِ جُعِلَ في دُنْياها

هذا إشارة إلى أنّ ما يدفع العبد إليه من همّ أو غمّ أو مرض أو مصيبة من مصائب الدنيا فيصبر عليه فيصير كفّارة لذنوبه وتمحيصاً لسيّئاته، كما قال عليه السلام: «حُمَّى يَوْمٍ كَفَّارَةُ

١. تقدّم شرحه في ج٢، ص ٥٨٢.

٢. كذا ما أثبتّه في النصّ، وفي خ: الأفواه.

سَنَةٍ»[١]، وقالعليه السلام: «مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ [مِنْ] وَصَبٍ وَلَا نَصَبٍ، وَلَا هَمٍّ وَلَا غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا إلَّا كان له كفّارةً»[٢]، أو كما قالعليه السلام.

وروي عن أبي بردة قال: «كُنْتُ جَالِساً عِنْدَ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ زِيَادٍ فَجَعَلَ يَخْتَلِفُ إلَيْهِ بِرُءُوسِ قَوْمٍ كُلَّمَا جِيءَ بِرَأْسٍ قُلْتُ: إلَى النَّارِ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ يَزِيدَ يَعْنِي الْخَطْمِيَّ: أَلا تَعْلَمُ يَا ابْنَ أَخِي! أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِصلى الله عليه وآله [يَقُولُ:] إنَّ عَذَابَ هَذِهِ الأَمَّةِ جُعِلَ فِي دُنْيَاهَا»[٣]. وهذا إشارة من عبيد الله إلى أنّ الذين يقتلون مظلومون وليس لعبيد الله الظالم ذلك، فقتلها عذابها في الدنيا. والله أعلم.

وفائدة الحديث إعلام أنّ الله تعالى يمتحن عبده في الدنيا بما يُصفيهِ[٤] ويغسله من العيوب حتّى يلقى الله تعالى طاهراً من كلّ رجس فيدخله الجنّة آمناً لا تبعة عليه. وراوي الحديث عبيد الله بن يزيد الخَطميّ.

قولهصلى الله عليه وآله: إنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ

يقولصلى الله عليه وآله: إنّ الذنب شؤم، وربّما يكون في سابق علم الله تعالى أنّه سيرزق العبد رزقاً إن تصوّن وكفّ نفسه عن المحارم، فإذا عصا الله تعالى وانتهك حرمته حرمه إيّاه؛ *وذكر ذلكصلى الله عليه وآله زجراً للعبد ولطفاً له ليأتمر أمره وينتهى عن نهيه.

٤٠٥

وفائدة الحديث إعلام أنّ الذنب محرمةً للرزق ومقطعةً للخير. وراوي الحديث ثوبان مولى رسول اللهصلى الله عليه وآله.

---

١. دعائم الإسلام: ٢١٧/١؛ الدعوات: ١٧٠، ح٤٧٦؛ بحار الأنوار: ١٧٦/٧٨، ح١٣؛ وراجع: الفوائد لتمام الرازي: ١٢١/٢، ح١٣١٥؛ الحاوي الكبير: ٣٢١/٨.

٢. مسند أحمد: ٣٠٣/٢، ح٨٠١٤؛ صحيح البخاري: ٢١٣٧/٥، ح٥٣١٨.

٣. المعرفة والتاريخ: ٢٠٧؛ المستدرك: ١١٣/١ و٢٨٣، ح١٥٦ و٧٦٥٠؛ مسند الشهاب: ١١٥/٢، ح١٠٠٠.

٤. زاد في خ: من.

قولهﷺ : إنَّ مِنْ عِبَادِ اللهِ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لأَبَرَّهُ

أقسم: حلف، وأصله من القَسَامة وهي الأيمان يُقسم على الأولياء في الدم، والقسم: اليمين، والإقسام على الله تعالى أن يقول: يا ربّ بعزّتك وكرمك أن تفعل كذا وكذا. وأبرّه: صَدَقه. تقول: بررت في يميني أبرّ إذا صدقت.

فيقولﷺ : إنّ لله عباداً يعبدونه حقّ العبادة ويحبّهم الله تعالى ويستجيب دعاؤهم ويسمع نداءهم، حتّى أنّ أحدهم لو أقسم عليه بأسمائه الحسنى أو صفاته العلى أن يفعل كذا لفعل عزّ وعلا إكراماً لعبده واستجابةً لدعائه.

وروي أنّ الرُبَيِّع بنت النضْر[١] وكانت عمّة أنس، كَسَرَتْ ثَنِيَّةَ امْرَأَةٍ، فَأَمَرَهَا رَسُولُ اللهِﷺ بِالْقِصَاصِ، فَقَالَ أَنَسٌ: يَا رَسُولَ اللهِ![٢] وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا تُكْسَرُ ثَنِيَّتُهَا، فَرَضُوا بِالْأَرْشِ وَتَرَكُوا الْقِصَاصَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِﷺ: إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللهِ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ»[٣].

وفائدة الحديث إعلام أنّ لله تعالى خواصّ من عباده لو عزموا على كرمه وفضله أن يفعل فعلاً أو صلاح دنيا لأجابهم إلى ذلك وأبرّ قسمهم. وراوي الحديث أنس بن مالك.

قولهﷺ : إنّ للهِ عِباداً يَعْرِفُونَ النّاسَ بالتَّوَسُّمِ

يقال: توسّمت إذا ثبّتت في النظر إلى الشيء تعرف سمته، وميسمه أي علامته، ويقال: توسّمت فيه الخير إذا عرفت وسم ذلك فيه.

يقولﷺ : لله تعالى عباد شرح قلوبهم وأذكى أبصارهم، فهم يتفرّسون الحقائق إذا نظروا إلى الشيء، وذلك ممّا أعطاهم الله تعالى من حدّة الخاطر، وإصابة الفكر وتحقيق

---

١ . كذا في المصادر الحديثيّة، وفي خ: معوّذ.

٢ . كذا في المصدر .

٣ . صحيح البخاري: ٩٦١/٢، ح٢٥٥٦؛ سنن أبي داود: ١٩٧/٤، ح٤٥٩٥.

النظرة وهذا كما قال عليه السلام: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَنْظُرُ بِنُورِ اللهِ»[١].

وفائدة الحديث إعلام أنّ الله تعالى يختصّ بعض عباده بما يريد من المزيد ويعطي من يشاء بغير حساب. وراوي الحديث أنس بن مالك.

قوله صلى الله عليه وآله: إنَّ للهِ عِبَاداً خَلَقَهُمْ لِحَوائجِ النَّاسِ

الحاجة إلى الشيء: الفقر إليه، يقال: حاج إليه يحوج واحتاج، ويجمع حاجة حاجاً وحاجات وحِوَجاً، وحوائج على غير قياس كأنّه جمع حائجة، وأنكر الأصمعيّ حوائج وقال: إنّها مولّدة ولعلّه قال ذلك لخروجه عن القياس وكم من خارج عن القياس قد استعمل *واستفصح[٢]، وذكر الحوائج في كلامهم كثير لا ينكر. وقال الشاعر:

٤٠٦

نَهارُ المَرْءِ أَمْثَلُ حِينَ يُقْضَى حَوَائِجُهُ مِنَ اللَّيْلِ الطَّوِيلِ[٣]

ويقال للحاجة الحَوَجاء.

يقول صلى الله عليه وآله: لله تعالى عباد يُقضى بهم حوائج الناس ويرغبهم في النهوض بأعبائها والقيام بأثقالها.

وفائدة الحديث إعلام أنّ الله تعالى خلق عباداً بهم يُقضى حاجات الناس وإليهم يفزعون في المعضلات وبرأيهم يستضيئون في المشكلات. وتمام الحديث: «يَفْزَعُ النَّاسُ إِلَيْهِمْ فِي حَوَائِجَهُمْ، أُولَئِكَ الآمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[٤]. وراوي الحديث عبد الله بن عمر.

قوله صلى الله عليه وآله: إنَّ حَقّاً عَلَى اللهِ أنْ لا يَرْفَعَ شَيْئاً مِنَ الدُّنيَا إلَّا

---

١. عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٦٧/٢، ح ٢٥٠؛ بحار الأنوار: ٧٥/٦٤، ح ٩؛ وراجع: سنن الترمذي: ٢٩٨/٥، ح ٣١٢٧.

٢. في خ: واستفتح.

٣. راجع: الصحاح: ٣٠٨/١؛ ديوان المتنبي: ٢٤٣/٢.

٤. تاريخ اليعقوبي: ٩٧/٢؛ مسند الشهاب: ١١٧/٢، ح ١٠٠٧؛ وأيضاً عن الحسن مرسلاً، راجع: قضاء الحوائج: ٥٥، ح ٤٩؛ كنز العمّال: ١٩٠/٦، ح ١٦٤٦٤.

وَضَعَهُ

هذا إشارة إلى استعداد الدنيا للتغيّر والتبدّل والانقلاب بأهلها، وقد خلقها الله تعالى مِعْبَراً إلى الآخرة، وجعل تلوّنها دليلاً على قلّة لبثها؛ والعاقل من يرفع منها زاداً لمعاده ولا يتبّع نفسه هواها فإنّها لا تبقى على حال، بيْنا ترى الشيء فيها رائقاً فائقاً يعجب الخاطر ويشغل الخاطر، فتنكر النظر إليه فلا تعرفه لتنكّره وتغيّره.

وروى ثابت البنانيّ عن أنس بن مالك: «أَنّ النَّبِيَّ ﷺ سابَقَ رَجُلاً فَسَبَقَهُ رَسولُ اللهِ ﷺ فَسُرَّ بِذَلِكَ الْمُسْلِمُونَ، ثُمَّ قَالَ الرَّجُلُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: نَعُودُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَسَابَقَهُ فَسَبَقَهُ الرَّجُلُ، فَكَرِهَ ذَلِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَكَرِهَهُ أَصْحَابُهُ، فَقَالَ: إنَّ حَقّاً عَلَى اللهِ تعالى أَنْ لا يَرْفَعَ شَيْئاً[1] مِنَ الدُّنْيَا إلّا وَضَعَهُ»[2].

وقوله عليه السلام: «حقّاً» نكرة وإنّما جاز أن تجعل اسم «إنّ» لمكان أنّه قد تحدّد بقوله عليه السلام: «على الله تعالى».

وفائدة الحديث إعلام أنّه ليس شيء من أمور الدنيا إلّا وهو متغيّر عن حالته الأولى، وحثّ على قطع علائقها وبتّ[3] وثائقها. وراوي الحديث أنس بن مالك.

قوله ﷺ: إنَّ لِجَوابِ الكِتَابِ حَقّاً كَرَدِّ السَّلامِ

هذا من الآداب التي لا يزال يكرّرها على الأسماع، فيقول: كما أنّ جواب سؤال الحاضر حقّ فكذلك جواب الغائب والكتاب جار مجرى السلام ولا بدّ من جوابه. ثمّ إنّ المكتوب إليه إذا قصّر في الجواب كان تركه لذلك على وجوه كلّها مذموم إمّا أن يكون ذلك تكبّراً أو

---

١. كذا في خ، وفي المصدر: يرتفع شيءٌ.

٢. مسند الشهاب: ١١٨/٢ـ١١٩، ح١٠٠٩؛ وأيضاً عن حميد الطويل عن أنس بن مالك، راجع: سنن النسائي: ٤٢/٣، ح٤٤٢٩؛ سنن الدارقطني: ٣٠٣/٤، ح١٦.

٣. قطع.

قلّة اعتداد بالكاتب وإزراءً به وأنّه لا يساوي الجواب، وكلّ ذلك يؤدّي إلى التهاجر والتقاطع والاستيحاش والتنازع، وبني الإسلام على المؤالفة والمحالفة والتوادّ والتراحم.

٤٠٧ وفائدة الحديث إعلام أنّ جواب الكتاب حقّ، وفيه حثّ ﷺعلى احترام الأخ المسلم ومراعاة جانبه وحفظ غيبه. وراوي الحديث ابن عبّاس. وقد طُعن في إسناد هذا الحديث.[١]

قوله ﷺ: إنَّ فِي المَعَارِيضِ لمندُوحَة عَنِ الكَذَبِ

معراض الكلام: فحواه، والجمع معاريض، وهو من قولك: عرضت له ولم أصرّح، والمندوحة: السعة والفسحة، والنُدْح: الأرض الواسعة، والجمع أنداح، والمنتدح[٢]: المكان الواسع، ولي عن هذا الأمر مندوحة ومنتدح أي سعة، وتندّحت الغنم: تبدّدت، ونَدَحْتُ الشيء ندْحاً: إذا وسّعته، وكان المندوحة مصدر على زنة المفعول كقولك مصدوقة الحال أي صدقها، وإنّك لفي نُدحة ومندوحة أي سعة.

يقول ﷺ: إنّ لك في المعاريض التي يسمع السامع منها شيئاً ويقصد إلى شيء آخر متّسعاً عن الكذب؛ وإنّما بيّن ذلك رأفةً ورحمةً وتعطّفاً على المؤمنين، وربّما يضطرّ المرء إلى شيء من ذلك وإن كذب أثم وإن صدق غرم فرخّص ﷺ للمؤمن بما ظاهره مراد المخاطب وباطنه صدق يُنحّي[٣] المتكلّم عن الإثم؛ وهذا كما وقع لبعض أهل العلم وقد كان بعض الخلفاء يحلّفه على شيء فقال: قد عاهدتك على ذلك وعليّ عهد الله أن أفعل ذلك ولا أفعل إلى قيامي الساعة، فأوهم الخليفة أنّه يقول: إلى قيام الساعة فتخلّص بذلك؛[٤] وكما يقول: ما

١ . راجع: الكامل في ضعفاء الرجال: ١٧٢/١، ح ٩.

٢ . كذا في المصادر اللغويّة، وفي خ: المندح.

٣ . نحّى عن الإثم: صرفه وعزله.

٤ . راجع: نثر الدرّ: ٧٥/٤ـ٧٦؛ التذكرة الحمدونيّة: ٢٢٢/٨ـ٢٢٣.

لي صدقة، ويكون «ما لي» للنفي؛ ويقول القائل: واللاهي لم أفعل ذلك، يعني: اللاهي؛ وكقولك: والله ما رأيت زيداً أي ما أصبت رِئَتَه، ولا كلّمته أي جرّحته. وقال الشاعر:

وقفت على الديار فكلّ متني ولا والله ما نطقت بحرف[1]

فيظنّ السامع أنّه قال: فكلّمتني. وللمفجع البصريّ كتاب في ذلك.[2]

وروي عن ابن نعيم الفصل بن دكين أنّه قال: «عجبت لمن يعرف المعاني كيف يكذب»[3].

وقال البخاريّ من معاريضه: إنّ أنساً قال: «كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله فِي مَسِيرٍ لَهُ فَحَدَا الْحَادِي، فَقَالَ عليه السلام: ارْفُقْ يَا أَنْجَشَةُ وَيْحَكَ بِالْقَوَارِيرِ. قَالَ أَبُو قِلَابَةَ: يَعْنِي النِّسَاءَ»[4].

وفي رواية أخرى: «[قال] لغلام له: يَا أَنْجَشَةُ! لَا تَكْسِرِ الْقَوَارِيرَ»[5].

وفائدة الحديث تجنّب الكذب على كلّ حال، والتعريض ما يخرجك عن الإثم. وراوي الحديث عمران بن حُصين.

قوله صلى الله عليه وآله: إِنَّ أَطْيَبَ مَا أَكَلَ الرَّجُلُ مِنْ كَسْبِهِ وَإِنَّ وَلَدَهُ

---

١ . راجع: أساس البلاغة: ٢٩٧.

٢ . وردت في حاشية خ: «أقبل رسول الله ـ صلّى الله عليه [وآله]وسلّم ـ مردفاً أبا بكر عام الهجرة فقيل لأبي بكر: من هذا قرأتك، قال: رجل يهديني السبيل، تعريضاً بأنّه يهديه سبيل الحقّ. وقال عليه السلام للرجل الذي سأله ممّن أنت؟ فقال: من الماء. وما حكى الله تعالى من قول إبراهيم: «إنّي سَقيم» وقوله: «فَعَلَهُ كَبيرُهُمْ هذا فَسْئَلُوهُمْ» وما روي عنه قال لامرأته هذا أختي؛ كلّ ذلك تعريض؛ وقيل في قوله: «لا تُؤاخِذْني بِما نَسيتُ» من معاريض الكلام ولم يكن قد نسي ما عهد عليه»؛ وهذه الحاشية بخطّ غير ناسخ النسخة، والظاهر إنّما بخطّ عالم غير إماميّ، والظاهر من ابتداء المخطوطة هو أبو بكر بن رستم بن أحمد بن محمود الشرواني، أحد رجال الدولة العثمانيّة، كان أديباً فاضلاً توفّي ١١٣٥ق .

٣ . راجع: نثر الدرّ: ٣٦/٢؛ تفسير السمعاني: ١٨٣/٥.

٤ . صحيح البخاري: ٢٢٩٤/٥، ح٥٨٥٦؛ وراجع: شرح صحيح البخاري: ٣٥٦/٩ـ٣٥٧.

٥ . صحيح البخاري: ٢٢٩٤/٥، ح٥٨٥٧؛ صحيح مسلم: ١٨١٢/٤، ح٢٣٢٢.

مِنْ كَسْبِهِ

يقول صلى الله عليه وآله: أفضل ما يأكله الرجل كسبه الذي هو من كدّ يده وقد تعب فيه إذا كان ممّا يحلّ له. ولذلك كان سليمان عليه السلام يعمل سفائف الخوص بيده ويقول لأصحابه: أيّكم يكفيني بيعها؟ فيأكل قرص الشعير من ثمنها. *وهذا في كلام لأمير المؤمنين عليه السلام [1] وكذلك أبوه داود عليه السلام كان لا يأكل إلّا من عمل يديه. ٤٠٨

ثمّ قال صلى الله عليه وآله: «وَإِنَّ وَلَدَهُ مِنْ كَسْبِهِ»، لأنّه نتيجته فكأنّه كسبه، وقال الله تعالى: «ما أَغْنى عَنْهُ مالُهُ وَما كَسَبَ» [2]، قيل: معناه: ما أغنى ماله وولده. [3] ويعني بقوله عليه السلام: «وَإِنَّ وَلَدَهُ مِنْ كَسْبِهِ» أنّ الأب له أن يتقوّت من مال ولده ويجبر الولد على نفقة والده إذا كان محتاجاً.

وفي الحديث الرخصة في الكسب وأنّه منه، ولذلك قال عليه السلام: «كَسْبُ الْحَلالِ فَرِيضَةٌ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ» [4]. وإنّما تحرّى بذلك استغناه عن السؤال من الناس والإلحاف عليهم، فإنّ السؤال أمر عظيم.

وروي عنه صلى الله عليه وآله: «لَأَنْ يَحْتَطِبَ أَحَدُكُمْ حُزْمَةً عَلَى ظَهْرِهِ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ أَحَداً فَيُعْطِيَهُ أَوْ يَمْنَعَهُ» [5].

وقال الشعبيّ: كسبه: رفعه يديه إلى الله سبحانه بالسؤال. [6]

وقال عليه السلام: لو يعلم السائل ما عليه ما سأل، ولو يعلم المسؤول ما له ما بخل. [7]

---

١ . راجع: نهج البلاغة: ٢٢٧؛ بحار الأنوار: ١٥/١٤، ح ٢٥؛ في المصادر: «كان داود يعمل سفائف ...»؛ وسفائف الخوص جمع سفيفة وهي النسيجة منه والخوص: ورق النخل.

٢ . المسد: ٢.

٣ . راجع: تفسير مجاهد: ٧٩٣/٢؛ مصنّف عبد الرزّاق: ١٣٠/٥، ح ١٦٦٣٠.

٤ . معجم ابن الأعرابي: ١٣٧/٣؛ حلية الأولياء: ١٢٦/٧؛ مسند الشهاب: ١٠٤/١، ح ١٢١؛ كنز العمّال: ٦/٤، ح ٩٢٣١.

٥ . صحيح البخاري: ٧٣٠/٢، ح ١٩٦٨.

٦ . لم أقف عليه.

٧ . عن الصادق عليه السلام: «لَوْ يَعْلَمُ السَّائِلُ مَا عَلَيْهِ مِنَ الْوِزْرِ مَا سَأَلَ أَحَدٌ أَحَداً وَلَوْ يَعْلَمُ الْمَسْؤُولُ مَا عَلَيْهِ ←

وفائدة الحديث الحثّ على الكسب والترغيب في الأكل من كدّ اليدين، والرخصة في تناول مال الولد بالجميل. وراوية الحديث عائشة.

قوله صلى الله عليه وآله: إنَّ المَسْأَلَةَ لا تَحِلُّ السُّؤالَ[١] إلّا لِفَقْرٍ مُدْقِعٍ، أَوْ غُرْمٍ مُفْظِعٍ

الدَقْعاء: التراب، وكذلك الدَقْعِم، وقال ابن الأنباريّ: الدُقاع: الأرض، والدَقَع: سوء احتمال الفقر. وفي الحديث: «إذا جُعتنّ دَقِعْتنّ»[٢] ودقع أي لصق بالتراب، وأدقعه: ألصقه، والفقر المدقع هو الذي يفضي بصاحبه إلى الدقعاء؛ والغرم: ما يصيب الإنسان من ضرر ماله من غير جناية، وكلّ ما يغرم أداؤه فهو غرم، يقال: غرِم غرماً ومغرماً، ورجل مغرم؛ والمفظع: الشنع المجاوز للمقدار، يقال: فَظُع الأمر بالضمّ فظاعةً فهو فظيع وأفظع فهو مفظع، وقد أفظع فلان: نزل به أمر مفظع، وأفظعت الأمر واستفظعته فوجدته فظيعاً.

يقول صلى الله عليه وآله: لا تحلّ المسألة إلّا لفقير متجاوز الفقر، والإدقاع مثل لمجاوزة الحدّ أو مديون ركبه الدين في غير محرّم فحلّ به الغرم ولا يجد لأدائه وجهاً فحينئذٍ يجوز له السؤال، ولهذا قال عليه السلام: «السؤال آخر كسب الرجل»[٣].

وفائدة الحديث تعظيم أمر السؤال [و]أنّه لا يجوز إلّا عند الضرورة الحافزة من فقر شديد أو دين مغرم. وراوي الحديث حبشي بن جنادة.

← إذَا مَنَعَ مَا مَنَعَ أَحَدٌ أَحَداً»؛ راجع: عدّة الداعي: ٨٩؛ وعن أبي جعفر عليه السلام: «لَوْ يَعْلَمُ السَّائِلُ مَا فِي الْمَسْأَلَةِ مَا سَأَلَ أَحَدٌ أَحَداً وَلَوْ يَعْلَمُ الْمُعْطِي مَا فِي الْعَطِيَّةِ مَا رَدَّ أَحَدٌ أَحَداً»، راجع: الكافي: ٢٠/٤، ح٢؛ أماليّ الطوسي: ٦٦٤.

١ . كذا في المصادر، وفي خ زاد: السؤال.

٢ . راجع: غريب الحديث لابن سلام: ١١٩/١؛ الزاهر في معاني كلمات الناس: ٢٤٨/١؛ وراجع: الصحاح: ١٢٠٨/٣.

٣ . الأدب المفرد: ١٣٢، ح٣٦١؛ نثر الدرّ: ١٦٧/٦؛ شعب الإيمان: ٤٦٣/٧، ح١١٠٠٨.

قوله صلى الله عليه وآله: إنَّ قَليلَ العَمَلِ مَعَ العِلْمِ كَثيرٌ وَكَثيرَ العَمَلِ مَعَ الجَهلِ قَليلٌ

هذا إشارة إلى أنّ العمل بلا علم لا قدر له وقليل العمل مع العلم يُوبَه له[1]، وإنّ كثير العمل إذا لم يعلم العامل ماذا يصنع *غير معتدّ به؛ وهذا كالصلاة مثلاً فإنّ ركعتين يصلّيهما العالم بالوضوء وبأركانهنّ واجبها ونفلها خير من مائة ركعة يصلّيها من لا يعلم ذلك؛ وكذلك قال عليه السلام: «نَومُ العَالِمِ عِبَادةٌ»[2]، لأنّه نام على العلم فكأنّه يعبد الله تعالى على العلم.

٤٠٩

وروي: «أنَّ رَجُلاً سَأَلَ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: الْعِلْمُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَسْأَلُكَ عَنِ الْعَمَلِ وَتُخْبِرُنِي عَنِ الْعِلْمِ؟ فَقَالَ صلى الله عليه وآله: إنَّ قَلِيلَ الْعَمَلِ»[3] الحديث .

وفيه أنّ العلم نفسه عمل.

وفائدة الحديث الترغيب في العلم وتعظيم شأنه. وراوي الحديث عبد الله بن مسعود.

قوله صلى الله عليه وآله: إنَّ العَبْدَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ الخُلْقِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ

يعني: أنّ الله تعالى يعطي العبد الذي يعايش صحبة الناس ويعاشرهم بالجميل ويحسن لهم أخلاقه درجة الصائم والقائم نفلاً، وحسن الخلق يشتمل على الكلام الحسن والبشر والطلاقة والبذل والحلم والإعراض عمّا لا يعني والعفو والإغضاء[4] والحياء والكرم والوفاء

---

١ . يبالى له.

٢ . قوت القلوب: ٢٩٧/٢؛ الفردوس: ٢٤٧/٤، ح ٦٧٣١؛ وفي وصيّة الرسول صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام: «نوم العالم أفضل من عبادة العابد»؛ راجع: من لا يحضره الفقيه: ٣٦٧/٤؛ بحار الأنوار: ٥٧/٧٤.

٣ . نوادر الأصول: ١٠١/٤؛ مسند الشهاب: ١٢١/٢، ح ١٠١٥؛ فيض القدير: ٢٧/٢.

٤ . التغافل عن الشيء .

بالعهود.

وقال عليه السلام: «أَوَّلُ مَا يُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ الْخُلُقُ الْحَسَنُ»[1].

وقال عليه السلام: «إِنّكُمْ لَنْ تَسَعُوا النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ، فَسِعوهُمْ بِبَسْطِ الوَجْهِ وَحُسْنِ الْخُلُقِ»[2].

وفائدة الحديث الحثّ على حسن الخلق.

وتمام الحديث: «الصَّائِمِ الْقَائِمِ الَّذِي يَصُومُ النَّهَارَ وَيَقُومُ بِاللَّيْلِ»[3]. وراوي الحديث أبو سعيد الخدريّ.

قوله صلى الله عليه وآله: إنَّ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقاً وَإنَّ خُلُقَ هَذَا الدينِ الْحَيَاءُ

يقول صلى الله عليه وآله: الحياء خلق الدين الحنيفيّ، وذلك لما فيه من المكرمة والتجاوز ورفع النفس عن درجة الوقاحة، ولما فيه من الإعراض والكفّ والستر والصلاح. ولذلك قال عليه السلام: «الحياءُ لا يَأتي إلّا بِخَيرٍ»[4].

ومعنى الحديث: الأمر بالحياء وإن كان لفظ الحديث خبراً.

وفائدة الحديث تعظيم أمر الحياء. وراوي الحديث أنس بن مالك.

قوله صلى الله عليه وآله: إنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ شَرَفاً وَإنَّ أَشَرَفَ الْمَجَالِسِ مَا استَقْبَلَ بِهِ الْقِبْلَةُ

أصل القبلة: الهيأة التي عليها من يقابلك كالركبة والجلسة، وحبسها الشرع على الجهة

---

١. مصنّف ابن أبي شيبة: ٢١٢/٥، ح٢٥٣٣٧؛ مسند عبد بن حميد: ٤٥٢، ح١٥٦٥؛ مسند الشهاب: ١٥٤/١، ح٢١٤.

٢. مصنّف ابن أبي شيبة: ٢١٢/٥، ح٢٥٣٣٣؛ محاضرات الأدباء: ٦٦٩/١؛ وراجع: الكافي: ١٠٣/٢؛ أماليّ الصدوق: ٥٣١.

٣. مسند الشهاب: ١٢٢/٢، ح١٠١٧؛ شعب الإيمان: ٢٣٧/٦، ح٨٠٠٠.

٤. مسند أحمد: ٤٢٧/٤، ح١٩٨٤٣؛ صحيح البخاري: ٢٢٦٧/٥؛ ح٥٧٦٦.

إليها للصلاة، ويقال: ما له قبلة ولا دبرة أي لا يهتدي لجهة أمره، ويقال للجهة القبلة. وإنّما قال عليه السلام ذلك، لأنّ القبلة جهة الطاعة وإذا استقبلها الإنسان في مجلسه فإنّه يتحرّى شرفها، لمكان أنّه مندوب إليها الطاعة، وإذا استقبلها خطر بباله أنّه سيصلّي إليها، وهذا الخطور عزم منه * على الطاعة، والعزم فعل من أفعال القلوب مثابر[1] عليه إذا كان خيراً، ثمّ لتعظيم الملّة الحنيفيّة.

٤١٠

وفائدة الحديث تشريف جهة القبلة. وراوي الحديث عبد الله بن عبّاس.

قوله صلى الله عليه وآله: إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً وَإِنَّ فِتْنَةَ أُمَّتِي الْمَالُ

قد تقدّم ذكر الفتنة وأنّه يعبّر بها عن البلاء، وهو المعنيّ بالحديث.

يقول صلى الله عليه وآله: بلاء أمّتي الذي يبتلون به المال، فإنّه يمنعهم من العبادة ويذهلهم جمعه عن جميع ما يجب عليهم؛ ويَكمُنُ تحته الشيطان فيأخذ برقابهم ويسوّل لهم الفقر ويخيّل إليهم أنّهم إن لم يرفهوا[2] معاشهم هلكوا، وصوّر لهم أنّه إن لم يركم بعضه على بعض أدّى إلى الفقر المدقع؛ فإن أنفق أن يجتمع لبعض المؤمنين مال كثير من وجه حلال، وهيهات؛ فليمزّقه يميناً وشمالاً وليدغدغه حتّى لا يصير عليه وبالاً، ولينفقه في وجوه الصلاح من برّ الإخوان وصلة الرحم ووجوه الخير.

وما أحسن ما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «لك في مالك شريكان: الحادث والوارث، فلا تكن أخسّ الثلاثة نصيباً»[3]. وإن لم يفعل انتهى أمره إلى أن يصير كَيّاً على أعضائه كما قال

---

١. مواظب.

٢. في خ: يرفحوا.

٣. وجدت في المصادر عن أبي ذرّ؛ راجع: معدن الجواهر: ٢٧؛ الأمثال لابن سلام: ٣٠؛ العقد الفريد: ١/١٨٥؛ نثر الدرّ: ٢/٥٥؛ تاريخ مدينة دمشق: ٦٦/٢١١.

تعالى: «يَوْمَ يُحْمى عَلَيْها في نارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوى بِها جِباهُهُمْ» [١] الآية.

وفائدة الحديث إعلام أنّ المال فتنة يغترّ به الإنسان ما لم يصرفه في وجوهه وأمسكه. وراوي الحديث كعب بن عياض.

قوله صلى الله عليه وآله: إنَّ لِكُلِّ سَاعٍ غَايَةً وَغَايَةُ كُلِّ سَاعٍ المُوتُ

الغاية: المدى والنهاية، والجمع: غَايٌ مثل ساعة وساع، وهو من «غ ي ي».

فيقول صلى الله عليه وآله: لكلّ ساع في أمر غاية ولكلّ مجتهد نهاية ولا بدّ أن يُنْجَرّ كلّ شغل وينقضي كلّ عمل وينتهي كلّ سعي، وغاية كلّ عامل وساع وكادّ وكادحٍ الموتُ، وهو خاتمة الأمر.

وروى أبو أيّوب الأنصاريّ رضي الله عنه قال: «خَرَجَ عَلَيْنا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله يَوْماً، فَأَخَذَ بِعِضَادَتَيْ بَابِ الْمَسْجِدِ، فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا أَيُّها النَّاسُ! يَا أَهْلَ الإسْلامِ! جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا جَاءَ، جَاءَ بِالرّوحِ وَالرَّحْمَةِ، وَالْكَرَّةِ الْمُبارَكَةِ لأَوْلِيَاءِ اللهِ [مِنْ أَهْلِ دَارِ السُّرُورِ، الَّذِينَ كَانَ سَعْيُهُمْ وَرَغْبَتُهُمْ فِيهَا، يَا أَيُّها النَّاسُ! يَا أَهْلَ الإسْلامِ!] جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا جَاءَ، جَاءَ بِالْحَسْرَةِ وَالنُّدَامَةِ، وَالْكَرَّةِ الْخَاسِرَةِ لأَوْلِيَاءِ الشَّيْطَانِ مِنْ أَهْلِ دَارِ الْغُرُورِ، الَّذِينَ كَانَ سَعْيُهُمْ وَرَغْبَتُهُمْ فِيهَا، أَلا إنَّ لِكُلِّ سَاعٍ غَايَةً، وَغَايَةُ كُلِّ سَاعٍ الْمَوْتُ» [٢].

وفائدة الحديث إعلام أنّ الأمر ينتهي إلى الموت، وهذا حثّ على كسب الخير واجتناب الشرّ، فإنّ *الموت كائن لا محالة. وراوي الحديث أبو أيّوب الأنصاريّ رضي الله عنه. ٤١١

قوله صلى الله عليه وآله: إنَّ لِكُلِّ عَابِدٍ شِرَّةً وَلكُلِّ شِرَّةٍ فَتْرَةً

الشرّ: نقيض الخير، وقد شررت هذا شرّاً وشرراً وشرارةً، والشرّة: الحالة والهيأة، وشرّة

---

١ . التوبة: ٣٥.

٢ . مسند الشهاب: ١٢٥/٢، ح١٠٢٥؛ وراجع: شعب الإيمان: ٣٥٦/٧، ح١٠٥٦٩؛ كنز العمّال: ٢٣٥/١٥، ح٤٢١٤٣.

الشباب: حرصه ونشاطه.

فيقول صلى الله عليه وآله: لكلّ متعبّد شرّة وحرص ورغبة وتوفّر ومبالغة وتشمير في عبادته، ثمّ إنّه لا يطيق ما شرع فيه وافتتح فيفتر ويتراجع وهو لعمري كذلك؛ وكم قد رأيت مشاهدةً هذا المعنى، وما أحسن ما قال صلى الله عليه وآله: «لا تبغّض طاعة الله إلى نفسك»[١]، وقال عليه السلام: «خيرُ الأمورِ أوسَاطُهَا»[٢]، فالأولى بالإنسان أن يتدرّج بنفسه إلى المبالغة[٣] حتّى لا يسأم ولا يملّ فيضجر، ويؤدّي به الضجر إلى أن يتركها رأساً، وقد رأينا ذلك كثيراً.

وفائدة الحديث إعلام أنّ مَساورة[٤] الطاعة في مغالبتها ممّا يَفتُر عنه الإنسان ويعجز، والأمر بالرفق في الطاعة وأن لا يحمل نفسه فوق طاقتها فيملّ. وراوي الحديث عبد الله بن عمرو بن العاص.

ورواه عبد الله بن عبّاس رضي الله عنه قال: «كَانَتْ مَوْلاةٌ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وآله تَصُومُ الدَّهْرَ وَتَقُومُ اللَّيْلَ، فَقِيلَ لَهُ صلى الله عليه وآله، فَقَالَ عليه السلام: إنَّ لِكُلِّ عَامِلٍ[٥] شِرَّةً، وَالشِّرَّةُ إلَى فَتْرَةٍ»[٦].

قوله صلى الله عليه وآله: إنَّ لِكُلِّ قَولٍ مِصْدَاقاً وَلكُلِّ حَقٍّ حَقِيقَةً

المصداق: مايصدق به الكلام وهو مفعال، بناء الآلة فكأنّه ما يستدلّ به على صدق الشيء، والحقّ هنا مطابقة الصواب والحقيقة ما ينبئ عن كون الشيء حقّاً، ولذلك يقال لحدّ الشيء حقيقة فيقول عليه السلام: إنّ لكلّ كلام مصداقاً يصدقه [و]دليلاً يثبته وحجّةً تعضده وبيّنةً

١. لم أقف على مصدره.

٢. راجع: حلية الأولياء: ٢/٢٨٦؛ شعب الإيمان: ٥/١٦٩، ح٦٢٢٩؛ سنن البيهقي: ٣/٢٧٣، ح٥٨٩٧.

٣. يتقدّم إلى المبالغة شيئاً فشيئاً.

٤. مبادرة.

٥. في خ: عملٍ.

٦. مسند الشهاب: ٢/١٢٦، ح١٠٢٧؛ وراجع: مسند أحمد: ٢/١٨٨، ح٦٧٦٤؛ المعجم الكبير: ٨/٢٢٢، ح٧٨٨٣.

تسدّده، ولكلّ حقّ وصواب ما يدلّ على تحقيقه وتثبتّه.

وروي أنّ نبيّ الله صلى الله عليه وآله قال لحارث بن مالك رحمه الله: كَيْفَ أَصْبَحْتَ؟ قَالَ: أَصْبَحْتُ مَؤمِناً حَقّاً، قَالَ: لِكُلِّ شيء حَقِيقَةٌ فَمَا حَقِيقَةُ إِيمَانِكَ؟ قَالَ: إِنّي أَنْفَقْتُ مَالِي وَأَسْهَرْتُ عَيني [1] وَكَأَنّي أَنْظُرُ إِلَى عَرْشِ الرحمَنِ، وَقَدْ أُبْرِزَ لِلْحِسَابِ وَكَأَنّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ فِي الْجَنَّةِ يَتَزَاوَرُونَ وَإِنَّ أَهْلَ النَّارِ فِي النَّارِ يَتَضَاغَوْنَ فَقَالَ صلى الله عليه وآله: هَذَا عَبْدٌ قَدْ نَوَّرَ اللهُ قَلْبَهُ بِالإيمانِ، أصبت فألزم، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! ادْعُ اللهَ لِي بِالشَّهَادَةِ، فَدَعَا لَهُ، فأصيب في اليوم الثامن. [2]

وفي كلام للحسن البصريّ: لا يستحقّ أحدكم حقيقة الإيمان حتّى يجمع ثلاث خصال: أن يعطي من نفسه ما هو سائله من الناس، ولا يعيب أحداً بعيب فيه حتّى يبدأ بإصلاح ذلك من نفسه، ولا يرسل عضواً من أعضائه إلى أمر حتّى ينظر أذلك له أم عليه، فيكفّ عمّا عليه *ويمضي فيما له. [3]

٤١٢

وفائدة الحديث إعلام أنّ كلّ كلام يحتاج إلى ما يصدّقه، وكلّ حقّ يحتاج إلى ما يحقّقه. وراوي الحديث أنس بن مالك، قال: دَخَلَ مُعاذُ بن جَبَل، عَلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وَهُوَ مُتَّكِئٌ، فَقَالَ: كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا مُعَاذُ؟ قَالَ: أَصْبَحْتُ بِاللهِ مُؤْمِناً يا رسولَ اللهِ! فَقَالَ صلى الله عليه وآله في حديث طويل. [4]

قوله صلى الله عليه وآله: إِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى وَإِنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ

الملك: الحاكم المطلق، حكمه في الناس نفعاً وضرّاً وهو أعمّ من المالك، والحِمى: ما يحظره

---

١ . في المصادر: اظمأتُ نهاري وأسهرتُ ليلي.

٢ . راجع: مصنّف ابن أبي شيبة: ١٧٠/٦، ح٣٠٤٢٣؛ مسند عبد بن حميد: ١٦٥، ح٤٤٥؛ المعجم الكبير: ٢٦٦/٣، ح٣٣٦٧ى وراجع: الجعفريّات: ٧٧؛ النوادر للمؤلّف: ١٣٨ـ١٣٩؛ معاني الأخبار: ١٨٧.

٣ . راجع: البيان والتبيين: ٤٥٢؛ المجالسة وجواهر العلم: ٣٢٦، ح١٩١٦؛ جمهرة خطب العرب: ٤٨٨/٢، ح٤٦٢

٤ . طبقات المحدّثين: ١٨٢/٤؛ حلية الأولياء: ٢٤٢/١؛ مسند الشهاب: ١٢٧/٢، ح١٠٢٨؛ تاريخ مدينة دمشق: ٤١٦/٥٨.

الملك على غيره أن يرعى وهو فِعَل، وأحميت المكان: إذا منعته غيرك، وأصل «ح م ي»: المنع، تقول: حميته أي دفعت عنه، وحميت المريض الطعام، وحميت عن كذا: إذا أنِفت[1] منه.

وكان الشريف في الجاهليّة إذا نزل بلداً استعوى كلباً فحمى لخاصّته مدى عواء الكلب لا يشركه فيه غيره وهو يشركهم في سائر ما يرعون فذلك حمى ذلك الشريف.[2]

والمحارم: جمع محرَمة وهي الحرمة، ومعناها: ما لا يحلّ انتهاكه، والمحرمة بضمّ الراء أيضاً لغة، وأصل «ح ر م» أيضاً: المنع والحرام الممنوع المحظور.

يقول صلى الله عليه وآله: لكلّ مَلِك حمىً يمنع الناس الإلمام به والوقوع فيه والإصابة من إكلائه، ومحارم الله تعالى ومناهيه التي حظر على الناس انتهاكها هي حماه، فلا يقربونها ولا ينتهكوا حرمتها.

وفائدة الحديث إعلام أنّ المحارم والمحظورات هي حمى الله تعالى الذي أحماه ومنع الناس عن ملابستها والإصابة منها. وراوي الحديث النعمان بن بشير.

قوله صلى الله عليه وآله: إنَّ لِكُلِّ صَائِمٍ دَعْوَةً

الصوم: هو الإمساك، وحبسه الشرع على إمساك مخصوص في وقت مخصوص؛ والدعوة: المرّة الواحدة من دعاء العبد ربّه تعالى في خير يصيبه أو شرّ يدفعه عنه.

وتمام الحديث: «إنَّ لِكُلِّ صَائِمٍ دَعْوَةً، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يُفْطِرَ فَلْيَقُلْ عِنْدَ أَوَّلِ لُقْمَةٍ: يَا وَاسِعَ الْمَغْفِرَةِ اغْفِرْ لِي»[3].

وقوله عليه السلام: «دعوةً» يعني أنّه إذا صام تقرّباً إلى الله تعالى كان بالحريّ أن يستجيب الله

---

١. استنكفت.

٢. راجع: تهذيب اللغة: ١٧٧/٥؛ تفسير غريب ما في الصحيحين: ٤٠٦؛ النهاية: ٤٤٧/١.

٣. الزهد لابن المبارك: ٤٩٤/١، ح ١٤٠٩؛ مسند الشهاب: ١٢٨/٢، ح ١٠٣١؛ وراجع: الإقبال: ٢٤٤/١؛ بحار الأنوار: ١٤/٩٥.

تعالى دعائه، فليجعل تلك الدعوة للغفران فهو أهمّ الأشياء.

وفائدة الحديث أمر الصائم بالدعاء بالمغفرة. وراوي الحديث الحارث بن عبيدة.

قوله ﷺ: إنَّ لِكُلّ شَيءٍ بَاباً وَبَابُ العِبَادَةِ الصِّيَامُ

إنّما قال ﷺ ذلك لأنّ الصائم يحوي بطنه من مدد الطعام والشراب فيضعف، وتخلو أوراده وعروقه، فيكون أسقط لشهوته وأفتر لدواعيه، فيكون أقرب إلى الطاعات وأبعد عن المعاصي؛ فلأجل ذلك جعل الصيام باباً للعبادة، والعبادة: ❊الطاعة، وعَبَد الله تعالى يعبُده عِبَادةً، وتعبّدت أي تمسّكت، وأصل «ع ب د»: الخضوع والذلّ ومنه العبد، وطريق معبّد أي مذلّل. و«الصيام» مصدر صام يصوم صوماً وصياماً، وأصله «صِوام» فقلبت الواو ياءً لمكان الكسرة قبلها ولا يلزم عليه «لِواذ» لأنّه مصدر «لاوذ»، فلمّا تحرّكت الواو في الفعل تحرّكت في المصدر بدليل أنّ مصدر «لاذ» «لياذ» كما أنّ مصدر «صام» «صيام».

٤١٣

وفائدة الحديث إعلام أنّ الصوم يقرّب العبد إلى الله تعالى وهو مفتح باب العبادات. وراوي الحديث ضَمْرَة بن حبيب.

قوله ﷺ: إنَّ لِكُلِّ شَيءٍ مَعْدِناً وَمَعدِنُ التَّقوَى قُلُوبُ العَارِفِينَ

المعدن: المستقرّ، وعدنت الإبل بمكان كذا إذا لزمته، وعدنت البلد: توطّنته وأقمت به، و«جنّات عدن» أي إقامة من غير زوال، وسمّي المعدن معدناً لأنّ الجوهر أقام به واستقرّ. وقد تقدّم الكلام في التقوى.

فيقول ﷺ: إنّ لكلّ شيء معدناً وموطناً، وموطن التقوى قلوب الذين يعرفون الله تعالى، لأنّها لا تستقرّ إلّا في قلوب المتّقين، ولا يكون العبد متّقياً حتّى يعرف الله تعالى ويعرف أمره فيلتزمه ونهيه فيجتنبه.

وفائدة الحديث إعلام أنّ التقوى لا يفارق قلوب العارفين كما لا تفارق الجواهر المعادن. وراوي الحديث عمر بن الخطّاب.

قولهﷺ: إنَّ لِكُلِّ شَيءٍ قَلْباً وَإنَّ قَلْبَ القُرآنِ يس

القلب قلب الإيمان[1] وهو كأنّه المعتدّ به منه، قال تعالى: «لِمَنْ كانَ لَهُ قَلْبٌ»[2]، فقيل لخالص كلّ شيء قلب، كما يقال قلب الموز والجوز للبّهما، وقلب النخلة: الجمّار الذي يخرج من رأسها حتّى قيل عربيّ قلب أي خالص.

فيقولﷺ: إنّ لكلّ شيء خالصاً وخالص القرآن يس، وهذا تشريف لها.

وروي عن أبيّ بن كعب قال: «قَالَ رَسُولُ اللهِﷺ: إنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ قَلْباً، وَإنَّ قَلْبَ الْقُرْآنِ يس، وَمَنْ قَرَأَ يس وَهُوَ يُرِيدُ بِهَا اللهَﷻ غَفَرَ اللهُ لَهُ، وَأُعْطِيَ مِنَ الأَجْرِ كَأَنَّمَا قَرَأَ الْقُرْآنَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ مَرَّةً، وَأَيُّمَا مُسْلِمٍ قُرِئَ عِنْدَهُ إذَا نَزَلَ بِهِ مَلَكُ الْمَوْتِ [سُورَةُ] يس نَزَلَ بِكُلِّ حَرْفٍ مِنْ سُورَةِ يس عَشَرَةُ أَمْلاكٍ، يَقُومُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ صُفُوفاً يُصَلُّونَ عَلَيْهِ، وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ، وَيَشْهَدُونَ غُسْلَهُ، وَيُشَيِّعُونَ جِنَازَتَهُ، وَيُصَلُّونَ عَلَيْهِ، وَيَشْهَدُونَ دَفْنَهُ، وَأَيُّمَا مُسْلِمٍ قَرَأَ يس وَهُوَ فِي سَكَرَاتِ الْمَوْتِ لَمْ يَقْبِضْ مَلَكُ الْمَوْتِ رُوحَهُ حَتَّى يَجِيئَهُ رِضْوَانُ خَازِنُ الْجَنَّةِ بِشَرْبَةٍ مِنْ شَرَابِ الْجَنَّةِ يَشْرَبُهَا، وَهُوَ عَلَى فِرَاشِهِ، فَيَقْبِضُ مَلَكُ الْمَوْتِعليه السلام *رُوحَهُ وَهُوَ رَيَّانُ، وَيَمْكُثُ فِي قَبْرِهِ وَهُوَ رَيَّانُ، وَيُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهُوَ رَيَّانُ، ويحاسب وهو ريّان[3] وَلا يَحْتَاجُ إلَى حَوْضٍ مِنْ حِيَاضِ الأَنْبِيَاءِعليهم السلام حَتَّى يَدْخُلَ الْجَنَّةَ وَهُوَ رَيَّانُ»[4].

٤١٤

١. كذا في خ، ولعلّ الصواب: الإنسان.

٢. ق: ٣٧.

٣. لم ترد في المصدر عبارة: «ويحاسب وهو ريّان».

٤. مسند الشهاب: ١٣٠/٢، ح١٠٣٦؛ وراجع: تفسير السمرقندي: ١٢٦/٣ـ١٢٧؛ تفسير الثعلبي: ١١٩/٨.

فهذه رواية أبيّ بن كعب[١] من مسند القضاعيّ الشهاب، وقد نزلت هذه الرواية، والله تعالى قادر على كلّ شيء وخزائن رحمته تسع أكثر من ذلك.

وروي: أنّ من قرأ طه ويس صباحاً كان في أمان الله تعالى حتّى يمسي فإنّ من قرأها مساءً كان في أمانه حتّى يصبح.[٢]

وفائدة الحديث تشريف سورة يس والحثّ على قرائتها. وراوي الحديث أنس بن مالك.

وفي الحديث: «فَمَنْ قَرَأَ سورةَ يس كَتَبَ اللهُ لَهُ بِقِرَاءَتِهَا قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ عَشْرَ مَرَّاتٍ»[٣].

وقد تكلّم بعض أهل العلم في تعليل ذلك أعني ثواب قارئها، ولا أريد أن أشرع فيه، لأنّه لا يعلمه إلّا الله تعالى ومن يعلّمه ﷻ ذلك.

قوله ﷺ: إنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةً وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لأُمَّتِي يَوْمَ القِيَامَةِ

الخبء: الستر، وخبأت ذلك سترته، وجارية مخبأة مستورة في خبائها، والمخبّأة: المخدّرة[٤] والمشهور في أخبأ غير التعدّي لأنّه يقول: اختبأ أي استتر، فإمّا أن تكون هنا في معنى خبأ كقطع واقتطع وكمهج ونسج، وإمّا أن يكون على أنّه اختبأ به فحذف الحرف وأوصل الفعل فهو على تقدير الحرف؛ والشفاعة: سؤال دفع مضرّة على الغير بشريطة أن يكون المسؤول أعلى درجة من السائل، وأصل «شفع»: ضمّ الشيء إلى مثله وكان المستشفع يطلب ناصراً يضمّه إلى نفسه ليسعى له كما يسعى ويتعاون معه على ما هو بصدده.

---

١. في خ غير واضحة.

٢. راجع: أماليّ الجرجاني: ٣١٣/١؛ الفتوحات المكّيّة: ٥٠٠/٤.

٣. سنن الترمذي: ١٦٢/٥، ح٢٨٨٧؛ شعب الإيمان: ٤٨٠/٢، ح ٢٤٦٠؛ كنز العمّال: ٢٨٩/١، ح ٢٦٢٤.

٤. كذا في المصادر اللغويّة، وفي خ: والمخبأ: المخدع.

فيقول صلى الله عليه وآله: لكلّ نبيّ دعوة دعاها، ودعوة النبيّ لا شكّ مجابة، وأمّا أنا فما دعوتها بل سترتها وادّخرتها ليوم القيامة وافتقار الأمّة إليها.

وروي عنه صلى الله عليه وآله: إنّ شفاعتي للملطخين بالكتاب، أو كما قال عليه السلام.[1]

و«شفاعة» نصب حال، التقدير: اختبأت دعوتي كائنةً شفاعةً لأمّتي أشفعها لهم يوم القيامة.

وحقيقة هذا الكلام: أنّي ما دعوت الدعوة المرخّص لي فيها بل أشفع في القيامة عوضاً؛ ويجوز أن يكون «شفاعةً» نصباً مفعولاً له أي اختبأت الدعوة للشفاعة فهي علّة الاختباء.

وفائدة الحديث أنّه يشفع يوم القيامة لأمّته فيستوهب ذنوبهم ليدخلوا الجنّة. وراوي الحديث أنس بن مالك.

٤١٥ قوله صلى الله عليه وآله: إنَّ الْمُؤمِنَ يُؤْجَرُ فِي نَفَقَتِهِ كُلِّهَا إلَّا شَيْئاً * جَعَلَهُ فِي التُّرَابِ أَوْ الْبِنَاءِ

إنّما يؤجر المؤمن في النفقة لأنّها قوام عيشه وسببه الذي يتقوّى به على العبادة والطاعة في عمره، وما ينفقه على نفسه وعياله وأقربائه وجيرانه وإخوانه والمسلمين كلّه في سبيل واحد إذا أراد الله تعالى بذلك، ثمّ استثنى عليه من ذلك ما ينفق في البناء.

وقوله عليه السلام: «في التراب أو البناء»، ما يخلو من وجوه:

أحدها: أن يكون الحديث كصورة هذه، وذلك لأنّ البناء أيضاً من التراب فيكون المعنى إلّا ما ينفقه في الطين للبناء.

ويجوز أن يكون الراوي قد تشكّك فلا يدري إقالة النبيّ عليه السلام في التراب أو البناء وإنّما قال أحدهما فأبى بها مترجّحاً في الشكّ بينهما، بمعنى أنّه عليه السلام إمّا قال هذا أو ذاك.

وله وجه آخر وهو أن يكون قوله: «في التراب» معناه: ما يخبأه في التراب أو ينفقه في

---

١. راجع: نوادر الأصول: ٦٧/٢؛ تاريخ بغداد: ٣٤١/٧، ح ٣٨٦١؛ كنز العمّال: ١٧٣/١٤، ح ٣٩٠٨١.

البناء وما يخبأه في التراب لا يكون نفقةً فحينئذٍ يكون الاستثناء منقطعاً، والمعنى: لكنّ الذي يخبأه في التراب يعاقب عليه أو ما يشبهه.

وما ينفقه في البناء أيضاً لا يطلق عليه الإنفاق إلّا مجازاً، لأنّ النفقة حقيقتها[١] في الطعام والشراب واللباس وَهَب أنّ بنائه فوق ما يكفيه مباح فإنّه أيضاً لا يؤجر عليه لأنّه لا ثواب على المباح كما أنّه لا عقاب عليه. وهيهات فإنّه تضييع المال فيما لا يجدي، وهو من نتائج طول الأمل وشدّة الحرص وكلّ منهما مذموم.

فيقولصلى الله عليه وآله: المؤمن يؤجر في جميع ما ينفقه على نفسه وعياله المستحقّين، إلّا ما يجعله في الأبنية زيادة على الحاجة، وذلك أنّ قدر ما يكفيه بمنزلة اللباس.

وروي عن أبي العبّاس ثعلب عن رجل يعرى في داره، فقيل له ذلك، فقال: داري إزاري.[٢]

وقال عمّار بن ياسر: إذا بنى الرجل فوق سبع أذرع نادى مناد من السماء: يا أفسق الفاسقين أين تريد أين تريد؟![٣]

وقال النبيّعليه السلام: «كُلُّ بِنَاءٍ وَبَالٌ عَلَى صَاحِبِهِ، إلَّا مَا [لَا]»[٤] يعني إلّا ما لا بدّ منه.

ومرّ أبو ذرّ بأبي الدرداء وهو يبني ببناء من جصّ فلم يسلم عليه، فلحقه فقال: يا أخي! لِمَ تركت السلام عليّ؟ قال: لأنّي رأيتك قد تجرّدت للدنيا وقد أذن الله في خرابها، وأنشد:

وَمُشَيِّداً دَاراً لِيَسْكُنَ دارَهُ ... سَكَنَ الْقُبُورَ وَإنْ[٥] لَمْ يُسْكَنُ[٦]

---

١. في خ: حقيقتهما.

٢. راجع: المحكم والمحيط الأعظم: ٧٦/٩؛ تاج العروس: ٤٤/١٠.

٣. الكافي: ٥٢٩/٦، ح ١؛ وسائل الشيعة: ٣١١/٥، ح ٦٦٣٩؛ وراجع: حلية الأولياء: ٧٥/٣؛ الفردوس: ٥٥٠/٣، ح ٥٧٢١؛ كنز العمّال: ١٧٠/١٥، ح ٤١٥٥٣ و ٤١٥٥٤.

٤. سنن أبي داود: ٣٦٠/٤، ح ٥٢٣٧؛ مسند أبي يعلى: ٣٠٩/٧.

٥. في المصادر: وداره.

٦. أنشده مسعر بن كدام، راجع: البيان والتبيين: ٤٧٥؛ المجالسة وجواهر العلم: ١٩٣، ح ١١٠٧؛ ←

ومرّ الحسن البصريّ بقصر فقال: «رفعوا الطين وهدموا الدين وغرسوا الرياحين وأشبهوا الدهاقين فصاروا بذلك ملاعين فسوف يلقون غيّاً»[1].

وقال النبيّ عليه السلام: من بنا فوق ما يكفيه جاء يوم القيامة حامله على عنقه.[2]

٤١٦

*وقال الحسن: «كنت أدخل بيوت أزواج النبيّ صلّى الله عليه وآله أتناول سقفها بيدي»[3].

وقال أبو الدرداء: «إذا منع الرجل حقّ ماله سلّطه الله على الطين والماء»[4].

وقال النبيّ عليه السلام: إذا أراد الله بعبد سوءاً جعل ماله في الطبيخين: الجصّ والآجر.[5]

ومرّ أمير المؤمنين ـ صلوات الله عليه ـ على مسجد بني تميم وقد زوّق وزخرف وقد حضرت الصلاة فقيل: يا أمير المؤمنين! هذا مسجد بني تميم. فقال: هذه بيعة بني تميم، فجاوزه حتّى أتى مسجد بني شيبان فصلّى، وقال: نهينا أن نصلّي في مسجد أسّس على غير تقوى.[6]

ومرّ ابن مسعود بمسجد بالكوفة على مسجد منقّش فقال: من بنى هذا لعنه الله أنفق مال الله في معصية.[7]

ودخل شقيق بن إبراهيم مسجداً منقوشاً فسأل عن نفقة نقش ذلك المسجد، فقالوا: كذا

← شعب الإيمان: ٤٠٢/٧، ح١٠٧٥٨.

١. راجع: قصر الأمل: ١٩٥، ح٣١٠؛ نثر الدرّ: ١٢٢/٥؛ شعب الإيمان: ٤٠٣/٧، ح١٠٧٦١؛ محاضرات الأدباء: ٦٢٨/٢.

٢. راجع: قصر الأمل: ١٦٣، ح٢٤٦؛ قوت القلوب: ٤٣٣/١ى المعجم الكبير: ١٥١/١٠، ح١٠٢٨٧؛ كنز العمّال: ١٧٢/١٥، ح٤١٥٨٦.

٣. الأدب المفرد: ١٦٠، ح٤٥٠؛ شرح صحيح البخاري: ١٥٢/٢؛ الاستذكار: ٣٣/١.

٤. الفائق: ٣٥٦/٢؛ غريب الحديث لابن الجوزي: ٢٦/٢؛ وراجع: تحسين القبيح وتقبيح الحسن: ٦١؛ شعب الإيمان: ٣٩٤/٧، ح١٠٧٢٠.

٥. راجع: شعب الإيمان: ٣٩٤/٧، ح١٠٧١٨.

٦. لم أقف على مصدره.

٧. لم أقف على مصدره.

وكذا درهماً، فقال: لكلّ درهم.[١]

وفائدة الحديث إعلام أنّ المؤمن يؤجر على ما ينفقه على [نفسه] وعياله وإخوانه وأهل بيته وجميع المستحقّين إلّا ما ينفقه في الطين. وراوي الحديث خَبّاب بن الأَرَتّ. وقال حارثة: دخلنا على خبّاب بن الأرتّ نعوده وإذا حائط يبني في بيته، فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول ذلك.[٢]

قوله صلى الله عليه وآله: إنَّ الْحَسَدَ لَيَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ كَمَا يَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ

الحسد: تمنّي زوال نعمة غيرك.

يقول صلى الله عليه وآله الحسد يفسد الحسنات ـ وهي الأفعال الحسنة ـ ويلطّخها[٣] ويعرّها ويغطّي عليها ويسودها[٤] ويجعلها بحيث لا يعتدّ بها، «كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ»، حيث يجعله رماداً أو فَحماً؛ وذلك أنّ الحسود وإن حصلت منه الأفعال الصالحة لكانت مشينةً لمكان الحسد. ثمّ إنّ الحاسد يعارض ربّه فيما يفعل، لأنّ النعمة على المحسود من قبله وهو يتمنّى زواله، وكأنّه يُخطّئ الله تعالى فيما أولاه تعالى وتقدّس.

وروي عن سفيان [قال]: «بلغني أنّ الله تعالى يقول: الحاسد عدوّ نعمتي غير راض بقسمتي التي قسمت بين عبادي»[٥].

---

١. لم أقف على مصدره.

٢. راجع: مسند أحمد: ١١٠/٥، ح٢١١٠١؛ المعجم الكبير: ٧٢/٤، ح٣٦٧٥؛ مسند الشهاب: ١٣٥/٢، ح١٠٤٦.

٣. يلوّثها.

٤. في البحار: ويسوؤها.

٥. العقد الفريد: ١٥٩/٢؛ تفسير الثعلبي: ٣٣٠/٣؛ شعب الإيمان: ٢٧٤/٥، ح٦٦٣٧؛ الدرّ المنثور: ٦٩٢/٨.

وقال منصور الفقيه:

أَلا قُلْ لِمَنْ كَانَ بِي حَاسِداً أَتَدْرِي عَلَى مَنْ أَسَأْتَ الأَدَبْ

أَسَأْتَ عَلَى اللهِ فِي فِعْلِهِ لِإِنَّكَ[1] لَمْ تَرْضَ لِي مَا وَهَبْ

جَزاؤكَ مِنْهُ الزِّيَادَاتُ لِي وَإِنْ لا تَنَالُ الَّذِي تَطْلُبْ[2]

و قيل: الحاسد بارز ربّه من ستّة أوجه: أبغض كلّ نعمة تظهر على غيره، وسخط القسمة، وضادّ قضاء الله، وكابر مقدوره، وخذل وليّه، وأعان عدوّه.[3]

وقيل: الحاسد [جاحد] لأنّه لم يرض بحكم الواحد.[4]

٤١٧ وقيل في قوله تعالى: «إِنَّما حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَواحِشَ ما ظَهَرَ مِنْها *وَما بَطَنَ»، يعني الحسد.[5]

وقيل: الحسد منصف، لأنّه يؤثر في الحاسد ولا يؤثر في المحسود. وقال:

اصْبِرْ على كيْدِ[6] الحَسودِ فإنَّ صَبرَكَ قاتِلُهْ

يَكفيكَ مِنْهُ بِأَنَّهُ حَيٌّ تَموتُ مَفَاصِلُهْ

كالنَّارِ تأْكُلُ نَفْسَهَا إن لم تجِدْ ما تأكُلُهْ[7]

و قال:

---

١. في البحار وبعض المصادر: إذا أنت.

٢. شعب الإيمان: ٢٧٦/٥، ح٦٦٤٨؛ تاريخ بغداد: ٢٣٠/١٣؛ المنتظم: ٢٥/١٥؛ شذرات الذهب: ١٣٥/٣.

٣. نسب إلى بعض الحكماء، وفي بعض المصادر: من خمسة أوجه؛ راجع: تفسير القرطبي: ٢٦٠/٢٠؛ اللباب في علوم الكتاب: ٥٧٥/٢٠؛ البريقة المحموديّة: ٣٥٦/٣.

٤. راجع: الرسالة القشيريّة: ١٩٢؛ المبسوط للسرخسي: ٧٥/١٦؛ المقاصد الحسنة: ٣٠٨.

٥. راجع: الرسالة القشيريّة: ١٩٢؛ والآية في الأعراف: ٣٣.

٦. في البحار وفي بعض المصادر: حسد.

٧. قاله عبدالله بن المعتزّ، ولم أقف على البيت الثاني في المصادر؛ ديوانه: ٧٨٠؛ وراجع: العقد الفريد: ١٦٢/٢؛ أسرار البلاغة: ٧٧؛ نهاية الأرب في فنون الأدب: ٩٥/٣.

إنّي لأَرحَمُ حاسِديَّ لِحَرِّ ما ضَمنت صُدورُهُم مِنَ الأَوغارِ
نَظَروا صَنيعَ اللهِ بي فَعُيونُهُم في جَنَّةٍ وَقُلوبُهم في النارِ[١]

و قيل: الحسود لا يسود.[٢]

وروي: أنّ في السماء الخامسة ملكاً يمرّ به عمل عبد له ضوء كضوء الشمس فيقول: قف، فأنا ملك الحسد، أضرب به وجه صاحبه، فإنّه حاسد.[٣]

ويقال: لا يوجد ظالم وهو مظلوم إلّا الحاسد. وأنشد:

قل للحسودِ إذا تنفّس حسرةً يا ظالماً وكأنّه مظلوم[٤]

وفائدة الحديث النهي عن الحسد والأمر بتجنّبه. وراوي الحديث ابن عمر.

قوله صلى الله عليه وآله: أَنَّ أَكْثَرَ مَا يُدْخِلُ النّاسَ النَّارَ الْأَجْوَفَانِ: الْفَرْجُ وَالْفَمُ وَإِنَّ أَكْثَرَ مَا يَدْخُلُ النَّاسُ الْجَنَّةَ تَقْوَى اللهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ

إنّما اختصّهما صلى الله عليه وآله بالذكر لأنّ أكثر الشهوات يتعلّق بهما، ولذلك كنت العرب عن اللذّة الموجودة بهما بالأطيبين يعنون الأكل والنكاح، وتانك الشهوتان هما اللتان ينكسان الخلق في نار جهنّم. ثمّ قال عليه السلام: «وَإِنَّ أَكْثَرَ مَا يَدْخُلُ النَّاسُ الْجَنَّةَ تَقْوَى اللهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ»، وذلك لأنّ التقوى تندرج تحتها الاحتراز من كلّ معصية، وحسن الخلق هو الذي ذكره عليه السلام بأنّه

١ . قاله عليّ بن محمّد التهامي؛ راجع: دميّة القصر: ١٤٨/١؛ تاريخ الإسلام: ٤٠٥/٢٨؛ شذرات الذهب: ٢٠٥/٣؛ ديوانه: ٢٨٣.

٢ . البصائر والذخائر: ٢٣٢/١؛ لباب الآداب: ٧٢.

٣ . الرسالة القشيريّة: ١٩٢؛ البريقة المحموديّة: ٣٥٥/٣.

٤ . راجع: الرسالة القشيريّة: ١٩٣؛ شرح نهج البلاغة: ١٨٩/١؛ ديوان ابن المعتزّ: ٨٢٩.

أوّل ما يوضع في الميزان.[١]

وفائدة الحديث التحذير من اتّباع الشهوتين والحثّ على اتّباع التقوى واختيارها وإيثار الخلق الحسن. وراوي الحديث أبو هريرة، قال: «قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله لأصحابِهِ: تَدْرُونَ مَا أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ؟ قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّ أَكْثَرَ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ الأَجْوَفَانِ: الْفَمُ، وَالْفَرْجُ، أَتَدْرُونَ مَا أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ؟ قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّ أَكْثَرَ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ تَقْوَى اللهِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ»[٢].

قوله صلى الله عليه وآله: إِنَّ الدِّينَ بَدَأَ غَرِيباً وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ

بدو الدين غريباً لقلّة المستأنسين به، وذلك لأنّه بدأ والخلق إمّا عبّاد أصنام أو يهوداً أو نصارى محرّفون مبدّلون لدينهم فلمّا ظهر وصدع به رسول الله صلى الله عليه وآله كان غريباً فيما بينهم، ولذلك كانوا يشمئزّون منه ويستنكفون من قبوله والتزام أحكامه ويقولون: لا نترك دين آبائنا الذي *نشأنا عليه، إلى أن قوّاه الله تعالى واستقرّ في القلوب وظهر على الأديان وغلب كلّ نحلة كما قال تعالى: «لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ»[٣]، وكم قاساهم النبيّ صلى الله عليه وآله تارة يدعونه الساحر وأخرى الشاعر وتارةً الكاهن،[٤] فلم يزل يحتمل ويلاينهم طوراً بحسن

٤١٨

١. راجع: مصنّف ابن أبي شيبة: ٢١٢/٥، ح٢٥٣٣٧؛ مسند عبد بن حميد: ٤٥٢، ح١٥٦٥.

٢. مسند الشهاب: ١٣٧/٢، ح١٠٥٠؛ الزهد الكبير: ٣٤٧، ح٩٥٥؛ شرح السنّة: ٧٩/١٣، ح٣٤٩٧.

٣. التوبة: ٣٣.

٤. «وَعَجِبُوا أَنْ جاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقالَ الْكافِرُونَ هذا ساحِرٌ كَذَّابٌ»، ص: ٤؛ «فَذَكِّرْ فَما أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكاهِنٍ وَلا مَجْنُونٍ»، الطور: ٢٩؛ «بَلْ قالُوا أَضْغاثُ أَحْلامٍ بَلِ افْتَراهُ بَلْ هُوَ شاعِرٌ فَلْيَأْتِنا بِآيَةٍ كَما أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ»، الأنبياء: ٥.

المسّ وطوراً بجرّ الحسّ حتّى استنزلهم عن عبادة الأوثان إلى عبادة الملك الديّان.

ثمّ قال عليه السلام: «سَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ» إشارة إلى ما يستأنف بعده من المعاصي والمخابث والرغبة عن معرفة الديانات، فيتّبعون الدنيا وملاذّها والشهوات وأطائبها، ولا يكترثون[1] من تراجع أمور الدين، يغضبون ويشتمون ويأكلون أموال اليتامى ظلماً ويتعدّون حدود الله إلى محارمه ويمدّون أيديهم إلى الخمر والزَمِر[2] والقَمِر وغير ذلك من أنواع الفسق، حتّى أنّهم ليشتهرون بالخاشع الخاضع ويولعون به ويتهاتفون[3] عليه ويستخفّون به، ويستطرفون الفاسق ويلطّفونه ويعطونه؛ وإذا كان كذلك كان الدين غريباً فيما بينهم، لأنّهم ليسوا بأهله الصالحون المصلحون الذين يحرّمون محارمه ويقفون عند حدوده. وكأنّه عليه السلام عنى بذلك زماننا هذا الذي نحن فيه.

ثمّ قال عليه السلام: طوبى للغرباء الذين غرباء فيما بينهم، لأنّهم لا يتعاطون أفعالهم ولا يشتغلون بما اشتغلوا به، فهم كالغرباء فيهم.

و«طوبى» فعلى من الطيب قلبت ياؤه واواً لضمّة الطاء، وقيل: إنّ طوبى اسم للجنّة وقيل: اسم للشجرة في الجنّة تظلّها كلّها.[4]

وروي: أنّ الغرباء هم الذين يفرّون بدينهم.[5]

وروي: «إنّه قِيلَ: وَمَنِ الْغُرَبَاءُ؟ قَالَ عليه السلام: الَّذِينَ يَصْلُحُونَ إذَا فَسَدَ النَّاسُ»[6].

وروي: «إنّه قِيلَ: وَمَنْ هُمْ يا رسولَ اللهِ؟ قَالَ: النُّزَّاعُ مِنَ الْقَبَائِلِ».[7]

---

١. ولا يبالون.

٢. الزَمِر: المغنّي بالقصب.

٣. يتضاحكون هزؤاً.

٤. راجع: النهاية: ١٤١/٣.

٥. الزهد لابن المبارك: ٥٣٢/١، ح١٥١٣؛ الفتن لنعيم بن حماد: ٧٧/١، ح١٦٩؛ كنز العمال: ٩٣/١١، ح٣١٢٦٧.

٦. كذا في المصادر، وفي خ: فسد الزمان؛ راجع: مصنّف ابن أبي شيبة: ٨٣/٧، ح٣٤٣٦٨؛ مسند أحمد: ٧٣/٤، ح١٦٧٣٦؛ مسند الشهاب: ١٣٩/٢، ح١٠٥٥.

٧. مصنّف ابن أبي شيبة: ٨٣/٧، ح٣٤٣٦٦؛ مسند أحمد: ٣٩٨/١، ح٣٧٨٤؛ الزهد الكبير: ١١٧، ح٢٠٦.

والنزّاع جمع نازع ونزيع، وهو الذي بعد عن أهله أي يفارقون أهاليهم وأوطانهم إبقاءً على دينهم وحفظاً ليقينهم، وفيه إخبار بالغيب ومعجز له صلى الله عليه وآله.

وفائدة الحديث إعلام أنّ الإسلام بدأ أوّل ما بدأ غريباً وسيعود كما كان والثناء والدعاء على من لا يدخل فيما دخلوا ولا بشروع فيما شرعوا. وراوي الحديث أبو هريرة.

قوله صلى الله عليه وآله: إنَّ الْفِتْنَةَ تَجِيءُ فَتَنْسِفُ العِبَادَ نَسْفاً يَنْجُو العَالِمُ مِنْهَا بِعِلْمِهِ

النسف: القلع، وقد نسَف الشيء ينسِف نَسفاً، وانتسفه انتسافاً مثله، قال:

وانْـتَسَف الجـالبُ مِـنْ أَنْـدابِـه أغـباطُنا المَـيْسُ عـلى أصْـلاَبِهِ[1]

٤١٩

ونسف البعير الكلأ: اقتلعه بأصله، ينسِفه، والمِنْسَفَة: آلة يقلع بها البناء، حكاها *أبو زيد،[2] والنَسَفَة: الحجر الأسود المنتف الذي يدلك به الرِجل في الحمام لأنّها يقلع الوسخ، ويقال: نَشَفَة ــ بالشين المعجمة بثلاث من فوقهنّ ــ والجمع نَشَف ويقال: نشفه.

وهذا الحديث كالذي قبله في أنّه إخبار عن غيب وعمّا سيكون بعده. ويجوز أن يكون المعنى من شأن الفتنة أن تقلع الناس؛ ومعنى القلع هاهنا الاستيصال كما يقال: «لأقلعنّك قلع الصمغة»[3] أي لاستأصلنّك ويقال: «تركته على مثل مقلع الصمغة»[4] أي استأصلته.

فيقول صلى الله عليه وآله: إنّ الفتنة وهي البلاء الراكد الذي ينزل بالقوم يقلع العباد فيستأصلهم، أي

---

١. كذا في المصادر، وفي خ: أغباطنا المشي على أصله؛ راجع: إصلاح المنطق: ٩٦؛ جمهرة اللغة: ٣٥٨/١؛ تهذيب اللغة: ٨٥/٨؛ تاج العروس: ٢٠٢/٣.

٢. راجع: الصحاح: ١٤٣٢/٤.

٣. قاله الحجّاج لأنس بن مالك، راجع: البيان والتبيين: ١٩٧؛ غريب الحديث لابن قتيبة: ٧٠٩/٣؛ الفائق: ٢١٣/١.

٤. مثل سائر، راجع: مجمع الأمثال: ١٢١/١.

يذهب بأموالهم وأولادهم، وربّما ذهبت بأنفسهم وذلك إذا مالوا عن الدين وتركوا النهج المستقيم وصارت الدنيا لمن غلب والمال لمن سلب وتراجعت العبادات فلا يتمسّك بها ولا متنسّك، وشاع الظلم فلا منتدح عنه ولا يترك، وبغى بعضهم على بعض، ويصرف في الدين غير أهله بغياً به وجهلاً، ويخذلهم الله تعالى ويَكِلُ بعضاً إلى بعض فيستأصلهم الفتنة، إلّا من أيّده الله تعالى بالعلم فإنّه يستضيء بنوره ويخلص من دَيْجُوره[1] ويعلم ما يأخذ ويدع ما يرفع وما يصنع، والأولى بالعالم إذا كان شيء من ذلك أن يقبَع قُبُوع القُنْفُذ[2] في بيته معلّلاً بِوَلَهٍ وَلَمَّهُ[3] ولذلك تجنّب كثير من العلماء الشروع في أعمال الظلمة فاعتزلوا جانباً ولم يحيطوا بهم حتّى لا يضطرّوا إلى السلام عليهم والتصبّح والتمسّي بوجوههم، هذا سفيان الثوري ومِسْعَر بن كِدام وأبو حنيفة، ويقال: إنّه سُمّ في حبسه، وإياس بن معاوية.

وروي أنّ عمر بن عبد العزيز أرسل رجلاً من أهل الشام وأمره أن يجمع بين إياس بن معاوية المزنيّ والقاسم بن ربيعة الغطفانيّ فيُولّي القضاء أنفذهما، فقدم البصرة فجمع بينهما، فقال إياس للشاميّ: أيّها الرجل! سل عنّي وعن القاسم فقيهي المصر الحسن وابن سيرين فمن أشارا عليك بتوليته فولّه، وكان القاسم يأتي الحسن وابن سيرين ولم يكن إياس يأتيهما، فعلم القاسم أنّه إن سألهما أشارا به، فقال للشاميّ: لا تسأل عنّي ولا عنه، فوالله الذي لا إله إلّا هو إنّ إياساً أفضل منّي وأفقه وأعلم بالقضاء، فإن كنت عندك ممّن يصدق أنّه ينبغي أن تقبل منّي، وإن كنت كاذباً فما يحلّ لك أن تولّيني وأنا كاذب. فقال إياس للشاميّ: إنّك جئت برجل فأقمته على شفير جهنّم فاقتدى نفسه أن يقذف فيها *بيمين حلفها كذب فيها، [٤٢٠] يستغفر الله منها، وينجو ممّا يخاف. فقال الشاميّ: أمّا إذا فطنت لهذا فإنّي أوليك، فاستقضاه

---

١. الدَيجور: الظلام.

٢. أن يدخل رأسه في جلده كما يفعل القنفذ وهو حيوان على ظهره شوك طويل.

٣. في خ: بلوّه وليته، ولعلّ الصواب ما أثبتّه في المتن.

على كراهيّة.[١]

وذكر عن سفيان: «لا تصحب قاضياً ولا تصحب من يصحب قاضياً ولا تصحب من يصحب من يصحب قاضياً»[٢]، وإنّما أراد الذين تقلّدوا القضاء من قبل الظلمة، على أنّه يجوز أن يتقلّد القضاء من قبلهم إذا علم أنّه يضع الأمور مواضعها ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وهيهات ذلك! والأولى أن لا يعرفهم ولا يعرفوه. وهذا كلام مشفق لك مناصح.

وفائدة الحديث إعلام صعوبة أمر الفتنة إذا ثارت ومزاولة الملوك إذا جارت، وأنّ العالم يمكن أن يستمسك بهدى علمه فينجو إن فعل ولم يخدعه الجاه والحرمة والمال والنعمة. وراوي الحديث أبو هريرة الدوسيّ.

قوله صلّى الله عليه وآله: إنَّ الْعَيْنَ لَتُدْخِلُ الرَّجُلَ الْقَبْرَ وَتُدْخِلُ الْجَمَلَ الْقِدْرَ

قد تقدّم الكلام في معنى ذلك، وأنّ المؤثر فيما يعينه العاين قدرة الله ـ جلّ وعزّ ـ الذي يفعل ما يشاء ويغيّر المستحسن من الأشياء عن حاله، اعتباراً للناظر وإعلاماً أنّ الدنيا لا يدوم نعيمها ولا يبقى ما فيها على وتيرة واحدة. والعين ما ذا تكاد تفعل بنظرها، ليت شعري ولو كان للعين نفسها أثر لكان يصحّ أن ينظر العائن إلى بعض أعدائه الذين يريد إهلاكهم وقلعهم فيهلكهم بالنظر؛ وهذا باطل، والعين كالجماد إذا انفردت عن الجملة فما ذا تصنع، وللفلاسفة في هذا كلام لا أريد أن أطور به[٣].

وفائدة الحديث إعلام أنّ الله تعالى قد يغيّر بعض ما يستحسنه الإنسان إظهاراً لقدرته

١ . راجع: أنساب الأشراف: ٥٥/٤؛ تاريخ مدينة دمشق: ٢٣/١٠؛ تهذيب الكمال: ٤١٨/٣ـ٤١٩؛ زهر الأكم: ٢٧١.
٢ . لم أقف على مصدره.
٣ . في خ: أطوره، وأطور به: أقربه.

واعتباراً للمعتبر من خليقته. وراوي الحديث جابر بن عبد الله.

قوله صَلَّىٰاللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: إنَّ الَّذِي يَجُرُّ ثَوْبَهُ[1] خُيَلاءَ لا يَنْظُرُ اللهُ إلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

الخيلاء: الكبر، وقد اختال فهو ذو خيلاء وذو خال وذو مخيلة، وخيلاء يجوز أن يكون مفعولاً له علّة الفعل، ويجوز أن يكون تميزاً، ويجوز أن يكون في موضع الحال.

يقول صَلَّىٰاللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: الذي يتكبّر ويجرّ ثيابه على الأرض ـ كما هو معهود من صفة المتكبّرين ـ لا ينظر الله تعالى إليه يوم القيامة؛ ونظره جلّ وعزّ هنا كناية عن رحمته.

قال تعالى: «لا يَنْظُرُ إلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ» [2].

وروي عن أمير المؤمنين ـ صلوات الله عليه ـ: «قصّر ثيابك فإنّه أبقى وأتقى وأنقى» [3]، وفسّر قوله تعالى: «وَثِيابَكَ فَطَهِّرْ» [4].

وقال صَلَّىٰاللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «بَيْنَا رَجُلٌ يَمْشِي فِي حُلَّةٍ أعجَبَتْهُ نَفْسُهُ، فَخُسِفَ بِهِ، فَهُوَ *يَتَجَلْجَلُ [فِيهَا] إلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» [5]، أي يسوخ بحركة وصوت. ٤٢١

وروي: «أنَّ رَجُلاً اجْتَازَ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰاللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَهُوَ يَجُرُّ إزَارَهُ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ارْفَعْ إزَارَكَ، فَإنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الْمُسْبِلِينَ، قَالَ: يا رسولَ اللهِ! إنَّ بِسَاقِي حُمُوشَةً، قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَا بِثَوْبِكَ أَقْبَحُ مِمَّا بِسَاقِكَ» [6].

---

١. كذا في المصادر، وفي خ: ذيله.

٢. آل عمران: ٧٧.

٣. تفسير غريب القرآن: ٣٨٦/٦؛ الإعجاز والإيجاز: ٢٨؛ وراجع: يتيمة الدهر: ٤٤٠/٤.

٤. المدّثّر: ٤.

٥. مسند ابن الجعد: ١٧٦، ح ١١٣٢؛ مسند أحمد: ٤٠/٣، ح ١١٣٧١؛ صحيح مسلم: ١٦٥٤/٣، ح ٢٠٨٨.

٦. مسند ابن أبي شيبة: ٤٣٥/٢، ح ٩٨٤؛ شعب الإيمان: ١٤٦/٥، ح ٦١٢٨؛ المطالب العالية: ٢٩٣/١٠، ح ٢٢١٦.

ودخل مهلّب مسجد البصرة وهو يتبختر فنظر إليه مطرّف بن عبد الله فقال: أيّها الفتى! لا تمش هذه المشية فإنّها مشية يبغضها الله تعالى، فقال: كأنّك لا تعرفني، قال مطرّف: أنا أعرف الناس بك أوّلك نطفة قذرة وآخرك جيفة مَذَرَة[١] وأنت فيما بين ذلك حمّال بول وعذرة، أفأعرفك أم لا؟! فترك مشيته تلك.[٢]

وفائدة الحديث النهي عن التكبّر والمخيلة. وراوي الحديث ابن عمر.

قوله صلى الله عليه وآله: إنَّ اللهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأمْرِ كُلِّهِ

الرفق: هو التثبّت في الأمر، يقال: رفَقت به ـ بفتح الفاء ـ وأرفق وأرفقته وترفّقت به بمعنى.

الواجب على العاقل أن يفعل ما يحبّه الله تعالى والرفق في كلّ شيء مبارك والعجلة شؤم، وربّما أهلكت العجلة الأمر. وقال الشاعر:

قَـدْ يُـدرِكُ المُـتَأَنِّي بَـعْضَ حَـاجَتِهِ وَقَـدْ يـكونُ مـن المُستعجِلِ الزَّلَلُ[٣]

والرفق يسهل[٤] التلافي والتدارك والعجلة بخلاف ذلك فربّما تفسد العجلة الأمر ثمّ لا يمكن تداركه.

وفي رواية أخرى: «إنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ»[٥].

---

١. المذرة: الفاسدة، كذا في المصادر، وفي خ: قذرة.

٢. راجع: حلية الأولياء: ٢/٣٨٤؛ محاضرات الأدباء: ٢/٣٨٤؛ محاضرات الأدباء: ١/٣٢٢؛ غرر الخصائص الواضحة: ٣٤.

٣. قاله القطامي؛ راجع: جمهرة أشعار العرب: ٥١؛ العقد الفريد: ٢/١٩٠؛ الأغاني: ١١/٢٦.

٤. في خ غير واضح.

٥. الكافي: ٢/١١٩، ح٥؛ وسائل الشيعة: ١٥/٢٦٩، ح٢٠٤٧٨؛ وراجع: الزهد لوكيع: ١/٢٦٦؛ مصنّف ابن أبي شيبة: ٥/٢١٠، ح٢٥٣١٣.

وروي: «أنّ جماعةً مِنَ الْيَهُودِ دَخَلوا عَلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكَ ـ يعنون الموت ـ قالَتْ عائشةُ: فَفَهِمْتُها، فَقُلْتُ: وَعَلَيْكُمُ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله: مَهْلاً يا عَائِشَةُ! إنَّ اللهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ، قَالَتْ عائشةُ: يَا رَسُولَ اللهِ! [أَ]لَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ عليه السلام: قَدْ قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ»[١].

وقال عليه السلام: «لَوْ كَانَ الرِّفْقُ خَلْقاً لَما رأى الناسُ أَحْسَنَ مِنْهُ وأنَّ الْخُرْقَ لَوْ كَانَ خَلْقاً ما رأى الناسُ أَقْبَحَ مِنْهُ»[٢].

وفائدة الحديث الأمر بالرفق في الأمور والتثبّت فيها. وراوية[٣] الحديث عائشة.

قوله صلى الله عليه وآله: إنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمالَ

الجمال: الحسن الوافر، وقد جمُل يجمُل جمالاً، فهو جميل وامرأة جميلة وجملاء. قال:

فَهْيَ جَمْلَاءُ كَبَدْرٍ طَالِعٍ   بَذَّتِ الخَلْقَ جَمِيعاً بِالجَمَالِ[٤]

وربّما يختصّ الجمال البدن أو الفعل وربّما يعبّر بالجمال عمّا يصل إلى غيرك من الخير وربّما وصف الله تعالى بذلك فالمعنّى به أنّه مجمل محسن إلى الخلق يفيض خيره عليهم، وجميل بمعنى مجمل كحكيم بمعنى محكم؛ و«يحبّ الجمال» أي: يحبّ أن يتعاطى الإنسان الخير إلى غيره اقتداء بربّه تعالى؛ [٤٢٢] وقد أمرنا أن نتشبّه بقدر ما يسعنا ويحتمل حالنا بأفعال الله تعالى، وقد تقدّم هذا المعنى قبل؛ وأورد الحديث الذي هو: «أنّ لله تسعةً وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنّة»[٥] أي من أطاق سلوك سبيلها بقدر ما أقدره الله عليه. والإحصاء:

١. مسند الحميدي: ١/١٢٠، ح٢٤٨؛ مسند أحمد: ٦/٣٧، ح٢٤١٣٦؛ صحيح البخاري: ٦/٢٥٣٩، ح٦٥٢٨.

٢. مشكاة الأنوار: ٣٩٥؛ وراجع: الكنى والأنساب: ٢/٥٣٦، ح ٩٧٢؛ كنز العمّال: ٣/٢٢، ح ٥٤٢٤.

٣. في خ: وراوي.

٤. راجع: الصحاح: ٤/١٦٦١؛ تاج العروس: ٢٨/٢٣٦.

٥. توحيد الصدوق: ١٩٥؛ بحار الأنوار: ٤/١٨٧، ح ٢؛ وراجع: سنن الترمذي: ٥/٥٣١، ح٣٥٠٧؛ المعجم الأوسط: ١/٢٩٦، ح ٩٨١.

الإطاقة لقوله تعالى: «عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ»[١] أي لن تطيقوه.

وقد فسّر هذا الحديث الذي نحن في شرحه بعض الناس على ظاهره، وقد قال الله تعالى: يحبّ أن يرى الجمال على عبده من الثياب واللباس والنعمة. وأنشد قول عبد الله بن المبارك:

أَجِدِ الثِّيَابَ إذَا اكْتَسَيْتَ فإنَّهَا زَيْنُ الرِّجَالِ بها تُجَلُّ وتُكرَمُ
ودَعِ التَّوَاضُعَ فِي الثِّيَابِ وخلّه فالله يَعْلمُ ما تكنّ وتكتُمُ
فرَثاثُ ثوبِك لا يَزيدُك قُربةً عِنْدَ الإلهِ وأنتَ عبدٌ مجرِمُ
وبَهاءُ ثوبِك لا يَضرُّك بعدَ ما تَخْشَى الإلهَ وتَتَّقِي ما يَحرُمُ[٢]

وتمشّية هذا يشكل، والأكابر فسّروه على ما فسّرنا وهو أولى وأليق بجلاله.

وفائدة الحديث إعلام أنّ الله تعالى محسن مجمل يحبّ الإحسان من العبد إلى العبد. وراوي الحديث عبيد الله[٣] عن أبيه عن أبيه عن جدّه عن رسول الله ﷺ. ورواه أبو سعيد الخدريّ وفي آخر حديثه: «وَيَبْغُضُ الْبُؤْسَ وَالتَّبَاؤُسَ»[٤].

قوله ﷺ: إنَّ اللهَ يُحِبُّ المُلِحّينَ فِي الدُّعَاءِ

أصل الإلحاح: الإقامة واللزوم، والإلحاح في المسألة: الملازمة، ولحت عينه أي لصِقت [بالرَمَصَ][٥].

---

١. المزّمّل: ٢٠.

٢. راجع: الاستذكار: ٣٢٤/٨؛ الجامع لأخلاق الراوي: ٣٨٢/١؛ تاريخ مدينة دمشق: ٥٢٤/٤٢؛ بدائع السلك: ٤٦٢/٢.

٣. ورد في حاشية خ: «هو عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود».

٤. جزء أبي طاهر: ٣٩، ح ١١١؛ مسند الشهاب: ١٤٣/٢، ح ١٠٦٧؛ شعب الإيمان: ١٦٣/٥، ح ٦٢٠٢.

٥. الزيادة في الصحاح: ٤٠٠/١.

يقولﷺ: إنّ الله تعالى يحبّ الذي يلحّ عليه بالدعاء، خلافاً لبني آدم فإنّهم يبرّمون[١] بمن يلحّ عليهم ويضجرون. وقال الشاعر:

اللهُ يَغضبُ إنْ تَرَكْتَ سُؤالَهُ   وَبَني آدمُ حِينَ يُسْأَلُ يَغضبُ[٢]

وهذا كقولهعليه السلام: «ألظّوا بيا ذا الجلال والإكرام»[٣].

وفائدة الحديث إنّ الله تعالى يحبّ الملحّ بالدعاء عليه المبالغ فيه. وراوية الحديث عائشة.

قولهﷺ: إنَّ اللهَ يُحِبُّ الْأَبْرَارَ الأَخْفِياءَ الأَتْقِياءَ

يروى: «الأجفياء». الأبرار: جمع برّ أو بارّ، والبرّ هنا الطاعة. و«الأخفياء» يروى بالخاء المعجمة من فوق بواحدة وهو جمع خفيّ وهو الخافي، أي أنّ الله تعالى يحبّ الذين لا يتظاهرون بأنفسهم فلا يعرفون، فهم خافون عن أعين الناس ومشهورون عند الله تعالى؛ وخفيّ وأخفياء مثل غنيّ وأغنياء؛ ويروى بالحاء المهملة ومعناه كالحديث الذي قبله، لأنّ الحفيّ هو الذي يستقصي ويبالغ. فيقولعليه السلام: إنّ الله يحبّ المستقصين الملحّين في الدعاء، والحفيّ أيضاً العالم الذي يتعلّم الأشياء باستقصاء *وعناية. قال الله تعالى: «يَسْئَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا»[٤]، وهو من أحفى في السؤال إذا ألحف؛ وكلّ حسن. ٤٢٣

والأتقياء: جمع تقيّ وهو العفيف الورع، وقد تقدّم الكلام في التقيّ والتقوى.

فيقولﷺ: إنّ الله تعالى يحبّ المطيعين الخافين أو الملحّين في الدعاء الورعين.

وفائدة الحديث إعلام أنّ هؤلاء ممّن يحبّه الله تعالى، والترغيب في هذه الأشياء تحرّياً

١ . يضجرون.

٢ . العزلة: ٦٧؛ شعب الإيمان: ٣٥/٢، ح ١١٠٠؛ غرر الخصائص: ١٦١؛ المستطرف: ١١٦/٢.

٣ . المستدرك: ٦٧٦/١، ح١٨٣٦؛ مسند الشهاب: ٤٠٢/١، ح ٤٥١.

٤ . الأعراف: ١٨٧.

بحبّ الله تعالى من يتعاطاها. وراوي الحديث معاذ بن جبل رواه عنه عمر بن الخطّاب؛ روي: «أَنَّ عُمَرَ خَرَجَ إِلَى مَسْجِدِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله فَإِذَا هُوَ بِمُعاذِ بن جَبَل يَبْكِي عِنْدَ قَبْرِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله فَقَالَ: مَا يُبْكِيكَ يَا مُعَاذُ ؟ فَقَالَ: أَبْكَانِي شَيْءٌ سَمِعْتُهُ مِنْ صَاحِبِ هَذَا الْقَبْرِ، [سَمِعْتُهُ يَقُولُ:] إنَّ اللهَ يُحِبُّ الأَبْرَارَ الأَخْفِيَاءَ الأَتْقِيَاءَ، الَّذِينَ إذَا غَابُوا لَمْ يفْقَدُوا[1]، وَإِذَا حَضَرُوا لَمْ يُعْرَفُوا وَلَمْ يُدْعَوا، قُلُوبُهُمْ مَصَابِيحُ الهُدَى، يَخْرُجُونَ مِنْ كُلِّ غَبْرَاءَ مُظْلِمَةٍ»[2].

قوله صلى الله عليه وآله: إنَّ اللهَ يُحِبُّ المؤمِنَ المُحتَرِفَ

الحرفة: الصناعة، والمحترف: الصانع، والحريف: المعامل، وفلان يحرف لعياله مثل يقرف[3].

فيقول صلى الله عليه وآله: إنّ الله تعالى يحبّ المؤمن المحترف الذي حسبه كسبه، فهو يأكل من كدّ يمينه وعرق جبينه، لا يظلم، ولا يسرق، ولا يخون، ولا يشتغل بما يرتطم غداً في عقابيله[4]، مزرعته يومه وراحته نومه، لا عليه تبعة ولا في عنقه إصر، وكلّ مصر له مصر.

وقال عليه السلام: «الكادّ على عياله كالمجاهد في سبيل الله»[5].

وعن عبد الله بن مسعود قال: «أيّما رجل جلب شيئاً إلى مدينة من مدائن المسلمين صابراً محتسباً فباعه بسعر يومه كان عند الله بمنزلة الشهداء ثمّ قرأ عبد الله «وَآخَرُونَ

---

١. كذا في خ، وفي ص: يفتقدوا.

٢. سنن ابن ماجه: ١٣٢٠/٢؛ المستدرك: ٤٤/١، ح ٤؛ مسند الشهاب: ١٤٨/٢، ح ١٠٧١؛ وفي خ: «لم يفقدوا» بدل «لم يفتقدوا».

٣. يكسب.

٤. يرتطم في العقابيل: يرتبك في الشدائد من الأمور؛ والعقابيل جمع العُقْبولة والعُقبول.

٥. عن الصادق عليه السلام؛ راجع: منتخب الكلام في تفسير الأحلام: ٤١٦؛ الحاوي الكبير: ١٥٣/١٧؛ شرح سنن ابن ماجه: ٣٠٣، ح ٤١٢١.

يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللهِ وآخَرونَ يُقاتِلونَ في سَبيلِ اللهِ»[١][٢].

وعن ابن عمر: «ما خلق الله موتةً أموتها بعد القتل في سبيل الله أحبّ إليّ من [أن] أموت بين شعبتي رجل أضرب في الأرض أبتغي من فضل الله»[٣].

وفائدة الحديث الحثّ على صناعة حسنة يتعاطاها المؤمن فيكتسب منها. وراوي الحديث ابن عمر.

قوله ﷺ: إنَّ اللهَ يُحِبُّ كُلَّ قَلْبٍ حَزِينٍ

أصل «حزن»: الخشونة، فإذا كانت في الأرض فهي حَزَنٌ، وإذا كانت في الصدر فهي حُزن، وقد حزن يحزَن، وحزنه غيره وأحزنه. قالوا: والحزن ما يسكت عليه، والبَثُّ ما يقضى به ويبثّ.

يقول ﷺ: إنّ الله يحبّ القلب الذي يحالفه[٤] الحزن من خشيته ويخالطه الخوف من مصير ※العاقبة، فهو بين الخوف والرجاء، ومن كان كذلك آمنه الله ممّا يخاف وأعطاه ما يرجوه. ٤٢٤ وهو كما يروى عن الله تعالى: «أنا عند المنكسرة قلوبهم»[٥]؛ وذلك لأنّ من كان قلبه منكسراً لم تحلّ البطر بساحته ولا الأشر بباحته[٦].

وفائدة الحديث إعلام أنّ القلب الحزين لأحوال المعاد يحبّه الله تعالى. وراوي الحديث أبو الدرداء.

قوله ﷺ: إنَّ اللهَ يُحِبُّ مَعَالِيَ الأمُورِ وأشْرَافَهَا وَيُكْرِهُ

---

١. المزّمّل: ٢٠.

٢. راجع: تفسير الثعلبي: ٦٥/١٠؛ تفسير البغوي: ٤١٢/٤؛ نظم الدرر: ٢١٧/٨.

٣. تفسير الثعلبي: ٦٦/١٠؛ الكشّاف: ٦٤٤/٤؛ تخريج الأحاديث والآثار: ١١٢/٤، ح١٤٢٦.

٤. يلازمه.

٥. الدعوات للراوندي: ١٢٠، ح٢٨٢.

٦. الباحة: ساحة الدار.

سَفْسَافَهَا

وروي: «ويبغض سفسافها»[١]. «المعالي» ذكر أنّها جمع مَعْلاة وهي العَلاء والرفعة والشرف والعلوّ، و«الأشراف» هنا جمع شريف أي عالي، والسفساف: الرديء من كلّ شيء، يقال: شعر سفساف، ويقال لكلّ أمر حقير سفساف، وأسفّ الرجل: إذا تتبّع مداقّ الأمور، وقيل للئيم العطيّة: مسفسِف، والسفساف: دقاق التراب، والمسفسِفة: الريح التي تحمله فُوَيْق الأرض؛

ومعالي الأمور يعني الأمور العالية كالغزوات مثلاً وشدّ القناطير وبناء الرباطات، وكالرباط في سبيل الله والبارستانات[٢] والمدارس والمساجد والجوامع وتزويج الأيامى والأوقاف إلى مثل ذلك ممّا يتعدّي خيره ويعمّ؛ والسفساف من الأمور ككنس التراب من الأسواق مثلاً ليخله وربّما يجد فيه شيئاً، وككسح محاش[٣] الفقراء مجّاناً، إلى أمثال هذه الدنايا.

وقيل: إنّ المراد بالمعالي الحرف الحسنة والصناعات النقيّة كتعليم العلوم والطبّ والوِراقة والتجارة وأمثال ذلك، وبالسفساف الحرف السخيفة كالحجامة والحياكة والدِباغة وأمثال ذلك.

وقيل: إنّ المعالى من الأمور مثل السخاء والبذل والضيافة والشجاعة وإقامة الطاعات والوعظ والحسبة، والسفساف كالظلم والغصب والبخل والكذب والتقتير على العيال إلى سوى ذلك من المستهجنات.

وكلّ له وجه، وعلى الاختصار فكلّ ما فيه علوّ ورفعة فهو من المعالي، وما فيه خسّة وسِفَال فهو من السِفساف.

---

١. الكسب: ٦٢؛ نثر الدرّ: ١٤٣/١؛ المبسوط للسرخسي: ٨٤/١٥؛ النهاية: ٣٧٣/٢.

٢. البارستان: دار المرضى.

٣. الكسح: الكنس، والمحاش: الأثاث والمتاع.

وفائدة الحديث إعلام أنّ الله تعالى يحبّ من الأعمال كلّ شريف ويكره كلّ سخيف. وراوي الحديث سيّد شباب أهل الجنّة الحسين بن عليّ ـ صلوات الله عليهما ـ.

قولهﷺ: إنَّ اللهَ تَعَالى يُحِبُّ أنْ تُؤتِيَ رُخْصَتَهُ كَمَا يُحِبُّ أنْ تُتْرَكَ مَعْصِيَتَهُ

أصل «رخص»: اللين والرقّة والنعومة والسهولة، يقول: فلان رَخص الجسد أي ناعمه[١]، والرُخص: ضدّ الغَلاء، والرخصة في الأمر: خلاف التشديد فيه، وقد رُخِّص له في كذا ترخيصاً فترخّص فيه أي لم يستقص.

٤٢٥ يقولﷺ: «إنّ الله تعالى يحبّ أن يعمل على رخصه التي سهّل بسببها الأمر على الناس ومنّ عليهم بها لئلّا يشتدّ عليهم تكليف الشرائع فلا يطيقوه، بل يسّر الأمر وقارب عليهم فعل البرّ الرحيم المشفق الكريم، فوضع عنهم الآصار[٢] وحطّ الأوزار، وجعل تكليفهم دون ما يطيقون برّاً بهم ورأفةً ورحمةً لهم وتحنّناً عليهم وحطّاً عنهم، فهو يحبّ أن يعمل برخصه ـ فإنّها هدايا من الله تعالى لعباده ـ مثل ما يحبّ ترك معاصيه.

وفي كلام بعضهم: الرخص هدايا من الله تعالى فلا تردّوا عليه هديّته.[٣]

وفائدة الحديث إعلام أنّه عزّ وجلّ لا يكره الرخص التي بيّنها بل يحبّها محبّة ترك المعاصي، وإنّ الرخص لا تثلم[٤] التقوى ولا تهدم الشريعة ولا تَفُتّ في عضد الاستقصاء. وراوي الحديث ابن عمر.

قولهﷺ: إنَّ اللهَ يُحِبُّ البَصَرَ النَّافِذَ عِنْدَ مَجِيءِ الشَّهَوَاتِ

---

١. في خ: ناعمة.

٢. الأثقال، جمع الإصر والأصر.

٣. لم أقف على مصدره.

٤. في خ: يثلم.

وَالعَقْلَ الكَامِلَ عِنْدَ نُزولِ الشُّبَهَاتِ وَيُحِبُّ السَّمَاحَةَ وَلَوْ عَلَى تَمَرَاتٍ وَيُحِبُّ الشَّجَاعَةَ وَلَوْ عَلَى قَتْلِ حَيَّةٍ

يقول ﷺ: إنّ الله تعالى يحبّ المستبصر النافذ البصيرة عند الشهوة الداعية إلى القبيح، لأنّه إذا راجع نفسَه وشاور بصيرتَه وأمسك قبالة عقله مرارة عاقبة ما تدعوه الشهوة إليه من الذمّ والعقاب، كفّ وارتدع وانخزل عنه خاسئاً[١]؛ ويحبّ كذلك العقل الكامل إذا نزلت بالعبد شبهةً، لأنّه عند ذلك يتفحّص ويبحث ويقدم على الصواب إن أراه وجهه ويتوقّف فعل من لا يجد دليلاً، لأنّ التوقّف فرض من لا فرض له، وإذا لم يكن كامل العقل جمح في الباطل وارتطم فيه لا على بيّنة ولا يقين؛ ويحبّ كذلك السماحة والبذل ولو لم يكن إلّا على تمرات، وذكر التمرات مثل، أي بقدر ما يقدر عليه، وجهد المقلّ أعظم عند الله من عفو المكثر.

وروي: أنّ نبيّاً من الأنبياء ذكر لقومه إنّ الله تعالى يأمركم أن تخرجوا صدقات أموالكم فاقبلوا الدنانير والدراهم والثياب وأنواع المال.[٢]

وجاء في آخر: يأت الناس مسكين بباقة بقل[٣] فضحكوا منه تَهانُفاً وسخريّةً، فأوحى الله تعالى إلى ذلك النبيّ: أنّي قد قبلت باقة بقل هذا المسكين ورددت أموالهم، لأنّه أخرج ما أخرج مخلصاً.[٤]

وفي الحديث: إنّ الله لا ينظر إلى أعمالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم.[٥]

ويحبّ كذلك الشجاعة ولو لم يكن إلّا بقتل حيّة وهذا أيضاً مثل، يعني أنّه عَزَّ وَجَلَّ يحبّه على

---

١. انخزل: انقطع وانفرد، وخسأ البصر: انقبض عن مهانة.

٢. لم أقف على مصدره.

٣. الباقة من البقل: الحُزمة.

٤. لم أقف على مصدره.

٥. راجع: صحيح مسلم: ١٩٨٦/٤، ح٢٥٦٤؛ الأمثال من الكتاب والسنّة: ٢٠٨؛ المعجم الكبير: ٢٩٧/٣، ح٣٤٥٦؛ عيوب النفس: ٢١.

قدر عنائه ومبلغ بلائه وإن لم يكن[1] إلّا يسيراً، فكثير الشجاعة عنده محمود وقليله غير مردود؛ وعلى ذكر الحيّة فلنذكر ممّا ورد فيه طرفاً:

٤٢٦ روي عنه صلى الله عليه وآله: «اقْتُلُوا الْأَبْتَرَ وَذَا الطُّفْيَتَيْنِ»[2]، والأبتر: القصير *الذنب، وذو الطفيتين: الذي على ظهره خطّان كالخوصتين، والطفي: الخوص.

وقال عليه السلام: «مَنْ تَرَكَ الْحَيَّاتِ مَخَافَةَ طَلَبِهِنَّ فَلَيْسَ مِنَّا»[3].

وقال عليه السلام: «اقْتُلُوا الْحَيَّاتِ فَمَنْ خَافَ إِثَارَهُنَّ فَلَيْسَ مِنَّا».[4]

وسئل عليه السلام عن حيّات الدور[5]، فقال عليه السلام: «إِذَا رَأَيْتُمْ شَيْئاً فِي مَسَاكِنِكُمْ فَقُولُوا: أَنْشُدُكُمُ الْعَهْدَ الَّذِي أَخَذَ عَلَيْكُمْ نُوحٌ عليه السلام أَنْشُدُكُمُ الْعَهْدَ الَّذِي أَخَذَ عَلَيْكُمْ سُلَيْمَانُ عليه السلام أَنْ تُؤْذُونَا، فَإِنْ عُدْنَ فَاقْتُلُوهُنَّ»[6].

وعن ابن مسعود: «اقْتُلُوا الْحَيَّاتِ كُلَّهَا إِلَّا الْجَانَّ الْأَبْيَضَ كَأَنَّهُ قضبةُ فِضَّةٍ»[7].

وقال صلى الله عليه وآله: «مَنْ تَرَكَ قَتْلَ الْحَيَّةِ خَشْيَةَ النار فَقَدْ كَفَرَ»[8] يعني كفر بأمري لأنّي أمرت بقتلهنّ.

---

١. كذا في البحار، وفي خ: «ولو لم يكن».

٢. مسند إسحاق بن راهويه: ٣٥٠/٢، ح ٨٨١؛ أحكام القرآن: ٣٩١/٤؛ وراجع: مسند أبي يعلى: ٢١٢/٨، ح ٤٧٧٦.

٣. مسند أحمد: ٢٣٠/١، ح ٢٠٣٧؛ سنن أبي داود: ٣٦٣/٤، ح ٥٢٥٠؛ المعجم الكبير: ٣٠١/١١، ح ١١٨٠١؛ جامع الأحاديث: ٧/٧، ح ٢٠٤٦٤.

٤. كذا في خ والبحار، وفي المصادر: خاف ثأرهنّ؛ راجع: سنن أبي داود: ٣٦٣/٤، ح ٥٢٤٩؛ ؛ المعجم الكبير: ٣٥١/٩، ح ٩٧٤٧؛ كنز العمّال: ١٨/١٥، ح ٤٠٠٠٤.

٥. في البحار: البيوت .

٦. الآداب للبيهقي: ١٥٢، ح ٣٦٤؛ التمهيد لابن عبد البرّ: ٢٧/١٦؛ الترغيب والترهيب: ٣٨٢/٣، ح ٤٥٢٤.

٧. في المصادر: قضيب فضّة؛ راجع: سنن أبي داود: ٣٦٦/٤، ح ٥٢٦١؛ التمهيد: ٣٠/١٦؛ لباب التأويل: ٥٠/١.

٨. تأويل مختلف الحديث: ١١٩؛ مسند الربيع: ٢٨٩، ح ٧٤٤.

وفائدة الحديث إعلام أنّ الله تعالى يحبّ ذا البصيرة المحتاط في أمره، والعاقل المتحفّظ عند نزول الشبهة، والسخيّ بقدر وجده، والشجاع بمقدار وكده. وراوي الحديث عمران بن حصين، قال: «أَرْخَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِطَرَفِ عِمَامَتِي مِنْ وَرَائِي وَقَالَ: يَا عِمْرَانُ! إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الإِنْفَاقَ وَيُبْغِضُ الإِقْتَارَ، فَكُلْ وَأَطْعِمْ، وَلا تَصِرَّ صَرّاً فَيَعْسُرَ عَلَيْكَ الطَّلَبُ، وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ يُحِبُّ الْبَصَرَ النَّافِذَ»[1] إلى آخر الحديث.

قوله صلى الله عليه وآله : إِنَّ رَبَّكَ يُحِبُّ المَحَامِدَ

المحمدة في الأصل مصدر، يقال: حمدت الرجل حمداً ومحمدةً ـ بفتح الميم ـ وهي بإزاء المذمّة، ورواها أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفّار الفارِسيّ ـ بكسر الميم وهو فارس هذه الصناعة ـ وحَذام فيما تفتي به إشارة إلى قول الشاعر:

إذا قالتْ حَذامِ فَصَدِّقُوها فإنَّ القولَ ما قالَتْ حَذامِ[2]

ويقول غير مشكوك في الحقيقة، فلا بدّ من تصديقه، ذكر ذلك في الإيضاح العضديّ.[3] ثمّ إنّها وإن كانت مصدراً فإنّها تستعمل فيما يستحقّ عليه الحمد من فعل جميل.

فيقول صلى الله عليه وآله: إنّ الله تعالى يحبّ من العبد ما يحمد عليه. ويحتمل معنى آخر وهو أنّه يحبّ من العبد أن يحمد الله تعالى كثيراً، فيكون باقياً على أصل مصدريّته، أي يحبّ تحميدات العبد له ـ عزّ وعلا ـ ؛ وكلٌّ حسنٌ، والأوّل الأقرب .

وفائدة الحديث إعلام أنّ الله تعالى يحبّ أن يكون عبده محموداً. وراوي الحديث الأسود بن سريع.

١ . مسند الشهاب: ١٥٢/٢، ح ١٠٨١؛ كنز العمّال: ٣٧٦/١٥، ح ٤٣٥٢٧.

٢ . راجع: العين: ٢٠٤/٣؛ العقد الفريد: ٢٤/٣؛ تهذيب اللغة: ٢٧٤/٤.

٣ . لم أقف عليه .

قوله ﷺ: إنَّ اللهَ يُحِبُّ السَّهْلَ الطَّلْقَ

يقول ﷺ: إنّ الله تعالى يحبّ الرجل السهل الدمث القريب المآخذ المطواع لكرمه الطيّب في شيمة السخيّ السمح. والطلق هو السمح الجواد. ويجوز أن يكون الطلق من طلاقة الوجه، وهو أن لا تكون باسراً، ❊وقد طلُق طلاقةً.

٤٢٧

وفائدة الحديث إعلام أنّ الله تعالى يحبّ الرجل السمح الطليق الوجه. وراوي الحديث أبو هريرة.

قوله ﷺ: إنَّ اللهَ يَقْبِلُ تَوْبَةَ العَبْدِ مَا لَم يُغَرغِرْ

الغَرْغَرَة: تردّد الروح في الحلق، وقد غرغر الراعي يُغَرْغِرُ إذا ردّد صوته في حلقه.

ومعنى الحديث: ما لم تبلغ روحه حلقومه؛ فيكون فيه بمنزلة الذي يتغرغر به، ويقال كذلك الشيء الغرور.

فيقول ﷺ ـ واصفاً سعة رحمة الله تعالى ـ: إنّ الله تعالى يقبل توبته ما لم تصل روحه إلى حلقومه.

والمعنى: مادام التكليف باقياً فإنّ في التوبة فسحةً وبابها مفتوح، فإذا بلغ حالة البأس وهي معاينة ملك الموت عليه السلام لم تقبل التوبة. وقال تعالى: «فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إيمانُهُمْ لَمّا رَأَوْا بَأْسَنا»[١].

وقد روي عن النبيّ ﷺ: إنّ الله تعالى يقبل توبة العبد ما بقي من عمره يومان، واليومان كثير، ويقبل توبته ما بقي من عمره يوم، واليوم كثير، ويقبل توبته ما بقي من عمره ساعة، والساعة كثيرة، ويقبل توبة عبده ما لم يغرغر، أوكما قال ﷺ.[٢]

وفائدة الحديث إعلام أنّ الله تعالى يقبل التوبة ما لم يعاين ملك الموت عليه السلام. وراوي الحديث عبادة بن الصامت.

---

١. غافر: ٨٥.

٢. راجع: مسند أحمد: ٤٢٥/٣، ح١٥٥٣٨؛ المستدرك: ٢٨٦/٤، ح ٧٦٦١.

قوله صلى الله عليه وآله : إنَّ اللهَ يُبْغِضُ العِفْرِيَةَ النِفْرِيَةَ الّذي لَم يُرزَأ فِي جِسْمِهِ وَلا مَالِهِ

العفريت من كلّ شيء المبالغ، يقال: فلان عفريت نفريت وعفرية نفرية، والعفرية المصحّح. و«الذي لم يزرأ في جسمه ولا ماله» تفسير للعفرية. وقال الخليل: شيطان عفرية وعفريت، وهم العَفارية والعَفاريت إذا سكّنت الياء صيّرت الهاء تاءً وإذا حرّكتها فالتاء هاء في الوقف.[١] والعفرية أيضاً: الداهية. وقيل: العفريت من الجنّ: النافذ القويّ والخبيث الداهي المنكر والشرير. والذي في الحديث فُسّر بالجَموع المنوع وبالظلوم ويقال: عِفْر وعُفارية ونُفارية أي خبيث منكر.

يقول صلى الله عليه وآله: إنّ الله تعالى يبغض الرجل المصحاح الذي لا يسقم.

وروي: أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان يبايع الناس وفيهم رجل دُحْسُمان فقال له: هل رُزِئْتَ بشيء؟ قال: لا، قال عليه السلام: إنّ الله يبغض الرجل»[٢] الحديث. والدُحْسُمان: الصحيح الجسم.

و«لم يزرأ» أي لم ينقص ولم يصب منه، والرزئة: المصيبة، والمُرزّأ: الذي يتناوب عليه الطلّاب فيرزئونه.

والمعنى: أنّ الأولى بالعبد أن يعاتبه الله تعالى فيذكّره بمرض ما تنبيهاً وتذكيراً، وهذه علامة العبد المؤمن الذي له عند الله تعالى محلّ، وأمّا الكافر فإنّه تعالى قلّما يخاطبه بشيء من ذلك، ٤٢٨ وقد قال عليه السلام: مَثَلُ الْمُنافقِ كَمَثَلِ الأَرْزَةِ الْمُجْذِيَةِ في الأرضِ حَتَّى يَكُونَ انجِفَافُهَا مَرَّةً.[٣]

وفائدة الحديث إعلام أنّ الله تعالى يبغض العبد الذي لا ينال منه بمرض أو خسران في مال. وراوي الحديث أبو عثمان النَهديّ.

---

١ . راجع: الصحاح: ٧٥٢/٢؛ تاج العروس: ٨٧/١٣.

٢ . راجع: الزاهر في معاني كلمات الناس: ٢١٠/١؛ نثر الدرّ: ١٥٧/١؛ الفائق: ٤١٤/١.

٣ . في بعض المصادر: المجذية، والمجذبة: الثابتة، وفي أكثر المصادر: على الأرض؛ راجع: مصنّف ابن أبي شيبة: ١٦٢/٦، ح ٣٠٣٤٥؛ وراجع: صحيح البخاري: ٢١٣٧/٥، ح ٥٣١٩.

قوله ﷺ: إنَّ اللهَ كَرِهَ لَكُمُ العَبَثَ فِي الصَّلاةِ وَالرَّفَثَ فِي الصِّيَامِ وَالضَّحِكَ عِنْدَ المقَابِرِ

أصل «عبث»: الخلط، تقول: عبثت أي خلطت، والعبيثة: الأقِطُ يفرّغ رطبه على يابسه، وفلان عبيثة أي في نسبه تخليط، والعبيثة: أخلاط الناس، والعَوبَثانيّ: دقيق وسمن وتمر ولبن حليب يخلط بعضه ببعض، والعبث: الفعل يخالطه لعب، وقد حدّوه بأنّه ما لا غرض فيه صحيح. والرفث: الفحش من الكلام، وكلام النساء عند الجماع ثمّ يقال للجماع رفث. وقيل: الرفث التصريح بذكر الجماع من غير كناية، وقيل: هي كلمة جامعة لكلّ ما يريده الرجل من المرأة، والذي في الحديث كلّ فحش، يقال: رفَث وأرفث.

يقول ﷺ: كره الله تعالى أن يناجيه العبد في صلاته وهو يعبث بفتل أصابعه أو فرَقَعَتها[1] أو فتل لحيته أو غمز عينيه على أحد أو غير ذلك ممّا يدخل فيه النقصان في الصلاة، وأيّ وقت عبث، ليت شعري! فلو ناجى أحدنا بعض الملوك من بني آدم وعبث في خلال مناجاته لصُفِعَ[2]؛ وكذلك كره الفحش والمُحال من الكلام في الصوم أو ما يتعلّق بالجماع من كلام يداعب[3] به النساء؛ وكره الضحك عند المقابر وما أغفل عبداً يضحك عند المقابر، غافلاً عن الموت وسؤال منكر ونكير والحشر والنشور إلى غير ذلك من أحوال الآخرة ممّا يخطر بالقلب عند حضور المقابر.

وفائدة الحديث التحذير من هذه الأشياء، والإعلام بأنّ الله تعالى كرهها. وراوي الحديث يحيى بن أبي كثير.

قوله ﷺ: إنَّ اللهَ يَنْهيكُمْ عَنْ قِيلٍ وَقَالٍ وَإضَاعَةِ المَالِ

---

١. تنقيض الأصابع.

٢. صفع: ضرب قفاه أو بدنه بكفّه مبسوطةً.

٣. يمازح.

وَكَثْرَةِ السُّؤَالِ

يقال: قال يقول قولاً وقولةً ومقالةً ومقالاً، و[يقال:] كثرة القيل والقال، و«قيل» فعل أصله «قِول» قلبت الواو ياءً لمكان الكسرة على القاف، و«القال» أصله قول على فَعل وفُعل بمعنى المفعول كثير ضعفت الواو عن الحركة فسكنت ثمّ قلبت ألفاً دلالةً على الحركة؛ وفي حرف عبد الله: «ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ»[١].

ومعنى الحديث: أنّ الله تعالى نهى عن المجادلات والمحاضرات والشروع فيما لا يعني. وروي: «عن قيلَ وقالَ» [٤٢٩] *على أنّهما فعلان، فيكون من باب قوله عليه السلام: « بِئْسَ مَطِيَّةُ الرَّجُلِ: زَعَمُوا»[٢]. وقيل: إنّهما في الأصل فعلان ماضيان ثمّ نقلا إلى الاسميّة فأعربا.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أَكْثَرُ النَّاسِ [ذُنُوباً] أَكْثَرُهُمْ كَلاماً فِيمَا لا يَعْنِيهِ»[٣].

وعن أبي هريرة قال: «قُتِلَ رَجُلٌ شهيداً عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله فَبَكَتْ نائحةٌ، فَقَالَتْ: وَاشَهِيدَاهُ، فَقَالَ النبيُّ عليه السلام: وَمَا يُدْرِيكِ أَنَّهُ شَهِيدٌ!؟ وَلَعَلَّهُ كَانَ يَتَكَلَّمُ بِما لا يُعْنِيهِ أَوْ يَبْخَلُ بِفَضْلِ مَا لا يَنْفَعُهُ»[٤].

وقال معاوية يوماً: «لو ولد أبو سفيان الخلق كلّهم لكانوا عقلاء فقال له رجل قد ولدهم من هو خير من أبي سفيان، فكان فيهم العاقل والأحمق، فقال معاوية: من كثر كلامه كثر سقطه»[٥].

فيقول صلى الله عليه وآله: إنّ الله تعالى ينهاكم عن فضول القول؛ وإضاعة المال: إنفاقه فيما لا يجدي عليكم نفعاً، كإنفاقه في البناء الزائد على قدر الحاجة وفي الخمر والقبائح؛ ولإضاعة المال

---

١. مريم: ٣٤.

٢. مصنّف ابن أبي شيبة: ٢٥٢/٥، ح ٢٥٧٩١؛ سنن أبي داود: ٢٩٤/٤، ح ٤٩٧٢.

٣. الرسالة المغنية: ٥٨، ح ٣٦؛ الترغيب والترهيب: ٣٤٥/٣، ح ٤٣٦٩؛ كنز العمّال: ٢٥٥/٣، ح ٨٢٩٣.

٤. مسند أبي يعلى: ٥٢٣/١١، ح ٦٦٤٦؛ شعب الإيمان: ٢٦١/٤، ح ٥٠١٠؛ كنز العمّال: ٣٥٧/٣، ح ٩٠٣١.

٥. راجع: المحن: ٣٥٠؛ نثر الدرّ: ١٢٤/٢؛ المقاصد الحسنة: ٦٦٧؛ كشف الخفاء: ٣٦١/٢، ح ٢٥٩٢.

وجه آخر وهو أن يسلّم ممّن ليس له بأهل بأن يكون سفيهاً أو ناقص العقل فيضيّعه وإن كان حقّاً له؛ وعن كثرة السؤال، وله أيضاً وجهان: أحدهما: أن يضيّع ماله ثمّ يصير كلّاً على الناس يسألهم ويلحف عليهم ويؤذيهم. والوجه الآخر: كثرة السؤال عن الأحوال وبحثها كيف كانت وكيف صارت، وكلاهما مكروه مُزدري[١].

وفائدة الحديث إعلام أنّ الله تعالى ينهى عن قيل المحال والباطل، وعن تضييع المال، ثمّ كثرة السؤال والإلحاف على الناس أو البحث عن جميع ما يقال. وراوي الحديث المغيرة بن شعبة.

قوله صلّى الله عليه وآله: إنَّ اللهَ يُغَارُ لِلْمُسْلِمِ فَلْيَغَرْ

الغيرة: شدّة الحميّة على العيال ومن تحت اليد، وكأنّها من التغيّر، والغيرة إذا نسب إلى الله كانت مجازاً ومحموله على التحنّن والتعطّف والرحمة والرأفة والمحبّة، والسخط لما لا يترضي من خلقه.

وقد جاء في الحديث: ما أحد أغير من الله تعالى، ومن أغير ممّن حرّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن.[٢]

وفي الحديث: «واللهُ غَيورٌ»[٣].

وعن النبيّ صلّى الله عليه وآله: «إنّ سعدَ بنَ عبادة سيّدكم الغيورُ وأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ، وَاللهُ تعالى أَغْيَرُ مِنّي»[٤].

يقول عليه السلام: إنّ الله لا يرضى للعبد المسلم ما تحرّك الحميّة البشريّة فلا يرضى لنفسه ذلك أيضاً.

وفائدة الحديث أنّ رأفة الله تعالى ورحمته على عبده عظيمة، فليكن له أيضاً على نفسه

---

١ . محتقر.

٢ . مسند الطيالسي: ٣٥، ح٢٦٦؛ مصنّف ابن أبي شيبة: ٥٣/٤، ح١٧٧٠٧؛ مسند أحمد: ٣٨١/١، ح٣٦١٦.

٣ . المحاسن والأضداد: ١٧٩؛ كنز العمّال: ٢٦٥/١١، ح٣٢٧٤٦؛ وراجع: الكافي: ٥٣٦/٥، ح٣.

٤ . صحيح مسلم: ١١٣٥/٢، ح١٤٩٨؛ مسند أبي عوانة: ٢١٤/٣، ح٤٧١٧؛ جامع الأحاديث: ٢١٨/٩، ح٢٨١١٤.

ولا يغش الفواحش التي لا يرتضي ويغار لمكانها. وراوي الحديث عبد الله بن مسعود.

٤٣٠

*قوله صلى الله عليه وآله: إنَّ اللهَ لا يَرْحَمُ مِنْ عِبَادِهِ إِلَّا الرُّحَمَاءَ

هذا مثل قوله: «ارْحَمْ تُرْحَمْ»[١] و«ارْحَمْ مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكَ مَنْ فِي السَّمَاءِ»[٢].

يقول صلى الله عليه وآله: إنّ الله تعالى لا يرحم من عباده إلّا الذين قلوبهم رقيقة يرحمون خلقه، والقساوة منهم على مراحل والجفاء منهم على منازل، لو قرضت مسلماً بعوضةً لأكرث لها وتأثّر قلبه لمكانها، وأولئك الذين وصفهم الله بالحزن فقال: «إنَّ اللهَ يُحِبُّ كُلَّ قَلْبٍ حَزِينٍ»[٣]، وقال: «أنا عند المنكسرة قلوبهم»[٤].

وفائدة الحديث الأمر بالرقّة والرحمة. وراوي الحديث أسامة بن زيد.

قوله صلى الله عليه وآله: إنَّ اللهَ لَيَدْرَءَ بِالصَّدَقَةِ سَبْعِينَ مَيْتَةً مِنَ السُّوءِ

ميتة السوء كالغرق والاحتراق بالحرق والسقوط في البئر والتدهده[٥] من عال وسقوط البناء عليه وافتراس السبع إلى غير ذلك.

يقول صلى الله عليه وآله: الصدقة تدفع سبعين ميتةً من هذه الميتات. وقوله عليه السلام: «من السوء» أي من ميتة السوء فحذف المضاف، والدرء: الدفع؛ وقد تقدّم ذكر الصدقة وفضلها مشبعاً.

وفائدة الحديث الحثّ على الصدقة. وراوي الحديث أنس بن مالك.

---

١. السنّة لابن أبي عاصم: ٣٠٥/١، ح٦٩٦؛ وراجع: أماليّ الصدوق: ٢٧٨، ح٣٠٨.

٢. من لا يحضره الفقيه: ٣٧٩/٤، ح٥٨٠٦؛ وراجع: مسند الطيالسي: ٤٤، ح٣٣٥؛ مسند أبي يعلى: ٤٨٤/٨، ح٥٠٦٣؛ كنز العمّال: ٦٩/٣، ح٥٩٧٥.

٣. الكافي: ٩٩/٢، ح٣٠؛ وراجع: مسند البزار: ٨٣/١٠، ح٤١٥٠؛ جامع الأحاديث: ٣٠٦/٢، ح٥٥٩٥.

٤. الدعوات للراوندي: ١٢٠، ح٢٨٢؛ الهمّ والحزن: ٥٦، ح٦١؛ حلية الأولياء: ٣٦٤/٢.

٥. التدحرج.

قوله صلى الله عليه وآله: إنَّ اللهَ لَيَنْفَعُ العَبْدَ بِالذَّنبِ يُذْنِبُهُ

النفع بالذنب هو أن يزلّ زلّةً فيندم عليها ويراجع فيتوب، ولا يزال قلقاً حزناً من ذلك الذنب الذي أذنبه مستجيئاً من ربّه ـ عزّ وعلا ـ، ولو لا ذنبه لما كان يستجيء ولا كان يقلق، فكأنّ الذنب كان سبباً لاعتذاره وإقلاعه وإنابته وندمه وقلعه وارتياعه.

وفائدة الحديث الحثّ على التوبة حتّى يكون منفوعاً بالذنب. وراوي الحديث ابن عمر.

قوله صلى الله عليه وآله: إنَّ اللهَ لَيُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الفَاجِرِ

أصل «ف ج ر» الشقّ، والفجر: انشقاق الظلمة عن الصبح، وانفجار الماء: انشقاق سِكره[١] وانفتاحه، والفجور: شقّ لباس الصلاح.

يقول صلى الله عليه وآله: إنّ الله تعالى ربّما يؤيّد الدين بالرجل الفاجر، وهذا كالمؤلّفة قلوبهم فإنّهم كانوا كفرة يستأجرون لنصرة الإسلام.

وروى البخاريّ قال: إنَّ رَجُلاً مِنْ أَعْظَمِ المُسْلِمِينَ غَنَاءً غزا مع رسول الله صلى الله عليه وآله فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا معه فنظر إليهِ النبيُّ عليه السلام: مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى الرَّجُلِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا، فَاتَّبَعَهُ رَجُلٌ على هذه الحالة فإذا هو مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَلَى المُشْرِكِينَ حَتَّى جُرِحَ، فَاسْتَعْجَلَ المَوْتَ فَجَعَلَ ذُبَابَ سَيْفِهِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، كأنّه قتل نفسه ـ وذباب السيف مضربه ـ فَأَقْبَلَ الرَّجُلُ *الذي أن اتّبعه إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ، قَالَ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: قُلْتَ لِفُلَانٍ: مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هذا، فقصّ عليه القصّة، ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله: إنَّ الرجلَ يَعْمَلُ [عَمَلَ] أَهْلِ الجَنَّةِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ.[٢]

٤٣١

وربّما يشرع الفاجر في شيء يستنفع به المسلمون كحصار بنية لهم وكقناة يجريها وسور يدبّره عليهم، وأكثر ما في القرآن من ذكر الفجّار فإنّ المعنّي بهم الكفّار؛ ويجوز أن يكون

١. السِكْر: السدّ.

٢. راجع: صحيح البخاري: ٢٣٨١/٥، ح٦١٢٨.

الغرض بالذي في الحديث أيضاً كذلك.

وفائدة الحديث إعلام أنّه ربّما يجري الله تعالى الخير المنتفع به على أيدي الفجرة. وراوي الحديث النعمان بن عمر بن مُقَرَّن وأبو هريرة أيضاً رواه. وفي أوّل الحديث: «لا يَدْخُلُ [الْجَنَّةَ] إلاّ نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ، وَإنَّ اللهَ لَيُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ»[١].

قوله صلى الله عليه وآله: إنَّ اللهَ لَيَرْضَى عَنِ العَبْدِ أنْ يَأكُلَ الأكْلَةَ فَيَحمَدَهُ عَلَيْهَا وَيَشْرَبَ[٢] الشَّرْبَةَ فَيَشْكُرَهُ عَلَيْهَا

يجوز أن يكون التقدير: «بأن يأكل العبد»، فحذف الحرف وأوصل الفعل؛ ويجوز أن يكون «أن يأكل» في موضع المصدر ويكون التقدير على ذلك: أنّ الله تعالى ليرضى أكل العبد وشربه فيشكره، ويكون الفاء للتعقيب؛ وكلٌّ حسنٌ.

فيقول صلى الله عليه وآله: إنّ ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ شكور يقبل العمل القليل من العبد فيربّيه ويكبّره حتّى يصير سبباً لمغفرته، فهو يرضى بالحمد له على الطعام الذي يتناوله العبد فيهنأه والشراب الذي يشربه فيتمرّأه.

وروي عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: «مَنْ أَكَلَ طَعَاماً فَقَالَ: الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَطْعَمَنِي هَذَا وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةٍ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ لَبِسَ ثَوْباً، فَقَالَ: الْحَمْدُ للهِ الَّذِي كَسَانِي هَذَا مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةٍ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»[٣].

وروي عن بعضهم قال: «أكلنا مع أبي الدرداء فأغفلنا الحمد لله، فقال: يا بنيّ! لا تدعوا أن تأدّبوا[٤] طعامكم بذكر الله فإنّ أكلاً وحمداً خير من أكل وصمت»[٥].

---

١ . صحيح البخاري: ١١١٤/٣، ح٢٨٩٧؛ مسند الشهاب: ١٥٩/٢، ح١٠٩٧.

٢ . كذا في خ، وفي أكثر المصادر: أو يشرب .

٣ . سنن أبي داود: ٤٢/٤، ح٤٠٢٣؛ مسند أبي يعلى: ٦٢/٣، ح١٤٨٨؛ المعجم الكبير: ١٨١/٢٠، ح٣٨٩.

٤ . كذا في خ، وفي المصادر: تأدموا.

٥ . راجع: الزهد لابن المبارك: ٢٠٠/١، ح ٥٧٠؛ تاريخ مدينة دمشق: ١٦٣/٧٠؛ الآداب الشرعيّة: ١٦٣/٣ـ١٦٤.

وعن محمّد بن كعب القرظيّ قال: «كان نوح ــ صلّى الله عليه وآله ــ إذا أكل قال: الحمد لله وإذا شرب قال: الحمد لله، فسمّاه الله عبداً شكوراً»[١].

وكان شهر بن حوشب يقول: «إذا اجتمع في الطعام أربع كمل كلّ شيء من شأنه: إذا كان حلالاً، وذكر اسم الله عليه، وكثرت عليه الأيدي، وحمد الله عليه حين يفرغ منه»[٢].

فينبغي للعبد أن يأكل القدر الذي يمسك قوّته ولا يتوسّع فيه، ويتبعه بذكر الله حتّى يُعافيه من الأدواء، فإنّ أكثر الأمراض من الرُغْب[٣].

وقال جالينوس: «إنّهم يريدون أن يعيشوا ليأكلوا وأنا أريد أن آكل لأعيش»[٤]، يعني أنّه ينبغي أن يأكل مساكاً *للقوّة فإنّ الغرض منه ذلك، وكذلك كان الصالحون يفعلون، وكان إبراهيم بن أدهم كثيراً ما يتمثّل بهذين البيتين: ٤٣٢

أَبِيتُ خَمِيص البَطْنِ والزادُ حاضرٌ ... أخافُ عَلى المقتِ أَن أَتضلَّعا

وأَنتَ إذا أَعطيتَ بَطْنَك سُؤْلَهُ ... وفَرْجَكَ نالا مُنْتهى الذمِّ أَجمعا[٥]

وروي أنّ يحيى بن زكريّا عليه السلام سأل إبليس فقال: أيّة ساعة أنت أقدر على ابن آدم؟ فقال: حين يمتلي شبعاً وريّاً فقال: فهل وجدت على نفسي شيئاً؟ قال: لا، قال: على حال؟ قال: نعم، قدّم إليك طعامك ذات ليلة وكنت صائماً فتشهّيت طعامك فأكلت أكثر من عادتك فتثاقلت عن وردك وعبادتك، قال يحيى عليه السلام: لا أشبع بعد هذا أبداً. قال إبليس: وأنا لا أنصح بعد هذا أحداً.[٦]

---

١. الزهد لابن المبارك: ٣٢٩/١، ح ٩٤٠؛ الزهد لابن الحنبل: ٥٠؛ شعب الإيمان: ١١٤/٤، ح ٤٤٧٣.
٢. الزهد لابن المبارك: ٢١٥/١ـ٢١٦، ح ٦٠٩؛ حلية الأولياء: ٦١/٦؛ محاضرات الأدباء: ٧٢٦/١.
٣. الشَرَه.
٤. راجع: الكشكول: ١٧٥.
٥. راجع: الأمالي في لغة العرب: ٣٢٢/٢ـ٣٢٣؛ التمهيد لابن عبد البرّ: ١٧٩/٢٣؛ التذكرة الحمدونيّة: ٦٩/٢؛ نهاية الأرب: ٣١٢/٣؛ ديوان حاتم الطائي: ٤٣؛ يختلف نصّ البيت الأوّل في المصادر مع ما في المتن.
٦. راجع: الزهد لابن حنبل: ٧٦؛ شعب الإيمان: ٤١/٥، ح ٥٧٠٠؛ تاريخ مدينة دمشق: ٢٠٣/٦٤.

وفائدة الحديث أنّ الله تعالى شكور يرضى من العبد بهذا القدر، أفيرضى هذا القدر من العبد ويشكره. وراوي الحديث أنس بن مالك.

قوله صلى الله عليه وآله: إنَّ اللهَ إذَا أَنْعَمَ عَلَى عَبْدٍ نِعْمَةً أَحَبَّ أَنْ تُرى عَلَيهِ

ذلك لمكان أنّ إظهار نعمة الله تعالى شكر منه، وكأنّ تلك النعمة إذا أظهرها ناطقةً بالشكر والذكر وإن لم ينطق صاحبها. وقال فرزدق في ذلك:

فَعَاجُوا فأَثْنَوا بِالَّذِي أنتَ أهْلُهُ ... وَلَو سَكَتُوا أثْنَتْ عليكَ الحَقَائِبُ[1]

وكذلك إذا كان مواسياً للإخوان مراعياً للجيران متبّعاً أهل الاستحقاق صاباً للنعمة في مصابها قارّاً لها في قرارها، فإنّها تنطق بلسان الشكر، والنعمة نُطوق، ولسان المنعم عليه إلى الشكر سبوق.

قال الشاعر:

وَكَمْ لَكَ عِندِي مِنْ نَوالٍ أذيعُهُ ... بِشُكرِكَ فِي الدُّنيا وَأنتَ تُسَاتِرُهُ

وَكَمْ نَائِل أوليتَنِيهِ مهنئاً ... فَلَا أنا نَاسِيهِ وَلَا أنتَ ذَاكِرُهُ[2]

وروي أنّ أعرابيّاً جاء إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وعليه ثياب رثّة فجعل عليه السلام يصعد النظر فيه ويصوّبه ثمّ قال: ألك مال؟ قال: نعم، فقال عليه السلام: إذَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَى عَبْدٍ[3] الحديث.

وروي أنّ عمران بن حصين خرج عليهم وعليه مقطّعة خزّ لم ير مثلها عليه، فقيل له في ذلك، فقال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «إذَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَى عَبْدٍ نِعْمَةً أَحَبَّ أنْ تُرى أثرُ نِعمتِهِ عَلَيهِ»[4].

---

١. الحيوان: ٣٤/١؛ العقد الفريد: ١١٦/٢؛ زهر الآداب: ٣١١/١؛ الحماسة البصريّة: ١٥٧/١.

٢. راجع: التذكرة الحمدونيّة: ٨٧/٤.

٣. راجع: مسند أحمد: ٤٧٣/٣، ح١٥٩٣٣؛ صحيح ابن حبّان: ٢٣٥/١٢، ح٥٤١٧.

٤. راجع: الشكر لابن أبي الدنيا: ٢١، ح ٥٠؛ المعجم الكبير: ١٨١/١٨، ح٤١٨.

ومرّ أيّوب السجستانيّ برجل قد بنى بناءً عظيماً وكان له جليساً، فقال: ما هذا؟ فقال: أحببت أن يمرّ المارّ بعدنا فيعلم أن قد كان لله تعالى علينا نعمةً، فسكت أيّوب.[1]

وفائدة الحديث الأمر بإظهار ما يخصّ الله تعالى العبد به من نعمة والنهي عن كتمانها وغمطها. وراوي الحديث أبو الأحوص عن أبيه.

قوله صلى الله عليه وآله: إنَّ اللهَ لا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعاً يَنْتَزِعُهُ مِنَ النَّاسِ وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِمَوتِ *الْعُلَمَاءِ

٤٣٣

يقول صلى الله عليه وآله: إنّ الله تعالى لا ينتزع العلم من قلوب العلماء مسحاً من قلوبهم وإنساءً، لكن إذا أراد انتزاع العلم من بين قوم انتزع العلماء من بينهم قبضاً وتوفّياً، فيبقون في الجهالة ويتسلّعون[2] في ظلمة الضلالة.

وقد روي غير هذه الرواية في آخر هذا الحديث: «فَإِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِماً، اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤَسَاءَ جُهَّالاً، فَسُئِلُوا [فَأَفْتَوْا] بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»[3]. وكان هذه الصورة التي نحن فيها أعاذنا الله من الجهل والقول بما لا نعلم.

وقد فسّر قول الله تعالى: «أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُها مِنْ أَطْرافِها»[4]، أنّه يعني موت العلماء[5]، فجعل تبارك وتعالى موتهم نقصان الأرض، فكأنّهم هم الأرض والباقي لا اعتداد به.

---

١. لم أقف على مصدره.

٢. يتشقّقون.

٣. مسند الحميدي: ٢٦٤/١، ح ٥٨١؛ مسند أحمد: ١٦١/٢، ح ٦٥١١.

٤. الرعد: ٤١.

٥. راجع: تفسير الطبري: ١٧٤/١٣؛ تفسير السمرقندي: ٢٣١/٢؛ وراجع: الكافي: ٣٨/١، ح ٦؛ من لا يحضره الفقيه: ١٨٦/١، ح ٥٦٠.

وقد جاء في الحديث لأمير المؤمنين عليه السلام: الناس اثنان: عالم ومتعلّم وما سوى ذلك همج رعاع؛[١] والهمج: البعوض ويشبّه طغام الناس به، والرعاع: الأحداث والجهّال الذين لا اعتبار بهم.

وفائدة الحديث إعلام أنّ الله تعالى إذا سخط على قوم قبض علماؤهم فبقوا في ظلمة الجهل. وراوي الحديث عبد الله بن عمرو بن العاص.

قوله صلى الله عليه وآله: إنَّ اللهَ يُعْطِي الدُّنْيَا عَلَى نِيَّةِ الْآخِرَةِ وَأبَى أنْ يُعْطِيَ الْآخِرَةَ عَلَى نِيَّةِ الدُّنْيَا

يقول صلى الله عليه وآله: إذا كانت همّة العبد مربوطة بالآخرة وفكرته مصروفة إلى أحوال المعاد وقلبه معلّقاً بذات الله تعالى ورضاه، كفاه الله تعالى أمر الدنيا ورزقه من حيث لا يحتسب وسخّر له الدنيا وأموالها، وإن رغب عنها وعظّمه في العيون وطلّاه في القلوب؛ «وَأبَى أنْ يُعْطِيَ الْآخِرَةَ» يعني الجنّة والفوز بنعيمها مَن قلبه متعلّق بالدنيا ونيّته موفّرة عليها ورأيه ملفوف إليها وهمّته معقودة بها.

وروي في كلام الله تعالى: «يَا دُنْيَا! اخْدُمِي مَنْ خَدَمَنِي وَأَتْعِبِي مَنْ خَدَمَكَ»[٢].

وفائدة الحديث إعلام أنّ الله تعالى يعطي الدنيا من اشتغل بالآخرة، ولا يعطي الآخرة من اشتغل بالدنيا. وراوي الحديث أنس بن مالك.

قوله صلى الله عليه وآله: إنَّ اللهَ يَسْتَحْيِي مِنَ العَبْدِ أنْ يَرْفَعَ إلَيهِ يَدَيهِ فَيَرُدَّهُمَا خَائِبَتَينِ

قد تقدّم الكلام في الحياء ومعناه وتحقيقه، وإذا أطلق على الله كان مجازاً، ومعناه أنّه عزّ وجلّ

١ . راجع: تهذيب اللغة: ٤٦/٦؛ جامع بيان العلم وفضله: ٣٩/١؛ وراجع: الخصال: ٣٩، ح ٢٢.

٢ . من لا يحضره الفقيه: ٣٦٣/٤؛ بحار الأنوار: ٥٤/٧٤؛ وراجع: قوت القلوب: ٤٠٨/١؛ حلية الأولياء: ١٩٤/٣.

لا يرضى ذلك ولا يريده ولا يحكم به.

فيقول صلى الله عليه وآله: لا يرضى الله تعالى أن يسأله العبد رافعاً يديه إليه متضرّعاً خاشعاً فيردّه بالخيبة الصريحة والردّ البحت والحرمان الخالص كما يفعل بنو آدم؛ ورفع اليدين إلى الله تعالى هيأة السؤال؛ هذا إذا كانت المصلحة في إعطائه، فإن لم تقتض المصلحة ذلك أخّر ذلك إلى يوم القيامة وأعطاه *ما هو أعود عليه وأنفع له مراعاةً لمصلحته ومحافظةً على الأجدى عليه [و]الأصلح، والله تعالى أعلم بالعبد منه بنفسه.

٤٣٤

وقد جاء في الحديث في ذكر الحياء: «إِنَّ اللهَ حَيِيٌّ، فَإِذَا اغْتَسَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَتِرْ بِشَيءٍ»[١] أي لا يرضى العرى وكشف الستر.

وفي الحديث: «إنّ من عباد الله من لو أفقره لأطغاه وإنّ من عباده من لو أغناه لأطغاه فاقنعوا بما رزق الله»[٢]، أو كما قال.

وفائدة الحديث التحديث بكرم الله تعالى وأنّه لا يردّ يديّ من رفعهما إليه. وراوي الحديث سلمان الفارسيّ رضي الله عنه.

قوله صلى الله عليه وآله: إِنَّ اللهَ جَعَلَ لِي الأَرْضَ مَسْجِداً وَطَهُوراً

يعني صلى الله عليه وآله أنّ جميع سطح الأرض مستصلح للعبادة فيه والصلاة عليه، وترابها قائم مقام الماء الطهور إذا أعوز الماء يعني التيمّم، وهو ذكر لكرم الله تعالى وتفضّله في إقامة التراب

١. سنن أبي داود: ٣٩/٤، ح٤٠١٢؛ المعجم الكبير: ٢٥٩/٢٢، ح٦٧٠؛ كنز العمّال: ١٧٠/٩، ح٢٦٦٢٧.

٢. عن النبيّ صلى الله عليه وآله: يقول الله تعالى: إنّ مِنْ عِبَادِي الْمُؤْمِنِينَ مَنْ لا يَصْلُحُ لَهُ إلا الْغِنَى، وَلَوْ أَفْقَرْتُهُ أَفْسَدَهُ ذَلِكَ، وَإِنَّ مِنْ عِبَادِي الْمُؤْمِنِينَ مَنْ لا يَصْلُحُ لَهُ إلا الْفَقْرُ، وَلَوْ بَسَطْتُ لَهُ أَفْسَدَهُ ذَلِكَ، وَإِنَّ مِنْ عِبَادِي مَنْ يُرِيدُ الْبَابَ مِنَ الْعِبَادَةِ، فَأَكُفُّهُ عَنْهُ لِئَلا يَدْخُلَهُ الْعُجْبُ، فَيُفْسِدُهُ ذَلِكَ، وَإِنَّ مِنْ عِبَادِي الْمُؤْمِنِينَ مَنْ لا يُصْلِحُ إِيمَانَهُ إلا الصِّحَّةُ وَلَوْ أَسْقَمْتُهُ لأَفْسَدَهُ ذَلِكَ ، أَظُنُّهُ قَالَ: وَإِنَّ مِنْ عِبَادِي مَنْ لا يُصْلِحُ إِيمَانَهُ إلا السَّقَمُ، وَلَوْ صَحَّحْتُهُ لأَفْسَدَهُ ذَلِكَ، إِنِّي أُدَبِّرُ عِبَادِي بِعِلْمِي بِقُلُوبِهِمْ، إِنِّي بِهِمْ عَلِيمٌ خَبِيرٌ»، راجع: الأسماء والصفات للبيهقي: ٣٠٧/١، ح٢٣١؛ سلاح المؤمن الدعاء: ٢٦٠.

مقام الماء والرخصة في الصلاة على الأرض حيث شاء.

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «فُضِّلْنَا عَلَى النَّاسِ بِثَلاثٍ: جُعِلَتِ الأَرْضُ كلُّها لَنَا مَسْجِداً، وَجُعِلَ تُرَابُهَا [لَنَا] طَهُوراً إِذَا لَمْ نَجِدِ الْمَاءَ، وَجُعِلَتْ صُفُوفُنَا كَصُفُوفِ الْمَلائِكَةِ»[١].

وفائدة الحديث إعلام أنّ الله تعالى أكرمنا بالصلاة في أيّ موضع شئنا من الأرض والتيمّم بالتراب إذا أعوز الماء. وراوي الحديث أبو ذرّ رضي الله عنه.

قوله صلى الله عليه وآله: إِنَّ اللهَ زَوَى لِيَ الأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ مُلْكَ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا

زوى أي جمع، والزَّيّ: الجمع والقبض. وروي هذا الحديث على وجه آخر: «زويت لي الأرض فأريت»[٢]، ومعنى الزَيّ هاهنا عرضها عليه مجموعة حين عرج به إلى السماء بالمعراج وأمر أن ينظر إلى الأرض، وقوله: «سيبلغ» إخبار بأنّه لا يذهب الأيّام والليالي حتّى تصير الملل كأنّها[٣] ملّة واحدة، وتجتمعوا على الإسلام عند خروج المهديّ من ولد فاطمة من سبط الحسين عليه السلام، ولا شكّ في خروجه وتعديل الخلق ودعائهم إلى الحقّ كما ذكر فيما قبل، يعني أنّ دينه سيطبق الأرض كلّها سهلها وجبلها وبرّها وبحرها.

وقد فسّر قوله تعالى: «وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ»[٤] على أنّه في زمان ظهور المهديّ المنتظر والعباد الصالحون أصحابه وأهله.[٥]

وفائدة الحديث إعلام أنّه سيغلب دينه ويظهره الله على الأديان كلّها ولو كره المشركون

---

١. سنن النسائي: ١٥/٥، ح٨٠٢٢؛ مسند أبي عوانة: ٢٥٣/١، ح٨٧٤؛ شعب الإيمان: ٤٦٠/٢، ح٢٣٩٩.

٢. غريب الحديث لابن سلام: ٣/١؛ الزاهر في معاني كلمات الناس: ٢٠/٢، ح٥١٧؛ الفائق: ١٢٨/٢.

٣. كذا في خ، ولعلّ الصواب: كلّها.

٤. الأنبياء: ١٠٥.

٥. راجع: تفسير مجمع البيان: ١١٩/٧ـ١٢٠.

٤٣٥

بخروج المهديّ من آل محمّد صلى الله عليه وآله. وراوي الحديث ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وآله.

قوله صلى الله عليه وآله: إنَّ اللهَ تجَاوَزَ لِأُمَّتِي عَمَّا حَدَّثَتْ بِهِ[1] أَنْفُسَهَا مَا لَمْ تَكَلَّمْ [بِهِ] أَوْ تَعْمَلْ بِهِ

يقول صلى الله عليه وآله: قد تجاوز الله تعالى عمّا يحدّث العبد به نفسه من الخواطر التي تخطر له؛ وأمر الخاطر من أعجب الأشياء فإنّه قد يرد عليه ما لم يكن لصاحبه على خاطر ولا في ضمير ولا عقد عليه نيّة، وربّما يخطر له المستحيل كما يخطر الممكن، وربّما أراد العبد أن لا يخطر فيخطر، وربّما أراد أن يدفعه عن نفسه فلا يقدر، فكأنّه عبّر بهذا الاعتبار.

فيقول صلى الله عليه وآله: إنّ الله تعالى تجاوز عن حديث النفس وخطور المخطورات والملهيات بالبال إذا كانت تلك الخواطر مجرّدةً عن العزم والقصد والنيّة والإضمار، فإن فعل شيئاً من ذلك كان ذنباً من الذنوب، وإن لم يفعل بالقلب أو اللسان بل لا يكون عليه تبعة الفعل الذي لم يفعل وإنّما يؤخذ بما فعل من أفعال القلوب أو الجوارح؛ والخطرة يخطر كالبرق اللامع، فينبغي للعبد أن لا يستعيده ولا يتبعه بل يضرب عنه.

ودخل بعض الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله! إنّه يدخل على خاطري ما هو كفر؟ فقال: الآن استقرّ إيمانك، أو كما قال عليه السلام.[2]

وقوله عليه السلام: «مَا لَمْ تَكَلَّمْ [بِهِ] أَوْ تَعْمَلْ بِهِ»، يجوز أن يكون عليه السلام تكلّم بالكلمتين، ويجوز أن يكون شكّاً من الرواي، فلا يدري أقال عليه السلام: «ما لم تكلّم به»، أو قال: «ما لم تعمل به»، وكلاهما حسن.

وفائدة الحديث إعلام أنّ الخواطر لا يؤاخذ بها، لأنّها كالأفعال التي لا يقصدها. وراوي

١. كذا في المصادر، وفي خ: عمّا أحدثت.

٢. راجع: مسند أحمد: ٢٣٣/٤، ح١٨٠٧٦؛ صحيح البخاري: ٢٤٤٥/٦، ح٦٢٥٧.

الحديث أبو هريرة.

قوله ﷺ: إنَّ اللهَ بِقِسْطِهِ وَعَدلِهِ جَعَلَ الرَّوْحَ وَالفَرَجَ فِي اليَقِينِ وَالرِّضَا وَجَعَلَ الهَمَّ وَالحُزْنَ فِي الشَّكِّ وَالسَّخَطِ

شكّ في الفرح والفرج، القسط: العدل والإنصاف، وهو اسم من أقسط، قال الله تعالى: «إنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ» [1]؛ والقسط: النصيب الذي يصيبك بالعدل؛ والقُسوط: الجور، وقد قسَط فهو قاسط، قال تعالى: «وَأَمَّا الْقاسِطُونَ فَكانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً» [2]، وكان الهمزة في «أقسط» للسلب مثل أشكى إذا زال الشكاية. والروح هو الراحة، يقال: استراح الرجل من الكدّ. والفرج: انكشاف الغمّ، وقد فرّج الله عنك. واليقين: العلم القطعيّ. والهمّ: الغمّ المذيب للقلب. والحزن: الغمّ الذي يخشّن الصدر. والشكّ: اعتدال النقيضين وهو خلاف اليقين من غير ترجيح. والسخط: الغضب الشديد ويكون خلاف الرضا وهو الذي *في الحديث. ٤٣٦

يقول ﷺ: جعل الله تعالى الاستراحة والفرج في علم العبد بأنّ ربّه عدل منصف لا يجور ولا يحيف، وإذا كان كذلك كان أعلم بالعبد منه بنفسه ووجب عليه الرضا بما يفعله ويقضيه ويقدّره عليه ويبتليه به، وجعل همّه وحزنه وكآبته في شكّه بربّه وبمعدلته وإنصافه وفي أن لا يرضى بمقدوره وما يقضيه عليه، وكلّ ذلك منه بقسطه وعدله فهو أعدل العادلين وأعلم العالمين، وذلك أنّ الروح والراحة في مقابلة الرضا والتسليم عدل منه وهو كذلك، والهمّ والحزن في مقابلة سخطه المقدور، لأنّ كلاهما [3] يقتضي ذلك؛ والعبد إذا أصابه بعض ما يكره من الآلام والأسقام والفقر وغير ذلك ممّا يكره فعلم أنّه من فعل الله الحكيم فرضى وسلّم علماً بأنّه من فعل من لا يظلم ولا يجور، كان أشرح لصدره وأفسح لعَطَنه وأقرب إلى رضا

---

١. المائدة: ٤٢.

٢. الجنّ: ١٥.

٣. في خ: كلامنا، ولعلّ الصواب ما أثبتّه في المتن.

ربّه؛ وإذا أسخط ذلك ولم يرض به وشكّ في أنّه من فعل الحكيم، كان أزيد في حزنه وهمّه وأجلب لكآبته وضيق صدره؛ فالواجب على العبد التسليم لما يأتي ويذر.

وفائدة الحديث الأمر بالرضا للقضاء والإيقان لحكمة الله تعالى والنهي عن سخط فعل الله به. وقد قال الشاعر:

رُبَّ أمــرٍ تــتّقيهِ فــيهِ أمــر تــرتجيهِ ظهرَ المكروهُ منهُ واختبى المحبوبُ فِيهِ[1]

وروي أنّ لقمان الحكيم كان قد توجّه مع ابنه إلى بلد من البلاد فلمّا قربا المدينة عثر الابن بعظم جرح رجله جراحةً منكرة فاحتبس من دخول المدينة مشتغلاً بمعالجة رجله وجعل ابنه يجزع ويحزن، فلمّا أصبح وجد المدينة قد خسف بها وإذاً كالدخان المظلم يسطَع[2] منها، فحمد الله تعالى على عثرته.[3]

والأمور خافية عنّا وربّما من أشفق المشفقين علينا، فلا يكاد يسعنا إلّا التسليم والرضى.

وفائدة الحديث الأمر بالرضا بقضائه والتسليم لحكمه وإن لم تفعل فهمه. وراوي الحديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

قوله صلى الله عليه وآله: إنَّ اللهَ كَتَبَ الغِيرَةَ عَلَى النِّسَاءِ وَالجِهَادَ عَلَى الرِّجَالِ، فَمَنْ صَبَرَ مِنْهُ احتِسَاباً كَانَ لَهُ مِثْلُ أجْرِ شَهِيدٍ

الغيرة هنا شدّة حميّة المرأة على زوجها، وأصل «كتب» ضمّ شيء إلى شيء، يقال: كتبت السِقاء إذا خطّته، وكتبت البغلة إذا جمعت بين شُفْريها بحلقة، وكتبت بالقلم إذا ضممت الحروف بعضها إلى بعض، ويقال للمكتوب كتاب؛ والذي في الحديث هو موضوع

---

١ . قاله أبو سعيد الضرير؛ راجع: تفسير الثعلبي: ١٣٨/٢؛ شعب الإيمان: ٢٢٧/٧، ح ١٠١٠٤؛ وراجع: ديوان ابن المعتز: ٩٥٥.

٢ . ينتشر.

٣ . لم أقف على مصدره.

الكلمة، فكان معناه: نشرت الغيرة بالنساء؛ وجمع بينها[١] والجهاد بالرجال ولو قلت: إنّ ٤٣٧ التقدير *كتب صبر الغيرة على النساء وصبر الجهاد على الرجال بمعنى «أوجب» فحذف المضاف، كان وجهاً. وكلمة «على» في قوله: «على النساء» يقتضي هذا الوجه الثاني، وكلٌّ حسنٌ؛ ويكون «على» على الوجه الأوّل هي التي في قولك: «هو عليك لا لك» أي فرق بينهما على كراهتهنّ، ولمّا ذكر النساء بعد «على» استغنى عن ذكرهنّ أوّلاً؛ ووجه آخر وهو أنّ الغيرة لا تفارق النساء فهنّ يلزمنها لزوم ما فرض الله تعالى عليهنّ، فكأنّ الله تعالى خلق النساء ضعافاً يَغِرْنَ على أزواجهنّ في الحلال التي أباحها الله، كما خلق الرجال أقوياء أجلاداً[٢] يجاهدون العدوّ، فمن صبر منهنّ احتساباً عند الله ورجاء ثوابه كان لها مثل ثواب شهيد.

وروي أنّ المأمون لمّا زوّج بنته أمّ الفضل من محمّد بن عليّ بن موسى الرضا عليهم السلام وحملها إلى المدينة، جعلت تكتب إليه[٣] وأكّدها تشكو زوجها وأنّه يغرها فكتب إليها: يا بنية! أنا لم نزوّجك منه لتحرّمي عليه ما أحلّ الله.[٤]

وأمّا غيرة النساء فأمر لا علاج له وداء لا دواء له، وربّما أدّى إلى قتل أزواجهنّ لقلّة احتمالهنّ لذلك وقلقهنّ لمكانه، ولذلك قال صلى الله عليه وآله: من صبر منهنّ احتساباً كان لها مثل أجر شهيد، لصعوبته عليهنّ وصعوبة احتمالهنّ له؛ وذكر تكليف الرجال الجهاد، كأنّه تسلية لهنّ من الغيرة كما قال تعالى: «أَوَمَنْ يُنَشَّؤُا فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصامِ غَيْرُ مُبِينٍ»[٥].

وفائدة الحديث أمر النساء بالصبر على الغيرة وتسمية ثواب الشهداء لهنّ ووعدهنّ به.

وراوي الحديث عبد الله بن مسعود.

---

١. في خ: بينهما.

٢. خلقوا ضخماً قويّ الأعضاء والجسم.

٣. في خ: إليّ.

٤. الإرشاد: ٢/٢٨٨؛ بحار الأنوار: ٥٠/٧٩، ح ٥.

٥. الزخرف: ١٨.

قوله صلى الله عليه وآله: إنَّ اللهَ عِنْدَ لِسَانِ كُلِّ قَائِلٍ

موضوع لفظ «عند» للقرب إمّا مكاناً وإمّا زماناً وإمّا قدرةً وإمكاناً وإمّا زلفى وقرباناً. فالأوّل قولك: زيد عند عمرو، والثاني: قولك: أتيتُه عند غروب الشمس، والثالث كالذي في الحديث، والرابع كقولك: احتسب فلان عند الله كذا وكذا.

يقول صلى الله عليه وآله: إنّ الله تعالى مطّلع على كلّ كلمة يتفوّه بها الإنسان، فكأنّه عنده مجازاً يسمع ويعي، وهو لقوله تعالى: «ما يَكُونُ مِنْ نَجْوى ثَلاثَةٍ إلّا هُوَ رابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إلّا هُوَ سادِسُهُمْ» [1] الآية.

وكذلك يقولون في بعض كنايات اليمين: قعيدَك الله وقِعْدك الله، يعنون مصاحبك ومقاعدك، ونصبها بإضمار فعل. قال متمّم:

قَعِيدَكِ أَلّا تُسْمِعِيني مَلامَةً   ولا تَنْكَئِي قَرْحَ الفؤَادِ فَيِيجَعَا [2]

وفائدة الحديث إعلام أنّ الله تعالى يسمع كلّما يقال. وراوي الحديث عمر بن ذرّ.

قوله صلى الله عليه وآله: إنَّ اللهَ لا يَقْبَلُ عَمَلَ عَبْدٍ حَتَّى *يَرْضَى قَوْلَهُ

٤٣٨

هذا تشديد على العبد في حفظ اللسان. فيقول صلى الله عليه وآله: لا يقبل الله العمل الصالح من عبد حتّى يكون حافظاً للسانه من الخطل [3]، وذلك أنّ زلّة اللسان من أعظم الزلل، وجميع ما يقوله من جملة العمل؛ على أنّ المتّقي الذي يتقبّل الله عمله كما قال: «إنَّما يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ» [4]، لا يكذب ولا يشتم ولا يقول إلّا الحقّ. وهذا كما تقدّم من قوله عليه السلام: «لَا يَسْتَكْمِلُ أَحَدُكُمْ حَقِيقَةَ الإيمَانِ حَتَّى يَخْزُنَ لِسَانَهُ»، وكقوله عليه السلام: «لا يَسْتَقِيمُ إيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ

---

١ . المجادلة: ٧.

٢ . جمهرة أشعار العرب: ٢٢٥؛ المفضليّات: ٢٦٩؛ تهذيب اللغة: ١٣٦/١.

٣ . المنطق الفاسد المضطرب.

٤ . المائدة: ٢٧.

قَلْبُهُ، وَلا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ»[١].

وفائدة الحديث الأمر بحفظ اللسان إلّا عن خير. وراوي الحديث أبو هريرة.

قوله صلى الله عليه وآله: إنَّ اللهَ إذَا أَرَادَ بِقَوْمٍ خَيراً ابْتَلاهُمْ

الابتلاء: الامتحان والاختبار في الأصل، وابتلاه الله بمرض: إذا ساقه إليه. فيقول صلى الله عليه وآله: إنّ الله تعالى إذا أراد بعبد خيراً ابتلاه بمكروه في نفسه وأهله[٢] أو ماله، وغرضه من ذلك أن يصبر ويحتسب فيعوّضه عن ألمه ما يرضيه من العوض ويثيبه على صبره أجره بغير حساب، كما ذكر في كتاب العزيز: «إنَّما يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسابٍ»[٣].

وروي: أنّ الله تعالى إذا أراد أن يبلغ العبد درجةً من الدرجات وقصر عمله عن تلك الدرجة ابتلاه ببلاء فيصبر ويبلغه بالصبر تلك الدرجة. أو كما روي.[٤]

وفائدة الحديث الأمر باحتمال المكروه والصبر على البلاء انتظاراً للثواب. وراوي الحديث أنس بن مالك، وتمام الحديث: «إنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلاءِ، وَإنَّ اللهَ عزّ وجلّ إذَا أَحَبَّ قَوْماً ابْتَلاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخَطَ فَلَهُ السَّخَطُ»[٥]. وروي عن أنس بن مالك كما في عمود الكتاب.

قوله صلى الله عليه وآله: إنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَاباً يَومَ القِيَامَةِ عَالِمٌ لَمْ يَنْفَعْهُ اللهُ بِعِلْمِهِ

العلم إذا كان نافعاً نفع أوّلاً صاحبه ثمّ تعدّاه إلى غيره، فإذا لم ينفع صاحبه دلّ

---

١. تقدّم شرحها في ج٢، ص ٦١٣، وراجع: مسند الشهاب: ٦٣/٢ و٦٤، ح٨٨٧ و٨٩٣.

٢. كذا في خ، ولعلّ الصواب: أو أهله.

٣. الزمر: ١٠.

٤. لم أقف على مصدره.

٥. سنن ابن ماجه: ١٣٣٨/٢، ح٤٠٣١؛ مسند الشهاب: ١٧٠/٢، ح١١٢١.

على أنّه لغو على الألسن ولغو لا حقيقة له، وصاحبه إمّا أن يكون يهدي بها لا يعرفه، ويكون[1] قد اتّخذ العلم حُبالةً يكتسب الدنيا بها فيكون ممّن يكتسب الدنيا بعمل الآخرة.

فيقول صلى الله عليه وآله: أشدّ الناس عذاباً يوم القيامة من كانت هذه سيرته والنفاق سريرته.

ثمّ إنّ العالم إذا لم ينفعه علمه ما لم يكن في حسابه لأنّه اتّخذ العلم مصيدةً يحتجز بها أموال الناس، ثمّ إنّ العالم إذا لم ينفعه علمه فإمّا أن يكون به مكذّباً أو يسخر من نفسه ويظنّ أنّه يسخر من الناس.

٤٣٩ وفائدة الحديث *إيعاد العالم بعلمه الذي لا يعمل به، فيعود عليه وبالاً ويصير صاحبه لأهل الآخرة نكالاً. وراوي الحديث أبو هريرة.

قوله صلى الله عليه وآله: إنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ مَنْ فَرقهُ النَّاسُ اتّقَاءَ فُحْشِهِ

من يتعاطي ذلك يكون شرّ الناس يوم القيامة وفي الدنيا أيضاً، وإنّما خصّ عليه السلام يوم القيامة بالذكر لأنّ جزاء ذلك يصل إليه فيه؛ والفحش الفعل والقول القبيحان الشنيعان وكذلك الفاحشة والفحشاء.

فيقول صلى الله عليه وآله: شرّ الناس وأصعبهم وأعظمهم عذاباً يوم القيامة الفحّاش والمجُون[2] فلا يتكلّم إلّا به ولا يستقيم لسانه إلّا عليه، يشتم هذا ويفتري على ذلك ولا يبالي، وربّما ظنّ أنّه بذلك يتظرّف؛ فالويل له من سوء العذاب يوم القيامة.

وسئل من يعاشره أن يداريه، فإنّه روي عن عائشة قالت: أقبل رجل فلمّا رآه رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «بِئْسَ أخو الْعَشِيرَةِ، فلمّا جاء وجلس كلّمه وانبسط إليه، قَالَتْ عَائِشَةُ: إنّكَ

---

١ . كذا في خ، ولعلّ الصواب: وإمّا أن يكون.

٢ . أن لا يبالي الإنسان ما صنع.

قُلْتَ مَا قُلْتَ، فَلَمَّا دَخَلَ أَلَنْتَ لَهُ الْكَلامَ، قَالَ: يَا عَائِشَةُ، إِنَّ شَرَّ النَّاسِ ... »[1] الحديث.

وفائدة الحديث النهي عن إرسال اللسان كالسبع الضاري إلى أعراض الناس. وراوية الحديث عائشة.

قوله صلى الله عليه وآله: إِنَّ مِنْ شرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ عَبْداً أَذْهَبَ آخِرَتَهُ بِدُنْيَا غَيْرِهِ

قوله صلى الله عليه وآله: «من شرّ الناس» من للتبعيض يعني بعض أشرار الناس عبد هذه صفته. فيقول صلى الله عليه وآله: شرّ الناس عبد باع دينه بدنيا غيره، مثل الجفاة[2] والمستكين والظلمة وأعوانهم والسادة وأشياعهم والولاة وأتباعهم الذين يغصبون أموال الناس لمولاهم ويخربون آخرتهم لدنيا صاحبهم ويظنّون أنّهم يفعلون شيئاً، أولئك لا خلاق لهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم.

وعن أمير المؤمنين ـ صلوات الله عليه ـ وسئل: أيّ الناس أحمق؟ فقال عليه السلام: رجل انحطّ في هوى أخيه وهو ظالم باع آخرته بدنيا غيره.[3]

وقد نظم بعض أهل العصر هذا المعنى فقال:

بَايع الدّينَ بِدُنْيَا نَفْسِهِ ... لَيسَ يدري خَيرَهُ مِنْ ضَيرِهِ
وَترى أخسرَ مِنْهُ صَفقةً ... بَايع الدّينَ بِدُنيا غَيرِهِ

وفائدة الحديث النهي عن اتّباع الدين وإهلاكه لرضى العالمين. وراوي الحديث أبو هريرة.

---

١. راجع: مسند أحمد: ٣٨/٦، ح٢٤١٥٢؛ مسند الحميدي: ١٢١/١، ح٢٤٩؛ صحيح البخاري: ٢٢٥٠/٥، ح٥٧٠٧.

٢. في خ: مثل الحياة.

٣. لم أجد نقله في المصادر عن أمير المؤمنين عليه السلام، راجع: سنن الدارمي: ١٦٤/١، ح٦٤٧؛ تاريخ مدينة دمشق: ٣٣/٢٢؛ تفسير القرطبي: ٣٣٨/١.

قوله ﷺ: إنَّ أشْقَى الأشْقِيَاءِ مَنْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ فَقْرُ الدُّنيَا وَعَذَابُ الآخِرَةِ

الشقاوة ضدّ السعادة، يقول ﷺ: أشقى الأشقياء الفقير الظالم، فشقاوته في الدنيا ضرّه ❊وبؤسه وفاقته وفقره، وشقاوته في الآخرة عذاب النار؛ فكأنّه يوصي الفقير بحسن احتمال الفقر والصبر عليه والطاعة، فإنّ رُقْعَة عمر الدنيا قريبة تنقضي سريعاً وضرّ الآخرة شقاوتها لا آخر لها؛ وعلى الجملة احتمال المنتهى أهون وأسهل ممّا لا ينتهى.

٤٤٠

وفائدة الحديث إعلام أنّ الذي يجتمع له الخلّتان من أشقى عباد الله، وأمر الفقير أن لا يجزع من فقره ولا يتصوّر[1] فكان قد انقطع ضرّه وفقره إلى النعيم السرمد والثواب المخلّد.
وراوي الحديث أبو سعيد الخُدريّ.

قوله ﷺ: إنّي أَخَافُ عَلَى أُمَّتي [بَعْدِي] أَعْمالاً ثَلاثَةً: زِلَّةَ عَالِمٍ وَحُكْمَ جَائِرٍ وَهَوَى مُتَّبَعٍ

قوله ﷺ: «زلّة عالم» كلام مستأنف، كأنّه قال ﷺ: أخاف على أمّتي أعمالاً ثلاثة، ثمّ قال: هي زلّة عالم؛ وإنّما قال ﷺ: «زلّة عالم»، لأنّ الناس ينظرون إليه ويقبلون منه وتبايعون أقواله وأفعاله فيقتدون به، ولذلك قال: زلّة عالم غرق السفينة، لأنّه إن زلّ زلّ عالَم من أتباعه ومعارفه، وبنو آدم مساكين يقتلون ما يرون ويبتغون ما يلقون؛ وإنّما قال: «حكم جائر» وهو ذو الجور، لأنّ الحاكم إذا جار فإلى من يفزع، ليت شعري لأنّ الحكومات تنساق إليه فإذا جار فيها أو مال أو صغا هلك الناس وجعلوه ذريعةً إلى هدم الشريعة؛ وأمّا الهوى المتّبع فإنّه الذي يضلّ الناس، وذلك لأنّ الإنسان كأنّه قريب من الاضطرار إلى اتّباع طريقة أبيه وأمّه وعقيدة أهل بلدته ومحلّته ومعلّمه خيراً كانت تلك العقيدة أو شرّاً،

---

١. كذا في خ.

وهذا داء لا دواء له ومرض لا شفاء منه، ومن ذلك تنتج الآراء والأهواء والبدع والضلالات ـ أعاذنا الله منها وهدانا بفضله ورحمته إلى الطريق القويم ويعيننا عليه بفضله العميم إنّه وليّ ذلك ـ.

وفائدة الحديث تحذير الناس من اتّباع العالم الزالّ وتحذيره من الزلّة وتحذيرهم من اتّباع الحكم بغير الحقّ وتحذير الحاكم من الجور، وتحذير الجميع من الهوى الذي يهوي بصاحبه في النار. وراوي الحديث كثير بن عبد الله عن أبيه عن جدّه.

قوله صلى الله عليه وآله: إنِّي مُمْسِكٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ وَتَقَاحَمُونَ فِيهَا تَقَاحُمَ الفِرَاشِ وَالجَنَادِبِ

الحجزة: معقدة الإزار، وهي مسلك التكّة في السراويل أيضاً، واحتجز بالإزار: عقده على وسطه، وأصل «ح ج ز» المنع، يقول: حجزه أي منعه يحجزه، والحجاز: بلاد وهي ما منع بين نجد والغَوْر؛ وتقاحمون أي يساقطون *ويبتدرون، والقُحمة: المهلكة، وقَحَم الطريق: مصاعبه، وأقحم فرسه النهر فانقحم واقتحم، والتقحّم: الدخول في الأمن من غير تثبّت على التهوّر والتبخيت، وقد قحمت نفسك، والفراشة هي التي تطير وتهافت في السراج ليلاً والجمع الفراش، والجُندب: نوع من الجراد ونونها زائدة.

٤٤١

يقول صلى الله عليه وآله: إنّي لا أزال أدعوكم إلى الخير والهدى وأصدّكم عن الشرّ والرديء، فأشرح لكم الدين وأفضل العبادات الشرعيّة التي هي منجاتكم، فكأنّكم تقتحمون النار وأردّكم آخذاً بحجزكم، وهذا مثل، أي لشدّة ما أعظكم وأبالغ في زجركم كأنّي آخذ بحجزكم أجركم عنها وأسرّدكم منها، وهذا كقوله تعالى: «وَكُنْتُمْ عَلى شَفا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْها»[١]؛ ويجوز أن يكون ذلك إشارة إلى يوم القيامة، لأنّه قال عليه السلام في حديث آخر: «يَا عَلِيُّ! إذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ تعلّقتُ بِحُجْزَةِ اللهِ تعالى وَتعلّقتَ أَنْتَ بِحُجْزَتِي وَتعلّقَ أولادُكَ بِحُجْزَتِكَ

١. آل عمران: ١٠٣.

وَتعلّق شِيعَتُكَ بِحُجْزَتِهِمْ فَتَرَى أَيْنَ يُؤْمَرُ بِنَا».[١]

وفائدة الحديث إعلام أنّه عليه السلام سبب خلاصهم ونجاتهم بالدعاء إلى الخير والدين في يوم القيامة. وراوي الحديث ابن عبّاس رضي الله عنه.

قوله صلى الله عليه وآله: إنَّا لا نَسْتَعْمِلُ عَلَى عَمَلِنَا مَنْ أَرَادَهُ

يقول صلى الله عليه وآله: إنّ الذي يطلب العمل فكأنّما يطلبه لغرض نفسه، لأنّ العمل شغل شاغل تعب في الدنيا وحساب في الآخرة، فلا يكاد يرغب فيه إلّا من يضمر الخيانة، وهو صلى الله عليه وآله لا يؤثر الخائن عاملاً على بلد من بلاد المسلمين، وهذا كما قال: إنّ الوصيّة لا يختارها إلّا الخائن أو خائن.[٢]

فيقول صلى الله عليه وآله: إنّا لا نستعمل على عملنا المختار له، بل نختار للعمل من استوثقناه ورضينا أمانته. قال عليه السلام ذلك لأبي موسى الأشعريّ قال: أقبلت إلى النبيّ صلى الله عليه وآله ومعي رجلان من الأشعريّين فقال عليه السلام لنا ذلك،[٣] وقد تقدّم بتمامه في قوله عليه السلام: «لا تسأل الأمارة ... »[٤].

وفائدة الحديث إعلام أنّه يحتاط المسلمين فلا يستعمل على المسلمين من يختار الشغل بل يختار لهم من يستصلحه لذلك. وراوي الحديث أبو موسى.

قوله صلى الله عليه وآله: إنَّكَ لا تَدَعَ شَيْئاً اتِّقَاءَ اللهِ إلّا أَعْطَاكَ اللهُ خَيْراً مِنْهُ

يقول صلى الله عليه وآله: لا يدع الإنسان رغيبة فيها شكّ ولا خير غير مأمون وجه استجلاء تقرّباً

---

١ . مسند زيد بن علي: ٤٥٥؛ صحيفة الرضا عليه السلام: ٤٥، ح ٢٤؛ بحار الأنوار: ١٠٤/٦٥، ح١٧؛ وراجع: أساس البلاغة: ١١٤.

٢ . راجع: أخبار القضاة: ٦٩/١؛ ذيل تاريخ بغداد: ١٢١/١٧؛ في خ: إلّا خائن أو خائن.

٣ . راجع: مسند أحمد: ٤٠٩/٤، ح ١٩٦٨١؛ صحيح البخاري: ٧٨٩/٢، ح٢١٤٢.

٤ . راجع: ج ٢، ص ٦٤٥ .

إلى الله تعالى وأخذاً بالتقوى إلّا أعطاه الله تعالى خيراً منه لمكان مراقبته جانب الله تعالى فيه ونزوعه عنه.

٤٤٢ وفائدة الحديث الأمر بالتقوى وإيثار رضا الله تعالى على الرغائب، *وإعلام أنّ الله تعالى يعوّض خيراً منه. وراوي الحديث أبو قتادة وأبو الدهماء، قالا: «أَتَيْنا عَلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ، فَقَالَ أَخَذَ بِيَدِي رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله فَعَلَّمَنِي مَا[١] عَلَّمَهُ اللهُ، فَكَانَ مِمَّا حَفِظْتُهُ عَنْهُ: إِنَّكَ ...»[٢] الحديث.

قوله صلى الله عليه وآله: إنّ مِنْ مُوجِباتِ المَغْفِرَةِ إدْخالَ السُّرُورِ على أخِيكَ المؤْمِنِ

يقول صلى الله عليه وآله: إنّ السرور الذي يحصل لأخيك المؤمن من قبلك بنوال تعطيه أو شغل له تقضيه أو شرّ تكفيه أو عناية تتحرّاها ممّا يوجب لك مغفرة الله جلّ وعزّ.

وروي: إنّ المؤمن إذا أدخل السرور على أخيه المؤمن خلق الله من ذلك السرور ملكاً ينزل إلى البحر فيغوص فيه نفسه ثمّ يصعد إلى الهواء فيحرّك جناحيه فلا تقطر قطرة إلّا خلق الله منها ملكاً يسبّح الله تعالى ويهلّله ويستغفر له إلى يوم القيامة.[٣]

وفائدة الحديث الحثّ على إدخال السرور على إخوانك المؤمنين. وراوي الحديث أمير المؤمنين عليه السلام.

قوله صلى الله عليه وآله: إنَّ مِنْ مُوجِبَاتِ المغْفِرَةِ بَذْلَ السَّلامِ وَحُسْنَ الْكَلامِ

يقول صلى الله عليه وآله: من بذل سلامه فلم يميّز الغنيّ من الفقير والكبير من الصغير فأفاضه على

---

١. في المصادر: ممّا.

٢. الزهد لابن المبارك: ٤١٢/١، ح١١٦٨؛ مسند الشهاب: ١٧٨/٢، ح١١٣٥.

٣. لم أقف على نصّه، راجع: قضاء الحوائج: ٩٧، ح١١٥؛ كنز العمّال: ١٨٤/٦، ح١٦٤٠٩.

المسلمين تحرّياً لتحيّة الإسلام وخطبةً لمودّات القلوب وطلباً لحسن التخلّق وطيب المسالمة والموادعة، وحسُن كلامه ونقّاه من الفحش والغثاثة والوقوع في الأغراض، كان ذلك له من موجبات المغفرة والرحمة؛ وما أرخص المغفرة بهذه المعاملة السهلة الخفيفة المحمل القريبة المأخذ الهنيئة المتناول؛ وقد تقدّم الكلام في السلام وإفشائه.

وفائدة الحديث الأمر بإفشاء السلام وتطييب الكلام، وإعلام أنّ ذلك موجب لمغفرة الله تعالى. وراوي الحديث المقدام بن شريح عن أبيه عن جدّه قال: قلت: يا رسول الله! أيّ عمل يدخلني الجنّة؟ فقال عليه السلام ذلك.[1]

قوله صلى الله عليه وآله: إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَنَاظِرٌ كَيْفَ تَعْمَلُونَ

خَضرة أي غَضّة ناظرة طريئة، وأصله من خضرة الشجر والبقل وكلّ غضّ طريء فهو خضرة ، ويقال: هو لك خِضراً مِضراً أي سهلاً عفواً بغير ثمن، ومضراً إتباع ويقال: خضراً مضراً. وقال الكسائيّ: بِضراً[2]. ومستخلفكم: جاعلكم خلفاً لمن قبلكم، والخليفة: النائب عن غيره، ومنه الخليفة الذي إليه الحكم الكلّيّ.

يقول صلى الله عليه وآله: إنّ الدنيا حلوة طيّبة ناعمة، والله تعالى مسلّمها منكم ثمّ ينظر إليكم كيف تفعلون بها، ❊أتفعلون بها عن أوامره ونواهيه أم يعتصمون بعروة الله الوثق غير معتدّين بها؛ [٤٤٣] وليس الغرض أنّه يبتليكم ليعلم ما لم يعلم، فإنّه قد علم كلّ ذلك فيما لم يزل؛ بل المعنى أنّه رأى ما تصنعون فيجازيكم عليه.

وقال تعالى: «عَسى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ

---

١ . المعجم الكبير: ١٨٠/٢٢، ح ٤٦٩؛ مسند الشهاب: ١٨٠/٢، ح ١١٤٠.

٢ . راجع: الصحاح: ٨١٨/٢.

تَعْمَلُونَ» [١]، أي يرى ما يكون منكم فيجازيكم على ما يحصل منكم. ولو قيل: إنّ معناه فينظر كيف تعملون خيراً أو شرّاً، لجاز ويكون نظر بمعنى انتظر، وهذا تهديد.

يقول صلى الله عليه وآله: إنّ الله تعالى خلق الدنيا طيبةً حلوةً ناعمةً واستخلفكم بعد الذاهبين وأمركم ونهاكم، وهو على الرصد لما تفعلون فإن فعلتم خيراً كان لكم وإن فعلتم شرّاً كان عليكم.

وروي عن حكيم بن حزام قال: «سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ قَالَ: يَا حَكِيمُ! إنَّ هَذَا الْمَالَ حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ بُورِكَ [لَهُ] فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، وَكانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ، وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى، قَالَ حَكِيمٌ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا أَرْزَأُ أَحَداً بَعْدَكَ شَيْئاً حَتَّى أُفَارِقَ الدُّنْيَا، فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يَدْعُو حَكِيماً إلَى الْعَطَاءِ فَيَأْبَى أَنْ يَقْبَلَهُ [مِنْهُ، ثُمَّ إنَّ عُمَرَ دَعَاهُ لِيُعْطِيَهُ فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُ شَيْئاً، فَقَالَ عُمَرُ:] فيقول أبو بكر [٢]: يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ! إنِّي أُشْهِدُكُمْ عَلَى حَكِيمٍ، أَنِّي أَعْرِضُ عَلَيْهِ حَقَّهُ مِنْ هَذَا الْفَيْءِ فَيَأْبَى أَنْ يقبلَ منهُ شيئاً، فَلَمْ يَرْزَأْ حَكِيمٌ أَحَداً شيئاً بَعْدَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله» [٣].

وفائدة الحديث إعلام أنّ الله تعالى خلق الدنيا واستخلفكم فيها مراصداً أفعالكم ليجازيكم عليها. وراوي الحديث أبو سعيد الخدريّ، وتمام الحديث: «وَاتَّقُوا الدُّنْيَا، وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، وَمَا مِنْ كَلِمَةٍ أَفْضَلَ مِنْ كَلِمَةِ عَدْلٍ عِنْدَ إمَامٍ جَائِرٍ» [٤]. وراوية الحديث خولة بنت قيس، قالت: تذاكر النبيّ صلى الله عليه وآله وحمزة عليه السلام الدنيا، فقال عليه السلام ذلك. [٥]

قوله صلى الله عليه وآله: إنَّ مِنْ قَلْبِ ابْنِ آدَمَ بِكُلِّ وَادٍ شُعْبَةً فَمَنْ اتَّبَعَ

١. الأعراف: ١٢٩.

٢. في المصادر كذا: «ثمّ إنّ عمر دعاه ليعطيه فأبى أن يقبل منه شيئاً فقال عمر: ...».

٣. صحيح البخاري: ٢/٥٣٥، ح١٤٠٣؛ المعجم الكبير: ٣/١٨٩، ح٣٠٨٠.

٤. مسند الشهاب: ٢/١٨١، ح١١٤١.

٥. مصنّف عبد الرزّاق: ٤/٢٥٩، ح٦٩٦٢؛ مسند الشهاب: ٢/١٨٢، ح١١٤٣.

قَلْبُهُ الشُّعَبَ كُلَّهَا لَمْ يُبَالِ اللهُ فِي أَيِّ وَادٍ أَهْلَكَهُ

الشعبة: الطائفة والقطعة من كلّ شيء. يقول صلى الله عليه وآله: قلب ابن آدم متوزّع في الإرادات والشهوات مصروف عمّا يعنيه، فتارةً يشغل بالأموال وترقيحها[1] أو يتمنّاها وتارةً يستعمل بالشهوات واللذّات أو يتصوّرها وتارةً يظلم الناس ويغصب أموالهم إلى غير ذلك من المناهي، فمن قصر نفسه على ذلك غير ملتفت إلى ما خلق له من الطاعة والعبادة والنظر في أمور الآخرة وتحصيل سعادة المعاد كاد التوفيق يحبس عنه ويترك في شهواته وملاذّه وماله ومعاملاته وظلمه وغصبه وما هو بصدده ممّا لا يعنيه، ثمّ يغافصه الموت[2] في بعض ذلك ساهياً لاهياً غارّاً غافلاً [٤٤٤] غير مستعدّ للآخرة ولا مرتب زاداً.

وذكر الوادي مثل للأمر يلتبس به، لأنّ لكلّ عمل فسحةً ومجالاً فكأنّه واد ينزل به.

وفائدة الحديث التحذير من إغفال أمر الآخرة والإعراض عنها فإنّ الله تعالى ربّما أهلكه في بعض ما يشرع فيه فيبقى خائباً خاسراً. وراوي الحديث موسى بن عليّ بن رَباح عن أبيه.

قوله صلى الله عليه وآله: إنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ فَأَوْغِلْ فِيهِ بِرِفْقٍ وَلا تُبَغِّضْ إِلَى نَفْسِكَ طَاعةَ اللهِ، فَإِنَّ الْمُنْبَتَّ لا أَرْضاً قَطَعَ وَلا ظَهْراً أَبْقَى

المتين: الصلب الشديد، وقد متُن متانةً: صلب وقوى، «فأوغل» الإيغال: السير الشديد، والوغول: الدخول في الشيء وكذلك التوغّل، وقد توغّل أي سِرْ فيه برفق وهنيئة. والمنبتّ: الذي ينقطع به وتعطب راحلته وهو من البتّ القطع، يقال: بتّه يبُتُّه ويبِتّه والكسر شاذّ، وانبتّ: انقطع، والظهر: الركاب، ويقال: بنو فلان مظهرون إذا كان لهم ظهر ينقلون عليه كما يقال: منجبون إذا كانوا أصحاب نجائب.

---

١. إصلاحها.

٢. يؤخذه على غرّة.

يقول صلى الله عليه وآله: هو الدين أي دين الإسلام شديد قويّ لا نهاية للطاعة فيه ولا يمكن غلبته، فإن أطعت فلا توغل ولا تمعن إلى نهاية تعجز عنها وغاية تريد منها، فحينئذٍ يكون كالمنقطع به في السفر الذي كلّف دوابّه وظهره فوق ما يستطيع فكلّت وملّت ورزَحت[1] فذلّت، فلا الطريق قطع ولا الركاب أبقى، وبقي حسيراً بهيراً؛ فكذلك الطاعة إذا بالغ فيها الإنسان وكلّف نفسه فوق ما تطيق يكلّ سريعاً لأنّ الكلال عليه غالب، فينقطع عن العبادة من غير أن يكون استكثر منها وأراح نفسه من تعبها، بل الأولى أن يكون مقتصداً مروّحاً نفسه في العبادة مدرّجاً لها إلى مستطاعها.[2]

وقال تميم الداريّ: «خُذْ مِنْ دِينِكِ لِنَفْسِكَ، وَمِنْ نَفْسِكَ لِدِينِكَ، حَتَّى يَسْتَقِيمَ بِكَ الأَمْرُ عَلَى عِبَادَةٍ تُطِيقُهَا»[3].

وهذا الحديث كقوله عليه السلام: «مَنْ يُشَادَّ هَذَا الدِّينَ يَغْلِبْهُ»[4].

وفائدة الحديث النهي عن استكثار العبادة بمرّة حتّى تكلّ النفس وتُحتِر[5]. وراوي الحديث جابر بن عبد الله.

قوله صلى الله عليه وآله: إنَّ مِنْ السُّنَّةِ أَنْ يَخْرُجَ الرَّجُلُ مَعَ ضَيْفِهِ إلَى بَابِ الدَّارِ

أمر صلى الله عليه وآله بإكرام الضيف الذي تتجرّم[6] بطعامك، والخروج معه إلى باب الدار، إجلالاً

---

١. سقطت من الإعياء هزالاً.

٢. درّج لها إليه: أدناها منه بالتدريج.

٣. الزهد لابن المبارك: ٤٧٢/١، ح١٣٣٩؛ غريب الحديث لابن سلام: ٣٠٧/٤؛ الفائق: ٢٤٥/٢.

٤. تقدّم شرحه في ج ١، ص ٣٢٨.

٥. قلّ خيره.

٦. تتمّ وتنقضي.

وإعلاماً أنّ خدمته عليك واجبة بما أكّد عليك به الحقوق بدخوله دارك ومدّ يده إلى طعامك، وأدب الضيافة أن يبدأ أوّلاً بإكرام الضيف بالإنزال، ثمّ لا تعرّج على شيء دون الطعام، ثمّ يفاتحه بالكلام سنّةً خليليّةً «فَمَا لَبِثَ أَنْ جاءَ بِعِجْلٍ حَنيذٍ» [١].

٤٤٥

وفائدة الحديث الأمر بتبجيل الضيف وتعظيمه. *وراوي الحديث أبو هريرة.

قوله صلى الله عليه وآله: إنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي أَنَّ نَفْساً لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ رِزْقَهَا، فَاتَّقُوا اللهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ

القدس: الطُهر، ومنه قيل للجنّة «حظيرة القدس»، وقدّسه: طهّره، وتقدّس: تطهّر، و«روح القدس» جبرئيل عليه السلام، لأنّه ينزل من عند الله بالقدس الذي يطهرنا به من خبث المعاصي كالقرآن العظيم والحكم الإلهيّة، و«النفث» كالنفخ وهو دون التَفْل، وقد نفَث ينفِث، والروع: الخلد والنفس. وقوله عليه السلام: «إنّ في كلّ أمّة محدّثين ومروّعين» [٢]، والمروّع الملهم كأنّه يلقي في روعه الصواب، وذكر بعضهم: أنّ الروع موضع الرَوْع الفزع، وهو قياس جيّد، وقوله عليه السلام: «نفساً» إنّما نكّرها لتكون أعمّ وأشيع.

فيقول صلى الله عليه وآله: إنّ جبرئيل عليه السلام ذكر لي فوقع في قلبي وروعي: أنّه ليست نفس تموت في الدنيا حتّى تستكمل الذي قسمه الله لها وأحاط به سابق علمه أنّه يصل إليه؛ فلا تتحرّوا على الدنيا ولا تتهافتوا على حطامها، فما يعلم الله تعالى أنّه سيصل إليكم فإنّه واصل لا محالة، ولا تمكنكم إيصال ما هو عنده معلوم لله تعالى من الرزق إلى أنفسكم، فلا تؤذوها ولا تعنوها.

وإنّما قال عليه السلام: «اجملوا في الطلب»، تحرّزاً من أن يسمع ذلك من لا يفهم فحواه فيتواكل

---

١ . هود: ٦٩.

٢ . في بعض المصادر: أو مروّعين، راجع: غريب الحديث لابن قتيبة: ٣١٢/١؛ تهذيب اللغة: ١١٣/٣؛ النهاية: ٢٧٧/٢.

على الطلب ويتقاعد، وإنّما يحسن التوكّل لا التواكل والإغفال. وقوله عليه السلام: «فاتّقوا الله»، أي لا تطلبوا الرزق من غير وجهه.

وقال منصور الفقيه:

لا تَتعبُوا فِي الرِّزْقِ أَبدانَكُمْ	فَإنَّما الرّزقُ بِمِقدَار
قَد جفَّتِ الأقْلامُ فِيهِ بِما	يَكُونُ مِنْ يسرٍ وَإعسار
وَلَم أنافِس في الغِنَى أهله	ولاَ تَطاوَلْتُ عَلَى جَارٍ
والفَقْرُ[١] خَيرٌ مِنْ غِنَى وَاسِع	يُورِثُ طُول الذُلِّ فِي النّارِ[٢]

والأصل أن لا تطلب التكاثر بل بقدر ما يسدّ الجوعة ويصون ماء الوجه، وبعد قوله تعالى: «ما مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلّا عَلَى اللهِ رِزْقُها»[٣]، فعلى من يشكّ في وصول الرزق، إليه العفاء.[٤]

وفائدة الحديث إعلام أنّ الرزق لا شكّ واصل، فلا ينبغي أن يتكلّف الإنسان ما لا يحلّ ولا يجمل. وراوي الحديث عبد الله بن مسعود.

قوله صلى الله عليه وآله: إنَّ مِمّا أَدْرَكَ النّاسُ مِنْ كَلامِ النُّبُوَّةِ الأولَى: إذَا لَمْ تَسْتَحْيَ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ

يقول صلى الله عليه وآله: ممّا أدركه الناس من كلام الأنبياء المتقدّمين هذه الكلمة؛ ويحتمل هذا الكلام وجهين من التأويل:

الأوّل: أنّك إذا تقضّيت من عهدة الحياء ولم تكترث له ولم تلزم حكمه، سهل عليك

١. كذا ما أثبتّه في النصّ، وفي خ: والفقير.

٢. لم أقف على مصدره.

٣. هود: ٦.

٤. الدروس والهلاك وذهاب الأثر.

ارتكاب كلّ شيء، لأنّ أكثر ما يصدّ الإنسان من القبائح فيما بين الخلق الحياء، فإذا ارتفع هذا *الرادع وزال هذا المانع فما الذي يمنع ارتكاب كلّ محظور، إلّا أن يكون الرجل ممّن امتحن الله قلبه بالإيمان، فتكون مراعاة جانب الله تعالى هي الصادّة له عن ذلك؛ وتكون من باب قوله عزّ وجلّ: «اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ»[1]، ومن باب قول الشاعر:

٤٤٦

إذا لَمْ تَخْشَ عـاقِبةَ اللّيالي وَلَمْ تَسْتَحْي فاصْنَعْ ما تشاءُ[2]

والثاني: فانظر في الأمر، فإن كنت لا تستحيي من ملابسته ولا تستنكف من مدّ اليد إليه لا من الله ولا من الخلق، فافعله غير محاب فإنّه لا وجه قبيح فيه، كأنّه عليه السلام يقول: كلّما لا يستحيى من فعله فهو حسن لا بأس بفعله، والقبيح كلّ مستحيى من فعله.

وفائدة الحديث إعلام أنّه إذا ذهب الحياء فلا مانع من القبيح، أو انظر في الأمر فإن لم تستحي من فعله فافعله فهو حسن. وراوي الحديث ابن مسعود.

قوله صلّى الله عليه وآله: إنَّ المُصَلّي لَيَقْرَعَ بَابَ المَلِكِ وَإِنَّ مَنْ [يُدِمْ] قَرْعَ البَابِ يُوشِكُ أَنْ تُفْتَحَ لَهُ

يقول صلّى الله عليه وآله: إنّ الصلاة بمنزلة قرع الباب الملك، ولا شكّ أنّه إذا دام قرع الباب يفتح للقارع، والواحد منّا إذا قرع عليه الباب مسكين وداوم عليه متضرّعاً رحمه المقروع عليه الباب، ولم يجوّز أن يبقى في ذلّ القيام على الباب ففتح له وآواه، فكيف الخالق البارئ الرحيم الغفور؟! وذكر قرع الباب مثل، وإنّما شبّه الصلاة بقرع الباب، لأنّ القرع استئذان في الدخول واستفتاح للباب، وكذلك الصلاة استعطاف لفتح باب الرحمة.

وفائدة الحديث تشبيه الصلاة بقرع الباب، والقارع لا بدّ يفتح له.

---

١. فصّلت: ٤٠.

٢. راجع: الإشراف في منازل الأشراف: ٣٠٦، ح ٤٣٤؛ روضة العقلاء: ٥٧؛ تهذيب اللغة: ٢/٢٥؛ مرقاة المصابيح: ٩/٢٦٩.

وقد قيل: من قرع الباب ولم يعجز عن القرع دخل.

وفي كلام بعض المتأخّرين: «من طلب وجدّ وَجَدَ ومن قرع ولجّ وَلَجَ»[١]. وراوي الحديث ابن عبّاس.

قوله صلى الله عليه وآله : إنَّ فِي الصَّلاةِ لَشُغْلاً

يقول صلى الله عليه وآله : في أداء الصلاة على وفق ما أمر الله تعالى شغل شاغل، وذلك أنّه ما كلّ من صلّى فقد صلّى، أنّها تحتاج إلى مقدّمات يحكم المصلّي أمرها من التطهّر والتوضّؤ والتوجّه والخضوع والخشوع وإحاطة العلم بالأركان والفرائض والسنن والآداب والتروك، وإذا فرغ من ذلك كلّه وأراد الشروع في الصلاة ينبغي أن يطهّر قلبه من شوب الشوائب وينسلخ رأساً من الأمور الدنيويّة، فإذا عقدها كان عليه أن يحفظ نفسه وخاطره من الخطرات الخارجة؛ وهيهات! فإنّ ذلك شغل لا يقوم به إلّا المهذّب من الرجال، ودع ذلك كلّه، أليس المصلّي يناجي ربّه؟! ومن يناجي ربّ العالمين ـ جلّ وعلا ـ فإنّه في أشغل الشغل وأصعب الأمر.

٤٤٧ وقد روي: أنّه لا يقبل من الصلاة إلّا ربعه * أو سدسه أو أقلّ أو أكثر.[٢]

وفي الحديث: إنّها لم تقبل لفّت كما يلفّ الثوب الخلق فيضرب بها وجه صاحبها؛[٣] فهذا شغل الصلاة.

وروي أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان إذا أراد أن يصلّي يَحمارّ مرّةً ويَصفارّ أخرى فقيل له في ذلك، فقال: ويحكم! أتدرون من الذي أريد أن أناجيه!؟[٤]

---

١. يتيمة الدهر: ٢٦٤/٥؛ الإعجاز والإيجاز: ١٢١.

٢. راجع: المحاسن: ٢٩/١، ح ١٤؛ الألفية والنفليّة: ٨٣؛ مستدرك الوسائل: ١٠٦/٤، ح ٤٢٤٩.

٣. راجع: مسند الشاشي: ٢٠٢/٣، ح ١٢٩٠؛ شعب الإيمان: ١٤٤/٣، ح ٣١٤٠؛ كنز العمّال: ١٢٩/٧، ح ١٩٠٥٣؛ وراجع: مستدرك الوسائل: ٥٩/٣، ح ٣٠١٦.

٤. في المصادر روي عن عليّ بن الحسين عليهما السلام، راجع: مناقب آل أبي طالب عليهم السلام: ٢٨٩/٣؛ بحار الأنوار: ٧٨/٤٦، ح ٧٥.

وفائدة الحديث الأمر بتعظيم أمر الصلاة والترشّح[١] له. وراوي الحديث عبد الله بن مسعود.

قوله ﷺ: إنَّ رَبّي أَمَرَني أنْ يَكُونَ نُطْقِي ذِكْراً وَصَمْتِي فِكْراً وَنَظَرِي عِبْرَةً

ذكر أنّ هذا الكلام ذكره ﷺ في خلال خطبة خطبها ﷺ[٢] فيقول عليه السلام: أمرني ربّي أن لا أتكلّم إلّا بما يكون ذكر الله تعالى أو كالذكر، وإذا صمتُّ أن لا يكون فكري إلّا في صنعه ـ عزّ وعلا ـ على طريق الاستدلال على حكيم صنعه وعجيب فطرته، وإذا نظرتُ إلى المخلوقات أن لا يكون نظري إلّا اعتباراً. والعبرة من العبور الذي هو التجاوز، ومعناها: الحالة التي تتجاوز إلى ما وراءها حكماً بالتشاهد على الغائب فيتّعظ بها.

وقد قسّم ﷺ الأحوال قسمةً بليغةً عن ربّه تعالى، وذلك لأنّ الإنسان لا يخلو من أن يكون ناطقاً أو صامتاً، فنكره شغله في كلّ الأحوال؛ وإنّما ذكر عليه السلام ذلك ليتّبعه أمّته في جميع ذلك.

وفائدة الحديث إعلام أنّ الله تعالى أمره بأن يشتغل في جميع حالاته بالعبادة. وراوي الحديث ابن عائشة عن أبيه.

قوله ﷺ: إنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ

يقول ﷺ: بعثني الله تعالى رحمةً إلى الناس أهداها لهم: أعلّمهم الخير وأدعوهم إليه وآمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر وأحلّ لهم الطيّبات وأحرّم عليهم الخبائث وأضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم، هذا في الدنيا؛ فأمّا في الآخرة فأشفع لهم وأستعفي

---

١ . التأهّل.

٢ . راجع: مسند الشهاب: ١٨٩/٢، ح١١٥٩.

عنهم، ولذلك قال الله تعالى: «وَما أَرْسَلْناكَ إِلّا رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ» [١].

وفائدة الحديث إعلام أنّ الله تعالى بعث النبيّ صلى الله عليه وآله للرحمة. وراوي الحديث أبو هريرة.

قوله صلى الله عليه وآله: إِنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ

العيّ: العجز عن البيان، وقد عيّ في منطقه وعيِي فهو عييّ وعيّ، وكذلك عيّ بأمره، وعيَي: إذا لم يهتد له وبقي فيه متحيّراً. وقال أبو سليمان الخطّابيّ: العيّ: الجهل، والعيّ: الجاهل،[٢] وكلّ ذلك يرجع إلى العجز.

يقول صلى الله عليه وآله: شفاء جهل شيء أن يسأل.

وروي في سبب هذا الحديث: أنّ جابر بن عبد الله قال: «خَرَجْتُ فِي سَفَرٍ، فَأَصَابَ رَجُلاً مِنَّا حَجَرٌ فَشَجَّهُ فِي رَأْسِهِ، ثُمَّ احْتَلَمَ، فاستفتى أصحابه، فقال: هَلْ تَجِدُونَ مِنْ رُخْصَةٍ؟ قَالُوا: لَا، وَأَنْتَ تَقْدِرُ عَلَى الْمَاءِ، فَاغْتَسَلَ *فَمَاتَ، فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله أُخْبِرَ بِذَلِكَ، فَقَالَ: قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ اللهُ، أَلَا سَأَلُوا إِذْ لَمْ يَعْلَمُوا؟! فَإِنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ، إِنَّمَا كَانَ[٣] لِيَكْفِيهِ أَنْ يَتَيَمَّمَ، وَيَعْصِبَ عَلَى جُرْحِهِ خِرْقَةً، ثُمَّ يَمْسَحَ عَلَيْهَا، وَيَغْسِلَ سَائِرَ جَسَدِهِ»[٤]. [٤٤٨]

وقال الشاعر:

شِفاءُ العَمى حُسنُ السؤالِ وَإِنّما تمامُ العَمى طولُ السُّكوتِ عَلى الجَهْلِ[٥]

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «أُوصِيكُمْ بِخَمْسٍ لَوْ ضَرَبْتُمْ إِلَيْهَا آبَاطَ الْإِبِلِ كَانَتْ لِذَلِكَ أَهْلاً:

١. الأنبياء: ١٠٧.

٢. راجع: غريب الحديث للخطابي: ١/٦٩٨.

٣. كذا في المصادر، وفي خ: إن كان.

٤. سنن أبي داود: ١/٩٣، ح٣٣٦؛ سنن الدارقطني: ١/١٨٩، ح٣؛ سنن البيهقي: ١/٢٢٨، ح١٠١٨؛ كنز العمّال: ٩/١٧٥، ح٢٦٦٩٧.

٥. أنشده محمّد بن الحسين بن محمّد الطبري النحوي المشهور بابن نجدة؛ راجع: تاريخ بغداد: ٤/١٩٣؛ معجم الأدباء: ٥/٣٣٥.

لَا يَرْجُوَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَّا رَبَّهُ، وَلَا يَخَافَنَّ إِلَّا ذَنْبَهُ، وَلَا يَسْتَحِيَنَّ أَحَدٌ [مِنْكُمْ] إِذَا سُئِلَ عَمَّا لَا يَعْلَمُ أَنْ يَقُولَ: لَا أَعْلَمُ، وَلَا يَسْتَحِيَنَّ أَحَدٌ إِذَا لَمْ يَعْلَمِ الشَّيْءَ أَنْ يَتَعَلَّمَهُ، وَ[عَلَيْكُمْ] بِالصَّبْرِ فَإِنَّ الصَّبْرَ مِنَ الْإِيمَانِ كَالرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ، [وَ]لَا خَيْرَ فِي جَسَدٍ لَا رَأْسَ مَعَهُ وَلَا فِي إِيمَانٍ لَا صَبْرَ مَعَهُ»[١].

وفائدة الحديث أمر المتحيّر في أمره بالسؤال والتفحّص. وراوي الحديث أمير المؤمنين ـ صلوات الله عليه ـ.

قوله صلى الله عليه وآله: إنّما يَعْرِفُ الفَضْلَ لأَهْلِ الفَضْلِ ذووا الفَضْلِ

الفضل مطلقاً الزيادة المحمودة وربّما يضاف إلى غير المحمود لفضل الغضب[٢] فأمّا المطلق فلا يقال إلّا في الخير.

يقول صلى الله عليه وآله: إنّما يعرف ويعترف بفضل أهل الفضل من يكون ذلك فيه، ولو لا كونه فيه لما اهتدى إلى أهله.

وروي في سبب ذلك: «أنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله كانَ جَالِساً فِي الْمَسْجِدِ، وَقَدْ أَطَافَ بِهِ أَصْحَابُهُ ـ رضي الله عنهم ـ إذْ أَقْبَلَ أميرُ المؤمنين عليه السلام فَوَقَفَ فَسَلَّمَ، ثُمَّ نَظَرَ مَجْلِساً يُشْبِهُهُ، فَنَظَرَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله فِي وُجُوهِ أَصْحَابِهِ، أَيُّهُمْ يُوَسِّعُ [لَهُ]، فوسّع أبو بكر عنْ موضِعِهِ فَتَزَحْزَحَ عَنْ مَجْلِسِهِ وَكَانَ على يَمِينِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله، وَقَالَ: هَهُنا يَا أَبَا الْحَسَنِ، قَالَ أَنَسٌ: فَرَأَيْنا السُّرُورَ فِي وَجْهِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله ثُمَّ قَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ إِنَّمَا يَعْرِفُ الْفَضْلَ ...»[٣]. الحديث.

---

١ . نهج البلاغة: ٤٨٢، ح ٨٢؛ بحار الأنوار: ٢/١١٥، ح ١٠؛ وراجع: الإيمان للعدني: ٨٥، ح ١٩؛ البيان والتبيين: ٢٥١؛ كنز العمّال: ١٦/١٠٠ـ١٠١، ح ٤٤٣٠٩.

٢ . كذا في مفردات الراغب، وفي خ: الغصب.

٣ . معجم ابن الأعرابي: ١/١٤٢؛ مسند الشهاب: ٢/١٩١، ح ١١٦٤.

وفائدة الحديث إعلام أنّ الفاضل هو الذي يعرف الفاضل. وراوي الحديث أنس بن مالك.

قوله ﷺ: إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلاقِ

يقول ﷺ: إنّ الله تعالى قد غرّز في طباعهم الاهتداء إلى الأفعال الحسنة التي يجوز أن يتخلّقوا بها كالجود والصدق والإعانة والإغاثة إلى غير ذلك، وكانت تمّ أخلاق لا يمكنهم الاهتداء إليها بعقولهم كالصلاة والزكاة وتعيين الفرائض وأعدادها وأوقاتها، فبعثني الله تعالى لأتمّم مكارم الأخلاق لهم وأعلّمهم الشرائع والأحكام وأبيّن لهم الحلال والحرام.

والمكارم جمع مكرُمة، والمكرمة مفعلة من الكرم، وهو كناية عن الأفعال والأخلاق الحسنة الظاهر نتائجها، ومكارم الأخلاق هي الأخلاق الجميلة والأفعال الحسنة المطّلع عليها.

[٤٤٩] وعن عمر بن الخطّاب: «أنّ لله وجوهاً من عباده خلقهم لحوائج الناس يرغبون في الآخرة يعدّون الجود مجداً والله تعالى يحبّ مكارم الأخلاق»[١].

ويقال: الإحسان بعد الإساءة من كرم الأخلاق والإحسان قبل الإحسان فضل، والإحسان بعد الإحسان تجارة. ويقال: الإساءة قبل الإساءة جور والإساءة بعد الإساءة مكافأة والإساءة بعد الإحسان لوم وشؤم.

وفائدة الحديث إعلام أنّ الله تعالى بعثه لإتمام ما لا يعلمون من الأخلاق الكريمة والأفعال الحسنة. وراوي الحديث أبو هريرة.

قوله ﷺ: إِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الْأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ

كلمة «إنّما» للنفي والإثبات أي لا أخاف على أمّتي إلّا الأئمّة الجائرة الذين يضلّون

---

١. نثر الدرّ: ١٧٥/١؛ وراجع: المجروحين: ٢٢٢/٢، ح٨٩٣.

الناس عن الحقّ.

فيقول ﷺ: إنّي أخاف على أمّتي الضعيفة المطيعة أئمّة السوء الذين يدعونهم إلى كلّ ضلال ووبال ويكلّفونهم الشروع فيه الغارّون الغافلون فيقبلون ما يعرض عليهم من الضلال فيضلّون ويفتتنون.

وقد قيل: الناس على دين ملوكهم، فإذا كانوا فتّانين فتنوا الناس وأهلكوهم. والمضلّ: الداعي إلى الضلال المرغّب فيه.

وفائدة الحديث إعلام أنّه عليه السلام يحذّر إضلال أئمّة السوء أمّته. وراوي الحديث ثوبان.

قوله ﷺ: [إنَّما] الْأَعْمالُ بِالْخَواتِيمِ

خاتمة الأمر آخره، ويجمع خواتم ويشبع الكسرة فيتولّد منها ياء فيقال: خواتيم، وهذا كقوله عليه السلام: «مَلاكُ الْعَمَلِ خَواتِيمُهُ» أي تمام الأعمال بالخواتيم، أو بهاء الأعمال وكمالها بالخواتيم، لأنّها ما لم تتمّ فهي منقوصة، وقد مضى الكلام في ذلك.[1]

وفائدة الحديث إعلام أنّ الأمور إنّما تكمل وتجمل بتمامها. وراوي الحديث سهل بن سعد الساعديّ.

قوله ﷺ: إنَّمَا الْأَعْمالُ بِالنّيّاتِ

قد تقدّم أنّ «إنّما» للنفي والإثبات، فيقول ﷺ: لا عمل إلّا بنيّة، وقد شرح هذا الحديث في أوّل الكتاب شرحاً شافياً.[2]

وفائدة الحديث إعلام أنّ الأعمال كلّها محتاجة إلى النيّات وأنّ العمل المجرّد عن النيّة

١. تقدّم في شرح حديث: «ملاك العمل خواتمه»، راجع: ج ١، ص ٣٩.

٢. تقدّ في ج ١، ص ٨.

عطل. وراوي الحديث عمر بن الخطّاب.

قولهﷺ: إِنَّمَا التَّصْفِيحُ لِلنِّسَاءِ

التصفيح مثل التصفيق ومنه المصافحة في السلام، وهذا الحديث أورده البخاري في صحيحه ومضى شرحه في أوّل الكتاب أيضاً.[1]

وفائدة الحديث إعلام أنّ المرأة ليس لها إذا كانت في الصلاة أن تتكلّم بتسبيح أو ذكر لأنّهنّ عورات، بل يصفقهنّ بأكفّهنّ. وراوي الحديث سهل بن سعد الساعديّ.

قولهﷺ: إِنَّمَا بَقِيَ مِنَ الدُّنْيَا بَلاءٌ وَفِتْنَةٌ

٤٥٠ يقولﷺ: الباقي من الدنيا *كلّه محنة وبلاء وفتنة، وهذا ممّا أخبر فيه بالغيب، لأنّك رأيت كيف فتحت أبواب الفتن والبلاء بعده بالقتل الذريع[2] والجلاء الفظيع، وما قبل ذلك كانت الدنيا آمنةً مطمئنّةً، فلمّا انفصلت بركتهﷺ من بين القوم ثارت الفتن كقطع الليل، أعاذنا الله تعالى منها وختم لنا بالخير.

وفائدة الحديث إعلام أنّ بعده بلاءً عامّاً سيشمل الخلق. وراوي الحديث معاوية بن أبي سفيان.

قولهﷺ: إِنَّمَا الرَّضَاعَةُ مِنَ الْمَجَاعَةِ

رضِع الصبيّ أمّه يرضَعها[3] رضاعاً كسمِع سماعاً، ورضَع يرضِع رضعاً لغة نجد، والرضاعة

---

١. تقدّم في ج١، ص ٢٤٢ ؛ راجع: صحيح البخاري: ٤٧/١، ح ١١٦٠.

٢. السريع.

٣. كذا في المصادر اللغويّة، وفي خ: فرضعها.

كالرضاع.

يقول ﷺ: الرضاعة التي توجب الحرمة هى أن تكون الراضع يعني الصبيّ جائعاً فيدبّ اللبن في أعضائه وأوراده ومجاريه فينبت فيه اللحم.

وروي عن عائشة: «أَنّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا وَعِنْدَهَا رَجُلٌ، فَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ، وَكَرِهَ ذَلِكَ، فَقَالَتْ: أَخِي مِنَ الرَّضَاعَةِ، فَقَالَ عليه السلام: انْظُرْنَ مَا إِخْوَانُكُنَّ، فَإِنَّمَا الرَّضَاعَةُ مِنَ الْمَجَاعَةِ»[١].

وقال عليه السلام: «لا رضاع بعد حولين وإنّما الرضاع ما أنبت اللحم وأنشر العظم»[٢].

وقال عليه السلام: «لا تحريم الإملاجة، والإملاجتان»[٣] أي المصّة والمصّتان.

وأخبرني بعض من كنت قرأت عليه هذا الكتاب أنّ معناه: أنّ المرأة لا تكون ظئراً ترضع ولد غيرها إلّا بعد الاضطرار والجوع، وكأنّه بقرع[٤] باب لهذا المثل: تجوع الحرّة ولا تأكل بثدييها[٥] وهذا كما ترى.

ووجدت باجرة[٦] من يفسّر هذا الحديث فيقول: الرضاعة اللؤم، وقد رضع رضاعةً؛ والمجاعة: الوقاحة والفحش من قولك: امرأة مجعة، أي اللؤم من الوقاحة؛ وهذا الوجه ليت

---

١. مسند الطيالسي: ٢٠٠، ح١٤١٢؛ سنن الدارمي: ٢/٢١٠، ح٢٢٥٦؛ صحيح البخاري: ٥/١٩٦١، ح٤٨١٤.

٢. في المصادر حديثان: الأوّل: «لا رضاع بعد حولين»، راجع: سنن الدارقطني: ٤/١٧٣، ح٩؛ سنن البيهقي: ٧/٤٦٢، ح١٥٤٤٤؛ والثاني: «لا يحرم من الرضاع إلّا ما أنبت اللحم وأنشد العظم»، راجع: سنن الدارقطني: ٤/١٧٢، ح٤؛ وراجع: مسند أحمد: ١/٤٣٢، ح٤١١٤؛ وراجع: الكافي: ٥/٤٣٨، ح١.

٣. راجع: المهذّب في فقه الشافعي: ٢/١٥٦؛ شرح النووي على صحيح مسلم: ١٠/٢٧.

٤. كذا في خ، ولعلّ الصواب: يقرع.

٥. راجع: جمهرة الأمثال: ١/٢٦١، م٣٥٩؛ مجمع الأمثال: ١/١٢٢.

٦. كذا في خ.

شعري ماذا أقول فيه.

وفائدة الحديث إعلام أن الرضاع الذي له حكم التزواج هو ما يثبت[١] اللحم ولا يكون ذلك إلّا جوع الصبيّ إذا رضع. وراوية الحديث عائشة.

قوله صلى الله عليه وآله: إنَّ هَذَا القُلُوبَ تَصْدَأ كَما يَصْدَأ الحَديدُ، قيلَ: وَمَا جَلاؤُهَا؟ قَالَ: ذِكْرُ المَوْتِ وَتَلاوَةُ القُرآنِ

صَدَأ الحديد: وسَخه الذي يتركّبه، وقد صَدِئَ الحديد يَصْدَأ صَدَأً[٢]؛ ويدي من الحديد صَدْآء وصدئة أي سَهِكة.

يقول صلى الله عليه وآله: إنّ القلوب تصدأ وتتّسخ كما يصدأ الحديد، وذكر الصداء في القلوب مثل، أي أنّها تغفل عن ذكر الموت فتميل إلى الدنيا وأحوالها، فكأنّه ينعقد عليها من ذلك صداء، كما قال تعالى: «كَلاَّ بَلْ رانَ عَلى قُلُوبِهِمْ ما كانُوا يَكْسِبُونَ» [٣]، والرين: الطبع والدنس، وجلاؤها بذكر الموت، لأنّه إذا ذكره وصل برد اليقين إلى قلبه ❊أنّه راحل من الدنيا فمودع، وبقراءة[٤] القرآن، لأنّه إذا قرأه وتدبّره واتّعظ بمواعظه وأتبع أمره ونهيه استنار بذلك قلبه وأبدل النور الساطع بالرين والصدأ الشامل. [٤٥١]

وفائدة الحديث إعلام أنّ جلاء القلوب وصفاؤها ومحادثتها بذكر الموت وقراءة القرآن. وراوي الحديث ابن عمر.

---

١. كذا في خ ولعلّ الصواب: ينبت.

٢. كذا في المصادر اللغويّة، وفي خ: إصداءً.

٣. المطفّفين: ١٤.

٤. في خ: ويقرأ، ولعلّ الصواب ما أثبتّه في المتن، عطفاً على «بذكر الموت».

قوله صلى الله عليه وآله: [أَلا] إنَّ عَمَلَ الْجَنَّةِ حَزْنٌ بِرَبْوَةٍ، أَلا إنَّ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ ـ أو قال: الدنيا ـ سَهْلٌ بِسَهْوَةٍ

الحزن: الغليظ الخشن من الأرض، والربوة والرباوة: المرتفع منها، والسهل: ضدّ الجبل، وأسهل القوم: صاروا إلى السهل، والسِهلة ـ بكسر السين ـ رمل غير ناعم، والسهوة: الأرض الليّنة التربة، ويقال: فلان يمشي سهواً رهواً أي في سكون وتؤدّة.

يقول صلى الله عليه وآله: العمل الذي يكتسب به الجنّة صعب مستصعب مكروه، كالحزن يمشي فيه الرجل صاعداً في ربوة تُبْهَر وتغلب، فيتأذّى بصعودها.

وذلك لأنّ الطاعات مشتملة على المشقّات والشدائد التي لا ينهض بها إلّا الجَلَد المتجلّد[1] من الناس.

والذي يكسب بها النار سهل سَرَحٌ، لأنّه مشتمل على الشهوات والطيّبات وما يتعلّق به الهوى وتهشّ إليه النفوس، فكأنّه سير في مكان مستو ليّن يستلذّ الرجل المشي فيه.

وهذا كقوله عليه السلام: «حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ».

ووجدت من يرويه: «سهل بشهوة»[2] بالشين المعجمة، وهو شهو كاسمها.

وفائدة الحديث إعلام أنّ الأعمال التي يوصل بها إلى الجنّة مكروهة، وبالعكس من ذلك الأعمال التي تؤدّي إلى النار محبوبة مشتهاة. وراوي الحديث عبد الله بن عبّاس، قال: «دَخَلَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله الْمَسْجِدَ مُتَوَكِّئاً عَلَيَّ وَهُوَ يَقُولُ: أَيُّكُمْ يَسُرُّهُ أَنْ

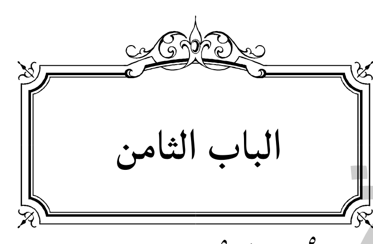
١. الجَلَد والجلادة: القوّة والشدّة والصلابة؛ والمتجلّد: متكلّف الجلادة.

٢. راجع: شعب الإيمان: ١٤٧/٧، ح٩٧٩٦.

يَقِيَهُ اللهُ [مِنْ] فَيْحِ جَهَنَّمَ؟ ثُمَّ قَالَ: أَلا إنَّ عَمَلَ الْجَنَّةِ حُزْنٌ بِرَبْوَةٍ، ثَلاثَ مرّات»[١].

الحديث.

١ . مسند الشهاب: ١٩٩/٢، ح ١١٨٠؛ كنز العمّال: ٥٦/١٦، ح ٤٤١٥٩؛ جامع الأحاديث: ٢١١/٢، ح١٦٣٦٦.



الباب الثامن

قوله صلى الله عليه وآله: لَيْسَ الْخَبَرُ كَالْمُعَايَنَةِ

يقول صلى الله عليه وآله: ليس ما يسمعه في الصدق كما يعاينه ويقطع عليه، وذلك لأنّ الخبر هو ما يحتمل الصدق والكذب والمعاينة لا يدخلها الاحتمال، فهو قطعيّ والخبر تجويز، ورجحان ما يقطع به على ما يجوّز لا يخفى.

وقال عليه السلام: قال الله تعالى لموسى: إنّ قومك فعلوا كذا وكذا، فلمّا عاين ألقى الألواح.[1]

وفي رواية أخرى: ليس المخبر كالمعاين، فإنّ موسى عليه السلام أخبر أنّ قومه قد ضلّوا من بعده فلم يلق الألواح فلمّا رأى ما أحدثوا ألقى الألواح.[2]

٤٥٢

ولعمري أنّ ما يهجم على القلوب من روعة *المعاينة ولَوْعة المشاهدة أهلع له وأجلب للجزع ممّا تسمعه الأذنان، فالمعاينة أنكأ للقلب وأنشأ في الجلب من المسموع؛ ثمّ العلم بخبر الخبر استدلاليّ ما لم يبلغ حدّ التواتر على خلاف فيه، والمعاينة تحصل منها العلم الضروريّ، وشتّان ما بين المستدلّ عليه والمعاين المضطرّ إليه.

---

١ . راجع: مسند أحمد: ٢٧١/١، ح٢٤٤٧؛ صحيح ابن حبّان: ٩٦/١٤، ح٦٢١٣؛ كنز العمّال: ١٢/٢، ح٢٩٩٠.

٢ . راجع: تأويل مختلف الحديث: ٩٧ـ٩٨؛ غريب الحديث لابن قتيبة: ٥٨٠/١ـ٥٨١ .

ولهذا قال أمير المؤمنين عليه السلام: بين الحقّ والباطل أربع أصابع، فالحقّ ما رأيت والباطل ما سمعت ـ ووضع الأصابع بين عينه وأذنه عليه السلام ـ.[١]

وفائدة الحديث إعلام أنّ للعلم الذي يحصل من المعاينة مزيّة على ما يحصل استدلالاً.

وراوي الحديث ابن عبّاس رضي الله عنه.

قوله صلى الله عليه وآله: لَيْسَ لِفَاسِقٍ غَيبَةٌ

الغيبة: ذكر الغائب بما فيه من عيب من غير حاجة إلى ذكره، وأمر الغيبة صعب، ولذلك شبّهه الله تعالى بأكل اللحم، فقال ـ عزّ من قائل ـ: «أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخيهِ مَيْتاً»[٢]، فأمّا إذا كان من يغتاب فاسقاً فإنّه ليس ما يذكر به غيبة، وفيه أنّه ربّما يسمع ما يبدر به فيتذمّم من فعله ويتوب، وإنّما يسمّى ما يذكر في غيبته غيبة إذا كان تائباً نادماً، فأمّا إذا كان مصرّاً عليه فإنّها ليست غيبة، كيف؟! وهو يرتكب ما يغتاب به جهاراً نهاراً غير مستحييٌ منه.

وقال النبيّ صلى الله عليه وآله: «مَنْ أَلْقَى جِلْبَابَ الْحَيَاءِ فَلا غَيْبَةَ لَهُ»[٣].

وقال: «هَتِّكُوا الفاسقَ كَي يَحْذَرَهُ النَّاسُ»[٤].

وفائدة الحديث إعلام أنّ الذي يغتاب الفاسق لفسقه غير مغتاب ولا غيبته غيبة على الحقيقة. وراوي الحديث بَهْز بن حكيم عن أبيه عن جدّه.

---

١. راجع: الخصال: ٢٣٦، ح٧٨؛ نهج البلاغة: ١٩٨.

٢. الحجرات: ١٢.

٣. تحف العقول: ٤٥؛ بحار الأنوار: ١٤٩/٧٤، ح٧٦؛ وراجع: مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا: ٤٢، ح١٠٢؛ سنن البيهقي: ٢١٠/١٠، ح٢٠٧٠٤.

٤. راجع: المعجم الأوسط: ٣٣٩/٤، ح٤٣٧٢؛ مجمع الزوائد: ١٤٩/١.

قوله صلى الله عليه وآله: لَيْسَ لِعِرْقٍ ظَالِمٍ حَقٌّ

قال هشام بن عروة: هو أن يجيء الرجل إلى أرض قد أحياها غيره فيغرس فيها غرساً أو يستحدث فيها بناءً حتّى يستوجب به الأرض.[1]

يقول صلى الله عليه وآله: لا يملك الغاصب أرض غيره بأن يغرس فيها، وإنّما له أن يقلع غرسه ويسلّم رقبة الأرض من صاحبها، وبالتصرّف الفاسد لا يتملّكها، وإنّما صار العرق ظالماً، وهو عرق الشجر لأنّه نبت في غير موضعه، والظلم هو وضع الشيء في غير موضعه. وروي: «لعرقِ ظالمٍ» بالإضافة، وذلك لأنّ عرق ذلك الغرس للظالم الغارس، فليس له حقّ ثابت بل يقلع ويردّ إلى صاحبه ويبقى الأرض لمن هي له.

وروى عروة: أنّ رجلاً في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله غرس في أرض من الأنصار نخلاً فاختصما إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقضى الأنصاريّ بأرضه وقضى على الآخر بأن ينزع نخله، قال عروة: فلقد رأيتها تضرب بالفؤوس وأنّها لنخل عمّ.[2]

٤٥٣

وعمّ جمع عميمة *وهي التامّة.

وفائدة الحديث إعلام أنّ بالظلم لا يتملّك شيء ولا يثبت الملكيّة. وراوية الحديث عائشة.

قوله صلى الله عليه وآله: لَيسَ مِنْ خُلُقِ المؤمِنِ المَلَقُ

قد تقدّم الكلام في الملق وهو التودّد باللسان بأكثر ممّا في القلب، وإنّما نهى عنه صلى الله عليه وآله من الكذب والنفاق، والكذب كلّه قبيح والمؤمن قد أغناه الله تعالى بالصدق عن الكذب.

وفائدة الحديث النهي عن الكذب والمراءاة بما ليس في القلب. وراوي الحديث معاذ بن جبل.

---

١. راجع: غريب الحديث لابن سلام: ١/٢٩٥؛ تهذيب اللغة: ١/١٥٠.

٢. راجع: غريب الحديث لابن سلام: ١/٢٩٦؛ سنن البيهقي: ٦/٩٩، ح ١١٣١٩.

قوله صلى الله عليه وآله: لَيْسَ بَعْدَ الْمَوْتِ مُسْتَعْتَبٌ

المستعتب: الاستعتاب، تقول: عتبتُ عليه أعتبُ إذا وجدت عليه وعاتبته فأرضيته بسبب العتب فأعتبني وأرضاني، كأنّه سلب عتبي، مثل أشكاني: أزال شكايتي، والعتبى اسم من الاعتاب. وفي الدعاء: «لك العتبى لا أعود»[1]، واستعتب بمعنى أعتَبَ واستعتب أيضاً طلب أن يُعتَب، يقال: استعتبته فأعتبني أي استرضيته فأرضاني. وقوله تعالى: «وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ»[2]، أي إن يستقيلوا أو يسترضوا لم يقالوا ولم يرضوا بأن يردّوا إلى الدنيا، وقرئ: «وإن يُستَعتَبوا فما هم من المعتبين» أي إن أقالهم الله تعالى وردّهم إلى الدنيا لم يعملوا بطاعة الله ولم يرضوه. وهذا كما قال تعالى: «وَلَوْ رُدُّوا لَعادُوا لِما نُهُوا عَنْهُ»[3].

والذي في الحديث بمعنى الاعتاب، أي ليس لهم إقلاع وتوبة وإرضاء الله تعالى بعد الموت، وذلك أنّ التكليف ينقطع بالموت فلا عمل بعده.

وهذا في كلام قد تقدّم تمامه، وذكر عليه السلام ذلك في خطبة.

وفائدة الحديث التحذير من الذنوب والأمر بالمبادرة إلى التوبة وإعلام أنّها بعد الموت غير ممكنة. وراوي الحديث أبو حميد.

قوله صلى الله عليه وآله: لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَشَبَّهَ بِغَيْرِنَا

يقول صلى الله عليه وآله: ليس من أخلاق الإسلام التشبّه بغير من ارتضاه ديناً، وهذا ينهى عن أفعال اليهود والنصارى والمجوس التي تخالف الإسلام. وقوله عليه السلام: «ليس منّا»، لا يقول أنّه ليس بمسلم بل يقول: ليس من أخلاقنا وطريقنا التشبّه بغير أهل ديننا وذلك في المطعم والمأكل والملبس، لأنّ كلاًّ منهم يعملون أشياء قبيحةً ويلبسون الديباج ويشربون من أواني الفضّة

---

١. مصباح المتهجّد: ١٥٥، ح٢٤٦؛ بحار: ٢٧٥/٨٤.

٢. فصّلت: ٢٤.

٣. الأنعام: ٢٨.

والذهب إلى غير ذلك ممّا يخالف خلق الإسلام.

وتمام الحديث: «لَيْسَ مِنّا مَنْ تَشَبَّهَ بِغَيْرِنا، لا تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ وَالنَّصارَى، فَإِنَّ تَسْلِيمَ الْيَهُودِ الإشَارَةُ بِالأَصَابِعِ، وَتَسْلِيمَ النَّصَارَى الإشَارَةُ بِالْأَكُفِّ»[١]. وراوي الحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه.

*قوله ﷺ: لَيسَ مِنَّا مَنْ وَسَّعَ اللهُ عَليهِ ثُمَّ قَتَّرَ عَلَى عِيَالِهِ ٤٥٤

تمام الحديث: «وَهُمْ يجدونَ رِيحَ الْقَتَارِ مِنَ الْجِيرَانِ، وَيَرَوْنَهُمْ يُكْسَوْنَ وَلا يتكسّونَ»[٢]. وقتّر أي ضيّق ويقال: قتَر وأقتر أيضاً فيه ثلاث لغات، والقُتار: ريح الشِواء والطبيخ، وقد قتَر يقتِر، وقتّرت: هيّجت القتار.

يقول ﷺ: ليس منّا من خيارنا وليس على أخلاقنا من ضيّق على عياله مع قدرته على التوسعة عليهم، وإذا كان المال على[٣] يبق على الإنسان فأولى ما يتمتّع به العيال.

وفائدة الحديث الأمر بالتوسعة على العيال وتبكيت[٤] المضيّق عليهم. وراوية الحديث عائشة.

قوله ﷺ: لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ

يقول ﷺ: ليس من خيارنا من لم يتكفّ ولم يستغن بالقرآن ولم يقتصر عليه وتجاوز إلى غيره، وذلك أنّه هو الشافي الكافي المغني من غيره لمن يدين به أو تعلّم منه أو جعله ورداً ليومه وليلته.

---

١. سنن الترمذي: ٥/٥٦، ح٢٦٩٥؛ مسند الشهاب: ٢/٢٠٥، ح١١٩١.

٢. مسند الشهاب: ٢/٢٠٥، ح١١٩٢؛ وفي المصادر: «وهم يرون» و«ولا يكسون».

٣. كذا في خ.

٤. توبيخ.

وقيل: إنّ معناه: يستغني به عن الكتب المتقدّمة.

وقيل: معناه: تحزين القراءة وترقيقه، كقوله عليه السلام: «زَيِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ»[١]. ولو كان كذلك لم يكن لمن ليس له صوت طيّب تحزنه إذا قرأه ثواب.

والوجه ما تقدّم من القول من الاستغناء به وحبس النفس عليه وقرائته آناء الليل وأطراف النهار.

وروي عن النبيّ عليه السلام: «إنَّ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ صَوْتاً الذي إذَا سَمِعْتَ يَقرأُ علمتَ أَنَّهُ يَخْشَى اللهَ»[٢].

وقال عليه السلام: «كُلُّ مُؤَدَّبٍ يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى بِأدَبِهِ، وَأَدَبُ اللهِ تعالى الْقُرْآنُ، فَلا تَهْجُرُوهُ»[٣].

وقال بعضهم: معنى الحديث أن يلهج بتلاوته كما يلهج الناس بالغناء والطرب، وليس الغرض تطريب الصوت لأنه لا يتأتّى لكلّ أحد.

وروي: أنّ هذا الكلام قاله عليه السلام في إنسان يعنيه كان يكره الجهر بالقرآن فقال عليه السلام له ذلك.

وفائدة الحديث الأمر بالاقتصار على القرآن والاستغناء به عن غيره. وراوي الحديث أبو هريرة.

قوله صلى الله عليه وآله: لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يُوَقِّرِ الْكَبِيرَ وَيَرْحَمِ الصَّغِيرَ وَيَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ

التوقير: التعظيم والتبجيل. فيقول صلى الله عليه وآله: ليس من خيارنا من لم يعظّم المشايخ لسنّهم

١ . مسند الطيالسي: ١٠٠، ح٧٣٨؛ مسند أحمد: ٢٨٣/٤، ح١٨١٧.

٢ . الزهد لابن المبارك: ٣٨/١، ح ١١٤؛ مسند الروياني: ٤١٠/٢، ح ١٤١٥؛ كنز العمّال: ٣٠٢/١، ح٢٧٨٨؛ في المصادر: «رأيت» بدل «علمت».

٣ . شعب الإيمان: ٣٥٢/٢، ح ٢٠١٢؛ كنز العمّال: ٢٥٩/١، ح٢٢٨٦.

ويرحم الصغار لضعفهم وغفلتهم وقلّة حيلتهم.

وفي كلام بعض الأكابر: «إذا رأيت أكبر منك فوقّره وقل: إنّه أسلم قبلي، وأطاع الله قبلي وإذا رأيت الصغير فاحترمه وقل: إنّه أقلّ ذنوباً منّي»[١].

وقيل: الكبير هو العالم والصغير المتعلّم.

وقوله تعالى: «إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ»[٢]، يعني العلم دون السنّ.

وسأل رسول الله صلى الله عليه وآله عمّه العبّاس بن عبد المطّلب رضي الله عنه: أنا أكبر ❊أم أنت فقال: أنت أكبر منّي وأنا ولدتُ قبلك.[٣] ٤٥٥

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ركنان من أركان الإسلام، فمن لم يقم بهما مع القدرة فقد أهمل عظيماً.

وفائدة الحديث الأمر بتوقير الأكابر والرقّة والرأفة بالأصاغر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وراوي الحديث ابن عبّاس.

قوله صلى الله عليه وآله: لَيْسَ بِكَذَّابٍ مَنْ أَصْلَحَ بَيْنَ اثْنَيْنِ فَقَالَ خَيْراً أَوْ نَمَى خَيْراً

يقال: نمى المال ينمي ينمو إذا زاد، وأصل «ن م ي» الارتفاع، ونميت فلاناً إلى فلان إذا نسبته إليه، ونمى الحديث ينمو وينمي إذا رفعه، ويقال: ينمو وينمي إلى حسب كريم أي يرتفع، و[لا] يقال: نمى الحديث ـ مخفّفاً ـ إلّا في الإصلاح، فإذا كان على سبيل الإفساد والوشاية والنميمة قيل: نمّى ـ مشدّداً ـ.

---

١. لم أقف على قائله ومصدره.

٢. الشعراء: ٤٩.

٣. راجع: شرح كتاب السير الكبير: ١٥٠١/٤؛ المحاسن والمساوئ: ٣٣٥؛ العقد الفريد: ٢٤٦/٢؛ كنز العمّال: ٢٢٣/١٣، ح ٣٧٣٣٩.

ومعنى الحديث: أنّ المصلح الذي يسعى بالصلاح وإن قال لإحدى الجانبين إنّ الجانب الآخر كانوا يقولون الخير والصلاح يجمع ذلك بين قلوبهم ويترضّاهم لئلّا يتراقى الفساد ما بينهم إلى ما هو أدهى وأصعب، ليس بكاذب؛ والأولى أن يكون ذلك بالمعاريض والكنايات، لأنّ الكذب البحت قبيح على كلّ حال.

وفائدة الحديث إعلام أنّ المصلح بين اثنين وإن رقّق الكلام[1] بالأبازير[2] ليس بكذّاب.

وراوية الحديث أمّ كلثوم ابنة عقبة وهي زوجة عبد الرحمن بن عوف الزهريّ أخت عثمان بن عفّان من أمّه.

قوله صلى الله عليه وآله: لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ وَإِنَّما الْغِنَى غِنَى النَّفسِ

العرض: طمع الدنيا وما يعرض منها، والغنى هنا: قلّة الحاجة والميل إلى شقّ القناعة.

فيقول صلى الله عليه وآله: ليس الغنى في كثرة المال، فكم من كثير المال فقير النفس لا يستطيع أن ينفق درهماً على نفسه فضلاً عن غيره، بل الغنى غنى النفس وأن يكون سمح الأخلاق وإن كانت ذات يده قليلةً فكم قد رأينا الفقير البذّال القانع بما أعطاه الله، وهو لعمري الغنيّ لا المكثر المقتر.

وقال الكنديّ:

وكَائِن ترى مِنْ أخي عسرة عديم وذي ثروة مفلسِ

فَإِنَّ الغِنى فِي قُلُوبِ الرّجَالِ وَإِنَّ التَعزّزَ فِي الأنْفُسِ[3]

---

١. حسّنه.

٢. جمع الأبزار وهي جمع البِزر: التابل وهو ما يطيّب به الغذاء.

٣. راجع: تاريخ مدينة دمشق: ٣١٨/٣٦؛ عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء: ٢٨٨.

وفائدة الحديث إعلام أنّ الغنى غنى النفس والقناعة، لا المال الكثير. وراوي الحديث أبو هريرة.

قوله صلى الله عليه وآله: لَيْسَ الشَّدِيدُ[١] بِالصُّرَعَةِ إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ

الصُرَعة: الذي يصرع الناس، والصُرْعة: الذي يصرعونه، وكذلك الضُحَكة والضُحْكة، وهذا باب واسع يكون الفاعل محرّك العين بالفتح والمفعول ساكنة.

فيقول صلى الله عليه وآله: ليس القويّ الشديد الذي يصرع قرنه في المصارعة، إنّما القويّ الصُرَعة من يملك نفسه فيمنعها سورة الغضب حتّى *لا يقول ما لا يجوز ولا يفعل ما يستقبح منه؛ ولعمري أنّ الذي لا يقاوم نفسه التي هي في حكمه وتحت يده لا يقاوم غيرها، فالعاقل هو الذي يضبط نفسه عن جمحاتها ويفتأ[٢] سورة غضبه عند فُوارَتها، ومن ابن آدم ليت شعري حتّى يغضب ولو أنّه راجع نفسه فعرفها لم يرخص لها في الغضب والتعزّز. [٤٥٦]

وفائدة الحديث النهي عن الغضب للباطل الزائل. وراوي الحديث أبو هريرة.

قوله صلى الله عليه وآله: لَيْسَ [شَيْءٌ] أَكْرَمَ عَلَى اللهِ مِنَ الدُّعَاءِ

إنّما جاز تنكير [اسم] ليس هنا للشياع وإرادته وذلك لأنّه عليه السلام يريد بذلك جميع العبادات على الشياع والعموم، فكلّ شيء قدّرته فهو المراد، وهذا أحد المواضع التي تقوم النكرة فيها مقام المعرفة. والدعاء: غاية التضرّع ونهاية الخضوع، فلذلك صار أكرم الأشياء وأحسنها وأرضاها عند الله تعالى؛ والدعاء تراعى فيه الرتبة فكأنّه قد أقرّ لنفسه بالضعة والمسكنة إذا رفع يد الحاجة إلى الله تعالى.

---

١ . في خ: الشدائد.

٢ . يطفأ.

وفائدة الحديث الأمر بالدعاء. وراوي الحديث أبو هريرة.

قولهصلى الله عليه وآله: لَيسَ شَيْءٌ أَسْرَعَ عُقُوبَةً مِن بَغْيٍ

العقوبة: ما يتعقّب الذنب من الجزاء وكذلك العقاب؛ والبغي: تجاوز الحدّ، يقال: بغى الجرح إذا زاد فساده، وبغت المرأة تبغي بغاءً إذا تجاوزت المأمور إلى المنهيّ عنه، وبغت السماء إذا تجاوزت الحدّ المستنفع به، ويقال للحسد بغي لأنّه أيضاً تجاوز حدّ الغبطة، قال الله تعالى: «بَغْياً بَيْنَهُمْ»[1]، والبغي: التكبّر والتطاول وهو أيضاً تجاوز حدّ المماثلة والمناصفة وهو النهي في الحديث.

يقولصلى الله عليه وآله: ما شيء في الدنيا بأسرع إلى الجزاء وأقرب إلى السقوط من البغي، والعلّة في ذلك أنّه كأنّه يتقوّى بنفسه مستغنياً عن الله تعالى فيكله الله تعالى إلى نفسه فيسقط ويخذل.

وقد قيل: البغي مرتعه وخيم.[2]

وقد قال بعض أهل العصر:

يَـا أيّها البَـاغي عَـلَيّ بجَـهلِهِ أعْـلَمْت أنّي دَائـباً مُـتَظَلّم

اكبح لجامَ البَغي لَا تَغرر بِهِ فَـالبَغيُ مَـرتَعُهُ وَخـيم مـتحم[3]

أظلَمْتَني وَزَعَمْتَ أَنّي ظَالِم وَاللهُ يَعْلَمُ أيُّـنا مَـن يَظلِم[4]

وفائدة الحديث النهي عن البغي لكونه ظلماً، والظلم كلّه قبيح. وراوي الحديث أمير المؤمنينعليه السلام.

---

١. البقرة: ٢١٣.

٢. راجع: العقد الفريد: ١٣٥/٥؛ الأغاني: ٢٠٩/١٧؛ وفي بعض المصادر: الظلم مرتعه وخيمٌ.

٣. كذا في خ.

٤. لم أقف على مصدره وقائله.

قولهﷺ : لَيْسَ شَيْءٌ خَيْراً مِنْ ألفِ مِثْلِهِ إلَّا المؤمِنُ

لا شيء في الأشياء الواحد منه خير من ألف جنسه لا الذهب ولا الفضّة ولا شيء من العروض والأثمان إلّا العبد المؤمن فإنّه قد يكون خيراً من ألف مؤمن، وذلك إذا استجمع شرائط الفتوّة والديانة واستكثر منها واستدفع شرائط الديانة والتحرّم[1] فلا بدّ أنّه يكون خيراً من ألف لا يكون لهم ذلك؛ ولشياع كلمة الشيء *صحّ استثناء المؤمن منه، وإنّما لم يجمع مثلاً وهو صفة لألف للجنسيّة التي فيه، كما قال: «فوارس مثل أرمية الحميم»[2].

٤٥٧

وفائدة الحديث تشريف المؤمن الذي هو على شرائط الإيمان. وراوي الحديث ابن عمر.

قولهﷺ : ليس لَكَ مِنْ مَالِكَ إلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ

لقد قسّم المالﷺ قسمةً لم يقسمها أحد قبله، والمضاء: النفاذ والذهاب، وأمضاه: أنفذه. والمعنى في الحديث: الإنفاذ إلى الآخرة.

يقولﷺ : مالك لا تخلو من هذه الوجوه: إمّا أن تأكله وصور[3] ذلك تعلم إلى ما يعود، أو تلبسه وعاقبته إلى الخلوقة والبلى والتلاشي، أو تجعله في رضا ربّ العالمين صدقةً خيراً فهو الذي تنفذه إلى القيامة ليغيثك حيث لا مغيث إلّا حسن الفعال ويقدم عليه غداً يوم لا يغني مولىً عن مولىً شيئاً، أغاثنا الله تعالى في ذلك اليوم واعتقنا من النار. والتعيير[4] من الحرّى والشتاء .

وقال أبو العتاهية:

---

١ . كذا في خ.

٢ . قاله أبو جندب الهذليّ؛ راجع: أساس البلاغة: ٢٥٤؛ شرح نهج البلاغة: ١٩٨/١.

٣ . كذا في خ.

٤ . كذا في خ.

انظر لنفسِكَ أيّ مرتبةٍ ترقى وأيّ السبيلِ تسلكُهُ
المرءُ رَهنٌ للهلاكِ وما يدري بأيٍّ أرضٍ مهلكُهُ
ماذا تؤمّل لا أبالك من مالٍ تموتُ وأنتَ تمسكُهُ
ما المال إلّا ما تقدّم ليسَ المالُ ما تمضي وتتركُهُ
ما لم يكنْ لَكَ فيهِ منفعةٌ ممّا استفدتَ فلستَ تملكُهُ

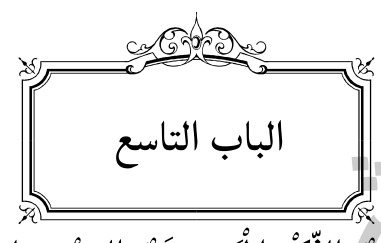
وأنشد:

يقول الفتى ثمّرت مالي وإنّما لوارثِه يثمرُ المال كاسبُهُ
يحاسِبُ فيهِ نفسَه في حياتِهِ ويتركُهُ نهباً لِمَنْ لا تُحاسِبُهُ
فكُلْهُ وأطعمْهُ وخالِسْهُ وارثاً شَحيحاً ودَهراً تَعتريهِ نَوائبُهُ
يخيبُ الفتى من حيثُ يرزُقُ غيرَهُ ويعطى المنى مِنْ حيثُ يحرمُ صاحِبُهُ[١]

وفائدة الحديث قسمته في الوجوه الثلاثة، وفيه الأمر بالصدقة والحثّ عليها. وراوي الحديث مطرّف بن عبد الله بن الشخير عن أبيه، قال: «أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَسَمِعْتُهُ يقرأ: «أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ» فَقَالَ عليه السلام: يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي! مَالِي! وَلَيْسَ لَكَ مِنْ مَالِكَ»[٢] الحديث.

١ . أنشده أبو يعقوب الخريميّ؛ راجع: الحيوان: ٨٦/٣؛ شرح نهج البلاغة: ٣٢/١٨.

٢ . صحيح مسلم: ٢٢٧٣/٤، ح٢٩٥٨؛ مسند الشهاب: ٢١٦/٢، ح١٢١٧؛ والآية في التكاثر: ١.



الباب التاسع

قوله صلى الله عليه وآله: خَيْرُ الذِّكْرِ الْخَفِيُّ وَخَيْرُ الرِّزْقِ مَا يَكْفِي

الذكر يكون بالقلب ويكون باللسان، فأمّا الذي بالقلب فهو خاف لا يطّلع عليه غير الله تعالى، وهذا الذي في الحديث هو الذي باللسان وهو الثناء على الله تعالى، والعبادة اللسانيّة يقع عليها الذكر في غير هذا نقيض النسيان.

يقول صلى الله عليه وآله: خير الذكر من القراءة والعبادة ما كان خافياً لا يطّلع عليه الناس، وذلك لأنّه أبعد من شوب الرياء والسمعة، وقد قال الله تعالى: «ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً»[1]. ثمّ ٤٥٨ قال صلى الله عليه وآله: وخير الرزق ما كان قدر الكفاية يصون ماء وجه الإنسان ولا يبلغ إلى حدّ يطغيه، لأنّه إذا استغنى بطر وبغى، كما قال تعالى: «كَلاَّ إِنَّ الْإِنْسانَ لَيَطْغى أَنْ رَآهُ اسْتَغْنى»[2]، ثمّ إنّ حسابه في القيامة يكون أخفّ ووقوفه أقلّ.

وعن ابن جريج: من الاعتداء رفع الصوت بالدعاء والنداء كعادة الجهلة والغوغاء وكان السلف يأمرون بالتضرّع والاستكانة وما سمع لهم صوت إن كان إلّا همساً بينهم وبين ربّهم.[3]

---

١. الأعراف: ٥٥.

٢. العلق: ٦ ـ ٧.

٣. راجع: تفسير الطبري: ٢٠٧/٨؛ تفسير الثعلبي: ٢٤٠/٤.

وقد أثنى الله تعالى على العبد الصالح زكريّا عليه السلام فقال: «إذْ نادى رَبَّهُ نِداءً خَفِيّاً»[١]. إنّما وصف كلامه الخفيّ بالنداء لأنّه عليه السلام يصوّر نفسه بعيداً من الله تعالى كما جرت العادة في التضرّع من غضّ النفس ونسبة التقصير إليها.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «مَا تَقَرَّبَ الْعَبْدُ إِلَى اللهِ تعالى بِشَيْءٍ أَفْضَلَ مِنْ سُجُودٍ خَفِيٍّ»[٢].

وقال عليه السلام: «اذْكُرِ اللهَ ذِكْراً خَامِلاً، قيل: وَمَا الذكرُ الْخَامِلُ؟ قَالَ عليه السلام: الذِّكْرُ الْخَفِيُّ»[٣].

وقال عليه السلام: «الْجَاهِرُ بِالْقُرْآنِ كَالْجَاهِرِ بِالصَّدَقَةِ، وَالْمُسِرُّ بِالْقُرْآنِ كَالْمُسِرِّ بِالصَّدَقَةِ»[٤].

وروي أنّ سعيد بن المسيّب دخل المسجد ليلاً فسمع رجلاً يصلّي ويرفع صوته بالقرآن فأقبل وهو لا يعرفه حتّى دنا منه، فقال: أيّها القارئ! إن كنت تريد بذلك أن يسمع الله فإنّ الله يسمع بدون هذا، وإن كنت تريد أن تسمع الناس فإنّهم لن يغنوا عنك شيئاً؛ وكان ذلك القارئ عمر بن عبد العزيز وكان حسن الصوت بالقرآن، فلم يسمع بعد ذلك له صوت في المسجد.[٥]

وروي أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان في بعض متوجّهاته فعلوا تلعةً فرفعوا أصواتهم بالتهليل والتسبيح فقال عليه السلام: «إنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا بَعِيداً، أَنَّهُ لَمَعَكُمْ»[٦].

وقال عليه السلام: إنّ الذكر الذي لا يسمعه الحفظة يضاعف على الذي تسمعه سبعين ضعفاً.[٧]

---

١. مريم: ٣.

٢. الزهد لابن المبارك: ٥٠/١، ح ١٥٤؛ مسند الشهاب: ٢٥٠/٢، ح ١٢٩٤؛ كنز العمّال: ١٢/٣، ح ٥٢٦٩.

٣. أماليّ الطوسي: ٥٣٠؛ بحار الأنوار: ٣٤٢/٩٠؛ وراجع: الزهد لابن المبارك: ١٥٠/١، ح ١٥٥؛ كنز العمّال: ٢١٣/١، ح ١٧٥٧.

٤. مسند أحمد: ١٥١/٤، ح ١٧٤٠٦؛ سنن أبي داود: ٣٨/٢، ح ١٣٣٢.

٥. لم أقف على مصدره.

٦. راجع: مصنّف عبد الرزّاق: ١٥٩/٥، ح ٩٢٤٤؛ مسند أحمد: ٣٩٤/٤، ح ١٩٥٣٨؛ صحيح البخاري: ١٠٩١/٣، ح ٢٨٣٠.

٧. راجع: مصنّف ابن أبي شيبة: ٨٥/٦، ح ٢٩٦٦٤؛ مسند أبي يعلى: ١٨٢/٨ـ١٨٣، ح ٤٧٣٨؛ شعب الإيمان: ٤٠٧/١، ح ٥٥٥؛ كنز العمّال: ٢٢٧/١، ح ١٩٢٩.

وعن الحجّاج بن دينار قال: «قلت لأبي معشر: إنّ الرجل يذكر الله في نفسه كيف تكتبه الحفظة قال: يجدون الريح»[1].

وفي كلام آخر: «الريح الطيّبة».

وقال بعض العلماء: ما أعلم شيئاً من البيوع يستطاع شراه بالكلام ولا دَسْتَجَة[2] بقل ويستطاع شرى الجنّة بالكلام وهو ذكر الله تعالى وقراءة القرآن والأمر بالمروف والنهي عن المنكر.

وقال عليه السلام: «خير الكلام أربعة لا يضرّك بأيّهنّ ابتدأت: سبحان الله، والحمد [لله]، ولا إله إلّا الله، والله أكبر»[3].

وفائدة الحديث إعلام فضيلة الذكر الخفيّ وأنّ خير الرزق هو الكافي الذي يسدّ الجوعة ويواري العرى. وراوي الحديث سعد بن مالك.

٤٥٩

قوله صلى الله عليه وآله: خَيْرُ *العِبادَةِ أَخَفُّها

هذا مثل قوله عليه السلام: «إنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ فَأَوْغِلْ فِيهِ بِرِفْقٍ، وَلا تُبَغِّضْ طاعةَ اللهِ إلَى نَفْسِكَ»[4]. كما قال عليه السلام: «ولكلّ شره فترة»[5].

وإنّما يريد بأخفّها ما أمكن النفس القيام بها، فإنّها إذا أكرهت عميت وملّت ولم يقدر على شيء، بل الواجب على المتعبّد أن يتناوب على العبادة يروّح نفسه ساعةً ثمّ تنوب المنّة إلى نفسه ثمّ يعاود حتّى لا تملّ وتضجر وتترك العبادة رأساً.

---

١. العظمة: ١٠٠٢/٣، ح٥٢٢؛ الدرّ المنثور: ٥٩٤/٧.

٢. الحزمة والضغث، فارسيّ معرّب.

٣. تاريخ جرجان: ٣٣١؛ الدعاء للطبراني: ٤٨٦، ح١٧٠٧؛ الفردوس بمأثور الخطاب: ١٧٨/٢، ح٢٨٩٦.

٤. تقدّم في ج٢، ص ٧٤١.

٥. تقدّم في ج٢، ص ٦٨٣.

وقال عليه السلام: «خَيْرُ الْأَعْمَالِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ»[١].

وقد روي في صلاة الجماعة: صلّوا صلاة أضعفكم، فإنّ معكم الشيخ وذا الحاجة. وخفّه العبادة معتبر فيها العادة، فإنّ من الناس من اعتاد العبادة الكثيرة فهي عليه خفيفة لمكان تعوّدها؛ وبالجملة فلا تكلّف نفسك إلّا ما تطيق، فإنّه إلى الإخلاص أقرب.

وفائدة الحديث الأمر بالعبادة بقدر ما تحتمل النفس . وراوي الحديث عثمان بن عفّان.

قوله صلى الله عليه وآله: خَيرُ المجالِسِ أَوسَعُهَا

وذلك لأنّ الإنسان يتمكّن فيها من الجلوس والنوم والعبادة والتقلّب كيف ما شاء.

وروي: «أنّ أبا سعيد الخدريّ رضي الله عنه أُوذِنَ بِجِنَازَةٍ فِي قَوْمِهِ، فَكَأَنَّهُ تَخَلَّفَ حَتَّى أَخَذَ النَّاسُ مَجَالِسَهُمْ، ثُمَّ جَاءَ فَلَمَّا رَآهُ الْقَوْمُ تَسَرَّبُوا عَنْهُ، فَقَامَ بَعْضُهُمْ لِيَجْلِسَ فِي مَجْلِسِهِ، فَقَالَ: أَلا أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله يَقُولُ: خَيْرُ الْمَجَالِسِ أَوْسَعُهَا، ثُمَّ تَنَحَّى فَجَلَسَ فِي مَكَانٍ وَاسِعٍ»[٢].

وفائدة الحديث الأمر بتوسعة المجالس لئلّا يتضاغط[٣] الناس فتحتاجوا إلى أن تتدافعوا بالأكفّ والسواعد. وراوي الحديث أبو سعيد الخدريّ.

قوله صلى الله عليه وآله: خَيرُ دِينِكُم أَيْسَرُهُ

قريب من قوله عليه السلام: «إنّ دين الله الحنيفيّة السهلة»[٤]، وهذا إيثاره إلى ما يتكلّفه الإنسان في الطهارة والصلاة وغير ذلك من الوسواس حتّى يكاد يقطعه أصلاً أعني التعبّد، بل على الإنسان التعبّد بقدر التكليف، ولا يكلّف الله نفساً إلّا وسعها؛ ولا أقول ذلك ترخيصاً في إغفال الأركان في العبادات وإزالة الثياب ونفي الاحتراس من المعاذر، بل أقول

١ . صحيح البخاري: ٢٣٧٣/٥، ح٦٠٩٩؛ صحيح ابن خزيمة: ٢٦١/٢، ح١٢٧٧.

٢ . مسند أحمد: ١٨/٣، ح١١١٥٣؛ المستدرك: ٣٠٠/٤، ح٧٧٠٥؛ مسند الشهاب: ٢١٩/٢، ح١٢٢٣.

٣ . يتزاحم.

٤ . تقدّم في ج٢، ص ٦٦٢ ؛ في المصدر: السمحة.

إغفال الأركان في العبادات وإزالة الثياب ونفي الاحتراس من المعاذر، بل أقول أنّه لا يجوز أن يتجاوز التكليف إلى ما فوقه فيشقّ عليه فيتأدّي إلى ترك العبادة. وقد رأيت ذلك عياناً من جماعة. ودين الله إشارة إلى العبادة التي هي من لوازم الدين ويجوز تسمية الشيء ببعض متعلّقاته، وأيسرها سهلها.

وفائدة الحديث إعلام أنّ خير العبادة ما تطيقه من غير أن تضيّع الأركان. وراوي الحديث محجن الديليّ، وقيل له: ألا تُصلّي كما يصلّي فلان؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول،[1] وذكر الحديث.

٤٦٠

قوله ﷺ: خَيرُ النِّكَاحِ أيسَرُهُ

هذا إشارة إلى خفّة الصداق وقلّة النفقة والكسوة والقسم بين الزوجات وغير ذلك من توابع المزاوجة، وذلك لأنّ أمر النكاح صعب، وإذا خفّفت المؤونة كان أحد اليسرين، وكان أقرب إلى أن يبقى التزاوج بينهما وأحسم لموادّ المخالفة والمجادلة وأحرى أن يحتمله الزوج فلا يذرها بالعراء ويذهب على وجهه فراراً ممّا لا يطيق.

وفائدة الحديث الحثّ على تخفيف لوازم النكاح. وراوي الحديث عقبة بن عامر.

قوله ﷺ: خَيرُ الصَّدَقَةِ مَا كَانَ عَنْ ظَهْرِ غنىً

يقول: إنّ المتصدّق إذا كان غنيّاً لم تتأثّر بصدقة يتصدّقها، لأنّه يغرف من ثبج[2] بحر زاخر، والفقير إن تصدّق بماله بقي عاجز لأنّه يغترف من ثمد[3] مسفوّة.

وقيل: يعني بذلك ما يفضل عن أهلك فيستغنون منه، وهو وجه.

---

١. مسند الشهاب: ٢/٢١٩ـ٢٢٠، ح ١٢٢٤.

٢. معظم.

٣. الثّمد: الماء القليل الذي لا مادّة له.

وللحديث سبب ذكره [أبو] داود السجستانيّ في سننه[١] عن جابر بن عبد الله قال: «كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله إذا جَاءَهُ رَجُلٌ بِبَيْضَةٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَصَبْتُ هَذا مِنْ مَعْدِنٍ فَخُذْهَا فَهِيَ صَدَقَةٌ مَا أَمْلِكُ غَيْرَهَا، فَأَعْرَضَ عَنْهُ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله ثُمَّ أَتَاهُ [مِنْ قِبَلِ رُكْنِهِ الْأَيْمَنِ، فَقَالَ: مِثْلَ ذَلِكَ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ ثُمَّ أَتَاهُ مِنْ قِبَلِ رُكْنِهِ الْأَيْسَرِ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله ثُمَّ أَتَاهُ] مِنْ خَلْفِهِ، فَأَخَذَهَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله فَحَذَفَهُ بِهَا، فَلَوْ أَصَابَتْهُ لَأَوْجَعَتْهُ أَوْ لَعَقَرَتْهُ، وَقَالَ صلى الله عليه وآله: يَأْتِي أَحَدُكُمْ بِمَا يَمْلِكُ فَيَقُولُ: هَذِهِ صَدَقَةٌ، وَيَقْعُدُ فَيَسْتَكِفُّ النَّاسَ، خَيْرُ الصَّدَقَةِ مَا كَانَ عَنْ ظَهْرِ غِنًى»[٢].

قلت: وهذا لا يناقض قوله عليه السلام: خير الصدقة جهد من مقلّ،[٣] وذلك لأنّ الجهد هو الطاقة فهو يعني أنّه يطيقه ويبقى له ما يستعين به على زمانه، وإنّما صدقته خيراً من صدقة الغنيّ لأنّه أحوج إليها فقد جاهد نفسه بإخراجها والغنيّ واجد غير محتاج فلا يكترث بالصدقة يتصدّقها؛ فباعتبار أنّه لا يضطرّ ولا يبقى عائلاً صدقة الغنيّ خير، وباعتبار مجاهدة النفس صدقة المقلّ خير. فهذا وجه الجمع بين الحديثين.

وفائدة الحديث إعلام أنّ خير الصدقة ما يبقى عنها على المتصدّق فضل ولا يحتاج بمكانها. وراوي الحديث حكيم بن حزام، قال: قال عليه السلام «الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ، وَخَيْرُ الصَّدَقَةِ مَا كَانَ عَنْ ظَهْرِ غِنًى، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ[٤] يُعِفَّهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ»[٥].

---

١. في خ: في سنّته.

٢. سنن أبي داود: ١٢٨/٢، ح١٦٧٣.

٣. راجع: الخصال: ٥٢٤؛ وراجع: مسند الطيالسي: ٦٥، ح٤٧٨.

٤. كذا في المصادر، وفي خ: يستعف.

٥. مسند الشهاب: ٢٢٢/٢، ح١٢٢٨؛ مسند أحمد: ٤٠٣/٣، ح١٥٣٦١؛ صحيح البخاري: ٥١٨/٢، ح١٣٦١.

قوله صلى الله عليه وآله: خَيرُ العَمَلِ مَا نَفَعَ وَخَيرُ الهُدى مَا اتُّبِعَ وَخَيرُ مَا أُلْقِيَ فِي الْقَلْبِ الْيَقِينُ

يقول صلى الله عليه وآله: خير الأعمال ما ينفع عامله وهو العمل المصاص[1] الذي يزينه الإخلاص ❊ولا يلابسه النفاق والرياء والسمعة، فإنّ العمل إذا لم يكن مخلصاً لله تعالى فليس بعمل ٤٦١ ولا يكاد ينفع عامله، لأنّه لا ثواب له، ونفع العمل الثواب؛ وخير الهدى ما رُغب فيه واتّبع لحسنه وطهارته، فكلّ من رآه رغب فيه وتلبّس به؛ وخير ما يُلقي في القلب اليقين وهو العلم الخالص القاطع بعد الشكّ، ولذلك لا يقال لله تعالى موقن، لأنّ القلب إذا حصل له برد اليقين كان أقرب إلى إخلاص العمل.

وفائدة الحديث إعلام أنّ خير الأعمال النافع وخير الهدى المتّبع وخير ما يستميل[2] عليه القلب العلم القاطع والإخلاص. وراوي الحديث زيد بن خالد الجهنيّ قال: تلقّفت هذه الخطبة من فيّ رسول الله صلى الله عليه وآله.[3]

قوله صلى الله عليه وآله: خَيرُ النَّاسِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ

أثبت صلى الله عليه وآله الخيريّة لمن كان خيره متعدّياً إلى غيره، وهذا أصل، فالخير المتعدّي خير الخيرين، ألا ترى أنّ السخاء خير من صلاة النافلة؛ وكذلك الشرّ المتعدّي شرّ الشرّين كما أنّ القتل شرّ من شرب الخمر.

وفائدة الحديث إعلام أنّ خير الناس من تعدّى خيره إلى غيره. وراوي الحديث جابر بن عبد الله الأنصاريّ.

---

١. خالص كلّ شيء.

٢. في خ: يستمل.

٣. مسند الشهاب: ٢٢٣/٢، ح١٢٣٣.

قوله صلّى الله عليه وآله: خَيْرُ الأَصْحَابِ عِنْدَ اللهِ خَيْرُهُمْ لِصَاحِبِهِ

وتمامه: «وَخَيْرُ الجِيرَانِ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى خَيْرُهُمْ لِجَارِهِ»[١]. وهذا الحديث مثل الذي قبله؛ فيقول صلّى الله عليه وآله: خير الأصحاب أحسنهم صحبةً وأدمنهم[٢] صحبةً وأطيبهم حديثاً وألينهم عريكةً وأوفاهم خيراً وأقلّهم ضيراً وأكرمهم عشرةً، لا يدّخر خيره عن غيره، وأولئك الأقلّون عدداً وما أكثرهم إن قلبت القصّة.

وفائدة الحديث الحثّ على المواساة وحسن الصحبة. وراوي الحديث عبد الله بن عمرو بن العاص.

قوله صلّى الله عليه وآله: خَيْرُ الرُّفَقَاءِ أَرْبَعَةٌ وَخَيْرُ الطَلائِعِ أَرْبَعُ مائَةٍ وَخَيْرُ الجُيُوشِ أَرْبَعَةُ آلافٍ

الرفيق من ترافقه ويرافقك، والجمع الرفقاء، فإذا تفرّقوا ذهب اسم الرفقة وبقي اسم الرفيق وهو واحد، وجمع مثل الصديق، واشتقاقه من الرفق ضدّ العنف؛ والطليعة من يطّلع طِلْع العدوّ ويقال للواحد طليعة وللجمع أيضاً، والطلائع: الجماعات.

فيقول صلّى الله عليه وآله: خير الرفقاء أربعة وذلك لتعاضدهم وترافدهم وتعاونهم.

وروي: «أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله رَأَى رَجُلاً فِي سَفَرِهِ، فَقَالَ: شَيْطَانٌ، ثُمَّ رَأَى رَجُلَيْنِ، فَقَالَ: شَيْطَانَانِ، ثُمَّ رَأَى ثَلاثَةً، فَقَالَ: سَفَرٌ»[٣].

وإذا كان الثلاثة سفراً كان الأربعة جارية مجراهم من حيث التعاون والتناصر دون الرفقة التي لها شوكة ومشغلة وجليّة، وإذا كان كذلك فالأربعة خيرهم بالاعتبارين؛ ٤٦٢ *وخير

---

١. مسند أحمد: ٢/١٦٧، ح٦٥٦٦؛ مسند الشهاب: ٢/٢٢٤، ح١٢٣٥.

٢. أدومهم.

٣. مصنّف عبد الرزّاق: ١٠/٤٣١، ح١٩٦٠٨.

الطلائع أربع مائة على هذا الاعتبار أيضاً، لأنّهم متعاونون وليس لهم المشغلة والضوضاء[١]؛ وعلى هذا المنهاج أمر الجيوش.

وقد روي هذا الحديث على غير هذا الوجه، قال ابن عبّاس رضي الله عنه فقال: «خَيْرُ الصَّحَابَةِ أَرْبَعَةٌ، وَخَيْرُ السَّرَايَا أَرْبَعُ مِائَةٍ، وَخَيْرُ الْجُيُوشِ أَرْبَعَةُ آلافٍ، وَلَنْ يُؤْتَى اثنا عَشَرَ أَلْفاً مِنْ قِلَّةٍ»[٢] فاعتبر في الاثني عشر ألفاً الكثرة.

ونهى رسول الله صلى الله عليه وآله أن يسافر الرجل وحده، وقال: «لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي الْوَحْدَةِ مَا سَارَ رَاكِبٌ بِاللَيْلِ[٣] وَحْدَهُ أَبَداً»[٤].

وعنه صلى الله عليه وآله: «الشَّيْطَانُ يَهُمُّ بِالْوَاحِدِ وَالْاثْنَيْنِ، فَإِذَا كَانُوا ثَلَاثَةً فَلا يَهُمُّ بِهِمْ»[٥].

وفي رواية أخرى: «فإذا كانوا ثلاثةً فالشيطان عنهم أبعد»[٦].

وفائدة الحديث إعلام اختيار عدد الرفقاء والطلائع والجيش. وراوي الحديث أنس بن مالك.

قوله صلى الله عليه وآله: خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآن وَعَلَّمَهُ

يقول صلى الله عليه وآله: خيركم من تعلّم القرآن الذي هو دستور الشريعة وينبوع الحكمة ومفزع الأمّة والكتاب الذي لا ينسخ ولا يرفع، ثمّ قال: «وعلّمه» ولو حملناه على ظاهره لكان

١ . أصوات الناس وجلبتهم.

٢ . سنن أبي داود: ٣٦/٣، ح٢٦١١؛ سنن ابن ماجه: ٩٤٤/٢، ح٢٨٢٧؛ مسند الشهاب: ٢٢٥/٢، ح١٢٣٧.

٣ . كذا في خ، وفي المصادر: بليلٍ.

٤ . مسند أحمد: ٢٣/٢، ح٤٧٤٨؛ صحيح ابن حبّان: ٤٢١/٦، ح٢٧٠٤؛ جامع الأحاديث: ١٠٦/١١، ح٣٢٢٧١.

٥ . مسند البزار: ٢٥٣/١٤، ح٧٨٣٤؛ الفردوس: ٣٧٩/٢، ح٣٦٨٧؛ كنز العمّال: ٣٠٢/٦، ح١٧٥١٦.

٦ . لم أقف عليه.

وجهاً؛ والأولى أن يكون التعلّم والتعليم مصروفين إلى معرفته والعلم بتفسيره ووجوهه وناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه وحلاله وحرامه ومجمله ومفصّله وقصصه وعبره.

وقال النبيّ عليه السلام : أهل القرآن أهل الله المتّجهون لوجه الله الطالبون لنور الله، من والاهم فقد والى الله، ومن عاداهم فقد عادى الله.[1]

وقال عليه السلام : «أَشْرَافُ أُمَّتِي حَمَلَةُ الْقُرْآنِ»[2].

وفائدة الحديث الحثّ على تعلّم القرآن وتعليمها. وراوي الحديث أمير المؤمنين عليه السلام .

قوله صلى الله عليه وآله : خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِهِ

أهل الرجل أنسباؤه، ثمّ يقال لمن يجمعه وإيّاهم دين أو صناعة أو بيت أو بلد أهل، ويقال أهلة أهلات وأهال، زيدت الياء فيه على غير قياس كما قالوا ليلة وليال، ويقال: آهال كزند وأزناد وفرخ وأفراخ. والأهل أعمّ من الآل لأنّ الأهل هم المخصّصون بالشيء من جهة تغلب عليهم حتّى يضافوا إليه. كقولك: أهل العلم وأهل الكوفة، ولا يقال: آل العلم وآل الكوفة وإنّما الآل خاصّة الرجل من جهة قرابة أو صحبة؛ والذي في الحديث بمعنى القرابة والرحم.

فيقول صلى الله عليه وآله : خيركم خيركم لرحمه وقرابته، كما قال عليه السلام : «بُلُّوا أَرْحَامَكُمْ وَلَوْ بِالسَّلامِ»، و«الصَّدَقَةُ عَلَى الْقَرَابَةِ صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ»، و«صِلَةُ الرَّحِمِ تَزِيدُ فِي الْعُمُرِ»[3] إلى أمثال ذلك.

وفائدة الحديث الحثّ على صلة الرحم ومواساة الأقرباء بالمال والنفس سواء كانت

١ . راجع: نوادر الأصول: ٣/٢٦٠؛ تاريخ أصبهان: ١/٣١٥، ح٥٥١؛ الفردوس: ٢/١٣٥، ح٢٦٩٢؛ كنز العمّال: ١/٢٦٣، ح٢٣٤٥ و١/٢٦٥، ح٢٣٦٢.

٢ . المعجم الكبير: ١٢/١٢٥، ح١٢٦٦٢؛ شعب الإيمان: ٢/٥٥٦، ح٢٧٠٣؛ كنز العمّال: ١/٢٥٧، ح٢٢٥٩.

٣ . تقدّم شرحها سابقاً.

٤٦٣

القرابة نسبيّةً أو سببيّةً. وراوي الحديث *أبو هريرة.

قولهﷺ: خَيْرُكُمْ مَنْ يُرْجَى خَيْرُهُ وَيُؤْمَنُ شَرُّهُ

وتمام الحديث: «وَشَرُّكُمْ مَنْ لا يُرْجَى خَيْرُهُ وَلا يُؤْمَنُ شَرُّهُ»[1]، كلّ مرغوب فيه خير، وكلّ نفع حسن خير. فيقولﷺ: خيركم من يتعدّاه خيره إلى غيره، ولا يكون موقوفاً عليه، ومع ذلك يكون شرّه مصروفاً عن الناس، فمن كان كذلك كان خير الناس وكانت فيه خصلتان من خصال النبوّة.

وفائدة الحديث الحثّ على الخير والنهي عن الشرّ. وراوي الحديث أبو هريرة.

قولهﷺ: خَيْرُ بُيُوتِكُمْ بَيْتٌ فِيهِ يَتِيمٌ مُكْرَمٌ

اليتيم الذي فقد أباه قبل أن يبلغ وهو أحوج الناس إلى مشفق يشفق عليه ومحسن يحسن إليه ومغيث يغيثه ومكرم يؤويه، لأنّه قد سُلب الذي كان الشفيق عليه البرّ به الحاني عليه.

فيقولﷺ: خير بيوتكم من يؤوي إليه يتيم يكرم ويحترم ليتمه وفاقته.

وقد روي عن النبيّﷺ: إنّ من مسح رأس يتيم ترحّماً وشفقةً أعطاه الله بكلّ شعرة خيراً.[2] أو كما قال.

وفائدة الحديث الحثّ على إكرام اليتيم. وراوي الحديث عمر بن الخطّاب.

قولهﷺ: خَيْرُ المَالِ سِكَّةٌ مَأْبُورَةٌ وَفُرُسٌ مَأمُورَةٌ

السكّة الطريقة المصطفية[3] من النخل وسمّيت الأزقّة سِكَكاً لاصطفاف الدور فيها.

---

١ . مسند الشهاب: ٢٢٩/٢، ح١٢٤٦؛ وراجع: مسند أحمد: ٣٦٨/٢، ح٨٧٩٨.

٢ . راجع: من لا يحضره الفقيه: ٣٧٢/٤؛ وراجع: الزهد لابن المبارك: ٢٢٩/١ و٢٣٠، ح٦٥٢ و٦٥٥؛ المعجم الكبير: ٢٣٨/٨، ح٧٩٢٩.

٣ . كذا في خ: وفي المصادر اللغويّة: المصطفّة.

ومأبورة: ملقّحة، يقال: أبرت النخلة أبرها فأبيرت، وأبرّتها فأبرّت[١]، قال:

تَـــأَبَّرِي يـــا خَـــيْرَةَ الفَـــسِيلِ إذْ ضَـنَّ أَهْـلُ النَّـخْلِ بـالفُحُولِ[٢]

يقول: تلقّحي من قبل نفسك فإنّه لا إبار عندي. والإبار: ما يلقّح به، وائتبرت غيري: إذا سألته أن يأبر لك. وقوله عليه السلام: «وفرس مأمورة» أي كثير النتاج والنسل. وروي: «ومُهرة مأمورة»[٣]، وهو من أمِر القوم إذا كثروا وأمر ماله إذا كثر، وآمرتهم [أي] أكثرتهم وأمّرتهم على فعلتهم لغتان، فإن كانت الكلمة من أمر على فعل فهي على موجبها وبابها وإن كان من آمر فإنّما صار مأمورة لازدواج الكلام وملاءمته كما قالوا: الغدايا والعشايا، وكان حقّها الغدوات وكما قالوا: هنأني الطعام ومرأني فإذا أفردوا قالوا: أمرأني؛ وكقوله عليه السلام: «ارْجِعْنَ مَأْزُورَاتٍ غَيْرَ مَأْجُورَاتٍ»[٤]، وهو من الوزر وكان حقّه موزورات؛ وكقوله عليه السلام: «أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الْهَامَّةِ وَاللَّامَّةِ»[٥]، وإذا أفردت كانت الملمّة لأنّه من ألم بالشيء، فكأنّه يقول صلى الله عليه وآله: خير المال النخل والنتاج.

وفسّر الأصمعيّ هذه الكلمة على وجه آخر فقال: السكّة الحديدة التي يثار بها الأرض للزرع وهي اللؤمة *أيضاً[٦] ومأبورة[٧] على هذا أي مصلحة مجدّدة ولا بأس بهذا الوجه، ويكون المعنى: خير المال الزرع والنتاج. ٤٦٤

وفي الحديث: «ما دَخَلتِ السِّكَّةُ دارَ قومٍ إلَّا ذُلُّوا»[٨] يعني الزراعة واتّباع أذناب البقر

---

١. كذا في خ، ولعلّ الصواب: فتأبّرت.

٢. راجع: الصحاح: ٢/ ٥٧٤؛ تهذيب اللغة: ٢٦٩/٤؛ تاج العروس: ١١/١٠.

٣. الزاهر في معاني كلمات الناس: ٤٠٤/١؛ جمهرة اللغة: ١٠٢٠/٢؛ الفائق: ١٨٩/٢.

٤. راجع: مصنّف عبد الرزّاق: ٤٥٧/٣، ح٦٢٩٩؛ مسند أبي يعلى: ١٠٩/٧، ح٤٠٥٦.

٥. راجع: الصحاح: ٢٠٣٢/٥؛ النهاية: ٢٧٢/٤.

٦. الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي: ٢٣٧، ح٥٠٥.

٧. كذا في البحار والمصادر اللغويّة، وفي خ: مأمورة.

٨. تهذيب اللغة: ٣٢٠/٩؛ الفائق: ١٨٩/٢.

وترك الغزو، وإنّما كان النخل أو النتاج[1] والزرع خير المال لاشتمال النخل والزرع على الزكوات والعشور فيتوفّر على المساكين المحتاجين المستحقّين، وعلى النتاج ليتوفّر على الغزاة المجاهدين في سبيل الله.

وفائدة الحديث تفضيل النخل والزرع على سائر وجوه المعاش. وراوي الحديث سويد بن هبيرة.

قوله ﷺ: خَيْرُ مَسَاجِدِ النِّسَاءِ قَعْرُ بِيُوتِهِنَّ

يقول ﷺ: الأولى بالنساء أن يلزمن البيوت والأكنان[2]، ولا يبرّزن لأنّهنّ عورات. وكان النساء يصلّين في مسجد رسول الله ﷺ جماعةً فكأنّه عليه السلام كره خروجهنّ من بيوتهنّ وإن كان للصلاة فإنّه لا يؤمن أن ينظر إليهنّ غير المحرم ففضّل عليه السلام صلاتهنّ في بيوتهنّ على صلاتهنّ في المساجد؛ وذكر القعر مبالغة في الأمر بالتصوّن ولزوم المساكن. ولمثل قال: «النساء لحم على وضم»[3] فجعلهنّ لحماً مهيّأً لمن أراد تناوله.

ومثل ذلك قوله عليه السلام: «وَيحكَ يَا أَنْجَشَةُ! رِفْقاً بِالْقَوارِيرِ»[4]، فجعلهنّ قوارير لضعفهنّ وعجزهنّ.

وفائدة الحديث الأمر بتصوّن النساء والنهي عن بروزهنّ. وراوية الحديث أمّ سلمة ــ رضي الله عنها ــ.

قوله ﷺ: إنَّ خَيرَ ثِيَابِكُم البَيَاضُ وَإنَّ مِنْ خَيرِ أَكْحَالِكُمُ

---

١. في البحار: والنتاج.

٢. جمع الكنّ وهو السُترة.

٣. غريب الحديث لابن سلام: ٣/٣٥٢؛ جمهرة الأمثال: ٢/٣٠١، مثل ١٧٢٤؛ مجمع الأمثال: ١/١٩.

٤. راجع: مسند الطيالسي: ٢٧٢، ح٢٠٤٨؛ مسند الحميدي: ٢/٥٠٨، ح١٢٠٩؛ الحاوي الكبير: ١٧/١٩٥.

الإِثْمِدُ

تمام الحديث: «يَجْلُو الْبَصَرَ، وَيُنْبِتُ الشَّعْرَ»[١] وإنّما فضّل البياض لأنّه أبعد من التكلّف، وكأنّه فضّل البياض كراهة للمصبغات، والبياض إلى الصلاح أقرب وعن التكلّف أبعد.

وفي حديث آخر: عليكم بالبياض فالبسوه وكفّنوا فيه موتاكم،[٢] أو كما قال.

والكرابيس تسمّى البياضيّ الذي يبيعها البياضيّ فكأنّه عليه السلام يقول: خير ثيابكم الكرابيس، ليخرج من ذلك الدبابيج والحرير المذهّب وأمثال ذلك.

وروي عنه عليه السلام: «أحبُّ الثيابِ إلى اللهِ البيضُ»[٣].

وفضّل عليه السلام الإثمد على سائر الأكحال وهو لعمري خيرها، لأنّه أقلّ عائلة وأصحّ للبصر وأقوى للأهداب إنباتاً.

وفائدة الحديث تفضيل البياض من الثياب وتفضيل الإثمد على الأكحال. وراوي الحديث ابن عبّاس.

قوله صلى الله عليه وآله: خَيْرُ شَبَابِكُمْ مَنْ تَشَبَّهَ بِكُهُولِكُمْ وَشَرُّ كُهُولِكُمْ مَنْ تَشَبَّهَ بِشَبَابِكُمْ

الشباب والشبيبة: الحداثة، وقد شبّ الغلام يشبّ فهو شابّ وشباباً، والكهل: من تجاوز الثلاثين ولعب الشيب بسواده، ٤٦٥ *وقد اكتهل: صار كهلاً ويقال: كاهل أيضاً، واكتهل النبات: إذا تمّ طوله وظهر نوره.

فيقول صلى الله عليه وآله: خير شبابكم من تشبّه بكهولكم وذلك لأنّ الشابّ أنزع إلى الفواحش ممّن طعن في السنّ وأقرب إلى النشاط وأولى بالزقّ والخفّة وأحرى بالطيش، ولذلك قال عليه السلام:

---

١. مسند الشهاب: ٢٣٢/٢، ح١٢٥٣.

٢. راجع: مسند البزار: ٣٨٨/١٠، ح٤٥٢١؛ المعجم الكبير: ٢٣٤/٧، ح٦٩٧٦.

٣. شرح كتاب السير الكبير: ٧٢/١؛ المبسوط للسرخسي: ٧٢/٢.

«الشَّبَابُ شُعْبَةٌ مِنَ الْجُنُونِ»[١]؛ وبالعكس من ذلك الاكتهال، وذلك لأنّ الكهل قد خمدت شرّته وفترت سورته وعجزت قواه وألَت[٢] أركانه وضعف بنيانه.

ونظر إليه من وراء ستر رقيق، فيقول عليه السلام: خير شبابكم من تشبّه بكهولكم، أي من ترفّق ولبس الوقار واستشعر الحرمة، فالحرام منه زائل والطيش منه على مراحل والفسق منه مأمون والخير منه مأمول. وقال عليه السلام: «شَرُّ كُهُولِكُمْ مَنْ تَشَبَّهَ بِشَبَابِكُمْ» يقول عليه السلام: شرّ الكهول من وخطه الشيب[٣] وهو يتشابّ ويتشبّه بالأحداث، ولعمري أنّه إلى الهوج[٤] أدنى وإلى المقت أدعى، ومن حكم العقل أبعد ومن استوائه على القاعدة أقعد.

وفائدة الحديث تفضيل الشابّ المتنسّك وتعيير الكهل المتهتّك. وراوي الحديث أنس بن مالك.

قوله صلى الله عليه وآله: خَيْرُ صُفُوفِ الرِّجَالِ أَوَّلُهَا وَشَرُّهَا آخِرُهَا وَخَيْرُ صُفُوفِ النِّسَاءِ آخِرُهَا وَشَرُّهَا أَوَّلُهَا

الصدر الأوّل صدر الجماعة والواقف فيه أحرى باستماع قراءة الإمام، وهو أعرق في الاقتداء.

وعن النبيّ صلى الله عليه وآله: «إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الصَّفِّ الْأَوَّلِ أَوْ الصُّفُوفِ الْأُوَلِ»[٥].

وروي عن العرباض بن سارية أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يستغفر للصفّ الأوّل ثلاثاً والثاني واحدةً.[٦]

---

١. من لا يحضره الفقيه: ٣٧٧/٤؛ وراجع: مسند الشهاب: ٦٦/١، ح٥٥.

٢. نقص.

٣. فشا فيه؛ استوى فيه سواده وبياضه.

٤. الحمق.

٥. مسند الطيالسي: ١٠٠، ح٧٤١؛ مسند أحمد: ٢٨٥/٤، ح١٨٥٤١.

٦. مسند ابن أبي شيبة: ٣٧٧/٢، ح٨٩٢؛ مسند أحمد: ١٢٦/٤، ح١٧١٨١.

وذكر بعض أهل العلم: إنّ من دخل المسجد من الصفّ الأوّل[1] وإن صلّى في ناحية من نواحي المسجد، والصفّ الأخير أبعد من الإمام، ومن فيه يقتدي بالمقتدى فهو أقعد عن الاقتداء حقيقةً فلذلك فضّل الصفّ الأوّل والله أعلم ورسوله.

وروي أنّ ابن عبّاس رضي الله عنه قال: كانت النساء يخرجن إلى الجمعات فيقوم الرجال صفوفاً خلف النبيّ صلى الله عليه وآله والنساء صفوفاً خلف الرجال وربّما كان من الرجال من في قلبه ريبة فيتأخّر إلى الصفّ الأخير من صفوف الرجال وربّما كان من النساء من في قلبها ريبة فيتقدّم إلى أوّل صفوف النساء ليقرب من الرجال وكانت امرأة من أحسن النساء ـ لا والله ما رأيت أحسن منها قطّ ـ تصلّي خلف النبيّ صلى الله عليه وآله وكان بعض الناس يستقدم في الصفّ الأوّل لئلّا يراها ويستأخر بعضهم حتّى يكون في الصفّ المؤخّر فإذا ركع وسجد نظر إليها، فأنزل الله تعالى: «وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ»[2].[3]

٤٦٦ فلذلك قال عليه السلام: *«خَيْرُ صُفُوفِ الرِّجَالِ أَوَّلُهَا» الحديث. والعفاء على مراد الشرع في الصلاة المكتوبة يناجي الله تعالى ويسأله الجنّة ويستعيذ به من النار كان الفسق والفجور منه على ذكر، وإنّما اختار الصفّ الأخير لهنّ لأنّهنّ عورات فهنّ بالستر أولى ولو صلّت في الصفّ الأوّل لفسدت صلاتها وصلاة من خلفها من الرجال.

وفائدة الحديث تفضيل الصفّ الأوّل للرجال وتفضيل الأخير للنساء تحرّياً للصيانة واتّباعاً للديانة واحترازاً من الخيانة وأخذاً بالأمانة. وراوي الحديث أبو هريرة.

قوله صلى الله عليه وآله : الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى

اليد العليا هي المعطية والسفلى الآخذة، كأنّه صلى الله عليه وآله فضّل الإعطاء على السؤال، ولعمري

---

١ . كذا في خ، ولعلّ في العبارة سقطة.

٢ . الحجر: ٢٤.

٣ . راجع: مسند الطيالسي: ٣٥٤، ح ٢٧١٢؛ مسند أحمد: ٣٠٥/١، ح ٢٧٨٤.

أنّه لكذلك.

وقيل: العليا هي المنفقة والسفلى الممسكة.

وروي عن الحسن: أنّ العليا هي المعطية والسفلى هي المانعة.[١]

وذكر البخاريّ: أنّ العليا هي المنفقة والسفلى هي السائلة.[٢]

ولكلّ وجه، وكأنّ الوجه الأوّل أظهر وأسبق إلى القلب. وذكر فيه وجه آخر: وهو أن تكون اليد هي النعمة، ويكون المعنى: النعمة الجزيلة خير من التافهة القليلة، كأنّه نظر إلى قوله عليه السلام: «إنَّ اللهَ تعالى يُحِبُّ مَعَالِيَ الأمُورِ [وَأَشْرَافَهَا]، وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا»[٣].

وأنشد:

بَينَ مَنْ يُعطِي وَمَنْ يَأخُذُ فِي التَّقديرِ عَرض ... فَيَدُ المعطِي سَماء وَيَدُ الآخِذِ أَرْضُ

وَعَلَى الآخِذِ أَنْ يَشْكُرَ أنّ الشّكْرَ فَرض ... وَأَخَسُّ الوِرْدِ مَا تَكْرَعُ فِيهِ وَهُوَ بَرْض[٤]

وقيل: الأيدي ثلاثة: يد بيضاء وهي المبتدئة بالمعروف، ويد خضراء هي المكافأة بالمعروف، ويد سوداء وهي الممتنّة بالمعروف.[٥]

وفائدة الحديث تفضيل الإعطاء على الآخذ. [وراوي الحديث ابن عمر].

قوله صلى الله عليه وآله: مَا قَلَّ وَكَفَى خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ وَأَلْهَى

يقول صلى الله عليه وآله: ما قلّ من مال الدنيا وكان قدر الكفاية خير ممّا كثر وألهى عن ذكر الله تعالى وصدّ عن العبادة، وذلك أنّ المال الكثير وبال.

---

١ . غريب الحديث للخطابي: ٥٩٦/١؛ شرح صحيح البخاري لابن بطال: ٤٣٢/٣.

٢ . صحيح البخاري: ٥١٩/٢، ح١٣٦٢.

٣ . مسند الشهاب: ١٥٠/٢، ح١٠٧٦.

٤ . راجع: يتيمة الدهر: ٣٧٧/٤؛ كرع: تناول؛ والبرْض: القليل.

٥ . البصائر والذخائر: ٦٠/٥؛ مجمع الأمثال: ٤٥٧/٢؛ الكشكول: ٧/٢.

وقال بعض حكماء اليونان: «القنية ينبوع الأحزان»[١].

ولا خير للإنسان [إلّا] من كفاف يصون عليه ماء وجهه ويغنيه عن التردّد إلى أبواب الظلمة، فإذا تجاوز ذلك صار وبالاً ومشغلةً عن كلّ خير ومجلبةً لكلّ ضير.

وقال الرضيّ رضي الله عنه:

أَرَى كُلَّ زَادٍ مَا خَلا سَدَّ جَوعَةٍ تُـراباً وكُــلُّ المَالِ عِــندِي آل[٢]

وفائدة الحديث الحثّ على الاستقلال من الدنيا. وراوي الحديث ثوبان.

قوله صلى الله عليه وآله: الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَخَيْرُ مَتَاعِهَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ

المتاع ما يمتّع به إلى وقت ثمّ ينقطع، وقد تقدّم شرحه.

٤٦٧

فيقول صلى الله عليه وآله: الدنيا ومالها ونعيمها وجميع ما فيها ممّا يتمتّع به الإنسان مدّةً وهو إلى الانقطاع، ثمّ قال: «وَخَيْرُ مَتَاعِهَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ» التي تحفظ على الرجل فراشه وتطهّر النسب الذي يكون منه وتراقب مصالحه وتربي عياله وتراعى ماله، فهي خير المتاع الذي يقرّ به عينه.

وفائدة الحديث إعلام أنّ المرأة الصالحة من خير متاع الدنيا ونعيمها. وراوي الحديث عبد الله بن عمر.

قوله صلى الله عليه وآله: الْوَحْدَةُ خَيْرٌ مِنْ جَلِيسِ السّوءِ، وَالْجَلِيسُ الصَّالِحُ خَيْرٌ مِنَ الْوَحْدَةِ، وَإِمْلاءُ الخَيْرِ خَيْرٌ مِنَ السُّكُوتِ، وَالسُّكُوتُ خَيْرٌ مِنْ إمْلاءِ الشَّرِّ

يقال: هذا رجل سوء ثمّ يدخل عليه الألف واللام فيقال: هذا الرجل السوء أي سيّيء

١. قاله أرسطو للإسكندر؛ راجع: نثر الدرّ: ٢٣/٧؛ زهر الآداب: ٣٦٥/٢؛ الكشكول: ٥٦/٢.

٢. راجع: ديوانه: ١٢٢٠؛ التذكرة الحمدونيّة: ١٣٤/٣.

وهو من السيّئة ضدّ الحسنة.

يقول ﷺ: [«الْوَحْدَةُ خَيْرٌ مِنْ جَلِيسِ السّوءِ»] لأنّ الرجل وحده يذكر الله تعالى ويعبده ويقرأ القرآن ويشغل عن الذنوب والآثام خير له من أن يجالس من يرتضح[1] منه فساداً أو يسمعه ما لا يُرتضى أو يصدّه عن ذكر الله تعالى أو يدعوه إلى الدنيا أو إلى الفسق والفجور، ولو لم يكن للوحدة من الخير إلّا أن يكون الرجل مصدوداً عن أكثر الذنوب لكفى، وذلك أنّه إذا كان وحده استحال منه أن يكذب أو ينافق أو يسعى بشرّ أو يقتل أو يزني أو يشتم أو يغتاب.

ثمّ قال عليه السلام: «وَالْجَلِيسُ الصَّالِحُ خَيْرٌ مِنَ الْوَحْدَةِ» لأنّه يدعوه إلى كلّ خير وينهاه عن كلّ شرّ، فإن شرع في طاعة عاونه عليها وإن عرض له شغل سعى له فيه، وإن وقعت له واقعة تظافر معه وكان له كأخيه المشفق بل أبرّ وأرحم.

ثمّ قال عليه السلام: «وَإِمْلاَءُ الخَيْرِ خَيْرٌ مِنَ السُّكُوتِ»، والإملاء: الإمداد، وهو من الملاوة وهي المدّة من الزمان، وتملّيت به: تمتّعت زماناً، وملأه الله العمر، والملاء: الفلاة الممتدّة، والملوان: الليل والنهار، وأصل «م‌ل‌و»: الامتلاء فأمّا أمليت الكتاب فيجوز أن يكون من هذا ويجوز أن يكون من أمللت فخفّف كدسّاها من دسّسها. يقول عليه السلام: إمداد الكلام بمدد الخير خير من السكوت، والسكوت خير من إملاء الكلام بالشرّ. وقال الشاعر:

اهْرَبْ بِنَفْسِكَ وَاسْتَأْنِسْ بِوَحْدَة	تَلْقَ السَّعِيدَ إذَا مَا كُنْتَ مُنْفَرِداً
لَيْتَ الكلابَ لَنَا كَانَتْ مُجَاوِرَةً	وَأَنَّنَا لَا نَرَى مِمَّنْ نَرَى أَحَداً
إنَّ الكلابَ لَتَهْدَأُ فِي مَوَاطِنِهَا	وَالنَّاسُ لَيْسَ [لَهَا] بِهَادٍ شَرُّهُمْ أَبَداً[2]

وروي: «أنّ مالك بن دينار رُؤي عنده كلب رابض فقيل: ما هذا يا أبا يحيى؟ فقال: هذا

١. يعتذر.

٢. عن الشافعيّ، راجع: العزلة: ٥٦؛ طبقات الشافعيّة الكبرى: ٣٠٢/١؛ ديوانه: ٣٥؛ وراجع: معجم الأدباء: ٧/٣؛ العزلة والانفراد: ١٥٤.

خير من جليس السوء»[١].

[٤٦٨] وقال الشافعيّ: ما أشبه هذا الزمان إلّا بما قال تأبّط شرّاً*

عَوَى الذِّئْبِ فَاسْتَأنَسْتُ بِالذئبِ[٢] إذْ عَوَى وَصَوَّتَ إنسانُ فَكِدتُ أمُوتُ[٣]

وقيل للفضيل وهو مريض: ما تشتهي؟ قال: دوام هذا المرض وقيل: ولم ذلك؟ قال: لئلّا أصلّي في الجماعة قيل: ولم؟ قال: لئلّا أرى الناس.[٤]

وقال منصور الفقيه:

وحدةُ الإنسانِ خَيرٌ مِنْ جَليسِ السُّوءِ عِنْدَه

وَجَليسُ الخَيرِ خَيرٌ مِنْ جُلوسِ المَرْءِ وَحْدَه[٥]

وهو معنى كلام النبيّ عليه السلام.

وقيل لمكفوف: ألّا تفاتح عينيك؟ قال: لأفتحها على من. وقال:

إنّي لأفتحُ عَيني حينَ أفتَحُها عَلى كَثيرٍ ولكنْ لا أرى أحَداً[٦]

وفائدة الحديث التأديب بهذه الآداب وتعليم المكارم، وإعلام أنّ الوحدة أجدى من الجليس السيّئ والجليس الصالح خير من الوحدة، وقول الخير خير من السكوت عنه والسكوت خير من كلام يستملّ على شرّ. وراوي الحديث أبو ذرّ رضي الله عنه.

---

١. فضل الكلاب: ١٣؛ روضة العقلاء: ٨٢؛ أماليّ ابن سمعون: ١٣٨/٢.

٢. في خ: بالذنب.

٣. العزلة: ٥٦؛ بدائع السلك: ٤٤٩/٢؛ وراجع: الحيوان: ٣٧٩/١؛ الشعر والشعراء: ١٦٨؛ غريب الحديث للحربي: ٩٤٩/٣؛ في المصدر: فكدت أطير.

٤. العزلة: ٧٥.

٥. راجع: محاضرات الأدباء: ٢٩/٢؛ جمهرة الأمثال: ٣٣٠/٢.

٦. راجع: العقد الفريد: ١٤١/٢؛ العزلة: ٨١؛ مختصر تاريخ دمشق: ٢٧٤/٢.

قوله صلى الله عليه وآله: اسْتَتْمامُ المعْرُوفِ خَيرٌ مِنَ ابْتِدائِهِ

الاستتام: الإتمام، مثل الاستكمال: الإكمال.

فيقول صلى الله عليه وآله: لأن تستتمّ الخير الذي ابتدأت به وشرعت فيه خير من أن تبتدئه وتتركه أبتر منقوصاً، وذلك أنّك ما لم تبتدء بالخير والفضيلة لم يتقاض بالإتمام، وإذا تلبّست به ورسمت نفسك بالبداية تقوضيت بإتمامه، لأنّ الشروع ملزم وشيء آخر وهو أنّ الابتداء بما يخطر للنفس بهواها والإتمام من الحميّة فهو أصعب ما يخطر بالبال.

وفائدة الحديث إعلام أنّ إتمام الخير المشروع فيه خير من التلبّس به والشروع فيه. وراوي الحديث جابر بن عبد الله ــ رضوان الله عليه ــ.

قوله صلى الله عليه وآله: عَمَلٌ [قَلِيلٌ] فِي سُنَّةٍ خَيْرٌ مِنْ عَمَلٍ [كَثِيرٍ] فِي بِدْعَةٍ

البدعة ما لم يأت به صاحب الشريعة فورد بديعاً غريباً.

يقول صلى الله عليه وآله: العمل القليل على موجبه ما أسّسه صاحب الشرع عليه السلام وسنّه وبيّنه خير من عمل كثير يبتدع الإنسان من قبل نفسه ومنهاجه أو يقتدي بمبتدع، وفيه: أنّ العمل إذا لم يكن على ما سنّه الرسول صلى الله عليه وآله ليس بنافع، وذلك أنّ علم العبادات ينتهي إلى الله تعالى، فإذا بيّنها على لسان رسوله الذي لا ينطق عن الهوى لم يسع أحداً أن يبتدع غيره.

وقيل: الاتّباع خير من الابتداع.[1]

وروي: «كُلُّ مُحْدَثٍ بِدْعَةٌ وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ وَكُلُّ ضَلاَلَةٍ فِي النَّارِ»[2].

وفائدة الحديث إعلام أنّ العمل القليل على السنّة مقبول والكثير على البدعة مردود.

١. راجع: أصول السرخسي: ١/١٠؛ الفروق مع هوامشه: ٤/٣٤٨.

٢. في المصادر: محدثة؛ راجع: سنن النسائي: ١/٥٥٠، ح١٧٨٦؛ صحيح ابن خزيمة: ٣/١٤٣، ح١٧٨٥؛ كنز العمّال: ١١/٦، ح٣٠٤٠٥.

وراوي الحديث الحسن البصريّ.

قوله صلى الله عليه وآله: خِيارُكُمْ كُلُّ مُفَتَّنٍ تَوّابٍ

٤٦٩

الفتنة: الامتحان والاختبار، يقول: فتنت الذهب *والفضّة إذا أدخلتها النار لتعلم جودتها من ردائها. وقال الخليل: «الفَتْنُ الإحراق»[1]، قال الله تعالى: «يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ»[2]، وفضّة فتين: محرقة، ويقال للحَرّة فتين لأنّ حجارتها سود كأنّها أحرقت، وفتنته فافتتن أي فتن وأفتنته أيضاً، والفتنة: الشدّة في الأكثر يدفع إليها الإنسان، قال تعالى: «وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً»[3] والفاتن: المضلّ عن الحقّ، وفتّنته تفتيناً فهو مفتّن أي مفتون جدّاً، ويقال للذنب[4] الفتنة وللمذنب المفتتن والمفتون فإذا أريد المبالغة قيل المفتّن وهو الذي في الحديث.

يقول صلى الله عليه وآله: خياركم الذين إذا افتتنوا تابوا؛ وإنّما تطلق الفتنة على الذنب باعتبار أنّه يعبّر بها عن العذاب والشدّة، كما قال [تعالى]: «أَلا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا»[5] أي في العذاب والشدّة والذنب يؤدّي إلى ذلك، فيكون من باب إقامة المسبّب مقام السبب، وهو كثير؛ وهذا يدلّ على أنّ التوّاب[6] الذي يكثر الرجوع من الذنب من خيار الأمّة، والمصرّ على هذا المنهاج يكون شرّها، والخيار هاهنا ضدّ الإشرار، والخيار أيضاً الاسم من الاختيار، والمعنى: خياركم الذين إذا دُفعوا إلى مضائق الذنوب فاكتسبوها وارتكبوها تداركوا أنفسهم بالتوبة والإقلاع، فإنّ الله تعالى غفور رحيم. والمفتّن يجوز أن يكون كناية عن الكثير الذنوب وعن العظيم

١. راجع: مقاييس اللغة: ٤/٤٧٣؛ الصحاح: ٦/٢١٧٥.

٢. الذاريات: ١٣.

٣. الأنبياء: ٣٥.

٤. في خ: الذنب.

٥. التوبة: ٤٩.

٦. في خ: الثواب.

الذنب، وكذلك التوّاب يكون كثير التوبة والبليغ التوبة.

وفائدة الحديث إعلام أنّ التوّاب من الذنوب من خيار المسلمين لأنّه اشترى نفسه من شفا حُفرة من النار. وراوي الحديث أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ـ صلوات الله عليه ـ.

قوله صلى الله عليه وآله: خِيارُكُمْ أحْسَنُكُمْ قَضاءً

القضاء على معان، وهو هاهنا على معنى قضاء الدين.

يقول صلى الله عليه وآله: خياركم الذين إذا كان لأحد عليهم وفي ذمّتهم دين قضوه أحسن القضاء.

وروى البخاريّ لهذا الحديث سبباً في صحيحه وساق الإسناد إلى أبي هريرة، «أَنَّ رَجُلاً أَتَى رسولَ الله صلى الله عليه وآله يَتَقَاضَاهُ بَعِيراً لَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله: أَعْطُوهُ، فَقَالُوا: مَا نَجِدُ إِلَّا سِنّاً أَفْضَلَ مِنْ سِنِّهِ، فَقَالَ [الرَّجُلُ]: أَوْفَيْتَنِي أَوْفَاكُمُ اللهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله: أَعْطُوهُ، فَإِنَّ مِنْ خِيَارِ النَّاسِ أَحْسَنَهُمْ قَضَاءً»[1].

وروي: «خَيْرُكُمْ أَحْسَنُكُمْ قَضَاءً»[2]، و«خياركم» يكون الاسم من الاختيار.

وفائدة الحديث الحثّ على حسن القضاء. وراوي الحديث جابر بن عبد الله ورواه أبو هريرة.

قوله صلى الله عليه وآله: خِيارُ المؤْمِنِينَ القانِعُ وَشِرارُهُمُ الطّامِعُ

٤٧٠ *خيار جمع خير وشرار جمع شرّ على وزن خيار وفي مقابلته. وإنّما قال عليه السلام: القانع ولم يقل القانعون لأنّه جعله جنساً وكذلك الطامع، وهذا كقولك: جاء الحاجّ وإنّما تريد الحجّاج.

وروي: «خَيرُ المؤمِنِينَ القَانِعُ»[3].

---

١. صحيح البخاري: ٢/٨٤٣، ح٢٢٦٣.

٢. صحيح البخاري: ٢/٩٢٠، ح٢٤٦٥.

٣. الفردوس: ٢/١٧٧، ح٢٨٨٥؛ كنز العمّال: ٣/١٦٠، ح٧١٢٦.

يقولﷺ: خير المؤمنين من قنع بما رزقه الله ولم تشتره نفسه إلى ما زوي عنه، فإنّه عَزَّ وَجَلَّ أعلم بالعبد وما هو أصلح له في دينه ودنياه، فمن قنع بالميسور الذي أعطاه الله عاش حرّاً. ثمّ قال: «وَشِرَارُهُمُ الطَّامِعُ» لا[1] والطمع استشراف النفس إلى ما لم يؤتك الله، وتكلّف ما لم يؤتك الله سفه. ثمّ إنّ الطمع لا منتهى له.

وفائدة الحديث الحثّ على القناعة والنهي عن الطمع. [وراوي الحديث أبو هريرة.]

قولهﷺ: خيارُ أُمَّتِي عُلَمَاؤُهَا وخِيارُ عُلَمَائِهَا حُلَمَاؤُهَا

يقولﷺ: خير أمّتي العلماء الذين يعرفون الله بذاته وصفاته ويعرفون القرآن وتفسيره والشريعة والسنّة وما يجري مجرى ذلك من توابع العلوم، وبذلك حكم الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه بقوله ـ عزّ وعلا ـ: «هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ»[2]. ثمّ قال عليه السلام: وخير العلماء الحكماء الذين يحتملون المكروه ولا يطيشون، ويزينون علمهم بحلمهم، أولئك خيار الناس.

وفائدة الحديث الحثّ على تحصيل العلم وتزيينه بالحلم. وراوي الحديث ابن عمر، وتمام الحديث: «ألا! وَإِنَّ اللهَ يَغْفِرُ لِلْعَالِمِ الرَّحِيمِ أَرْبَعِينَ ذَنْباً قَبْلَ أَنْ يَغْفِرَ لِلجَاهِلِ الْبَذِيءِ ذَنْباً وَاحِداً، وَإِنَّ الْعَالِمَ الرَّحِيمَ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَنُورُهُ قَدْ أَضَاءَ، فَيَسِيرُ فِيهِ كَمَا يَسِيرُ الْكَوْكَبُ[3] الدُّرِّيُّ»[4].

---

١. كذا في خ، ولعلّ الصواب زيادة «لا».

٢. الزمر: ٩.

٣. كذا في المصدر، وفي خ: الكواكب.

٤. مسند الشهاب: ٢/٢٤١، ح١٢٧٦.

قوله صلى الله عليه وآله: خيارُ أُمَّتِي أحِدَّاؤهَا الَّذِينَ إذا غَضِبُوا رَجِعُوا

أحدّاء جمع حديد. يقول: حدّ على زيد يحدّه حدّةً وحدّاً عن الكسائي، واحتدّ من الغضب، والوصف بالحدّة وصف بالصدق والصحّة والحرّيّة، لأنّ الصادق النفس لا يستطيع مصابرة الباطل فإذا قهر نفسه وغلبها وقمع هواها وراجع الاستصلاح كان مجاهداً لنفسه، فلذلك قال عليه السلام: «خيارُ أُمَّتِي الأحِدَّاء الَّذِينَ إذا غَضِبُوا رَجِعُوا». وراوي الحديث أمير المؤمنين عليه السلام.

قوله صلى الله عليه وآله: أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ اللسانُ

صدقة اللسان إشارة إلى بذل الجاه في الشفاعة لمن آواه[1] أوبقته محنة أو شملته فتنة، فإذا شفع في بابه واستخلصه كان ذلك من أفضل الصدقة؛

وهذا مرويّ في الحديث قيل: «يَا رَسُولَ اللهِ! مَا صَدَقَةُ اللِّسَانِ؟ قَالَ: الشَّفَاعَةُ تَفُكُّ بِهَا الأَسِيرَ، وَتَحْقِنُ بِهَا ٭الدِّمَاءَ، وَتَجُرُّ بِهَا الْمَعْرُوفَ [وَالإحْسَانَ] إِلَى أَخِيكَ، فَتَدْفَعُ عَنْهُ الْكَرِيهَةَ»[2]. ٤٧١

وفائدة الحديث الحثّ على الشفاعة لأخيك المؤمن. وراوي الحديث سمرة بن جندب.

قوله صلى الله عليه وآله: أفْضَلُ الصَّدَقَةِ إصْلاحُ ذاتِ البَيْنِ

قد تقدّم الحديث في ذات البين، ومعنى ذات البين الرجلين والقبيلتين أو الرجل وأهله.

فيقول صلى الله عليه وآله: السعي في إصلاح ما بين المتهاجرين من أفضل الصدقة، أي يكتب للساعي ثواب أفضل الصدقات؛ و«البين» هنا الوصل كالذي في قوله تعالى: «لَقَدْ تَقَطَّعَ

---

١. في خ غير واضحة.

٢. المعجم الكبير: ٢٣٠/٧، ح ٦٩٦٢؛ مسند الشهاب: ٢٤٣/٢، ح ١٢٧٩؛ كنز العمّال: ١٨٠/٦، ح ١٦٣٦٠.

بَيْنُكُمْ»[١] بالرفع، وهو حينئذٍ يكون اسماً صريحاً معرباً مغاير البين الطرفيّة وسمّيت، و«الذات» عبارة عن النفس كأنّه إصلاح نفس الوصل الذي دبّ إليه الفساد.

وقال الشاعر:

إنّ المكارمَ لو نقضتْ جميعُها ... رجعتْ بِجُملَتِها إلى شيئينِ

تعظيمُ ذكرِ الله جلَّ جَلاله ... والسَّعيُ في إصلاحِ ذاتِ البَينِ[٢]

وفائدة الحديث الحثّ على إصلاح ذات البين ما بين المتهاجرين وذمّ القطعيّة بالسعي الجميل. وراوي الحديث عبد الله بن عمرو.

قولهﷺ: أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ عَلى ذِي الرَّحِمِ الْكَاشِحِ

الرَحم: القرابة وكذلك الرِحم، والكاشح: الذي يضمر لك العداوة يقال: كشح له بالعداوة وكاشحه.

يقولﷺ: أفضل الصدقة أن تتصدّق على قرابتك الذي يعاديك ويضمر لك الشرّ، وذلك أنّه لا شيء أحسن من مقابلته القبيح بالحسن.

وقال: «لا شيء أحسن من حانٍ على جانٍ»[٣]، لأنّه يرتكب المحظور فيك وتأتي المسنون والمفروض فيه.

وفي كلام للحسن البصريّ وقد قيل إنّ فلاناً يتبّع أحوالك فقال: «إنَّا لا نُكَافِئُ مَنْ عَصَى اللهَ فِينَا بِأَكْثَرَ مِنْ أَنْ نُطِيعَهُ فِيهِ»[٤].

وقال عليه السلام ذلك لأنّ التحاسد في الأقارب أشدّ والتنافر فيهم أكثر.

---

١. الأنعام: ٩٤.

٢. قاله محمّد بن أيمن الرُهاوي، راجع: يتيمة الدهر: ٥/ ٤٠؛ المحمّدون من الشعراء: ٤٢؛ الفروق مع هوامشه: ٨/٤.

٣. قاله أبو فراس الحمداني، راجع: يتيمة الدهر: ٧٤/١؛ شعب الإيمان: ٣٢٩/٦، ح ٨٣٧٩؛ ديوانه: ٣٧٢.

٤. راجع: العقد الفريد: ١٢٤/٢؛ حلية الأولياء: ١١٣/٥؛ شعب الإيمان: ٣٤٧/٦، ح ٨٤٦٤.

وفائدة الحديث التصدّق على القريب وإن كان عدوّاً. وراوية الحديث أمّ كلثوم بنت شيبة.

قوله صلى الله عليه وآله: أَفْضَلُ العِبَادَةِ انتِظَارُ الفَرَجِ

يقول صلى الله عليه وآله: أفضل العبادة أن يصبر الإنسان على المحنة التي تنزل به والواقعة [التي] تبتلى بها ولا يجزع، مستمسكاً بحبل الله الذي لا ينجذم[1] وعروته الذي لا تنقصم، إنّ انتظار الفرج بالصبر عبادة.

وأنشد أبو العبّاس ثعلب:

إلى اللهِ كُلُّ الأمرِ فِي الخَلْقِ كُلِّهِ ... وَلَيسَ إلى المخلوقِ شَيء مِنَ الأمْرِ

إذَا أَنَا لَمْ أَقْبَلْ مِنَ الدَّهْرِ كُلَّمَا ... تَكَرَّهْتُ مِنْهُ طَالَ عُتْبِي عَلَى الدَّهْرِ

وَوَسَّعَ صَدْرِي لِلأَذَى كَثْرَةُ الأَذَى ... فَقَدْ كُنْتُ أَحْيَاناً يَضِيقُ بِهِ صَدْرِي

وَصَيَّرَنِي يَأْسِي مِنَ النَّاسِ رَاجِياً ... لِحُسنِ صَنِيعِ اللهِ مِنْ حَيْثُ لا أَدْرِي

تَعَوَّدْتُ مَسَّ الضُّرِّ حَتَّى أَلِفْتُهُ ... *وَأَخْرَجَنِي حُسنُ الْعَزَاءِ إِلَى الصَّبْرِ[2]

٤٧٢

وأنشد أبو الفرج الببغاء[3]:

وللهِ في أثناءِ كُلِّ ملمّة ... وَإنْ آلمت لُطف يَحُضُّ عَلَى الشّكرِ

فَكَمْ فرج واليأسُ يَحجبُ دُونَهُ ... أتاكَ بِهِ المقدارُ مِنْ حيثُ لَا تَدري[4]

وللحاتمي ـ هو أبو عليّ الحاتميّ البغداديّ وهو الحسن بن محمّد بن المظفّر ـ:

---

١. ينقطع.

٢. راجع: زهر الآداب: ٩٥/١؛ شعب الإيمان: ٢٢٦/٧، ح١٠١٠٣؛ تاريخ مدينة دمشق: ٤٥٠/٦٠؛ كذا في المصادر، وفي خ جاء بالبيت الأخير في إنشاد أبو الفرج الببغاء.

٣. هو عبد الواحد بن نصر بن محمّد المخزومي النصيبي(ت٣٩٨)؛ راجع: سير أعلام النبلاء: ٩١/١٧؛ الأعلام: ١٧٧/٤ .

٤. راجع: الفرج بعد الشدّة للتنوخي: ٧٥/٥.

مَــا قَــادَني طَــمَعٌ يَـوماً إلى طَـبَعٍ وَلَا ضَـرعتُ إلى خَـلق مِـنَ البَـشَرِ
وَلَا أعـتَصمتُ بِحبلِ الصَّبرِ مُعتمداً عَـلى المـهيمنِ إلّا فُـزتُ بِـالظَـفَرِ [١]

وفائدة الحديث الحثّ على انتظار الفرج بالصبر. وراوي الحديث أنس بن مالك.

قوله ﷺ: أَفْضَلُ عِبَادَةِ أُمَّتي قَرَاءَةُ القُرآنِ

يقول ﷺ: أفضل العبادة قراءة القرآن، ولا يعني بذلك أن يهدّه هذا لِدَقَل [٢]، بل الغرض بذلك من يقرأه بتدبّر وترتيل وتحقيق ثمّ يعرف تفسيره ووجوهه المنزل عليها ثمّ يعمل بما فيه، فإذا فعل ذلك كان من أعبد الأمّة، لأنّ من دون ذلك لا يكون له ثواب بلى [٣] ولكن يقدر ذلك، ولذلك قال تعالى: «الَّذينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ أُولئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ» [٤]. أي يتّبعونه بالعلم والعمل.

وفائدة الحديث الحثّ على قراءة القرآن وعلمه والعمل بما فيه. وراوي الحديث النعمان بن بشير.

قوله ﷺ: أَفْضَلُ الحَسَنَاتِ تَكْرِمَةُ الجُلَسَاءِ

الحسنات: الأفعال الحسنة، والتكرمة تفعلة بمعنى التكريم والإكرام، والجلساء جمع جليس وهو المجالس وفعيل بمعنى مفاعل كثير كالضجيع والعشير والسمير.

يقول ﷺ: أفضل الأفعال الحسنة تكرمة من تجالسه من المؤمنين احتراماً لأخيك المؤمن، وكانت العرب يتعصّبون للجليس؛

١. الفرج بعد الشدّة للتنوخي: ٧٦/٥.
٢. الدقل من التمر: أردأ أنواعه.
٣. كذا في خ.
٤. البقرة: ١٢١.

وروي أنّه قدم مطّبخ كثير إلى النعمان من قلقه فتلطّخ به، وكان عنده مضحك فضحك منه سخريّة فغضب النعمان، وقال: أوبجليسي أحرقا صليفيه، فأحرقوا صليفيه بالشمعة.[١] والصليف: عُرض العنق من الجانبين وهما صليفان.

وقال شاعرهم:

وكُنْتُ جَلِيسَ قَعْقاعِ بنِ شَوْرٍ ... ولا يَشْقَى بِقَعْقَاعٍ جَلِيسُ

ضَحُوكُ السِّنِّ إنْ نطقوا بِخَيْرٍ ... وعِنْدَ الشَّرِّ مِطْراقٌ عَبُوسُ[٢]

وهذا إنسان كان جليساً مع القعقاع عند بعض الملوك، فأهديت إليه جامات ذهب، فأعطاها ندماؤه فرّقهم بينهم ولم يعط هذا الشاعر، فنظر القعقاع إليه واستحيى جامه فقال ذلك.

وفائدة الحديث الأمر بإكرام الجلساء. وراوي الحديث عبد الله بن مسعود.

قولهﷺ: أَفْضَلُ الجِهَادِ كَلِمَةُ حَقٍّ عِنْدَ أَميرٍ جائِرٍ

هذا إذا علم أنّ ذلك لا يؤدّي إلى إتلافه أو إهلاكه أو إهانته إهانةً مخزيةً، لأنّ النبيّﷺ يقول: «ليسَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يُذِلَّ نَفْسَهُ»[٣] بل إن كان يعلم أنّ كلمته نافعة وإن كان يغضب عليه غضباً غير *مهلك ولا مذلّ فإنّها من أفضل الجهاد، وإنّما صارت من أفضل [٤٧٣] الجهاد لأنّ المجاهد الذي يكافح خصمه منغمساً في حرّ المِصَاع يترجّح بين الفوز بخير الدنيا والآخرة وإن يرتدّ سليماً وإن كان يجوز أن يستشهد، والذي يكادح الأمير الجائر بكلمة حقّ تغضبه فإنّه إلى الإهلاك في الحال أو إضمار سوء عظيم عليه وإن لم ينله في الوقت

١. راجع: جمهرة أشعار العرب: ٥٢؛ تاريخ مدينة دمشق: ٢٢٨/١٩.

٢. راجع: حماسة الظرفاء: ٣٧؛ تاريخ مدينة دمشق: ٣٥٠/٤٩؛ المستطرف: ٢٦٨/١.

٣. راجع: مصنّف عبد الرزّاق: ٣٤٨/١١، ح٢٠٧٢١؛ المعجم الكبير: ٤٠٨/١٢، ح١٣٥٠٧؛ مسند الشهاب: ٥١/٢، ح٨٦٦.

أقرب، فأمره صعب وجهاده هائل وخوفه فوق خوف القرن لغلبة الأمير الجائر وقهره وسياسته؛ فأمّا قوله تعالى لموسى وهارون عليهما السلام: «فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً» [١]، فإنّما بالكلام الليّن والرفق والمساهلة، لأنّ صاحبهما كان أغنى من ذلك، وأيّ أمير جائر يدّعي الألوهيّة فإذا كان كذلك فبطشه أغلب وهو إلى التنكيل أقرب.

وقال وهب بن منبّه: «لَمّا بَعَثَ اللهُ مُوسَى وَهَارُونَ عليهما السلام إِلَى فِرْعَوْنَ قَالَ: لا يَرُوعُكُما لِبَاسُهُ الَّذِي يَلبِسُ مِنَ الدُّنْيَا ؛ فَإِنَّ نَاصِيَتَهُ بِيَدِي، لَا يَنْطِقُ وَلا يَتَنَفَّسُ إِلّا بِإِذْنِي» [٢].

وروي أنّ بعض الزهّاد دخل على هارون الرشيد فقال: يا أمير المؤمنين! هل يستطيع أن تسمع منّي كلاماً خشناً؟ قال: لا، فإنّ الله تعالى بعث من هو خير منك إلى من هو شرّ منّي فقال: «فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً» [٣].

وقال بعض ملوك بني أميّة لأبي حازم: «ما النجاة من هذا الأمر الذي نحن فيه؟ قال: شيئان: لا تأخذه إلّا بحقّه ولا تضعه إلّا بحقّه. قال: ومن يطيق ذلك يا أبا حازم؟ قال: من طلب النجاة وهرب من النار» [٤]. وعلى الجملة فالفرار منهم أصوب.

وقال الخليل بن أحمد وقد دعاه بعض الأمراء فأبى وأنشد:

وإذا أكَلْتُ كَسيرَتي ... وَشَرِبْتُ مِنْ مَاءِ الغَدِيرِ

فَأنَا الخَلِيفَةُ لَا الذي ... يَعْلَى بِهِ فَوقَ السَّرِيرِ [٥]

وقال عبد الله بن المبارك:

قَدْ أرَحْنا وَاسْتَرَحْنَا ... مِنْ غُدُوٍّ وَرَوَاح

---

١. طه: ٤٤.

٢. الأولياء: ٤٧، ح١١٥؛ تاريخ مدينة دمشق: ٦٠/٦١؛ شرح نهج البلاغة: ١٣١/١٩.

٣. نثر الدرّ: ٦٦/٣؛ محاضرات الأدباء: ١٦٨/١؛ التذكرة الحمدونيّة: ١٨٤/٧؛ والآية في طه: ٤٤.

٤. الإمامة والسياسة: ٢٦٤/٢؛ البصائر والذخائر: ١٦٦/٣؛ شعب الإيمان: ٢٨/٦، ح٧٤٠٦.

٥. راجع: رسائل الثعلبي: ٢٧.

وَاتّـــــصَالٍ بِـــــأَمِيرٍ	وَوَزِيـــــــر ذِي سَمَاح
بِـــكَفافٍ وَعَـــفَافٍ	وَقُـــنوعٍ وصَـــلاح
وَجَـعَلْنَا اليَـأْسَ مِـفْتَا	حاً لِأَبـوابِ النَـجَاحِ[١]

قد جاء القنوع بمعنى القناعة.

وفائدة الحديث إعلام أنّ إسماع الأمير الجائر الكلمة من الحقّ من أعظم الجهاد. وراوي الحديث أبو سعيد الخدريّ.

قوله صلى الله عليه وآله: أَفضلُ الْفَضائِل أنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ وتُعْطِيَ مَنْ حَرَمكَ وتَصْفَحَ عمَّنَ ظَلَمَكَ

الفضيلة: الفضل بإزاء التقصير النقص.

فيقول صلى الله عليه وآله: أفضل الفضائل أن تعامل بأحسن ممّا تعامل به فتقابل القطع بالوصل والحرمان بالعطاء والعفو بالظلم، وهذه مكارم الأخلاق، والصفح: العفو، يقال: صفح عنه إذا عفا عنه.

يقول صلى الله عليه وآله: إذا جزيت ❊السيّئة بالسيّئة فقد أتيت بمثل ما أتى به صاحبك ممّا تذمّه عليه [٤٧٤] وإن كان البادئ أظلم، ولكن على الجملة حصل منك ما حصل منه من السوء، والكرم لا يفتي بذلك، بل ينبغي أن تجازى السوء بالإحسان والذنب بالغفران والمنع بالإعطاء واللؤم بالسخاء.

وفائدة الحديث الأمر بمقابلة كلّ قبيح تعامل به بحسن تمسّكاً بطلب الأحسن الأفضل. وراوي الحديث سهل بن معاذ.

قوله صلى الله عليه وآله: أَفْضَلُ العِبادَةِ الفِقْهُ وأَفْضَلُ الدِّينِ الوَرَعُ

أفصح صلى الله عليه وآله أنّ الفقه عبادة، وصحّ منه أنّ العلم بنفسه عمل، والفقه الفهم، وصار في

---

١ . راجع: البصائر والذخائر: ١٧٦/٢؛ شرح نهج البلاغة: ١٠٩/١٩ـ١١٠.

الاصطلاح اسماً للعلم بأحكام الشريعة، يقال: فقِه يفقَه، ولم يكن فقيهاً ففقه؛ والورع: التقوى وضبط النفس عن القبائح، يقال: ورِع يرِع ـ بالكسر فيهما ـ ورعاً ورَعِةً، وفلان حسن الرعة أي متّق في الغاية، وتورّع: تحرّج.

فيقول ﷺ: الفقه أفضل العبادة، وذلك أنّه لا تكون عبادة بغير فقه عبادة والفقه بغير عبادة عبادة، فهو أفضل؛ وأفضل الدين الورع، أي التقوى أحسن الخصال التي يتحلّى الدين ويتزيّن.

وفائدة الحديث تفضيل علم الفقه والورع، وما أحسنهما إذا اجتمعا. وراوي الحديث ابن عبّاس وعبد الله بن عمر.

قوله ﷺ: العِلمُ أَفْضَلُ مِنَ العِبَادَةِ

هذا الحديث كالذي قبله، وقوله عليه السلام: «أفضل من العبادة» أي أكثر وأزيد، والمعنى بالفضل هنا الثواب، فكأنّه يقول: ثواب العلم أكثر من ثواب العبادة.

وروي عن عمر بن الخطّاب رفعه إلى النبيّ ﷺ: إنّ الفقيه أشدّ على الشيطان من ألف ورع وألف مجتهد وألف متعبّد، وإنّ طير السماء وحيتان البحر يصلّون على معلّم الخير ومتعلّمه.[١]

وعن ابن عبّاس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: «مَنْ تَعَلَّمَ بَاباً مِنَ الْعِلْمِ عَمِلَ بِهِ أَوْ لَمْ يَعْمَلْ [بِهِ] كَانَ أَفْضَلَ مِنْ صَلاةِ أَلْفِ رَكْعَةٍ، وَإِنْ عَمِلَ بِهِ أَوْ عَلَّمَهُ كَانَ لَهُ ثَوَابُهُ وَثَوَابُ مَنْ يَعْمَلُ بِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»[٢].

وروى أبو سعيد الخدريّ عن النبيّ ﷺ: فضل العالم على العابد كفضل أمّتي على الأمم،[٣] أو كما قال.

١. حديث أبي الفضل الزهري: ٤٣٦/١؛ وراجع: الفقيه والمتفقّه: ١٢٤/١؛ وراجع: تاريخ جرجان: ٦٣.

٢. تاريخ بغداد: ٥٠/٦، ح ٣٠٧٤؛ الفردوس: ١٩٠/١، ح ٧١٢؛ كنز العمّال: ٧١/١٠، ح ٢٨٨٥٢.

٣. في المصادر: فضل العالم على العبد كفضل القمر على سائر الكواكب» أو قريب بهذا الفظ، راجع: سنن أبي داود: ٣١٧/٣، ح ٦٤١؛ سنن ابن ماجه: ٨١/١، ح ٢٢٣؛ كنز العمّال: ٦٧/١٠، ح ٢٨٧٩٥؛ أو «فضل العالم على ←

وروى أبو هريرة عن النبيّ صلى الله عليه وآله: من تعلّم باباً من العلم كان أفضل من سبعين غزوةً في سبيل الله.[١]

وعن عائشة قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «مَنِ انْتَقَلَ لِيَتَعَلَّمَ عِلْماً غُفِرَ لَهُ قَبْلَ أَنْ يَخْطُوَ».[٢]

وفائدة الحديث الحثّ على العلم. وراوي الحديث ابن عبّاس.

قوله صلى الله عليه وآله: مَا مِنْ عَمَلٍ أَفْضَلُ مِنْ إِشْبَاعِ كَبِدٍ جَائِعَةٍ

٤٧٥

وقد ورد في الحديث: إنّ إشباع الغرثان المؤمن *من موجبات المغفرة.[٣]

فيقول صلى الله عليه وآله: ليس عمل أفضل من أن تشبع مسلماً جائعاً، ولتعظيم أمر الطعام ذكر في القرآن الكريم فضل أهل البيت عليهم السلام حيث يقول ـ عزّ وعلا ـ: «وَيُطْعِمُونَ الطَّعامَ عَلى حُبِّهِ مِسْكيناً وَيَتيماً وَأَسيراً إِنَّما نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لا نُريدُ مِنْكُمْ جَزاءً وَلا شُكُوراً»[٤]، وذلك أنّ أمير المؤمنين وفاطمة عليهما السلام آثرا وجاريتهما الفضّة المسكين واليتيم والأسير بأقراص شعير على أنفسهما ثلاث ليال وطؤوا مفطرين على الماء البحت القصّة. وبالعكس من ذلك «كَلاَّ بَلْ لا تُكْرِمُونَ الْيَتيمَ وَلا تَحَاضُّونَ عَلى طَعامِ الْمِسْكينِ»[٥].

وفائدة الحديث الأمر بإطعام الطعام. وراوي الحديث أنس بن مالك.

← غيره كفضل النبيّ على أمّته»، راجع: كنز العمّال: ١٠/١٥٦، ح٢٨٧٩٥؛ جامع الأحاديث: ٥/٢٦٩، ح١٤٧٧٦.

١ . راجع: الفقيه والمتفقّه: ١/١٠٢؛ مفتاح دار السعادة: ١/١١٨.

٢ . جامع الأحاديث: ٤/٥٢٢، ح٢٠٣٩٦؛ كنز العمّال: ١٠/٦٨، ح٢٨٨١٦.

٣ . في المصادر: «مِنْ مُوجِبَاتِ الْمَغْفِرَةِ إِطْعَامُ الْمُسْلِمِ السَّغْبَانِ»؛ راجع: الكافي: ٢/٢٠١؛ وراجع: الزهد لابن السريّ: ١/٣٤٣، ح٦٣٤؛ المستدرك: ٢/٥٧٠، ح٣٩٣٥؛ كنز العمّال: ٦/١٨١، ح١٦٣٧٢.

٤ . الإنسان: ٨ ـ ٩.

٥ . الفجر: ١٧ ـ ١٨.

قوله ﷺ : مَا تَقَرَّبَ الْعَبْدُ إِلَى اللهِ بِشَيْءٍ أَفْضَلَ مِنْ سُجُودٍ خَفِيٍّ

السجود: التطامن والتذلّل،

بخيل تضلّ البَلْقُ في حَجَرَاتِهِ ترى الأكمَ فِيهِ سُجّداً لِلْحَوافِرِ[١]

وحبسه الشرع على الهيأة المخصوصة في الصلاة، والسجود غاية الخضوع. وروي: «أقرب ما يكون العبد من ربّه إذا سجد»[٢]. ولذلك قال ـ عزّ وعلا ـ: «وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ» [٣]. فيجوز أن يريد بذلك السجود المجرّد، ويجوز أن يكون السجود عبارة عن الصلاة لأنّها مشتملة على السجود كقوله تعالى: «وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبارَ السُّجُودِ» [٤] أي إدبار الصلوات؛ واشترط عليه السلام الخفيّة لأنّها أقرب إلى الإخلاص وأعرق في التضرّع وأبعد من الرياء، سواء كان السجود سجوداً مجرّداً أو صلاةً، ولا يبعد أن يكون ذلك كناية عن الصلاة التي هي سرّ العبد مع الله تعالى؛ والليل أخفى للصلاة.

وروي أنّ الخليل بن أحمد الفرهوذيّ[٥] رئي بعد موته في المنام فسئل: ما فعل الله بك؟ قال: طاحت الإشارات وبطلت العبارات وما نفعنا إلّا ركعات في جوف الليل.[٦]

ولا يبعد أن يعني عليه السلام بالسجود سجدات القرآن فقد روي عن النبيّ عليه السلام: «إِذَا قَرَأَ ابْنُ آدَمَ السَّجْدَةَ فَسَجَدَ، اعْتَزَلَ الشَّيْطَانُ فَبَكى، وَقَالَ: وَيْلٌ لَهُ، وَيْلٌ لَهُ، أُمِرَ هَذَا بِالسُّجُودِ،

---

١. راجع: غريب الحديث لابن سلام: ١٤٨/٤؛ الزاهر في معاني كلمات الناس: ٤٧/١؛ ديوان المعاني: ٦٩/٢؛ معجم ما استعجم: ١١٨١/٤.

٢. راجع: الكافي: ٤٨٣/٢؛ وراجع: الزهد لابن المبارك: ٤٥٦/١، ح١٢٨٨؛ مسند أحمد: ٤٢١/٢، ح٩٤٤٢.

٣. العلق: ١٩.

٤. ق: ٤٠.

٥. كذا في خ، ولعلّ الصواب: الفراهيدي.

٦. راجع: قوت القلوب: ٢٢٩/١؛ شعب الإيمان: ١٧٢/٣، ح٣٢٥٦؛ تاريخ بغداد: ٢٤٨/٧؛ محاضرات الأدباء: ٤٦٣/٢؛ حلية الأولياء: ٢٥٧/١٠.

فَأَطَاعَ اللهَ، فَلَهُ الْجَنَّةُ، وَأُمِرْتُ بِالسُّجُودِ، فَعَصَيْتُ، فَلِيَ النَّارُ»[١].

وقيل لعبد الله بن عمر : «أَطُولُ الرُّكُوعِ فِي الصَّلاةِ أَفْضَلُ [فِي الْقِيَامِ]، أَمْ طُولُ السُّجُودِ؟ فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي ! خَطَايَا ابن آدم فِي رَأْسِهِ، وَإِنَّ السُّجُودَ يَحُطُّ الْخَطَايَا»[٢].

قال الله تعالى: «وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ»[٣] ويجوز أن يريد بذلك سجدة الشكر.

وفائدة الحديث الحثّ على السجود والصلاة خفيّةً. وراوي الحديث صهيب الروميّ.

قوله صلى الله عليه وآله : مَا نَحَلَ وَالِدُ وَلَدَهُ أَفْضَلَ مِنْ أَدَبٍ حَسَنٍ

يقال: نحله ينحله نحلاً إذا أعطاه، والنُحلى: العطيّة، ونحلت المرأة إذا أعطيتها مهرها عن طيب قلب أنحلها نحلةً. ❋والأدب هنا أدب النفس وهو تدريب النفس على الأفعال الحسنة، ويقال للغة العربيّة أدب لأنّه سلّم إلى معرفة العلوم والآداب فهو من تسمية المسبّب باسم السبب. ٤٧٦

فيقول صلى الله عليه وآله : ما أعطى والد ولده ــ ولو أعطاه ملك الدنيا ــ أفضل وأحسن من أدب حسن يعايش به الناس ويصون به عرضه فيما بينهم.

وقيل: الأدب على الآباء والصلاح على الله.[٤]

وقال عليه السلام : «لأَنْ يُؤَدِّبَ أَحَدُكُمْ وَلَدَهُ، خَيْرٌ [لَهُ] مِنْ أَنْ يَتَصَدَّقَ كُلَّ يَوْمٍ بِ[نِصْفِ] صَاعٍ»[٥].

وروي أنّ فاطمة الزهراء ــ صلوات الله عليها وعلى أبيها ــ أتت بالحسن والحسين

١ . الزهد لابن المبارك: ٣٤٩/١، ح ٩٨١؛ صحيح مسلم: ٨٧/١، ح ٨١؛ جامع الأحاديث: ٢٤٩/١، ح١٦٦٦.

٢ . الزهد لابن المبارك: ٤٥٧/١، ح ١٢٩٥؛ تعظيم قدر الصلاة: ٣٢٢/١، ح ٣٠٤؛ شرح السنّة: ١٥٢/٣، ح٥٥٨.

٣ . العلق: ١٩.

٤ . راجع: العيال: ٥٣٦/١، ح٣٥٧؛ تهذيب الكمال: ١٠٢/٣١.

٥ . مكارم الأخلاق للطبرسي: ٢٢٢؛ وراجع: مسند أحمد: ٩٦/٥، ح٢٠٩٣٨؛ المعجم الكبير: ٢٤٦/٢، ح٢٠٣٢؛ كنز العمّال: ١٩١/١٦، ح٤٥٤٣؛ في الأخير: «بصاع»، نقلاً عن العسكريّ في الأمثال.

النبيّ صلى الله عليه وآله فقالت: يا نبيّ الله! انحلها، فقال: نحلت هذا الكبير المهابة والحكم ونحلت الصغير المحنة والرضا.[١]

وإنّما فضّل صلى الله عليه وآله الأدب على المال لأنّ الأدب يكسب المال لا المال يكسب الأدب، وأيضاً فإنّ المال على مدرجة الزوال والذهاب والأدب يبقى مع الولد إلى وقت مفارقة الروح الجسد فهو أبقى وأنفع.

ويقال: من أراد أن يرغم حاسده فليؤدّب ولده.[٢]

وقال الشاعر:

إذا شِئتَ أنْ تَلقى عَدُوَّكَ رَاغِماً وَتَقْتُلَهُ غَمّاً وَتَحرُقهُ هَمّاً

فَسَام العُلى وَازْدد مِنَ الفَضْلِ إنَّهُ مَن ازدَادَ عِلماً زَادَ حَاسِدُهُ غَمّاً[٣]

وكتب عمر إلى الشام: «عَلِّمُوا أَوْلادَكُمُ السِّبَاحَةَ وَالْفُرُوسِيَّةَ وَالرَّمْيَ»[٤].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: من حقّ الولد على الوالد ثلاثة: أن يعلّمه الكتابة والحساب والعربيّة.[٥]

وقال عليه السلام: «من حقّ الولد على الوالد أن يحسن اسمه إذا ولد وأن يعلّمه الكتابة إذا عقل ويزوّجه إذا كبر»[٦].

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: جاء رجل إلى النبيّ صلى الله عليه وآله بابن له فقال: إنّ هذا ابني،

---

١. راجع: شرح الأخبار: ٣/١٠١؛ الخصال: ٧٧؛ وراجع: أنساب الأشراف: ١/٣٨٢؛ نثر الدرّ: ١/١٢٩؛ الفردوس: ٤/٢٨٠، ح ٦٨٢٩؛ تاريخ مدينة دمشق: ١٤/١٢٨ـ١٢٩؛ كنز العمّال: ١٣/٢٨٨، ح ٣٧٧١٣.

٢. لباب الحديث: ٦٢.

٣. قاله أبو الفتح البستيّ، راجع: التذكرة السعديّة: ٣٩.

٤. عيون الأخبار لابن قتيبة: ٢٠٠؛ كنز العمّال: ٤/٢٠٠، ح ١١٣٨٦.

٥. في المصادر: الكتابة والسباحة والرمي، راجع: شعب الإيمان: ٦/٤٠١، ح ٨٦٦٥؛ سنن البيهقي: ١٠/١٥، ح ١٩٥٢٦؛ كنز العمّال: ١٦/١٨٤، ح ٤٥٣٤٠.

٦. راجع: مسند البزار: ١٥/١٧٦، ح ٨٥٤٠؛ البرّ والصلة: ٨١، ح ١٥٥؛ كنز العمّال: ١٦/١٧٣، ح ٤٥١٩١.

علّمته الكتابة، ففيم أسلمه؟ قال: سلّمه لله ولا تسلّمه في خمسة أشياء: لا تسلّمه أكفانيّاً ولا حناطاً ولا جزّاراً ولا صائغاً ولا نخّاساً، فأمّا الأكفانيّ فهو يتمنّى لأمّتي الموت والمولود من أمّتي أحبّ إليّ من الدنيا، وأمّا الحنّاط فلئن يأتي الله زانياً أو شارب خمر خير له من أن يلقى الله وقد حبس طعاماً أربعين يوماً ـ أو قال ليلةً ـ، وأمّا الجزّار فإنّه يذبح حتّى تذهب الرحمة من قلبه، وأمّا النخّاس فإنّ جبرئيل عليه السلام قال: شرّ أمّتك الذين يبيعون [الناس]، وأمّا الصائغ فإنّه يزيّن لأمّتي الدنيا.[1]

وفائدة الحديث الحثّ على تأديب الأولاد. وراوي الحديث أيّوب بن موسى القرشيّ عن أبيه عن جدّه.

قوله صلى الله عليه وآله: أحَبُّ العِبادِ إلى الله الأتْقِياءُ الأخْفِيَاءُ

٤٧٧ يقال: أحبّه يحبّه، وحبّه يحبّه، وهو من الشواذّ، لأنّ فعل يفعل من المضاعف *بكسر العين لا يكون إلّا ويشاركه يفعل بضمّ العين فشذّت هذه فحسب، وحَبُب: صار محبوباً بالضمّ ويقال: ما كنت حبيباً، ولقد حبِبت ـ بكسر الباء ـ فقوله عليه السلام: «أحبّ العباد» إن كان من حبُب فهو على بابه، وإن كان من حبّه يحبّه فهو غريب غير مقيس لأنّه لا يبنى للمفعول بناء المبالغة، لا يقال: من ضرب زيد أضرب من عمرو، ولا من شتم بكر أشتم من خالد، إلّا أحرفاً شاذّةً جاءت على غير القياس، كقولك من يسعد فهو مسعود زيد أسعد من عمرو، ومن حمد أحمد، ومن شئم أشأم، ومن سرّ أسرّ، في أحرف أخر.

فيقول صلى الله عليه وآله: أحبّ العباد إلى الله الأتقياء، وهو جمع تقيّ وهو الورع، والأخفياء جمع خفيّ وهو المتستّر المغمور ما بين الناس لم يشهر نفسه بشهرة ولا أعلمها بعلامة، سرّه إلى ربّه وثوابه عليه.

وفائدة الحديث إعلام أنّ الله تعالى يختصّ بالحبّ الأتقياء المغمورين.

---

١ . راجع: الخصال: ٢٨٧ـ٢٨٨، ح ٤٤؛ الاستبصار: ٣/٦٣، ح ٢٠٩؛ وسائل الشيعة: ١٧/١٣٧، ح ٢٢١٨٩.

وتمام الحديث: «الَّذِينَ إذَا غَابُوا لَمْ يُفْتَقَدُوا، وَإذَا شَهِدُوا لَمْ يُعْرَفُوا، أُولَئِكَ أَئِمَّةُ الْهُدَى وَمَصَابِيحُ الْعِلْمِ». وفي أوّل هذا الحديث: «إنَّ أَدْنَى الرِّيَاءِ شِرْكٌ، وَأَحَبُّ الْعِبَادِ ...»[1] الحديث. وراوي الحديث معاذ بن جبل.

قوله صلى الله عليه وآله: أَحَبَّ اللهُ عَبْداً سَمحاً بَائِعاً وَمُشتَرِياً وَقَاضِياً وَمُقْتَضِياً

السمح: السهل الجواد، وقد سمُح فهو سَمْح من قوم سُمَحاء، وكأنّ سمحاء جمع سمح، والمسامحة: المساهلة، والتسامح: التساهل، وكذلك حتّى يقال للجوز الذي يسهل استخراج قلبه جَوزٌ سَمْحٌ، وبالعكس منه جوز شحيح.

فيقول عليه السلام: إنّ الله تعالى يحبّ عبداً سمحاً. ويجوز أن يكون «أحبّ» دعاء، والأوّل أوضح. و«بائعاً» نصب حال من الضمير المستكن في سمحاً، أي يحبّ الله تعالى العبد إذا كان سهل المعاملة في حال بيعه وشراه وحال تأديته واستيدانه، والقضاء: الأداء، إن قضى أرجح وإن اقتضى استنقض.

وفائدة الحديث الحثّ على المساهلة في البيع والشرى والقضاء والاقتضاء. وراوي الحديث عثمان بن عفّان.

قوله صلى الله عليه وآله: أَحَبُّ البِقَاعِ إِلَى الله تَعَالى المَسَاجِدُ

ذلك لأنّها مظانّ ذكره ومعالم شكره ومواطن الساجدين ومنازل العابدين ومساكن المتورّعين وبيوت المتّقين، كما قال عليه السلام: «المسجدُ بيتُ كُلِّ تَقِيّ»[2].

---

١ . مسند الشهاب: ٢٥٢/٢، ح١٢٩٨؛ الزهد الكبير: ١١٢، ح١٩٥؛ وراجع: كنز العمّال: ٦٥/٣، ح٥٩٢٩.

٢ . مسند الشهاب: ٧٧/١.

وفائدة الحديث الحثّ على تعظيم المساجد واحترامها وتنزيهها عن الخنا[١] والفحش والصبيان واللعب وما ليس بعبادة الله تعالى. وراوي الحديث عبد الله بن عبّاس.

قوله ﷺ : أَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى اللهِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ

٤٧٨ يقول ﷺ : أحبّ الأعمال أدومها من أفعال الخير الذي يداوم عليه العبد وإن كان قليلاً، والعمل القليل أقرب أن يداوم العبد عليه ولا ينزل عنه، وهو أرضى من عمل كثير يتكلّفه العبد يوماً أو يومين ثمّ يضجر ويملّ ويتركه رأساً؛ ولذلك قال ﷺ : «إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ فَأَوْغِلْ فِيهِ بِرِفْقٍ»[٢] الحديث.

وفائدة الحديث إعلام أنّ الدائم القليل من أعمال الخير المتمرّن عليه أحبّ إلى الله تعالى من الكثير المملول. وراوي الحديث أبو هريرة، وروته عائشة.

قوله ﷺ : إِنَّ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَى اللهِ يَومَ القِيَامَةِ وَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَجْلِساً إِمَامٌ عَادِلٌ

معنى حبّ الله تعالى يوم القيامة أنّه يختصّه بالإكرام والتفضيل وترفع درجاته ويدنيه من رحمته، وحقّ للإمام العادل الذي يسوس الناس ويعدّلهم ويقوّمهم ويثبتهم على السنن القويم[٣] أن يميّزه الله تعالى بالإفضال والإكرام. وقوله عليه السلام : «أدناهم منه مجلساً» مجاز، أي يدنيه من فضله ورحمته ويشرّفه ويبجّله كما يكون الذي يدنى ويحترم. والتقدير: «أنّ من أحبّ الناس» لئلّا يلزم تفضيل الأئمّة العادلة على الأنبياء والمرسلين عليهم السلام ، وذلك أنّهم إذا كانوا بعض من هو أحبّ فهم الأحبّ.

---

١ . الفحش.

٢ . مسند الشهاب: ١٨٤/٢، ح١١٤٧.

٣ . كذا في خ.

وفائدة الحديث إعلام أنّ الله تعالى يعطي يوم القيامة الإمام العادل الدرجات العظيمة والمنازل الكريمة التي يختصّه بها. وراوي الحديث أبو سعيد الخدريّ.

قوله صلى الله عليه وآله: الْخَلْقُ كُلُّهُمْ عِيَالُ اللهِ وَأَحَبُّهُمْ إِلَيهِ أَنْفَعُهُمْ لِعِيَالِهِ

عيال الرجل من يعوله ويثقل أمره عليه، وهو جمع عيل كجيّد وجياد، وعالني الأمر يعولني: أثقلني وغلبني، وعلى اعتبار الثقل يكون من «عول»، وباعتبار الفاقة والفقر يكون من «عيل» يقال: عال يعيل عيلةً وعيولاً: إذا افتقر، وذكر العيال إضافةً إلى الله تعالى مجاز إلّا أنّه لمّا كان يرزقهم ويقوتهم جعلهم صلى الله عليه وآله كالعيال له، وعلى الاشتقاق الأوّل لا يتصوّر عيال الله وعلى الثاني يجوز لأنّ عيال الله يؤول معناه إلى فقر الله؛ فيقول صلى الله عليه وآله: الخلق كلّهم له وهو الذي يرزقهم ويراعيهم من حيث الإلهيّة والعبوديّة فكأنّهم عياله، وأحبّ الخلق إلى الله تعالى من كان أنفع لهم وأسعى في حوائجهم وأخفّ في طلباتهم وأدنى لإغاثتهم وأولى بمعونتهم.

ومثل هذا الحديث الحديث الآخر: إنّ لله أهلين من الناس، أهل القرآن هم أهل الله وخاصّته.[1]

ومنه قيل لأهل مكّة أهل الله ويقال جيران الله لأنّهم مجاور بيته.

وفائدة الحديث الحثّ على الإحسان إلى عباد الله. ❊وراوي الحديث أحمد بن إبراهيم الموصليّ، قال: «كُنا مَعَ الْمَأْمُونِ بِالشَّمَاسِيَّةِ، وَإِلَى جَنْبِهِ يَحْيَى بْنُ أَكْثَمَ، فَنَظَرَ إِلَى النَّاسِ، فَقَالَ [لِ]يَحْيَى: أَلَا تَرَى حَدَّثَنِي يُوسُفُ بْنُ عَطِيَّةَ عَنْ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله، وذكر الحديث»[2]. ٤٧٩

---

١. راجع: مسند أحمد: ١٢٧/٣، ح ١٢٣٠١؛ سنن ابن ماجه: ٧٨/١، ح ٢١٥؛ كنز العمّال: ٢٥٨/١، ح ٢٢٧٧.

٢. مسند الشهاب: ٢٥٥/٢، ح ١٣٠٦.

قوله صلى الله عليه وآله: مَا صَلَّتِ امْرَأَةٌ مِنْ صَلاةٍ أَحَبَّ إِلَى اللهِ مِنْ صَلاتِهَا فِي أَشَدِّ بَيْتِهَا ظُلْمَةً

قوله عليه السلام: «بيتها» إنّما لم يجمعه لمكان أنّه لم يجعله جنساً، وهذا كالحديث الآخر: «خَيْرُ مَسَاجِدِ النِّسَاءِ قَعْرُ بُيُوتِهِنَّ»[١].

فيقول عليه السلام: أحبّ صلوات النساء إلى الله تعالى ما يصلّينها في بيوتهنّ. وذكر البيت والظلمة مثل، يعني كلّما كان البيت أخلى كان أفضل لصلواتهنّ.

وفائدة الحديث أمر النساء بالتصوّن والستر. وراوي الحديث عبد الله بن مسعود.

قوله صلى الله عليه وآله: مَا مِنْ جُرْعَةٍ أَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنْ جُرْعَةِ غَيْظٍ كَظَمَهَا رَجُلٌ أَوْ جُرْعَةُ صَبْرٍ عَلَى مُصِيبَةٍ وَمَا مِنْ قَطْرَةٍ أَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنْ قَطْرَةِ دَمْعٍ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ أَوْ قَطْرَةِ دَمٍ أُهْرِيقَتْ فِي سَبيلِ اللهِ

ذكر الجرعة في الغيظ استعارة ومجاز، والغيظ: أشدّ الغضب، وكظم الغيظ: إذا حبسه عن النفوذ، والكظم مجرى النفس والكظوم احتباس النفس ويعبّر به عن السكوت.

يقول صلى الله عليه وآله: أحبّ الأشياء إلى الله جرعة غيظ يتجرّعها الإنسان قطعاً لمادّة الفساد وطلباً لرضا ربّ العالمين، وكذلك جرعة صبر على مصيبة يراجع المرء فيها نفسه ويصيّرها سلوكاً لطريق الرضا والتسليم لأمر الله تعالى، ثمّ قال عليه السلام: ما من قطرة أحبّ إلى الله تعالى من قطرة دمع قطّرها خوف العبد من خشية الله تعالى أو قطرة دم أهريقت من محارب في سبيل الله أو محارب[٢].

---

١. مسند الشهاب: ٢/٢٣١، ح ١٢٥٢.

٢. كذا في خ.

روي عن الفضيل[١] بن عيّاض قال: «ما بكت عين قطّ حتّى يضع الربّ جَلَّ جَلالُهُ يده على قلبه»[٢].

وروي أنّ رجلاً كان في بني إسرائيل فطرده أبوه، فحضره الموت، فجعلت امرأته تذكّره الذنوب وتبكي، فقال الملك للملك: ما ترى؟ قال: ما أرى إلّا دمعةً فغفر الله له بها.[٣]

وقال النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : إنّ لله ملائكةً ركّعاً سجّداً وملائكةً يبكون من خشية الله مذ خلقوا إلى يوم القيامة، لا يخرج من ملك منهم قطرة إلّا كان ملكاً يبكي من خشية الله تعالى إلى يوم القيامة.[٤]

وقال الثوريّ: البكاء عشرة أجزاء تسعة منها رياء وواحدة لله تعالى، فإن جاءت تلك الواحدة في السنة مرّةً فهو كثير.[٥]

وكان النبيّ عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول: اللّهمّ ارزقني عينين هطّالتين، الذرفان بالدموع من خشيتك قبل أن يكون الدموع دماً والأضراس جمراً.[٦]

[٤٨٠] وأصل أراق الماء أريق *فتبدّل من الهمزة هاء لقربها من الهمزة فيقال: هراق، يقول: هرقتُ الماء أهريقه وأصله أُأرِيق فصار أُأريق لضعف الياء عن احتمال الكسرة وأبدلت الهمز الثانية هاءً فصار أهريق، وإنّما لم يجز أُأريق لمكان اجتماع الهمزتين فلمّا بُدّلت إحداهما بالهاء جاز. وفيه لغة أخرى أهرق يهرق إهراقاً، وقال صاحب الكتاب: أبدلوا من الهمزة هاءً ثمّ ألزمت فصارت كأنّها من نفس الحرف ثمّ أدخلت الألف بعد على الهاء وتركت الهاء عوضاً

---

١. في خ: فضيل.

٢. راجع: المجالسة وجواهر العلم: ٥٠٠، ح٢٩٨١؛ حلية الأولياء: ٩٩/٨.

٣. راجع: غريب الحديث للحربي: ٦٩٥/٢.

٤. لم أقف عليه.

٥. راجع: الزهد لابن الحنبل: ٢٢٩؛ حلية الأولياء: ١١/٧؛ سير أعلام النبلاء: ٢٥٨/٧.

٦. الزهد لابن المبارك: ١٦٥/١، ح٤٨٠؛ الزهد لابن الحنبل: ١٠؛ الدعاء للطبراني: ٤٢٩، ح١٤٥٧؛ كنز العمّال: ٨١/٢، ح٣٦٦١.

من حذفهم العين لأنّ الأصل أريق.[١] وفيه لغة ثالثة وهي أهراق يهريق إهرياقاً فهو مهريق والماء مُهراق ومُهَراق وهو شاذّ، وهو مثل أسْطاع يسطيع إسطاعاً وهي لغة في أطاع وجعلوا السين عوضاً من ذهاب حركة عين الفعل، والذي في الحديث من هذه اللغة الثالثة.

وفائدة الحديث الأمر بكظم الغيظ والصبر على المصيبة والبكاء من خشية الله تعالى والجهاد في سبيل الله. وراوي الحديث الحسن البصريّ.

قوله ﷺ : نِعْمَ الشَّفِيعُ الْقُرْآنُ لِصَاحِبِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

ذكر شفاعة القرآن مجاز، وهو كناية، وهو الثواب الذي يحصل لقارئه. فيقول ﷺ : نعم الشافع القرآن يواظب المرء على قرائته والنظر في معانيه وتدبّر أحكامه أي يثيبه الله تعالى على ذلك، فكأنّ القرآن يشفع له.

وفي هذا الحديث: «الْقُرْآنُ شَافِعٍ مُشَفَّعٌ وَمَاحِلٌ مُصَدَّقٌ»[٢] أي ساع، يقال: محلت له أي إذا قلت فيه ما يوقعه في شرّ.

وفائدة الحديث الأمر بقراءة القرآن وتدبّره. وراوي الحديث عبد الله بن مسعود.

قوله ﷺ : نِعْمَ الهَدِيَّةُ الْكَلِمَةُ مِنْ كَلامِ الْحِكْمَةِ

لم يأت بعلامة التأنيث لأنّ الهديّة ليس تأنيثها بحقيقيّ.

يقول ﷺ : من علّم غيره كلمة من الحكمة يتمسّك بها وينتفع بمكانها فكأنّما أهدى إليه هديّةً سنيّةً.

وفائدة الحديث تعظيم قدر الكلمة من الحكمة. وراوي الحديث زيد عن أبيه، وتمام

١ . كتاب سيبويه: ٢٨٥/٤؛ وراجع: أدب الكاتب: ٤٩٢؛ الصحاح: ١٥٧٠/٤.

٢ . مصنّف عبد الرزّاق: ٣٧٢/٣، ح ٦٠١٠؛ مصنّف ابن أبي شيبة: ١٣٠/٦، ح ٣٠٠٥٢؛ كنز العمّال: ٢٦٠/١، ح ٢٣٠٦.

الحديث: «يَسْمَعُهَا الرَّجُلُ [الْمُؤْمِنُ]، فَيَلْتَوِي عَلَيْهَا حَتَّى يُؤَدِّيَهَا إلى أَخِيهِ الْمُسْلِمِ»[١].

قوله صلى الله عليه وآله: نِعْمَ الْمَالُ النَّخْلُ الرَّاسِخَاتُ فِي الوَحْلِ المُطْعِمَاتِ فِي المَحْلِ

يعظّم صلى الله عليه وآله شأن النخل والتمر تحبيباً لها إلى قلوب أصحابه الفقراء الذين كانوا يسمعون بتنعّم الأعاجم في مآكلهم ومشاربهم وملابسهم.

فيقول عليه السلام: نعم المال النخل التي لا تطلب منك علفاً ولا لباساً ولا إنفاقاً، فهي راسخة في الوحل وهو الماء والطين، يقال: وحَل ووَحْل، وقوله عليه السلام: «المطعِماتِ فِي المَحْلِ» يعني أنّها ٤٨١ ❊غياث في القحط يغيث الناس.

وفي حديث آخر: أَكْرِمُوا النَّخْلَةَ فَإِنَّهَا عَمَّتُكُمْ.[٢]

وتشبيهها بالعمّة من وجهين: أحدهما: أنّها نزلت مع آدم عليه السلام من الجنّة وكان يحبّها غاية المحبّة حتّى أمر بأن يصحب بعضها إذا دفن ويصحب جريدتين منها. والثاني: أنّ بعض أحوالها يشبه أحوال ابن آدم لا تحمل من غير تلقيح وإن قطع رأسها جفّت.

وفائدة الحديث تعظيم حرمة النخل. وراوي الحديث موسى بن جعفر الكاظم عن أبيه عن آبائه عليهم السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

قوله صلى الله عليه وآله: نِعِمَّا بِالمَالِ الصَّالِحِ لِلرَّجُلِ الصَّالِحِ

نعم وبئس فعلا مدح وذمّ، ويدخلان على ما فيه الألف واللام أو ما يضاف إلى ما فيه الألف واللام لتعريف الجنس ويكون فاعلاً لهما، وأصل نِعْم نَعِم وهو فعل ماض، وفيه أربع

١. الزهد لابن السري: ٣٠٠/١، ح ٥٢٩؛ مسند الشهاب: ٢٥٨/٢، ح ١٣١١.

٢. راجع: مسند أبي يعلى: ٣٥٣/١، ح ٤٢٥؛ حلية الأولياء: ١٢٣/٦؛ غريب الحديث لابن الجوزي: ١٢٨/٢؛ كنز العمّال: ١٥٣/١٢، ح ٣٥٣٠٠.

لغات: نَعِم ـ بفتح الأوّل وكسر الثاني ـ ، ونِعِم اتّباعاً للكسرة الكسرة ولذلك تطرح الكثرة الثانية فيقول: نعم بكسر النون وسكون العين ولك طرح الكسرة الثانية وترك الأوّل، ومنوّناً فتقول: نعم الرجل زيد فإذا قلت: نعم الرجل زيد فزيد المخصوص بالمدح، ويجوز أن يكون زيد مبتدأ ونعم الرجل خبره مقدّماً عليه ويجوز أن يكون خبر مبتدأ مضمر كأنّك قلت: نعم الرجل فقيل: من هو؟ فقلت: زيد، أي هو زيد، وإذا جاء بعدها النكرة نصبت وكانت تمييزاً كقولك: نعم الرجل رجلاً زيد ويحذف فاعل نعم فيقال: نعم رجلاً زيد.

وما في «نعمّا» نكرة منصوبة في معنى شيئاً كأنّه قال: نعم شيئاً، والمخصوص بالمدح في الحديث ما يدلّ عليه بالمال الصالح، كأنّه قال عليه السلام: نعمّا المال الصالح، كأنّه قال عليه السلام: نعمّا فسأله سائل فقال: بم تختصّ هذه الكلمة المادحة؟ فقال عليه السلام: بالمال الصالح، وهذه الباء هي التي في قولك: مرحباً بك، كأنّه قال: مرحباً، فقيل له: بم يختصّ هذا الرحيب؟ فقال: بك، ثمّ لصقت هذه الباء بالكلمة حتّى قالوا رحّبت به ترحيباً أي قلت له مرحباً بك؛ ومحصول الكلام يرجع إلى نعم شيئاً المال الصالح للرجل الصالح؛ ولا يحتمل هذا الموضع أكثر من هذا. والمال الصالح هو الحلال الطاهر المتوسّط بين القلّة والكثرة، لأنّ الكثير المطغى لا يقال له صالح، والرجل الصالح هو المسلم المتمسّك بطاعة الله المراعي وجه الله تعالى؛ وإنّما مدح المال الصالح للرجل الصالح لأنّه ينفقه في وجه البرّ والخير وفيما يدّخره ليوم القيامة، فيستوجب رضا الله تعال والجنّة.

وفائدة الحديث تعظيم قدر المال الحلال للرجل الصالح الذي ينفقه في الخيرات *والمبرّات. وراوي الحديث عمرو بن العاص، وكان النبيّ صلى الله عليه وآله أمر أن يجمع ثيابه وسلاحه ثمّ يأتيه، قال: «فَأَتَيْتُهُ وَهُوَ يَتَوَضَّأُ، فَقَالَ: يَا عَمْرُو! إِنِّي أَرْسَلْتُ إِلَيْكَ لأَبْعَثَكَ فِي وَجْهٍ يُسَلِّمُكَ اللهُ، وَيُغْنِمُكَ، وأَزْعَبُ لَكَ زَعْبَةً مِنَ الْمَالِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! مَا كَانَتْ هِجْرَتِي [لِلْمَالِ، وَمَا كَانَتْ] إلّا للهِ وَلِرَسُولِهِ، قَالَ: فَقَالَ عليه السلام: نعمّا بِالْمَالِ الصَّالِحِ لِلرَّجُلِ الصَّالِحِ»[١]. قال

٤٨٢

١. غريب الحديث لابن سلام: ١/٩٣ـ٩٤؛ شرح صحيح البخاري لابن بطال: ١٠/١٧٠؛ الفائق: ٢/١١٠.

ذلك أبو عبيد؛ وأزعب أي أقطع.

قولهﷺ : نِعْمَ الْعَوْنُ عَلَى تَقْوَى اللهِ الْمَالُ

هذا الحديث قريب من الذي قبله، وإنّما صار نعم العون على التقوى،لأنّ الرجل إذا كان له مال استغنى به عن جميع الفواحش فلم يزن ولم يسرق ولم يظلم ولم يغصب إن كان عاقلاً، والعون: الظهير، والعون والمعونة، والوجهان حسنان فيه؛ وفيه: إنّ التقشّف والتعطّل من المكاسب ليس من التقوى.

وفائدة الحديث إعلام أنّ بالمال يتّقي العبد الفواحش. وراوي الحديث محمّد بن المُنْكَدِر.

قولهﷺ : نِعْمَ الشَّيءُ الفَأْلُ

الفأل: كلمة طيّبة يسمعها الرجل فيتبرّك بها، وقال ابن السكّيت: «الفأل أن يكون الرجل مريضاً فيسمع آخر يقول: يا سالم! أو يكون طالباً فيسمع آخر فيقول: يا واجد»[١] وجمعه أفؤل وفَؤول، وقد تفاءلت بكذا وافتألت، ويقال: الفأل فيما يحسن ويسوء والطيرة فيما يسوء فحسب.

وكان رسول الله ﷺ يحبّ الفأل ويكره الطيرة،[٢] لأنّه عليه السلام كان يحسن الظنّ بربّه تعالى والطيرة فيها سوء الظنّ بالله تعالى، لأنّها لا تخلو من توقّع شرّ؛ وإنّما صار الفأل نعم الشيء لأنّه كالبشارة بما سيساق إلى العبد من الخير يتقدّم كونه.

وفائدة الحديث مدح الفأل. وراوي الحديث أبو هريرة، وفي أوّله: «لا طِيَرَةَ، وَلَكِنْ نِعْمَ الشَّيْءُ الْفَأْلُ الخيرُ»[٣].

---

١ . ترتيب إصلاح المنطق: ٢٨٦.

٢ . راجع: مصنّف ابن أبي شيبة: ٣١٠/٥، ح٢٦٣٩٦؛ مسند أحمد: ٣٣٢/٢، ح ٨٣٧٤.

٣ . مسند الشهاب: ٢٦١/٢، ح١٣١٨.

قوله صلى الله عليه وآله: نِعْمَ الْإِدَامُ الْخَلُّ

إذا مدح صلى الله عليه وآله الخلّ دلّ ذلك منه على أنّه لغيره من المطاعم الهنيئة والمشارب الشهيئة أمدح ولربّه ـ عزّ وعلا ـ أشكر، ويمكن أن يكون كلامه عليه السلام مصروفاً إلى منافع الخلّ فإنّه يقع في أشياء من الطبائخ لا يقوم مقامه فيها غيره ومن الأدوية، ثمّ أنّه يسكن المرّة الصفراء التي منشأ الغضب منها.

وفي الحديث حثّ على القناعة وأن يرضى الإنسان بما أعطاه الله تعالى من المطاعم والمشارب ولا يتسخّط شيئاً منها، فإنّ كلّه تفضّل منه تبارك وتعالى، ومن لم يشكر القليل لم يشكر الكثير، ومن غمط النعمة في الخلّ غمطها في العسل.

وما أحسن ما قال الشاعر:

تَنافَسْ فِي طِيبِ الطَّعَامِ وَكُلُّهُ سَـواء إذا ما جَـاوَزَ اللـهَوات[١]

فالأولى بالإنسان أن لا يتّبع الملاذّ ولا يعطي نفسه جميع شهواتها، [٤٨٣] *فإنّها إذا أجيبت دعت إلى ما فوقها والخلّ مقطعة للشهوات وهو أغضّ للبصر وأعفّ للفرج، واتّباع الشهوات ممّا يسقم، وذلك لأنّ الأطعمة المختلفة يتولّد منها فضول لا ينفق، فتسقم أكلها.

وروي عن جابر بن عبد الله راوي هذا الحديث قال: أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً بيدي وقال: أما من غذاء؟ فأخرجت إليه فلقاً من خبز، فقال: هل من إدام؟ فقلت: لا، إلّا شيء من خلّ، فقال: إنّ الخلّ نعم الإدام.[٢]

وروي عنه عليه السلام قال: ما افتقر بيت فيه خلّ.[٣]

وروي عنه عليه السلام قال: سيّد إدامكم الخلّ.[٤]

---

١ . محاضرات الأدباء: ٧٣٠/١.

٢ . راجع: سنن الدارمي: ١٣٧/٢، ح٢٠٤٨؛ صحيح مسلم: ١٦٢٢/٣، ح٢٠٥٢.

٣ . راجع: مكارم الأخلاق للطبرسي: ١٨٩؛ مستدرك الوسائل: ٣٦٣/١٦، ح٢٠١٨١؛ وراجع: الثقات: ٧٦/٦

٤ . في المصادر: الملح؛ راجع: سنن ابن ماجه: ١١٠٢/٢، ح٣٣١٥؛ مسند أبي يعلى: ٢٧٧/٦، ح٣٧١٤؛ مسند الشهاب: ٢٦٥/٢، ح١٣٢٧.

وقيل: معناه خفّة الحساب يوم القيامة والرضا بما يؤتي الله تعالى، وأن يكون في جريدتك الخلّ خير أن يكون فيها مخّ العظام محشوّاً في أمعاء البطّ مشوياً ومطبوخاً.

وفائدة الحديث مدح الخلّ والحثّ على القناعة. وراوي الحديث جابر بن عبد الله الأنصاريّ. وتمام الحديث: «نِعْمَ الإدَامُ الْخَلُّ، وَكَفَى بِالْمَرْءِ شَرّاً أَنْ يَتَسَخَّطَ بِمَا قُرِّبَ إلَيْهِ»[1].

قوله صلى الله عليه وآله: نِعْمَ صَوْمَعَةُ الْمُسْلِمِ بَيْتُهُ

قال صلى الله عليه وآله ذلك لأنّ الإنسان إذا جلس في بيته مقبلاً على شأنه متوفّراً على صلاته وقرآنه ولم يدخل على الظلمة فيخاطبهم بالمولى ووليّ النعم، ومولاه ووليّ نعمه هو الله تعالى وكفى الناس شرّه، ولم يخالطهم ولم يجادلهم بالحقّ والباطل ولم يقل ولم يسمع، كان أقرب من رحمة الله تعالى وأخفّ بحسابه وأرجح لميزانه وأدنى إلى أن لا يتعرّضوا له بالسوء؛ وقد جرت عادة أهل الدنيا بذلك وأنّه من ترك عليهم دنياهم لم يتعرّضوا له وتركوا له دينه عليه موفوراً ونعمت التجارة هذه لكنّ الشأن فيمن يفعلها ويؤثرها ويطيقها ومن انزوى في بيته فإنّه يستغني عن مقاساة رؤية من رؤيته حمّى الروح، وما أحسن ما قال رهين المحبسين:

أَبَا الْعَلَاءِ بْنَ سُلَيْمَانَا ... إنَّ الْعَمَى أَوْلَاكَ إحْسَانَا

لَوْ كُنْتَ قَدْ أَبْصَرْتَ هَذَا الوَرَى ... لَمْ يَرَ إنْسَانُكَ إنْسَانَا[2]

وما أحسن ما قال المرغيناني ـ هو نصر بن الحسين المرغيناني ـ:

ومَنْ يَذُقِ الدُّنْيَا فإنِّي طَعِمْتُها ... وسِيقَ إليْنَا عَذْبُهَا وعَذابُهَا

وَمَا هِي إلّا جِيفَةٌ مُسْتَحِيلَةٌ ... عليها كلابٌ همُّهنَّ اجتذابها

فإنْ تَجْتَنِبْها كُنْتَ سِلْماً لأَهْلها ... وإن تَجْتَذِبْهَا نَازَعتْكَ كِلابُهَا[3]

---

١ . مسند الشهاب: ٢/٢٦٥، ح ١٣٢٠، ح ١٣٢١.

٢ . راجع: معجم السفر: ٣٢٤؛ التكملة لكتاب الصلة: ٤/٥١؛ لسان الميزان: ٧/٨٣.

٣ . راجع: السلوك في طبقات العلماء والملوك: ١/١٥٨؛ الكشكول: ١/١٤٠؛ وراجع: ديوان الإمام الشافعي: ٨ـ٩.

وقال بعض أهل العصر:

هــبّت بــلؤم إن رأت بــعلها	مــنبذاً للــنبت يــستحلس[١]
ومــا درت أنّ اخــتلاطي بهم	هــو الذي صــيّرني أخــنس
واخــشين كــثرة أنــسي بهم	فـصرتُ بـالوحشة اسـتأنس[٢]

فاسمع أيّها المسترشد وعه! فلا ينبئك مثل خبير، وقد آثرت هذه الخلّة التي أثنى عليها جدّي ﷺ، *فمن نكدهم وشؤمهم لم يخلوني في بيتي، وألجأوني إلى مضايق افتعلوها حتّى أحوجتُ إلى كسر اعتكافي، ثمّ وفّقني الله تعالى فعاودت زاويتي ولزمت بيتي، ولله الحمد والمنّة. ٤٨٤

والصومعة: بناء كان النصارى يبنونه لرهبانهم، وشكله نصف قبّة مَردوم مقطعها موجّه بابها إلى المشرق من المقطع، واشتقاقها من صمعت الثريدة إذا دققتها ورفعت أعلاها وكذلك بناء الصومعة.

وفائدة الحديث الحثّ على الإنزواء والفرار من الناس. وراوي الحديث أبو أمامة الباهليّ.

قوله ﷺ: أَصْدَقُ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ وَأَوْثَقُ الْعُرَى كَلِمَةُ التَّقْوَى وَأَحْسَنُ الْهَدْيِ هدي الْأَنْبِيَاءِ وَأَشْرَفُ الْمَوْتِ قَتْلُ الشُّهَدَاءِ

هذا الكلام في خطبة للنبيّ ﷺ يرويها زيد بن خالد الجهنيّ وقد تقدّم بعضها فيما سلف؛ والحديث: كلّ كلام حدث بعد أن لم يكن، وأصل العروة: الحلقة التي يقع فيها الزرّ، وكلّما يحمل به عروة مثل عروة الكوز وعروة الجوالق، وما يستمسك به عروة والجمع عرى، وأصل العروة الشجر الذي يبقى أصله ولا يبيد، فشبّهت عروة القميص بها لقوّتها واستيثاقها؛ وكلمة

١. يستحلس النبت: إذا غطّى الأرض بكثرته، تراكم.

٢. لم أقف على قائله ومصدره.

التقوى: شهادة أن لا إله إلّا الله؛ والهدي: الطريق والهيأة؛

وفي حديث آخر: «كنّا ننظر إلى هديه ودَلّه»[١] أي طريقته وهيأته، ويقال: فلان حسن الهدي أي حسن المذاهب والأمور كلّها.

وفي حديث ابن مسعود: «أَحْسَنُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ»[٢]. وجمع الهدي هداء.[٣]

وفي الحديث: «اهْدُوا هَدْيَ عَمَّارٍ».[٤] وهديت هدي فلان إذا سرت سيرته.

يقول صلّى الله عليه وآله: أصدق الحديث كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، الذي هو بنيان كلّ شيء وفيه جميع ما هو مفرّق في الكتب السالفة.

ثمّ قال عليه السلام: وأوثق العرى ـ أي أحكمها ـ كلمة التقوى والإخلاص التي هي شهادة أن لا إله إلّا الله، وهي الموجبة للرحمة وهي أصل الإيمان، ولذلك قال عليه السلام: «مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ»[٥]. وقال عليه السلام: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ حِصْنِي، مَنْ دَخَلَ حِصْنِي أَمِنَ [مِنْ] عَذَابِي»[٦]، إنّما صارت العروة الوثق لأنّ من استشهد بها سلم. والوثق تأنيث الأوثق وهو الأشدّ الأحكم.

وقال عليه السلام: «وَأَحْسَنُ الْهُدْيِ هَدي الْأَنْبِيَاءِ» أي هدي طريقتهم وهيأتهم في الخير والصلاح والإصلاح والدعاء إلى ما فيه خير الدنيا والآخرة والطاعة والخشوع والسخاء والمواساة والرأفة والرحمة إلى ما لا يحصى ولا يعدّ من خصالهم ـ صلوات الله عليهم ـ.

١ . تهذيب اللغة: ٢٠٣/٦؛ النهاية: ٢٥٢/٥.

٢ . مسند الطيالسي: ٤٨، ح٣٦٧؛ سنن الدارمي: ٨٠/١، ح٢٠٧.

٣ . كذا في المصادر، وفي خ: هداء.

٤ . مسند أحمد: ٣٩٩/٥، ح٢٣٤٣٤؛ المعجم الكبير: ٧٢/٩، ح٨٤٢٦؛ النهاية: ٢٥٢/٥.

٥ . الدعوات: ٢٥٠، ح٧٠٣؛ أماليّ الصدوق: ٦٣٣؛ بحار الأنوار: ٢٣٢/٧٨، ح٦؛ وراجع: مسند أحمد: ٢٣٣/٥، ح٢٢٠٨٧؛ سنن أبي داود: ١٩٠/٣، ح٣١١٦.

٦ . نقلاً عن قول الله عزّوجلّ، راجع: أماليّ الصدوق: ٣٠٦، ح٣٤٩؛ وراجع: الفردوس: ٢٥١/٥، ح٨١٠١؛ كنز العمّال: ٤٢/١، ح١٥٨.

ثمّ قال عليه السلام: «وَأَشْرَفُ المَوْتِ قَتْلُ الشُّهَدَاءِ»، لما فيه من الدرجات التي لا تنال بها لا سواه ❊وكيف يكون قتل من يستشهد في المعركة ويضرب بسيفه ويطعن برمحه إلى أن يقتل في ٤٨٥ سبيل الله صابراً محتسباً كموت من يترنّخ[1] على الحشايا ويعلّل حتّى يموت حتف أنفه؟! لا والله، لا يشبه هذا ذاك.

وفائدة الحديث الحثّ على اتّباع ما في كتاب الله تعالى، والاستعصام بكلمة الشهادة وما يتّبعها من الأحكام، والاهتداء في المعاملات بهدي المرسلين عليهم السلام، والحثّ على الجهاد. وراوي الحديث زيد بن خالد الجهنيّ.

قوله صلى الله عليه وآله: أَطْيَبُ الطِّيبِ الْمِسْكُ

فضّل صلى الله عليه وآله المسك على جميع الطيب، ولعمري أنّه لكذلك وهو سيّد كلّ طيب في الدنيا، وكان صلى الله عليه وآله يحبّ المسك وشمّه، ويقال: إنّه لا يقبل شميمه ولا يستطيبه إلّا كلّ معتدل الأمزجة، وبالعكس من ذلك فإنّه من لم يكن مزاجه معتدلاً لم يستطبه إذا شمّه بل يُصدّعه ويؤذيه.

وفائدة الحديث تفضيل المسك على كلّ طيب. وراوي الحديث أبو سعيد الخدريّ.

قوله صلى الله عليه وآله: سَيِّدُ إِدَامِكُمُ الْمِلْحُ

إنّما قال صلى الله عليه وآله لأنّه لا يستطاب الطعام إلّا به حتّى لو طبخ أو شوي من غير أن يملّح لكان مسيخاً مليخاً[2] لا طعم له؛ وبعد فإنّ فيه منافع جمّةً وهو من الأدوية التي ينتفع بها ومن الآلات التي لا يستغني عنها، وكلّ طعام لا يستغني عنه وهو يستغني بنفسه من كلّ طعام، ولو لم يكن الله تعالى قد جعله سائقاً كثيراً في الملاحات مباحاً في البَاحات[3] كان عزيزاً

---

١. يتشبّث ويتمسّك.

٢. المسيخ من الطعام: الذي لا ملاحة له ولا لون ولا طعم؛ والمليخ: الفاسد من الطعام وغيره.

٣. العرصات.

كبعض الأدوية لكان يجوز أن يشترى بالذهب وزناً بوزن، ولكنّ الله تعالى بفضله ورحمته لمّا علم أنّ الخلق لا يستغنون عنه خلقه في كلّ أرض وكلّ بقعة، بل الماء الذي أباحه بكلّ مكان حكمة منه تبارك وتعالى؛ ولمكان حسن موقعه يقال للحسن مليح، وليس في وجهه ملاحة، وفلان أملح من فلان، فكنى بالملاحة عن الحسن.

وفائدة الحديث تعريف مكان الملح وتشريفه وحسن موقعه من الأطعمة. وراوي الحديث أنس بن مالك.

قولهﷺ: أَسْرَعُ الدُّعَاءِ إجَابَةً دَعْوَةُ غَائِبٍ لِغَائِبٍ

إنّما صارت دعوة الغائب للغائب أسرع إلى الإجابة وأدنى من القبول لمكان أنّها يصاحبها الإخلاص وتسلم من شوب الرياء والمجاملة التي يتكلّفها الحاضر للحاضر يصانعه بها، فإذا اقترن بها الإخلاص كانت أنزع إلى أن تسمع.

ولذلك أوحى الله تعالى إلى موسىعليه السلام: يا موسى! ادعني على لسان لم تذنب به، فقالعليه السلام: ومن أين لي لسان لم أذنب به؟ قال: ادعني على ألسنة إخوانك، فإنّك لم تذنب بألسنتهم؛[1] أو كما قالعليه السلام.

٤٨٦ *وفائدة الحديث إعلام أنّ دعاء الغائب للغائب أسرع إجابةً. وراوي الحديث عبد الله بن عمرو.

قولهﷺ: لِقَلْبِ ابنِ آدَمَ أَسْرَعُ تَقَلُّباً مِنَ القِدْرِ إذَا اسْتَجْمَعَتْ غَلْيَاً

سمّي القلب قلباً لسرعة تقلّبه عن الأحوال.

فيقولﷺ: قلب ابن آدم أسرع انقلاباً من القدر التي يغلي بما فيها، فتارةً يعود أعلاها

١ . راجع: عدّة الداعي: ١٧٠؛ عوالي اللئالي: ٢١/٤، ح ٦١؛ بحار الأنوار: ٣٤١/٩٠ـ٣٤٢.

أسفلها وأخرى يعود أسفلها أعلاها لا يفتر من ذلك ما دامت تغلي؛ واستجمع يكون متعدّياً وغير متعدّ، فغير متعدّ قولك: سيل مستجمع أي مجتمع يستمدّ من كلّ شعب فيرعب ويغلب، ويقول: استجمعت الشرائط في كتابي أي جمعتها، واستجمع المستجيش كلّ مجمع إذا استقرّهم وجمعهم، واستجمع الفرس جرياً متعدّ إلّا أنّ جرياً ليس بمفعول به بل تمييز وهذا التمييز يدلّ على المفعول، كأنّه قال: استجمع الفرس جميع أنواع الجري، وكذلك ما في الحديث كأنّه استجمع جميع أنواع الغلي والتمييز يدلّ على المفعول والمفعول فضلة في الكلام يجوز حذفه وخاصّةً إذا كان في الكلام ما يدلّ عليه؛ ويجوز أن يكون غلياً مصدراً في موضع الحال أي غاليةً؛ وقد يكون تقلّب القلب من فعل الله تعالى.

وفي الحديث: «قلبُ ابن آدَمُ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ يُقَلِّبُهُ كَيْفَ يَشَاءُ»[1].

وفي الدعاء: «يَا مُقَلِّبَ القُلوبِ والأَبْصَارِ»[2].

وفائدة [الحديث] إعلام أنّ القلب سريع القبول للقلب والتغيير. وراوي الحديث المقداد بن الأسود الكنديّ رضي الله عنه، قال: «لا آمَنُ عَلَى أَحَدٍ بَعْدَ الَّذِي سَمِعْتُهُ مِنَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله يَقُولُ: وَذَكَرَ الحَديثَ»[3].

قوله صلى الله عليه وآله: حَبَّذَا المُتَخَلِّلُونَ مِنْ أُمَّتِي

وفي حديث آخر: «رَحِمَ اللهُ المُتَخَلِّلِينَ مِن أُمَّتي فِي الطَّعَامِ وَالْوُضُوءِ»[4]. فالتخلّل في الطعام استخراج بقايا الطعام من خلل الأسنان، وفي الوضوء تسريح اللحية بالأصابع ليصل الماء إلى منابت الشعر.

---

١ . راجع: مسند أحمد: ١٦٨/٢، ح٦٥٦٩؛ صحيح مسلم: ٢٠٤٥/٤، ح٢٦٥٤؛ سنن النسائي: ٤٤٣/٤، ح٧٨٦١.

٢ . علل الشرائع: ٤٩/١؛ بحار الأنوار: ٢٧٧/١٢، ح٤٩؛ وراجع: الأمثال من الكتاب والسنّة: ٢٠٠.

٣ . مسند الشهاب: ٢٦٧/٢، ح١٣٣٢.

٤ . تقدّم في ج١، ص ٤١٣ ؛ وراجع: مسند الشهاب: ٣٣٩/١، ح٥٨٣.

وروى أنس بن مالك قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يتوضّأ فخلّل لحيته فقلت: لم تفعل هذا يا نبيّ الله؟ قال: أمرني ربّي عزّ وجلّ.[١]

وحبّذا أصله «حبُب ذا» فعل وفاعل فركّبتا وجعلتا اسماً، ويرتفع ما بعده بخبر المبتدأ وحبّذا موضعه رفع بالابتداء ويجوز أن يكون قولك: حبّذا رجلاً زيد حبّذا خبر مبتدأ وزيد مبتدأ فكان حبّذا قائمة مقام قولك: المحبوب زيد؛ وهي كلمة جامدة تكون للواحد والجمع والمذكّر والمؤنّث على صورة واحدة.

وفي كلا التخلّلين فوائد، فالذي في الطعام مطهرة للفم لأنّ الطعام إذا لم يستخرج من خلل الأسنان بقي فيه تغيّرت رائحته وأدّى إلى فساد الأسنان وتغيّر ريح الفم، والذي في ٤٨٧ *الوضوء الاستقصاء في إيصال الماء إلى منابت الشعر وإن كان يجري جريان الماء على ظاهره إلّا أنّه إذا تخلّل بالأصابع كان أحرى بوصول الماء إلى ظواهر اللحية، وعلى كلّ حال فإنّه مطهرة ومنقاة للوسخ والغبار من خلل الشعر.

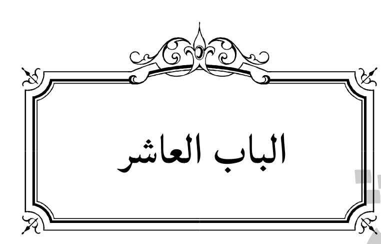
وقد قيل: إنّ التخليل في الوضوء وهو تشبيك الأصابع في حال غسل اليدين وتتبّعها[٢] لإيصال الماء إليها وتحقيق غسلها.

وفائدة الحديث الحثّ على التطهّر وتحقيق الوضوء. وراوي الحديث أنس بن مالك.

---

١. راجع: سنن أبي داود: ٣٦/١، ح١٤٥؛ مسند أبي يعلى: ٢٥٩/٧، ح٤٢٦٩.

٢. في خ غير منقوط.



الباب العاشر

قوله صلى الله عليه وآله: بِئْسَ مَطِيَّةُ الرَّجُلِ زَعَمُوا

المطيّة ما يمتطيه الإنسان أي يركب مطاه وظهره.

فيقول صلى الله عليه وآله: بئست المطيّة كلمة «زعموا»، وذلك أن يكون الرجل مهذاراً[1] يعيد كلّ ما يسمع فيقول: زعموا كذا وزعموا كذا، يذكر كلّ حقّ وباطل ولا ينصف لسانه من أذنيه، وذلك لأنّ الله تعالى خلق للإنسان أذنين ولساناً واحداً ليسمع أكثر ممّا يقول؛ وشبّه الكلمة بالمطيّة التي يركبها الإنسان ركوباً مستمرّاً فلا ينزل إلّا في المقصد، كذلك المهذار المكثر الذي لا يميّز الحقّ من الباطل يركب هذه الكلمة فيحيل إليها بكلّما يقول.

وفائدة الحديث النهي عن إكثار الكلام من غير تميّز. وراوي الحديث أبو عبد الله، قال القضاعيّ رحمه الله: «أظنّه حذيفة بن اليمان»[2].

قوله صلى الله عليه وآله: شَرُّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا

هذا كلام في خطبة له صلى الله عليه وآله وبعده: «وشَرُّ الْعَمَى عَمَى الْقَلْبِ وشَرُّ المَعْذِرَةِ حِينَ يَحْضُرُ

---

١. كثير الكلام.

٢. مسند الشهاب: ٢٦٨/٢، ح ١٣٣٥.

المَوْتُ وشَرُّ النَّدامَةِ [نَدامَةُ] يَوْمُ القِيامَةِ وَشَرُّ الْمَآكِلِ مَالُ الْيَتِيمِ وَشَرُّ الْمَكَاسِبِ كَسْبُ الرِّبَا»[١].
والمحدثات: البدع وكلّ ما ليس في كتاب ولا سنّة، ولذلك قال عليه السلام: «كُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»[٢].

وفائدة الحديث النهي عن ابتداع الأشياء في الدين ممّا لم يرد به الشرع. وراوي الحديث عقبة بن عامر قال: «خَرَجْنا مَعَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، وَذَكَرَ حَدِيثاً طَوِيلاً وخطبةً فيها جميع هذا الكلامِ»[٣].

قوله صلى الله عليه وآله: شَرُّ مَا فِي الرَّجُلِ شُحٌّ هَالِعٌ وَجُبْنٌ خَالِعٌ

الشحّ: بخل مع حرص، وقد شحِحْت يا رجل وأنت تَشَحُّ وشَحَحْت تشُحّ فأنت شحيح من قوم شِحاح وأشحّة وأشحّاء. والهلع: أفحش الجزع وقد هلع ـ بكسر اللام ـ فهو هَلِع وهَلوع، والشحّ الهلع الذي يجزع فيه العبد ويحزن، كقولك: يوم عاصف وليل قائم ونهار صائم، ولا يبعد أن يكون «هالع» لمكان «خالع» ليزدوجا؛ والخالع الذي كأنّه يخلع فؤاده

٤٨٨ ❊لشدّته، والهاء راجعة إلى الجبن.[٤]

فيقول صلى الله عليه وآله: شرّ ما في الرجل من الأخلاق بخل متجاوز مع حرص فإنّه إذا كان كذلك لم يشبع، وجبن متناه يكاد يخلع قلبه من صدره.

وفائدة الحديث ذمّ هاتين الخلّتين والنهي عنهما. وراوي الحديث أبو هريرة.

---

١ . مسند الشهاب: ٢/٢٦٩، ح١٣٣٧؛ الفردوس: ٢/٣٧١، ح٣٦٥٩.

٢ . مصنّف عبد الرزّاق: ١١/١٥٩، ح٢٠١٩٨؛ مسند أحمد: ٤/١٢٦، ح١٧١٨٤.

٣ . مسند الشهاب: ٢/٢٦٩، ح١٣٣٧.

٤ . كذا في خ، ولعلّ الزيادة أعني «والهاء راجعة إلى الجبن» زيدت في هامش نسخة الأصل والناسخ رحمه الله جاء بها في النصّ، لأنّ العبارة مفسّرة لضمير «شدّته».

قوله صلى الله عليه وآله: أَعْمَى العَمَى الضَّلالَةُ بَعْدَ الهُدَى

يجوز أن يكون على ظاهره فيكون المعنى: أعمى القلب الارتداد عن الإسلام والضلال بعد الدين، على أنّ من وصل إلى ربّه تعالى بالنظر والدليل لا يكاد ينتقل عنه ولم يتقبّل[1] عليه. ليت شعري! إلّا أن يكون مقلّداً مبحتاً فحينئذٍ تزلّ قدمه وهي غير ثابتة.

وما أحسن ما قال بعض الزهّاد: «إنّ الذين انصرفوا انصرفوا عن الطريق لا عن الصديق فإنّهم لو وصلوا ما انفصلوا»[2].

ويجوز أن يكون المعنى الفسق بعد العفّة والتصوّن، وذلك أنّ الفسق والتهتّك من أعمال الضلالة والتصوّن من أعمال الهدى. فيقول صلى الله عليه وآله: أعمى العمى الفجور بعد الصلاح، وهذا أيضاً وجه. ووصف العمى بالأعمى مبالغة كما يقال: جنّ جنونه، وإلّا فالجنون لا يجنّ.

وفائدة الحديث إعلام أنّ الضلالة بعد الهدى من عمل القلب وسوء الاختبار. وراوي الحديث عقبة بن عامر، قال: «خَرَجْنا مَعَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم [وَذَكَرَ الْحَدِيثَ] فَخَطَبَ خُطْبَةً وَكانَ فِيهَا: أَعْمَى الْعَمَى الضَّلالَةُ بَعْدَ الهُدَى، وَمِنْ أَعْظَمِ الْخَطَايَا اللِّسَانُ الْكَذُوبُ»[3].

قوله صلى الله عليه وآله: مَا مَلأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرّاً مِنْ بَطْنٍ

وذلك لأنّه إذا امتلأ بطنه تثاقل عن الصلاة[4] وكسل عن العبادات وثارت شهواته فإن تبعها هلك وإن منعها وجاهدها تأذّى، فالأولى أن لا يزيد في الطعام على ما يمسك الرمق ويمدّ القوّة.

وقال الشاعر وأحسن:

---

١ . كذا في خ.

٢ . لم أقف على مصدره.

٣ . في البحار: الطاعات.

٤ . مسند الشهاب: ٢/٢٧٠، ح ١٣٣٩.

وَكُـنْتَ إذا أَعْـطَيْتَ بَـطْنَك سـؤلَهَا وَفَـرجَك نَـالاَ مُـنْتَهَى الذَّمِّ أَجْمَـعَا[١]

وقد قيل: كفى بك شرهاً أن تأكل جميع شهواتك.

وقيل: البطنة تذهب الفطنة.[٢] لأنّها تكدّر الحواسّ وتثقلها عن الحركات.

وفائدة الحديث النهي عن الامتلاء. وراوي الحديث المقدام بن معدي كرب [الكنديّ]، قال: سمعت النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يقول: «مَا مَلأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرّاً مِنْ بَطْنٍ، بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أَكَلاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لا مَحَالَةَ، فَثُلُثٌ طَعَامٌ، وَثُلُثٌ شَرَابٌ، وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ»[٣].

١. قاله حاتم الطائي، راجع: الأمالي في لغة العرب: ٣٢٣/٢؛ لباب الآداب للثعالبي: ١١٨؛ زهر الأكم: ٨١.

٢. قاله عمرو بن العاص، راجع: العقد الفريد: ٣١٣/٦؛ نهاية الأرب في فنون الأدب: ٣١٣/٣؛ زهر الأكم: ٨٠.

٣. الزهد لابن المبارك: ٢١٣/١، ح٦٠٣؛ مسند أحمد: ١٣٢/٤، ح١٧٢٢٥؛ مسند الشهاب: ٢٧١/٢، ح١٣٤٠.



الباب الحادى عشر

قوله صلى الله عليه وآله: مَثَلُ أَهْلِ بَيْتِي مَثَلُ سَفِينَةِ نُوحٍ، مَنْ رَكِبَ فِيهَا نَجَا وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا غَرِقَ

المِثْل والمَثَل كالشبه والشبه، والمَثَل يكون للوصف كقوله تعالى: «مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ *فيها أَنْهارٌ» [1]، وكقوله تعالى: «مَثَلُ الَّذينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ في سَبيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنابِلَ» [2] الآية، وكقوله عزّ وجلّ: «وَمَثَلُ الَّذينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذي يَنْعِقُ بِما لا يَسْمَعُ» [3] الآية. و«أهل البيت» هم أولاد النبيّ من فاطمة الزهراء عليها السلام وأقرباؤه. وقيل: أهل البيت هم الذين يحرم عليهم الزكاة. وأهل بيت الرجل من يناسبهم ويناسبونه؛ فإذا أطلق وقيل أهل البيت لم يقع إلّا على أسرة النبيّ صلى الله عليه وآله أولاده وأقاربه عليهم السلام.

٤٨٩

وشبّههم بسفينة نوح عليه السلام لأنّ من لم يركب السفينة غرق بالطوفان ومن لم يركب سفينة مودّتهم يحرق بالنيران، فكما أنّه لم يكن ملاذ في الأوّل إلّا سفينة نوح فكذلك لا ملاذ في الآخرة إلّا محبّتهم وولاؤهم؛ ولذلك قال الله تعالى: «قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلّا الْمَوَدَّةَ في

---

١. محمّد: ١٥.

٢. البقرة: ٢٦١.

٣. البقرة: ١٧١.

الْقُرْبى»[١]، فحبّهم ثمر الدعوة إلى الإيمان وبغضهم علامة الخسران.

وقال عليه السلام: «مَثَلُ أَهْلِ بَيْتِي مَثَل سَفِينَةِ نُوحٍ وَبَابِ حِطَّةٍ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ»[٢].

وقال صلى الله عليه وآله: «إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ أحدُهما كِتَابُ اللهِ والآخرُ عِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي وَإِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ»[٣]، فما دام الكتاب باقياً بين بني آدم فهم باقون وإذا رفع الكتاب الذي هو أحد الثقلين بارتفاع التكليف رفع الثقل الآخر، فاصطحبا حتّى يلحقا به صلى الله عليه وآله على شفير الحوض.

وقال صلى الله عليه وآله: «أَنَا الشَّمْسُ وَعَلِيٌّ الْقَمَرُ وَفَاطِمَةُ الزُّهَرَةُ وَالْفَرْقَدَانِ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ عليهما السلام»[٤].

وقال عليه السلام: «إِنَّ عَلِيّاً وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ فِي حَظِيرَةِ الْقُدْسِ فِي قُبَّةٍ بَيْضَاءَ سَقْفُهَا عَرْشُ الرَّحْمَنِ»[٥].

وقال عليه السلام: «أحبّوا ولدي صالحهم لله وطالحهم لي»[٦]. إلى ألوف وألوف من ذلك؛ ولو لا أنّي انتسب إلى تلك الدوحة لقلت فأكثرت، ولكن خفت أن يقال لي مادح نفسه يقرأ عليك السلام، وهذا القدر الذي ذكرت غيض من فيض.

وفائدة الحديث الأمر بمحبّة أهل البيت عليهم السلام وموالاتهم والتمسّك بحبلهم والاعتصام بولائهم. وراوي الحديث عبد الله بن عبّاس.

قوله صلى الله عليه وآله: مَثَلُ أَصْحَابِي كالنُّجُومِ مَنِ اقْتَدَى بِشَيءٍ مِنْهَا

١. الشورى: ٢٣.

٢. راجع: الاحتجاج: ٢٢٩/١؛ بحار الأنوار: ١١٩/٢٣، ح٣٨؛ وراجع: المعجم الأوسط: ١٠/٤، ح٣٤٧٨؛ كنز العمّال: ٤٦/١٢، ح ٣٤١٧٠.

٣. كمال الدين: ٢٣٤، ح ٤٤؛ بحار الأنوار: ١٣٣/٢٣، ح ٦٩.

٤. معاني الأخبار: ١١٥؛ بحار الأنوار: ٧٥/٢٤، ح ١٠.

٥. المناقب للخوارزمي: ٣٠٣؛ وراجع: تاريخ مدينة دمشق: ٢٢٩/١٣؛ كنز العمّال: ٩٨/١٢، ح٣٤١٦٧.

٦. لم أقف على مصدره.

اهْتَدَى

أصحاب الرجل ملازموه والمحتفّون[1] به، يقال: صحِبته أصحبه صُحبةً وصحابةً؛ والصاحب يجمع صَحْباً مثل راكب وركب، وصُحبةً ـ بضمّ الصاد ـ مثل فارهٍ وفُرهةٍ، وصِحاباً مثل جائع وجياع، وصُحباناً مثل شابّ وشبّان؛ والأصحاب جمع صَحْب فهو جمع الجمع، والصحاب أيضاً الأصحاب وهو مصدر في الأصل والأصاحيب جمع أصحاب، وأصحاب رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ورضى عنهم ـ هم الذين احتفّوه وخدموه وآثروه ❊على أنفسهم وأقربائهم وفدوه بالأموال والأنفس والقلوب والأرؤس[2] وفارقوا أهاليهم [٤٩٠] وعادوهم في طلب مراضيه، ولو لا أولئك السادة والأكابر لما استقرّ الإسلام ولا نصبت له الأعلام ولا استمرّ له النظام ولتهوّرت منه القواعد ولم يتناصر لقويّته الأعضاد والسواعد، ولكن أفرطوا في النصرة وساعدوا في الهجرة وبذلوا الأموال والذخائر وفارقوا الأقرباء والعشائر مؤثّرين رضا ربّ العالمين على رضاهم مقوّين هوى رسول الله ﷺ على هواهم، فلم يزالوا ناصرين ضرباً بالسيوف التي في مضاربها الحتوف وطعناً بالرماح التي في أسنّتها النجاح، حتّى استقام للإسلام عموده وأورق عوده ليظهره على الدين كلّه ولو كره المشركون، فرضى الله عنهم وأرضاهم وأحسن منقلبهم ومثواهم؛ وما ذا يقال في من يقول الله تعالى: «مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ»[3] الآية. ويقول لهم رسول الله ﷺ: «لَوْ أَنْفَقتم مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَباً مَا بَلَغتم مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ»[4].

وشبّههم ﷺ بالنجوم التي يهتدى بها في ظلمات البرّ والبحر، وكلّ نجم إذا أردت أن

---

١ . في خ: والمتحفون.

٢ . جمع الرأس في القلّة.

٣ . الفتح: ٢٩.

٤ . مسند الطيالسي: ٢٩٠، ح٢١٨٣؛ مسند أحمد: ١١/٣، ح١١٠٩٤؛ صحيح البخاري: ١٣٤٣/٣، ح٣٤٧٠؛ وراجع: مسند أحمد: ٢٦٦/٣، ح١٣٨٣٩؛ كنز العمّال: ٢٤١/١١، ح٣٢٤٦٩.

تهتدي على ضوئه أمكنك الاهتداء به، فكذلك أصحابه ـ رضي الله عنهم ـ كلّ منهم طريق إليه دالّ عليه يهتدى به إلى دينه أي طريقه؛ ولمّا شبّه نفسه صلى الله عليه وآله بالشمس وآله عليهم السلام بالقمر والزهرة والفرقدين[١] شبّه أصحابه بالكواكب المضيئة التي يهتدي بها المسافرون، وحُقّ لهم ذلك، وهم لكلّ ذلك أهل وإنكار حقوقهم جهل.

وفائدة الحديث تشريف أصحابه ـ رضي الله عنهم ـ. وراوي الحديث أبو هريرة.

قوله صلى الله عليه وآله: مَثَلُ أَصْحَابِي فِي أُمَّتِي كَالْمِلْحِ فِي الطَّعَامِ لا يصْلَحُ الطَعَامُ إلَّا بِالْمِلْحِ

وهذا الحديث قد ورد في شأن أصحابه وإنّما شبّهم بالملح لأنّ الملح سيّد الإدام وهو الذي لا يصلح الطعام إلّا به، كذلك الصحابة سادة الناس ولا يصلح محبّة النبيّ صلى الله عليه وآله إلّا بمحبّتهم.

وفائدة الحديث إعلام الأمّة بفضل الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ. وراوي الحديث أنس بن مالك.

قوله صلى الله عليه وآله: مَثَلُ أُمَّتِي مَثَلُ الْمطَرِ مَا يُدْرَى أَوَّلُهُ خَيْرٌ أَمْ آخِرُهُ

شبّه أمّته بالمطر الذي هو خير كلّه ولا يدرى ما الذي هو أنفع منه، فإنّ مطر الشتاء خير ونفع وربّما كان مطر الربيع أنفع منه بل هو أجدى وأنفع لأنّ الأوّل ينبت والثاني يُربي، كذلك أوّل الأمّة *ذكروا وأسّسوا القواعد ثمّ عقبهم آخر الأمّة ففرّعوا ما أصّلوا ورفعوا ما أثبتوا وعملوا بها رسموا، وكلّ خير ولا يدرى أيّها خير الخيرين، وهم أفضل الأمم، ولذلك [٤٩١]

١. تقدّم حديثه ومصدره آنفاً في شرح الحديث الأخير.

قال تعالى: «كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ»[١].

وفائدة الحديث تفضيل أمّته على الأمم. وراوي الحديث عبد الله بن عمر.

قوله صلى الله عليه وآله: مَثَلُ الْمُؤْمِنِ مَثَلُ النَّحْلَةِ لا تَأْكُلُ إلَّا طِيباً وَلا تَضَعُ إلَّا طِيباً

النَحل هي الدبر العسّالة، والواحد نحلة يقع على الذكر والأنثى، فإذا قلت يعسوب اختصّ بالذكر.

شبّه رسول الله صلى الله عليه وآله المؤمن بالنحلة في طهارة طعامها وطيب عملها، وهي لا تكاد تقع على قذر وخبث؛ والذي تضعه هو العسل فهي طيبة وأكلها طيب وعملها طيب، كذلك العبد المؤمن طيب في نفسه ينبغي أن يكون طعمه طيباً من وجه طيب طاهر وما يدّخره لنفسه وعياله يحتاج أن يكون من وجه طاهر طيّب؛ وإنّما مثّله بالنحلة لأنّها لا تأكل ولا تدّخر إلّا طيباً، يقول: كذلك المؤمن في تحرّزه واختياره.

وسمعت بعض العاسلين: إنّ النحلة إن وقعت غلطاً على قذر وعادت إلى النحليّة وسطها اليعسوب جزاء وقوعه على القذر؛ في كلام طويل وصف النحل به.

وفائدة الحديث أمر المؤمن بطلب الحلال. وراوي الحديث أبو رزين العقيليّ.

قوله صلى الله عليه وآله: مَثَلُ الْمُؤمِنِ [وَالْإِيمانِ] كَمَثَلِ الفَرَسِ يَجُولُ فِي آخِيَّتِهِ ثُمَّ يَرْجِعُ إلَى آخِيَّتِهِ

الآخيّة ـ بالمدّ والتشديد ـ: ما يربط إليه الدابّة وهو أن يدفن طرفا قطعةٍ من الحبل في الأرض وفيه عُصَيّة أو حُجَير فيظهر منه مثل العروة يشدّ إليه الدابّة، وقد أخّيت لفرسي تأْخِيَةً، وربّما يعمد إلى قطعة خشب فيستوثق في المعلف يشدّ إليه الدابّة ويقال لها آخيّة

---

١. آل عمران: ١١٠.

أيضاً ويقال لها إدْرَوْن والجمع أدارين وهي فاعولة من «أخو».

وشبّه المؤمن بالفرس والإيمان بالآخيّة، وذلك لأنّ الفرس وإن طاف حول المعلف ونفر لم يمكنه أن يفارق الآخيّة، كذلك المؤمن وإن ارتكب ما لا يُرتضى مع الإيمان لم يفارق الإيمان الذي حوله كالآخيّة وهو كالمربوط إليها، وذلك أنّ المؤمن قد يزلّ[1] به القدم ويستميله الهوى ولا ينخلع رأساً بل يندم ويتوب ويقلع، وتوبته رجوعه إلى الآخيّة، والله أعلم ورسوله.

فائدة الحديث إعلام أنّ المؤمن المخلص الذي كمل إيمانه لا يفارق الإيمان البتّة باختياره. وراوي الحديث أبو سعيد الخدريّ.

قوله ﷺ: مَثَلُ الْمُؤمِنِ القَوِيِّ كَمَثَلِ النَّخْلَةِ وَمَثَلُ الْمُؤمِنِ الضَّعِيفِ * كَخَامَةِ الزَّرْعِ

٤٩٢

الخامة: الغَضَّة الرطبة من النبات التي لم يشتدّ بعد.

وشبّه ﷺ المؤمن القويّ ذا الحال والمال بالنخلة التي لها الساق والأغصان والجذوع والورق والثمر، والضعيف بالطاقة الضعيفة من الزرع؛ وفيه سرّ، وذلك أنّه وإن كانت النخلة تحمل الرطب الكثير وأنّ الخامة الضعيفة أيضاً لا يقصّر بقدر قوّتها فتخرج السنبلة، وكان الإشارة فيه إلى أنّ المؤمن القويّ الغنيّ يتمشّى له الأمور القويّة والعبادات السنيّة والمؤمن الضعيف لا يقدر إلّا على قدر المكنة فيحصل منه ما يقدر عليه؛ ويحتمل أن يكون هذا التشبيه واقعاً على العلم والمعرفة، وذلك أنّ المؤمن العارف بالأدلّة والبراهين قويّ كالنخلة لا تزعزعها الرياح العواصف لأنّه يرجع إلى الأدلّة القواطع، والمؤمن الضعيف لا يرجع إلى قوّة الجدل والمخاصمة ضعيف كالخامة تميل الرياح، إلّا أنّها تعود إلى الحقّ ولا تزول عنه، والله أعلم ورسوله.

وفائدة الحديث إعلام أنّ المؤمن القويّ يحتمل الشدائد والتكاليف والمجادلات، والضعيف

---

١. في خ: نزّل.

لا يحتمل ذلك. وراوي الحديث أبو هريرة.

قوله صلى الله عليه وآله: مَثَلُ الْمُؤمِنِ مَثَلُ السُّنْبَلَةِ تُحَرِّكُهَا الرِّيحُ فَتَقُومُ مَرَّةً وَتَقَعُ أُخْرَى وَمَثَلُ الْكَافِرِ مَثَلُ الأَرْزَةِ لا تَزَالُ قَائِمَةً حَتَّى تَنْقَعِرَ

الأرز ـ بسكون الراء ـ: شجر الصنوبر وهي من عظام الشجر وطوالها، والواحدة أرزة، والصنوبر ثمره، وهي هناتٌ[1] مخروطة منضدّ أجزاؤها، الواحدة صنوبرة، والأَرَزة ـ بفتح الراء ـ: الأرزن، وهي شجرات ضعيفة قد شاهدتها في بعض الجبال تحمل حملاً كاللوز الصغار تعمل منها السباط وأمثال ذلك، والذي في الحديث هو شجر الصنوبر.

يقول صلى الله عليه وآله: مثل المؤمن مثل السنبلة التي يترجّح بأدنى ريح، يؤدّبه الله تعالى بالأمراض والأسقام ويؤذيه المنافق فلا يزال مشغولاً بما يكره؛ وأمّا الكافر فإنّ الله تعالى لا يعاتبه ولا يؤدّبه بل يبقى كالشجرة العظيمة المعرّقة ـ وضرب شجرة الصنوبر له مثلاً لأنّها من أعظم الأشجار طولاً وبقاءً تمتنع على العواصف ولا يكاد تقدر عليه ـ حتّى إذا أراد الله أن يقلعها بعث ريحاً زعزعاً فسلّها قلعاً من الأرض بعروقها، كذلك الكافر لا يصدّع ولا يمرض إنّما يكون هلاكه بمرّة إمّا فجأةً أو قتلاً أو بعض ميتات السوء.

وفائدة الحديث إعلام أنّ الله تعالى يعاتب المؤمن ويمرضه تأديباً له وإحرازاً لأعواضه، ويمهل الكافر فيأخذ[ه] بغتةً. وراوي الحديث جابر بن عبد الله، وروي: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ مَثَلُ الْخَامَةِ مِنَ الزَّرْعِ»[2].

---

١. كذا في خ.

٢. راجع: مسند الشهاب: ٢/٢٨١، ح ١٣٦١.

٤٩٣

قوله صلى الله عليه وآله: مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ[1] فِي تَوَادِّهِمْ *وَتَرَاحُمِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى بَعْضُهُ تَدَاعَى سَائِرُهُ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى

يقال: تداعت الحيطان إذا تهادمت وتهيّأت للسقوط بأن تميل أو تتهوّر.

يقول صلى الله عليه وآله: المؤمنون متّحدون متآزرون متضافرون كأنّهم نفس واحدة.

ولذلك قال عليه السلام: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ بِمَنْزِلَةِ الْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضاً»[2].

وقال عليه السلام: «الْمُؤْمِنُونَ يَدٌ وَاحِدَةٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ»[3].

شبّه عليه السلام المؤمنين في اتّحادهم وموازرتهم بالجسد المجتمع من آلات وأعضاء إذا اشتكى بعضه وكانت الجملة آلمةً سقيمةً ساهرةً محمومةً لاتّصال بعضه ببعض، ولأنّ الآلم هو الجملة وهي في الحكم الجزء الواحد بسبب الحياة التي هي كالمسمار يضمّ أجزاءها وينتظمها.

ولفظ الحديث خبر وتشبيه والمعنى أمر يأمرهم عليه السلام [به][4] أن يتوادّوا ويتحابّوا ويرحم بعضهم بعضاً.

وفائدة الحديث الأمر بالتناصر والتعاون. وراوي الحديث النعمان بن بشير.

قوله صلى الله عليه وآله: مَثَلُ الْقَلْبِ مَثَلُ رِيشَةٍ بِأَرْضٍ يُقَلِّبُهَا الرِّيَاحُ

وروي: «بِأَرْضِ فَلَاةٍ»[5].

شبّه عليه السلام القلب بريشة ساقطة بأرض عَرَاء لا حاجز بها ولا مانع، فالريح تطيّرها هنا

---

١. كذا في المصادر، وفي خ: المؤمن.

٢. في المصادر: كالبنيان، راجع: مسند الحميدي: ٣٤٠/٢، ح٧٧٢؛ صحيح مسلم: ١٩٩٩/٤، ح٢٥٨٥.

٣. راجع: مسند أحمد: ٢١٥/٢، ح٧٠١٢؛ مسند الشهاب: ١٣٣/١، ح١٧٠.

٤. الزيادة في البحار.

٥. راجع: السنّة لابن أبي عاصم: ١٠٢/١، ح٢٢٧؛ شعب الإيمان: ٤٧٣/١، ح٧٥١؛ كنز العمّال: ١٣٤/١، ح١٢٢٩.

وثمّ، وذلك للاعتقادات والأحوال التي ينقلب لها ولسرعة انقلابه وقلّة ثبوته ودوامه على حالة واحدة. وقيل: إنّما سمّي قلباً لتقلّبه.

وفائدة الحديث إعلام أنّ القلب سريع الانقلاب لا يبقى على وجه واحد. وراوي الحديث أنس بن مالك.

قوله ﷺ: مَثَلُ الْقُرآنِ مَثَلُ الإبِلِ المُعَقَّلَةِ إنْ عَقَلَهَا صَاحِبُهَا أَمْسَكَهَا وَإِنْ تَرَكَهَا ذَهَبَتْ

شبّه ﷺ القرآن وحفظه بالإبل المعقولة، والمعقّلة للمبالغة، إن ثابر[1] عليه القارئ وواظب بقي محفوظاً، وإن أغفله تقلّب وذهب القرآن شديد التقلّب، إلّا أن يقرأ ليلاً ونهاراً ويدرس.

وفائدة الحديث الأمر بالمحافظة على القرآن والمداومة على قرائته آناء الليل والنهار. وراوي الحديث عبد الله بن عمر.

قوله ﷺ: مَثَلُ المُنَافِقِ كَمَثَلِ الشَّاةِ العَائِرَةِ بَيْنَ الغَنَمَينِ

عار في الأرض يعِير أي ذهب، وعارت الناقة فهي عائرة إذا خرجت إلى إبل أخرى ليضربها الفحل، وجمل عائر إذا ترك الشَوْل إلى أخرى ـ الشول: النوق التي خفّ لبنها وارتفع ضرعها وأتى عليها من نتاجها سبعة أشهر أو ثمانية، الواحدة شائلة وهو جمع على غير قياس ـ وعار الفرس أي انفلت وذهب هنا وثمّ مرحاً ونشاطاً، ويقال للأسد عيّار لمجيئه وذهابه في طلب ❊الصيد، والرجل العيّار من هذا وهو الكثير التطواف والحركة الذكيّ الجلد المتبصّر في شأنه. ٤٩٤

شبّه ﷺ المنافق الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه بالشاة العائرة المنفلتة بين القطيعين فتارةً تدخل فيما بين هذا القطيع وأخرى في ذلك، فكذلك المنافق يقول للمسلمين

---

١ . واظب وداوم.

أنا منكم وللكفّار أنا منكم.

وفائدة الحديث تعيير المنافق والتحذير من فعله. وراوي الحديث عبد الله بن عمر، وفيه: «بَيْنَ الْغَنَمَيْنِ، لا تَدْرِي أَيُّهُمَا تَتْبَعُ»[١]، ويروى: «كَالشَّاةِ الْعَائِرَةِ بَيْنَ الْقَطِيعَيْنِ»[٢].

قوله صلى الله عليه وآله: مَثَلُ الْمَرأَةِ كَالضِّلْعِ إذا أَرَدْتَ تُقِيمَهُ كَسَرْتَهُ وَإِنْ اسْتَمْتَعْتَ بِهِ اسْتَمْتَعْتَ بِهِ وَفِيهِ أَوَدٌ

الضلع: واحدة الأضلاع وهي العظام المقوّسة في الجنب، وإنّما يؤنّثها لأنّ تأنيثها غير حقيقيّ.

شبّه صلى الله عليه وآله المرأة في تلوّنها واعوجاجها وميلها عن الصواب بالضلع العوجاء التي إن أريد تقويمها انكسرت وإن تركت على تقويسها واعوجاجها أمكن التمتّع بها على ما هي عليه من الإعوجاج.

وروي: إنّ إبراهيم عليه السلام شكا إلى ربّه سوء خلق سارة فأوحى الله تعالى إليه إنّما هي ضلع فارفق بها أما ترضى أن يكون نصيبك من المكروه.[٣]

وقال أبو عمرو بن العلاء: المرأة الصالحة كالغراب الأعصم،[٤] وهو الذي في جناحه ريشة بيضاء، أي أنّها معوزة الوجود.

وقال الشاعر:

هِيَ الضَّلَعُ العَوْجَاءُ لَسْتَ تُقِيمُها أَلاَ إنَّ تَقْوِيمَ الضُّلُوعِ انِكِسَارُهَا

---

١. مسند الشهاب: ٢/٢٨٥، ح ١٣٧٢؛ مسند أحمد: ٢/١٤٣، ح ٦٢٩٨.

٢. مسند الشهاب: ٢/٢٨٥، ح ١٣٧٣.

٣. راجع: المقاصد الحسنة: ٣٢٤؛ فيض القدير: ١/٥٠٣؛ كشف الخفاء: ١/٣٨٠.

٤. قوت القلوب: ٢/٣٩٧؛ البصائر والذخائر: ٧/١٨٦؛ المخصص: ٢/٣٣٨؛ وراجع: المعجم الكبير: ٨/٢٠١، ح ٧٨١٧؛ كنز العمّال: ١٦/١٧٠، ح ٤٥١٤٥.

أَتَجْمَعُ ضَعْفاً وَاقْتِداراً عَلَى الفَتَى   أَلَيْسَ عَجِيباً ضَعْفُهَا وَاقْتِدَارُهَا[١]

وفي كلام بعضهم: المرأة حيّة تسعى ما دامت حيّةً تسعى.

وقيل: المرأة إذا أحصنت فرجها فقد أحسنت فارجها.[٢]

وفائدة الحديث إعلام أنّ طباع النساء إلى اعوجاج وانكسار، لا رأي لهنّ ولا صواب معهنّ. وراوي الحديث أبو ذرّ رضي الله عنه.

قوله صلى الله عليه وآله: مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ مَثَلُ الدَّارِي إنْ لَمْ يُحْذِكَ مِنْ عِطْرِهِ عَلَقَكَ مِنْ رِيحِهِ وَمَثَلُ الْجَلِيسِ السُّوءِ مَثَلُ الْكِيرِ إنْ لَمْ يُحْرِقْكَ بِشَرَرِ نَارِهِ عَلَقَكَ مِنْ نتنِهِ

يقال: ساءه يسوءه سوءاً ـ بفتح السين ـ ومَسَاءةً ومَسَائيّةً أي أحزنه، والاسم السوء بالضمّ، والسيّئة نقيض الحسنة، وقوله تعالى: «ساءَ مَثَلاً الْقَوْمُ الَّذينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا»[٣] معناه: بئس مثلاً، وكان منشأ جميع ذلك من باب واحد، ورجل سَوء مصدر ساءه وفي خلافه رجل صدق أي صالح خير، وإنّما قيل رجل سوء لأنّ التنكير هاهنا كاف وهو أشيع من التعريف.

وقال أبو الحسن الأخفش: «لا يقال: الرجل السوء كما يقال: الحقّ اليقين ❊وحقّ اليقين [٤٩٥] جميعاً، وذلك لأنّ السوء ليس بالرجل واليقين هو الحقّ، بل يقال: رجل سوء ورجل السوء»[٤].

والذي في الحديث كأنّه «مثل الجليس ذي السوء والمساءة» فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه، فيقول صلى الله عليه وآله: مثل الجليس الصالح كمثل الداري ـ وهو العطّار منسوب

١ . أخبار المدينة: ٧/٢؛ تاريخ بغداد: ١٢٩/١٠؛ المنتظم: ٢٦٦/١٤.

٢ . راجع: خاصّ الخاصّ: ١٦.

٣ . الأعراف: ١٧٧.

٤ . الصحاح: ٥٦/١؛ تاج العروس: ٢٧٣/١.

إلى دارين وهي فرضة بالبحرين كانت بها سوق يحمل إليها المسك من ناحية الهند فنسب إليها العطّار ـ إن لم يعطك من عطره استرحت إلى رائحة متاعه وعلقك منها؛ وأحذيته: أعطيتُه، والحُذَيّا اسم لما تعطيه، ويقال للقسم من الغنيمة الحُذَيّا.

ثمّ قال عليه السلام: ومثل جليس السوء كمثل الكير، وهو المنفاخ الذي ينفخ به الحدّاد وربّما كان زقّاً؛ ولذلك قال:

كَأَنَّ حَفِيفَ مِنْخَرِهِ إِذَا ما كَتَمْنَ الرَّبْوَ كِيرٌ مُسْتَعَارُ[1]

والكُور هو مستوقد ناره، هذا هو الصحيح؛ فشبّه جليس السوء بالمنفاخ الذي يهيج النار ويثير الشرار ويدخن، فقال عليه السلام: وإن لم يحرقك شرار النار، أذاك بالدخان والنتن.

وفي رواية أخرى: «كَمَثَلِ صَاحِبِ الْكِيرِ»[2]، كذلك مثل الصالح من الجلساء وإن لم يلجئك إلى الخير ولا يعطيك خيره فإنّه تصوع إليك رائحة صلاحه وتعلق بك، وبالعكس الجليس الطالح إن لم يكلّفك الفساد فإنّك تأذّي بما تجده منه وربّما يرتضخ النفس منه خليقة سوء فإنّ النفس أسرق شيء لما ترى من الخير والشرّ فتنطبع ذلك فيها من غير قصد صاحبها.

وفي كلام أفلاطن: اتّق مجالسة شرار الناس، فإنّ طبعك يسرق من طباعهم وأنت لا تدري.[3]

وفائدة الحديث الأمر بإيثار الجليس الصالح والامتناع من مصاحبة جليس السوء.

وراوي الحديث أبو موسى.

---

١. قاله بشر بن أبي حازم، الفضليّات: ٣٤٤؛ ترتيب إصلاح المنطق: ٣٢٧؛ الأنوار ومحاسن الأشعار: ١٤٠.

٢. مسند الشهاب: ٢/٢٨٨، ح ١٣٧٩.

٣. راجع: لباب الآداب: ١٢٢؛ شرح نهج البلاغة: ٢٠/١٤٢.

قوله ﷺ: إنَّ مَثَلَ الصَّلاةِ الْمَكْتُوبَةِ كَالْمِيزَانِ مَنْ أَوْفَى اسْتَوْفَى

مثّل ﷺ الصلاة بالميزان وشبّهها به، وذلك لأنّ من كان له ميزان معاير مقوّم فأعطي به فإنّه إذا أخذ واستوفى أعطي بميزانه المقوّم وإن كان ناقصاً أخذ ناقصاً.

وفي بعض الروايات تمام الحديث: ومن طفّف فقد سمعتَ ما قال الله تعالى في المطفّفين،[1] يعني قوله تعالى: «وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ»[2]. والمعنى: من أوفى الصلاة أي أتمّها ووفّاها حقوقها من الركوع والسجود والأركان والقراءة والخشوع والخضوع أخذ ثوابها تامّاً كملاً، ومن نقصها له الويل.

وحكي: أنّ اللصوص سارقوا أربع مائة بعير وأربعين غلاماً لأبي أمامة الباهليّ فدخل على رسول الله حزيناً فسأله عن حزنه فأخبره بما وقع له فقال: حسبت *أنّك فاتتك [٤٩٦] التكبيرة الأولى؟ فقال: يا رسول الله! فوتها أشدّ من هذا كلّه، قال عليه السلام: ومن ملء الأرض جمالاً.[3]

وقال عليه السلام: أسوء الناس سرقةً من سرق من صلاته.[4]

وفائدة الحديث الأمر بتوفية الصلاة حقوقها. وراوي الحديث الحسن البصريّ.

قوله ﷺ: مَا مَثَلِي وَمَثَلُ الدُّنيَا إلّا كَرَاكِبٍ قَالَ فِي ظِلِّ شَجَرَةٍ فِي يَوْمٍ حَارٍّ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا

قال يقيل من القيلولة وهي نوم نصف النهار قبل الزوال، وقيل: إنّ معناها استراح من

---

١ . راجع: الزهد لابن المبارك: ٤٢٠/١، ح١١٩٢؛ مصنّف عبد الرزّاق: ٣٧٣/٢، ح٣٧٥٠؛ الفائق: ٥٩/٣.

٢ . المطفّفين: ١ـ٣.

٣ . راجع: نزهة المجالس: ١٣٢/١.

٤ . راجع: المحاسن: ٨٢/١؛ دعائم الإسلام: ١٣٥/١؛ وسائل الشيعة: ٣٦/٤، ح٤٤٤٨؛ وراجع: شعب الإيمان: ١٣٥/٣، ح٣١١٦؛ كنز العمّال: ١٨٤/٧، ح١٩٧٣٣.

غير نوم، وقد يقال «قال» إذا استراح، قال تعالى: «أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرّاً وَأَحْسَنُ مَقِيلاً» [١] ولا نوم في الجنّة. وراح: أمسى.

وهذا الكلام تحقير منه صلى الله عليه وآله للدنيا، يقول عليه السلام: مثلي ومثل الدنيا بالمسافر في الصيف نزل في صميم الهاجرة تحت شجرة حتّى يستريح تحتها ثمّ راح ومرّ وتركها غير ملتفت، فالدنيا هي الشجرة في سواء بادية، وصاحب الدنيا ينبغي أن لا يكترث لها بأكثر من المقيل تحتها.

وروى ابن مسعود قال: «اضطجع النبيّ صلى الله عليه وآله على حصير فأثّر الحصير بجنبه، فلمّا استيقظ قلت: يا رسول الله! ألا أذنتني قبل أن تنام على هذا الحصير فأبسط لك عليه شيئاً يقيك؟ فقال صلى الله عليه وآله: ما لي وللدنيا! وما للدنيا وما لي» [٢]! «فإنّ مثلي ومثلكم ومثل الساعة كقوم خافوا عدوّاً فبعثوا أربيةً [٣] لهم فلمّا فارقهم إذا هو بنواصي الخيل فخشى أن يسبقه العدوّ إلى أصحابه فلمّع بثوبه: يا صاحباه يا صاحباه! كأنّ الساعة كانت تسبقني إليكم» [٤].

وقال الأوزاعيّ: «إنّ ما بقي من الدنيا كذنب العقرب فيها سمّها وحمّتها» [٥].

وفائدة الحديث تحقّر أمر الدنيا وتعييرها. وراوي الحديث المُسْتَوْرِد [٦].

قوله صلى الله عليه وآله: مَا الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلَّا مَثَلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ السَّبَّابَةَ فِي الْيَمِّ فَلْيَنْظُرْ بِمَ يَرْجِعُ

يقول صلى الله عليه وآله: ليست الدنيا بالإضافة إلى الآخرة في المدّة والبقاء إلّا مقدار ما يضرب أحد سبّابته في البحر ـ واليمّ: البحر ـ يرفعها فلينظر إلى القدر الذي يعلق من ماء البحر إصبعه، فالدنيا بالإضافة إلى الآخرة بقدر هذه البلّة التي بالإصبع من البحر؛ وهذا لعمري يقرب

---

١ . الفرقان: ٢٤.

٢ . راجع: مسند أحمد: ٣٩١/١، ح٣٧٠٩؛ صحيح ابن حبّان: ٢٦٥/١٤، ح٦٣٥٢.

٣ . أهل بيت الرجل و بنو عمّه .

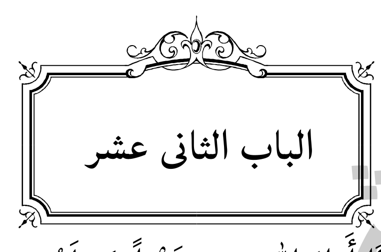
٤ . راجع: الزهد لابن المبارك: ٥٥٦/١، ح ١٥٩٤؛ البدء والتاريخ: ١٥٩/٢؛ الفتن لنعيم بن حمّاد: ٦٣٤/٢، ح ١٧٧٠.

٥ . التاريخ الكبير: ٤٤٣/٦، ح٢٩٣٨.

٦ . كذا في خ، وفي الشهاب راويه: عبد الله.

منه صلى الله عليه وآله، وإلّا فماء البحر متناهٍ وقدر ما علق بالإصبع منه له حدّ، ومدّة الآخرة غير متناهية، فأيّ نسبة بين ما يتناهى إلى ما لا يتناهى؟!

وفائدة الحديث تقليل أمر الدنيا وتحقيرها. وراوي الحديث المستورد الفهريّ.



الباب الثاني عشر

قوله صلى الله عليه وآله: إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدٍ خَيْراً عَسَلَهُ

ويروى: «عسّله».

497 روي في الحديث: «قيل: يا رسول الله! ما عسله؟ قال: يفتح له عملاً صالحاً بين يدي موته حتّى يرضى عنه من حوله».[1]

وقال ابن الأعرابيّ: «العسل طيب الثناء»[2].

وفي حديث آخر: «إذا أراد الله بعبد خيراً عسّله في الناس»[3] أي طيّب ثناءه. وكأنّه عليه السلام شبّه ما يفتح له من العمل الصالح بالعسل.

وقال ابن الأنباريّ: هذا مثل، أي وفّقه الله تعالى لعمل صالح يتحفه به كما يتحف الرجل أخاه إذا أطعمه العسل.[4]

وعسلتُ الطعام أعسله إذا عمله بالعسل، فكأنّه جعل فيه العسل من العمل الصالح كما يعسّل الطعام.

---

١. مسند عبد بن حميد: ١٧٥، ح ٤٨١؛ غريب الحديث لابن قتيبة: ٣٠١/١، ح ٢٦.

٢. راجع: تهذيب اللغة: ٥٧/٢؛ غريب الحديث لابن الجوزي: ٩٦/٢.

٣. راجع: النهاية في غريب الحديث: ٢٣٧/٣؛ لسان العرب: ٤٤٦/١١.

٤. راجع: لسان العرب: ٤٤٦/١١؛ الترغيب والترهيب: ١٢٦/٤؛ تاج العروس: ٤٧٧/٢٩.

وفائدة الحديث إعلام أنّ الله تعالى إذا أراد الخير بعبده وفّقه للخير قبل أن يفارق الدنيا وأطاب ثناءه في الناس. وراوي الحديث أبو أمامة الباهليّ؛ وروى هو: قالوا: يا رسول الله! وما عسله؟ قال: «يَهْدِيهِ لِعَمَلٍ صَالِحٍ يَقْبِضُهُ عَلَيْهِ»[١].

قوله صلى الله عليه وآله: إِذَا أَرَادَ اللهُ قَبْضَ عَبْدٍ بِأَرْضٍ جَعَلَ لَهُ فِيهَا حَاجَةً

وروي: «بِهَا حَاجَةٌ»[٢].

يقول صلى الله عليه وآله: إنّ الله تعالى يقضي كما يشاء ويحكم ما يريد، فإذا أراد الله إماتة عبد بأرض جعل له فيها حاجةً فيستاق إليها ويضطرّ إلى دخولها فيقبض روحه بها على موجب مراده، وهو الفعّال لما يريد، فينبغي أن يكون العبد في جميع الأحوال مستعدّاً للموت، في سفره وحضره وفي كلّ حال.

وروي أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله خرج يوماً إلى البقيع فوقف على قبر فقال: سبحان الله ولد هذا بالحبشة ودفن في تربته. قيل: وما تربته؟ قال عليه السلام: إنّ الأرض لمّا أخذ منها ما أخذ شكت إليه فوعدها أن يردّ إليها ما أخذ منها فليس من أحد إلّا ويدفن في تربته التي خلق منها.[٣]

وعن أبي سعيد الخدريّ قال: «مَرَّ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله بِجِنَازَةٍ وَضعتْ، فَقَالَ: [قَبْرُ] مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: فُلانٌ الْحَبَشِيُّ. فَقَالَ: لا إِلَهَ إِلّا اللهُ سِيقَ مِنْ أَرْضِهِ وَسَمَائِهِ إِلَى تُرْبَتِهِ الَّتِي خُلِقَ مِنْهَا»[٤].

وقال الشاعر:

إذا ما حمامُ المرءِ كانَ بِبَلدةٍ ... دَعَتْهُ إليها حَاجَةٌ أو تطرُّبُ[٥]

---

١ . مسند الشهاب: ٢٩٣/٢، ح١٣٨٨.

٢ . مسند الطيالسي: ١٨٨، ح١٣٢٥؛ مسند الشهاب: ٢٩٥/٢، ح١٣٩٤.

٣ . لم أقف على مصدره.

٤ . شعب الإيمان: ١٧٣/٧، ح٩٨٩١؛ فضائل الصحابة: ٣٦٠/١، ح٥٢٨؛ سبل الهدى والرشاد: ٣١٦/٣.

٥ . قاله أبو الشيص، راجع: محاضرات الأدباء: ٦٤٦/٢؛ المستطرف: ٥٧٥/٢.

وفائدة الحديث أنّ الله تعالى يقدّر ما يشاء كما يشاء، لا يسئل عمّا يفعل وهم يسألون، وهو الحكيم الخبير. وراوي الحديث أبو هريرة.

قوله صلى الله عليه وآله: إِذَا أَحَبَّ اللهُ عَبْداً حَمَاهُ الدُّنْيَا كَمَا يَظَلُّ أَحَدُكُمْ يَحْمِي سَقِيمَهُ الْمَاءَ

يقول صلى الله عليه وآله: إذا أحبّ الله تعالى عبداً ضيّق عليه المعاش في الدنيا حتّى يبسط فيها قمعاً لشهواته وتهويناً لحسابه وتخفيفاً عنه، كما أنّ من به الاستسقاء مثلاً يحميه أهله الماء الذي لا قدر له محافظةً عليه لا ضنّاً عليه، وإنّما يفعل الله تعالى بمن أكرمه من خلقه.

٤٩٨ وروي عن الصادق عليه السلام: إنّ الفقر خزانة *لا يملكها الله تعالى إلّا الخلّص من عباده،[١] أو كما قال عليه السلام.

وهذا كلّه تسلية للفقراء والمساكين عن الدنيا حتّى لا تضيق صدورهم إذا نظروا إلى تنعّم الظلمة.

وفائدة الحديث تطييب قلوب الفقراء وترغيبهم عن الدنيا. وراوي الحديث رافع بن خَديج.

قوله صلى الله عليه وآله: إِذَا اسْتَشَاطَ السُّلْطَانُ تَسَلَّطَ الشَّيْطَانُ

استشاط أي احتدم من الغضب والتهب، قال الأصمعيّ: «هو من قولهم: ناقة مشياط: إذا أسرع فيها السمن، واستشاط البعير: سمن»[٢]. وقال غيره: معناه تحرّق من شدّة الغضب يقال: شاط السمن إذا نضج حتّى كاد يحترق، وشيّطت الأكارع والرؤوس إذا اشتعلت فيها حتّى يتشيّط ما عليها من الشعر والصوف، والسلطان: الحاكم القاهر والوالي، والسلاطة:

---

١. لم أقف على مصدره.

٢. راجع: الصحاح: ١١٣٨/٣؛ أدب الكاتب: ٤٦.

القهر، وقد سلّطه الله فتسلّط عليهم، والاسم السلطة، والسلطان أيضاً الحجّة لقهرها القلب، وقد تقدّم القول في الشيطان.

يقول صلى الله عليه وآله: إذا غضب الوالي القاهر والتهب غضباً غلب هواه رأيه فلم يلح له وجه الصواب، فيسلّط عليه الشيطان ويأمره بكلّ قبيح ويسوّل له كلّ فاسد؛ فالأولى بالوالي وبكلّ إنسان أن يقرّر مع نفسه حالة الرضا أن لا يتجاوز إذا غضب ولا يقول ولا يتكلّم إلّا بذكر الله تعالى والاستعاذة به، لأنّه إذا غضب ظنّ الخطاء صواباً، وذلك لتغيّر رأيه الذي هو مستشاره، فالأولى أن يصمت حتّى يسكن؛ ولذلك قيل: إذا غضبت فاسكت؛ هذا في كلّ أحد فضلاً عن الوالي الذي له الحكم والقهر، فإنّه إذا ارتسم ما يأمره به دواعي الغضب لم يبق ولم يذر.

وفائدة الحديث أمر الولاة والحكّام بقَدْع[1] النفس عن الغضب وأمر كلّ راع حتّى الواحد من العوامّ لأنّه راع بقدر مكنته. وراوية الحديث عطيّة السعديّ.

قوله صلى الله عليه وآله: إذَا نَصَحَ الْعَبْدُ لِسَيِّدِهُ وَأَحْسَنَ عِبَادَةَ رَبِّهِ كَانَ الأجْرُ مَرَّتَيْنِ

يقول صلى الله عليه وآله: إذا نصح المملوك لمالكه وعبد الله تعالى من غير أن يشغله طاعة سيّده عن طاعة خالقه، وفى الأجر مرّتين: أجر على طاعة الله تعالى، وأجر على مناصحة السيّد الذي اشتراه؛ والنصح: احتياط في فعل أو قول فيه صلاح لحريف المحتاط، يقال: نصحت ونصحت له ـ والثانية أعلى ـ نُصْحاً ونَصَاحةً، والاسم النصيحة، والنصيح: الناصح، ويقال: للعسل الخالص الناصح وكلّ شيء خلص فقد نصح.

يقول صلى الله عليه وآله: إذا قام العبد بطاعة مالكه وعبادة خالقه أجّر أجرين اثنين.

---

١. القدْع: الكفّ والمنع.

٤٩٩

وروى أبو هريرة قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: *«عُرِضَ عَلَيَّ أَوَّلُ ثَلَاثَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، وَأَوَّلُ ثَلَاثَةٍ يَدْخُلُونَ النَّارَ، فَأَوَّلُ ثَلَاثَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ: فَالشَّهِيدُ، وَعَبْدٌ مَمْلُوكٌ لَمْ يَشْغَلْهُ رِقُّ الدُّنْيَا عَنْ طَاعَةِ اللهِ تعالى، وَفَقِيرٌ ذُو عِيَالٍ، وَأَوَّلُ ثَلَاثَةٍ يَدْخُلُونَ النَّارَ: فَأَمِيرٌ مُسَلَّطٌ، وَذُو ثَرْوَةٍ مِنْ مَالٍ لَا يُؤَدِّي [حَقَّ اللهِ فِي مَا] زَكاتَهُ، وَفَقِيرٌ مُختالٌ»[١].

وروى الحسن عن النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قال: يحاسب الله تعالى الناس يوم القيامة على حال ثلاثة نفر: يوسف وأيّوب وسليمان، فأوّل من يُدعى المملوك فيقول الربّ تعالى: ما شغلك عن عبادتي وطاعتي؟ فيقول: يا ربّ! جعلتني تحت يدي آدميّ فلم يفرّغني لذلك، فيدعو يوسف عليه السلام فيقول: هذا كان عبداً فلم يمنعه من طاعتي وعبادتي، اذهب فلا عذر لك فيؤمر به إلى النار؛ ثمّ يدعا بصاحب البلاء والمحنة فيقول له الربّ تعالى: ما شغلك عن عبادتي وطاعتي؟ فيقول: يا ربّ شغلتني البلاء، فيدعا أيّوب عليه السلام فيقول: قد ابتليتُ هذا بأشدّ من بلائك، فلم يمنعه ذلك عن عبادتي وطاعتي، اذهب فلا عذر لك، فيؤمر به إلى النار؛ ثمّ يدعا بالذي أعطاه الملك والغنى والسعة فيقول له: ما شغلك عن عبادتي وطاعتي؟ فيقول: يا ربّ قد أعطيتني وملّكتني فشغلني ذلك عن عبادتك وطاعتك، فيدعا سليمان عليه السلام فيقول: هذا سليمان أعطيته أكثر ممّا أعطيتك فلم يشغله ذلك عن عبادتي وطاعتي، اذهب فلا عذر لك فيؤمر به إلى النار.[٢]

وفائدة الحديث أمر المملوك بطاعة الملك مع توقير[٣] العبادة للخالق. وراوي الحديث عبد الله بن عمر.

---

١. راجع: مسند الطيالسي: ٣٣٤، ح٢٥٦٧؛ مسند أحمد: ٤٢٥/٢، ح٩٤٨٨؛ صحيح ابن خزيمة: ٨/٤، ح٢٢٤٩.

٢. راجع: التفسير الكبير: ١١٥/٢١؛ تفسير غرائب القرآن: ٤٣٧/٤؛ البداية والنهاية: ٢٢٦/٩.

٣. كذا في خ، ولعلّ الصواب: توفير.

قوله صلى الله عليه وآله: إِذَا تَقَارَبَ الزَّمَانُ انْتَقَى الْمَوْتُ خِيَارَ أُمَّتِي كَمَا يَنْتَقِي أَحَدُكُمْ خِيَارَ الرُّطَبِ مِنَ الطَّبَقِ

قوله عليه السلام: «تقارب الزمان» تقاصر ولم يبق إلى القيامة إلّا قليل، يقال: تقاربت إبل فلان أي قلّت وأدبرت، وكلّ شيء إذا ولّى وأدبر يقال له: تقارب، ويقال للقصير متقارب. قال:

أظنّ صَديقي من تقارب خطوه ... يعضّ القراد باسته وهو قائم[1]

البيت.

والمعنى: إذا كان آخر الزمان أعرى الموت بخيار الأمّة فليلتقطهم، كالتقاط الرطب إذا اختاره الآكل، وهذا من فعل الله تعالى، وذلك لأنّ الموت اختلفوا فيه في كونه عرضاً أم عبارة عن فقدان الحياة[2] ... كونه ذاتاً فضلاً عن شيء آخر كيف ينسب الفعل إليه، بل هو مجاز والفاعل لذلك الله ربّ العالمين ... الشرار وقلّة الخيار حتّى لا يبقى فيهم خير، فيقوم الساعة على شرار الناس؛ وذكر أنّ خيار الأمّة ... يموتون ويبقى الجهّال فيفتون بالجهل فيضلّون ويضلّون.

وفائدة الحديث إعلام أنّ في آخر الزمان ... *الخيار وتكثر الشرار. وراوي الحديث أبو هريرة. ٥٠٠

قوله صلى الله عليه وآله: إِذَا اشْتَكَى الْمُؤْمِنُ أَخْلَصَهُ ذَلِكَ مِنَ الذُّنُوبِ كَمَا يُخْلِصُ الْكِيرُ الْخَبَثَ مِنَ الْحَدِيدِ

الخبث: ما يتقّيه النار من الحديد وهو الحجر الذي يبقى فيه، فيقول صلى الله عليه وآله: إذا اشتكى المؤمن أي الْتَاثَ[3] جسمه من مرض جعله الله تعالى كفّارةً لذنوبه، فأخلصته تلك الشكوى

---

١. قاله أبو حاتم، راجع: الحيوان: ٤٤٠/٥؛ عيون الأخبار: ٥٤/٤؛ محاضرات الأدباء: ٣١٠/٢؛ في المصادر: تقارب شخصه.

٢. إصلاح النسخة تخلّل في النصّ في أربعة أسطر هنا ومحت عدّة عبارات يسيرة مع الأسف.

٣. أبطأ.

والالتياث من الذنوب كما يخلص الكير الذي يمدّ النار بالريح ويلهبها حتّى ينقى الحديد من الغشّ الذي يكون فيه رحمة من الله تعالى ورأفةً بعباده حتّى يبرؤوا طاهرين.

وهذا الحديث الآخر عن الله تعالى: أيّما عبد أبليته في الدنيا أبدلته لحماً خيراً من لحمه ودماً خيراً من دمه، قيل: وما ذاك اللحم والدم؟ قال: لحم لم يذنب ودم لم يذنب.[1] أو كما قال عليه السلام.

وفائدة الحديث إعلام أنّ الشكوى [الذي] ينزل بالعبد تمحيص للذنوب وتكفير للسيّئات. وراوية الحديث عائشة.

قوله صلى الله عليه وآله: إِذَا أَرَادَ اللهُ تَعَالَى إِنْفاذَ قَضائِهِ وقَدَرِهِ سَلَبَ ذَوِي العُقُولِ عُقولَهُمْ حَتَّى يَنْفَذَ فِيهِمْ قَضاءَهُ وقَدَرَهُ

يقول صلى الله عليه وآله: إذا أراد الله أن يمضي على عبده قضائه وحكمه وقدره الذي قدّر عليه أعمى بصيرته حتّى ينفذ فيه حكمه وتقديره، وذكر سلب العقول مجاز، فنحن نعلم أنّ الذي يخطئ على نفسه التدبير عاقل لم يزل عقله، ولو زال عقله زال تكليفه لكان غير ملوم، فلم يلام من يخطئ التدبير، فصحّ أنّه يسلبه رأيه ويذهله ويغفله، وإن كان لا يسلب عقله الذي هو يؤهّله للتكليف؛ وهذا كما قال ابن عبّاس رضي الله عنه: «إذا جاء القضاء عمي البصر»[2]، ونحن نعلم أنّ الحاسّة التي ترى لا تعمى بل البصيرة التي في القلب.

وقال الشاعر:

وإذا أرادَ اللهُ رحلةَ نعمةٍ عَن دَارِ قَومٍ اخطؤوا التَدبيرا[3]

---

١ . راجع: المستدرك: ١/٥٠٠، ح ١٢٩٠؛ حلية الأولياء: ٧/١١٧؛ شعب الإيمان: ٧/١٨٧، ح ٩٩٤٣؛ كنز العمّال: ١٥/٣٤٣، ح ٤٣٢٢٧.

٢ . راجع: معاني القرآن: ٥/١٢٣؛ أماليّ ابن سمعون: ٢/٢٢٩؛ تفسير القشيري: ٢/٤١٥.

٣ . قاله أبو عبد الله الضرير الأنبوردي، راجع: يتيمة الدهر: ٤/١٠٣.

وأخذ الحديث بعض المتأخّرين فنظمه فقال:

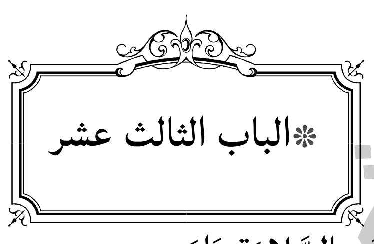
إِذَا أَرَادَ اللهُ أَمْــراً بِــامْرِئٍ وَكَـانَ ذَا رَأْيٍ وَعَقْلٍ وَبَصَرْ
أَغْرَاهُ بِالْجَهْلِ وَأَعْمَى قَلْبَهُ وَسَلَّهُ مِنْ رأيِهِ سَلَّ الشَّعَرْ
حَــتَّى إِذَا أَنْــفَذَ فِــيهِ أَمْـرَهُ رُدَّ إليــهِ [عَــقْلُهُ] لِيَــعْتَبِرْ[1]

ويقال: ما ابتلى الله قوماً بفتنة إلّا سلبهم عقولهم، فإذا أراد رفع الفتنة ردّ عليهم عقولهم ليعرفوا قبح ما كانوا عليه.

وروي في آخر الحديث: «ثمّ ردّ عليهم عقولهم ليعتبروا»[2].

وفائدة الحديث إعلام أنّ الله تعالى مقلّب القلوب والأبصار، إذا أراد الله إنفاذ قضائه وحكمه في ابن آدم أنفذه فيه كما لا يعلم كيف كان، ثمّ إذا مضى ذلك ردّ عليهم بصائرهم ليعتبروا ويعلموا أنّ [هم] ناقصون. وراوي الحديث عبد الله بن عمر بن الخطّاب.

١. قاله محمّد بن عبد الله بن إسماعيل، راجع: يتيمة الدهر: ٤٨٣/٤؛ شعب الإيمان: ٢٣٣/١، ح ٢٥١.
٢. راجع: الفردوس: ٢٥٠/١؛ الفتح الكبير: ٦٨/١؛ كنز العمّال: ٧٠/١، ح ٥٠٩.



الباب الثالث عشر

قوله ﷺ: كَفَى بِالسَّلامَةِ دَاءً

الباء في قوله ﷺ: «بالسلامة داء» زائدة والتقدير كفى السلامة، كقوله تعالى: «كَفَى بِاللهِ شَهيداً»[1]، أي كفى الله شهيداً، وهو أحد المواضع التي جاء فيه الجارّ والمجرور في موضع الرفع وهو عزيز جدّاً. و«داء» نصب على الحال وإن لم يكن جارياً على الفعل، وقيل: هو تمييز، وهذا الموضع لا يحتمل أكثر من هذه اللمحة.

يقول ﷺ: السلامة تكفي في قيامها مقام الداء، وذلك لأنّها إن دامت أدّت إلى الهرم وهو أصعب من كلّ علّة، فكأنّه ﷺ قال: كفتك السلامة كائنةً داءً.

وقد نظم هذا المعنى الشاعر، فقال:

أرَى البَصَر قَدْ رَابَني بعد صِحَّةٍ ... وَحَسْبُكَ داءً أن تَصِحَّ وتَسْلَمَا[2]

وقال الآخر:

وَدَعَوْتُ ربِّي بالسَّلامَةِ جَاهِداً ... ليُصِحَّني، فإذَا السَّلامَةُ دَاءُ[3]

---

١. النساء: ٧٩.

٢. قاله حميد بن ثور الهلالي، راجع: الحيوان: ٥٠٣/٦؛ البيان والتبيين: ٩٥؛ عيار الشعر: ٤٧؛ محاضرات الأدباء: ٣٩٦/٢.

٣. قاله النمر بن تولب، راجع: جمهرة اللغة: ٧٥؛ عيار الشعر: ١٣٢؛ محاضرات الأدباء: ٣٩٧/٢.

وقيل: إنّ السلامة داء، لمكان أنّ من دامت سلامته ولم يعاتب من جهة الله تعالى بتأديب وسقم دلّ ذلك على أنّ الله تعالى ساخط عليه، فكفى بذلك داءً، ولا يكون له يوم القيامة عوضاً.

ومثله: «إنّ اللهَ يبغضُ الْعَفْرِيَّةُ النَّفْرِيَّةُ»[١]. الحديث.

وروي عنه عليه السلام: لو لم يصيب ابن آدم إلّا الصحّة والسلامة لكفى بهما داءً.[٢]

وقال النمر بن تولب:

يَسُرُّ الفَتَى طُولُ السَّلامَةِ والغِنَى فَكَيْفَ تَرى طُولَ السَّلامَةِ تَفعَلُ[٣]

وروى عبد الله بن أياس الضمريّ قال: حدّثني جدّي قال: «كنت مع أبي جالساً فأقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وآله فقَالَ: مَنْ يُحِبُّ أَنْ يصحَّ فَلَا يَسْقَمُ؟ فَاسْتَبَقنَا، فَقُلْنَا: نَحْنُ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ عليه السلام: أَتُحِبُّونَ أَنْ تَكُونُوا مِثْلَ الْحُمُرِ الضَّالَّةِ، قالوا: لا، يا رسول الله! قَالَ عليه السلام: أَفَتُحِبُّونَ أَنْ تَكُونُوا أَصْحَابَ بَلَايَاء وَأَصْحَابَ كَفَّارَاتٍ؟ قَالُوا: بَلَى، يَا رَسُولَ اللهِ! قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ اللهَ يَبْتَلِي الْمُؤْمِنَ، وما يبتليه إلّا لكرامته[٤]، وإلّا لأنَّ لَهُ عندَ اللهِ مَنزلةً لا يَبلُغُهَا بِشَيءٍ مِنْ عَمَلِهِ دُونَ أنْ يَنزِلَ إِلَيهِ البَلاءُ مَا يَبلغهُ تِلكَ المنزلَةَ»[٥].

وفائدة الحديث إعلام أنّ البقاء في السلامة تكفي في التأدية إلى الداء ويكفي دليلاً على سخط الله تعالى. وراوي الحديث أنس بن مالك.

---

١. راجع: مسند الشهاب: ١٥٥/٢، ح١٠٨٦.

٢. راجع: العمر والشيب: ٦٢؛ محاضرات الأدباء: ٣٩٦/٢؛ تاريخ مدينة دمشق: ٢٧/١٥؛ كنز العمّال: ١٢٨/٣، ح٦٧٢٢.

٣. جمهرة أشعار العرب: ١٦٥؛ الحيوان: ٥٠٣/٦؛ عيار الشعر: ١٣٢؛ الأغاني: ٢٧٩/٢٢.

٤. في خ: لكرامة.

٥. التاريخ الكبير: ٢٦٦/٧؛ شرح نهج البلاغة: ١٤٨/١٨؛ المستطرف: ٥٦٠/٢؛ وراجع: المعجم الكبير: ٣٢٣/٢٢، ح٨١٣؛ كنز العمّال: ٢٩٩/٣، ح٨٦٤١.

قوله صلى الله عليه وآله: كَفَى بِالْمَوْتِ وَاعِظاً وَكَفَى بِالْيَقِينِ غِنىً وَكَفَى بِالْعِبَادَةِ شُغلاً

يقول صلى الله عليه وآله: كفى بالموت واعظاً، ولعمري أنّه كاف بينا نرى الفتى شاطراً خاطراً تترو به شرة شبابه، وتعجبه مباراة أترابه؛ يغبطه من رآه لتمامه وكماله وجدّته واقتباله غافصة الموت، فاختلسه من بين الأهلين والأصحاب واللذّات والأتراب، وأسكنه بيت التراب، واقتطعه من الحبائب والأحباب، لم ينصره إخوانه *إلّا بقطرات دموع قصاراها الانقطاع، ولم يغن عنه أعوانه بقيامٍ عاقبته الاضطجاع، فبقي مسكيناً وحيداً رهين عمله مقطوعاً عليه طريق أمله.

٥٠٢

وروي ابن الهاد قال: أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وآله يشكو جاراً له فقال: اصبر على أذاه واكفف. ثمّ أتاه بعد ذلك يشكو فقال له مثل ذلك، ثمّ أتاه فقال: يا رسول الله! إنّ الذي كنت أشكوه هلك، فقال صلى الله عليه وآله: كفى بالموت واعظاً وكفى بالموت مفرقاً.[1]

ثمّ قال عليه السلام: «كَفَى بِالْيَقِينِ غِنىً»، واليقين علم قطعيّ بعد الشكّ، ولذلك لا يقال لله تعالى موقن ويقال له عالم، لأنّ علمه عزّ وجلّ ليس عن شكّ. فيقول عليه السلام: كفاك من الغنى بيقينك بربّك، فإنّك بهذا اليقين والإقرار أغنى الأغنياء، لأنّه يتأدّى بك إلى بقاء الأبد في نعيم وسرور وبهجة وحبور وقصور وحور نزلاً من رحيم غفور، وفي الدنيا أيضاً لا يهملك بل يفتح عليك أبواب الرزق إذا توكّلت عليه وانقطعت إليه.

ثمّ قال عليه السلام: «كَفَى بِالْعِبَادَةِ شُغلاً»، يعني أنّها هي الشغل الذي خلقت له لينال بها السعادة الأبديّة والنعمة السرمديّة، فتكفيك العبادة عوضاً عن كلّ شغل فَالْهَ عن جميعها وعليك بها، فإنّها المقصود، ومتغاطبها[2] المحسود.

وفائدة الحديث إعلام أنّ الموت يغني عن كلّ وعظ، واليقين يغنيك عن الطلب في الدنيا

---

١. مسند الحارث: ٨٥٤/٢، ح٩٠٨؛ عمل اليوم والليلة: ٥١١، ح ٥٦٠؛ وراجع: دعوات الراوندي: ٢٤٠، ح٦٧٣؛ بحار الأنوار: ١٥٣/٧١، ح١٥.

٢. كذا في خ، ولعلّ الصواب: ومغتبطها.

والعقبى، وأنّ العبادة حسبك من شغل الدنيا. وراوي الحديث عمّار بن ياسر رضي الله عنه.

قوله صلى الله عليه وآله: كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْماً أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقوتُ

الأشهر في «كفى» أن يليه الفاعل، كما تقدّم من قوله تعالى: «وَكَفَى بِاللهِ شَهِيداً»[1]؛ وقد يليه المفعول كما في الحديث، لأنّ التقدير: كفى المرءَ إثماً تضييعه من يقوت؛ فـ«إثماً» نصب تمييز، ويجوز أن يكون مفعول ثانٍ، لأنّ «كفى» يتعدّي إلى مفعولين اثنين، كقولك: «كفاك الله أذى زيد». و«الباء» أيضاً زائدة كما كانت لمّا دخلت في الفاعل.

يقول صلى الله عليه وآله: يكفي المرءَ من الإثم تضييعه من لا كادّ ولا كاسب له سواه فيبقى ضايعاً مهملاً، ولعلّ الله تعالى أنّما كان يوسّع عليه لمكان قيامه بشغل هذا المقوت.

وقال عبد الله: «كسب الرجل على عياله إذا كانوا محتاجين إلى كسبه لا أعلم شيئاً يعدله ولا الجهاد في سبيل الله»[2].

وفائدة الحديث تعظيم حرمة العيال وتحذير من يضيّع عياله. وراوي الحديث عبد الله بن عمرو [بن] العاص.

قوله صلى الله عليه وآله: كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْماً أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ

هذا تحذير من الشروع في كلّ ما يسمع، والباطل أكثر مُحالاً في الأفواه، وأكثر ما يقال ما لا يجوز الشروع فيهم وينبغي للرجل ❊الفطن العاقل أن يزن كلامه بميزان العقل فيما يسمع [٥٠٣] فإن كان له أن يعيده أو كان كلاماً فيه فائدة أعاده وإلّا تصامّ عنه[3]، وربّما كان ما يعاد ويحدّث به ممّا فيه فساد عظيم وفتق لا يمكن رتقه.

---

١. النساء: ٧٩.

٢. لم أقف على مصدره.

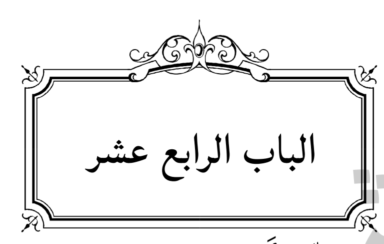
٣. في خ: تصامم عنه، وتصامّ عنه: أرى من نفسه صاحبه أنّه أصمّ، وليس به.

وفائدة الحديث الأمر بالتصوّن وحفظ المجالس وأداء الأمانة فيها. وهو كقوله عليه السلام: «بِئْسَ مَطِيَّةُ الرَّجُلِ زَعَمُوا». وراوي الحديث حفص بن عاصم.

قوله صلى الله عليه وآله: كَفَى بِالْمَرْءِ سَعَادَةً أَنْ يُوثَقَ بِهِ فِي أَمْرِ دِينِهِ وَدُنْيَاهُ

يصف صلى الله عليه وآله الأمانة وفضلها، فيقول: كفى المرء سعادةً أن يكون أميناً في أمر الدنيا لا يكون ولا يستحيل ما ليس له، وفي أمور دينه بأن يحفظ ما يستودع مثلاً ويقوم بشرائط الديانة في ذلك؛ ويحتمل أن يراد العالم بأمور الدين والدنيا الذي هو موثوق به فيما يأخذ ويذر ويفتي ويقول.

وفائدة الحديث تثبيت سعادة الأمين في أمور دينه ودنياه. وراوي الحديث أنس بن مالك.



الباب الرابع عشر

قوله صلى الله عليه وآله: رُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ

الوعي: الحفظ في الأصل، قال الله تعالى: «وَتَعِيَهَا أُذُنٌ واعِيَةٌ»[1]، والوعي هنا الحفظ والعمل بالمحفوظ.

وروي عن أبي أمامة الباهليّ: «لَا يُعَذِّبُ اللهُ قَلْباً وَعَى بِالْقُرْآنِ»[2].

قال ابن الأنباريّ: «عقل القرآن إيماناً به وعمل، فأمّا من حفظ ألفاظه وضيّع حدوده فإنّه غير واعٍ له»[3].

ويدلّ على ذلك حديث أمير المؤمنين عليه السلام في شأن الخوارج: «يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ»[4].

فيقول صلى الله عليه وآله: ربّ من يحمل العلم وهو عامل بعلمه إلى من ليس كذلك فيضيّعه، ويؤول

---

١. الحاقّة: ١٢.

٢. مصنّف ابن أبي شيبة: ١٣٣/٦، ح٣٠٠٧٩؛ سنن الدارمي: ٥٢٤/٢، ح٣٣١٩؛ كنز العمّال: ٢٥٨/١، ح٢٢٧١.

٣. غريب الحديث لابن الجوزي: ٤٧٧/٢؛ النهاية: ٢٠٧/٥؛ تاج العروس: ٢١٢/٤.

٤. المجازات النبويّة: ٣٥٥؛ وعن رسول الله صلى الله عليه وآله، راجع: مسند أحمد: ٩١/١، ح٧٠٦؛ صحيح البخاري: ١٩٢٨/٤، ح٤٧٧١.

هذا المعنى ـ والله أعلم ورسوله ـ إلى النهي عن تعليم من ليس له بأهل لئلّا يضيّع العلم.

وفائدة الحديث أنّه قد يحمل العلم من هو أقوم به إلى من ليس يعمل به. وراوي الحديث أبو بكرة.

قوله ﷺ: رُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ

هذا الحديث بالعكس من الذي قبله، فيقول ﷺ: قد يحمل الحامل الذي لا يحيط بمحموله إلى من هو أعلم به منه ويستفيد هذا السامع المحمول إليه منه ما لم يستفيده الحامل، وهذا مثل ما حمله آحاد الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ من الكلمة المجرّدة في العلم والفقه إلى التابعين ـ رحمة الله عليهم ـ واستضاؤوا بنورها وجعلوها قدوةً في الحكم من الأحكام وفي الحلال والحرام.

وتمام هذه الكلمة: أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَامَ بِالْخَيْفِ مِنْ مِنًى، [فَقَالَ:] نَضَّرَ اللهُ عَبْداً [أ]سمعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا، ثُمَّ أَدَّاهَا إِلَى مَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ [لا فِقْهَ لَهُ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ] *إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ»[1]. ٥٠٤

قوله ﷺ: «نضر الله» رواه الأصمعيّ بالتشديد ورواه أبو عبيد بالتخفيف أراد نعّم الله عبداً، ومعناه الذي له بريق ورفيف نعمته.

وفائدة الحديث إعلام أنّه يروى من لا يعرف إلّا مجرّد لفظ الحديث لمن يعرف وجوهه ومحامله. وراوي الحديث جبير بن مطعم.

قوله ﷺ: رُبَّ حَامِلِ حِكْمَةٍ إِلَى مَنْ هُوَ لَهَا أَوْعَى مِنْهُ

«الحكمة» الكلمة يحكم بها أمر من أمور الدين والدنيا، وهذا كالذي قبله سواء.

فيقول ﷺ: ربّ حكمة لا ينتفع بها من ينقلها إلى من يلتقطها ويعمل بها ويسعد

---

١. مسند أحمد: ٤/٨٠، ح ١٦٧٨٤؛ سنن الدارمي: ١/٨٦، ح ٢٢٨.

بمكانها.

وتمام هذه الكلمة: «نَضَّرَ اللهُ عَبْداً سَمِعَ كَلامِي ثمَّ لَمْ يَزِدْ فِيهِ، رُبَّ حَامِلِ حِكْمَةٍ إِلَى مَنْ هُوَ لَهَا أَوْعَى مِنْهُ، ثَلاثٌ لا يَغُلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُؤْمِنٍ: إِخْلاصُ الْعَمَلِ للهِ، وَالْمُنَاصَحَةُ لِوِلاةِ الأَمْرِ، وَالاعْتِصَامُ بِجَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنَّ دَعْوَتَهُمْ تُحِيطُ مَنْ وَرَاءَهُمْ»[1]. لا يغلّ بفتح الياء من الغلّ وهو الضغن والحقد. يقول: لا يدخل قلبه حقد يزيله من الحقّ ويزلّه عن الصواب، و«لا يغلّ» من الإغلال الذي هو الخيانة. والمعنى: أنّ هذه الخلال الثلاث ممّا لا يخالج فيها القلب ريب.

وكان أبو أسامة جنادة بن محمّد الأزديّ اللغويّ[2] يرويه: «لا يغلّ» من الوغول وهو الدخول في الشرّ، قال: وقلّما يقال: وغل في الخير.

وفائدة الحديث أنّه قد يحتمل الحكمة غير الحكيم فيحكم بها من يسمع. وراوي الحديث معاذ بن جبل.

قوله صلّى الله عليه وآله: أَلا رُبَّ نَفْسٍ طَاعِمَةٍ نَاعِمَةٍ فِي الدُّنْيَا جَائِعَةٍ عَارِيَةٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَلا رُبَّ نَفْسٍ جَائِعَةٍ عَارِيَةٍ فِي الدُّنْيَا طَاعِمَةٍ نَاعِمَةٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَلا رُبَّ مُكْرِمٍ لِنَفْسِهِ وَهُوَ لَهَا مُهِينٌ، أَلا رُبَّ مُهِينٍ لِنَفْسِهِ وَهُوَ لَهَا مُكْرِمٌ

وتمام الحديث: «أَلا يَا رُبَّ مُتَخَوِّضٍ وَمُتَنَعِّمٍ فِيمَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مَا لَهُ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى مِنْ خَلاقٍ، أَلا وَإِنَّ عَمَلَ الْجَنَّةِ حَزْنَةٌ بِرَبْوَةٍ، أَلا وَإِنَّ عَمَلَ النَّارِ سَهْلَةٌ بِشَهْوَةٍ، أَلا [يَا] رُبَّ

١. مسند الشاميّين: ٢٦٠/٣، ح ٢٢١٠؛ المعجم الكبير: ٨٢/٢٠، ح ١٥٥؛ مسند الشهاب: ٣٠٧/٢، ح ١٤٢٢؛ كنز العمّال: ١٢٨/١٠، ح ٢٩٤٦٦.

٢. راجع: وفيات الأعيان: ٣٧٢/١.

شَهْوَةَ سَاعَةٍ أَوْرَثَتْ حُزْناً طَوِيلاً»[١].

ولو لم يكن في هذا الكتاب إلّا هذه الموعظة لكانت كافيةً ناهيةً عن الدنيا والتلبّس بها فيها وداعيةً إلى أمور الآخرة والتمسّك بها.

فيقول صلى الله عليه وآله: ربّ طاعم ناعم في الدنيا تؤول عاقبته إلى فقر يوم القيامة، وبالعكس؛ ثمّ قال: ألا ربّ مهين لنفسه وهو في تلك الإهانة لها مكرم أي يبتدلها في الطاعة والعمل الصالح، وبالعكس؛ وربّ متبحبح في مال الفيء الذي هو للنبيّ صلى الله عليه وآله يأكل ويشرب وينفق كما يشاء، ولا نصيب له يوم القيامة، والخلاق: النصيب الوافر من الخير؛ وقد تقدّم القول في الحزنة ٥٠٥ *والربوة والسهوة.[٢]

ثمّ قال عليه السلام: «أَلا رُبَّ شَهْوَةَ سَاعَةٍ أَوْرَثَتْ حُزْناً طَوِيلاً»، وصدق صلى الله عليه وآله، فقد يرتكب الإنسان الشيء العظيم بشهوة ساعة زمانيّة فتورثه الحزن الدائم وتعقبه الهمّ الملازم إمّا في الدنيا وإمّا في الآخرة، وإنّما كان غرضه الذي رماه حقير شهوة لا قدر لها.

وقد روي لهذا الحديث سبب وقصّة وهو أنّه أصاب النبيّ صلى الله عليه وآله جوع فوضع الحجر على ذلك ثمّ قال ذلك.[٣]

وفائدة الحديث ظاهرة وهي الوعظ الأخذ بمجامع القلوب المحرق للحبوب. وراوي الحديث أبو البُجَيْر وكان من أصحاب النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ورضي عنهم ـ؛ [وتمام الحديث]: ألا ربّ ساعة أورثت حزناً طويلاً.[٤]

قوله صلى الله عليه وآله: رُبَّ قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إِلَّا السَّهَرُ وَرُبَّ

١. الطبقات الكبرى: ٤٢٣/٧؛ مسند الشهاب: ٣٠٨/٢، ح١٤٢٣؛ كنز العمّال: ٣٧٢/١٥، ح٤٣٥٠٢.

٢. تقدّم في ج٢، ص ٧٥٥ في شرح حديث: «ألا إنّ عمل الجنّة حزن بربوة».

٣. راجع: مسند الشهاب: ٣٠٨/٢، ح١٤٢٣.

٤. كذا في خ.

صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الْجُوعُ وَالْعَطَشِ

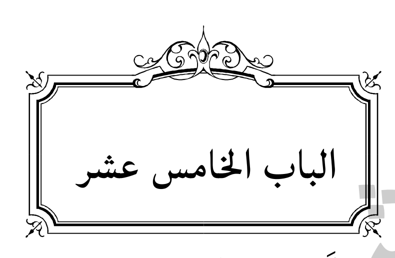
هذا يجوز أن يكون إشارة إلى أنّه لا يعرف الله تعالى فيفعل ما يفعل عادةً ومَرِناً، ويجوز أن يراءي بذلك فلا فائدة له فيه؛ وقد تقدّم الكلام في الرياء وأنّ الله تعالى لا يقبل من العمل إلّا الخالص الذي يقرب منه إليه.

وفائدة الحديث إعلام أنّه لا يغني العمل من دون المعرفة والإخلاص. وراوي الحديث ابن عمر.

قوله ﷺ: رُبَّ طاعِمٍ شاكِرٍ أَعْظَمُ أَجْراً مِنْ صائِمٍ صابِرٍ

يقول ﷺ: ربّ عبد لله تعالى يأكل الطعام ويشكر الله تعالى أعظم أجراً من صائم يصوم بالمال الحرام ويفطر على الحرام، أو يصوم رياءً وسمعةً، فالطاعم الشاكر خير منه بكثير.

وفائدة الحديث إعلام أنّ من يأكل طعامه الحلال ويشكر الله عليه خير من الصائم بالمال الحرام والمراءي بصومه أو الذي يصوم ولا يعرف شروطه وفقهه. وراوي الحديث أبو هريرة.



الباب الخامس عشر

قوله صلى الله عليه وآله : لَوْ لا أَنَّ السُّوَّالَ يَكْذِبُونَ مَا قُدِّسَ مَنْ رَدَّهُمْ

السوّال جمع سائل، وأصل السوّال الهمز لأنّ الهمزة عين الفعل إلّا أنّ الضمّة التي على السين يتقاضى التخفيف بقلبها إلى الواو وكلّ حسن، والقلب أخفّ على اللسان. والتقديس: التطهير، والقدس: الطهارة.

يقول صلى الله عليه وآله: لو لا أنّ في السوّال من يكذب بأن يقول: ورائي عائلة وأنا لم أفطر منذ ثلاث وقطع على الطريق، وأمثال ذلك، لما طهّر الله من الذنوب من يردّهم ولا يعطيهم إلّا قليلاً. وقد استفتاني بعض هؤلاء المكذّبين: ما لم أكذب لم أعط، أفيجوز أن أقول شيئاً من ذلك؟ قلت: لا تفحّص لي وجهاً، قلت: يا عبد الله تريد أن تكذب *بوجه شرعيّ ولا وجه. ٥٠٦

وأمر السوّال صعب، ولذلك قال عليه السلام: «لِلسَّائِلِ حَقٌّ وَلَوْ جَاءَ عَلَى فَرَسٍ»[1].

و«لَا تَرُدُّوا السَّائِلَ وَلَوْ بِظِلْفٍ مُحْرَقٍ»[2].

وقال عيسى عليه السلام: من ردّ سائلاً خائباً لم تغش الملائكة بيته سبعة أيّام،[3] أو كما قال.

---

١ . مسند ابن أبي شيبة: ٢٩١/٢، ح ٧٨٩؛ مسند أحمد: ٢٠١/١، ح ١٧٣٠.

٢ . مصنّف عبد الرزّاق: ٩٤/١١، ح ٢٠٠١٩؛ مسند أحمد: ٤٣٥/٦، ح ٢٧٤١٩؛ مسند الشهاب: ٨٣/٢ ح ٩٣٢.

٣ . ربيع الأبرار ونصوص الأخيار: ٢٨٩/٢، ح ٢٤٨؛ شرح نهج البلاغة: ٩٥/١٩؛ المستطرف: ٢٥/١.

وقال عمر: «ردّوا السائل بوقار ولين أو بردّ جميل، فإنّه قد يأتكم من ليس بإنسيّ ولا جنّيّ ينظرون كيف صنيعكم فيما خوّلكم الله تعالى»[١].

وقال ابن المبارك: أوّل ما انتبه الحبيب العجميّ أنّه اشترى سمكة بمكّة ونصب قدره فجاءه سائل فردّه فتحوّلت القدر دماً عبيطاً، فاتّعظ وأعطى ماله؛ وكان يقول: إذا رأى السائل جاء الغسّالون يغسلون ذنوبنا.[٢]

وكان الفضيل يقول: نعم القوم السوّال! يحملون أوزارنا إلى الآخرة.[٣]

وكان للنبيّ صلى الله عليه وآله خصلتان لا يَكِلُهُما إلى غيره: كان يناول المسكين بيده، وكان يضع طهوره بالليل ويخمّره.[٤]

وقال عليه السلام: للسائل أجران: أجر لأخذه الصدقة وأجر لأنّه في مقام الذلّ.[٥]

وفائدة الحديث التحذير من ردّ السائل [و]إعلام أنّه لو لا أنّ فيهم من يكذب لما غفر الله تعالى لمن يردّهم، لكنّ فيهم من يكذب في احتياجه والمسؤول ربّما ظنّ أنّه هو يغنيه. وراوية الحديث عائشة.

قوله صلى الله عليه وآله: لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيراً

يقول صلى الله عليه وآله: لو علمتم ما أعلم من أحوال النار وأهوالها وسلاسلها وأغلالها وشدّة

١. تفسير الثعلبي: ٢٦١/٢؛ تفسير القرطبي: ٣١٠/٣.

٢. لم أقف على مصدره.

٣. في المصادر عن إبراهيم بن أدهم، راجع: نثر الدرّ: ١٤٠/٤؛ تفسير الثعلبي: ٢٣٠/١٠؛ حلية الأولياء: ٣٢/٨.

٤. مصنّف ابن أبي شيبة: ١٧٨/١، ح٢٠٤٥ و٤٢٣/٢، ح١٠٦٥٥؛ وراجع: الطبقات الكبرى: ٣٦٩/١.

٥. لم أقف على مصدره.

الحساب وصعوبة العذاب لما ضحكتم ولشغلكم الخوف عن الضحك.

وقوله عليه السلام: «لضحكتم قليلاً» معناه: لم تضحكوا، ويجيء مثل هذا في كلامهم كثير، ويجوز أن يكون عليه السلام أراد به القليل من الضحك الذي يكون عند العجب من الأمر فنهاهم عنه. «ولبكيتم كثيراً» من خشية الله تعالى حتّى ينجيكم بفضله.

وقد روي في غير هذه الرواية: «وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعُدَاتِ تَجْأَرُونَ»[١]. والصعدات: جمع صعيد وهو الفلاة من الأرض، وتجأرون: تضجّون.

وفائدة الحديث النهي عن الضحك الكثير خاصّةً والأمر بالبكاء من خشية الله، وقد تقدّم الكلام في البكاء. وراوي الحديث أبو هريرة.

قوله صلّى الله عليه وآله: لَوْ تَعْلَمُ الْبَهَائِمُ مِنَ الموْتِ مَا يَعْلَمُ ابنُ آدَمَ مَا أَكَلْتُمْ سَمِيناً

في الحديث استزادة من بني آدم وإعلام أنّ البهائم لو كان لها عقل لكانت أضبط منهم، وذلك لأنّها ليست بمكلّفة عاقلة، ولو علمت بالموت لم تأكل ولم تشرب وكانت تهزل؛ وابن آدم يأكل ويشرب ويعلم أنّه غداً ميّت؛ وفيه تعبير به بالقصور عن البهائم في هذه الخلّة خاصّةً. فعليك أيّها العاقل بالانتباه من سنة الغفلة، فإنّ هذا الخطاب لك.

٥٠٧ وفائدة الحديث إعلام أنّ البهائم الخرس لو علمت الموت لما سمنت بالرتوع * في المراتع ولأمسكت عن الرعي. وراوية الحديث أمّ صبية الجهنيّة.

قوله صلّى الله عليه وآله: لَوْ رَأَيْتُمُ الْأَجَلَ وَمَسِيرَهُ لأَبْغَضْتُمُ الْأَمَلَ وَغُرُورَه

الأجل: الوقت، وهو كناية عن الوقت الذي يقبض فيه الإنسان، ثمّ يسمّى الموت أجلاً

١. مصنّف ابن أبي شيبة: ١٢٣/٧، ح ٣٤٦٨٢؛ مسند عبد بن حميد: ١٠٠/١، ح ٢١٠.

لمكان أنّه في الأجل.

فيقول صلى الله عليه وآله: لو نظرتم إلى الموت وتسارعه في التوجّه إليكم حاثّاً مبادراً لسلوتم عن الدنيا وما فيها من الآمال والأحوال؛ ولم تغرّوا بالتسويف المهلك الذي يبطئ بالعبادة من تسويل الشيطان.

وفائدة الحديث النهي عن الاغترار بالدنيا والاستناد إلى قاعدة تأميلها. وراوي الحديث خارجة بن زيد بن ثابت، وتمامه: «وَمَا مِنْ أَهْلِ بَيْتٍ إلّا وَمَلَكُ الْمَوْتِ يَتَعَاهَدُهُمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ مَرَّةً، فَمَنْ وَجَدَ[هُ] قَدِ انْقَضَى أَجَلُهُ قَبَضَ رُوحَهُ، فَإِذَا بَكَى أَهْلُهُ وَجَزَعُوا، قَالَ: لِمَ تَبْكُونَ وَلِمَ تَجْزَعُونَ؟! فَوَاللهِ مَا نَقَصْتُ لَكُمْ عُمْراً وَلا حَبَسْتُ لَكُمْ رِزْقاً، وَمَالِي مِنْ ذَنْبٍ، وَلِي إِلَيْكُمْ عَوْدَةٌ ثُمَّ عَوْدَةٌ»[1].

قوله صلى الله عليه وآله: لَوْ كَانَ الْمُؤْمِنُ فِي جُحْرِ فَأْرَةٍ لَقَيَّضَ اللهُ لَهُ فِيهِ مَنْ يُؤْذِيهُ

هذا مثل، يعني صلى الله عليه وآله أنّ المؤمن في دار الدنيا لا يخلو من مؤذٍ إمّا حاسد أو باغ أو جار سوء أو ظالم أو غاصب أو متطاول عليه من غير موجب أو كاذب يكذب عليه أو مقبح عليه فعله وإن كان حسناً، فلمّا كان في دار الدنيا التي هي ملك الله تعالى وكان المؤذي من خلقه تعالى جعله مقيّضاً له ـ والتقييض: الإتاحة والتسبيب ـ، فعليه بالصبر والمقاساة، فإنّ انتظار الفرج بالصبر عبادة.

وفائدة الحديث إعلام أنّه لا بدّ للمؤمن في دار الدنيا من الأذى والأمر بالصبر. وراوي الحديث أمير المؤمنين عليه السلام.

قوله صلى الله عليه وآله: لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا

١ . مسند الشهاب: ٣١٥/٢، ح١٤٣٦؛ كنز العمّال: ٢٣٤/١٥، ح٤٢١٣٣.

سَقَى كَافِراً مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ

تزن من وازنته فوزنته زِنَةً أي غلبته بالوزن. والمعنى: لو كانت الدنيا من حيث القدر والقيمة في ملك الله تعالى يقع في مقابله جناح بعوضة لم يسق الكافر منها شربة ماء، لأنّه لا يستحقّ، ولكنّ الدنيا لا قدر لها عند الله تعالى يأكل منها البرّ والفاجر؛ وهذا بالنظر إلى الدنيا مضافةً إلى مقدوره تعالى، وإلّا فمن حيث هي مزرعة الآخرة ولا تقتني الآخرة إلّا فيها، فقدرها عظيم وبلاؤها جسيم، ولذلك منّ الله تعالى بها على عباده وهو غنيّ عنها وعن غيرها لا حاجة له بتّةً، وإنّما خلقها لتدريج[1] الخلق بالطاعة والمعصية إلى الجنّة والنار.

وفائدة الحديث تقليل قدر الدنيا مقيسةً إلى ملك الله تعالى وإلى نعيم الجنّة، وفيه أنّ الكافر *لا قيمة له. وراوي الحديث عبد الله بن عمر بن الخطّاب. ٥٠٨

قوله ﷺ: لَوْ أَنَّ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ لابْتَغَى إِلَيْهِمَا ثَالِثاً، وَلا يَمْلأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلّا التُّرَابُ وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ تَابَ

يصف ﷺ ابن آدم وحرصه وتهالكه على الدنيا، فيقول: [لو كان] للآدميّ واديان من صنوف الأموال لما رضى بهما مالاً وأراد أن يستضيف إليهما وادياً آخر.

ثمّ قال ﷺ: ولا يملأ جوف ابن آدم إلّا التراب، يعني تراب القبر .

وقد حكى لي بعض الناس، قال: رأيت تاجراً معه مال كثير في بعض الفلوات فقطع عليه الطريق وضرب ضربةً على بطنه أخرجت حشوته فجعل يحشوه بالتراب قال: فقلت له: ماذا تصنع؟ قال: أملأه بالتراب حتّى يشبع. قال: وكان له مال كثير فأغاروا عليه وذهبوا به ومات حزيناً سليباً.

---

١ . درّجه إلى كذا: أدناه منه بالتدريج.

وروى هذا الحديث على هذا الوجه أنس بن مالك، ورواه أبو واقد الليثيّ أنّ رسول الله ﷺ قال: «قال الله تعالى: إنّا أَنْزَلْنا الْمالَ لإِقامَةِ الصَّلاةِ، وَإِيتاءِ الزَّكاةِ، وَلَوْ كانَ لابْنِ آدَمَ وادٍ لأَحَبَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ وادِيانِ، وَلَوْ كانَ لَهُ وادِيانِ لأَحَبَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ ثالِثٌ، وَلا يَمْلأُ بَطْنَ ابْنِ آدَمَ إِلّا التُّرابُ، وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ تابَ»[1].

وفائدة الحديث القناعة والرضا والتسليم والنهي عن الحرص وطول الأمل. وراوي الحديث أنس بن مالك.

قوله ﷺ: لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَما يَرْزُقُ الطَّيْرَ تَغْدُو خِماصاً وَتَرُوحُ بِطاناً

«خماصاً» جمع خميص وهو ضامر البطن من قلّة الطعام ومن خفّة الخلقة، و«البطان» جمع بطين وهو أنّ الشبعان الذي ملأ بطنه.

يقول ﷺ: لو توكّلتم يا بني آدم! على الله تعالى كما ينبغي أن يتوكّل عليه وأسندتم ظهوركم إليه واعتمدتم عليه، لرزقكم من غير تعب ونصب كما يرزق الطير، ما لها ملك ولا عقار ولا ذهب ولا فضّة، يأكلن من بَيْدَر[2] الرحمان أي بستان لا خراج عليهنّ ولا تقسيط ولا توزيع؛ ولكنّكم لسوء ظنّكم تُسِؤون ظنونكم ولا تعتمدون على كرم ربّكم.

وفائدة الحديث التحديث بقلّة توكّل بني آدم وحرصهم وسوء ظنّهم. وراوي الحديث عمر بن الخطّاب.

قوله ﷺ: لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَجاءَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ

---

١. مسند أحمد: ٢١٨/٥، ح٢١٩٥٦؛ المعجم الكبير: ٢٤٨/٣، ح٣٣٠٣؛ مسند الشهاب: ٣١٨/٢، ح١٤٤٢.

٢. الموضع الذي يداس فيه الطعام، مجمع الطعام.

فَيَغْفِرَ لَهُمْ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ

هذه غاية كرم الله عَجَلّ ؛ يقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : لو كنتم يا بني آدم! معصومين من الذنوب والخطايا لا تلمّون بشيء منها، لأتى الله تعالى ٥٠٩ *بقوم آخرين يذنبون فيغفر لهم حتّى تبيّن فضله ومغفرته ورحمته؛ فسبحان من هذا تحنّنه وتعطّفه على عباده العاصين. واعلم أنّ من هلك مع سعة رحمة الله تعالى شق.

وروي عن الحسن البصريّ: «ليس العجب ممّن هلك كيف هلك، إنّما العجب ممّن نجا كيف نجا»[١]. فسمعه سيّد العابدين عليّ بن الحسين عليهما السلام فقال: ليس العجب ممّن نجا كيف نجا إنّما العجب ممّن هلك كيف هلك مع كثرة الدلالات ووفور البيّنات[٢].

وفائدة الحديث إعلام أنّه عَجَلّ يغفر الذنوب، ولو لم يذنب بنو آدم لخلق خلقاً آخرين يذنبون فيرحمهم ليبيّن فضله. وراوي الحديث عبد الله بن عمر.

قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَخَشِيتُ عَلَيْكُمْ مَا هُوَ أَشَدُّ مِنْ ذَلِكَ، الْعُجْبَ! العُجْبَ!

بيّن صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بذلك أنّ العجب أشدّ من الذنب، وهو الإعجاب بما يعمله، ولعمري أنّه لقبيح، ومن ابن آدم وما عمله حتّى يظنّ أنّه عمل شيئاً، حاشى الأنبياء والأولياء والأئمّة، فإنّ أفعالهم مصونة من شوب الكدر، ومع ذلك فإنّهم لا يعتدّون بها ولا يظنّونها أعمالاً.

فيقول: لو لم يذنب ابن آدم لأعجب بنفسه، ومن حيث لم يذنب وقع فيما هو شرّ من ذنب وهو العجب؛ ومن كلام إبليس: ابن آدم أنّه إذا ظنّ أنّه تخلّص منّي واحترز كلّ الاحتراز

---

١ . راجع: حلية الأولياء: ٧٢/٣؛ إحياء علوم الدين: ١٧٨/٤؛ وراجع: إعلام الورى: ٤٨٩/١؛ بحار الأنوار: ١٥٣/٧٥، ح١٧.

٢ . لم أقف عليه في المصادر.

وقع في حبالتي قيل: وكيف ذلك؟ قال: إنّه إذا فعل ذلك وقع في العجب ويكفني منه ذلك.[1]

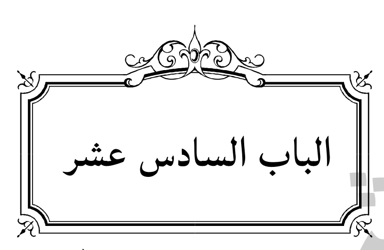
وإنّما كرّر لفظ العجب لعظم موقعه من الذنب وسخط الله تعالى.

وروي: أنّ بعض المخانيث قال ـ ولا تنظر إلى من قال، وانظر إلى ما قال ـ: لأن ألقى الله تعالى عاجزاً مسكيناً مستحياً بائساً أحبّ إلى أن ألقاه مدلّاً بأنّي عَبَدتُه وأخلصته.

وفائدة الحديث إعلام أنّه إن لم يذنب ابن آدم أعجب بنفسه فوقع في عين ما فرّ منه.

وراوي الحديث أنس بن مالك.

١. لم أقف عليه في المصادر.



الباب السادس عشر

يتضمّن كلمات رويت عن رسول الله صلى الله عليه وآله عن ربّه تعالى ذكره وجلّت قدرته

قوله عزّ وجلّ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدي بِي وَأَنا مَعَ عَبْدِي إِذَا ذَكَرَنِي

هذا إشارة إلى أنّه عزّ وعلا أكرم الأكرمين، فيقول ربّنا تبارك وتعالى: كذا يقتضي أن لا يخيب ظنّ عبدي بي، وأنا أولى من حقّق ظنّ الآملين؛ والظنّ معنىً يقوى عند من حلّ فيه أنّ ما تناوله هذا المعنى على ما تناوله مع تجويزه أن يكون على خلافه، فينبغي أن يكون العبد حسن الظنّ برحمة ربّه عزّ وجلّ مع إبقاء عبادته. وكان يحيى عليه السلام إذا لقي عيسى عليه السلام عبس وإذا لقيه عيسى قال له: تلقاني كأنّك آيس، فقال يحيى: تلقاني كأنّك آمن؛ فأوحى الله تعالى إليهما أنّ أحبّكما إليّ أحسنكما ظنّاً بي.[1] [٥١٠]

وقوله ـ عزّ وعلا ـ: «أنا مع عبدي» أي بالشفقة والرحمة والمغفرة كلّما ذكرني، وقال تعالى: «فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ» [2].

١. راجع: نثر الدرّ: ٥/٧؛ محاضرات الأدباء: ٤٢٢/٢؛ شرح نهج البلاغة: ٢٠٣/٦؛ المستطرف: ٥٠٤/٢.

٢. البقرة: ١٥٢.

ويقول الله ــ عزّ وعلا ــ: «فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ، [هُمْ] خَيْرٌ مِنْهُمْ، وَإِنْ اقْتَرَبَ إِلَيَّ شِبْراً اقْتَرَبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعاً، وَإِنْ اقْتَرَبَ إِلَيَّ ذِرَاعاً اقْتَرَبْتُ إِلَيْهِ بَاعاً، وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً»[1].

والإقراب لا يتصوّر في حقّه ــ عزّ وعلا ــ بل هو المبرّة والإجابة والخطوة، ومعنى الهرولة الإسراع في الإجابة. وقوله ــ عزّ وعلا ــ: في نفسي تقربت، ونفسه ذاته ــ عزّ وعلا ــ.

وقال أبو سليمان الداريّ: «إنّ للجنّة قيعاناً، فإذا أخذ الذاكر في الذكر أخذت الملائكة في غرس الأشجار، فربّما يقف بعض الملائكة فقال لهم: لم وقفتم؟ فيقولون: فتّر صاحبها»[2].

وعلى الجملة فحسن الظنّ إنّما يجدي مع حسن العمل، وإلّا الذي يجمع الذنوب على نفسه بعضها على بعض يقول: إنّي حسن الظنّ بالله يستهزئ بنفسه، وأخافه أن يكون هذا الظنّ من الذي ذكره الله ــ عزّ وعلا ــ: «وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْداكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخاسِرينَ» [3]، نعوذ بالله ونلوذ بكرمه وعفوه.

ومعنى الكلام ــ والله أعلم ــ: الأمر بحسن الظنّ مع العمل الصالح والأمر بذكره عزّ وعلا. وراويه أبو هريرة.

قوله تعالى وتقدّس: وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ

يقول عزّ وعلا: أوجبت محبّتي لمن أحبّ أخاه المؤمن لمحبّتي، ولمن جالس أخاه المؤمن لرضاي، ولمن أعطى أخاه المؤمن لأجلي، ولمن زار أخاه المؤمن خالصةً لوجهي؛ فهؤلاء

---

١. أماليّ السيّد المرتضى: ٦/٢؛ مستدرك الوسائل: ٢٩٨/٥، ح٥٩١٠؛ وراجع: مسند أحمد: ٢٥١/٢، ح٧٤١٦؛ صحيح البخاري: ٢٦٩٤/٦، ح٦٩٧٠.

٢. راجع: الرسالة القشيريّة: ٢٥٩/١؛ وراجع: أماليّ الطوسي: ٤٧٤، ح١٠٣٦.

٣. فصّلت: ٢٣.

أحبّتي من الخلق، أحبّهم وأغفر لهم وأدخلهم الجنّة؛ وذلك أنّ هذه الأفعال وقعت منهم تقرّباً إليّ، فأنا أعود عليهم بالرحمة والغفران.

وروى أبو هريرة عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ عُمُداً مِنْ يَاقُوتٍ، عَلَيْهَا غُرَفٌ مِنْ زَبَرْجَدٍ، لَهَا أَبْوَابٌ مُفَتَّحَةٌ، تُضِيءُ كَمَا يُضِيءُ الْكَوْكَبُ[1] الدُّرِّيُّ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! مَنْ يَسْكُنُهَا؟ قَالَ: الْمُتَحَابُّونَ فِي اللهِ، وَالْمُتَجَالِسُونَ فِي اللهِ، والمتصافون[2] فِي اللهِ»[3].

وقال عليه السلام عن ربّه تعالى: «حُقَّتْ مَحَبَّتِي لِلَّذِينَ يَتَحَابُّونَ مِنْ أَجْلِي، وَحُقَّتْ مَحَبَّتِي لِلَّذِينَ يَتَنَاصَرُونَ مِنْ أَجْلِي، وَحُقَّتْ مَحَبَّتِي لِلَّذِينَ يَتَبَاذَلُونَ مِنْ أَجْلِي»[4].

وقال عليه السلام: «يَضَعُ اللهُ تعالى يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، فَيُجْلِسُهُمْ عَلَيْهَا وَيَجْعَلُ وُجُوهَهُمْ نُوراً * وَثِيَابَهُمْ نُوراً، يَفْزَعُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَفْزَعُونَ، وَهُمْ: أَوْلِيَاءَ اللهِ الذينَ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ»[5]. [٥١١]

وقال عليه السلام: «إِذَا عَادَ الْمُسْلِمُ أَخَاهُ أَوْ زَارَهُ، قَالَ اللهُ تعالى: طِبْتَ وَطَابَ مَمْشَاكَ وَتَبَوَّأْتَ مَنْزِلاً فِي الْجَنَّةِ»[6].

وقال عليه السلام: «يقول الله تعالى: أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ فِيَّ الْيَوْمَ؟ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي»[7].

ومعنى الكلام الأمر بالتصادق والتجالس والتباذل والتزاور، وكلّ ذلك إحرازاً لرضا ربّ

---

١. كذا في المصادر، وفي خ: الكواكب.

٢. في خ: والمتلاقون.

٣. مسند عبد بن حميد: ١/٤١٨، ح١٤٣٢؛ مسند البزار: ١٥/٢٨٢، ح٨٧٧٦؛ شعب الإيمان: ٦/٤٨٧، ح٩٠٠٢.

٤. الزهد لابن المبارك: ١/٢٥٠، ح٧١٦؛ مسند أحمد: ٤/٣٨٦، ح١٩٤٥٧؛ كنز العمّال: ٩/٩، ح٢٤٧١٣.

٥. الزهد لابن المبارك: ١/٢٤٩، ح٧١٤؛ مسند أحمد: ٥/٣٤٣، ح٢٢٩٥٧.

٦. الزهد لابن المبارك: ١/٢٤٦، ح٧٠٨؛ مسند أحمد: ٢/٣٤٤، ح٨٥١٧.

٧. موطأ مالك: ٢/٩٥٢، ح١٧٠٨؛ مسند أحمد: ٢/٢٣٧، ح٧٢٣٠.

العالمين. وراويه[١] معاذ بن جبل.

قوله عزّ وعلا : لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ حِصْنِي فَمَنْ دَخَلَهُ أَمِنَ عَذَابِي

معناه ـ والله أعلم ـ: إنّ كلمة الشهادة أمان من العذاب، وهو أنّ العبد إذا أقرّ بالله تعالى مخلصاً فقد تفصّى من الكفر، وإذا أخلص من الشرك بالله كان بالحريّ أن يؤمنه الله تعالى من عذابه.

وجاء في الحديث: «مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ»[٢].

وقد قال الله تعالى: «إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ ما دُونَ ذٰلِكَ لِمَنْ يَشاءُ»[٣].

وكلمة التوحيد تدلّ على التزام جميع الشريعة، لأنّها كالعنوان لها وكالمفتاح لبابها، فقد علمت بذلك أنّ الغرض بذلك الإقرار بجميع أركان الإسلام.

وفي الحديث: «مَن قَالَ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ صَعِدَتْ فَلا يَرُدُّهَا حِجَابٌ، حتّى تصل إِلَى اللهِ ﷻ فَإِذَا وَصَلَتْ نَظَرَ اللهُ إِلَيها وَحَقٌّ عَلَى اللهِ أَنْ لا يَنْظُرَ إِلَى مُوَحِّدٍ إِلّا رَحِمَهُ»[٤].

وقال عليه السلام: لا إله إلّا الله مِجَنُّ الإسلام، والمجنّ إذا لم يكن وثيقاً نفذ السهم فيه، وكلّ سهم جاوز المجنّ قتل صاحب المجنّ.

وروى أبو عمر غلام ثعلب: أنّ جاريةً من جواري زبيدة رأتها في المنام بعد موتها فقالت: ما فعل الله بك؟ قالت: رحمني وغفرلي، قالت: أفسفقاتك[٥] في طريق مكّة؟ قالت: لا، رجع المال كلّه إلى أصحابه، قالت: فقلت لها: فبأيّ شيء غفر لك؟ قالت: بكلمات كنت

١ . زاد في خ: الحديث، والصواب أنّه زائد.

٢ . أماليّ الصدوق: ٦٣٣، ح٨٤٨؛ بحار الأنوار: ٢٣٢/٧٨، ح٦؛ وراجع: سنن أبي داود: ١٩٠/٣، ح٣١١٦؛ مسند الشاشي: ٢٧٠/٣، ح١٣٧٢.

٣ . النساء: ٤٨.

٤ . تاريخ بغداد: ٣٩٤/١١؛ كنز العمّال: ٤٤/١، ح١٨١.

٥ . جمع السفقة وهي الصفقة والعقد.

أقولهنّ وهنّ في ربعتي؛ قالت: فانتبهت فدعوت بالربعة، فإذا برقعةٍ فيها مكتوب: لا إله إلّا الله أرضى بها ربّي لا إله إلّا الله ألقى بها ربّي، لا إله إلّا الله أونس بها قبري، لا إله إلّا الله أفني بها عمري.[١]

وكان بعض من يدخل على السلاطين ذكر لصديق له أنّه كلّما دخل على صاحبه يقع عليه الرعدة، فقال: إذا دخلتَ عليه ووقعت عينك على عينه فقل: ولا يسمعك أطفأت غضبك يا فلان، ويسمّيه بلا إله إلّا الله، ففعلت ذلك وكان يبسطني ويلاطفني، فذكرت ذلك لمن علّمنيه، فقال: كأنّك مجنون، أما علمت أنّ لا إله الّا الله تطفئ غضب الربّ تعالى، فكيف غضب آدميّ.

٥١٢ ومعنى الكلام ـ والله أعلم ـ: إنّي أرحم من آمن بي *ووحّدني وارتسم أوامري ونواهيّ. وراويه عليّ بن موسى الرضا عن أبيه عن آبائه عليهم السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

قوله عزّ وجلّ: اشْتَدَّ غَضَبِي عَلَى مَنْ ظَلَمَ مَنْ لا يَجِدُ نَاصِراً غَيْرِي

الغضب إذا وصف به الله تعالى كان معناه الانتقام دون غيره.

يقول تبارك وتعالى: الخلق كلّهم عبيدي ولا أظلمهم، فلا أرضي أن يظلمهم غيري، وأنا شديد الانتقام ممّن ظلم من غيري من لا يجد ناصراً غيري، فأنا أتوحّد بنصرته وأنتقم من ظالمه، والله عزيز ذو انتقام وإذا ظُلم الضعيف كان الله تعالى هو المتولّي للانتقام له، لأنّه هو الذي مكّنه من الظلم، فهو ينتصر له إمّا عاجلاً وإمّا آجلاً؛ وظلم من لا ناصر له أعظم وقعاً وأقبح صورةً وأوخم مَغَبّةً وأشنع عاقبةً.

ومعنى الكلام النهي عن الظلم وخاصّةً عن ظلم الضعيف الذي لا ناصر له. وراويه أمير المؤمنين عليه السلام.

١. إحياء علوم الدين: ٥٠٨/٤؛ نزهة المجالس: ٢٢/١.

قوله عزّ وجلّ : يَا دُنْيَا مُرِّي ـ وقيل: أمرّي أصحّ ـــ عَلَى أولِيائي، وَلا تَحْلَوْلِي لَهُمْ فَتَفْتِنِيهِمْ

مَرَّ الشيء يَمَرُّ وأَمَرّهم إذا صاروا مُرّاً، وقد مررت يا صبر تمرّ مرارةً وقد قيل: مرّ يمرّ على فعَل يفعُل والصحيح الأوّل.

هذا الكلام تصبير وتسلية للضعفاء من عباد الله الصالحين؛ كان الله تعالى يقول لهم: يا عبادي! لا تكترثوا من الفقر، فإنّي أمّرت الدنيا أن يمرّ عليكم ويستوحش منكم، ولا تذيقكم حلاوتها ونعيمها لأذخر ذلك كلّه في دار أبقى من هذه وعمر لا منتهى له ودوام لا آخر له.

يقول تعالى: لم أذخر حلاوة الدنيا عنكم لهوانكم عليّ، بل ذلك لإعزازكم وإكرامكم حتّى لا تتخلّطوا بأوساخ الدنيا وترغبوا في حطامها وتفتتنوا بحلاوتها الزائلة عن قليل، وقد ادّخرت لكم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

ومعنى الكلام والله أعلم الأمر بالصبر والتسلية عن الضرورة. وراويه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

قوله جلّ ذكره : يَا دُنْيَا اخْدُمِي مَنْ خَدَمَنِي وَأَتْعِبِي بِإِذْنِي مَنْ خَدَمَكِ

هذا الكلام في غير سبيل الكلام الذي قبله، كأنّه تعزية للفقراء الصالحين عن الدنيا ونعيمها ولذّاتها وشهواتها وتطييب لقلوبهم، يقول: يا عبادي! لا يحزنكم ما أنتم فيه من الفاقة والحاجة فإنّي أمرت الدنيا أن تخدمنّكم وتذر عليكم بقدر حاجتكم، فهي وإن زويتها عنكم كالخادمة لكم لا تضنّ عليكم بمقدار ما أنتم إليه محتاجون، وما سوى ذلك فأنتم عنه مستغنون، وادّخرت لكم نعيم الأبد فهو لكم على الرصد.

وفحوى الكلام ــ والله أعلم ــ إعلام الخلق أنّ من أطاع الله عزّ وجلّ ساق إليه رزقه ❊من ٥١٣

غير أن يتّجر في طلبه ويتعنّى بسببه. وراويه عبد الله بن مسعود الهدليّ رضي الله عنه.

قوله ـ علت كلمته ـ: مَنْ أَهَانَ لِي وَلِيّاً قَدْ بَارَزَنِي بِالْمُحَارَبَةِ وَمَا رُددْتُ فِي شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ مِثْلُ مَا رُددْتُ فِي قَبْضِ رُوحِ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ وَلا بُدَّ لَهُ مِنْهُ وَمَا تَقرّبَ إِلَيَّ عَبْدِي الْمُؤمِنَ بِمِثْلِ الزُّهْدِ فِي الدُّنيَا وَلا تَعَبَّدَ لِي بِمِثْلِ أداءِ مَا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ

اشتقاق الوليّ من الولي القرب فإذا وصف الله تعالى به كقول يوسف عليه السلام: «أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ» [١] فالمعنى قرب الرحمة، وإذا وصف به الخلق فالمعنى القرب من رضا الله تعالى. وقال ابن الأعرابيّ: «الوليّ التابع المحبّ» [٢]، وقوله عزّ وجلّ: «ما رددت في شيء أنا فاعله»، وروي: «تردّدت» [٣] هو أشهر إلّا أنّ في نسخة المسند «رددت» وكأنّه من ردّ ما يفعله ـ عزّ وعلا ـ أي ما رددت فعلي وأمري كردّي قبض روح عبدي، فأمّا التردّد فهو التوقّف والتحيّر؛ وكلّ ذلك مجاز والتقدير: لو كنت ممّن يردّ الأمر الذي يفعله أو يتوقّف في فعله وأمره لكان ذلك الأمر والفعل ردّ قبض روح العبد المؤمن يكره الموت وأكره مساءته.

يقول: لا أريد أن يساء في أمر من الأمور على الإطلاق، ولكنّ لا بدّ من قطع التكليف ليصحّ وصول الثواب إليه، ويكون التردّد من باب قوله: «وَإِنَّ مِنْها لَما يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ» [٤]، أي لو كانت حيّةً ومكلّفةً يقول تبارك وتعالى: من أهان وليّاً من أوليائي وأحبّائي وعبادي المخلصين فقد كشف وجهه لمحاربتي. وذكر ـ عزّ وعلا ـ ذلك تعظيماً لإهانة أولياء الله.

---

١ . يوسف: ١٠١.

٢ . تهذيب اللغة: ٣٢٢/١٥؛ لسان العرب: ٤١١/١٥.

٣ . راجع: حلية الأولياء: ٣١٨/٨؛ الفردوس: ١٦٨/٣، ح ٤٤٤٥.

٤ . البقرة: ٧٤.

والمبارزة من البروز: الظهور، وهو أن يتظاهرا ويتكاشفا في المحاربة.

و«ما تردّدت في شيء كتردّدي في قبض روح العبد المؤمن»، وهذا تعظيم شأن العبد المؤمن، والمجاز في كلام العرب مزيّن لمخاطباتهم حتّى لو خلا الكلام من المجاز لبقي مغسولاً، وإنّما الفصاحة في المجاز.

ثمّ قال تعالى: «مَا تَقرّبَ إلَيَّ عَبْدِي الْمُؤمِنَ بِمِثْلِ الزُّهْدِ فِي الدُّنيَا» يقول عزّ وعلا : لم يتقرّب العبد إليّ ولم يقرّب من رحمتي بمثل الزهد في الدنيا والرغبة عنها، وذلك أنّ فعل الدنيا وفعل الآخرة ضرّتان لا يجتمعان، فإذا زهد في الدنيا فقد رغب في الآخرة وتقرّب من الله تعالى.

ثمّ قال عزّوعلا : «وَلَا تَعَبَّدَ لِي بِمِثْلِ [أداءِ] مَا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ»، يعني ـ والله أعلم ـ تعظيم أمر الفرائض المفروضة والعبادات الموقّتة، ولا شكّ أنّ ثواب الفرائض أعظم وأجلّ من ثواب النوافل والسنن.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «لا نافلة لمن أضرّ بالفريضة»[1].

ومعنى الكلام ـ والله أعلم ـ تعظيم المؤمنين وعزّتهم *على الله ومكانتهم عنده، وتعظيم أمر الزهد في الدنيا وأداء الفرائض التي افترضها الله تعالى على عباده. وراويه أنس بن مالك.

514

قوله تبارك اسمه : يَا مُوسَى لَمْ يَتَصَنَّعِ الْمُتَصَنِّعونَ لِي بِمِثْلِ الزُّهْدِ فِي الدُّنيَا وَلَمْ يَتَقَرَّب إلَيَّ الْمُتَقَرِّبونَ بِمِثْلِ الْوَرَعِ عَمَّا حرَّمْتُ عَلَيْهِمْ وَلَمْ يَتَعَبَّدِ الْمُتَعَبِّدونَ بِمِثْلِ البُكاءِ مِنْ خيفَتِي

التصنّع: تكلّف حسن السيرة والسمت، ويقال: تصنّعت المرأة: إذا تكلّفت في التزيّن، وكأنّ معناه تكلّف العبادة. فيقول عزّ وعلا : ما تكلّف العبد عبادةً أفضل من الزهد في الدنيا، فارفضها يا ابن آدم! وأنت المزيّن الظريف فكأنّ ترك الدنيا أفضل العبادات النوافل.

١ . لم أقف على مصدره .

ثمّ قال ﷻ: «وَلَمْ يَتَقَرَّب [إلَيَّ] الْمُتَقَرِّبونَ بِمِثْلِ الْوَرَعِ عَمَّا حرَّمْتُ عَلَيْهِمْ»، والمعنى: أفضل التقرّب التورّع عن المناهي والمحارم. والمعنى: إذا تباعد من المحارم قرب من رحمتي وصار لي وليّاً.

ثمّ قال عزّ وعلا: «وَلَمْ يَتَعَبَّدِ الْمُتَعَبِّدونَ بِمِثْلِ الْبُكاءِ مِنْ خيفَتِي»، والبكاء: غاية التضرّع، فكأنّه عرض العجز على الله تعالى وهو نهاية الخشوع وفرط الخضوع. وقد تقدّم الكلام في البكاء وفضله، [1] وإنّ القطرة مع الدمع لتطفئ البحور من النار.

ومعنى الكلام والله أعلم: إنّه لا تكلّف في العبادة مثل الزهد ولا تقرّب مثل الورع ولا تعبّد مثل البكاء من خيفة الله، والتعبّد تكلّف العبادة وهو حثّ على هذه الطاعات. وراويه عبد الله بن عبّاس، قال: «قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إنَّ اللهَ تَعَالَى نَادَى [2] مُوسَى عليه السلام بِمِئَةِ أَلْفٍ وَأَرْبَعِينَ [أَلْفَ] كَلِمَةٍ [وَصَايَا كُلُّهَا]، فَكَانَ فِيمَا نَاجَاهُ أَنْ قَالَ» [3] وذكر الكلام.

قوله جلّت عظمته: هَذَا دِينٌ ارْتَضَيْتُهُ لِنَفْسِي وَلَنْ يُصْلِحَهُ إِلَّا السَّخَاءُ وَحُسْنُ الْخُلُقِ فَأَكْرِمُوهُ بِهِمَا مَا صَحِبْتُمُوهُ

يقول: الإسلام دين ختمتُ به الأديان وارتضيت ما رسمت فيه من العبادات والشرائع لنفسي، ولا يكاد يصلح هذا الدين المرتضى إلّا بالخلّتين المرضيّتين: السخاء والبذل بقدر الوسع، وحسن الخلق مع عبادي؛ ثمّ أمر وقال: الزموا هذا الدين بهذين العمودين أي الفعلين مدّة صحبتكم له أي مدّة بقائكم ولبثكم في دار الدنيا.

ومعنى الكلام ـ والله أعلم ـ: تعظيم أمر الإسلام والأمر بالسخاء والكرم وحسن الخلق. وراويه جابر بن عبد الله.

---

١. تقدّم في ج١، ص ٢٧٦.

٢. كذا في المصادر، وفي خ: ناجى.

٣. المعجم الكبير: ١٢/١٢٠، ح١٢٦٥٠؛ مسند الشهاب: ٢/٣٢٨، ح١٤٥٨.

قوله جلّ ثناؤه : إِذَا وُجِّهَت إِلَى عَبْدٍ مِنْ عَبِيدِي مُصِيبَةٌ فِي بَدَنِهِ أَوْ وَلَدِهِ ثُمَّ اسْتَقْبَلَ ذَلِكَ بِصَبْرٍ جَمِيلٍ اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنْ أَنْصِبَ لَهُ مِيزَاناً وَأَنْشُرَ لَهُ دِيوَاناً

يقول ـ عزّ وعلا ـ: إذا ابتليتُ عبداً لي بمصيبة أو نازلة في بدنه أو ماله أو ولده ثمّ سلّم *الأمر ولم يجزع وأحسن الصبر مستقبلاً به المصيبة استحييت أي لم أرض ـ وهو مجاز لا يجوز على الله حقيقة وقد تقدّم القول فيه ـ «أَنْ أَنْصِبَ لَهُ مِيزَاناً» أي أن أحاسبه أو «أَنْشُرَ لَهُ دِيوَاناً» فأعرض أعماله عليه، بل أرحمه وأتجاوزه وأدخله الجنّة بفضلي من غير مناقشة حساب. والصبر عظيم الموقع في العبادات، وقد ذكر الله تعالى الحسنة بعشر أمثالها إلى سبع مائة ضعف الصبر؛

٥١٥

فإنّه عزّ وعلا قال: «إِنَّما يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسابٍ»[1].

وقال ـ عزّ وعلا ـ: «وَجَعَلْنا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا لَمَّا صَبَرُوا»[2].

وقال تعالى: «إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ»[3].

وقال تعالى: «سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِما صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ»[4].

وقال ـ جلّ وعلا ـ: «وَجَزاهُمْ بِما صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً»[5].

وقال مالك بن دينار: «كانت امرأة تختلف إلى مجلس فقالت لي ذات يوم: ماذا يعطي الله الصابرين، فجعلت أعدّ عليها. فقالت: تعال معي، فأدخلتني بيتاً فيه أعمى أشلّ أصمّ

---

١. الزمر: ١٠.

٢. السجدة: ٢٤.

٣. البقرة: ١٥٣.

٤. الرعد: ٢٤.

٥. الإنسان: ١٢.

كاللحم على الباريّة[١] فقالت: هذا والله أخدمه ولا أشكو. قلت: وهل خطر ببالك عاقبته؟ قالت: نعم، فقلت: لست من الصابرين، فشهقت شهقةً فماتت، فدفنتها، ورأيتها في المنام على سرير وعليها ثياب حرير، فقالت: يا مالك بن دينار! آيستني من الباب، فدخلت من غير علم الحُجّاب[٢]»[٣].

وقال الشاعر:

ومـا يـغني التـأوّه إذ تـولّى	وهـل مـا فـات مـرتجع بـآه
فـإقراراً وتـسليماً وصـبراً	عـلى مـا كـان مـن قـدر الإله[٤]

ومعنى الكلام ـ والله أعلم ـ: الحثّ على الصبر في المصيبة والنازلة تنزل. وإعلام أنّ ثوابه مسامحة الحساب. وراويه أنس بن مالك.

قوله تعالى جدّه: الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِداً مِنْهُمَا أَلْقَيْتُهُ فِي النَّارِ

وروي: «فَمَنْ نَازَعَنِي فِي شَيْءٍ مِنْهُمَا قَصَمْتُهُ»[٥].

والكبرياء: الملك والعلوّ عن أن تنقاد، ووزنها فعلياء، والكبرياء والكبر مقاربان بأنّ الكبر لا يحسن بأحد غير الله تعالى وذلك لأنّه يحسن بمن له الخلق والأمر ويكون أصول النعم منه، فأمّا الآدميّ الذي يحيى ويموت ويصحّ ويسقم فهو أخسّ وأحقر من أن يسع الكبر؛ والعظمة هي الكبرياء؛ وذكر الرداء والإزار مثل، والمرجع بذلك إلى الصفة كما يقال:

---

١. الحصير الخشن.

٢. جمع الحاجب.

٣. لم أقف على مصدره.

٤. لم أقف على مصدره.

٥. قوت القلوب: ٤٣٩/١؛ المستدرك: ١٢٩/١، ح٢٠٣؛ تفسير القرطبي: ٤٧/١٨.

فلان شعاره الخير ودثاره الصلاح.

وروي عن النبيّ ﷺ: «يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مثل الذَّرِّ فِي صُوَرِ الرجالِ، يَعْلُوهُمْ كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الصَّغَارِ»[1]. وقد تقدّم الكلام في التكبّر.[2]

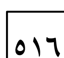
ومعنى الكلام النهي عن التكبّر. وراويه أبو هريرة.

١. مصنّف ابن أبي شيبة: ٣٢٩/٥، ح٢٦٥٨٢؛ مسند أحمد: ١٧٩/٢، ح٦٦٧٧؛ الفردوس: ٤٧٩/٥، ح٨٨٢١.

٢. تقدّم في ج١، ص ٢٩٠.



الباب السابع عشر
وهو باب الدعاء



٥١٦

***قوله صلى الله عليه وآله: اللّٰهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لا يَنْفَعُ وَقَلْبٍ لا يَخْشَعُ وَدُعَاءٍ لا يُسْمَعُ وَنَفْسٍ لا تَشْبَعُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَؤُلاءِ الْأَرْبَعِ**

تعوّذ صلى الله عليه وآله بالله جلّ جلاله من العلم الذي لا ينفع ولا يجرّ إلى العمل فيصير وبالاً على صاحبه ولو لم يكن لكان خيراً له، ويجوز أن يكون إشارة إلى علوم لا طائل فيها ممّا يخالف الشرع والدين.

ثمّ قال عليه السلام: «وقلب لا يخشع»، والقلب الذي لا تخشع كالصخرة التي لا تلين لا اعتبار بها، ألا ترى إلى قوله تعالى: «أنا عند المنكسرة قلوبهم».

ثمّ قال عليه السلام: «ودعاء لا يسمع» يعني الدعاء الذي لا يسمع من الإخلاص فيردّ على وجه صاحبه ولا يستجاب.

وسئل النبيّ صلى الله عليه وآله: أيّ الساعات أسمع؟ فقال عليه السلام: «جوف الليل الأخْيَر»[١] أي أخلق

١. في المصادر: «الآخر»، راجع: مسند أحمد: ١١١/٤، ح١٧٠٥٩؛ مسند الشاميّين: ٣١/٢؛ الدعاء للطبراني: ٥٨، ح١٢٩؛ كنز العمّال: ٣٢٣/٧، ح٢١٣٩٦.

للدعاء وأرجاء للإجابة.

ثمّ قال عليه السلام: «أعوذ بك من شرّ هؤلاء الأربع» فاستعاذ بالله تعالى منها، وإنّما قال: «الأربع» ولم يقل الأربعة، لأنّ العلم في معنى المعرفة، والقلب جارحة على الجملة وآلة، والدعاء في معنى الدعوة، والنفس مؤنّثة؛ أو أراد هذه الأدوات، والله أعلم. وراويه أنس بن مالك قال: «كانَ هَذا مِنْ دُعَاءِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله»[1].

قوله صلى الله عليه وآله: اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ أَوْ أُضِلَّ أَوْ أَذِلَّ أَوْ أُذِلَّ أَوْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ أَوْ أَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ

قوله عليه السلام: «اللّهمّ» قال سيبويه: أصل اسم الله تعالى لاهٌ ولاه يليه لَيْهاً إذا تستّر أدخلت عليه الألف واللام فجرى مجرى الاسم العلم كالحسن والعبّاس ويخالف الأعلام من حيث كان صفة.[2] وقال غيره: أصله إلاه من قولك: أله يأله إلاهةً: عبد، فدخل عليه الألف واللام وحذفت الهمزة تخفيفاً لكثرة تردّده في الكلام وقطعت الهمزة في النداء للزومها تفخيماً لهذا الاسم و تخصيصاً، ولذالك قال تعالى: «هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً»[3]، وقيل: قطعت الهمزة لأنّه ينوي الوقف على حرف النداء. وقيل: هو من وله يَوْلَه وَلهاً ووَلَهاناً إذا تحيّر، وذلك لأنّ الخلق متحيّرون في عظمته، فكلّهم يوله إليه، فأصله ولاه فأبدلت من الواو والهمزة مثل وجاج إجاج للستر. واللّهمّ معناه: يا الله، فأبدل من حرف النداء في أوّله الميان وخصّ ذلك بدعاء الله تعالى، وربّما يجتمع البدل والمبدل منه. قال:

إنِّي إذا مـــا حَـــدثٌ أَلَمَّا ... أقول: يا اللَّهمَّ يا اللهُمَّا[4]

---

١ . مسند الشهاب: ٣٣٢/٢، ح١٤٦٦.

٢ . راجع: الصحاح: ٢٤٢٨/٦.

٣ . مريم: ٦٥.

٤ . المقتضب: ٢٤٢/٤؛ سرّ صناعة العرب: ٤١٩/١؛ الحماسة البصريّة: ٤٣١/٢.

وقيل: هو يا الله آمنّا بالخير فركّبا.

٥١٧ وهذا شوط بطين، استعاذ عليه السلام بالله عزّ وجلّ من الضلال والإضلال، وإذا روي: «أَضَلّ» فالمعنى: أن يضلّني الشيطان وغيره من المضلّين والمعنى بذلك طلب التوفيق من الله عزّ وجلّ.

ثمّ قال عليه السلام: «أَوْ أَذِلَّ أَوْ أُذِلَّ» عاذ عليه السلام بالله تعالى من الذلّ ومن أن يذلّه غيره.

ثمّ قال عليه السلام: «أَوْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ» واستعاذه من أن يَظلم غيره أو أن يُظلمه غيره.

ثمّ قال عليه السلام: أن[1] أجهل أو يجهل غيره.

وكلّ ذلك طلب التوفيق من الله تعالى، ومعناه الالتجاء إلى الله تعالى في جميع الحالات. وراويته أمّ سلمة ـ رضي الله عنها ـ قالت: «مَا خَرَجَ رَسُولُ اللهِ صلّى الله عليه وآله مِنْ بَيْتِي صَبَاحاً إلّا رَفَعَ بَصَرَهُ إِلَى السَّمَاءِ، وَقَالَ ذلك»[2].

قوله صلّى الله عليه وآله: اللّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ تَعْجِيلَ عَافِيَتِكَ وَصَبْراً عَلَى بَلِيَّتِكَ وَخُرُوجاً مِنَ الدُّنْيَا إِلَى رَحْمَتِكَ

البليّة والبلوى والبلاء واحد وهو ما يمتحن به الإنسان، وأصل البلاء الاختبار بالخير والشرّ، يقال: بلاه الله بلاءً وأبلاه إبلاءً حسناً. وقال زُهير: «فأبلاهما خير البلاء الذي يبلوا»[3]، أي خير الصنيع الذي يختبر به عباده، فأمّا البليّة والبلوى فهما للشرّ ويقال للغمّ البلاء، وذكر أنّه قيل له ذلك لأنّه يبلي الجسم يعني أنّه من البلى.

فيقول صلّى الله عليه وآله: اللّهمّ إنّي أسألك أن تجعل لي العافية وتصبّرني على ما أبليتني به وأن تخرجني من الدنيا إلى الرحمة والمغفرة. وراويه أنس بن مالك، قال: «دَخَلَ رَسُولُ اللهِ صلّى الله عليه وآله عَلَى أمير المؤمنين عليه السلام وَهُوَ شَاكٍ، فَقَالَ لَهُ: اللهُمَّ ... »[4] الدعاء إلى آخره.

١. كذا في المصادر، وفي خ: أن.

٢. مسند الشهاب: ٣٣٣/٢، ح ١٤٦٩.

٣. أدب الكاتب: ٢٥٩؛ الزاهر في معاني كلمات الناس: ٢٤٦/١؛ الكشّاف: ٥٠٨/٢؛ ديوانه: ٢٣.

٤. مسند الشهاب: ٣٣٣/٢، ح ١٤٧٠.

قوله صلى الله عليه وآله: اللّهُمَّ خِرْ لِي وَاخْتَرْ لِي

يقال: استخار الله العبد فخار له بخير خِيَراً أي طلب الخير منه فأعطاه، واختار أخصّ من «خار»، وكذلك الافتعال فيه اختصاص ليس في الفعل، يقال: «قطع» وهو عامّ و«اقتطع» إذا قطع إلى نفسه.

فيقول صلى الله عليه وآله على سبيل الاتّكال على الله والانقطاع إليه: اللّهمّ إنّ وجوه الصواب خافية فخر لي، ثمّ استدعى على الاختصاص، فقال: واختر لي الصلاح والصواب؛ وهذه الكلمة يذكر في الاستخارة،[1] وذكر العاقبة شرط في الاستخارة.

وروي أنّ رجلاً سأل ربّه طَرَسُوس ولم يستخر، فأعطاه إيّاه فتنصّر،[2] ولو استخار في عاقبه لعوفي.

وروى محمّد بن كعب قال: قال داود عليه السلام: يا ربّ هب لي ابناً، فوهب له ابناً، فلمّا كبر خرج عليه فبعث إليه جيشاً فقتل، فقال: يا ربّ سألت ابناً فوهبت لي ابناً خرج عليّ؟ فقال: إنّك لم تستثن، وكان ينبغي أن تقول كما قال زكريّاء عليه السلام: «وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيّاً»،[3] وهذا

٥١٨

*كما ترى.

وكان النبيّ عليه السلام إذا استخار قال: «اللهُمَّ إنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، ـ أي كما تعلم من الصلاح لي والخير ـ وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ العظيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلا أَقْدِرُ وَتَعْلَمُ وَلا أَعْلَمُ وَأَنْتَ عَلّامُ الْغُيُوبِ؛ اللهُمَّ إنْ كَانَ هَذَا خَيْراً لِي فِي دِينِي وَخَيْراً لِي فِي مَعِيشَتِي وَخَيْراً لِي فِيمَا يَنْبَغِي مِنْهُ[4] الْخَيْرُ، فَخِرْ لِي فِي عَافيةٍ، وَيَسِّرْهُ لِي، ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ، وَإِنْ

١ . راجع: الكافي: ٤٧١/٣؛ وراجع: سنن الترمذي: ٥٣٥/٥، ح٣٥١٦.

٢ . راجع: عيون الأخبار لابن قتيبة: ٢٧٦.

٣ . راجع: الدرّ المنثور: ٤٨١/٥؛ والآية في مريم: ٦.

٤ . في المصدر: فيه.

كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَاقْضِ لِيَ الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ ثُمَّ أَرْضِنِي بِقَضَائِكَ»[١].

ومعناه طلب الخير والاعتماد على الله تعالى. وراويه أبو بكر.

قوله صلى الله عليه وآله: اللّهُمَّ كَمَا حَسَّنْتَ خَلْقِي فَحَسِّنْ خُلُقِي

يقول صلى الله عليه وآله: اللّهمّ إنّي أشكرك على أن خلقتني بشراً سويّاً حسناً بهيئاً؛ وأحسن الصورة صورة ابن آدم كما قال تعالى: «لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ»[٢]، فحسّن خلقي الذي أعايش به الناس؛ وهو سؤال للتوفيق لحسن الخلق من فعل العبد؛ ولذلك قال عليه السلام: «أَوَّلُ مَا يُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ الْخُلُقُ الْحَسَنُ»[٣] وما يجازي عليه العبد فهو من فعله، ألا ترى أنّه لا يجازي على الحسن والقبح والطول والقصر.

وهذا الكلام يستعمل على شكر ودعاء.

ومعنى الكلام الشكر على حسن الخَلْق والسؤال للتوفيق لحسن الخُلق. وراويه أبو مسعود البدريّ.[٤]

قوله صلى الله عليه وآله: اللّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي

العفوّ فعول بناء المبالغة من العفو، وقد وصف الله تعالى به نفسه في الكتاب العزيز.[٥]

يقول: يا إلهي! إنّك تحبّ أن تعفو عن عبادك لكرمك وفضلك، فاعف عنّي وتجاوز؛ وهذا

---

١. راجع: مكارم الأخلاق للطبرسي: ٣٢٣؛ وراجع: مصنّف عبد الرزّاق: ١٦٤/١١، ح ٢٠٢١٠؛ مسند أحمد: ٣٤٤/٣، ح١٤٧٤٨؛ المعجم الأوسط: ٢٨٧/١، ح ٩٣٥؛ كنز العمّال: ٣٣٦/٧، ح٢١٥٣٨.

٢. التين: ٤.

٣. مصنّف ابن أبي شيبة: ٢١٢/٥، ح٢٥٣٣٧؛ مسند عبد بن حميد: ٤٥٢، ح ١٥٦٥؛ المعجم الكبير: ٢٥٣/٢٤، ح٦٤٧.

٤. في خ: أبو سعيد البدريّ.

٥. «إِنَّ اللهَ كانَ عَفُوّاً غَفُوراً»، النساء: ٤٣.

على سبيل الانقطاع إلى الله تعالى، وإلّا فالنبيّ عليه السلام لم يكتسب ما يحتاج إلى أن يعفى عنه.

ومعناه ـ والله أعلم ـ التضرّع إلى الله تعالى. وراويته[1] عائشة.

قوله صلى الله عليه وآله: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا أَخْطَأْتُ وَمَا تَعَمَّدْتُ وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ وَمَا جَهِلْتُ وَمَا عَلِمْتُ

يقال: أخطأت وتخطّأت: إذا لم تعمد، وخطِئ يخطَأ خِطاءً وخِطأةً إذا تعمّد، ويقال: أخطيت بتخفيف الهمزة قلباً إلى الياء.

فيقول صلى الله عليه وآله: اللّهمّ اغفر لي الذنب الذي حصل منّي على سبيل الغفلة والنسيان وما تعمّدته وقصدت قصده، وما حصل منّي سرّاً وعلانيةً، وما كنت أجهل أنّه ذنب وما كنت أعلم؛ وكلّ ذلك على طريق الانقطاع إلى الله تعالى، وبعد فإنّه تعليم للأمّة وإرشاد لهم إلى الدعاء وكيفيّته.

ومعناه ـ والله أعلم ـ إرشاد المسلمين إلى الاستغفار والتضرّع. وراويه عمران بن حصين قال: كان ذلك من دعاء النبيّ صلى الله عليه وآله.[2]

قوله صلى الله عليه وآله: اللّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا *[وَ]أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلاهَا

٥١٩

الإيتاء: الإعطاء.

يقول صلى الله عليه وآله: اللّهمّ اعط نفسي تقواها التي تتخلّص بها، ومعناه: وفّق لها في التقوى. وزكّها: طهّرها وقرّبها إليك فأنت خير مزكّ، وأنت وليّها القائم بأمرها ومولاها المنعم عليها الأولى بها منها.

---

١. في خ: وراويه.

٢. مسند الشهاب: ٣٣٧/٢، ح١٤٧٩.

وهذا كلّه خضوع وتواضع واستكانة وتضرّع إلى الله تعالى واستعانة.

ومعنى الكلام الانقطاع إلى الله تعالى والتسليم إليه. وراويه أبو هريرة، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقرأ: «فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا» فقال ذلك.[١]

قوله صلى الله عليه وآله: اللّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِهِمْ وَأَدْرَأُ بِكَ فِي نُحُورِهِمْ

الدرأ: الدفع، قال تعالى: «وَيَدْرَؤُا عَنْهَا الْعَذابَ»[٢] أي يدفع.

ومعنى الدعاء: اللّهمّ إنّي أدفعك في نحور أعدائي لتكفيني شرّهم، وكأنّ المعنى: أرمى يدفعك نحورهم، فالدفع مرميّ به ونحورهم مرمية؛ وأعوذ بك من جميع شرورهم التي يكيدونني بها.

ومعنى الدعاء الاستناد إلى الله تعالى وتسليم الأمر إليه. وراويه أبو موسى الأشعريّ.

قوله صلى الله عليه وآله: اللّهمّ بِكَ أُحَاوِلُ وَبِكَ أُقَاتِلُ وَبِكَ أَصُولُ

يقول صلى الله عليه وآله: بك أطالب ما أريد، وإن قاتلتُ فبك أعتصم، وإن صلت فبك أصول؛ والصَوْلة: الحملة.

ويروى: «أصاول»[٣].

ومعنى الدعاء: إنّي مستظهر بك في جميع أموري. وراوي الدعاء صهيب الروميّ، قال: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله أَيَّامَ خَيْبَرَ يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ، فَسُئِلَ مَاذَا تَقُولُ؟ فَقَالَ: أَقُولُ: بِكَ أُحَاوِلُ»[٤]

---

١ . مسند الشهاب: ٣٣٨/٢، ح ١٤٨١؛ والآية في الشمس: ٨.

٢ . النور: ٨.

٣ . سنن الدارمي: ٢٨٥/٢، ح ٢٤٤١؛ المعجم الكبير: ٤٠/٨، ح٧٣١٨؛ كنز العمّال: ٧٠/١٥، ح ٤٠٤٧١.

٤ . مسند الشهاب: ٣٣٩/٢، ح١٤٨٣.

الدعاء.

قوله صلى الله عليه وآله : اللّهُم وَاقِيَةً كَوَاقِيَةِ الْوَلِيدِ

ويروى: «كواقية موسى عليه السلام»[١]، الواقية مصدر وقى على فاعلة كالباقية والكاشفة والكاذبة والعافية والخائنة.

يقول صلى الله عليه وآله: اللّهمّ قني كما تقي الوليد وهو الصبيّ لا يقدر لنفسه على نفع ولا ضرّ، فيقيه الله تعالى من المعاطب والمهالك؛ وكم قد رأينا ذلك مشاهدةً. ونصبه على المصدر أي قني وقايةً كوقاية الصبيّ؛ ومعناه تسليم النفس إلى الله تعالى.

وروي أنّ بعض الأكابر كان يعبر بخيله ورجله على بعض القناطر وكان في من يعبر عليه امرأة ضعيفة على صدرها ولد لها صغير، فرحموها فنزل طفلها وسقط إلى الماء، فإذا عقاب يُحلّق في الهواء فانقضت على ذلك الطفل وكانت عليه ثياب حمر، فاختطفته من سطح الماء وطارت به غير بعيد، والناس ينظرون إليه، فوجم له ذلك المحتشم وقال لجماعته: هل فيكم مكيدة لذلك الطفل؟ فبيناهم في ذلك وقعت العقاب وتركت الطفل على الأرض فركضوا إليها بخيولهم، وجعلوا يمرّون النُشّاب[٢] عن يمينها ويسارها حتّى ٥٢٠ *أذهلوها عن الطفل وتركته، فحملوه وما به قَلَبَة[٣] ولم يصب إلى بدنه من مخاليبه خدش، لأنّها كانت وقد أنشبت مخاليبها في القمط،[٤] فتعجّبوا من ذلك.

وراويه ابن عمر.

---

١ . راجع: النهاية في غريب الحديث: ٢٢٤/٥.

٢ . السِهام.

٣ . علّة وداء.

٤ . قَمَط قمْطاً: شدّ يديه ورجليه كما يفعل بالصبيّ في المهد.

قولهﷺ: اللّهُمَّ أَذَقْتَ أَوَّلَ قُرَيْشٍ نَكَالاً فَأَذِقْ آخِرَهُمْ نَوَالاً

النكال: العقوبة. يقول: نكلت به، والنوال: العطاء.

يقولﷺ: اللّهمّ إنّك أذقت أوّل قريش، وعنى بالأوّل من في عهده ممّن أبادهم وأهلكهم جلّت عظمته. وأشار عليه السلام إلى أيّامه معهم كبدر وأخواتها، «فأذق آخرها نوالاً» يعني الذين بقوا منهم، وذكر أنّه إشارة إلى أيّام المهديّ عليه السلام لأنّه يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً. والله أعلم ورسوله.

ومعناه طلب النوال والعطاء والخير لآخر قريش بإزاء ما قاسوا في الأوّل. وراويه ابن عمر.

قولهﷺ: اللّهُمَّ بَارِكْ لِأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا

البركة: النموّ والزيادة، وبارك الله لفلان وعليه وفيه، وباركه، وقال الله تعالى: «بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا»[١].

فيقول: اللّهمّ أكثر خير أمّتي في بكورها وقيامها في وجه الصبح، وهذا مثل قوله عليه السلام: «الصُّبْحَةُ تَمْنَعُ الرِّزْقَ»[٢] وذلك أنّ نوم تلك الساعة يكسّل ويبلّد، والبكرة شباب النهار، ويكون الإنسان فيها وادعاً مستريحاً يمكنه القيام بالعمل والسعي في الشغل، فإذا نام الإنسان عنها لم يف نهاره بشغله.

وقال عليه السلام: «بَاكِرُوا فِي طَلَبِ الرِّزْقِ، فَإِنَّ الْغُدُوَّ بَرَكَةٌ وَنَجَاحٌ»[٣].

وقال الشاعر:

بَكِّرَا صَاحِبَيَّ قَبْلَ الْهَجِيرِ إِنَّ حَلَّ النَّجَاحِ فِي التَّبْكِيرِ

١. النمل: ٨.

٢. مسند أحمد: ١/٧٣، ح ٥٣٠؛ مسند الشهاب: ١/٧٣، ح ٦٥؛ جامع الأحاديث: ٥/١٠٨، ح ١٣٧١٩.

٣. المعجم الأوسط: ٧/١٩٤، ح ٧٢٥٠؛ الفردوس: ٢/٩، ح ٢٠٨٠؛ كنز العمّال: ٤/٢٢، ح ٩٤٤٥.

ليسَ كـلَّ السُّـرورِ تـبقي مـقيماً　　　ربَّ حـزن يَـدبُّ تحتَ السُّـرورِ [١]

وقال عليه السلام: بكّروا على الصدقة فإنّ البلايا لا يتخطّا الصدقة [٢]. ومعناه الأمر بالتبكير، والله أعلم.

وراويه ابن عبّاس، قال: «لا تَطْلُبَنَّ حَاجَةً إِلَى أَعْمَى، وَلا تَطْلُبَنَّهَا لَيْلاً، وَإِذَا طَلَبْتَ الْحَاجَةَ فَاسْتَقْبِلِ الرَّجُلَ بِوَجْهِكَ، فَإِنَّ الْحَيَاءَ فِي الْعَيْنَيْنِ، وَبَاكِرْ حَاجَتَكَ، فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله قَالَ: اللهُمَّ بَارِكْ لأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا» [٣].

قوله صلى الله عليه وآله: إِلَيْكَ انْتَهَتِ الْأَمَانِيُّ يَا صَاحِبَ الْعَافِيَةِ

الأمانيّ جمع أمنيّة أفعولة من تمنّيت الشيء. وقد أورد القضاعيّ هذه الكلمة في باب الدعاء على أنّ صاحب العافية هو الله تعالى على تقدير أنّه هو الذي يعطيها، فيقول: إليك يا ربّ انتهت أمانيّ الخلق، فعافنا، وقد أخذ ذلك عليه.

وقيل: إنّ صاحب العافية هو الإنسان المعافي من الأسقام والأمراض، فكأنّه يقول له: أيّها المعافي! قد انتهت الأمانيّ إليك، يعني أنّ الصحّة غاية المتمنّي، وهذا الوجه أوضح.

ومعناه ـ والله أعلم ـ: *تعريف الإنسان قدر العافية.

٥٢١

وراويه أبو هريرة.

قوله صلى الله عليه وآله: رَبِّ! تَقَبَّلْ تَوْبَتِي وَاغْسِلْ حَوْبَتِي

الحوبة: الإثم [٤]، يقال: حُبْتَ بكذا أي أثِمت تَحوب حَوباً وحَوْبةً، والحَوْب اسم منه.

يقول صلى الله عليه وآله: تقبّل إنابتي وإعلاعي [٥] واغسل عنّي إثمي وحوبي؛ وهذا ممّا يعلّمه المذنبين،

١. أنشده بشّار بن برد العقيلي(٩٥ـ١٦٧هـ)؛ راجع: ديوانه: ٥٥١ـ٥٥٢؛ وراجع: الأغاني: ١٨٥/٣؛ دلائل الإعجاز: ٢١١.

٢. راجع: الكافي: ٦/٤، ح٥؛ الأمالي للطوسي: ١٥٧، ح٢٦١؛ وراجع: المعجم الأوسط: ٩/٦، ح٥٦٤٣؛ غريب الحديث للخطابي: ٣٣٠/١.

٣. مسند الشهاب: ٣٤٢/٢، ح١٤٨٩؛ المعجم الكبير: ٢٢٩/١٢.

٤. في خ: الاسم.

٥. كذا في خ، ولعلّ الصواب: إرجاعي.

وفيه انقطاع إلى الله تعالى.

ومعناه الخشوع والاستناد إلى الله تعالى. وراويه ابن عبّاس رضي الله عنه، وتمام الدعاء: «وأَجِبْ دَعْوَتِي»[١].

قوله صلى الله عليه وآله: اللّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ عِيشَةً سَوِيَّةً وَمِيتَةً نَقِيَّةً وَمرَداً غَيْرَ مُخْزٍ وَلا فَاضِحٍ

العيشة السويّة المستوية التي يمتدّ على وتيرة واحدة وطريقة مرضيّة، والميتة النقيّة أن لا يطول به المرض فيعجز عن القيام والقعود ويحتاج إلى من يطهّره وينظّفه، ومرداً أي إعادة في الآخرة غير مخزية ولا فاضحة أي مهينة، يقال: خزِي يخزى خِزْياً إذا ذلّ وهان، وقال ابن السكّيت: خزي يوقع في بليّة.[٢]

فيستعيذ عليه السلام بالله تعالى أن يهينه عند بعثه أو يبتليه بالعقوبة أو يفضحه بعرض الذنوب عليه في ذلك المشهد الشهود؛ وهذا أيضاً ممّا يعلّمه أمّته صلى الله عليه وآله وينقطع فيه إلى ربّه تعالى. وقد جمع صلى الله عليه وآله في هذا الدعاء بين مصالح الدنيا والآخرة، ومعناه الاستعانة بالله تعالى وطلب العافية منه في الدنيا والآخرة.

وراويه عبد الله بن عمر.

* * *

وهذا آخر الكتاب، قد سهّل الله إنجاز ما كنّا بصدده وذلك بفضل معونته ومدده، وقد طالت مدّةً ما بين الشروع فيه والفراغ والافتتاح به والبلاغ، وذلك إنّي كنت أشتغل به شهراً وعنه دهراً لمحاجزات الأحوال ومماطلات الأشغال، ولمرض عنّ لي[٣] في شعبان منه سنة ثمان

١. مسند الشهاب: ٣٤٤/٢، ح١٤٩٦.

٢. راجع: الصحاح: ٢٣٢٦/٦.

٣. عرض واعترض.

وثلاثين [وخمس مأة] عن سقي، ثمّ عليّ[1] وأنجاني الله تعالى منه برحمته وفضله ومنّته، ولم أكد أنجو وفي خلال ذلك كنت أخيب وأرجو، فتخلّصني وقد تأكّلتني النوب وكان مثلي أفلت وأنخص[2] الذنب، وقصّتي بل غُصّتي في ذلك طويلة وفضل الله تعالى أولى أن يذكر، وتيسّر أكثره في تنزّهاً لي إلى قرية جَوْسَقان[3]، والمنّة فيه بعد الله تعالى لولدي أحمد أبي المحاسن وعليّ بن جعفر ومحمّد أبي الفضائل بارك الله في أعمارهم، فإنّهم كانوا يحثّونني عليه بالإلزام ويحضّونني على الإتمام، وجزى الله تعالى عنّي[4] أبا الحسن عليّ بن علي القاساني خيراً فقد قام في خدمتي بكفاية مآربي وتقضية مطالبي حتّى تمّ.

ولله الحمد على إتمامه وحسن بلائه، واستممته بجوسقان، وحسبنا الله كافياً ومعيناً، والحمد لله ربّ العالمين ❊حمد الشاكرين وصلّى الله على خير خلقه محمّد وآله الطيّبين الطاهرين وسلّم تسليماً كثيراً.[5] ٥٢٢

١. سقاني السقية الثانية.

٢. كذا في خ.

٣. قرية من توابع راوند كاشان.

٤. في خ غير واضحة.

٥. زاد ناسخ النسخة: «تمّ الكتاب وهو ضوء الشهاب كلام رسول الله صلّى الله عليه وآله على يدي العبد الفقير إلى رحمة ربّه القدير حيدر بن عليّ بن حيدر العلويّ الحسينيّ الآملي أصلح الله حاله ببغداد وكان الفراغ من تسويده ظهر يوم الأحد تاسع وعشرين ذي الحجّة حجّة اثنين وستّين وسبع مائة هجرة نبويّة. والحمد لله على ذلك وصلّى الله على خير خلقه محمّد وآله أجمعين.»

فهارس الكتاب



فهرس الآيات الكريمة

البَقَرَة

آل عِمرَان

النِّسَاء

الحجرات

ق

الذاريات

الطور

الرحمن

الواقعة

الحديد



فهرس الأعلام

فهرس الأشعار



فهرس مصادر التحقيق

الآحاد والمثاني؛ أحمد بن عمرو بن الضحاك أبو بكر الشيباني(٢٨٧)، باسم فيصل أحمد الجوابرة، دار الراية، الرياض، ١٤١١ .

الآداب الشرعية والمنح المرعية؛ محمد بن مفلح المقدسي(٧٦٣)، شعيب الأرنؤوط عمر القيام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٧، الثانية.

الآداب للبيهقي؛ أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني البيهقي(٤٥٨)، السعيد المندوه، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٤٠٨ .

آكام المرجان في أحكام الجان؛ محمد بن عبد الله الشبلي الحنفي(٧٦٩)، إبراهيم محمد الجمل، مكتبة القرآن، القاهرة .

الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة؛ عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري الحنبلي(٣٨٧)، عثمان عبد الله آدم الأثيوبي، دار الراية للنشر، السعودية، ١٤١٨، الثانية.

الأحاديث الطوال؛ سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني(٣٦٠)، حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مكتبة الزهراء، الموصل، ١٤٠٤، الثانية.

الإحاطة في أخبار غرناطة؛ أبو عبد الله بن سعد بن أحمد السلماني (٧٧٦)، يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤.

أحكام القرآن؛ أحمد بن علي الرازي الجصاص أبو بكر(٣٧٠)، محمد الصادق قمحاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥.

أحكام القرآن؛ محمد بن إدريس الشافعي أبو عبد الله(٢٠٤)، عبد الغني عبد الخالق، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٠.

إحياء علوم الدين؛ محمد بن محمد الغزالي أبو حامد(٥٠٥)، دار المعرفة، بيروت.

أخبار أبي تمام؛ أبو بكر محمد بن يحيى الصولي (٣٣٥)، غير موافق للمطبوع.

أخبار أبي حنيفة وأصحابه؛ القاضي أبي عبد الله حسين بن علي الصيمري(٤٣٦)، عالم الكتب،

بيروت، ١٤٠٥، الثانية.

أخبار أصبهان = تاريخ أصبهان ؛ أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني(٤٣٠)، سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠ .

أخبار الظراف والمتماجنين؛ ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي(٥٩٧)، سام عبد الوهاب الجابي، دار ابن حزم، بيروت، ١٩٩٧.

أخبار القضاة؛ محمد بن خلف بن حيان وكيع (٣٠٦)، سعيد محمد اللحام، عالم الكتب، بيروت، ١٤٣٢.

أخبار مكة وما جاء فيها من الأثار؛ أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقي(٢٥٠)، رشدي الصالح ملحس، دار الأندلس للنشر، بيروت، ١٤١٦.

أخلاق النبي وآدابه؛ عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأصبهاني(٣٦٩)، صالح بن محمد الونيان، دار المسلم للنشر والتوزيع، ١٩٩٨.

الاختصاص؛ الشيخ المفيد (٤١٣)، علي أكبر الغفاري، السيد محمود الزرندي، ١٤١٤، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، طبعت بموافقة اللجنة الخاصة المشرفة على المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد.

أدب الدنيا والدين؛ أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (٤٥٠)، دار مكتبة الحياة، ١٩٨٦.

أدب الكاتب؛ أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة(٢٧٦)، محمد محي الدين عبد الحميد، السكوفي، المروزي، الدينوري، مكتبة السعادة، مصر، ١٩٦٣، الرابعة.

الأدب المفرد؛ محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي(٢٥٦)، محمد فؤاد عبدالباقي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٠٩، الثالثة.

الأذكياء؛ أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي(٥٩٧)، مكتبة الغزالي، دمشق.

إرشاد القلوب؛ الحسن بن محمد الديلمي(ق ٨)، انتشارات الشريف الرضي، قم، ١٤١٥.

الإرشاد، الشيخ المفيد(٤١٣)، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لتحقيق التراث، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ١٤١٤ق، الثانية.

الازدهار في ما عقده الشعراء من الأحاديث و الآثار؛ عبد الرحمن بن أبو بكر، جلال الدين السيوطي (٩١١)، غير موافق للمطبوع .

أساس البلاغة؛ أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري(٥٣٨)، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩.

الاستبصار؛ الشيخ الطوسي(٤٦٠)، السيد حسن الموسوي الخرسان، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٦٣ش، الرابعة.

الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار؛ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القرطبي(٤٦٣)، سالم محمد عطا، محمد علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م.

الاستيعاب في معرفة الأصحاب؛ يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر(٤٦٣)، علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢.

أسد الغابة في معرفة الصحابة؛ عز الدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري(٦٣٠)، عادل أحمد الرفاعي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٧.

أسرار البلاغة؛ أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل(٤٧١)، محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، دار المدني، جدة.

الأسماء المبهمة في الأنباء المحكمة؛ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي(٤٦٣)، عز الدين علي السيد، مكتبة الخانجي، القاهرة ـ مصر، ١٤١٧، الثالثة.

الأسماء والصفات؛ أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (٤٥٨)، عبد الله بن محمد الحاشدي ـ مقبل بن هادي الوادعي، مكتبة السوادي، جدة، ١٤١٣.

أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم؛ أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله الصولي (٣٣٥)، مطبعة الصاوي، القاهرة، ١٣٥٥ .

الإصابة في تمييز الصحابة؛ أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي(٨٥٢)، علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢.

إصلاح المنطق؛ أبو يوسف يعقوب بن إسحق بن السكيت(٢٤٤)، أحمد محمد شاكر ـ وعبد السلام، دار المعارف، القاهرة، الرابعة.

الأصول في النحو؛ أبو بكر محمد بن سهل بن السراج النحوي البغدادي(٣١٦)، عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٨، الثالثة.

أطراف الغرائب والأفراد من حديث رسول الله ﷺ؛ الإمام الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي(٥٠٧)، محمود محمد محمود حسن نصار ـ السيد يوسف، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩.

الاعتصام؛ أبو إسحاق الشاطبي(٧٩٠)، المكتبة التجارية الكبرى، مصر.

أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة(شرح)؛ هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي أبو القاسم(٤١٨)، أحمد سعد حمدان، دار طيبة، الرياض، ١٤٠٢.

اعتلال القلوب للخرائطي؛ أبو بكر محمد بن جعفر بن محمد بن سهل بن شاكر الخرائطي السامري (٣٢٧)، حمدي الدمرداش، نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، الرياض، ١٤٢١، الثانية.

الإعجاز والإيجاز؛ أبو منصور عبد الملك عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي(٤٢٩)، دار الغصون، بيروت، ١٤٠٥، الثالثة.

إعراب القرآن؛ أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس(٣٣٨)، زهير غازي زاهد، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٩، الثالثة.

الأعلام؛ خير الدين الزركلي(١٤١٠)، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠، الخامسة.

أعلام الدين في صفات المؤمنين؛ الحسن بن محمد الديلمي(ق ٨)، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم.

إعلام الموقّعين عن ربّ العالمين؛ أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيّوب بن سعد الزرعي الدمشقي(٧٥١)، طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣.

أعيان الشيعة؛ السيد محسن الأمين (١٣٧١)، حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت.

الأغاني؛ أبو الفرج الأصبهاني(٣٥٦)، علي مهنا وسمير جابر، دار الفكر للطباعة والنشر، لبنان.

إقبال الأعمال؛ السيد بن طاووس(٦٦٤)، جواد القيومي الاصفهاني، مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤١٤.

اقتضاء العلم العمل؛ أحمد بن علي بن ثابت البغدادي(٤٦٣)، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب

الإسلامي، بيروت، ١٣٩٧، الرابعة.

إكمال الكمال؛ ابن ماكولا، (٤٧٥)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

الألفية والنفلية؛ الشهيد الأول(٧٨٦)، علي الفاضل القائيني النجفي، مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤٠٨.

أمالي ابن سمعون؛ ابن سمعون الواعظ، أبو الحسين محمد بن أحمد بن إسماعيل بن عنبس البغدادي (٣٨٧)، عامر حسن صبري، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٢٣ .

الأمالي وهي المعروفة بالأمالي الخميسية؛ المرشد بالله يحيى بن الحسين بن إسماعيل الحسني الشجري الجرجاني(٤٩٩)، محمد حسن اسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢ .

الأمالي؛ الشيخ الصدوق(٣٨١)، مؤسسة البعثة، مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، قم، ١٤١٧.

الأمالي؛ الشيخ المفيد(٤١٣)، حسين الأستاد ولي، علي أكبر الغفاري، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٤، الثانية.

الأمالي؛ الشيخ الطوسي(٤٦٠)، مؤسسة البعثة، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، قم، ١٤١٤، الأولى.

الأمالي؛ الشريف المرتضى(٤٣٦)، السيد محمد بدر الدين النعساني الحلبي، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، ١٣٢٥.

أمالي المحاملي، رواية ابن يحيى البيع؛ الحسين بن إسماعيل الضبي المحاملي أبو عبد الله(٣٣٠)، إبراهيم القيسي، المكتبة الإسلامية، دار ابن القيم، عمان، الأردن، الدمام، ١٤١٢.

الأمالي في لغة العرب؛ أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي(٣٥٦)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨.

الإمامة والسياسة؛ أبو محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري(٢٧٦)، خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨.

إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع؛ تقي الدين أحمد بن علي الحسيني العبيدي المقريزي (٨٤٥)، محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٠.

الإمتاع والمؤانسة؛ أبو حيان علي بن محمد ابن العباس التوحيدي(٣٦٠)، محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤.

أمثال الحديث المروية عن النبي ﷺ؛ أبو الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي(٥٧٦)، أحمد عبد الفتاح تمام، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٤٠٩.

الأمثال في الحديث النبوي؛ أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان أبي الشيخ الأصبهاني(٣٦٩)، عبد العلي عبد الحميد حامد، الدار السلفية، بومباي، الهند، ١٤٠٨، الثانية.

الأمثال؛ أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (٢٢٤)، عبد المجيد قطامش، دار المأمون للتراث، ١٤٠٠.

الأمثال من الكتاب والسنة؛ أبو عبد الله محمد بن علي الحكيم الترمذي(٣٢٠)، السيد الجميلي، دار ابن زيدون ــ دار أسامة، بيروت، دمشق.

الانتصار في الردّ على المعتزلة القدرية الأشرار؛ يحيى بن أبي الخير العمراني(٥٥٨)، سعود بن عبد العزيز الخلف، أضواء السلف، الرياض، ١٩٩٩.

أنساب الأشراف؛ أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري (٢٧٩)، سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٧.

الأنوار ومحاسن الأشعار؛ أبو الحسن علي بن محمد بن المطهر العدوي المعروف بالشمشاطي(٣٧٧)، صالح مهدي العزاوي، منشورات وزارة الأعلام العراقية، بغداد ــ العراق، ١٩٧٦.

الأوائل؛ أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (نحو ٣٩٥)، دار البشير، طنطا، ١٤٠٨.

الأولياء؛ أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي (٢٨١)، محمد السعيد بن بسيوني زغلول، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٤١٣.

الإيضاح؛ الفضل بن شاذان الأزدي(٢٦٠)، السيد جلال الدين الحسيني الأرموي المحدث، مؤسسة انتشارات وچاپ دانشگاه تهران، ١٣٦٣ ش.

الإيمان؛ محمد بن يحيى بن أبي عمر العدني(٢٤٣)، حمد بن حمدي الجابري الحربي، الدار السلفية،

الكويت، ١٤٠٧.

بحار الأنوار؛ العلامة المجلسي(١١١١)، دار إحياء التراث العربي،، مؤسسة الوفاء، بيروت، ١٤٠٣، الثانية.

بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار؛ أبو بكر محمد بن أبي إسحاق إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري(٣٨٤)، محمد حسن محمد حسن إسماعيل، أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٠.

البدء والتاريخ؛ وهو المطهر بن طاهر المقدسي(٥٠٧)، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد.

بدائع السلك؛ إبن الأزرق(٨٩٦)، علي سامي النشار، وزارة الإعلام، العراق.

البداية والنهاية؛ إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء(٧٧٤)، مكتبة المعارف، بيروت.

البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير؛ سراج الدين أبي حفص عمر بن علي بن أحمد الأنصاري الشافعي المعروف بابن الملقن(٨٠٤)، مصطفى أبو الغيط و عبدالله بن سليمان وياسر بن كمال، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ١٤٢٥.

البرّ والصلة (عن ابن المبارك وغيره)؛ الحسين بن الحسن بن حرب أبو عبد الله المروزي(٢٤٦)، محمد سعيد بخاري، دار الوطن، الرياض، ١٤١٩.

البرهان المؤيد؛ أحمد الرفاعي الحسيني(٥٧٨)، عبد الغني نكه مي، دار الكتاب النفيس، لبنان، ١٤٠٨.

بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية؛ أبو سعيدمحمد بن محمد بن مصطفى بن عثمان الخادمى الحنفي (١١٥٦)، مطبعة الحلبي، ١٣٤٨.

بستان الواعظين ورياض السامعين؛ جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن علي البغدادي(٥٩٧)، أيمن البحيري، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٤١٩، الثانية.

بصائر الدرجات؛ محمد بن الحسن بن فروخ (الصفار)(٢٩٠)، الحاج ميرزا حسن كوچه باغي، منشورات الأعلمي، طهران، ١٤٠٤.

البصائر والذخائر؛ أبو حيان علي بن محمد بن العباس التوحيدي(٤١٤)، وداد القاضي، دار صادر، بيروت، ١٤١٩، الرابعة.

بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث؛ الحارث بن أبي أسامة ـ الحافظ نور الدين الهيثمي(٢٨٢)،

حسين أحمد صالح الباكري، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية، المدينة المنورة، ١٤١٣.

بغية الطلب في تاريخ حلب؛ كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة(٦٦٠)، سهيل زكار، دار الفكر.

بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة؛ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي(٩١١)، محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان ـ صيدا.

البيان والتبيين؛ أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ(٢٥٥)، فوزي عطوي، دار صعب، بيروت، ١٩٦٨.

تاج العروس من جواهر القاموس؛ محمد مرتضى الحسيني الزبيدي(١٢٠٥)، مجموعة من المحققين، دار الهداية، بيروت، ١٤٠٩.

تاريخ ابن معين (**رواية الدوري**)؛ يحيى بن معين أبو زكريا(٢٣٣)، أحمد محمد نور سيف، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، ١٣٩٩.

تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام؛ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي(٧٤٨)، عمر عبد السلام تدمرى، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧.

التاريخ الصغير (**الأوسط**)؛ محمد بن إبراهيم بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي(٢٥٦)، محمود إبراهيم زايد، دار الوعي، مكتبة دار التراث، حلب، القاهرة، ١٣٩٧.

تاريخ الخلفاء؛ عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي(٩١١)، محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٧١.

تاريخ الطبري؛ لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري(٣١٠)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨، الثانية.

التاريخ الكبير؛ محمد بن إسماعيل بن إبراهيم أبو عبدالله البخاري الجعفي(٢٥٦)، السيد هاشم الندوي، دار الفكر.

تاريخ اليعقوبي؛ أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي(٢٩٢)، دار صادر، بيروت.

تاريخ بغداد؛ أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي(٤٦٣)، دار الكتب العلمية، بيروت .

تاريخ جرجان؛ حمزة بن يوسف أبو القاسم الجرجاني(٣٤٥)، محمد عبد المعيد خان، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠١، الثالثة.

تاريخ المدينة المنورة؛ أبو زيد عمر بن شبة النميري البصري(٢٦٢)، علي محمد دندل وياسين سعد الدين بيان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧.

تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلّها من الأماثل؛ أبي القاسم علي بن الحسن إبن هبة الله بن عبد الله الشافعي(٥٧١)، محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥.

تاريخ واسط؛ أسلم بن سهل الرزاز الواسطي(٢٩٢)، كوركيس عواد، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٦.

تأويل مختلف الحديث؛ عبدالله بن مسلم بن قتيبة أبو محمد الدينوري(٢٧٦)، محمد زهري النجار، دار الجيل، بيروت، ١٣٩٣.

تحسين القبيح وتقبيح الحسن؛ عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي(٤٣٠)، نبيل عبد الرحمن حياوي، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت.

تحف العقول عن آل الرسولﷺ؛ ابن شعبة الحراني(ق ٤)، علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤٠٤، الثانية.

تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي؛ محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري أبو العلا(١٣٥٣)، دار الكتب العلمية، بيروت.

تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري؛ جمال الدين عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي(٧٦٢)، عبد الله بن عبد الرحمن السعد، دار ابن خزيمة، الرياض، ١٤١٤.

التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار؛ أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي(٧٩٥)، مكتبة دار البيان، دمشق، ١٣٩٩، الأولى.

تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي؛ عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي(٩١١)، عبد الوهاب عبد اللطيف، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.

التدوين في أخبار قزوين؛ عبد الكريم بن محمد الرافعي القزويني(٦٢٣)، عزيز الله العطاري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧.

التذكرة الحمدونية؛ ابن حمدون محمد بن الحسن بن محمد بن علي(٦٠٨)، إحسان عباس، بكر عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٩٦.

التذكرة السعديّة؛ محمد بن عبد الرحمن بن عبد المجيد العبيدي (بعد ٧٠٢).

إصلاح المنطق؛ أبو يوسف يعقوب بن إسحق بن السكيت(٢٤٤)، أحمد محمد شاكر ـ وعبد السلام، دار المعارف، القاهرة، الرابعة.

الترغيب والترهيب من الحديث الشريف؛ عبد العظيم بن عبد القوي المنذري أبو محمد(٦٥٦)، إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧.

تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك؛ أبو الحسن علي بن محمد الماوردي(٤٥٠)، محي هلال السرحان وحسن الساعاتي، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨١.

تصحيفات المحدّثين؛ الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري أبو أحمد(٣٨٢)، محمود أحمد ميرة، المطبعة العربية الحديثة، القاهرة، ١٤٠٢.

تعظيم قدر الصلاة؛ محمد بن نصر بن الحجاج المروزي أبو عبد الله(٢٩٤)، عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ١٤٠٦.

تفسير القرآن؛ عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي(٣٢٧)، أسعد محمد الطيب، المكتبة العصرية، صيدا.

تفسير القرآن العزيز؛ أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين(٣٩٩)، أبو عبد الله حسين بن عكاشة، محمد بن مصطفى الكنز، الفاروق الحديثة، مصر ـ القاهرة، ١٤٢٣.

تفسير القرآن العظيم؛ إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء(٧٧٤)، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١.

تفسير أبي حمزة الثمالي؛ أبو حمزة الثمالي(١٤٨)، عبد الرزاق محمد حسين حرز الدين ـ الشيخ محمد هادي معرفة، دفتر نشر الهادي، ١٤٢٠، الأولى.

تفسير البحر المحيط؛ محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي(٧٤٥)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢.

تفسير البغوي(معالم التنزيل فى تفسير القرآن)؛ البغوي(٥١٦)، خالد عبد الرحمن العك، دار

المعرفة، بيروت.

تفسير الثعلبي (الكشف والبيان)؛ أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري(٤٢٧)، الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٢.

تفسير سفيان الثوري؛ سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري أبو عبد الله(١٦١)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣، الأولى.

تفسير الجلالين؛ محمد بن أحمد عبدالرحمن بن أبي بكر المحلي السيوطي(٩١١)، دار الحديث، القاهرة، الأولى.

تفسير السلمي وهو حقائق التفسير؛ أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن موسى الأزدي السلمي(٤١٢)، سيد عمران، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١.

تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم؛ نصر بن محمد بن أحمد أبو الليث السمرقندي(٣٦٧)، محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت.

تفسير القرآن؛ أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني(٤٨٩)، ياسر بن إبراهيم و غنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، السعودية، ١٤١٨.

تفسير القرآن؛ عبد الرزاق بن همام الصنعاني(٢١١)، مصطفى مسلم محمد، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤١٠.

تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)؛ محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر(٣١٠)، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥.

تفسير العياشي؛ محمد بن مسعود العياشي(٣٢٠)، الحاج السيد هاشم الرسولي المحلاتي، المكتبة العلمية الإسلامية، طهران.

تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)؛ أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي(٦٧١)، دار الشعب، القاهرة.

تفسير القشيري المسمّى بـ لطائف الإشارات؛ أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري النيسابوري الشافعي(٤٦٥)، عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، دار الكتب العلمية،

بيروت، ١٤٢٠.

تفسير القمي؛ علي بن إبراهيم القمي (نحو ٣٢٩)، السيد طيب الموسوي الجزائري، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر، قم، ايران، الثالثة، ١٤٠٤.

التفسير الكبير أو **مفاتيح الغيب**؛ فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي(٦٠٤)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١، الأولى.

تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان؛ نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري(٧٢٨)، الشيخ زكريا عميران، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٦.

تفسير فرات الكوفي؛ فرات بن إبراهيم الكوفي(٣٥٢)، محمد الكاظم، مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران، ١٤١٠، الأولى.

تفسير مجاهد؛ مجاهد بن جبر المخزومي التابعي أبو الحجاج(١٠٤)، المنشورات العلمية، بيروت، عبدالرحمن الطاهر محمد السورتي.

تفسير مجمع البيان؛ الشيخ الطبرسي(٥٤٨)، لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، ١٤١٥، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

تفسير مقاتل بن سليمان؛ أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي(١٥٠)، أحمد فريد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤.

تقويم النظر في مسائل خلافيّة ذائعة ونبذ مذهبية نافعة؛ أبو شجاع محمد بن علي بن شعيب بن الدهان(٥٩٢)، صالح بن ناصر بن صالح الخزيم، مكتبة الرشد، السعودية ـ الرياض، ١٤٢٢.

التكملة لكتاب الصلة؛ أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي(٦٥٨) عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة، لبنان، ١٤١٥.

تلخيص الحبير في أحاديث الرافعي الكبير؛ أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني(٨٥٢)، السيد عبدالله هاشم اليماني المدني، المدينة المنورة، ١٣٨٤.

التمثيل والمحاضرة؛ عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (٤٢٩)، عبد الفتاح محمد الحلو، الدار العربية للكتاب، ١٤٠١، الثانية.

التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد؛ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري(٤٦٣)،

مصطفى بن أحمد العلوي،محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٣٨٧.

تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل؛ محمد بن الطيب الباقلاني(٤٠٣)، عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، لبنان، ١٤٠٧.

تنبيه الغافلين عن فضائل الطالبين؛ المحسن ابن كرامة(٤٩٤)، السيد تحسين آل شبيب الموسوي، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، ١٤٢٠.

تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة؛ علي بن محمد بن علي بن عراق الكناني(٩٦٣)، عبد الوهاب عبد اللطيف، عبد الله محمد الصديق الغماري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٩.

التواضع والخمول؛ أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي(٢٨١)، محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٩.

التوبيخ والتنبيه؛ عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان(٣٦٩)، مجدي السيد إبراهيم، مكتبة الفرقان، القاهرة.

التوحيد؛ الشيخ الصدوق(٣٨١)، السيد هاشم الحسيني الطهراني، مؤسسة النشر الإسلامي، قم.

التهجّد وقيام الليل؛ أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي(٢٨١)، مصلح بن جزاء بن فدغوش الحارثي، مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، ١٤١٨.

تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله من الأخبار؛ أبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري(٣١٠)، محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة.

تهذيب الأحكام؛ الشيخ الطوسي(٤٦٠)، السيد حسن الموسوي الخرسان، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٦٤ ش، الثالثة.

تهذيب اللغة؛ أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري(٣٧٠)، محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١.

تهذيب الأسماء واللغات؛ محي الدين بن شرف النووي(٦٧٦)، مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦.

تهذيب الكمال؛ يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج المزي(٧٤٢)، بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٠.

ثمار القلوب في المضاف والمنسوب؛ أبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي(٤٢٩)، دار المعارف، القاهرة.

ثواب الأعمال؛ الشيخ الصدوق(٣٨١)، السيد محمد مهدي السيد حسن الخرسان، منشورات الشريف الرضي، قم، ١٣٦٨ ، الثانية.

جامع أحاديث الشيعة؛ السيد البروجردي(١٣٨٣ش)، المطبعة العلمية، قم، ١٣٩٩.

جامع الأخبار؛ تاج الدين شعيرى، انتشارات رضى، قم، ١٣٦٣.

جامع بيان العلم وفضله؛ يوسف بن عبد البر النمري(٤٦٣)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨.

الجامع في الحديث؛ عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي أبو محمد المصري(١٩٧)، مصطفى حسن حسين أبو الخير، دار ابن الجوزي، السعودية، ١٩٩٦.

الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع؛ أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي أبو بكر(٤٦٣)، محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٣.

خريدة القصر وجريدة العصر في ذكر فضلاء أهل خراسان وهراة؛ أبو عبد الله عماد الدين بن محمد بن صفي أبو الفرج محمد بن نفيس الدين الأصبهاني(٥٩٧)، محمد عدنان آل طعمة، مرآة التراث، طهران ـ إيران، ١٩٩٩.

خريدة القصر وجريدة العصر قسم شعراء العراق؛ أبو عبد الله عماد الدين بن محمد بن صفي أبو الفرج محمد بن نفيس الدين الأصبهاني(٥٩٧)، محمد بهجة الأثري، المجمع العلمي العراقي، العراق، ١٣٧٥ .

جزء فيه حديث سفيان بن عيينة؛ سفيان بن عيينة بن أبي عمران الكوفي(١٩٩)، أحمد بن عبد الرحمن الصويان، مكتبة المنار، الخرج، ١٤٠٧.

الجعفريّات (الأشعثيّات)؛ محمد بن محمد بن اشعث كوفى، مكتبة نينوى الحديثة، تهران.

الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي؛ أبو الفرج المعافى بن زكريا بن يحيى الجريري النهرواني (٣٩٠)، عبد الكريم سامي الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٦ .

جمال الأسبوع؛ السيد ابن طاووس(٦٦٤)، جواد قيومي الجزءاي الإصفهاني، مؤسسة الآفاق، ١٣٧١.

الجمل في النحو؛ الخليل بن أحمد الفراهيدي(١٧٥)، فخر الدين قباوة، ١٤١٦، الخامسة.

جمهرة أشعار العرب؛ أبو زيد القرشي(١٧٠)، دار الأرقم، بيروت، عمر فاروق الطباع.

جمهرة الأمثال؛ الشيخ الأديب أبو هلال العسكري، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٨.

جمهرة اللغة؛ أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (٣٢١)، رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧.

جمهرة خطب العرب؛ أحمد زكي صفوت، المكتبة العلمية، بيروت .

الجهاد لابن المبارك؛ ابن المبارك(١٨١)، الدار التونسية، تونس.

حاشية رد المختار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار فقه أبو حنيفة؛ محمّد أمين بن عابدين(١٢٥٢)، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٢١.

الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني؛ علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري الشافعي(٤٥٠)، الشيخ علي محمد معوض، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩.

حديث الزهري؛ عبيد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف العوفي، الزهري، القرشي، أبو الفضل البغدادي (٣٨١)، حسن بن محمد بن علي شبالة البلوط، أضواء السلف، الرياض، ١٤١٨.

حديث المصيصي لوين(جزء) ؛ أبو جعفر محمد بن سليمان بن حبيب بن جبير المصيصي الأسدي(٢٤٦)، أبو عبد الرحمن مسعد بن عبد الحميد السعدني، أضواء السلف، الرياض، ١٤١٨.

حسن الظن بالله؛ أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي(٢٨١)، مخلص محمّد، دار طيبة، الرياض، ١٤٠٨.

الحكم العطائية؛ ابن عطاء الله السكندري(٧٠٩)، محمد عبد الرحيم، دار الإيمان، دمشق ـ سورية، ١٤٠٦.

حلية الأولياء وطبقات الأصفياء؛ أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني(٤٣٠)، دار الكتاب العربي،

بيروت، ١٤٠٥، الرابعة.

الحماسة البصرية؛ صدر الدين علي بن الحسن البصري(٦٥٩)، مختار الدين أحمد، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٣.

(الحماسة المغربية) مختصر كتاب صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب؛ أبو العباس أحمد بن عبد السلام الجراوي التادلي(٦٠٩)، محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩١.

حياة الحيوان الكبرى؛ كمال الدين محمد بن موسى بن عيسى الدميري(٨٠٨)، أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤، الثانية.

الحيوان؛ أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ(٢٥٥)، عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ١٤١٦.

خاصّ الخاص؛ أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي(٤٣٠)، حسن الأمين، دار مكتبة الحياة، بيروت.

الخرائج والجرائح؛ قطب الدين الراوندي(٥٧٣)، مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام ـ بإشراف السيد محمد باقر الموحد الأبطحي، مؤسسة الإمام المهدي، قم، ١٤٠٩، الأولى.

الخراج؛ يحيى بن آدم القرشي(٢٠٣)، المكتبة العلمية، لاهور، باكستان، ١٩٧٤، الأولى.

خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب؛ عبد القادر بن عمر البغدادي(١٠٩٣)، محمد نبيل طريفي‍اميل بديع اليعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨.

الخصائص؛ أبو الفتح عثمان ابن جني(٣٩٢)، محمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت.

الخصال؛ الشيخ الصدوق(٣٨١)، علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي، قم،١٤٠٣.

الدرّ المنثور؛ عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي(٩١١)، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣.

درر السلوك في سياسة الملوك؛ أبو الحسن علي بن حبيب الماوردي(٤٥٠)، فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الوطن، الرياض، ١٤١٧.

الدعاء لابن فضيل؛ أبو عبد الرحمن محمد بن فضيل بن غزوان الضبي(١٩٥)، عبد العزيز بن سليمان بن إبراهيم البعيمي، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤١٩.

الدعاء للطبراني؛ سليمان بن أحمد الطبراني أبو القاسم(٣٦٠)، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب

العلمية، بيروت، ١٤١٣.

دعائم الإسلام؛ القاضي النعمان المغربي(٣٦٣)، آصف بن علي أصغر فيضي، دار المعارف، القاهرة، ١٣٨٣.

الدعوات الكبير؛ أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي(٤٥٨)، بدر بن عبد الله البدر، منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق، الكويت، ١٤١٤.

الدعوات (سلوة الحزين)؛ قطب الدين الراوندي(٥٧٣)، مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، قم، ١٤٠٧.

دلائل الإعجاز؛ الإمام عبد القاهر الجرجاني(٤٧١)، التنجي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٥ .

دمية القصر وعصرة أهل العصر؛ علي بن الحسن بن علي بن أبي الطيب الباخرزي(٤٦٧)، محمد ألتونجي، دار الجيل، بيروت، ١٤١٤.

ديوان ابن الرومي؛ ابن الرومي .

ديوان ابن المعتز .

ديوان أبو تمام.

ديوان أبو فراس الحمداني .

ديوان ابي تمام.

ديوان الإمام الشافعي .

ديوان الباخرزيّ.

ديوان الحماسة؛ التبريزي(٧٤١)، دار القلم، بيروت.

ديوان الخنساء؛ الخنساء .

ديوان المتنبي؛ أبو البقاء العكبري(٦١٦) ، مصطفى السقا ـ إبراهيم الأبياري ـ عبد الحفيظ شلبي، دار المعرفة، بيروت.

ديوان المعاني؛ الإمام اللغوي الأديب أبو هلال الحسن بن عبد الله بن مهران العسكري، دار الجيل، بيروت.

ديوان إمام علي عليه السلام .

ديوان بشّار بن برد العقيلي .

ديوان حاتم الطائي .

ديوان حسّان بن ثابت .

ديوان عبد الصمد بن المعذل .

ديوان عبد الله بن المعتزّ.

ديوان عروه بن أذينه.

ديوان علقمة بن عبدة .

ديوان عليّ بن محمّد التهامي .

ديوان محمّد بن حازم الباهليّ.

ذخيرة الحفاظ؛ محمد بن طاهر المقدسي(٥٠٧) ، عبد الرحمن الفريوائي، دار السلف، الرياض، ١٤١٦.

الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة؛ أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني(٥٤٢)، إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٤١٧.

ذمّ الهوى؛ أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن الجوزي(٥٩٧)، مصطفى عبد الواحد، ١٩٦٢.

ربيع الأبرار ونصوص الأخيار؛ جار الله الزمخشري (٥٨٣)، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٤١٢ .

الرسالة القشيريّة؛ أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري(٤٦٥)، خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢.

الرسالة المغنية في السكوت ولزوم البيوت؛ الحسن بن أحمد بن عبد الله أبو علي(٤٧١)، عبد الله يوسف الجديع، دار العاصمة، الرياض، ١٤٠٩.

روضة العقلاء ونزهة الفضلاء؛ محمد بن حبان البستي أبو حاتم(٣٥٤)، محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٧.

روضة المحبّين ونزهة المشتاقين؛ محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله(٧٥١)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٢.

روضة الواعظين؛ الفتال النيسابوري(٥٠٨)، السيد محمد مهدي السيد حسن الخرسان، منشورات الشريف الرضي، قم.

زاد المسير في علم التفسير؛ عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي(٥٩٧)، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٤، الثالثة.

الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي؛ محمد بن أحمد بن الأزهر الأزهري الهروي أبو منصور(٣٧٠)، محمد جبر الألفي، وزارة الأوقاف والشئون الإسلاميّة، الكويت، ١٣٩٩.

الزاهر في معاني كلمات الناس؛ أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري(٣٢٨)، حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٢.

الزهد الكبير؛ أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله البيهقي(٤٥٨)، عامر أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٩٩٦، الثالثة.

الزهد؛ ابن أبي عاصم(٢٨٧)، عبد العلي عبد الحميد حامد، دار الريان للتراث، القاهرة، ١٤٠٨، الثانية.

الزهد؛ هناد بن السري الكوفي(٢٤٣)، عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت، ١٤٠٦.

الزهد؛ أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الشيباني أبو بكر(٢٨٧)، عبد العلي عبد الحميد حامد، دار الريان للتراث، القاهرة، ١٤٠٨، الثانية.

الزهد؛ عبد الله بن المبارك بن واضح المرزوي أبو عبد الله(١٨١)، حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت.

الزهد لوكيع؛ أبو سفيان وكيع بن الجراح بن مليح الرؤاسي (١٩٧)، عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ١٤٠٤ .

الزهد والرقائق(المنتخب) ؛ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي الخطيب(٤٦٢)، عامر حسن صبري)، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٢٠.

زهر الآداب وثمر الألباب؛ أبي إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني(٤٥٣)، يوسف على طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧.

زهر الأكم في الأمثال والحكم؛ الحسن بن مسعود بن محمد، أبو علي، نور الدين اليوسي (١١٠٢)، محمد حجي،محمد الأخضر، الشركة الجديدة، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ١٤٠١ .

سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد؛ محمد بن يوسف الصالحي الشامي(٩٤٢)، عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٤.

السحر الحلال في الحكم والأمثال؛ أحمد الهاشمي، دار الكتب العلمية، بيروت.

سرّ صناعة الإعراب؛ أبو الفتح عثمان ابن جني(٣٩٢)، حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ١٤٠٥.

السرائر؛ ابن إدريس الحلي(٥٩٨)، لجنة التحقيق، الثانية، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤١٠.

سلاح المؤمن في الدعاء والذكر؛ محمد بن محمد بن علي بن همام بن راجي الله بن سرايا بن داود(٧٤٥)، محيي الدين ديب مستو، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ١٤١٤.

السلوك في طبقات العلماء والملوك؛ بهاء الدين محمد بن يوسف بن يعقوب الجندي الكندي(٧٣٢)، محمد بن علي بن الحسين الأكوع الحوالي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ١٩٩٥، الثانية.

السنّة؛ عمرو بن أبي عاصم الضحاك الشيباني(٢٧٨)، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٠.

السنّة؛ أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخلال(٣١١)، عطية الزهراني، دار الراية، الرياض، ١٤١٠.

سنن ابن ماجه؛ محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني(٢٧٥)، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.

سنن أبي داود؛ سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي(٢٧٥)، محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر.

سنن البيهقي الكبرى؛ أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي(٤٥٨)، محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤.

سنن الترمذي؛ محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي(٢٧٩)، أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

سنن الدارقطني؛ علي بن عمر أبو الحسن الدارقطني البغدادي(٣٨٥)، السيد عبد الله هاشم يماني المدني، دار المعرفة، بيروت، ١٣٨٦.

سنن الدارمي؛ عبدالله بن عبدالرحمن أبو محمد الدارمي(٢٥٥)، فواز أحمد زمرلي، خالد السبع

العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧.

السنن الكبرى؛ أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي(٣٠٣)، عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١.

سنن سعيد بن منصور؛ سعيد بن منصور الخراساني(٢٢٧)، حبيب الرحمن الأعظمي، الدار السلفية، الهند، ١٤٠٣.

سير أعلام النبلاء؛ محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله(٧٤٨)، شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٣، التاسعة.

السير الكبير؛ محمد بن الحسن الشيباني(١٩٨٨)، صلاح الدين المنجد، معهد المخطوطات، القاهرة.

سيرة ابن إسحاق (المبتدأ والمبعث والمغازي)؛ محمد بن إسحاق بن يسار(١٥١)، محمد حميد الله، معهد الدراسات والأبحاث للتعريف.

السيرة النبوية؛ عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد(٢١٣)، طه عبد الرءوف سعد، دار الجيل، بيروت، ١٤١١.

شذرات الذهب في أخبار من ذهب؛ عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي(١٠٨٩)، عبد القادر الأرنؤوط، محمود الأرناؤوط، دار بن كثير، دمشق، ١٤٠٦.

شرح الأخبار؛ القاضي النعمان المغربي(٣٦٣)، السيد محمد الحسيني الجلالي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، ١٤١٤، الثانية.

شرح الإيمان والإسلام وتسمية الفرق والردّ عليهم؛ أبو عبد الله الزبير بن أحمد بن سليمان الزبيري(٣١٨)، حسام الحفناوي، دار الضياء، طنطا ـ مصر، ١٤٢٤ .

شرح السنّة؛ الحسين بن مسعود البغوي(٥١٦)، شعيب الأرناؤوط، محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، دمشق ـ بيروت، ١٤٠٣، الثانية.

شرح ديوان الحماسة (ديوان الحماسة)؛ اختاره أبو تمام حبيب بن أوس (٢٣١)؛ يحيى بن علي بن محمد الشيبانيّ التبريزي(٥٠٢)، دار القلم، بيروت.

شرح صحيح مسلم ؛ أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي(٦٧٦)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٢، الطبعة الثانية.

شرح صحيح البخاري؛ أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي(٤٤٩)، أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، السعودية ـ الرياض، ١٤٢٣، الثانية.

شرح مئة كلمة لأمير المؤمنينعليه السلام ؛ ابن ميثم البحراني(٦٧٩)، مير جلال الدين الحسيني الأرموي المحدث، مؤسسة النشر الإسلامي، قم.

شرح مشكل الآثار؛ أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي(٣٢١)، شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٨.

الشرح الميسر على الفقهين الأبسط والأكبر المنسوبين لأبي حنيفة؛ محمد بن عبد الرحمن الخميس(١٥٠)، مكتبة الفرقان، الإمارات العربية، ١٤١٩، الأولى.

شرح نهج البلاغة؛ أبو حامد عز الدين بن هبة الله بن محمد بن محمد بن أبي الحديد المدائني(٦٥٥)، محمد عبد الكريم النمري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨.

شعب الإيمان؛ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي(٤٥٨)، محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠.

الشكر؛ أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي (٢٨١)، بدر البدرو، المكتب الإسلامي، الكويت، ١٤٠٠، الثالثة.

صبح الأعشى في كتابة الإنشاء؛ القلقشندي أحمد بن علي بن أحمد الفزاري(٨٢١)، عبد القادر زكار، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٨١.

الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية؛ أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (٣٩٣)، أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٧، الرابعة.

صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان؛ محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي(٣٥٤)، شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٤، الثانية.

صحيح ابن خزيمة؛ محمد بن إسحاق بن خزيمة أبو بكر السلمي النيسابوري(٣١١)، محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٠.

الجامع الصحيح المختصر؛ محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي(٢٥٦)، مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ١٤٠٧، الثالثة.

صحيح مسلم؛ مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري(٢٦١)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، محمد فؤاد عبد الباقي.

الصحيفة السجادية (ابطحي)؛ الإمام زين العابدين عليه السلام(٩٤)، السيد محمد باقر الموحد الابطحي الإصفهاني، مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام ـ مؤسسة الأنصاريان للطباعة والنشر، قم، ١٤١١.

الصراط المستقيم؛ علي بن يونس العاملي النباطي البياضي(٨٧٧)، محمد الباقر البهبودي، المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية، ١٣٨٤.

صفة الصفوة؛ عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج(٥٩٧)، محمود فاخوري، محمد رواس قلعه جي، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٩، الثانية.

الصمت وآداب اللسان؛ أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي(٢٨١)، أبو إسحاق الحويني، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٠.

الصناعتين : الكتابة والشعر؛ أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري(٣٩٥)، علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٠٦.

صيانة صحيح مسلم من الإخلال والغلط وحمايته من الإسقاط والسقط؛ عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان الكردي الشهرزوري أبو عمرو(٦٤٣)، موفق عبدالله عبدالقادر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٨، الثانية.

طب النبي صلى الله عليه وآله ؛ ابو العباس مستغفري(٤٣٢)، ١٣٦٢ ش، انتشارات رضي.

طبائع النساء وما جاء فيها من عجائب وأخبار وأسرار؛ أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي(٣٣٨)، مكتبة القرآن، القاهرة، ١٤٠٥.

طبقات الشافعية الكبرى؛ تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي(٧٧١)، محمود محمد الطناحي عبد الفتاح محمّد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٣، الطبعة الثانية.

طبقات الصوفية؛ أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد الأزدي(٤١٢)، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩.

طبقات الفقهاء؛ إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي أبو إسحاق(٤٧٦)، خليل الميس، دار القلم، بيروت.

الطبقات الكبرى؛ محمد بن سعد بن منيع أبو عبدالله البصري الزهري(٢٣٠)، دار صادر، بيروت.
طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها؛ عبدالله بن محمد بن جعفر بن حيان أبو محمد الأنصاري(٣٦٩)، عبدالغفور عبدالحق حسين البلوشي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٢، الثانية.
طبقات فحول الشعراء؛ محمد بن سلام الجمحي(٢٣١)، محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة.
الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف؛ السيد ابن طاووس(٦٦٤)، الخيام، قم، ١٣٩٩ .
الطرق الحكمية في السياسة الشرعية؛ أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي(٧٥١)، محمد جميل غازي، مطبعة المدني، القاهرة.
الطيوريات من انتخاب الشيخ أبي طاهر السلفي؛ أبو الحسيني المبارك بن عبد الجبار الطيوري بن عبد الله الصيرفي الحنبلي(٥٠٠)، دسمان يحيى معالي، عباس صخر الحسن، أضواب السلف، الرياض ـ السعودية، ١٤٢٥.
العاقبة في ذكر الموت؛ عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله الإشبيلي أبو محمد(٥٨١)، خضر محمد خضر، مكتبة دار الأقصى، الكويت، ١٤٠٦.
عدة الداعي ونجاح الساعي؛ ابن فهد الحلي(٨٤١)، احمد الموحدي القمي، مكتبة وجداني، قم.
العدد القوية لدفع المخاوف اليومية؛ علي بن يوسف المطهر الحلي(نحو ٧٠٥)، السيد مهدي الرجائي ـ السيد محمود المرعشي، مكتبة آية الله المرعشي العامة، قم، ١٤٠٨.
العزلة؛ أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي البستي(٣٨٨)، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٩٩، الثانية.
العظمة؛ عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأصبهاني أبو محمد(٣٦٩)، رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، دار العاصمة، الرياض، ١٤٠٨.
العقد الفريد؛ احمد بن محمدبن عبد ربه الأندلسي(٣٢٨)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠، الثالثة.
علل الشرائع؛ الشيخ الصدوق(٣٨١)، السيد محمد صادق بحر العلوم، ١٣٨٥، منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها، النجف الأشرف.
العلل المتناهية في الأحاديث الواهية؛ عبد الرحمن بن علي بن الجوزي(٥٩٧)، خليل الميس، دار

الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣.

عمدة القاري شرح صحيح البخاري؛ بدر الدين محمود بن أحمد العيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

العمر والشيب؛ أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي(٢٨١)، نجم عبد الله خلف، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤١٢.

عمل اليوم والليلة سلوك النبي مع ربه عز وجل ومعاشرته مع العباد؛ أحمد بن محمد بن إسحاق الدينوري الشافعي المعروف بابن السني(٣٦٤)، كوثر البرني، دار القبلة للثقافة الإسلامية ومؤسسة علوم القرآن، جدة ـ بيروت.

عوالي اللئالي؛ ابن أبي جمهور الأحسائي(نحو ٨٨٠)، الحاج آقا مجتبى العراقي، سيد الشهداء، قم، ١٤٠٣.

عيار الشعر؛ أبو الحسن محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي(٣٢٢)، عبد العزيز بن ناصر المانع، مكتبة الخانجي، القاهرة.

العيال؛ أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي(٢٨١)، نجم عبد الرحمن خلف، دار ابن القيم، السعودية، الدمام، ١٤١٠.

العين؛ الخليل بن أحمد الفراهيدي(١٧١)، مهدي المخزومي ـ إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

عيوب النفس؛ محمد بن الحسين بن موسى السلمي أبو عبد الرحمن(٤١٢)، مجدي فتحي السيد، مكتبة الصحابة، طنطا، ١٤٠٨.

عيون أخبار الرضا عليه السلام؛ الشيخ الصدوق(٣٨١)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤٠٤.

عيون الأخبار؛ أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (٢٧٦)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨.

عيون الأنباء في طبقات الأطباء؛ موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي(٦٦٨)، نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت.

عيون الحكم والمواعظ؛ علي بن محمد الليثي الواسطي(ق ٦)، الشيخ حسين الحسيني البيرجندي، دار الحديث.

الغارات؛ إبراهيم بن محمد الثقفي الكوفي(٢٨٣)، السيد جلال الدين الحسيني الأرموي المحدث، طبع على طريقة أوفست في مطابع بهمن.

غذاء الألباب شرح منظومة الأداب؛ محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي(١١٨٨)، محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٣، الثانية.

الغرباء؛ محمد بن الحسين الآجري(٣٦٠)، بدر البدر، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت، ١٤٠٣.

غرر الخصائص الواضحة، وعرر النقائض الفاضحة؛ أبو إسحق برهان الدين محمد بن إبراهيم بن يحيى بن علي المعروف بالوطواط (٧١٨)، ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٩ .

غريب الحديث؛ أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي(٥٩٧)، عبد المعطي أمين القلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥.

غريب الحديث؛ القاسم بن سلام الهروي أبو عبيد(٢٢٤، محمد عبد المعيد خان)، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٩٦.

غريب الحديث؛ عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري أبو محمد(٢٧٦)، عبد الله الجبوري، مطبعة العاني، بغداد، ١٣٩٧.

غريب الحديث؛ إبراهيم بن إسحاق الحربي أبو إسحاق(٢٨٥)، سليمان إبراهيم محمد العايد، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٥.

غريب الحديث؛ أحمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي البستي أبو سليمان(٣٨٨)، عبد الكريم إبراهيم العزباوي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٢.

غوامض الأسماء المبهمة الواقعة في متون الأحاديث المسندة؛ خلف بن عبد الملك بن بشكوال أبو القاسم(٥٧٨)، عز الدين علي السيد، محمد كمال الدين عز الدين، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٧.

الغيبة؛ الشيخ الطوسي(٤٦٠)، الشيخ عباد الله الطهراني، الشيخ علي أحمد ناصح، شعبان ١٤١١، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم.

الفائق في غريب الحديث؛ محمود بن عمر الزمخشري(٥٣٨)، علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، لبنان، الثانية.

فتح الباري شرح صحيح البخاري؛ أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي(٨٥٢)، محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت.

فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير؛ محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار الفكر، بيروت.

الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير؛ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي(٩١١)، يوسف النبهاني، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٣.

فتح المغيث شرح ألفية الحديث؛ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي(٩٠٢)، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٤٠٣، الأولى.

الفتن؛ نعيم بن حماد المروزي أبو عبد الله(٢٨٨)، سمير أمين الزهيري، مكتبة التوحيد، القاهرة، ١٤١٢.

فتوح الشام؛ أبو عبد الله بن عمر الواقدي(٢٠٧)، دار الجيل، بيروت.

الفتوحات المكية في معرفة الاسرار الملكيّة؛ محيي الدين بن علي بن محمد الطائي الحاتمي(٦٣٨)، دار إحياء التراث العربي، لبنان، ١٤١٨، الأولى.

الفرج بعد الشدّة؛ المحسن بن علي بن محمد بن أبي الفهم داود التنوخي البصري، أبو علي (٣٨٤)، عبود الشالجى، دار صادر، بيروت، ١٣٩٨ .

الفرج بعد الشدة؛ أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (٢٨١)، أبو حذيفة عبيد الله بن عالية، دار الريان للتراث، مصر، ١٤٠٨، الثانية.

الفردوس بمأثور الخطاب؛ أبو شجاع شيرويه بن شهردار بن شيرويه الديلمي الهمذاني الملقب إلكيا(٥٠٩)، السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٦ .

الفروق أو أنوار البروق في أنواء الفروق (مع الهوامش)؛ أبو العباس أحمد بن إدريس الصنهاجي القرافي(٦٨٤)، خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨.

فصل المقال في شرح كتاب الأمثال؛ أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (٤٨٧)، إحسان عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧١ .

فضائح الباطنية؛ محمد بن محمد بن محمد الغزالي أبو حامد(٥٠٥)، عبد الرحمن بدوي، مؤسسة دار الكتب الثقافية، الكويت.

فضائل الصحابة؛ أحمد بن شعيب النسائي أبو عبد الرحمن(٣٠٣)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥، الأولى.

فضائل القرآن؛ أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (٢٢٤)، مروان العطية، ومحسن خرابة، ووفاء تقي الدين، دار ابن كثير (دمشق، بيروت)، ١٤١٥ .

فضل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب؛ محمد بن خلف بن المرزبان(٣١٧)، إبراهيم يوسف، دار الكتب المصرية، القاهرة.

فقه الرضا؛ علي ابن بابويه القمي(٣٢٩)، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام، قم، ١٤٠٦.

الفقيه و المتفقه؛ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي(٤٦٢)، أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف الغرازي، دار ابن الجوزي، السعودية، ١٤٢١، الثانية.

فوائد العراقيين؛ أبو سعيد محمد بن علي بن عمر بن مهدي الأصبهاني الحنبلي النقاش (٤١٤)، مجدي السيد إبراهيم، مكتبة القرآن، مصر.

الفوائد؛ تمام بن محمد الرازي أبو القاسم(٤١٤)، حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤١٢.

فهرست منتجب الدين؛ منتجب الدين بن بابويه(٥٨٥)، سيد جلال الدين محدث الأرموي، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم، ١٣٦٦.

فيض القدير شرح الجامع الصغير؛ عبد الرؤوف المناوي(١٠٣١)، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٣٥٦، الأولى.

قصر الأمل؛ أبو بكر عبد الله بن أبي الدنيا(٢٨١)، محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت، ١٤١٧، الثانية.

قضاء الحوائج؛ أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي(٢٨١)، مجدي السيد إبراهيم، مكتبة القرآن، القاهرة.

القناعة؛ الإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن محمد بن إسحاق الدينوري(٣٦٤)، عبد الله بن يوسف الجديع، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٠٩.

قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد؛ محمد بن علي بن عطية الحارثي المشهور بأبي طالب المكي(٢٨٦)، عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٦، الثانية.

الكافي؛ الشيخ الكليني(٣٢٩)، علي أكبر الغفاري، الخامسة، ١٣٦٣ ش، دار الكتب الإسلامية، طهران.

الكامل في التاريخ؛ أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني(٦٣٠)، عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥، الطبعة الثانية.

الكامل في ضعفاء الرجال؛ عبدالله بن عدي بن عبدالله بن محمد أبو أحمد الجرجاني(٣٦٥)، يحيى مختار غزاوي، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩، الثالثة.

الكسب؛ محمد بن الحسن الشيباني(١٨٩)، سهيل زكار، عبد الهادي حرصوني، دمشق، ١٤٠٠.

الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل؛ أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي(٥٣٨)، عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

الكشكول؛ الشيخ بهاء الدين محمد بن حسين العاملي(١٠٣١، محمد عبد الكريم النمري)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨.

كتاب الأدب؛ أبو بكر بن أبي شيبة(٢٣٥)، محمد رضا القهوجي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٢٠.

كتاب التمحيص؛ محمد بن همام الإسكافي(٣٣٦)، مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، قم.

كتاب الزهد؛ حسين بن سعيد الكوفي(ق٣)، ميرزا غلام رضا عرفانيان، ١٣٩٩، العلمية، قم.

كتاب السماع؛ محمد بن طاهر بن علي بن أحمد بن أبي الحسن الشيباني، أبو فضل المقدسي، المعروف بابن القيسراني(٥٠٧)، أبو الوفا المراغي، وزارة الأوقاف، القاهرة ـ مصر، ١٤٢٤.

كتاب العلم؛ زهير بن حرب أبو خيثمة النسائي(٢٣٤)، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٣، الثانية.

كتاب المؤمن؛ حسين بن سعيد الكوفي(ق٣)، مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، قم، ١٤٠٤، الأولى.

كتاب سيبويه؛ أبو البشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه(١٨٠)، عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت.

كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيميّة؛ أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس(٧٢٨)، عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي، مكتبة ابن تيمية، الثانية.

كشاف القناع عن متن الإقناع؛ منصور بن يونس بن إدريس البهوتي(١٠٥١)، هلال مصيلحي مصطفى هلال، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٢.

كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي؛ علاء الدين عبد العزيز بن أحمد البخاري(٧٣٠)، عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨.

كشف الغمة في معرفة الأئمة؛ علي بن أبي الفتح الإربلي(٦٩٣)، دار الأضواء، بيروت، ١٤٠٥، الثانية.

كشف المشكل من حديث الصحيحين؛ أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي(٥٩٧، علي حسين البواب)، دار الوطن، الرياض، ١٤١٨.

كمال الدين وتمام النعمة؛ الشيخ الصدوق(٣٨١)، علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤٠٥.

كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال؛ علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي(٩٧٥)، محمود عمر الدمياطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩.

كنز الفوائد؛ أبي الفتح الكراجكي(٤٤٩)، مكتبة المصطفوي، قم، طبعة حجرية، ١٣٦٩ ش، الثانية.

لباب الآداب؛ أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري(٤٢٩)، أحمد حسن لبج، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧.

لباب التأويل في معاني التنزيل (تفسير الخازن)؛ علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن(٧٢٥)، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩ .

لباب الحديث؛ جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال السيوطي(٩١١)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة ـ الحلبي، ١٣٧٧، الرابعة.

اللباب في علوم الكتاب؛ أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي(٨٨٠)، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩.

لسان العرب؛ محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري(٧١١)، دار صادر، بيروت، الأولى.

لسان الميزان؛ أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي(٨٥٢)، دائرة المعرف النظامية، الهند، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤٠٦، الثالثة .

المبسوط؛ شمس الدين السرخسي(٤٨٣)، دار المعرفة، بيروت.

المتمنين؛ أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي(٢٨١)، محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت، ١٤١٨.

مجاز القرآن؛ أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمى البصري (٢٠٩)، محمد فواد سزگين، مكتبة الخانجى، القاهرة.

المجازات النبويّة؛ الشريف الرضي(٤٠٦)، طه محمد الزيتي، منشورات مكتبة بصيرتي، قم.

المجالسة وجواهر العلم؛ أبو بكر أحمد بن مروان بن محمد الدينوري القاضي المالكي(٣٣٣)، دار ابن حزم، بيروت، ١٤٢٣، الأولى.

المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين؛ الإمام محمد بن حيان بن أحمد بن أبي حاتم التميمي البستي(٣٥٤)، محمود إبراهيم زايد، دار الوعي، حلب، ١٣٩٦.

مجمع الأمثال؛ أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري(٥١٨)، محمد محيى الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت.

مجمع البحرين؛ الشيخ فخر الدين الطريحي(١٠٨٥)، طراوت، ١٣٦٢ ش، الثانية.

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد؛ علي بن أبي بكر الهيثمي(٨٠٧)، دار الريان للتراث ـ دار الكتاب العربي، القاهرة، بيروت، ١٤٠٧.

المحاسن والأضداد؛ أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ البصري(٢٥٥)، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٥، الثانية.

المحاسن والمساوئ؛ إبراهيم بن محمد البيهقي(٣٢٠)، عدنان علي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٠.

المحاسن؛ أحمد بن محمد بن خالد البرقي(٢٧٤)، السيد جلال الدين الحسيني (المحدث) ، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٣٠ ش.

محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء؛ أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الأصفهاني(٥٠٢)، عمر الطباع، دار القلم، بيروت، ١٤٢٠.

المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز؛ أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي(٥٤٦)، عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٤١٣.

المحكم والمحيط الأعظم؛ أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي(٤٥٨)، عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠.

المحمدون من الشعراء وأشعارهم؛ جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (٦٤٦)، حسن معمري، راجعه وعارضه بنسخه؛ حمد الجاسر، دار اليمامة، ١٣٩٠ .

المحن؛ أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم بن تمام التميمي(٩٤٤)، عمر سليمان العقيلي، دار العلوم، الرياض، السعودية، ١٤٠٤.

المحيط في اللغة؛ الصاحب الكافي الكفاة أب القاسم إسماعيل ابن عباد بن العباس بن أحمد بن إدريس الطالقاني(٣٨٥)، الشيخ محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب، بيروت، ١٤١٤.

مختار الصحاح؛ محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي(٧٢١)، محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ١٤١٥، طبعة جديدة.

مختصر المزني (مطبوع ملحقا بالأم للشافعي)؛ إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل، أبو إبراهيم المزني (٢٦٤)، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٠.

مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر؛ محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الانصاري الرويفعى الإفريقى (٧١١)، روحية النحاس، رياض عبد الحميد مراد، محمد مطيع، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، سوريا، ١٤٠٢ .

المخصص؛ أبي الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي(٤٥٨)، خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٧.

مداراة الناس؛ أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي(٢٨١)، محمد

خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت، ١٤١٨.

المدخل؛ أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي الشهير بابن الحاج(٧٣٧)، دار الفكر، ١٤٠١.

المدونة الكبرى؛ مالك بن أنس(١٧٩)، دار صادر، بيروت.

المراسيل؛ سليمان بن الأشعث السجستاني أبو داود(٢٧٥)، شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٨.

المراسيل؛ عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي(٣٢٧)، شكر الله نعمة الله قوجاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٣٩٧.

المرض والكفارات؛ أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي(٢٨١)، عبد الوكيل الندوي، الدار السلفية، بومباي، ١٤١١.

مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح؛ علي بن سلطان محمد القاري(١٠١٤)، جمال عيتاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢.

المزهر في علوم اللغة وأنواعها؛ جلال الدين السيوطي(٩١١)، فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨.

مستدرك الوسائل؛ ميرزا حسين النوري الطبرسي(١٣٢٠)، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، بيروت، ١٤٠٨، الأولى.

المستدرك على الصحيحين؛ محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري(٤٠٥)، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١.

المستطرف في كل فن مستظرف ؛ شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح الأبشيهي(٨٥٠)، مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٦، الثانية.

مسكن الفؤاد؛ الشهيد الثاني(٩٦٥)، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم،١٤٠٧.

المسند؛ عبدالله بن الزبير أبو بكر الحميدي(٢١٩)، حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، مكتبة المتنبي، بيروت، القاهرة.

مسند ابن الجعد؛ علي بن الجعد بن عبيد أبو الحسن الجوهري البغدادي(٢٣٠)، عامر أحمد حيدر،

مؤسسة نادر، بيروت، ١٤١٠.

مسند الإمام عبد الله بن المبارك؛ عبد الله بن المبارك بن واضح(١٨١)، صبحي البدري السامرائي، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٧.

مسند أبي عوانة؛ الإمام أبي عوانة يعقوب بن إسحاق الاسفرائني(٣١٦)، دار المعرفة، بيروت.

مسند أبي يعلى؛ أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي(٣٠٧)، حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، ١٤٠٤.

مسند الإمام أحمد بن حنبل؛ أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني(٢٤١)، مؤسسة قرطبة، مصر.

مسند إسحاق بن راهويه؛ إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن راهويه الحنظلي(٢٣٨)، عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي، مكتبة الإيمان، المدينة المنورة، ١٤١٢.

مسند البزار (البحر الزخار)؛ أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار(٢٩٢)، محفوظ الرحمن زين الله، مؤسسة علوم القرآن، مكتبة العلوم والحكم، بيروت، المدينة، ١٤٠٩.

مسند الإمام الربيع بن حبيب (الجامع الصحيح)؛ الربيع بن حبيب بن عمر الأزدي البصري(قرن٢)، محمد إدريس، عاشور بن يوسف، دار الحكمة،مكتبة الاستقامة، بيروت، ١٤١٥.

مسند الروياني؛ محمد بن هارون الروياني أبو بكر(٣٠٧)، أيمن علي أبو يماني، مؤسسة قرطبة، القاهرة، ١٤١٦.

المسند للشاشي؛ أبو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي(٣٣٥)، محفوظ الرحمن زين الله، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٤١٠.

مسند الشافعي؛ محمد بن إدريس أبو عبد الله الشافعي(٢٠٤)، دار الكتب العلمية، بيروت.

مسند الشاميين؛ سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني(٣٦٠)، حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥.

مسند الشهاب؛ محمد بن سلامة بن جعفر أبو عبد الله القضاعي(٤٥٤)، حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٧، الثانية.

مسند أبي داود الطيالسي؛ سليمان بن داود أبو داود الفارسي البصري الطيالسي(٢٠٤)، دار المعرفة، بيروت.

مسند المقلّين من الأمراء والسلاطين؛ الإمام الحافظ أبي القاسم تمام بن محمد الدمشقي(٤١٤)، مجدي فتحي السيد، دار الصحابة، مصر، ١٩٨٩.

مسند زيد بن علي؛ زيد بن علي(١٢٢)، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.

مسند عبد الرحمن بن عوف؛ أحمد بن محمد بن عيسى البرتي(٢٨٠)، صلاح بن عايض الشلاحي، دار ابن حزم، بيروت، ١٤١٤.

المنتخب من مسند عبد بن حميد؛ عبد بن حميد بن نصر أبو محمد الكسي(٢٤٩)، مكتبة السنة، القاهرة، صبحي البدري السامرائي، محمود محمد خليل الصعيدي، ١٤٠٨.

مشارق الأنوار على صحاح الآثار؛ القاضي أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي المالكي(٥٤٤)، المكتبة العتيقة ودار التراث.

مشيخة ابن شاذان الصغرى؛ لأبي علي الحسن بن أحمد بن إبراهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان؟ (٤٢٦)، عصام موسى هادي، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، السعودية، ١٤١٩.

مصادقة الإخوان؛ الشيخ الصدوق(٣٨١)، السيد علي الخراساني الكاظمي، مكتبة الإمام صاحب الزمان العامة، الكاظمية، العراق، ١٤٠٢.

مصارع العشاق؛ أبو محمد جعفر بن أحمد بن الحسيني السراج القارئ(٥٠٠)، محمد حسن محمد حسن إسماعيل، أحمد رشدي شحاته، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩.

مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة؛ المنسوب للإمام الصادق عليه السلام(١٤٨)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت، ١٤٠٠.

مصباح المتهجد؛ الشيخ الطوسي(٤٦٠)، ١٤١١، مؤسسة فقه الشيعة، بيروت.

المصنف في الأحاديث والآثار؛ أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي(٢٣٥)، كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٠٩.

المصنف؛ أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني(٢١١)، حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٣، الثانية.

مطالب السؤول في مناقب آل الرسول عليهم السلام؛ محمد بن طلحة الشافعي(٦٥٢)، ماجد ابن أحمد العطية.

المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية؛ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني(٨٥٢)، سعد بن ناصر بن عبد العزيز الشتري، دار العاصمة ـ دار الغيث، السعودية، ١٤١٩.

مطلوب كل طالب؛ رشيد الوطواط(٥٧٣)، مير جلال الدين الحسيني الأرموي المحدث، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٣٤٢ ش.

معارج الوصول إلى معرفة فضل آل الرسولعليهم السلام ؛ الشيخ محمد الزرندي الحنفي(٧٥٠)، ماجد بن أحمد العطية .

المعارف؛ ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم(٢٧٦)، ثروت عكاشة، دار المعارف، القاهرة.

معاني الأخبار؛ الشيخ الصدوق(٣٨١)، علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٣٣٨ ش.

المعتبر؛ المحقق الحلي(٦٧٦)، عدة من الأفاضل ـ ناصر مكارم شيرازي، مؤسسة سيد الشهداء عليه السلام ، قم، ١٣٦٤ ش.

المعجم؛ أبو يعلى أحمد بن علي بن المثُنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التيمي، الموصلي (٣٠٧)، إرشاد الحق الأثري، إدارة العلوم الأثرية، فيصل آباد، ١٤٠٧.

معجم الأدباء أو **إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**؛ أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي(٦٢٦)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١، الأولى.

المعجم الأوسط؛ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني(٣٦٠)، طارق بن عوض الله بن محمد،عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥.

معجم السفر؛ أبو طاهر أحمد بن محمد السلفي الأصبهاني(٥٧٦)، عبد الله عمر البارودي، المكتبة التجارية، مكة المكرمة.

معجم الصحابة؛ عبد الباقي بن قانع أبو الحسين(٣٥١)، صلاح بن سالم المصراتي، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، ١٤١٨.

المعجم الصغير (الروض الداني)؛ سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني(٣٦٠)، محمد شكور محمود الحاج أمرير، المكتب الإسلامي، دار عمار، بيروت، عمان، ١٤٠٥.

المعجم الكبير؛ سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني(٣٦٠)، حمدي بن عبدالمجيد السلفي،

مكتبة الزهراء، الموصل، ١٤٠٤، الثانية.
معجم المؤلفين؛ عمر كحالة(معاصر)، مكتبة المثنى، بيروت، و دار إحياء التراث العربي، بيروت.
معدن الجواهر؛ أبي الفتح الكراجكي(٤٤٩)، السيد أحمد الحسيني، مهر استوار، قم، ١٣٩٤، الثانية.
معرفة السنن والآثار عن الامام أبي عبد الله محمد بن أدريس الشافعي؛ الحافظ الامام أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو أحمد. البيهقي. الخسروجردي(٤٥٨)، سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت.
معرفة الصحابة؛ أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (٤٣٠)، عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن للنشر، الرياض١٤١٩، الأولى.
المعرفة والتاريخ؛ يعقوب بن سفيان بن جوان الفارسي الفسوي، أبو يوسف (٢٧٧)، أكرم ضياء العمري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠١، الثانية.
المغازي؛ أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد الواقدي(٢٠٧)، محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤ .
المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني؛ عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد(٦٢٠)، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥، الأولى.
مغني اللبيب عن كتب الأعاريب؛ جمال الدين ابن هشام الأنصاري(٧٦١)، مازن المبارك ـ محمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٥، السادسة.
المغني عن الحفظ والكتاب؛ أبو حفص عمر بن بدر بن سعيد الموصلي الوراني(٦٢٢)، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧، الأولى.
المغني عن حمل الأسفار؛ أبو الفضل العراقي(٨٠٦)، أشرف عبد المقصود، مكتبة طبرية، الرياض، ١٤١٥.
مفردات ألفاظ القرآن؛ الاصفهاني، حسين بن محمّد راغب(حدود ٥٠٢ هـ ق)، دار العلم، الدار الشامية، ١٤١٢ هـ ق، لبنان، سوريه.
المفضليات؛ المفضل بن محمد بن يعلى الضبي(١٧٨)، أحمد محمد شاكر و عبد السلام محمد هارون، بيروت.

المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة؛ أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي(٩٠٢)، محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥ .

معجم مقاييس اللغة؛ أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا(٣٩٥)، عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ١٤٢٠، الثانية.

المقتضب؛ أبو العباس محمد بن يزيد المبرد(٢٨٥)، محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب، بيروت.

مقتل الحسين عليه السلام؛ أبو مخنف الأزدي(١٥٧)، حسين الغفاري، مطبعةالعلمية، قم.

المقنعة؛ الشيخ المفيد(٤١٣)، مؤسسة النشر الإسلامي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤١٠، الثانية.

مكارم الأخلاق؛ أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي(٢٨١)، مجدي السيد إبراهيم، مكتبة القرآن، القاهرة، ١٤١١.

مكارم الأخلاق ومعاليها ومحمود طرائقها؛ أبو بكر محمد بن جعفر بن محمد بن سهل بن شاكر الخرائطي السامري (٣٢٧)، تقديم و أيمن عبد الجابر البحيري، دار الآفاق العربية، القاهرة، ١٤١٩.

مكارم الأخلاق؛ الشيخ الطبرسي(٥٤٨)، السادسة، ١٣٩٢، منشورات الشريف الرضي.

من لا يحضره الفقيه؛ الشيخ الصدوق(٣٨١)، علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، الثانية.

المنازل والديار؛ أبو المظفر مؤيد الدولة مجد الدين أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني الكلبي الشيزري (٥٨٤) .

مناقب آل أبي طالب؛ ابن شهر آشوب(٥٨٨)، لجنة من أساتذة النجف الأشرف، ١٣٧٦، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف.

المناقب؛ الموفق الخوارزمي(٥٦٨)، الشيخ مالك المحمودي، مؤسسة سيد الشهداء عليه السلام، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤١٤، الثانية.

المنامات؛ أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي(٢٨١)، عبد القادر أحمد عطا، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٤١٣.

المنتحل؛ عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (٤٢٩)، الشيخ أحمد أبو علي، المطبعة

التجارية، عرزوزي وجاويش، الإسكندرية، ١٣١٩ .

منتخب الكلام في تفسير الأحلام؛ ابن سيرين(١١٠)، دار الفكر، بيروت .

منتخب مسند عبد بن حميد؛ عبد بن حميد بن نصر الكسي(٢٤٩)، السيد صبحي البدري السامرائي، محمود محمد خليل الصعيدي، ١٤٠٨، مكتبة النهضة العربية.

المنتخب من كتاب أزواج النبيصلى الله عليه وآله ؛ الزبير بن بكار بن عبد الله بن مصعب الزبيري أبو عبد الله(٢٥٦)، سكينة الشهابي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٣.

المنتقى من كتاب مكارم الأخلاق ومعاليها ومحمود طرائقها؛ أبي بكر محمد بن جعفر بن سهل الخرائطي(٣٢٧)، أبو طاهر أحمد بن محمد السلفي الأصبهاني، دار الفكر، دمشق سورية، ١٩٨٦.

منتهى المطلب؛ العلامة الحلي(٧٢٦)، قسم الفقه في مجمع البحوث الإسلامية، مؤسسة الطبع والنشر في الآستانة الرضوية، مشهد، ١٤١٢.

المنمق في أخبار قريش؛ محمد بن حبيب البغدادي(٢٤٥)، خورشيد أحمد فارق، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٥.

الموضوعات؛ أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد القرشي(٥٩٧)، توفيق حمدان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥ .

المهذّب في فقه الإمام الشافعي؛ إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي أبو إسحاق(٤٧٦)، دار الفكر، بيروت.

ميزان العمل؛ أبو حامد محمد بن محمد الغزالي(٥٠٥)، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٣.

ناسخ الحديث ومنسوخه؛ أبو حفص عمر بن أحمد بن عثمان بن شاهين(٣٨٥)، سمير بن أمين الزهيري، مكتبة المنار، الزرقاء، ١٤٠٨.

نثر الدر في المحاضرات؛ أبو سعد منصور بن الحسين الآبي(٤٢١)، خالد عبد الغني محفوط، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤.

نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر؛ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي(٥٩٧)، محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٤.

نزهة المجالس ومنتخب النفائس؛ عبد الرحمن بن عبد السلام بن عبد الرحمن بن عثمان

الصفوري(٨٩٤)، عبد الرحيم مارديني، دار المحبة، دار آية، بيروت، دمشق، ٢٠٠١ .
نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة؛ أبو علي المحسن بن علي بن محمد التنوخي البصري(٣٨٤)، مصطفى حسين عبد الهادي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤.
نصاب الاحتساب؛ عمر بن محمد بن عوض السَّنَامي الحنفي (٧٣٤).
نظم الدرر في تناسب الآيات والسور؛ برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي(٨٥٥)، عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥.
نظم درر السمطين؛ الشيخ محمد الزرندي الحنفي(٧٥٠)، ١٣٧٧.
النكت والعيون (تفسير الماوردي)؛ أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري(٤٥٠)، السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت.
نوادر الأصول في أحاديث الرسول ﷺ ؛ محمد بن علي بن الحسن أبو عبد الله الحكيم الترمذي(٣٦٠)، عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت.
النوادر؛ فضل الله الراوندي(٥٧١)، سعيد رضا علي عسكري، مؤسسة دار الحديث الثقافية، قم.
نواسخ القرآن؛ عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي أبو الفرج(٥٩٧)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥، الأولى.
نهاية الأرب في فنون الأدب؛ شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري(٧٣٣)، مفيد قمحية وجماعة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤.
النهاية في غريب الحديث والأثر؛ أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري(٦٠٦)، طاهر أحمد الزاوى، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩.
نهج البلاغة؛ السيد الرضى(٤٠٦ ق)، الهجرة، قم، ١٤١٤ ق.
نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة؛ الشيخ المحمودي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.
الوافي بالوفيات؛ صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠.
الوافي بالوفيات؛ صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (٧٦٤)، أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠.

الورع؛ أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي(٢٨١)، أبي عبد الله محمد بن حمد الحمود، الدار السلفية، الكويت، ١٤٠٨.

الورع؛ أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني أبو عبدالله(٢٤١)، زينب إبراهيم القاروط، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣.

وسائل الشيعة؛ الحر العاملي(١١٠٤)، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم ، ١٤١٤، الثانية.

وفيات الأعيان و انباء أبناء الزمان؛ أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان(٦٨١)، احسان عباس، دار الثقافة، لبنان.

هدية العارفين؛ إسماعيل باشا البغدادي(١٣٣٩)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

الهم والحزن؛ أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي(٢٨١)، مجدي فتحي السيد، دار السلام، القاهرة، ١٤١٢.

يتمة الدهر في محاسن أهل العصر؛ أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي(٤٢٩)، مفيد محمد قمحية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣.



فهرس المحتويات